Chrysostomus, Joannes, Saint, patriarch of Constantinople



كتاب

Tafsīr Injīl al-qiddīs Yūḥannā

تفسير انجيل القديس يوحنا البشير الثاولوغوس للقديس يوحنا الذهبي الفم

اخرجه من اللغة اليونانية الى اللغة العربية عبدالله ابن الفضل الانطاكى

وهو ثمانية وثمانون مقالة ويتلو كل مقالة عظة

قد راجعه وضبطه على اصله اليونانى السعيد الذكر والشهيد فى الكهنة

الخورى يوسف مهنّا الحداد الدمشقى الشهير ايكونوموس الكرسى الانطاكى

ومعلم المدرسة الكنايسية الكبرى بدمشق

بمساعدة كير ايواني باباد وبولوس كاتب غبطة البطريرك الانطاكى

وطُبع على نسخةٍ مرقومةٍ بقلم السعيد الذكر الخورى المذكور

باذن قدس اب الابا وراعي الرعاة السيد الامجد كيريوس كيريوس اياروثيوس

البطريرك الانطاكي وساير المشرق الكلى الغبطة والجزيل الاحترام

بنفقة

يوحنا الدومانى الدمشقى معلم مدرسة الكاتيشيسيس فى بيروت

وبمساعدة ذوى الغيرة المحروة اسماوهم فى اخر هذا الكتاب الشريف

طبعة اولى

بالمطبعة العمومية فى مدينة بيروت سنة ١٨٦٣ مسيحية

بسم الاب والابن والروح القدس امين

فاتحـة الكتاب

يحق علينا دايما ان نقدم الشكر لله الكثير الاحسان . الذى جبل على صورته المسجود لها خلقة الانسان * وشرفنا بمثال ثالوثيته الالهية سالفا . ثم اختصنا بالولادة الروحانية مستانفا * ونقلنا من رتبة العبيد . وان كنا بالمعصية اثرنا الانتزاح عن ملكته * ورفعنا الى رتبة البنين الوارثين الجلوس فى ملكته * وحبانا بتعليمه الملحق لطقس السموين . ومثال عمله الناقل الى سيرة الروحانيين * وهدانا برسله الحواريين الاطهار * واجرى لعيشتنا الجديدة من بين جماعتهم المقدسة اربعة انهار * نشكره معترفين بسمو هذه المنة الزايدة الافضال . مستمرين فى محبة المولى بالاقوال والافعال . لننال غاية المواعيد ونهاية المراد . ويضاعف لنا جزيل النعمة وجيل المعاد * اذ كانت الغفلة قد صيرت احوال نفوسنا ردية * لاننا قد اضعفنا بالاعمال المذمومة قوتها المرتاحة المشتهية * فلهذا السبب ما تعافى معافاة توصلها الى اشتهاء الطعام الروحانى * لان هذا الداء مع آلامها الاخر كلها . دلالة عظيمة على سقمها النفسانى * وهو انها ليست جايعة ولا ظامية الى الغذاء النافع . لكنها لمستكرهة الصنفين . ولكليهما تدافع * ويمكننا اعادتها الى صحتها بعد اهوايها الى هذا المرض وتحلل قوتها . بان نلامس الاقوال الالهية * ونتدرع اقوال الكتب المقدسة الروحانية * لان كل كتاب مهجس به من الله هو نافع لتوبيخنا وتعليمنا وتلافينا واصلاحنا * وتاديبنا فى العدل والبر والبرهان الواضح * ليكون انسان الله كاملا متكاملا في كل عمل صالح * وقد ارسل سيدنا المسيح اليهود الى الكتب . ليس الى قراة ساذجة لها . لكنه ارسلهم الى بحث بليغ عنها * لانه لم يقل اقرأوا الكتب . لكنه قال فتشوا الكتب * لان الاراء التى قيلت من اجله تحتاج الى اهتمام كثير * لانها مستورة بحجاب فوقها * لهذا الغرض امرهم ان يحتفروها . ليجدوا الفوايد الموضوعة فى قعرها * لانها ما قيلت طافية على وجهها ولا المطرحة على سطحها * لكنها اذ محلها محل ذخيرة نفيسة . وضعت في قعر كبير منها * ومن يلتمس الاشياء الراسبة اسفل . ان لم لمتمسها بتعب وبابلغ الاستقصاء . فليس يمكنه ان يجد مطلوبه * وانت ايها المعطى سكنى السموات . المنعم عليك بتلك الاشياء الجليلة قدرها . الموعود ان تحظى بتلك السعادة . ان سلكت فى الطريق المودية اليها . لماذا تنفى ذاتك من الحياة . وهذه الاغذية



الروحانية تاتفك . لاى سبب تصبر مستلقيا . وهذه الاشفية امامك : انتهض الان يا هذا وانهج سبيلا توقفك على هذا الشارع العذب . لماذا تترك الياقوتة وتلامس الجمرة : لماذا تلقى الجوهرة الفايقة كل ثمن . وتعتصم بالصدفة : فلا تغفل عن الجزء الروحانى منك . وتشارك الحيوان فى اهوية الجسد . التى اسقطتنا اولاً من ذلك الفردوس . وثانياً احالت احوالنا التى تدنس الحلة الروحانية . وصيرتنا متقلبين فى تقلب الشهوات الدنية * لكن فلندنُ الى المعلم المحب البشر . ونتخذ تعليمه وسياسته مهذبين لنا . فهو قد قال تعالوا الىّ ايها المتعوبون وحاملوا الاوساق . وانا اريحكم * تعلموا منى . فانى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لانفسكم . ولعل السامع يقول . وما هو اذاً التعليم المستفاد من هذه الالفاظ : فاجيبه ان هذا القول هو عين الفوايد بجملتها . وهو الذى قد نقل طبيعتنا نحن البشر من كافة اسقامها الى كمال صحتها * وذلك انها عندما صدّت عن امر ربها المشفق عليها . وجنحت الى الخديعة . واظهرت بهذه الغباوة تجدّفاً خلعها من الوداعة . وخالفت وصية الخالق . وطمعت ترفعاً منها الى رتبة اللاهوتية . اضاعت اتضاع العبودية . وهوت الى رذيلة الكبريا * واذ جدد الهنا السابغة افضالهُ . هذه الطبيعة بالميلاد من الروح والماء . طهّر النفس والجسد * واعطانا قوة على قوةٍ من تعليمه المحيى وعمله * فان ازمعت اقتناء هذا التعليم الذى يخالطك بالملايكة . ويوصلك بالروحانيين . ويجاورك بالختن السمائى . ويجلسك مع التلاميذ الاطهار حيث ساير طغمات الملايكة ومواكبهم . ان اثرت ان توصل هذه العيشة بذلك بغير واسطة بينهما . ففرغ عقلك من مشاكل هذا العالم الزايل * اذ معرفة الله وخلاص النفس لا تقتنى . الّا باطراح العوايق المضرة * وقد قال الله هكذا بفم النبى . «« تابروا واعلموا انى انا هو الله * »» ولكن ما بالى انا الممتلى جراحات . استجرأت ان اضع بدء الكلام فى هذه المعانى التى تعلو على ضعفى كثيراً : لماذا وضعت ذلك فى ابتداء هذا الكتاب الشريف . بزعمي ان يثابر محبوا الحكمة الروحانية . ويواظبوا على قرآءة الكتب . ويجدوا سبباً للسلوك في السبيل المسيحى الهادى : اترانى استطيع ان اواصل الخطاب وابلغ في هذا . واولى يسير من استحثاث مُفسر هذا الكتاب على ذلك : (اى على المواظبة على قراءة الكتب والبحث على معانى الفاظها) فلنتبعنّ نصايح هذا البار الفاضل . ولننعكفن على مطالعة الكتب دايماً * متحققين ما وعد به ربنا ابناء كنيسته . وموفقى نفوسهم بحرارة ايمانهم لتعاليمه . ان يجرى من بطونهم انهار ماء الحياة . وان يفيض من قلوبهم حل الشكوك والاشتباه * فهلمّ بنا اذاً ان نواظب على القرآءة فى تفاسير هذا الاب السعيد والرسول الجديد . الراعى الباذل نفسه عن خلاص قطيعه . الصابر لاجل الحق على صعوبة النكال وفظيعه . البطريرك الطاهر . والكوكب المشرق الزاهر . فريد عصره . ووحيد دهره . ابينا القديس الروحانى المغبوط يوحنا الذهبي الفم . المثابر على كافة الصلاح والفضل الجم . هذا الذى انتهى تعليمه الى اقصى المسكونة وانارها . واسترد

ضلالات مبدعي بدع هوام في ديننا وافارها * فهو ان اطنب فلا يمل من كثرة اطنابه . وان اسهب فلا يكل في توسعة تعليمه واسهابه . بل كل لفظة من تفاسيره تجعل العقل يقظان * وكل تنبيه من تنبيهاته تطرد سورة من كان وسنان * وكل عظة من مواعظه ترفع من كان مطرقاً الى الارضيات * وكل نصيحة من نصايحه تفقد من كان مشتاقاً الى السمائيات * ولما كانت هذه الانهار كثيرة التدفق شديدة التعمق . لا يتوجه لكل طالب ان يصل الى ما في قعرها من الجواهر . ولا يتبرهن من نظر فيها مستورات السراير * فغاص هذا الاب المحب واخرج للمسيحيين درراً ولآلي . ورصع ذلك ظاهراً للمتمسيه في سماء العلم متلاليا * واذا كان هذا الاب قد غادر الشهوات * وباين اللذات . وعارك الاعداء الخفية . واجاع بطنه . واضنى جسده . وادام سهره . حتى حصّل هذه الفوايد وجاد بها على اهل زمانه . أفلا نلامس نحن ذلك بسهولة . ونتخذ معانيها النافعة . ويحفظ كل واحد منا ما يجهله منها ; لانا نعلم ان من يقتني صناعة عالمية يقتبس جميع ما يحتاج اليه منها * ويحفظ جميع خواصها * ويتخذ ساير اداتها * فكم بالاحرى يجب علينا ان ننقل هذا العزم الى الفوايد الروحانية ; فان مَن يدرج ذاته باقتباسها . ولو كان كارها . سيصير تلميذاً وعاملاً ومعلماً وكاملاً * ويقتني علماً يخالط به السمويين . وهو في الارض * ويصادف القديسين من ههنا قبل ان ينتقل اليهم * ويصير فردوساً مزهراً * ويخرج الرب منه الاربعة انهار . التي هي الامانة والرجاء والمحبة والصبر * لكيما يحفظ فردوس قلبه من اغتيالات العدو المبين * ويتلذذ بالاثمار الروحانية كل حين

*

فهرسة الكتاب

صفحه

صفحة

المجلد الاول من كتاب تفسير بشارة القديس يوحنا الرسول الانجيلي ويتلوه المجلد الثاني

* تنبيــه للقارى *

اعلم ان العلامات الموجودة في هذا الكتاب الشريف تدل على ما ياتي بيانه فهذه «» على بداية الشهادة وهذه » على نهايتها وهذه ( ) على مكان وجود الشهادة فى الكتاب المقدس واسم كاتبها وهذه . على نصف المحط وهذه * على المحط الكامل وهذه ; علامة للسوال *



ان ذكر الصليب
عند الهالكين جهالة ٭

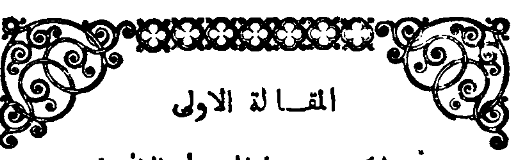
واما عندنا نحن
المتخلصين قوة الله ٭
قرنتية اولى ص ١ عدد ١٨

انا ما كان لى ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح
الذى به صُلب العالم لى وصُلبت انا للعالم
غلاطية ص ٦ عدد ١٤

انا نحن المومنين يجب علينا ان نلاحظ مطالعة الكتاب المقدس على هذه القوانين التاليه وهى
اولاً . يجب ان نقراه بالاصغاء والورع ككلام الله متاملين بحرص في المكتوبات فيه ٭
ثانياً . يجب ان تكون القراة بطهارة النية للنجاح فى الامانة والرغبة في الاعمال الصالحة ٭
ثالثاً . يجب ان نتصور الكتاب المقدس بحسب تفسير الكنيسة الارثودكسية والابا القديسين ٭
تعليم مسيحى منتشر صفحة ٢٤ سطر ١١ الى ١٦ وصفحة ٢٥ سطر ١ و ٢

فكل الذين يسلكون بهذا القانون فعليهم السلامة والرحمة وعلى اسرايل خصيص الله .
وفيما بعد لايسبب لى احد اتعاباً لانى انا حامل في جسدى وسوم جراحات الرب يسوع
غلاطيه ص ٦ عدد ١٦ و ١٧ .

مونك يارب القوات



المقالة الاولى

* في ذكر يوحنا الرسول الانجيلي *

ان معايني الجهادات التي خارج محلتنا. متى علموا ان مجاهداً جليداً مكللا . قد جاء من ناحية من النواحي . يتحاضرون كلهم . حتى يعاينوا مصارعاته . وصناعته . وقوته كلها * وتبصر هنالك مشهداً كاملاً . من اناس كثيرين جزيل عددهم . مادين اليه عيون جسدهم . والحاظ سريرتهم كلها * حتى لا يفوتهم صنف من اصناف جهاداته * وان حضر ايضاً مغني عجيب . فان هولاء باعيانهم يوعبون المشهد علي مثال ما قلنا . ويهملون الاشغال التي في ايديهم كلها * وربما كانت ضرورية . يستحثهم اضطرارها * ويصعدون فيجلسون بحرص جزيل * سامعين اغانيه ونقراته * متصفحين اتفاقهما كليهما . ونظامهما * فهذه الافعال يفعلها الاكثرون * الّا ان الحذاق في اقوال الخطابة . يعملون هذا العمل بعينه ايضاً بحضرة الخطبا * لان هولاء ايضاً قد يوجد لهم مشاهد . وسامعون . وتصفيق . واجلاب . وتصفح في غايته . لما يقال بحضرتهم * فلئن كان رجال خطباء وزمرة ومجاهدين . يجلس لبعضهم اناس ناظرين اليهم . ولبعضهم اقوام يبصرونهم . ويسمعون اقوالهم ونغماتهم . فكم بالحرى يجب علينا نحن . ان نورد حرصاً ونشاطاً في الاستماع : لا من زامرٍ . ولا من خطيب . ولا من مجاهد منحدر الان الى الجهاد . لكن في الاستماع من رجل متكلم من السموات * مبدياً صوتاً ابهى من صوت الرعد * لانه قد ضبط كافة المسكونة ووصل اليها * وملأها بصياحه * ليس بعظم ضجيجه * بل بتحريكه لسانه بالنغمة الالهية * والمستعجب من ذلك . ان صياحه اذ هو بهذه الصفة عظيم . فليس هو خشناً . ولا مكروهاً * لكنه اشد لذة من كل نظام موسيقي . واكثر ارتياحاً * عارفاً ان يطرب اكثر طرباً * وهو مع هذه الالفاظ كلها . اقدس النغمات واليقها * موعبة معاني قد قدمت التكلم بها جزيلاً تقديرها * حاملاً فوايد صالحة هذا مبلغها . يخصها ان تجعل الذين يستقنونها باستقصاء ونشاط ويحفظونها . الّا يكونوا بعد ذلك اناساً . ولا يثبتوا في الارض * لكنها تجعلهم ان يكونوا اعلي سمواً من املاك الدنيا كلها * موتلفين بالغاية المليكية * وان يسكنوا الارض علي هذه الصفة . كساكني السماء * وبيان ذلك * ان ابن الرعد . حبيب المسيح . عمود الكنايس التي في المسكونة . الحاوي مفاتيح السماء . الشارب كاس المسيح . المصطبغ في معموديته . المتكي علي صدر سيدنا بدالة كثيرة . هو الداخل الان الى عندنا * ليس متظاهراً بخيال . ولا ساتراً راسه بحجاب . ولا صاعداً الى برج من خشب . ولا صانعاً شياً البتة من هذه الامور . التي كان يفعلها اوليك الفلاسفة

الذين هم خارج محلتنا * لانه ليس يقول اقوالاً يتوجه الطعن عليها كالتي لاوليك * ولا يصادم برجله رقصاً مثلهم . ولا متزيناً بحلة من الذهب نظيرهم * لكنه يدخل الى عندنا مشتملاً حلة حسنها يفتاص الاجتيال عليه * لانه يظهر لنا متوشحاً بالمسيح * رجلاه بهيئتان * لابستان احدية استعداد التبشير بالسلامة * حاوياً منطقة ليست تحدق بصدره كاوليك . لكنها تحوط بحقوه * ليست من جلد قرمزى لونه كالتي لاوليك * وليست مذهبة باعلاها بذهب كتلك . لكنها منسوجة من الحق مركبة منه * هذا الفاضل يظهر الان لنا . ليس حاوياً مرآة * لان ليس عنده مراياه . ولا تصنع . ولا حديث باطل * لكنه براس عرى يخبرنا بالصدق مكشوفاً مجرداً * وليس هو انساناً مختلف الحرم . يحقق عند السامعين منه اوصافاً اخرى من ذاته . بشكله . بنغمته . بنظرته *وليس محتاجاً لاجل تخبيره الى آلةٍ بمنزلة رباب . او معزفة . او غير ذلك من هذه الاوصاف وامثالها * لكنه يعمل بلسانه كلما يريده . اذ يبدى نغمة ايقع من نغمة كل عود . والذ من كل نغمة موسيقية * فتوجد له السماء كلها معاينة . والمسكونة مشهداً . ومعاينيه وسامعيه الملايكة كلهم وجماعة الذين قد صاروا من اناس مليكة * او قد اشتهوا ان يصيروا مليكة *لان هولاء وحدهم يقتدرون ان يسمعوا هذا النظام من قوله بابلغ الاستقصاء . وان يظهروه بافعالهم . وان يكونوا سامعيه . على حسب ما يجب ان يكون من يستمعه *من جهة ان باقى الناس الاخرين كلهم يماثلون الصبيان الصغار . الذين يسمعون الكلام * الا انهم ما يعرفون ما يسمعونه * لكنهم مرتبطون بالعابهم الصبيانية متلهفون اليها *فعلى هذا المثال هولاء القوم . عايشون لبطونهم . ضاحكون . متنعمون بثروتهم واقتدارهم *فربما يسمعون ما يقال لهم . وما يظهرون بافعالهم * ولا فعلاً عظيماً . ولا عالياً *اذ قد عجنوا ذواتهم فى دفعة واحدة فى اللبن والطين * الا ان القوات من العلو واقفون لدى هذا الرسول . قد اذهلهم حسن نفسه وفهمه . وجمال فضيلته . التى بها استجذب المسيح * واستمد نغمته الروحانية *لان على مثال عودٍ للغناء جيد النظام . مرصع بالجواهر . حاوٍ نغماته ذهبية * كذلك هذا الفاضل اصلح نفسه . فخولنا ان يصوت بها الينا بالروح قولاً عظيماً عالياً * فسبيلنا ان نستمع منه هذا الاستماع . كاننا ما نستمع من صياد . ولا من ابن زبدى . لكن كمستمعين من عارف اعماق الله . من ناقر معزفة الروح هذه الجليلة * لانه ليس يخاطبنا خطاباً انسانياً . لكن الاقوال التى يقولها هى من الاعماق الروحانية *من تلك الالفاظ التى يمتنع التكلم بها * التى ولا المليكة عرفوها قبل حدوث هذه الحوادث * لان هولاء المليكة بصوت يوحنا . عرفوا معنا ما قد عرفناه * وهذا المعنى فقد اوضحه رسول اخر . اذ قال « حتى تعرف الان عند رياسات الملكة وسلطاناتها بكنيستنا . حكمة الهنا الجزيل تفننها *(افسس ص ١٠ عدد ٣) فلئن كانت رياسات المليكة وسلطانها . والكاروبيم والساروفيم . بكنيستنا عرفوا هذه الحوادث

فمن اوضح البيان ان هولاء قد اجتهدوا في هذا الاستماع بمسارعة كثيرة * لاننا قد أُكرمنا بهذا التكريم . ليس تكريماً يسيراً بان تعرف الملايكة معنا . ما كانوا قد جهلوه ولم يعرفوه * وعنيت بقولي انهم عرفوا بنا * اي انهم ماكانوا الى الان عرفوا من نحن . او اي محل محلنا * فسبيلنا نحن ان نخوّل للاستماع صمتنا . مع حسن زينة توقيرنا * ليس اليوم فقط . ولا في اليوم الذي نستمع فيهِ . لكن ينبغي ان نستعمل ذلك في كل حين من عمرنا * اذ استماعنا منه كل حين . فعل نافع محمود * ولئن كنا نرتاح الى ان نعرف ما يكون في قصور الملوك . كقولك ما الذي قال متقلد المُلك ; ماذا فعل ; ما رأيه في الناس الذين يروسهم ; على ان هذه الاخبار طال ما لم يصل الينا منها نفع * فاليق واوجب ان يكون ما قد قاله الله ماثوراً استماعه . وافضل كثيراً * اذ كانت اقواله كلها مصنفة لنا * فهذا الفاضل يخاطبنا بهذه الاقوال كلها بابلغ الاستقصاء فيها * وهو حبيب المتملك علينا بعينهِ * واليق ما يقال انه حاوٍ اباه ناطقاً فيهِ . وسامعاً منه كافة الاقوال التي سمعها ذاك من ابيهِ * لانه قال « قد دعوتكم احبتي . لانني عرفتكم كافة الاقوال التي سمعتها من ابي * (يوحنا ص ١٤ عد ١٥) * فسبيلنا ان يكون الان حالنا في الاستماع حال اناس قد ابصروا واحداً . مستشرفاً من العلو . من ذروة السماء على غفلةٍ . واصفاً لهم الاصناف التي هنالك بابلغ الاستقصاء في وصفها . نتحاضر كلنا مبادرين اليهِ * لان هذا الرجل الفاضل من هنالك يخاطبنا * لانه ليس هو من هذه الدنيا * على ما قال المسيح الهنا . « انتم لستم من هذه الدنيا * » وقد اشتمل المعزي ناطقاً * فيهِ الحاضر في كل مكان العارف اسرار الله على هذا المثال معرفة بليغة . كما قد عرفت نفوس الناس خفاياها واسرارها * روح القداسة . الروح المستقيم . المتأمّر . المرشد الى السمويات . المبدع الحافظاً اخرى . الذي يجعلنا ان ننظر الى الحوادث المنتظر كونها . كما نعاين الاشياء الحاضرة لدينا * الذي يخوّلنا ان نشاهد بجسمنا ما هو في السموات * فسبيلنا ان نورد له هدو صمتنا كثيراً في كل حين من عمرنا * فلا يلبثنّ من يدخل ههنا عاجزاً . ولا يكوننّ نواماً ; ولا متوسخاً * لكن ينبغي ان ننتقل الى السماء ذواتنا * لانه يخاطب بهذه الاقوال ههنا المتصرفين هنالك * لاننا متى لبثنا في الارض . فما نستفيد من هذه الجهة فايدة عظيمة * وبيان ذلك . ان اقوال يوحنا ليست عند الذين ما يريدون ان يتخلصوا من عيشتهم الخنزيرية شياً . كما ان الاحوال التي ههنا . ليست عند ذاك الفاضل شياً *



العظة الاولى

في ان المعترمين ان يسمعوا اقواله الالهية ينبغي لهم ان يبادروا كل اهتمام دقيق . وافضل لهم كثيراً ان يبتعدوا من مشاهدة اللعب

ولعمري ان الرعد يريع نفوسنا * اذ يجوز صوتاً قد عدم ان يكون مفهوماً * الا ان صوت هذا الرسول ليس يزعج من المومنين احداً * لكنه يريح سامعه من ارتجافه ونلقه . ويربع الشياطين وحدهم . والذين يتعبدون لهم * ولكيما نعرف كيف يريعهم . سبيلنا ان نورد الصمت كثيراً الذي من خارجنا . والصمت الذي لسريرتنا * وافضل لنا كثيراً . ان نورد هذا الذي في سريرتنا * لان ما منفعتنا ان يكون فمنا صامتاً هادياً . اذا كانت نفسنا مرتجفة حاوية اضطرابها واختباطها كثيراً ; وانما الطلب انا ذلك الهدو . الذي يكون من سريرتنا . الذي يكون من نفسنا * اذ كنت انما احتاج السماع لتلك * فلا تعسفنا اذاً شهوة الاموال . ولا عشق التشريف . ولا اقتصاب الغضب . ولا باقي رهط امراض هوانا الاخرى * لان سمعنا متى لم يتنق . فليس يتوجه له ان يعرف علو ما يقوله هذا الفاضل . كما يجب ان يعرفه * ولا يمكنه ان يعرف على ما يجب من هذه الاسرار معناها الرهيب المغتاص وصفه * ولا يعرف الفضيلة الاخرى كلها . التي في هذه الاوحية الالهية * ولين كان لحن يبدو من زمر او من عود . مايمكن احدنا ان يعرفه على ما ينبغي . اذا لم يمد عقله من ساير الجهات اليه * فكيف يقتدر الجالس السامع اقوالاً سرية ان يتفهمها . وتكون نفسه وانية مضجة ; فلهذا الغرض ينبهنا المسيح الهنا قايلاً . «لا تعطوا للكلاب الالفاظ القدسية * ولا تلقوا جواهركم ولولوكم قدام الخنازير * (متى ص٦ عد ٧) فسمى اقاويله هذه جواهر ولولوا * علي انها لم تزل اكرم من الجوهر واللولو بمقدار كثير * اذ ليس يوجد عندنا اكرم من هذه المادة غيرها * ولهذا الغرض من عادته ان يقايس لذتها بالعسل مرات كثيرة * ليس لان مقدارها هذه تقديره فقط . لكن لان ليس يوجد عندنا شي اخر اشد لذة من هذا العسل * ولكي توقن انها تقهر طبيعة الجواهر الكريمة . ولذة كل عسل بافراط كثير في المقايسة . اسمع النبي المتكلم في وصفها الموضح سموها * لانه قال . «انها لمشتهاة اكثر من الذهب والجوهر الكريم كثيراً * وانها اشد حلاوة من العسل والشهد * (مزمور ١٨ عد ١١) لكنها انما هي بهذه الصورة عند الاصحاء المعافيين * ولذلك استثنى بقوله . «لان عبدك يحفظها *» ووصفها ايضاً في موضع اخر «حلوة» * واضاف الى ذلك «في حلقي *» ويحفظ ايضاً افراط حلاوتها عند قوله . «اكثر من العسل والشهد في فمي * (مزمور ١١٨ عد ١٠٣) لانه كان قد عوفي وصح جداً * فلا نتقدم نحن اليها ونكون سقيمين * ولكن اذا داوينا انفسنا وشفيناها . بعد ذلك

نقتبل الغذاء بها * لاننى لهذا السبب تقدمت فقلت اقوالاً جزيلاً مبلغها . ولم اصل بعد الى هذه
الاقوال . حتى يطرح كل منا حال مرضه . ويدخل على هذه الحال نقياً طاهراً . كداخلٍ الى
السماء بعينها * متخلصاً من غضبهِ واهتمامهِ . واجتهاد دنياه . ومن باقى امراض عزمهِ * لانه
ما يتجه له ان يستفيد ههنا فايدة عظيمة على نحوٍ اخر . اذا لم يكن اولاً على هذا النحو قد نظف
نفسه ونقاها * فلا يقولنّ لى احدكم ان الوقت الذى فيما بينهُ الان وبين الالتيام المنتظر كونه ههنا
قصير * لان ممكناً ان ينقل احدنا طريقته كلها ليس فى خمسة ايام * لكنه يتجه له نقلها فى لحظةٍ
واحدة * لان قل لى . ماذا يكون اشرّ من لصّ قاتل الناس ; أفما هذا الصنف من الرذايل .
واصل الى الغاية القصوى من الرذيلة ; الا انه مع ذلك وصل فى الحين الى اعلا سمو الفضيلة .
وحصل فى الجنة بعينها * وما احتاج الى ايام . ولا الى نصف يوم * لكن الى لحظة صغيرة * فمن
هذه الجهة حصل انتقالنا ممكناً بغتةً * ونقتدر ان نصير من طين ذهباً * لان اذ ليست افعال
الفضيلة والرذيلة فى طبيعتنا . حصل انتقالنا اليهما سهلاً ميسراً علينا . متخلصاً من كل ضرورة * لانه
قال . « ان شيتم وسمعتم منى . اكلتم خيرات الارض * » ارايت اننا انما نحتاج الى الارادة
وحدها ; ليس الى ارادة الاكثرين هذه المشاعة فقط . لكننا انما نحتاج الى الارادة الحريصة * اذ قد
عرفت اننا كلنا نريد ان الان نطير الى السماء * لكننا يجب علينا ان نوضح بافعالنا ارادتنا * لان
التاجر يريد ان يستغنى * الا انه ما يقف مراده عند هذه الهمة فقط . لكنه يصلح سفينته . ويجمع
نواتيه . ويستصحب مدبراً * ويصلح السفينة بحوايجها الاخر كلها . ويستقرض ذهباً . ويعبر
لجةً . ويمضى الى ارض غريبة ويصطبر على صنوف من الخطر كثيرة - وعلى الشدايد الاخر كلها .
التى قد عرفها السايرون فى البحر * فعلى هذه الصورة يجب علينا نحن ان نوضح ارادتنا * لاننا
نحن ايضاً نسير سيراً بحرياً . ليس هو من ارض الى ارض . لكنه مسير من الارض الى السماء *
فسبيلنا ان نصلح فكرنا لتدبير يلايمنا . ويصاعدنا الى العلو * ونجعل له نواتية قبولين منه .
وسفينة قوية . حتى لا تتغرق فى نايبة وكآبة عالية . ولا تترفع بروح التجبر * لكن تكون متشمرة
خفيفة * فان اصلحنا على هذا المثال سفينتنا . ورتبنا فيها على هذه الصفة مدبرها ونواتيتها .
فسنسير برياح ساكنة . ونستجذب ابن الله المدبر الصادق الى ذواتنا . الذى ليس يهمل السفينة
ان تتغرق عندنا * لكن ولو هبت رياح جزيل عددها . فهو ينتهر الرياح والبحر . ويخترع بدلاً
من التزعزع والاختباط سكوناً كثيراً * فسبيلكم ان تصلحوا ذواتكم هذا الاصلاح . اذا جيتم الى
هنا فى التيامكم التالى * ان كان لكم غرض ان تجتهدوا فيه . ان تسمعوا قولاً من الاقوال النافعة *
وان تخزنوا ما يقال لكم فى انفسكم * فلا يكونن احدكم طريقاً . ولا يكونن احدكم صخرةً . ولا
يكونن ممتلياً شوكاً * بل فلنفلح لانفسنا فلاحات نقية * فاننا على هذه الجهة نطرح فيكم البزور

بنشاط * ان راينا ارضكم نقية نظيفة * وان رايناها خشنة حجرية . فاصفحوا لنا ان لم نشاء ان
نتعب تعباً باطلاً * لاننا ان اهتممنا ان نزرع . فانما نبتدى اولاً ان نقلع الشوك * ومن غباوة
واصلة الى غايتها ايضاً . ان نطرح بروراً فى ارض قد عدمت ان تكون معمولة * وما ينبغى
للمستمتع بهذا الاستماع . ان يشارك المايدة الشيطانية * لان ما هى الشركة فيما بين العدل
ومجانبة الشريعة ; انت قد وقفت ان تسمع من يوحنا . وتتعلم منه اقوال الروح . افيجوز لك
بعد ذلك ان تذهب فتصير سامعاً من نسوة زانيات . متكلمات اقوالاً قبيحة . متظاهرات
بافعال القبح منها ; ومن فاسقين ملطومين ولاطمين بعضهم بعضاً ; فكيف تقدر ان تتنظف تنظفاً
جيداً . اذ كنت متمرغاً تمرغاً فى حماة هذا مقدارها ; لان ما حاجتى ان اصف كافة الشناعة
الكاينة هنالك صنفاً صنفاً ; لان كل ما هنالك ضحك . كل ما هنالك خزى * كله عار ولعب
واغتيالات * كله استرخاء * كله فساد * فهذا اتقدم فاقول * واوصيكم كلكم . الّا يفسدنّ احد من
المستمتعين بهذه المايدة نفسه . بتلك المعاينات النافثة فيه سمها * فكل ما يقال ويعمل هنالك
فهو شهوة شيطانية * وقد عرفتم انتم المتعلمون سرّ المعمودية . اية مواثيق ولقتموها عليكم لنا . واوجب
ما يقال . انكم وثقتموها للمسيح عليكم * اذ ايتمنكم على سره * وقد عرفتم ما قلتموه لديه *
وما خاطبتموه به فى اجتناب الشهوة الشيطانية * وكيف باينتم مع الشيطان ورسله ايضاً .
وشهوته هذه * ووعدتموه بانكم لا تشرفون الى هنالك * فذلك خوف ليس يسيراً * فلا يكوننّ
احدكم غادراً زايلاً حفاظه . فيغدر بمواعيد هذه شروطها * فيجعل ذاته عديماً ان يكون اهلاً لهذه
الاسرار * أما ترى كيف يدعى الى دور الملوك . ليس الذين قد صادموهم . بل المكرمون
عندهم اذا ساهموا عزمهم * ويرتبون فى جملة احباء الملك * ونحن قد جاء الينا شفيع من السماء .
قد ارسله الهنا بعينه يخاطبنا فى معان ضرورية * فقد اهملتم انتم ان تسمعوا ما الذى يريده *
وما الذى يستشفع فيه لنا . وجلستم سامعين المحاكين * فلكم صواعق تكون هذه الافعال
موهلة لها ; فكما انه ما ينبغى لنا ان نساهم مايدة الشياطين . فكذلك ما ينبغى لنا ايضاً
ان نساهم سماع الشياطين * ولا ينبغى ان نجىء بثوب وسخ الى مايدة بهية ممتلية خيرات جزيل
عددها . التى قد اصلحها الهنا بعينه * لان قوتها يبلغ تقديرها الى ان ترفعنا بغتةً الى السماء
بعينها . ان اصغينا اليها فقط بسريرة عفيفة * وذلك لان المترنم بالاقوال الالهية ترنماً داعياً . ليس
من شانه ان يلبث فى المذلة الحاضرة * لكنه بلازم الضرورة يتريّش فى الحين . و يطير الى الصقع
العلوى بعينه * ويحظى من النعم الصالحة بذخايرها الغير المدروكة * التى فليكن لنا كلنا ان
ننالها . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس * الان
وكل اوان والى دهر الداهرين امين *

المقالة الثانية

في الابتداء كان الكلمة (ص ١ عد ١)

لو كان يوحنا ازمع ان يخاطبنا . وان يذكر لنا اقواله . لكان يلزمنا اضطراراً ان نصف جنسه . ووطنه . وتربيته * واذ ليس يخاطبنا هو . لكن الهنا به يخاطب طبيعة الناس . فتصفح هذه الاشياء يوجد عندي . وعلى حسب ظني . فضلة زايدة . وجانحة عن الاعتدال * واليق ما يقال . ان ليس التماسها على هذا النحو فضلة زايدة * لكنه ضروري لازم جداً * لانك اذا عرفت من كان ومن اين . وممن افرع . وما هو محله . وسمعت بعد ذلك صوته . وفلسفته كلها . حينئذٍ تعلم علماً يقيناً . ان هذه الاقوال ما كانت اقواله * لكنها اقوال القوة الالهية التي حركت نفسه * فان سالت ايما هو وطنه ; اجبتك * ما كان له وطن من الاوطان المعظمة عند اهل الدنيا * لكنه كان من ضيعة حقيرة . ومحلة احقر من غيرها . ما تنشي شياً صالحاً * لان الجليل قد ذمه الكتّاب . اذ قالوا لنيقوديموس . ‹‹ ابحث واعرف لان من الجليل ليس يقوم نبي * (يوحنا ص٥٢ عد ٧) وقد ثلبه الاسرايلي الحقاني . اذ قال . ‹‹ أمن الناصرة يمكن ان يوجد شي صالح (يوحنا ص٤٧ عد ١) فكان الانجيلي من هذه الارض * وماكان من محلة نبيهة . ولا معروفة من اسمها * من هناك كان هذا الفاضل * ابن اب صياد فقير هكذا . الذي اوصله الى ان يستميل ولديه الى صناعته بعينها * وقد عرفتم كلكم . ان ليس يوثر صانع بيده ان يجعل ابنه وارثاً لصناعته . اذا لم يلزمه لذلك فقره الزاماً شديداً * وهذا المعنى يكون ابين كثيراً . اذا كانت صناعته حقيرة جداً * فليس يكون افقر من الصيادين ولا احقر قدراً * بل ولا يكون انقص منهم علماً * ولعمري ان هولاء الصيادين باعيانهم * بعضهم يكونون اعظم من غيرهم * وبعضهم ادنى ممن سواهم * فاما هذا الرسول الشريف عندنا . فامتلك في هذه الاوصاف الرتبة الادنى من غيرها * لانه ما اصطاد من البحر * لكنه اقام عند بحيرة صغيرة . يطوف حولها مع ابيه و يعقوب اخيه . يرفون شباكاً متفزرة * وهذا كان من فقر واصل الى غايته * فعلى هذا الحال ما دعاه المسيح لاجل الادب الذي من خارجه * ويتهيأ لنا ان نعرف من هذه المعاني . انه ما كان قد حصل له من العلم الخارج عن محلتنا . ولا مهما كان منه * ونعرف ذلك من جهة اخرى * وهي ان لوقا الرسول يشهد اذ كتب في وصفه . انه ما كان امياً فقط . (لوقا ص ١٣ عد ٤) لكنه مع ذلك قد فاته العلم بالكتابة والكتب * وذلك على جهة الواجب * لان من كان بهذه الصفة فقيراً . ما قد حضر في اسواق المدينة . ولا فاوض اناساً موهلين لتصديقهم . لكنه كان مستمراً في صناعته

يصيد السمك * ومتى حضر عنده في وقت من الاوقات احد الناس . انما كان يخاطبه في متاجرة السمك . وفي طبخه * فما الحال الافضل الذى امل ان يستمده من اصطياد السمك . ومن عدمه النطق : وكيف لم يكن مماثل من الاسماك عدمها النطق . وفقدها الصوت :: فهذا الصياد اذاً المتصرف حول البحيرة بالشباك والسمك . الذي من بيت صيدا الجليل . الناشى من اب صياد فقير . وكان فقيراً فقراً في اقصى غايته * الامى امية في اقصى غايتها . الذى لم يتعلم كتابة . لا في اول عمره * ولا في اخره * فهذا الفاضل بعد كونه مع المسيح . فسبيلنا ان نعرف ما الذى يتكلم به . ومن اجل اى معانٍ يخاطبنا . هل يخاطبنا في وصف اشياء في الاسواق : في وصف الانواع التي في الانهار : في وصف العلامات الدالة علي خواص السمك : لان هذه الاقوال . لعل يتوقع متوقع ان يسمعها من صياد * لكن لا تخافوا . لاننا ما نسمع منه قولاً من هذه الاقوال * وانما نسمع منه المحامد التي في السموات * والاسرار التي ما عرفها في وقت من الاوقات عارف قبله * لانه علي هذه الجهة جاء الينا حاملاً اعتقادات عالية . وطريقة فاضلة . وفلسفة جليلة . علي ما يليق بالناطق من ذخاير الروح باعيانها * فهذه الاقوال قل لى . اقوال صياد : ام اقوال خطيب بجملة وصفها : ام اقوال مغالط : ام اقوال فيلسوف : ام اقوال كل مودب بالحكمة الخارجية : لا البتة * لان ليس يتجه لنفس انسانية ان تتفلسف على بسيط ذاتها بهذه الاقوال الجليل محلها * في وصف تلك الطبيعة السعيدة الغير البالية * وفي نعت قوات الملايكة التي بعد تلك * وفي وصف زوال الموت * وفي وصف الحيوة المسلوبة خبرتها * وفي نعت طبيعة اجسام مايتة وستكون اخيراً غير مايتة * وفي وصف العقوبة * وفي نعت مجلس القضاء المنتظر كونه * وفي ذكر العقوبات المسأولة ان تكون * وفي اقوالنا الموجبة علي اعمالنا المرسومة لافكارنا وسرايرنا * وما الانسان الذى يدعي انساناً * وما الرذيلة * وما الفضيلة * وما العالم * وما الانسان بالحقيقة * وما الانسان المظنون انه انسان وليس هو انساناً * وما الرذيلة والفضيلة : فاى صنوف من هذه قد ابتغاها افلاطون وفيثاغوروس : لان الفلاسفة الاخرين ما ينبغى لنا ان نذكرهم على بسيط الذكر * اذ قد صاروا من هذه الجهة يتزايد الضحك عليهم * بل اللذين استعجبا عندهم اكثر من غيرهما ووثق بهما ان يكونا قدوةً لعلمهما ذلك النفيس عندهم * لان هذين اكثر من غيرهما نظما اقوالاً فرادى . كتباها في معنى مذهبهما واعتقادهما . فضحك عليهما في اقاويلهما . اقبح مما يضحك على الصبيان * اذ جعلا النساء مشاعات لكل اهل بلدهم يشتركون فيهن * واقلبا عيشتنا كلها وعكساها * وافسدا فرايض التزويج الشريفة * واشترعا شرايع غير هذه يتضاحك الناس عليها * فعلى هذه الطريقة افنيا كافة عيشتهما . وما استبقيا لاحد من الناس افراطاً في الاستخراء . من اجل اعتقاداتهما في وصف نفسنا * اذ قالا ان نفوس الناس تصير ذباباً . وبقاً . ونباتاً لاطياً * وقد زعما ان الاله

بعينهِ يوجد نفساً * وشنعا شناعات غير هذه واكثر منها يماثلها * وليس هذا القول وحده موهلاً لثلبهِ * لكن اللجة الكثيرة من اقوالهم موهلة لتفنيدها وثلبها * اذ قد قالا اقوالاً كثيرة موهلة للثلب * لانهم كانوا كالدايرين في لجة بحر من هذه الجهة الى تلك الناحية . ما يثبتون في وقت من اوقاتهم على اقوال هي هي باعيانها * بل صادموا ذواتهم فيما قالوه * اذ تكلموا من همم متموجة مجروعة . متمسكة في غلطها * الا ان هذا الصياد لم تكن هذه الحال حاله * لكنه تكلم بكل ما نطق بهِ بابلغ وثاقته * ولم يتمايل البتة * كانه واقف علي صخرة * لانه اذ أُهل ان يحصل في هذه الغوامض باعيانها * وحوى سيد البرايا كلها ناطقاً فيهِ . ما نالهُ عارض انساني * واما اوليك اذ كانت حالهم حال الذين لم يوهلوا ولا في نومهم للمشي في قصور الملوك * وسلكوا مع غيرهم من الناس في السوق خارجا . وحدسوا من تمييز فهمهم علي الاشياء الغير الملحوظة . فضلوا ضلالاً كثيراً . لما ارادوا ان يتكلموا في وصف البرايا الغير الملحوظة * وصادم احدهم الاخر في هذه الضلالة بعينها * بمنزلة عميان وسكارى يتصادمون * وما صادم بعضهم بعضاً فقط * لكنهم قد صادموا مع ذلك ذواتهم * اذ قد انتقلوا دايماً الى معانٍ كثيرة في اقوال واحدة باعيانها * الا ان هذا الخايب من معرفة الكتابة والكتب . الامي . الناشي من بيت صيدا . ابن زبدي * ولو ضحك الوثنيون علي بلادة الاسماء التي في بشارته دفعات كثيرة . فلست اقول قولاً اخر غير ذلك * ولا اخشى من التكلم بهِ * لان هذه قد تكلم بها هو بمجاهرة كثيرة * اذ هي جليلة وبهية * لان على نحو ما تستبين عندهم امة الناس اعجمية مبتعدة من ادبهم . على هذا النحو تستبين اقوالنا المع نوراً * لان اذا تكلم الاعجمي الفاقد تعلم الكتب هذه الاقوال وامثالها . التي ما قد عرفها احد من الناس . الذين في الارض في وقت من الزمان . على انه لو كان انما فعل هذا الفعل وحده . لكان استعجابه عظيماً * فالان قد خولنا مع ذلك . دلالة اخرى اعظم من هذه . تدلنا على ان الاقوال التي يقولها هي هاجسة من الله * وهي استمالتها سامعيها كلهم . في طول الزمان كله الى قبولها * فمن لا يستعجب القوة الساكنة فيهِ . لان هذه الدلالة التي ذكرتها عجيبة * تدل على انه لم يشترع اشتراعاً من ذاتهِ * فهذا الاعجمي اشتمل بكتابة بشارته على المسكونة كلها * وضبط بجسده في وسط بلد اسيا * الذي فيه تفلسف كافة رهط بلد ايلادة تفلسفهم القديم * هنالك حصل مرهوباً عند الشياطين * لامعاً فيما بين اعدايهِ . مطفياً ظلامهم . هادماً قلعة الجن * وانصرف بنفسه الى ذلك الصف الملايم المبدع هذه البدايع وامثالها * ولعمرى ان فرايض الاوثانيين خمدت وتغيبت كلها * الا ان فرايض هذا الفاضل تصير كل حين المع نوراً * لان منذ حين هذا السعيد وباقي الصيادين صمتت اقوال فيثاغوروس وفرايض افلاطون . المظنونة فيما سلف انها تظاهر وتثبت * فبطلت * واكثر الناس فما يعرفونها ولا من الاسم * مع ان افلاطون على ما ذكروا انه

استرفق اقواماً مغتصبين * اذ جمح في الغي معهم * واستصحب رفقاء كثيرين . وسار في البحر الى
جزيرة سقلية * وفيثاغوروس توجه الى بلد ابلاده العظيم صقعه * وسير من سحره صنوفاً كثيرة *
منها مخاطبة البقر * (لانهم ذكروا انه كان يعمل هذا العمل) * وما كان هذا من جهة اخرى .
الا من جهة سحره * وهذا يبين من ذلك الوجه اوضح بياناً * لان من خاطب البهايم على هذه
الجهة . ما نفع جنس الناس نفعاً * لكنه قد اضره اضراراً عظيماً * على ان طبيعة الناس كانت
اشد ملايمة لفلسفة الاقوال * الا ان ذاك مع ذلك على ما ذكروا . قد كلم نسوراً وبقراً بسحره
لانه ما جعل الطبيعة العادمة النطق ناطقة * لان هذا الفعل ليس هو ممكناً عند انسان * لكنه
اختدع الزايل فهمهم بسحره وحيله * واهمل ان يعلم الناس صنفاً من الاصناف النافعة . وعلمهم
ان اكلهم الباقلة . عديل اكلهم روس والديهم * وحقق عند الراتبين معه . ان نفس معلمهم قد
كانت حيناً نباتاً لاطياً * وصارت حيناً نباتاً كساير النبات * وصارت حيناً جارية * وصارت
حيناً سمكة * افما على جهة الواجب اخمدت تلك الخدايع كلها وغيبت تغييباً تاماً : نعم على
على جهة الواجب ازيلت وعلى اصوب القياس * الا ان اقوال هذا الامي الخايب من تعلم الكتب .
لم تكن هذه الحال حالها * لكن السريانيين . والقبط . والهند . والفرس . والحبشة . والامم الاخر
الجزيل عددها . نقلوها الى لغتهم * والاراء الواردة منه . علمت الناس العجم ان يتفلسفوا * لانني
ما قلت قولاً باطلاً . ان المسكونة كلها صارت له مشهداً * لانه ما اهمل الناس الذين
قبيلتهم قبيلته . وتعب تعباً فارغاً في تعليمه طبايع البهايم العديمة النطق . الذي كان من فلسفة زايدة في
الغباوة . ومن جهالة في غايتها * لكنه اجتاح هذا المرض مع غيره من امراض الهوى * واجتهد في
غرض واحد . وهو ان تتعلم المسكونة كلها عملاً من الاعمال النافعة * المقتدرة ان تنشل من
الارض الى السماء * ولهذا الغرض ما ستر تعليمه بغيم وظلام . كما فعل اوليك * اذ اصدروا في تكلمهم
اغماضه . بمنزلة ستر للمعاني الردية الموضوعة في باطنه * لكن اراء هذا الفاضل واعتقاداته . هي
ابين ظهوراً من شعاعات الشمس * فلذلك بسطت لجميع الناس الذين في المسكونة * لانه ما امر
الذين يتقدمون الى تعلمها ان يصمتوا خمس سنين . على حدو ما امر اوليك * ولا علم هذا التعليم .
ان يجلس الناس عند المتعلمين * كمن يجلس عند حجارة فاقدة الحس ولا نطق بكذب يحاكي الحق
عند تحديده . ان كل ما يتوخاه المعلم يوجد في مدد التاجيل المحدود * لكنه استطرح من كافة
البرايا هذه الكراهية الشيطانية وفسادها * ومزج في الفاظه سهولة . يبلغ تقديرها . الى ان
يوجد كل ما يقوله واضحاً . ليس عند رجال فهماء فقط . لكن تستوضح معانيه ايضاً عند نساء
وصبيان * وبيان ذلك ان اقواله هذه صدقت عند جميع الذين سمعوها انها صادقة نافعة * ويشهد
بصحة ذلك . كافة الزمان الكاين بعد ذلك السعيد * لانه استجذب المسكونة كلها الى ذاته .

واستخلص عيشتنا من كل امر مضاد . بعد استماعها اقواله هذه النافعة * ولهذا السبب نوثر نحن الذين قد سمعناها . ونختار ان ننفصل من نفسنا . وذلك افضل عندنا من انحرافنا عن الاراء . التي سلمها الينا * وذلك واضح في هذا الموضع . وفي كل مكان * ان ليس في اقواله قول انساني . لكن التعاليم الواردة الينا بنفس هذا الفاضل المتاله . هي الهية سماية * لاننا ما نعاين في اقواله وجبة الفاظ . ولا فخامة كلام . ولا زينة اسماء والفاظ . وحسن نظام زايد غير نافع * لان هذه الاصناف بعيدة من الفلسفة كلها * لكننا نشاهد فيها قوة الهية تمتنع محاربتها . واعتقادات واراء قويمة مقدرتها ناجية من الاحتيال عليها . وتجود بفوايد صالحة جزيل عددها * ولعمري ان التعمق في الشرط المختص بوعد الفيلسوف كان على هذه الجهة فضلة زايدة . قد عدم ان يكون موهلاً لاناس مغالطين * واليق ما يقال انه ما كان قد عدم ان يكون موهلاً للمغالطين * لكنه قد كان عديماً ان يوهل لاحداث زايل فهمهم * حتى ان الفيلسوف عندهم بعينه اسنورد معلمه مستخرياً من هذه الصناعة جداً . وقايلاً للقضاة عليه . انهم انما يسمعون منه الفاظاً قد قيلت بحسب الاتفاق . وعلي بسيط ذاتها * وليس لفظها مزخرفاً باقوال * وليست موشاة بالفاظ واسماء * لانه قال ليس يايق بي ايها الرجال في سنكم هذه . ان ادخل اليكم بصورة صبي يخترع اقوالاً * وابصر باسامعي ذلك الضحوك عليه كثيراً * لان الكلام الذى جعله هوهار باً من طريق انه مستقبح . قد عدم ان يكون موهلاً للفلسفة . وهو عمل للصبيان * بذلك الكلام احتال هو اكثر من كافة حيله * فعلى هذه الجهة كانت الفلاسفة عزايمهم في كل مكان عزايم المباهاة وحدها * وكما انك اذا كشطت من القبور طهارتها . الصقيل بياضها من خارجها . تبصرها مملوة مادة ونتانة وعظاماً بالية . فكذلك اذا عريت اراء فيثاغورس الفيلسوف من الحسن الظاهر في لفظها . فستبصرها مملوة رذالة كثيرة مرفوضة * وقد يستبين جهله جداً . اذا تفلسف في وصف نفسنا . عند تكريمه اياها تكريماً فايقاً علي الاعتدال * لان فخ ابليس ليس في طباعه ان يتوخى الاعتدال * لانه من عادته ان يزيغ الذين قد اقتنصهم . بتكاثر وصفه احد الصنفين . ويستميلهم الى شناعة المذمة * لانه قال احياناً ان نفسنا موجودة من جوهر الله * واحياناً بعد ان رفعها هذه الرفعة علي جهة تجاوز الاعتدال . وباوفر الحادة اهانها ايضاً بافراط اخر في اهانتها . بادخاله اياها في خنازير وحمير . وفي انواع من الحى . اكثر من هذه الاصناف هواناً * لكن هذه الاخبار سبيلها ان تنتهي الى ههنا * واولى ما يقال ان هذه الاوصاف . قد تجاوزت الاعتدال * لاننا لو كان يتجه لنا ان نتعلم منها فايدة نافعة . لوجب علينا ان نثبت في وصفها اكثر * وان كنا بمقدار ما نصفها نعاين قباحتها والضحك عليها . فقد قيلت هذه الاوصاف عندنا اكثر مما نحتاج اليه منها * فلاجل هذه الاغراض نهمل احاديث اوليك التي تحاكي الحق بكذبها . ونلامس اعتقاداتنا

المنحدرة الينا من العلو . التى ما تشتمل راياً انسانياً * فهات نحضر هذه الاقوال الى وسط مجمعنا *
وما تضرعت فيه اليكم فى ابتداء كلامى . وهو ان تصغوا الى ما يقال لكم اصغاء بليغاً . به اذكركم
الان . واضيفه الى ما قلته لكم * فان سالت عما ابتداء به هذا البشير ; اجبتك * انه قال فى الحين
مجاهراً . في الابتداء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله * ارايت مجاهرته وسلطته الكثيرة ; كيف
ليس هو مرتاباً . ولا مقايساً . لكنه ينطق باقواله كلها متحققاً * لان هذه الخاصة خاصة المعلم . وهي
ان لا يتمايل فيما يقوله * لان من يُعلّم اناساً اخرين . ان كان يحتاج الى غيره ان يعضده فيما
يقوله . فسيكون قد اشتمل علي جهة الواجب ليس على رتبة المعلمين . بل على رتبة المتعلمين *
فان قال قايل . فما رايه انه ترك العلة الاولى . وخاطبنا للحين فى وصف العلة الثانية ; اجبناه
اننا نستعفى ان نقول العلة الاولى والعلة الثانية * لان هذه الاقوال ليست اقوالنا * لان الذات
الالهية اعلى من العدد . ومن تتابع الازمان * فلهذا السبب نستعفى من هذه الاقوال * ونعترف
باب موجود ليس من احد * وبابن مولود من ابيه * فاذا اقتبل قولنا هذا . قال نعم
ذلك * لكن لِمَ ترك الاب . وخاطبنا في وصف ابنه ; فنقول له . ان ذاك اعني الاب .
قد كان واضحاً عند كل الناس * وان كان ليس علي انه اب . لكنه قد كان واضحاً عندهم على انه
اله * والوحيد فكان مجهولاً * فعلى جهة الواجب سارع للحين منذ مقدمات اقواله . ان يحصّل
في الذين لم يعرفوه المعرفة به * ولمعنًى غير ذلك . انه ما صمت عن الاب في اقواله في وصف
الابن والروح * وانظر لي الى فهمه الروحاني . لانه اذ عرف ان الناس يكرمون الاقدم الموجود
قبل الكل ويجعلونه الههم . فلهذا الغرض يجعل الابتداء فى هذا الموضع اولاً * وقال عند تقدمه
في الكلام . ان الكلمة موجود الهاً * ليس علي حدو ما قال افلاطون . ان ذلك يوجد عقلاً . وهذا
نفساً * لان هذه الاوصاف منتزحة من الطبيعة الالهية الفاقدة ان تكون بالية * لانه ليس
يحوى شياً مشاعاً بيننا وبينه * لكنه قد انفصل عن المشاركة للخليقة * اعني انه قد انفصل عن
المشاركة لها في ذات جوهرها . ليس فى ذات مناسبتها * ولهذا المعنى سماه كلمة * لانه اذ ازمع
ان يعلمنا ان هذا الكلمة هو الوحيد ابن الله * فحتي لا يظن ظان ان ولادته الية . تقدم فبطل
هذا الظن الخبيث بتقديمه اسم الكلمة * موضحاً ان الابن موجود من ابيه * وانه مولود علي جهة
زوال التالم * ارايت بيان ما قلته . انه ما صمت عن الاب في اقواله في وصف ابنه ; ولئن
كانت هذه التمثيلات ليست كافية لايضاح جلة المطلوب . فلا تستعجب ذلك * لان الكلام
عندنا انما هو فى وصف الله . الذى ليس ممكناً ان يوصف . ولا ان يفهم فهماً موهلاً له *
فلهذا الغرض ما وضع هذا الفاضل اسماً لجوهره البتة (لان ليس ممكناً ان يقال هذا القول .
ما هو الله : اى ما هو جوهره) ويظهره لنا في كل مكان من افعاله * لان هذا الكلمة سيبصره

باصرٍ بعد لفظٍ يسيرٍ مدعواً نوراً * ويرى النور ايضاً مسمّى حياةً * والحياة ايضاً مدعوة حقاً *
فما سمّاه هذه التسمية لاجل هذه العلة فقط. لكنه انما سمّاه كلمة لاجل هذه العلة الاولى لجهة من
الجهات . وهي ثانية لجهة غيرها * اذ من شانه ان يخبرنا فيما بعد باقوال ابيهِ * لانه قال «« كل
ما سمعته من ابي * قد وصفته لكم * »» ويسميهِ ايضاً حياةً ونوراً * لان من المعرفة بهِ وهب لنا
النور * ومن هذه الجهة وهبت لنا الحياة * وبجملة المعنى ليس يوجد اسم واحد . ولا اثنان . ولا ثلثة.
ولا اسماء كثيرة . كافية ان تعرّفنا المعاني في وصف الله * لكن فعلاً محبوباً ان نقتدر باسماء
كثيرة ان نتشبث . ولو تشبثنا غامضاً . بالافعال الموجودة فيهِ فما وصف انه كلمة على بسيط
ذات وصفهِ . لكنه بزيادة الحاشية (اى بزيادة ال التعريف) افصله بها من باقي الكلمات *
أرايت اني ما قلت قولاً باطلاً . ان هذا البشير من السموات يخاطبنا ; وانظر اليهِ للحين منذ مبادي
كلامهِ . الى اين استجذب نفس سامعيهِ . والى اين صاعد تمييز فهمهم * لانه اقام نفسنا فوق
البرايا المحسوسة كلها . فوق الارض . فوق البحر . فوق السماء * ويقتادها الى المحل الاعلى
من روساء الملكية العالي فوق الكاروبيم والسارافيم . السامي فوق الكراسي . وفوق الرياسات .
وفوق السلطات * ويستميلها على بسيط ذات الاستمالة . الى ان تسافر الى ما يتجاوز الخليقة كلها *
ولعلك تقول لي . فما رايك ; أفلما صاعدنا الى علوٍ هذا مبلغ ارتفاعه . هل اقتدر ان يوقفنا في
هذا الموضع ; فاقول لك . ما اقتدر البتة على ذلك * لكن كما ان احدنا ان اقتاد الى وسط اللجة
من كان واقفاً عند الساحل . ناظراً الى مواني وشواطي ومدن . يكون لعمري قد ابعده من تلك
المعاينات الاولى . الّا انه ما قد وقف منه ناظره في مكانٍ . لكنه يكون قد استقاده الى نظرٍ
قد فاته تحديد مداه . كذلك هذا البشير لما اقتادنا الي اعلا الخليقة كلها * وارسلنا الى دهورٍ لعلا
من كل الحدود باسرها * ترك ناظرنا متعالياً . وما خوله ان يتمسك في المدى العلوى بغايةٍ من
الغايات * اذ ليس يوجد هنالك غاية * لان القول اذا صعد الى الابتداء . فيطلب اى ابتداء هو ;
ثم يصادف (لفظة) كان . فيسبق ذهنه دايماً * فما يحوى الفكر موضعاً يقف فيهِ * لكنه ينظر
باهتاً . وما يقتدر البتة ان يهتدى او ينتهى الى غايةٍ * فاذا كلّ وتعب يرجع ايضاً الى ما هو
اسفل * لان قوله في الابتداء كان . ليس هو دالاً على معنًى آخر . الّا على انه الموجود دايماً .
وموجوده وجود قد تاه تحديد مداه * أعرفت فلسفته الصادقة واراءه الالهية . وانها ليست مثل اراء
اليونانيين . الواضعين لالهتهم سنين محدودة . القايلين ان بعضهم يوجد اشيخ من بعض . واقدم
في سنهم . وبعضهم اشبّ ممن سواهم . واحدث في عمرهم ; الّا اننا نحن ليس عندنا صنف من
هذه الاصناف . لان ان كان يوجد الهاً * على انه لم يزل موجوداً . فليس قبله احد * وان
كان يوجد للبرايا كلها خالقاً . فهو الاول * وان كان يوجد للبرايا كلها سيداً ورباً . فالبرايا
كلها والدهور هي بعده *

العظة الثانية

في انه يجب على الداخلين الى الكنيسة ان يصغوا الى ما يقال لهم اصغاء بليغاً وان يجتنبوا كافة الاهتمام الدنيوي

قد ارتايت ان اسير قولي الى اتعاب اخرى تنبهكم الا ان تمييزكم لعله قد كل فيكم * فلهذا السبب اذا اوصيتكم بما هو نافع لنا في استماع ما يقال ، وفي تفهم ما قد قيل لنا ، اصمت ايضاً * وان سالتموني ، وما هو الذي ذكرته ; اجبت انني قد عرفت ان كثيرين منكم قد تدوخوا عند طول ما قيل لهم ، وقرئ عليهم * وهذا العارض يتكون ، اذا تثقلت نفسنا بهموم كثيرة عالمية * وكما ان عيننا اذا كانت نقية صافية ، يوجد نظرها حاداً ، وما تتعب في تاملها الاجسام التي هي الطف وادق من غيرها بايسر مرام * ومتى ما انصب اليها من الراس خلط خبيث ، او انبث اليها من المعدة بخار دخاني ، يتكون فوق حدقتها غمامة كثيفة ، ما تتركها ان تبصر ولا صنفاً من الاصناف الاكثف من غيرها بصراً بيناً * فكذلك هذا المثال من عادته ان يتكون في نفسنا ، اذا كانت نقية متنظفة ، وما تشتمل داء يضويها ، ففي طباعها ان تبصر ما تحتاج ان تبصره * ومتى ما تكدرت بامراض كثيرة لهواها ، فمن شانها ان تهلك فضيلتها * وما تكون فيها كفاية تستمكن بها من عزم من العزايم العالية بسهولة ، لكنها تكل سريعاً وتسقط ، وتجنح الى النوم والونية ، وتدفع ما من شانه ان يقدمها الى الفضيلة ، والى الحياة المتولدة منها ، وما تتقدم اليها بنشاط كثير * فحتى لا يصيبكم هذا المصاب * لاني لست اكف عن توصيتكم بهذه الوصايا دائماً * اسالكم ان تعافوا سريرتكم وتصححوها * حتى لا تسمعوا من بولس الرسول هذه الاقوال باعيانها ، التي سمعها منه الذين امنوا من العبرانيين ، لانه خاطب اوليك الخطاب ، الذي حصل عندهم عظيماً يصعب عليهم ترجمته * وما كانت هذه الحال حالة في طبيعته ، لكنه قد ذكر العلة في ذلك * فقال ، «« اذ قد صرتم عاجزين في استماعكم (عبرانيين ص ٥ عد ١١)* لان من يكون مريضاً سقيماً ، فذلك في طباعه ان يوذيه الكلام اليسير ، كما يوذيه الخطاب الطويل * ويظن ان الاقوال البينة السريع حلها ، مستعجمة مستصعب ادراكها * ولكن لا يكونن ههنا من هذه الحال حالته * بل اذا طرد عنه كل هم عالمي ، فليستمع بعد ذلك هذه الاعتقادات الجليلة * لان سامعها متى ما مسكته شهوة ، ما يمكنه ان يضبط شهوة استماعها على مثال واحد * لان نفسنا اذ هي واحدة ، فليس فيها كفاية لشهوات كثيرة * لكن الشهوة الواحدة تفسد الشهوة الاخرى * واذا انقسمت الشهوة ، تصير اضعف فعالاً * واذا استظهرت شهوة اخرى ، تنسى في ذاتها كل ما ترتاده * وهذا العارض من شانه ان يعرض لابنائنا * لان احدنا اذا امتلك ابناً واحداً وحده ، فمن عادته ان

يحب ذاك الواحد بافراط حبه * واذا صار اباء لبنين كثيرين . وانقسمت عليهم افعال محبته .
تصير خواص حبه اضعف فعلاً * فان كان هذا العارض يعرض لابنائنا المحبوبين . الذين يجانسونا .
بحيث غصب الطبيعة وقوتها . فماذا نقول في الشهوة والميل الناشئين باختيارنا ; ويبين ذلك
بياناً كثيراً . اذا كان هولاء الذين يعشقون الاشياء الفانية . يحرق الاكثر من عشقهم . الاقل منه
بمعاندته اياه * وبيان ذلك . ان عشق الاموال ضد لعشق الاستماع بهذا النافع * لاننا اذا
دخلنا الى هذا الموضع . فانما ندخل الى السماء * ولست اعنى اننا ندخل الى موضع منها . لكننا
بارتياح ودنا ندخل اليها * لان ممكناً ان نكون موجودين فى الارض وقوفاً فوقها . ونتصور ما
هنالك في السماء . ونستمع النغمات البادية من هناك * فلا يوردن احدنا الى السماء اقوال الارض .
ولا يهتمن الواقف منكم ههنا بالاشغال التى فى منزله * لان الفوايد المستفادة ههنا سبيلها ان
تشتمل منزلنا * وتتصرف فى سوقنا * وما يجب ان تنتقل كنيستنا باحمال هموم منزلنا * وباوقار
الاشغال المجموعة من السوق * ولهذا الغرض ندخل الى موقف كرسى التعليم . حتى نقشط عنا
فى هذا الموضع . الوسخ الذى اشتملناه من خارجه * فان ازمعنا ان نفسد فى فراغنا هذا القصير
مداه مما يقال . اومما يعمل خارج هذا المكان . فالافضل كان لنا . ان لا كنا دخلنا فى الابتداء
الى ههنا * فلا يتلون اذاء احدكم فى الكنيسة الهموم التى فى منزله * لكن سبيله ان يعيد فى منزله .
الاقوال التى استفادها من الكنيسة * فلتكن عندكم هذه الاقوال اكرم الفوايد كلها * فهذه فوايد
نفسنا . وتلك هى اشغال جسدنا * واليق ما يقال . ان الاقوال التى تقال في هذا الموضع . هى افضل
المنافع لجسدنا ونفسنا * ولهذا الغرض فلتكن هذه الاقاويل اعمالاً مقدمة عندنا * والاشغال
الاخرى كلها . لنكن عملاً منحرفاً عن همتنا * لان هذه الاقاويل هى مناسبة لحياتنا المامولة . ولحياتنا
الحاضرة * واقوال الدنيا لن تناسب حياتنا تلك ولا هذه . ان لم ترتب على ترتيب الشريعة * لان
ليس يحصل لنا ان نتعلم من ههنا ما سنكون فيما بعد . وكيف نعيش فى ذلك الحين فقط . لكننا
نتعلم مع ذلك كيف نسوس حياتنا الحاضرة * لان هذا البيت هو بيمارستان روحانى * نقصده
لكيما نداوى ههنا الجراحات التى قد تجرحنا بها من خارجه ونشفيها * وما نتوجه اليه حتى
نجمع لنا فيه جراحات غير تلك . ونذهب بعد ذلك خاسرين * لان اذا كان الروح القدس
يخاطبنا . وما نصغى اليه . فلسنا ما نكون قد غسلنا الادناس الاولى فقط . لكننا نكون مع
ذلك قد استمدينا ادناساً غير تلك ايضاً * فسبيلنا ان نصغى الى الكتاب عند انكشافه لنا
بحرص شديد . اصغاء كثيراً * لاننا ما نحتاج فيما بعد الى تجارة كثيرة . اذا تعلمنا مباديه واصوله
باستقصاء بليغ * لكننا اذا تعبنا فى مباديه تعباً يسيراً . فسيمكننا بعد ذلك ان نرى قوماً
اخرين على راى بولس * لان هذا الرسول رفيع المحل جداً . وكلامه مملوء معانى كثيرة * وافضل

لنا ان نثبت فيها اكثر من غيرها * فلا نسمعه سماعا منحرفا عن غرضنا * لاننا لهذا المعنى نترجم لكم لفظا يسيرا حتى يتيسر لكم ادراك جميع ما نبينه . ولا يفوت ذكركم * وسبيلنا ان نخاف ليلا نصير تحت المطالبة بذلك القول القايل . «لو لم آت واكلمهم . لما كانوا حازوا خطية (يوحنا ص ١٥ عدد ٢٢) * لان ما الفايدة التى نمتلكها اكثر من الذين لم يسمعوا . اذا ذهبنا الى منازلنا بعد استماعنا * وما قد حزنا نفعا . الا استعجابنا ما قد سمعناه فقط ; امنحونا ان نزرع في ارض صالحة * خولونا ان نستمد اعظم استمدادا * وان يكن فيكم من قد اشتمل شوكا . فليبث عليه نار الروح * ومن كان ارضا قاسية صلبة . فليجعلها سمينة لينة . باستعماله هذا الروح بعينه * ومن كان كافة الافكار تتوطاه في ارضه . فليدخل الى اقصى دواخله . ولا ينطرح للمريدين المسارعة الى اختلاسه * حتى تصير حقولكم مخصبة * لاننا اذا اهتممنا بانفسنا هذا الاهتمام البليغ . وتمسكنا بهذا الاستماع الروحانى بايثار التعب . فستخلص من جميع اشغال الدنيا * وان لم يكن في دفعة واحدة . لكنه سيكون مهلا مهلا * فلهذا الغرض سبيلنا ان نصغى الى ما نسمعه * حتى لا يقال فى وصفنا . «ان اذاننا افعى صماء *» لان السامع الذى هذه سجيته . قل لى ما الذى يزيد به عن الوحش ; وكيف لا يكون اعدم نطقا من كل بهيمة . من يكون الله يخاطبه . وهو لا يصغى اليه ; ولو كان المرضى عند الله هو هذا . اى ان يكون انسانا * فمن لا يريد ان يسمع كيف ينبغى ان يحكم هذا الفعل . الا من كان صنفا اخر او وحشا ; تفطن فى هذ الفعل الشرير ما اكبر ضرره * اذا كان المسيح يشاء ان يجعلنا من اناس نظراء ملبكة * فننقل نحن ذواتنا من اناس الى وحوش * لان انضباطنا لتعبد البطن . وشهوة الاموال . والغيظ . والنهش . والرمح . ليس هو مناسبا للناس . بل للوحوش * على ان كل واحد من الوحوش على ما يقال يشتمل داء واحدا * وهذا هو فى غريزته * فاما الانسان الذى طرح رياسته على افكاره . وانفصل من الطريقة التى ترضى الله . فقد دفع ذاته لامراض هواه كلها * وليس هو وحشا فقط . بل يكون اية جزيلة صورها وتلونها * وما يمتلك عفوا ولا من طبيعته * لان الرذيلة كلها انما هى من اختيارنا ومن عزمنا * لكن لا كان فى زمن من الاوقات ان تجرى هذه في كنيسة المسيح * لان قد تحققت عندنا الاوصاف العالية الفاضلة المدنية الى الخلاص في وصفكم * لكن بمقدار تحققها عندنا . بقدر ذلك ما نبتعد عن الاقوال التى تتقدم فتحفظ صحتكم . ولا عن صنف ادنى منها * الى ان نطلع الى هامة الفضايل بعينها * وننال الحظوظ الصالحة التي وعدنا بها * التى فليكن لنا ان نرزقها . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذى معه وبه لابيه المجد مع الروح القدس * الان ودايما والى اباد الدهور امين *

المقالة الثالثة

في قوله في الابتداء كان الكلمة

ان تنبّهي ايضاً اياكم في الاصغاء للاستماع يكون فضلةً زايدة * اذ قد اوضحتم تنبيهنا اياكم ايضاحاً سريعاً باسالكم * لان اسراع سعيكم . وثبات وقوفكم . واصغاكم . ودفع احدكم الاخر * لاجتهاده ان يصل الى المكان الجواني . الذى منه يحصل لكم النغمة البادية منا ابين وضوحاً عندكم * ومن شدة ازدحامكم وتضاغطكم . ما تريدون ان تنصرفوا الى ان ينحل هذا المشهد الروحاني . ومديحكم . واجلابكم * فهذه الافعال كلها علي بسيط ذاتها هي دلايل علي الحرارة التي في نفسكم . وعلي ايثاركم الاستماع بأتم شهوتكم * فلذلك تحصل توصيتنا اياكم في هذا الباب فضلة زايدة * بل يلزمنا اضطراراً ان نقول لكم ذاك القول * ونتوسل اليكم ان تثبتوا مالكين هذا الحرص * وان تظهروه ليس في هذا الموضع فقط . لكن نسالكم اذا صرتم في منازلكم . ان يخاطب الرجل منكم امراته . والاب لابنه . في تذكر هذه الاقاويل * وان يقول ما قد استفاده * ويطالب اوليك الذين يستمعونه . بحفظ ما قد حكاه لهم * ويصيّر هذه البضاعة النافعة الى جميع مَن يوثرها * ولا يقولن لي قايلٌ . ان ابناءنا ما يحتاجون ان يشتغلوا بهذه الفوايد * فاني اقول له . انهم يحتاجون ليس الى ان يتفرغوا لها فقط . لكنهم مع ذلك محتاجون ان يحصّلوا حرصهم فيها وحدها * ولكنني مع ذلك بسبب ضعفكم لست اقول هذا القول * ولا استميلهم عن جهادهم في الشغل الخارج عن محلتنا * كما انني لست اجتذبكم انتم من اشغال مدينتكم * لكنني استميحكم يوماً واحداً من هذه السبعة الايام . ان تفرزوه لسيد البرايا كلها . الذى سودده يعمها * لان كيف ليس هذا الفعل شنعاً . ان نامر عبيدنا ان يخدمونا ويتعبدوا لنا طول زماننا كله . ولا نخول نحن الهنا فراغاً انقص مقداراً ; وهذه افعال عبوديتنا كلها . ليس من شانها ان تزيد ذلك شرفاً * لان الذات الالهية قد عدمت ان تكون محتاجة * وانما تعبدنا له محصور فيما يوافقنا * ولعمري انكم اذا سقتم ذواتكم الى مشهد اللعب . فما تقدمون على الذهوب اليها . لا تعاليم . ولا شغل اخر من هذه الاشغال وامثالها * ومتى ما وجب ان تستفيدوا فايدة من الفوايد الروحانية وتجمعوها . سميتم هذا الفعل بطالة . واشتغال عما يهمكم * وكيف ما تغيظون الله . اذا تفرغتم لاعمالكم الاخرى كلها وخولتموها وقتاً . وحصل مراسكم استعماله محزناً لكم . وما تظنون انه وقت موافق نافع لابنايكم . فلا تفعلوا هذه . لا يا اخوتي * لان هذه السنّ تلايمها كثيراً * وتحتاج الى استماع هذه الاقوال النافعة * لانها سنّ ناعمة يرتسم فيها ما يقال اسرع ارتساماً * وينطبع السماع في سرايرهم . كما ينطبع الختم في الشمع * ولمعنى

آخر * ان العيشة فيهم حينئذٍ تحوى ابتداء الجنوح الى الرذيلة او الى الفضيلة * فان استمالهم
مستميل عن الطريق الخبيثة . منذ ابواب عمرهم ودهاليزه باعيانها . واستقادهم الى الطريقة الفاضلة .
يكون حاله حال من قد ثبتهم في ملكة جيدة . وطبيعة حميدة * وما يتيسر انتقالهم الى طريقة اشر من غيرها
طايعين * اذ هذه العادة تجتذبهم الى افتعال الاعمال الصالحة * فعلى هذه الطريقة يصيرون عندنا موقرين
محتشمين اكثر من الشيوخ * ويكونون نافعين في اعمال مدينتهم * اذ يوضحون في حداثتهم افعال الشيوخ * لان
ليس يوجد على ما سبقت فقلت مستمتع بهذا الاستماع مصاحب لهذا الوسول الجزيل فخره . فلا يستمد
فايدة عظيمة جليلة صالحة وينصرف * ولو كان المستمتع بذلك رجلاً * ولو كان امراةً . ولو كان حدثاً *
ولين كنا نونس الوحوش . اذ نقوم اخلاقها بالنطق الذى فينا . فالاوجب والاليق بنا ان نعمل هذا العمل
بالناس * بهذا التعليم الروحاني * اذ الفرق فيما بين الدواء وبين المداوى كثيراً * وذلك ان الوحشية
التى فينا . ليس مقدارها كمقدار الوحشية التى فى تلك الوحوش * لان الوحشية التى في تلك هي
من طبيعتها * والتى فينا هي من اختيارنا * ولا قوة صنفى الاقوال هى هى بعينها * لان تلك
القوة هى من تمييز انساني * وهذه القوة هى من قدرة الروح والنعمة * فمن قد ايس من
ذاته . فليتفطن فى الوحوش التى وُنِسَت . فما يخضع في وقت من الاوقات لداء اليأس * وليذهب
الى هذا البيمارستان الروحانى ذهاباً متصلاً * وليسمع فى كل وقتٍ تعليم شرايع الروح * واذا
مضى الى منزله . فليكتب ما قد سمعه فى سريرته * فسيحصل على هذه السجية في آمالٍ صالحة .
وفى حياطة كثيرة * اذ يشعر بنجاحه بخبرته وايقانه * لان ابليس المحال . اذا ابصر شريعة الله
مكتوبة في نفس احدنا على ما ينبغى . ورأى قلبه قد صار الواحاً لها . لان بحيث تكون
كتايب ملكية ليست منقوشة في تمثال نحاسي . لكنها مرسومة بالروح القدس . فى سريرةٍ وادّة
لله . لامعة سطورها من نعمة كثيرة . فما يقتدر ذلك المارق ان يحدق اليها * لكنه يبذل
لنا ظهره من بعدٍ نازح * لان ليس فعلاً عند ذلك العنيد مرهوباً بهذه الصفة . مخوفاً عند الافكار
الناشية منه . مثل سريرةٍ دارسة الاقوال الالهية . ونفس جانحة الى عين التعليم هذه النافعة فى كل
حين * لان النفس التى هذه السجية سجيتها . لن يستطيع عارض من العوارض الحاضرة ان
يغمها . ولو كان كريهاً * ولا يبدخها ويرفعها . ولو كان ماثوراً * لكنها تستمتع بسكون كثير .
في شتاء جزيلة شدته * لان ليس يتكون فينا الارتجاف من تلقاء طبيعة العوارض . لكنه انما
يحصل فينا من جهة ضعف تمييزنا * والا فلو كنا يصيبنا هذا المصاب من تلقاء ما يعرض لنا .
لوجب ان يرتجف الناس كلهم * لاننا كلنا نسبح فى هذا البحر بعينه * وممتنع علينا ان نوجد خارج
امواجه وملوحته * فان كان يوجد اناس قد وقفوا عند اهتياج البحر خارج شتايه وشدته . فمن
اوضح البيان ان الشتاء ما تكونه العوارض . وانما تكونه غريزة تمييزنا * فان اصلحنا تمييزنا

هذا الاصلاح . الذى يوصله الى ان يحتمل جميع العوارض بايسر مرام * فليس يكون عندنا شتاء . ولا شدة اختباط . ويكون هدونا ابيض دايماً * الا انى لست اعرف كيف لم اقدم ترتيب هذه الاقوال . بان اقول في وصفها قولاً * فاندفعت الى هذا المقدار من وعظكم وتنبيهكم * فاصفحوا لنا عن اطالة كلامنا . فانني خايف مرتاع جداً . ليلا يصير اجتهادى هذا اضعف فعلاً * من طريق انني لو وثقت من اجل حرصي . اذاً لما فاوضتكم الان من هذه الاقوال قولاً * لان هذا الوعظ فيه كفاية ان يجعل المعانى كلها متيسرة عندكم * فقد حان الان ان اتوجه الى ما اعتمدناه اليوم . حتى لا نصادمكم بجهادات الكلام . وحالكم حال كالين متضجرين * لان مصارعات الكلام قد وضعت لنا تقصد اعداء الحق . وتنحو الى المخترعين كافة الحيل . حتى ينقضوا مجد ابن الله * بل انما يهدمون مجد شرفهم * لان مجد ذاك باق على ماهيته كل حين * ليس ينقضه اللسان المفترى عليه نقضاً * واوليك الذين يجتهدون ان ينقضوا تشريف من يقولون انهم يسجدون له . يملأون وجوههم هواناً ونفسهم عذاباً * وان سالت عما يقول اوليك ; اذا قلنا نحن هذه الاقوال * اجبتك * يقولون ان قول البشير « فى الابتداء كان الكلمة » . ليس يوضح زعموا خاصته الازلية * لان هذا القول . قد قيل فى وصف السماء * وفى نعت الارض * وانا اخاطبهم ترحاً لوقاحتكم . ولكثرة زوال تورعكم * انا اخاطبك فى ذكر الاله * أفتورد انت لى الى الوسط الخطاب فى الارض والناس الذين من الارض ; واذا كان الانسان يدعى ابن الله . فليكن عندك اذاً الهاً * لان النبي قد قال . « انا قلت انكم الهة . وبنوا العلى كلكم * » أفتغالب الوحيد على بنوته ; وانه على قولك هذا ليس يمتلك حظاً اكثر عنك * ولعلك تقول . لست اقول هذا القول اصلاً * فاقول لك * لعمرى انك تعمل هذا العمل * وان كنت ما تقوله بكلامك * لانك اذا قلت انك انت قد استهديت بالنعمة البنوة بالوضع . وذاك قد امتلكها على هذا الوجه * لان قولك ليس يوجد فى طبيعته ابناً * ليس هو شياً آخر . الا انه تجعله ان يوجد هذه الحال حاله بالنعمة * لكن فلننظر مع ذلك في الشهادات التى يوردونها لنا * قالوا « فى الابتداء خلق الله السماء والارض * وكانت الارض قد عدمت ان تكون ملحوظة او متقنة * (تكوين ص ١ عد ١) وايضاً « كان انسان من راماتيم صوفيم * (ملوك ١ ص ١ عد ١) هذه هى الشهادات التى يظنونها توجد قوية * وهى توجد قوية . ولكن فى تقويم الاراء التى نذكرها نحن * الا انها توجد اضعف الحجج كلها عند اقامتها تجديفهم * لان قل لى . ما المعنى الذى يوجد مشاعاً فيما بين قولنا خلق . وبين قولنا كان ; ما المناسبة فيما بين الله . وبين الانسان ; ما بالك تخلط ما قد عدم ان يختلط . وتحيل الاشياء المفترقة بتخليطك اياها . وتجعل ما فوق اسفل ; لان قوله فى هذا الموضع كان . ليس يوضح الخاصة الازلية فقط . لكن قوله فى الابتداء كان يوضحها * وقوله والكلمة كان . يظهرها لنا

ايضاً * وكما ان قولنا لم يزل . اذا قيل في وصف انسان . فانما يدل علي الزمان الحاضر فقط *
واذا قيل في وصف الله فانما يدل على الخاصة الازلية الدهرية * فكذلك قولنا كان . اذا قيل
في وصف طبيعتنا . انما يدل عندنا علي الزمان الماضي * وهذا الزمان قد عبر مداه * واذا قيل في نعت
الله . فانما يظهر خاصته الازلية الدهرية * لانك بجريك اذا سمعت ارضاً . واذا سمعت انساناً .
ان لا تتوهم فيهما توهماً . اكثر مما يلايم الاشياء المكونة في طبيعتها * لان الشيء المكون مهما
كان . فقد كان في زمان او في دهر * فاما ابن الله فليس هو اعلا فوقاً من الازمان فقط *
لكنه اقدم من الدهور كلها * لانه هو مبدعها وخالقها * لان الرسول قد قال . « به صنع الدهور » *
والخالق فهو بلازم الضرورة قبل مخلوقاته * واذا كان يوجد اناس علي هذا المثال قد زال حسهم .
حتي انهم يتوهمون فيما بعد في وصف ذواتهم وهماً . اعظم من رتبتهم في لفظة « صنع » * وقوله «
كان انسان » . تقدم الرسول فاستدرك تمييز سامعه . وحسم كافة وقاحته * لان كل ما قد
خُلق . والسماء والارض . فقد خُلقت في زمان * وقد اشتملت ابتداء زمانياً * وليس شيء منها
عديماً ان يكون مبتدياً * اذ قد تكون * فلذلك نهدر هدراً زايداً عند ما تسمع انه صنع
الارض . وانه كان انسان . بفحصك هدراً لا فايدة فيه * لانني انا اذكر ايضاً افراطاً في
الوصف غير هذا * وان سُيلت * وما هو هذا ; اجبت * انه ولو كان قد قيل في وصف الارض
في الابتداء كانت الارض * وفي نعت الانسان . ان في الابتداء كان الانسان * لما كان سبيلنا
ولا على هذه الجهة ان نتوهم في وصفهما توهماً . اعظم من الاوصاف الموضوعة الان لهما * وذلك
ان اسم الارض والانسان . قد سبق كل ما يقال في وصفهما * وما اهمل تمييز فهمنا ان
يتصور في وصفهما وصفاً اعظم مما عرفناه الان * كما ان الكلمة الازلي . وان كان قد قيل في وصفه
قولاً صغيراً . فما قد فسح لنا ذلك ان يهجس لنا فيه وهماً ذليلاً حقيراً * اذ كان موسي اذ
امعن في الوصف . قال في وصف الارض . ان « الارض كانت عديمة ان تكون ملحوظة
ومتقنة » * لانها اذ قال انه ابدعها ووضع حدها . تكلم بعد ذلك في باقي اقواله . تكلماً خالياً
من الخوف * لعلمه ان ليس يوجد احد الناس . زايلاً بهذه الصفة فهمه . حتى انه يتوهم . ان
الارض قد عدمت ان تكون مبتدية ومكونة * وبيان ذلك ان اسم الارض . ولفظة خلق .
هما كافيان ان يحققا عند الحجري القلب جداً . انها ليست ازلية ولا عديمة ان تكون مكونة *
لكنها من الاشياء المكونة في زمان * وخلواً من هذه الحجج . فلفظة كان في الارض وفي الانسان .
ليست علي بسيط ذاتها دالة على الوجود . لكنها اذا حُملت على الانسان . دلّت علي وجوده من
المكان الفلاني * واذا حُملت على الارض . دلّت على كيف وجودها * لانه ما قال . والارض
كانت على بسيط ذات كونها . وصَمَتَ * لكنه قال كيف كانت . وعرفنا كيف كانت بعد تكوينها *

كقوله انها كانت عديمة ان تكون ملحوظة ومتقنة * اذ كانت بعد مستورة بالمياه ومنعجنة * وما ذكر في وصف ملقانا انه كان انسان فقط . لكنه استثنى بان قال من اين كان . من راماثيم صوفيم *
وما قال في الهنا الكلمة هذا القول * وانني لخجل ان اساوي في البحث هذه الاوصاف بتلك *
لاننا ان كنا ننتهر الذين يعملون هذا العمل باناس . اذا كان الفرق في الفضيلة . فيما بين الذين يقع البحث عليهم جزيلا * على ان طبيعتهم موجودة واحدة بعينها * فاذا كان الفرق بين تلك الطبيعة السعيدة . وبين كافة الطبايع الاخرى . بهذه الصفة ممتنعا تحديده * فكيف لا يكون تحريك هذه المعاني وامثالها من جنون واصل الى غايته : لكن فليكن هذا الذي يفتري عليه اوليك غفورا لنا * لان ضرورة هذه الاقاويل وامثالها لسنا نحن اخترعناها . لكن المحاربين خلاصهم ابدعوها لنا * فالذي اعتمدته بقولي . هو ان قول البشير في وصف الكلمة الها كان . دليل على وجوده فقط وجودا ازليا * لانه قال « في الابتداء كان الكلمة » * وقوله كان دفعة ثانية . هو دليل على وجوده عند من لم يزل عنده * واذ قد استبان هذا المعنى كثيرا . ان خاصة الله هي هذه . انه ازلي دهري وعديم ان يكون مبتديا . وضع البشير هذه الخاصة اولا * ثم حتى لا اذا سمع سامع قوله كان في الابتداء . فيقول انه عديم ان يكون مولودا . سبق في الحين فتلافاه . قبل ان تقول . فما معنى كان . بقوله انه كان عند الله : وحتى لا يظن ظان . انه كلمة بالحقيقة بارزة بنغمتها . او مستكنة . بطل هذا الظن بزيادة الحاشية . التي هي على ما قدمت ذكره الالف واللام في الكلمة * وبهذا الحرف الثاني * لانه ما قال انه كان في الله . لكنه قال انه كان عند الله * مظهرا لنا ازليته بذات اقنومه * ثم اذ امعن في الوصف . كشف هذا المعنى ابين وضوحا * فقال هذا الكلمة قد كان الها * الا ان معارضنا يقول لكنه مصنوع * فاقول له * وما منعه ان يقول هذا القول . ان في الابتداء صنع الله الكلمة : لان موسى عند تكلمه في وصف الارض . ما قال في الابتداء كانت الارض . لكنه قال انه ابدع الارض * وبعد ذلك قال . « وكانت الارض » * ما الذي منع يوحنا ان هذا القول . ان في الابتداء صنع الله الكلمة : ولين كان موسى قد خشي هذا الظن في وصف الارض . ليلا يقول قايل . انها عديمة ان توجد مكونة . فاليق بيوحنا واوجب ان يخاف عند وصفه الابن . ان كان مخلوقا * لان العالم بعد تكونه ملحوظا . يذيع من هذه الجهة خالقه * لانه قال « ان السموات تذيع مجد الله » * واما الابن الازلي . فهو عديم ان يكون ملحوظا . لم يزل فايقا على الخليقة كلها جدا . فووقا قد عدم ان يكون مخبورا * ولين كانت الجهة التي لم نكن محتاجين فيها الى قول وتعليم . توصلنا الى ان نعرف ان الدنيا هي مكونة . قد وضع موسى النبي هذا القول فيها . قبل اقوال الاخر وضعا بينا . فيوحنا قد كان اليق به كثيرا . واحوج الى ان يقول هذا القول . في وصفه الابن الازلي .

لو كان مخلوقاً * ويجوز ان يقول لنا المعترض علينا . نعم * الآن بطرس الرسول قد قال هذا القول بيناً واضحاً * فاقول له . اين قاله ; ومتى قاله ; ولعله يجيبني . قد قال في مخاطبته لليهود . « ان الله قد صنع هذا رباً ومسيحاً » (ابركسيس ص ٢ عد ٣٦) * فاقول له . وما بالك ما تضيف الى ذلك ما يتلوه . وهو « هذا يسوع الذى صلبتموه انتم » ; اى تستجهل ان ما قيل في ربنا بعضه يناسب طبعته العديمة ان تكون بالية مضمحلة . وبعضه يناسب لسياستهم : فان لم يكن هذا الراى رايك . لكنها تعتقدها كلها علي بسيط ذاتها مناسبة للاهوته . فقد اوردت الذات الالهية مالومة * فان لم تكن تكون مالومة . فليست مخلوقة * لان الدم لو كان جرى من طبيعته الالهية المتنع وصفها بعينها . وكانت هذه بدلاً من جسمه . قد شقت وفررت بالمسامير . لاتجد لك احتجاج في هذه المغالطة * وان كان هذا القول ما ذكره ولا ابليس المحال بعينه . فلم تعمل انت ان تستجهل استجهالاً قد عدم علي هذه الجهة الصفح عنه * ولم تتظاهر به ولا الشياطين ; ولمعنى آخر قوله « رباً ومسيحاً » ليس هو مناسباً لجوهره . لكنه مناسب لرتبته * لان قوله الرب . مناسب لسلطانه . وقوله المسيح . مناسب لدهنه ومسحته * فما قولك في ابن الله ; لانه لو كان مخلوقاً علي رايكم . لما كان هذا القول يمتلك موضعاً * لان الله ما كونه اولاً . وانتدبه بعد ذلك * ولا امتلك رياسة مرفوضة . لكنها جوهرية وبالطبع * لانه حين سُيل ان كان ملكاً قال . « انا لهذا الغرض ولدت » * وبطرس رسوله خاطب اليهود خطاباً . كانه في وصف منتدب * لان الكلام عنده . انما كان في وصف تدبيره كله * وما استعجابك ان كان بطرس قد قال هذا القول . اذا رايت بولس حين خاطب اهل مدينة اثينا يدعوه رجلاً فقط ; اذ قال لهم هذا القول . « بالرجل الذى حدّه » * اذ منح كل الناس التصديق بانه قد اقامه من بين الاموات * (ابركسيس ص ١٧ عد ٣١) ولم يقل قولاً في وصف صورة الله * ولا ذكر انه عديل له * ولا انه شعاع مجده * وذلك علي جهة الواجب * لان الوقت ما كان مناسباً بعد . لهذه الالفاظ * لكنه كان عنده فعلاً محبوباً . ان يقتبلوا عاجلاً انه انسان . وانه قد قام * فهذا العمل عمله بطرس * ولما تعلم بولس منه . دبر افعاله هذا التدبير * وربنا المسيح ما كشف لنا في الحين لاهوته * لكن ظن به في اول ظهوره انه نبي . وانسان صالح على بسيط ذاته واستبان اخيراً بافعاله والفاظه . المعنى الذى كانه * ولهذا الغرض استعمل بطرس في ابتداء انذاره هذا المعنى * لانه خاطب اليهود هذا الخطاب في وسط مجمعهم * ولانهم ما اقتدروا ان يتعلموا حينيئذ قولاً واضحاً في وصف لاهوته . لهذا السبب ثبت في اقواله في وصف تدبيره وسياسته * حتى اذا ارتاض سمعهم بهذه الاقوال . يطرق لباقي تعليمه * وان اراد مريد ان يعبر في كافة خطابه للمجمع من اعلا كلامه . سيجد هذا المعنى الذى اقوله لامعاً جداً * لانه هو اعني ربنا يدعو ذاته رجلاً * وثبت في اوصاف

تالمه وقيامته وولودته بذات جسده * وبولس اذ قال كاين من زرع داود بذات جسمه . (رومية ص ٣ عد ١) ليس يعلمنا تعليماً آخر * الّا ان قول بطرس صنعه رباً . انما اتخذه في وصف سياسته * وهذا فنحن نعترف به * الا ان ابن الرعد انما يخاطبنا الان في وصف وجوده الممتنع وصفه . الذي هو قبل الدهور * فلهذا السبب اهمل قولهُ صنع . ووضع قوله كان * وقد كان ينبغي له لو كان مخلوقاً . ان يصلح هذا القول ايضاً اصلاحاً كثيراً * ولين كان بولس قد خشي ليلا يتوهم متوهم من الذين قد زال فهمهم . ان الابن يكون اعظم من ابيه . ويمتلك والده خاضعاً لهُ * لانه لهذا المعنى اذ راسل اهل قرنتية قال * « واذا قال انه يخضع لهُ . فواضح انه خلواً من الذى اخضع له البرايا كلها (قرنتية ١ ص ١٧ عد ١٥) * على انهُ مَن توهم ان الاب يخضع في وقت من الاوقات لابنه خضوعاً مع كافة البرايا ; لكنه مع ذلك ان كان قد خشي هذه الظنون الفاقدة القياس . وقال « خلواً من الذى اخضع له البرايا كلها » * فلو كان ابن الله مخلوقاً * لكان الاليق بيوحنا والاوجب عليه ان يخشى ليلا يظن ظانٌ * انه قد عدم ان يكون مخلوقاً * ولكان ينبغي له ان يعرف بهذا المعنى قبل اقواله كلها * واذ كان مولوداً . فعلى جهة الواجب . لا هو * ولا غيره . ولا احد . ولا رسول . ولا نبي قال انه مخلوق * والوحيد بعينه لو كانت هذه الحال حاله . لما كان تعدى وصفها * لان المتكلم الاقوال الذليلة على هذا النحو . لاجل تحدره معنا . قد كان اولى به . ان لا يكون قد صمت عن هذا المعنى * وقد كان واجباً عند امتلاكه الحظ العالى . ان يصمت عن ذكر ذاته . افضل من ان يكنى عن ذاته * اذا لم يمتلك هذا الحظ * ولا يعرفنا انه لم يمتلكه * لان هنالك كانت حجة صمته تكون واضحة * وهي ايثاره ان يعلم الناس ان يذللوا عزمهم . وان يفيدهم بصمته . من الفضايل الموجودة فيه . فوايدها العظيمة * وههنا ليس يحوى لصمته ولا حجة واحدة واضحة يقولها * لانه لو كان مخلوقاً . فلم صمت عن ذكر كونه ; وقد استغنى من اوصاف كثيرة من المحامد الموجودة فيه ; فيلزم من ذلك . القايل في اكثر الاوقات الاقوال الذليلة التي لم تكن موجودة فيه . لاجل تعليمه ايانا تذليل عزمنا . ويليق به كثيراً . لو كان مخلوقاً . ان لايكني عن ذلك * او ما تراه حتى لا يتوهمهُ متوهم انهُ عديم ان يكون مولوداً . يعمل ويقول من اجل هذا كل عمله وقوله . متكلماً اقوالاً ليست موهلة لرتبته وجوهره * منحدراً الى تواضع نبيه ; لان قوله « على نحو ما اسمع . احكم » * وقوله « ذلك قال لي ما اقوله . وما اتكلم به » * وما شابهَ هذه الاقوال وناسبها * هي مناسبة الانبياء وحدهم * فلئن كان لايثاره ان يزيل هذا التوهم . لم يستنكف ان يقول الفاظاً على هذا النحو ذليلة * فلو كان مخلوقاً . لقد كان اليق به واولى . حتى لا يتوهم متوهم انه عديم ان يكون مخلوقاً . ان يقول اقوالاً كثيرة هذا المعنى معناها * كقولك انه قد كان قال . لا تتوهموني مولوداً من ابي * فانا قد خُلقتُ وما وُلدتُ ولستُ انا

من جوهر ذاك * فهو الان يعمل ما صادد ذلك القول * لانه ينطق بتلك الالفاظ . التي تنظر الذين ما يوثرونها . ان يقتبلوا التوهم المضاد كارهين * كقولك انه قال « انا في ابى . وابى في » (يوحنا ص ١٠ عد ٣٨) « وانا معكم زماناً هذا مبلغ كثرته . وما عرفتني يافيلبس ; فالناظر الي . قد نظر الى ابى (يوحنا ص ١٤ عد ١٩) * « ولكى تكرم البرايا كلها الابن * كما يكرمون اباه » * « وعلى نحو ما ينهض الاب الاموات ويحييهم . فعلى هذا النحو يحيي ابنه الذين يشاء ان يحييهم (يوحنا ص ٥ عد ٢١) * « وابي الى الان يعمل . وانا اعمل (يوحنا ص ٥ عد ١٧) * « وعلى نحو ما يعرفني ابي . اعرف انا ابي » * « انا وابى واحد نحن » * ويضع في كل موضع من كلامه حرف كما * وحرف كذلك * ولفظة انه واحد . اذا قويس الى ابيه . فتدل على زوال مباينته اباه * ويبين سيادته بهذه الاقوال . وباقوال غيرها اكثر منها * كقولك اذ قال للبحر اصمت . فانبكم * وللابرص « اشاء ان تطهر . فطهر (متى ص ٨ عد ١ و ٢) * « ولك اقول ياجنياً اصم وعديم ان تكون ناطقاً . اخرج منه * فخرج * وقوله « قد سمعتم . ان قد قيل للقدماء لا تقتل * فانا اقول لكم . ان من يغتاظ على اخيه باطلاً . فقد وجبت عليه الدينونة (متى ص ٥ عد ٢١ و ٢٢) * وما ناسب هذا القول الذى قاله . حين اشترع شرايعه . واجترح عجايبه . فيها كفاية ان تبين سلطانه * والبق ما يقال . ان الصنف اليسير من هذه الاقوال فيه كفاية . ان يحقق عند الذين لم يفقدوا حسهم جداً . سلطانه وسيادته *

العظة الثالثة

طعن على من يفتخر بالشرف الباطل

ولكن الشرف الباطل داء ردى * من عادته ان يعمى تمييز الذين قد اقتنصهم عن فهم المعانى الظاهرة جداً * ويحقق عندهم ان يخاصموا فى الاقوال المعترف بها * ويسلب اناساً اخرين عارفين الاشياء الصادقة جداً موقنين بها معرفتهم * ويستميلهم الى المراياة والمعاندة * وهذه الحوادث . فقد حدثت في ايام اليهود * لانهم جحدوا ابن الله . لا لاستجهالهم اياه . لكنهم انما انكروه لينالوا التكريم من الناس الكثيرين * لانه قال انهم صدقوه . لكنهم خشوا ان لا يصبروا منفيين من المجمع (يوحنا ص ١٢ عد ٤٢) * وادنوا خلاصهم الى غيرهم * لانه ليس يوجد ولا يتهيا للمتعبد هكذا تعبداً شديداً للشرف الحاضر . ان ينال الشرف الذى من الله * ولذلك زجرهم قايلاً . كيف تستطيعون ان تومنوا . وانتم تحبون المديح من الناس . وما تطلبون السبح الذى من الله ; لان هذا السقم سكر عميق . يجعل من قد استاسره صعباً انتشاله منه . ويفصل من السموات نفس الذى قد اقتنصه . ويسمرها في الارض . وما يتركها ان ترفع طرفها الى الضو الصادق * لكنه يستميلها الى التمرغ فى الحماة كل حين . ويبتدع لها سادة اقوياء بهذه الصفة . من

عادتهم ان يضبطوها في خدمتهم خلواً من اوامرهم * لان المنسقم بهذا السقم ليس يوعز اليهِ موعز * لكنهُ يعمل من ذاتهِ كل الاعمال . التي يظن ان مواليه يسرون بها * لانه لاجل اوليك يلبس ثياباً حسنة * ويزين وجههُ * وليس يعمل هذا العمل لنفسهِ . لكنه يتحيل بهِ لاناس اخرين * ويسوق حوله تباعاً في السوق . حتى يستعجبه اقوام اخرون * وكل ما يعمله انما يصطبر على تعبهِ . لاجل استرضاء اناس اخرين * أفيكون مرض اصعب من هذا المرض . إن يتكردس المالوم بهِ تكردساً متصلاً . حتى يستعجبه اقوام اخرون ; أفتشاء ان تعرف غضبهُ ; مع ان الاقوال التي قالها المسيح الهنا كافية لانفضاحهِ * فاسمع ما يتلوها * لانك ان شيت ان تستخبر واحداً من المتصرفين بهذا الداء . المنفقين النفقات الجزيلة . لاجل اي غرض يفرغون ذهبهم الجزيل تقديره ; وما الذي ترتاده هذه النفقة الجزيلة عندهم ; فما تسمع منهم جواباً اخر انهم اعتمدوا بهِ . الّا استرضاء المحفل * فاذا استخبرته . وما هو المحفل ; يقول لك . هو شيء مملوء قلقاً وارتجافاً . واكثره منتظم من غباوة . محمول على بسيط ذاته . يشابه في اكثر الاوقات امواج البحر . مجموع من عزم متلون محارب * فاذا امتلك احدنا سيداً هذه صفته . من يكون اشقى منه ; ولكن تلهف اناس ماليين الى هذه الخدع . ليس هو على هذا النحو مستصعباً . مع انه صعب جداً مذموم * ولكن انسقام القايلين انهم قد انفكوا من قيود الدنيا بهذه الاسقام باعيانها . والبيق ما يقال انهم قد انسقموا باصعب منها * فهذا السقم يستبين كثيراً انه مستصعب جداً * لان اوليك العالمين الى اموالهم تصل خسارتهم * وفي هذا الوجه يصل الخطر الى النفس * لانهم اذا اسلموا امانتهم القويمة . لاجل تشريفهم * ولكيما يشرفوا هم ذواتهم . يهينون الههم * لان قل لي من يحوي افراطاً في مضرتهِ واسرافاً في جنونه يماثل الفعل الكاين من هولاء ; لان امراض هوانا الاخرى تحوز لعمري ضرراً كثيراً . الّا انها تختلق لذة يسيرة . وان كان وقتية حقيرة * وبيان ذلك ان محب الاموال . ومحب الخمر . ومحب النساء . يمتلكون مع مضرتهم لذة . وان كانت يسيرة * فاما الماسورون بهذا السقم . فيعيشون طول زمانهم عيشة مستمرة مسلوبة لذاتها * لانهم ما يصلون الى ما يعشقونه جداً * اعني التشريف من الكثيرين * لكنهم يظنون انهم يستمتعون بهِ . وما يتمتعون بهِ * لان هذا الذي يبتغونه ليس هو شرفاً * ولهذا ليس يقال ان لهذا الداء شرفاً . لكنه يدعى شياً فارغاً من التشريف * لان القدماء كلهم سمّوا هذا الداء شرفاً فارغاً * لانه فارغ . ليس يحوي في باطنهِ شياً بهياً شريفاً * ولكن كما ان وجوه اشباح الخيال تُظن انها بهية معشوقة . وهي فارغة من داخلها * ولذلك مع انها توجد ابهى حسناً من وجوه اجسامنا . ما اثرمنا احد ولا في وقت من الزمان واحداً . ايثاراً يقتاده الى عشقهِ * فكذلك التشريف من الكثيرين * والبيق ما يقال . انه اشقى واحقر مما ذكرناه . قد مثل لنا هذا الداء الغاصب المستصعب قهره * لانه يمتلك وجهاً بهياً فقط . والخدع

التي في داخله ليست فارغة فقط . لكنها ممتلئة هواناً . مملوءة غضباً قاسياً * واقايل ان يقول .
فمن اين يتولد هذا الداء الحالي بهذه الصفة من القياس . وليس يمتلك لذة ; فاقول له * ما
يتولد من جهة اخرى * الاّ من نفس ذليلة حقيرة * لان من قد افتنصه التشريف . ليس يتهيا له
ان يتفهم سريعاً شياً عظيماً جليلاً . لكنه يظن ذلك الشيء يوجد قبيحاً حقيراً مهاناً
صغيراً * لان من ليس يعمل من اجل الفضيلة عملاً . ولكن يسترضي رجالاً ليسوا اهلاً لكلمة
واحدة . يتلقط من كل مكان قضيتهم المنطغية المنخدعة . فكيف يكون موهلاً لشيء صالح ; لان
قل لي . لو ساله سايل . انت ما ظنك بهولاء الكثيرين لاجاب انه يظن انهم وانون مضجعون
فان ساله سايل ما رايك ; أفتختار ان تكون نظيرهم ; فلست اظن انا . انه يختار ان يكون
مثلهم * فكيف ليس يكون اهلاً لضحك في اقصى غايته . ان يتصيد تشريفاً من هولاء
الذين ما يشاء في وقت من اوقاته ان يصير شبيهاً بهم ; فان قلت ان كثيرين منهم يوجدون
اناساً منطابقين متوافقين * اجبتك * فلهذا السبب سبيلنا ان نزدرى بهم كثيراً * لانهم اذا
كانوا علي انفرادهم وجدوا يتيسر الاهوان بهم . فاذا صاروا كثيرين يخصهم ان يعرض لهم هذا
العارض باعظم تاثيره * لان غباوة الفرادى من الناس . تصير عند التيامهم جميعاً اعظم مما كانت .
وتنميها كثرتهم * ولهذا السبب ان ارتاد مرتاد . ان يتلافي واحداً واحداً منهم علي انفراده في
وقت من الاوقات . ربما امكنه اصلاحه * واذا التاموا معاً . ليس يتيسر له اصلاحهم * ولا
يمكنه لاجل تزايد الغباوة فيهم . وانسياقهم كما تساق البهايم الراعية . واتباع بعضهم في كل مكان
اراء بعض واوهامهم * فهذا التشريف من الكثيرين . قل لي أترغب في استمداده ; لا . اطلب .
واتوسل اليك . ان لا ترغب فيه * فان هذا الداء جعل كافة احوالنا فوق واسفل * هذا ولد
استكثار القنية . والحسد . والقرف . والاغتيال * هذا يثمر غيظ الذين لم يظلموا ظلماً . ويدرعهم
سلاحه على الذين ما ظلموهم شياً * ومن قد سقط تحت هذا السقم . فما قد عرف صداقة . ولا يذكر
الفة . ولا يعرف ان يستحي ولا من احد الناس البتة * لكنه قد حذف من نفسه سجاياها الجيدة
كلها * ويقصد بمحاربته كل الناس * لانه قد عدم ان يكون ثابتاً ودوداً * ولعمري ان داء
الغيظ . وان كان يوجد غاصباً . يمتنع ان يكون محمولاً . الاّ انه ليس من عادته ان يعسفنا
دايماً . الا اذا حضر لدينا الذين اغاظونا فقط * فاما داء التشريف الفارغ . فيخصه ان يعسفنا
دايماً * فلن يوجد له على ما يقال وقت يمكن ان ينتهي فيه الى غاية * ولا يوجد فكر يمنعه
ولا يقبضه . لكنه حاضر دايماً * ليس من عادته ان يستميلنا الى الاخطاء فقط . لكنه مع ذلك . وان
اتفق لنا ان نصلح صنفاً محموداً يغيبه من ايدينا * وفي طباعه انه ولا يتركنا ان ننشي من ذلك
الصنف مبداه * ولين كان بولس يسمي الاستغنام . واحتشاد القنية عبادة اصنام . فالتشريف

الفارغ أم هذا الداء وقرمته و ينبوعه * ماذا يجب ان يسمى : لان ليس يتجه لنا ان نجد لرداءته اسماً اهلاً لها * فسبيلنا يا احبتى ان نستفيق . وننزع هذا الثوب الخبيث ونمزقه ونقطعه * ولنصر فى وقتٍ من زماننا احراراً حرية صادقة * ونستمد احساساً بشرف الحسب الذى وهبه الله لنا * فينبغى ان نتهاون بتشريف الناس الكثيرين * فليس يوجد على هذا المثال عارض مضحوك سلبه . مثل هذا العارض المملوء خرياً وذلاً كثيراً * وهذا العارض يبصره باصرٌ من جهات كثيرة * لان عشقنا الشرف يعدمنا التشريف * والشرف بالحقيقة انما هو الاعراض عن هذا الشرف . وان لا نذكره ذكراً . لكن نقول كلما نقوله . ونعمل كلما نعمله . كنحو محبة الله * فعلى هذه الجهة نقتدر ان نستمد الثواب من الناظر الى خفياتنا نظراً بليغاً . اذا اكتفينا به وحده معايناً لنا * لان ما حاجتنا الى الحاظ اخرين . اذا كان المزمع ان يكرمنا ناظراً الى ما يكون منا دايماً : وكيف يكون فعل منكر . اذا كان العبد يعمل كل ما يعمله . لاسترضاء سيده يعمله . وليس يلتمس شياً اكثر من معاينته اياه * وليس يجتذب الحاظاً اخرى الى عمله * وان كان الذين ينظرون اليه معظمين * لكنه يرتقب قصداً واحداً فقط . هو ان ينظر اليه سيده * ونحن فقد امتلكنا رباً شايعة سيادته * فما ينبغى ان نطلب ناظرين اخرين ليسوا يفيدوننا نفعاً . بل هم مقتدرون ان يضروننا من تلقاء نظرهم الينا . وان يستفرغوا كافة تعبنا * اطلب اليكم ان لا نعمل هذا العمل لكن الذى نوقن ان من عنده اقسام اجرنا . اياه ندعو مادحاً لما يكون منا . ذاك هو معايننا * فليست بنا حاجة الى الحاظ انسانية * لاننا ان شينا ان ننال هذا الشرف . فانما نحصله حينيذٍ اذا طلبنا المجد الذى من الله وحده * لانه قال « لاشرفن الذين يمجدوني (ملوك ١ ص ٢ عد ٣٢) وكما اننا حينيذٍ نثرى بالاموال اثراءً كثيراً . اذا ازدريناها وتهاوننا بها . وطلبنا الثروة التى من الله فقط * لانه قال « اطلبوا ملك الله اولاً * وهذه الاشياء تزدادونها * (متى ص ٦ عد ٣٣) فعلى هذا المجرى يجرى التشريف . اذا حصلت عندنا عطية الاموال وعطية الشرف خالية من خطر * حينيذٍ يكثرها الرب ويوسعها علينا * وانما توجد حينيذٍ خالية من خطر . اذا لم تضبطنا . ولم تقهرنا . ولم تامرنا هى كما تامر العبيد لها . لكنها تحصر عندنا كحضورها عند ساداتها * وعند الاحرار من التعبد لها * ولهذا السبب ليس يراد منا ان نعشقها * حتى لا تضبطنا * فاذا احكمنا هذا الغرض . سيعطيناها الله بتوسعة كثيرة * لان قل لى ماذا يكون ابهى بهجة من بولس القايل . « ما نطلب من الناس شرفاً . ولا منكم . ولا من اخرين غيركم » : ما الذى يكون احسن بهاءً ممن لا يمتلك شياً . وهو ضابط الاشياء كلها : لاننا اذا لم تضبطنا على ما ذكرت هذه الاشياء . فحينيذٍ نضبطها نحن * وعند ذلك نحصلها * فان اشتهينا ان نمتلك شرفاً . فينبغى لنا ان نهرب من الشرف الوقتى * فاننا على هذه الطريقة نقتدر ان نستكمل

شرايع الهنا * ونحصل الحظوظ الصالحة التي ههنا . والنعم الصالحة التي وعدنا بها هنالك * بنعمة مسيحنا الذى معه لابيهِ المجد مع الروح القدس * الى اباد الدهور امين *



المقالة الرابعة

* في الابتداء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله * والهاً كان الكلمة *

ان المعلمين ليس من عادتهم ان يضعوا علي الصبيان منذ مبداء دخولهم الى التعاليم . اوقاراً من التعليم يتلو بعضها بعضاً * ولا من شانهم ان يعملوا هذا العمل في دفعة واحدة * لكنهم يفاوضونهم دفعةً بعد دفعةٍ . بالفاظ يسيرة واحدة باعيانها . حتي يتيسر لهم ان يحصلوا في تمييز فهمهم ما يقولونه لهم * ولكيلا يستصعبوا من المبادى كثرة الاقوال . وصعوبة تمكينها في حاسة ذكرهم . فيصيروا اكثر كسلاً من غيرهم في جميع الالفاظ التي تدفع اليهم * اذ يتكوّن فيهم خَدَر من صعوبة ما يبددهم * فهذا العمل اريد انا ان اعمله * واجعل التعب خفيفاً عندكم * اذ اخذ من هذه الاقوال التي في هذه المايدة الشريفة قليلاً قليلاً . واحصله على هذه الجهة في نفوسكم * ولهذا السبب الامس ايضاً تلك الالفاظ باعيانها * لا حتى اكرر القول بعينهِ . لكن حتى اضيف اليهِ ما ينقص منه فقط * فهات نسوق القول الى مباديه ايضاً . وهو « في الابتداء كان الكلمة * والكلمة كان عند الله » * ولعلك تستخبر لمَ ابتدى المبشرون الاخرون كلهم من سياسة ربنا ; وذلك ان متى قال . « كتاب كون يسوع المسيح ابن داود » * ولوقا يصف لنا اخبار مريم والدة الهنا * ومرقص فعلى جهة مماثلتهما يثبت في هذه الاقوال باعيانها * فلمَ ابتدا اوليك من هذا الموضع . ويوحنا فاغمض ايضاح هذا المعنى عند ما قال فيما بعد بلفظ يسير . « والكلمة صار لحماً » * وكنّى عن الاخبار الاخر كلها وتجاوزها * وما وصف الحبل بهِ . وولادته . وتربيته * ويصف لنا في الحين ذكر ولادته الازلية * فسأبيّن لكم العلّة المختصّة بهم * وذلك ان باقي المبشرين . لما ثبتوا اكثر ثباتاً في اقوالهم في ذات جسم ربنا . تكون ليوحنا لاجل هذا المعنى خوف * ليلا يوجد اناس طريحون باوهامهم علي الارض * فيثبتون في هذه الاراء والظنون وحدها * وقد صاب بولس السميساطى هذا المصاب * فعلى جهة الواجب صاعد هذا الرسول مذلّة الجنوح الى الاوهام الارضية . الذين شارفوا ان يسقطوا فيها . واجتذبهم الى السماء * اذ جعل ابتداء تكلمه من العلو . ومن وجوده الازلى الدهرى * لان متّى اذ جعل مبداء وصفه من هيرودس الملك * ولوقا اذ ابتدا بما اخبر بهِ من طيباريوس الخليفة * ومرقص لما جعل ابتداء كلامه من معمودية يوحنا . اهمل هذا الفاضل هذه الاقوال كلها . وصاعد اعلا من كل زمان ودهر . وانفذ تمييز فهم السامعين منه

الى هنالك . الى قوله . « في الابتداء كان » * وماتركه يقف في مكان . ولا وضع له حداً . علي حدو ما وضع اوليك هيرودس وطيباريوس و يوحنا المعمداني حداء لوصفهم * ولعمري ان هذا الفعل من افعالهم موهلاً للذكر كثيراً * وذلك ان لا يوحنا مع ان كلامه بعينه اعلا محلاً اهمل تدبير سيدنا والغى ذكره . ولا اوليك مع اجتهادهم في وصف تدبيره صمتوا عن وصف وجوده الاقدم من الدهور * وذلك علي جهة الواجب جداً * لان الروح الذى حرك نفوسهم كلهم كان واحداً * ولهذا المعنى اظهروا اتفاقهم في تخبيرهم كثيراً * فاذا سمعت ايها الحبيب « كلمة » . فلا تجنح في وقت من الاوقات الى راى القايلين انها فعل * ولا تطابق الظانين انها كلمة على بسيط ذاتها * لان اقوال الله كثيرة التى تعملها المليكة * الا ان ولا كلمة واحدة من تلك الكلمات اله * لكن تلك الكلمات كلها نبوات وافعال * لان الكتاب بهذا الاسم جرت عادته . ان يسمى شرايع الله واوامره ونبواته * ولذلك استثنى بقوله في ذكر « المليكة . انهم قادرون ان يعملوا كلمته بقوتهم * (مزمور ١٠٢ عد ٢٠) وهذا الكلمة هو جوهر الهى . حاصل في اقنوم . بارز من ابيه بعينه . خاواً من انقسام عارض * لان هذا المعنى الذى قدمت ذكره في مقالتي ان الرسول اوضحه باسم الكلمة . يبين خاصته الازلية الدهرية * فكذلك قوله ان « في الابتداء كان عند الله » * اظهر لنا اتفاقه مع ابيه في الازلية * لان حتى لا اذا سمعت ان في الابتداء كان الكلمة * وتعتقده ازلياً * الا انك تتوهمه انه في حياته اقدم من ابيه بمسافة فريدة . وتعطى للوحيد ابتداء في دهر اكثر * استثنى بقوله انه « في الابتداء كان عند الله » * وانه علي هذا المثال ازلى مثل ابيه بعينه * لانه ما كان ولا في وقت من الاوقات خالياً من كلمته * لكنه كان الهاً عند الله دايماً في اقنوم خاص به * ولقايل ان يقول * كيف المعنى في انه كان في العالم . ان كان عند الله : فنقول له انه كان عند الله * وكان في العالم * لان لا الاب . ولا الابن . يوصل الى غاية لهما البتة * لانه ان كانت « عظمته لن يوجد لها غاية * وفهمه ان كان ليس يوجد له عدد (مزمور ١٤٣ عدد ٣) فمن البين ولا جوهره يوجد له ابتداء زماني * فقد سمعت ان في الابتداء ابدع الله السماء والارض * فما الذى نفهمه من هذا الابتداء ; اما قد استبان واضحاً . انك انما فهمت من ذلك تكونه اياهما قبل البرايا الملحوظة كلها ; فلذلك اذا سمعت في وصف الوحيد انه كان في الابتداء . فافهم انه كان قبل البرايا العقلية كلها . وقبل كافة الدهور * فان قال قايل . فكيف يتجه ان يكون ابناً . فلا يوجد احدث من ابيه ; لان الضرورة كلها توجب انه يوجد الموجود من احد الاشياء اخيراً . بعد الذى يوجد منه * سنقول له . قد يستبين كثيراً . ان هذه الاقوال متولدة من افكار الناس * ومن يطلب هذا المطلوب من شانه ان يطلب مطالب اخرى اشنع من هذه جداً * وليس يجب ان نقتبل في سمعنا هذه المطالب وامثالها * لان الكلام عندنا

الان هو في ذكر الهنا * وليس هو في ذكر طبيعة الناس . الموضوعة تحت مساق هذه الافكار *
ولكن لاجل استمالة الاضعفين الى الصواب . سنورد الطعن عليها * قُل لى يا هذا . شعاع الشمس
أيطفر من طبيعة الشمس بعينها . ام من جهةٍ اخرى ; فالضرورة كلها تلزم مَن لم يكن مسلوباً
فعل حواسهِ . ان يعترف انه من طبيعتها يطفر لامعاً * ولكن مع ان الشعاع موجود من الشمس
بعينها . لسنا نقول فى وقت من الاوقات . انه اخيراً بعد طبيعة الشمس * لان ما ظهرت في وقت
من الاوقات شمس خلواً من شعاعها * فان كان قد ظهر في هذه الاجسام الملحوظة المحسوسة موجود من
احدها * وليس هو اخيراً بعد الذى هو موجود منه . فما معنى انكارك . ان كان يوجد هذا
الموجود بعينه فى الطبيعة الفاقدة ان توجد ملحوظةً او موصوفة . على هذا المثال على نحو ما كان
لايقاً بذلك الجوهر ; لان لاجل هذا المعنى سمّاه بولس هذا الاسم . وبين الشعاع البادى منه .
واتفاقه في الازلية معه (عبرانيين ص ١ عد ٣) * فما قولك ; او ما الدهور كلها قل لى بهِ تكوّنت
وكل مسافة لها ; فالضرورة كلها تلزم مَن لم يكن مصروعاً ان يعترف بهذا * فليس اذاً زمان
اوسط بين الابن الازلى و بين ابيهِ * فان يكن ليس بينهما زمان اوسط . فليس الابن اخيراً *
لكنه عديل ابيهِ فى ازليتهِ * لان حرف قبل . وحرف بعد . هما معنيان دالّان على زمانين *
لان خلواً من دهر وزمان ما يستطيع احدنا ان يفهم هذين الحرفين * والله اقدم واعلا من الازمان
والدهور * فان قلت انه ينبغي ان يوجد للابن الازلى ابتداء * فاحذر لا تضطر على حدو قولك
وفكرك . الى ان تورد الاب تحت ابتداء يكون اقدم * لكنه مع ذلك ابتداء * لان قُل لى .
أما تضع قبل الابن زماناً فريداً وابتداء ; فمن البيّن انك تقول ان الاب يخصه على هذه الجهة .
ان ينفذ الى فوق متقدماً فى الابتداء * فقُل لى اذاً الاب كم يتقدم فى الوجود ; لانك ان قلت
انه يتقدم مسافة كبيرة او صغيرة . فقد جعلت الاب تحت ابتداء * لانك من البيّن اذا عددت
الاوسط . وذكرت على هذا النحو عدداً يسيراً * او جزيلاً . ما يتجه لك ان تعد * اذ ليس
يوجد ابتداء لكليهما * فيلزم من ذلك اذا خوّلت الابن ابتداء . امكنك على انفرادك ان تخوّله
اباه * فليس يكون ولا الاب على رايك عديماً ان يكون مبتدياً * أرايت ما قاله مخلصنا يوجد
صادقاً ; وكلامه تستبين في كل مكان قوته ; وان سالت * وما هو هذا ; اجبتك : ان « من لا
يكرّم الابن . فليس يكرم اباه » * وقد عرفت ان ما قلناه يوجد عند اناس كثيرين ممتنعاً
ادراكه * فلذلك اتباطى ان احرك الهواجس من افكارى من جهات كثيرة * لان باقى المحفل ما
يستطيع ان يتبعها * وان تبعها فلن يحوى راياً حقيقياً وثيقاً * لان « افكار الناس جزوعة *
ورويّاتهم مخدوعة (حكمة ص ٩ عد ١٤) * واقول بالتذاذ ذلك القول للذين يعاندوننا * ما هو
معنى القول الذى قيل عند النبي . « ما صار قبلى اله اخر . وليس يوجد بعدى اله » ; لان ان كان

الابن احدث من ابيه . فكيف قال ليس يوجد بعدى اله ; فهل تبطلون جوهر وحيده ; لانكم يلزمكم اضطراراً اما ان تتجاسروا على هذا الكفر . واما ان تقبلوا لاهوتاً واحداً للاب والابن في قنوم خاص . واين يكون قوله « البرايا كلها به تكونت » صادقاً بجملة معناه ; لان ان كان يوجد دهر اقدم منه . فكيف يكون الدهر الكاين به قبله ; ارايتم الى اى جسارة خرج كلامهم حين ازاغوا دفعةً واحدة حركة الحق ; لان لماذا لم يقل البشير . انه صار مما لم يكن موجوداً . كما بين بولس المعنى في ابداع البرايا كلها . عند قوله هذا القول . « الذى دعى البرايا التى لم تكن موجودة . كانها موجودة (رومية ص ٤ عد ١٧) * لكنه قال في الابتداء كان * لان هذا القول صد لذلك * وذلك على جهة الواجب جداً * لان الاله ما كون . ولا حوى شياً اقدم * لكن هذه الالفاظ اقوال الاوثانيين * فعلى ذلك المعنى . اما تقول . ان الخالق يفوق على اعماله فوقاً يفوت المقايسة ; فان كان الذى ابدعها مما لم يكن موجوداً شبيهاً بها ; فابن فوقه الفايت المقايسة ; وما هو بجملة البحث قوله . « انا هو الاول . وانا بعد البرايا . وما صار قبلى اله غيرى » ; لان ان لم يكن الابن من جوهر ابيه بعينه . فهو اله اخر * وان لم يكن عديلة فى ازلته . فهو بعده * وان كان ما برز من جوهره . فمن البين انه قد تكون * فان قلت ان هذه الاقوال انما قيلت تتوخى الافصال بينه وبين الاصنام * فكيف ما تطلق ان تقال نحو الافصال بينه وبين الاصنام انه هو الاله الصادق وحده . فان كان يقال هذا القول . توخياً للافصال بينه وبين الاصنام . فكيف نترجم القول كله ; لانه قال « بعدى ليس يوجد اله غيرى » * فان قلت فما قال هذا القول مخرجاً ابنهُ . لكنه انما قال هذا القول يتوخى به ان ليس يوجد بعدى اله صنمى * وما قاله لانه ليس يوجد ابن * لان ابنه موجود * اقول لك . فما معنى قوله « قبلى ما كان اله غيرى » ; فعلى هذه الجهة يعنى ان ما تكون صنمى * أفيكون اذاً ابنه قبله ; واىّ شيطان يقول هذا القول ; لان على حسب ظنى ان ولا ابليس المحال بعينه يجسر ان يقول هذا القول * وان كان بجملة الايقان ليس هو عديلاً لابيه في ازليته . فكيف يقول ان حياته قد عدمت ان توجد مخبورة ; فان كان قد امتلك ابتداءً من فوق . وان كان قد عدم ان يكون منتهياً . فليس يوجد على كل حال عديماً ان يكون مخبوراً * لان معنى قد عدم ان يكون مخبوراً . يجب ان يكون من كلا الجهتين عديماً ان يكون مخبوراً * وهذا المعنى اذ اوضحه بولس . قال « ليس يحوى لايامه ابتداءً . ولا لحياته انتهاء (عبرانيين ص ٧ عد ٣) * موضحاً خاصته الفاقدة ان تكون مبتدية او منتهية * لان كما ان هذه الخاصة ما تحوى غاية . فكذلك ولا تلك تحوى غايةً * لان ليس ههنا انقضاء . ولا هناك ابتداء * وكيف هو حياة . ما كانها هو فى وقت من الاوقات ; لان حياته توجد دايماً * وجميع المومنين يعترفون ان حياته توجد وجوداً قد عدم ان يكون مبتدياً او منتهياً * ان كان

يوجد علي الحقيقة حياة . كما انه لم يزل ويوجد حياة * فان كان يوجد حيناً لم يوجد حياة .
فكيف يكون حياة البرايا الاخرى . وحياته ليست موجودة في وقت من الاوقات ; فان قلت
فكيف وضع يوحنا ابتداء . اذ قال « في الابتداء كان » ; اجبتك . قل لي . أتتامل قوله « في
الابتداء » ; وقوله « كان » ; وما نفطن « الكلمة كان » ; فما قولك اذا سمعت النبي يقول في
وصف الاب . « منذ الدهر والى الدهر انت هو » * أتراه اذا قال هذا القول يضع به حداً له ; لا
البتة * لكنه انما قاله موضحاً خاصته الدهرية * علي هذا المعنى تفهم قوله ههنا * لانه ما قال هذا
القول يضع به حداً * لانه ما قال انه حوى ابتداء * لكنه قال « في الابتداء كان » * مرسلاً اياك
بحرف كان . الى ان تتفهم الابن . انه عديم ان يكون مبتدياً * الا ان القايل يقول لنا . فها
الاب يقال بزيادة الحاشية . (التي هي الالف واللام .) والابن يقال خلواً من هذه الحاشية *
فنقول له . فما راى الرسول اذ قال . « الهنا العظيم ومخلصنا يسوع المسيح » ; وقال ايضاً . « وهو
الله علي براياه كلها » ; فها هو قد ذكر الابن ههنا خلواً من حاشية * وهو يعمل هذا العمل عند ذكره الاب *
لانه اذ راسل اهل مدينة فيلبس قال هذا القول . « الذي كان بصورة الله . لم يحتسب وجوده عديلاً
لله اختلاساً (فيلبسيوس ص ٢ عد ٦) * وارسل الى اهل مدينة رومية ايضاً قايلاً . « نعمة لكم
وسلامة من الهنا ابينا . ويسوع المسيح ربنا » * ولمعنى آخر . وزيادة هذه الحاشية ههنا كانت فضلة
زايدة . اذ ازيدت في الكلام فوق زيادة متصلة * لان على نحو قوله في وصف ابيه . اذ قال . « الله
روح » . واذ لم يزد في الروح الحاشية . لسنا ننكر لاجل ذلك خاصة الله الخالية من جسم * فكذلك
وان لم يزد ههنا في الابن الحاشية . فليس الابن لاجل هذا المعنى انقص او ادنى * فان سالت فما معنى
قوله الهاً والهاً ; اجبتك . ليس يبين لنا بذلك فرقاً في اللاهوت . لكنه يبين ضد ذلك * لانه اذ
تقدم فقال . « والكلمة كان الهاً » * فحتى لا تظن ان لاهوت الابن ادنى . وضع للحين الدلايل المعرفة
بلاهوته الخالص . اذ اعاد خاصته الدهرية * لانه قال * « هذا كان في الابتداء عند الله » *
واستثنى بخاصته الخالقة فقال . « لان البرايا كلها به تكونت * وخلواً منه ما تكون ولا شيء
واحد قد صار » * وهذا المعنى فقد ذكره ابوه في كل مكان بانبيايه . انه يوجد معرفاً بجوهره ذكراً
كثيراً * والانبياء يرددون ترديداً متصلاً صورة برهان ذلك * وما ذكروا ذلك على بسيط ذات
الذكر . لكنهم اجتهدوا في ابطال تشريف الاصنام * لانه قال « الهة ما ابدعت السماء والارض
فلتهلك » * وقال ايضاً . « انا بيدي مددت السماء » * ووضع هذا في كل مكان * انه يوجد دالاً على
لاهوته مظهراً له * وهذا البشير فما اكتفى بهذه الالفاظ . لكنه دعاه حيوة ونوراً * فان كان مع
ابيه داىماً . ان كان قد ابدع هو البرايا كلها . ان كان هو قد استخرجها كلها ويضمها . (لانه بالحياة
اغمض ايضاح المعنى) ان كان هو ينيرها كلها . فمن يكون بهذه الصورة زايلاً فهمه . حتى انه يقول ان

البشر بهذه الالفاظ. يجتهد ان يورد تنقيصاً للاهوته . وهو مقتدر ان يبين بها معادلته اباه في اللاهوت . وزوال مباينته تبييناً كثيراً ; فلا تخلط الخليقة مع خالقها . حتى لا نسمع نحن « انهم اكرموا الخليقة اكثر من مبدعها » * لان ان قال قايل ان هذا القول انما قيل في السموات * الا انه . مع ذلك في كلامه في وصفها . قد منع بجملة المنع . واوعز انه ما يجب ان تُعبَد خليقة . على نحو ما وجد الراي الاوثاني عبادتها *

العظة الرابعة

في انه يجب ان نشكر لتعطف ربنا وفي اجتناب الغيظ

فلا نحملنَّ ذواتنا في هذه العبادة * فلهذا السبب جاء ابن الله ليستخلصنا من هذه العبادة * لهذا الغرض اخذ صورة عبد . حتى يحررنا من هذه العبودية * لهذا المعنى بُصق عليه * لهذا المعنى لُطم * لهذا الغرض اصطبر علي الموت الموجب العار * فلا نجعلنَّ افعاله هذه كلها خايبة من الانتفاع بها * لا نعاودن ايضاً الى الحادنا الاول * والبق ما يقال لا نعاودنَّ الى اصعب من الحادنا الاول بزيادة كثيرة * لانه ليس يوجد فعلٌ متساوٍ ان تُعبَد الخليقة . وان يحط الخالق بعينه الى حقارة الخليقة . اذا افضى الينا على انفرادنا ان نحطه اليها * لانه هو ثابتٌ على الحال التي هو ثابت عليها * لان النبي قد قال « انت هو . وسنوك ما تنقضي » * فسبيلنا ان نمجده على حدوما تسلمنا من ابابنا * وينبغي ان نمجده بايماننا واعمالنا * لان ليس يحصل لنا نفع يوصلنا الى خلاصنا من اعتقادات معافاة نعتقدها . اذا كانت حياتنا مفسودة عندنا * فلذلك يجب علينا ان نقوّم عيشتنا على حسب راى الهنا * ونجعل ذواتنا نازحين عن كل فعل مستقبح * ومن الظلم واستكثار القنية * ويكون حالنا حال غرباء طارين مغتربين من الاشيا التي ههنا * وان احدنا يمتلك اموالاً واملاكاً كثيرة . فليستعملها هذا الاستعمال * كاستعمال حال منترح بعد مدة يسيرة عنها طايعاً وكارهاً * وان كان قد ظلمه احد الناس . فلا يغتاظن عليه اغتياظاً عديماً ان يكون مبيناً * والبق ما يقال . لا تغتاظن على احد اغتياظاً وقتياً * لان الرسول ما دفع الينا لاستعمال غيظنا . اكثر من يوم واحد * لانه قال « لا تغربن الشمس على اغتياظكم (افسس ص ٤ عد ٢٦) * وذلك على جهة الواجب * لان فعلاً محبوباً . ان لا يتكون غيظ مكروه في وقت في هذه الصفة يسير * فان ادرك الليل غيظنا . تتكون الهواجس الكاينة منا اشدّ واصعب تاثيراً * اذ يجتمع لنا النار من ذكرنا كثيراً * واذا بحثنا عن هواجسه . ولّد لنا شغلاً امرّ الاشغال مراساً * فيوعز الينا الرسول قبل ان يتسلمنا هذا الشغل المهلك . وقبل ان تصطرم ناره اضطراماً اشدّ تاثيراً . ان نستدرك سورته الشديدة ونخمدها . لان داء الغيظ هو حادٌ جداً . احدّ من كل لهيب * ولهذا يحتاج الى مسارعة كثيرة تستدرك لهيبه * ولا تفسح له ان يرتفع الى العلو * لان هذا المرض يصير علة لبلايا كثيرة * لانه قد قلب منازل كاملة

باهلها * وفسخ الفة قديمة * واخترع في مدة يسيرة صنوفاً من الندب والعويل مسلوبة تسليتها *
لان مع لحظة غضبه قد قال الحكيم انها سقطة له (سيراخ ص ١ ع ١٩) * فلا نطلقن هذا الوحش
خالياً من ان يكون ملجماً * لكن سبيلنا ان نحصل فيه خوف مجلس القضا المنتظر كونه شديداً
من كافة جهاته * فاذا غمك صديقك . واغاظك احد المناسبين لك . فتفطن في الخطايا التي
اخطاتها انت الى الله * وتامل انك بالدعة التي بها تحتمل ذاك المحزن لك . بها تجعل مجلس
القضا ذلك المريع اوفر رفقاً بك * لانه قال « اغضوا . فيغضى لكم » * فسيهرب داء الغيظ منك
باوفر الاسراع * وتصفح مع هذه الزواجر ذاك العارض * ان كنت في وقت من اوقاتك انهبطت الى
تنمر وغلظ * فضبطت ذاتك * وان كنت في وقت من الزمان قد سحبك داء غيظك . فوادعت
اخلاقك * وقابل الوقتين كليهما . احدهما بمقابل الاخر * فتستمد من هذه الجهة اصلاحاً كثيراً *
وتامل متى اخذت ذاتك * حين انقهرت ; ام حين ضبطت غيظك ; او لسنا حينئذٍ نشكو
ذواتنا اشد الشكوى . ونستخزي وليس يوبخنا موبخ . ويدخل الينا عارض الندامة عظيماً
بسبب اقوالنا وافعالنا ; واذا قهرنا غيظنا نتنعم ونفرح . من طريق اننا قهرناه * لان القهر للغيظ
ليس هو انتصارنا للعوارض العارضة لنا بامثالها * لان هذا الفعل هو هزيمة واصلة الى غايتها * لكنه
احتمالنا باوفر الوداعة . ما نقاسيه من صنوف المكارة العارضة لنا * ومن قوادح المسابّ الصادرة
الى اسماعنا * لان هذا هو امتلاك الاكثر من الفايدة . ليس هو ايصالنا الى غيرنا مكروهاً * فلا
تقولن عند اغتياظك . انا على كل حال استاصله * انا ابالغ في الانتصار منه * ولا تضاد الذين يشيرون عليك
ان تقهر باحتمالك * قايلاً . لست استجيز ان يضحك على فلان وينصرف لانه ليس يضحك عليك في ذلك
الحين لكنه انما يضحك عليك اذا اسرفت في انتصارك * فان ضحك عليك في ذلك الحين . فانما عرض له هذا
العارض من طريق انه قد زال فهمه وانت اذا قهرت . فلا تطلبن التشريف من الزايل فهمهم * لكن استشعره
كافياً . اذا حصل لك من المالكين عقولهم * بل ما فايدتك من اختلاس مشهد يسير ذليل تنظمه انت من
اناس ; وارفع للحين طرفك الى الله * فذاك هو الذي يمدحك * ومن يستحسنه ذاك . ما ينبغي له ان يلتمس
من الناس تكريماً * لان التكريم من الناس . ربما كان يعرض تحمداً * وربما يكون
يعتمد معاداة اناس اخرين واغاظتهم * وليس يجتلب فايدة * واما القضية من الله . فهي مخلصة
من زوال التمهيد * ويجتذب للمستجيب نفعاً جزيلاً * فينبغي لنا ان نلتمس هذا المديح ساعين
وراه * انتشاء ان تعرف الاغتياظ * كم تقدير فعلة الردى ; قف في السوق باناس متخاصمين *
لانك ما يتيسر لك . ولا تقدر ان تعرف في ذاتك فضيحتك . عند اظلام فكرك وسكره لكنك
اذا تنظفت من المرض . حينئذٍ انظر الى افعالك في اخرين غيرك * اذ لم يكن حكمك منفسداً
فيك * انظر الى الجموع المتقاطرين . والى المتفضحين في وسطهم * لان الغضب اذا غلى في الصدر

ينهض الغضوب ويثمره * ويجعل فمه بيت نار * ويورم وجهه من كل جهاته * ويمد يديه مداً زايغاً عن الترتيب * وتقفز رجلاه قفزاً يوجب الضحك عليه . واثبتين على ضابطه * وليس يكون بينه وبين المجانين فرق * ومع هذه الافعال كلها . فالذين يقهرهم هذا الداء يزول خسهم * ويرفسون رفساً ليس يبدو . ولا من الحمير الوحشية . ويعضون * ‹‹ فالرجل الغضوب ليس صورته بالحقيقة حسنة ›› * ثم بعد هذا الضحك الكثير عليهم . اذا انصرفوا الى منازلهم . وعادوا الى ذواتهم . يشتملون الوجع اعظم تاثيراً . والخوف جزيلاً . عند افتكارهم قايلين . ترى من كان الحاضرون عندنا في حين اغتياظنا * لانهم كانوا نظير المصروعين . يستجهلون المجتاز بن بهم * لكنهم اذا استفاقوا . حينيذ يفتكرون هذه الافكار * اترى الذين ابصرونا اصدقانا كانوا ; اوهل محاربين معادين لنا كانوا ; لانهم يرتاعون ويخجلون من كلام الفريقين خجلاً متساوياً * فيخجلون من احبايهم . من جهة انهم يلومونهم * ويجعلون تخجيلهم وخزيهم اعظم مضضاً * ويخجلون من اعدايهم . من طريق انهم يشمتون بهم * وان كانوا حين صادم بعضهم بعضاً . قد اسرفوا في الضرب والتهشيم . فخيفتهم تكون اصعب واشد جداً * كقولك ان لا يكون يعرض للمضروب عارض من العوارض الاصعب من غيرها * اما ان يتبع ضربة حمى تورد له موتاً * واما ان يتولد له من ذلك ورم يعسر برؤه * وينتهي به الى خطر اشد الاخطار * ويقولون ما الذي احوجني الى هذه المنازعة; ما الذي استمالني الى الشتايم والخصومة ; قد هلك لي كذا وكذا * وكلهم يلعنون الشيطان لموقعنا * وجميع الذين سببوا لهذه الافعال الميتة ابتداها * والذين هم اعدم قياساً من غيرهم . يجعلون سبب تلك الحوادث ساعة ردية * الا ان تلك الافعال ليست هي افعال ساعة ردية * لان ما يوجد في وقت من الاوقات ساعة ردية * ولا تلك الافعال منسوبة الى شيطان خبيث فقط * لكنها افعال المقتنصين بها * لان اوليك يستجذبون الشياطين اليهم * ويجتلبون الشدايد كلها الى ذواتهم * ولعل قايلاً يقول . الا ان قلبي يتورم * وتعضه المسبات وتلدغه * فاجيبه . وانا اعرف ذلك * لانني لهذا السبب استعجب الذين يضبطون هذا الوحش الصعب * مع اننا اذا شينا . فممكن لنا ان ندفع هذا الداء * وانا استخبرك . لم اذا شتمونا الروسا ليس يوثر فينا هذا تاثير الغضب; فانا اجاوب نايباً عنك * لان داء غيظنا وقفه خوف عديل له * اذا راعنا ولم يسمح ان يفرع فينا من غضبنا ولا ابتداوه * ولم يحتمل عبيدنا منا بصمت كل الشتايم الجزيل عددها التي نشتمهم بها ; وانا ايضاً اجيب عن ذلك * لانهم مالكون هذا الرباط بعينه موضوعاً عليهم * فلا تتفطن انت في الخوف من الله فقط . لكن تفطن انت مع ذلك موقناً . ان الاله الذي امرك ان تصمت اذا شتمت . هو الذي شتمك حينيذ * فتحتمل باوفر الوداعة جميع ما يجري عليك * وقل للمتوثب عليك . ما الذي ينالني منك ; غيرك قد

ضبط يميني ولساني * فتكون هذه الكلمة لك . ولذلك . موضوعاً للفلسفة * فنحن الان طالما احتملنا لاجل الناس مكاره يمتنع احتمالها * وقلنا للذين يسبونا ويهينونا . فلان هو الذي شتمني * وما شتمتني انت * يعني الذي احتملناه لاجله * فمن اجل الله . أما نحتمل هذا التورع والاحتمال ; واي عفو يكون لنا ; فسبيلنا ان نقول لانفسنا . الهنا الان يشتمنا . وهو الضابط ايدينا * فلا نرتكض . ولا يكون الهنا عندنا انقص كرامة من الناس * ولعلكم قد ارتعتم لهذا الكلام * الا اني انا اريد ان اريكم ليس بالالفاظ فقط . لكني اريدكم ان ترتعدوا بالفعل * لان الهنا قد امرنا . اذا لطمنا ان لا نحتمل فقط . لكنه قد اوعز مع ذلك الينا . ان نبذل ذواتنا . لنتكبد عارضاً اشد من ذلك * ونحن نخالفه مخالفة يبلغ تقدير شدتها . الا اننا لسنا ما نبذل ذواتنا فقط . لمقاساة ما يكون مكروهاً * لكننا مع ذلك ننتقم ممن يوذينا * وربما اثرنا ان نروس علي ايدي ظالمة * ونتوهم اننا ننقص منزلتنا . اذا لم نعمل بها اعمال الغضوبين باعيانها * لان هذا هو العارض المستصعب . اننا نظن اذا انهزمنا انهزاماً في اقصى غايته . وحصلنا طريحين اسفل * مقتبلين من ابليس المحتال جراحات جزيلاً عددها * ونتوهم اننا قد قهرناه وضبطناه * فلهذا السبب اتوسل اليكم . ان نتعلم ما هي سجية هذا القهر * ونستعمل نوع هذه السجية بعينها * لان مقاساتنا اشد المكروه . هذا هو تكللنا باكليل الظفر * فان شينا نحن ايضاً ان يذيع الله ذكرنا . فلا نحفظ شريعة الجهادات الواردة من خارج * لكن ينبغي لنا ان نحفظ للشريعة التي اعطاناها الهنا في هذه المصارعات * وان نحتمل الحوادث والعوارض كلها بتمهل وطول اناة * فاننا على هذه الجهة نقهر الذين يصارعونا * حتي نحصل الخيرات التي ههنا . والنعم الصالحة التي وعدنا بها هناك * بنعمة ربنا يسوع المسيح ونعطفه * الذي به ومعه لابيه والروح القدس . المجد والعز والاكرام * الان ودايماً * والى اباد الدهور امين *

المقالة الخامسة

* في قوله (٣) البرايا كلها به تكونت *

ان موسى النبي لما ابتداء في الشريعة العتيقة بوصفها وتصنيفها . وبمفاوضته ايانا بوصف البرايا المحسوسة . وجعل يعددها باصناف كثيرة . لانه قال « في الابتدا ابدع الله السماء والارض * » استثنى بعد ذلك بان قال . بان تكون نور . وسماء ثانية . وطبايع نجوم . واجناس من الحيوان مختلفة اصنافها . والبرايا الاخرى كلها * حتى لا يتجاوز الحد في وصف

صنف صنف منها فتنحرف الى خارج الاعتدال * واما هذا الفهير فضم هذه الاقوال كلها ·
واحتوى بلفظة واحدة · على تلك البرايا كلها · وعلى البرايا الاعلى فوقاً منها * وذلك على
جهة الواجب جداً · من طريق انها معروفة عند الذين قد سمعوها · وللمسارعة الى موضوع اعظم
جلالاً · وثباته في تصنيفه كله * ليس من شانه ان يخاطبنا في وصف اعمال الباري · لكنه يخاطبنا في
وصف مبدع البرايا كلها ومستخرجها * فلهذا السبب اما موسى فعلى انه اشتمل بوصفه على
القسم الادنى من الخليقة * لانه ما يخاطبنا في ابداع القوات الملايكية العديمة ان تكون ملحوظة ·
ثبت في اوصافه هذه * واما هذا الفاضل · فلاسراعه ان يصعد الى الخالق بعينه · تجاوز عن
هذه الاقوال كلها · باشتماله على هذه البرايا · وعلى تلك المصموت عنها عند موسى * بقول واحد
يسير * وهو ان «البرايا كلها به تكونت *» ولكيلا نتوهم ان قوله البرايا كلها انه انما يذكر
تلك البرايا فقط · التي وصفت بلسان موسى · استثنى بقوله · «وخلواً منه ما تكون ولا شي
واحد قد صار *» ومعنى هذا هو ان البرايا المكونة · ان كان منها شي ملحوظ · وان كان منها
شي معقول · فما استخرج منها شخص الى وجوده خلواً من قدرة الابن الازلي * لان ليس
ينبغي لنا ان نضع النقطة التامة · بعد قوله ولا شي واحد * على راي المبدعين في الدين بدع
هواهم * لان اوليك لايثارهم ان يقولوا ان الروح القدس مخلوق · قالوا «قد صار · فيه كانت
الحياة *» لكن على معناهم هذا · يصير ما نقوله مسلوباً ان يكون مفهوماً * فاولاً انه ما كان
في هذا الموضع وقت لذكر الروح * وان كان قد ارتأى ذكره · فلم وضعه على هذا النحو وضعاً
قد فقد بيانه ; ومن اين يستبين ان هذا القول قد قيل في وصف الروح ; ولمعنى غير ذلك ·
اننا نجد على معنى هذا القول · ان ليس الروح القدس · لكن الابن بعينه نصادفه متكوناً
بذاته * لكن انهضوا الى الاصغا · حتى لا يفوتكم ما نقوله * وهات الان نقراه هذا اللفظ على
راي اوليك المخالفين · فستكون شناعة رايهم على هذا النحو اين وضوحاً عندنا * ونقول · «قد
صار · فيه كانت الحياة ·» فقد قالوا ان الروح يقال له حياة * الا ان هذه الحياة توجد نوراً *
لان البشير قد استثنى بان قال · «والحياة كانت النور للناس *» فالنور اذاً على رايهم
للناس يدعى ههنا الروح * فما قولهم اذ استثنى البشير ان انساناً صار مرسلاً من الله حتى يشهد
للنور ; فيلزمهم اضطراراً ان يقولوا ان هذا القول انما قيل في وصف الروح * لان الذي سماه
البشير في اطلا قوله كلمة · هذا اذ امعن في كلامه يسميه الهاً وحياةً ونوراً * لانه قال ان هذا
الكلمة * قد كان حياة * وهذه الحياة قد كانت نوراً * فان كان الكلمة اذاً الحياة وهذا الكلمة
والحياة قد صار لحماً · فالحياة قد صارت لحماً · يعني بقوله الكلمة والحياة * قوله «ورأينا مجده
كوحيد من ابيه *» فان قالوا اذاً ان الروح ههنا يدعى الحيوة · فانظر كم شناعات تتبع قولهم *

لان الروح على زعمهم يكون متجسداً ذاته . وليس الابن الذي تجسد . ويكون الروح ابناً وحيداً * فان لم يكن هذا القول قولهم . فاذا هربوا من هذا الكفر . فسيسقطون الى كفرٍ اشنع منه. اذا قراءوا هذا القول هذه القراءة * لانهم ان اقروا كما نقرّ نحن . وقراءوا هذا القول كما نقراءه نحن ولم ينقضوا بعد قوله. ولا شيئاً واحداً واعترفوا ان هذا القول انما قيل في وصف الابن . فسيجدون الابن بعينه كايناً من ذاته * لان ان كان الكلمة الحياة . « والذي صار * فيه كانت الحيوة . » فهو في ذاته . وقد كان بذاته . على معنى هذه القراءة * ثم اذا ذكر في الوسط فلاناً . استثنى . بان قال : « وعاينا مجدة مجداً كوحيدٍ من ابيه *» فهنا الروح القدس يوجد ابناً وحيداً * على معنى قراءة القايلين هذه الاقوال * لان هذا الوصف كله انما قيل عنده في نعت الابن * ارايتم ان الكلام اذا تدحرج من الصدق الى اين ينحرف ; وكم شناعات تتولّد منه ; ولعلّ احدكم يقول . فما رايك ; انما يوجد الروح نوراً ; فاجيبه . قد يوجد نوراً * الا ان الكلام ما قيل ههنا في وصف الروح * اذ ان الله قد يدعى روحاً * ومعنى هذا هو انه عديم ان يكون جسماً * ولكن ليس في كل مكانٍ يذكر الروح يدل بلازم الضرورة على الله * وما استعجابك ان كنا نقول هذا القول في وصف الاب ; لاننا ما نقول هذا القول ولا في نعت المعزي * كقولك ايما يكون الروح . فهو دليل بلازم الضرورة على المعزي * على ان هذا الاسم هو معروف به ابين التعريف * لكن ليس يلزم على كل حالٍ ايما يكون روح ان يوجد المعزي * لان المسيح قدرة الله وحكمة الله يدعى . ولكن ليس يلزم على كل حال . ايما يكون قدرة الله وحكمته . ان يوجد ابنه الازلي * فعلى هذا المثال يكون المعنى ههنا * وان كان الروح يضي * لكن البشير الان ما قال هذا القول في وصف الروح * الا اننا اذا حجزناهم عن هذه الشناعات . يحرصون في كل مكان ان يتصبوا ثايرين على الحق . فيقولون اذا تشبثوا ايضاً بقراءتهم بعينها . ان الذي صار فيه . كانت الحياة * فهل ان تكون شي يكون حياة ; فنجيبهم * افهل افات اهل سادوم . والطوفان . وجهنم . وما ماثل هذه الحوادث الجزيل عددها تكون حياة ; ويوشك ان يقولوا ان الكلام عندنا في الابداع * فنقول لهم . فتلك الحوادث تستبين كثيراً انها من الابداع * ولكن لكي نطعن على كلامهم طعناً كثيراً زايداً . نقول لاحدهم . قل لي . هل العود عندك حياة ; والحجر حياة ; هذان الصنفان الخاليان من نفسٍ وحركةٍ * فهل الانسان بجملة وصفه حياة ; ومن يقول هذا القول ; لان الانسان ليس هو حياة من ذاته . لكنه قابل الحياة * وانظر ايضاً الى الشناعة ههنا * لان على هذا الساق بعينه . نسوق الكلام في هذه الجهة * وتامل لي غباوتهم في هذه الجهة * لانهم يقولون ليس صنف من هذه الاصناف . ملايماً على هذه الجهة للروح البتة * لانهم اذا سقطوا من تلك الجهة . يطيفون بالناس الظنون التي توهموها قد قيلت اهلاً للروح * ولكن سبيلنا ان نبحث عن

قراءتهم بعينها على هذا النحو . أتدعى الان الخليقة حياة ; فهى اذاً نور * ويوحنا انما جاء ليشهد لها * فلمَ لا يكون اذاً هو نور ; لان البشير قد قال . ما كان ذاك النور * على ان يوحنا من الخليقة كان * فكيف اذاً ليس هو نوراً ; وكيف كان فى العالم . والعالم بهِ تكوّن ; أ فالخليقة كانت في الخليقة ; والخليقة تكوّنت بخليقة ; والعالم فما عرفهُ ; أ فالخليقة ما عرفت الخليقة ; «وجميع الذين اقتبلوه . اعطاهم سلطاناً ان يصيروا ابناء الله *» فما يتكلم بهِ مناسب للضحك * لانني افسح لكم فيما بعد . ان تتميزوا عن كذب هذه الاقوال . حتى لا تظنـوا انتم هذا الظن بنا . انا قد تقدمنا فتكلمنا بهذا الكلام المضحك على بسيط ذات الظن . ونفنى الوقت باطلاً * لان هذه الاقوال ان كان ما قيلت فى وصف الروح . كما انها ما قيلت فيه . على حسب البرهان الدليل على ذلك * ولا قيلت في وصف خليقة *فاذا استصحبوا ايضاً قراءتهم بعينها . سيتبعهم ذاك الراى الذى هو اشنع الاراء كلها . الذى قد ذكرناه فيما سلف * وهو تكوّن الابن بذاته * لان الابن ان كان هو النور الصادق . وهذا النور فقد كان حياة . والحيوة قد تكونت فيه * فالضرورة كلها تضطر الى الانقياد الى هذا الراى . على حسب قراءة اوليك * فلهذا السبب نهمل هذه القراءة . ونجي الى القراءة المشترعة والوصف الصحيح * وان سالت . وما هى هذه القراءة ; اجبتك . هى ان نزيح قولنا قد تكون وصار . ثم نبتدى فى اللفظة التي تتلوه القايلة . «فيهِ كانت الحياة *» لان معنى ما نقولهُ هذا هو . ان خلواً منهُ ما تكـون ولا شىء واحد قد تكوّن * قال ان كان قد تكوّن شىء من الاشيا المكوّنة . فما تكوّن خلواً منهُ * أرايت كيف بهذه الزيادة اليسيرة . يتلافا ساير الشناعات المانعة ; لان استثناءهُ بقولهِ «خلواً منهُ ما تكوّن ولا شىء واحد *» واضافته الى ذلك قد تكوّن . احتوى بذلك على البرايا المعقولة * وافصل الروح منها * لانهُ لما قال «كافة البرايا بهِ تكوّنت . وخلواً منهُ ما تكـون ولا شىء واحد *» فلكيلا يقول قايل . فاذا البرايا كلها بهِ تكوّنت . فالروح ايضاً قد تكـون بهِ * احتيج الى هذه الزيادة * لانهُ قال . انا قلت ان كان قد يوجد شىء مكوّن . فذاك الشى بهِ كُون * ان كان غير ملحوظ . ان كان غير ذى جسم . ان كان في السموات * فلهذا المعنى ما قلت كافة البرايا على بسيط ذات القول . لكني قلت ان كان قد تكون شي * ومعنى ذلك هو اى الاشيا المكونة * واما الروح فليس مكوّناً * أعرفت تعليمة البليغ استقصاوه ; اذكر بابداع البرايا المحسوسة * لان موسى قد سبق فعرّف بها * ثم لما انحسمت من هناك * اقتادك الى البرايا الاعلى منها * اعنى البرايا الخالية من اجسام الغير الملحوظة * وافصل الروح القدس من الخليقة كلها * على هذا النحو * لما استمدّ بولس من هذه النعمة بنفسهِ . قال «ان البرايا كلهـا بهِ خلقت * (كولوصايس ص ١ ع ١٦) وانظر ههنا ايضاً الى المبالغة في الاستقصاء * لان هـذا الروح بعينهِ

حرك هذه النفس * لان حتى لا يفصل فاصل شياً من الاشيا المكوّنة من ابداع الله . لاجل ان هذه البرايا المحسوسة معروفة عند كل الناس * سارع واحصى البرايا التى فى السماوات * قايلاً . « ان قلت الكراسى * ان ذكرت الربوبيات * ان قلت الرياسات * ان ذكرت السلطات * (كولوصايس ص ١ ع ١٦ *) لان حرف ان قلت * الموضوع فى واحدة واحدة من رتب الملكة . ليس يظهر لنا معنى اخر . الا هذا المعنى الذى ذكره يوحنا * وهو قوله « كافة البرايا به تكوّنت * وخلواً منه ما تكوّن ولا شيء واحد قد تكون * » . فان توهمت ان حرف به يوجد حرف تنقيص لرتبته . فاسمع قوله « انت يارب في المبادى اسست الارض * والسموات اعمال يديك هى (مزمور ١٠١ ع ٢٥ *) فما قيل في وصف الاب على انه خالق . هو يقال في وصف ابنه * فما كان قال هذا القول . لو لم تكن حالة حال خالق * لكنه ما قد امتلك شرفة شرف خادم لغيره * ولين كان حرف به يقال ههنا * فلم يوضع لاجل معنى اخر . الا لكيلا يتوهم متوهم ان الابن عديم ان يكون مولوداً * اذ كان الدليل على انه في رتبة الابداع ليس يحوى فعلاً ادني من ابيه . يتجه لنا ان نسمعه منه . القايل « كما ان الاب ينهض الاموات ويحييهم . فكذلك الابن يحيى الذين يشا ان يحييهم * » فان كان فى وصف الابن قيل فى العهد العتيق . « انت يارب في المبادى اسست الارض » * فمرتبة ابداعه بينة * فان قلت ان النبي انما قال هذا القول فى وصف الاب * وبولس الرسول فينسب الى الابن ما قيل فى وصف ابيه * فعلى هذه الجهة يكون هذا المعنى بعينه ايضاً * لان ما كان بولس الرسول اشترع ان هذا المعنى لايق بالابن . لولم يوقن ايقاناً بليغاً * لان افعالة المرتبة لم تزل متساوية * لان اصداره افعالاً لايقة بطبيعة تفوق القياس . الى طبيعة ادنى من تلك وانقص * قد كان يكون من جراة واصلة الى غايتها * الا ان الابن الازلى ليس هو ادنىّ ولا انقص من جوهر ابيه * ولهذا السبب ما وثق بولس ان يقول في وصفه هذه الاقوال فقط . لكنه قد قال معها اقوالاً غيرها تماثلها * لان حرف منه الذى محلة محل مرتبة ومنزلة تنسب الى الاب وحده * قد ذكره فى وصف ابنه * اذ قال هذا القول . « الذى منه يستمد الجسم كله بالات لمسه ورباطاته عطية نشوه وتدريجه . فينمى . الى نما الله (كولوصايس ص ٢ ع ١٩) وليس يكتفى بهذا القول وحده . لكنه يسد افواهكم فيكم انتم القايلين . ان حرف به هذا المنسوب الى الاب . محلة عندكم محل تنقيص الابن * اذ قال « صادق الهنا الذى به دعيتم الى شركة ابنه (قرنتية ١ ص ١ ع ٩) وقال ايضاً . « بمشيئته * » وقال فى موضع اخر . « ان البرايا كلها منه وبه واليه (رومية ص ١١ ع ٣٠) وليس ينسب لفظة منه الى الابن وحده . ولكنه ينسبها ايضاً الى الروح لان الملاك قد قال ليوسف . « لاتخف ان تتسلم مريم امراتك . لان المولود منها من الروح القدس هو (متى ص ١ ع ٢٠) وكما

ان لفظة منه الموجودة للروح القدس . كذلك ما يستنكف النبي ان ينسبها الى الله * عندما قال هذا القول . « بالله نصنع القوة » (مزمور ٥٩ ع ١٣) وبولس الرسول عندما تضرع قال . « لعل يتيسر لي في وقت من الاوقات ان اجي اليكم بمشية الله (رومية ص ١ ع ١٠) ويضع هذا الوضع ايضاً في ذكر المسيح . قايلاً « بالمسيح يسوع » ونحن نجد دفعات شتى هذه الالفاظ منقولة نقلاً ادوم اتصالاً * فهذه الالفاظ ما كان يعرض لها ذلك . لو لم تكن في كل مكان مقولة على جوهر واحد بعينه موضوع لها * وحتى لا نتوهم ان قوله « الاشيا كلها به تكونت » انما قيل في وصف اياته * لان باقي المبشرين قد تكلموا في وصف اياته * استثنى بقوله بعد ذلك . « في العالم كان . والعالم به كون » الا ان الروح ما تكون به * لان الروح ليس هو من البرايا المكونة . لكنه يفوق على البرايا كلها * لكننا مع ذلك نتشبث بما يتلو ذلك * لان يوحنا اذ تكلم في وصف ابداعه . كقوله « البرايا كلها به تكونت . وخلواً منه ما تكون ولا شي واحد قد تكون . » اورد الكلام في وصف عنايته وسياسته * عند ما قال « فيه كانت الحياة » لان حتى لا ينكر منكر فيقول . كيف تكونت به هذه البرايا الجزيل تقديرها المفرط عظمها : استثنى بقوله . ان « فيه كانت الحياة » وكما ان العين المولدة لجميعها . كلما اغترفت منها لم تنقص العين نقصاً * فكذلك الحال في فعل الوحيد . كلما امنت وصدقت . ما استخرج وصنع بفعل ابن الله الوحيد . فما قد تكون له نقص * ولكي استعمل تمثيلاً اخص من هذا واكثر وضوحاً اقول . كمثل النور الذي لستثني به في الحين البشير بقوله . « والحياة كانت النور للناس » وكما ان النور كلما انار ربوات . فليس ينقص في اشراقه نقصاً * فكذلك الله قبل ابداعه وبعد افتعاله . حالة حال واحدة بالسوا . ثابت مديم ان يكون ناقصاً . لا ينقص شياً . ولا يضعف من تلقا ابداعه الكثير * لكنه لو احتاج ان يكون عوالم ربوات عددها . هذا المثال مثالها . قد عدمت ان تكون مجبورة في احصايها . يلبث هو بعينه كافياً لها * ليس كافياً لاستخراجها فقط . لكنه يلبث كافياً لضبطها وتمكينها بعد ابداعه اياها * وذلك ان اسم الحياة ههنا . ليس هو مناسباً للابداع فقط . لكنه مناسب لعنايته المعتنية ببقاينا . قد تقدم فاورد لنا الكلام في قيامتنا * وابتدا بهذه البشارات العجيبة * لان الحياة لما جاءت الينا . حللت عن الموت واقتداره * واذ اشرق النور لنا . ليس يوجد الظلام ايضاً * لكن الخاصة المحيية تبقى فينا كل حين دايماً * وليس يقتدر الموت ان يقهرها * فمن هذه الجهة ما قيل في وصف ابيه . قد قيل بتحقيق في وصفه هو * « اننا فيه نحيي . ونتحرك . ونوجد » (ابركسيس ص ١٧ ع ١٨) وهذا المعنى اذ اوضحه بولس الرسول قال . ان « البرايا كلها فيه خلقت (كولوصايس ص ١ ع ١٦) والاشيا فيه فقد ثبتت * ولهذا السبب يدعى اصلها واساسها * فاذا سمعت ان « فيه كانت الحياة » فلا تظنه

مركباً * لانه اذا امعن في القول يقول في وصف ابيه . ‹‹ كما ان الاب يمتلك حياة في ذاته *
فكذلك قد اعطى الابن ان يمتلك حياة في ذاته * ›› لكن كما انك ما تقول من اجل هذا القول
ان الاب مركب * فكذلك لا تقولن لاجل هذا القول ان الابن مركب * لانه قد قال في
موضع اخر . ‹‹ ان الله هو نور * ›› وقد ذكر في موضع اخر . ‹‹ انه ساكن في نور يحتجز الدنو
منه * ›› فهذه الاقوال كلها قيلت . ليس حتى نظن ان فيه تركيباً * لكنها قيلت حتى تنقاد قليلاً
قليلاً الى علو الاراء والاعتقادات * والا فما كان يتيسر ان يفهم واحد من الناس الكثيرين . كيف
توجد حياة الابن حاصلة في قنومه * ففي الاول قال ذاك القول الاوفر تواضعاً * ثم اذا تأدبوا
يقتادهم الى القول الاعلى محلاً * لان الذي قال انه ‹‹ اعطاه ان يمتلك حياة في ذاته . ›› هو قال
ايضاً ‹‹ انا هو الحياة * ›› وقال ايضاً . ‹‹ انا هو النور * ›› فقل لي . مثل ما هو هذا النور : وانا
اجيبك ليس هو بهذه الصورة محسوساً * لكنه نور معقول ينير نفسنا بعينها * لان اذ كان المسيح
يزمع ان يقول . ‹‹ ليس يقتدر احد الناس ان يجيء الي . ان لم يجتذبه ابي (يوحنا ص٦ ع ٤٤) *
لهذا السبب تقدم البشير فقال ههنا . ان هذا هو ‹‹ الذي يضيء * ›› حتى اذا سمعت قولاً مثل
هذا في وصف الاب . لا تقول ان ذاك القول مناسب للاب وحده * لكن توقن انه مناسب الابن
ايضاً * لانه قد قال ‹‹ جميع ما لابي . فهو لي (يوحنا ص ١٦ ع ١٥) فاولاً علمنا القول في وصف
ابداعه البرايا . وبعد ذلك يقول لنا المحامد الصالحة التي في نفسنا . التي لما جاء منحناها *
وبلفظة واحدة اغمض البشير ايضاحها . واشار اليها بقوله . ‹‹ والحياة كانت النور للناس * ›› وما
قال والحياة كانت النور لليهود * لكنه قال والحياة كانت النور لجماعة الناس * لان ليس اليهود
وحدهم . لكن والاوثانيون معهم . جاءوا الي الى هذه المعرفة بعينها * وهذا النور وضع مشاعاً للكل *
وان سالت ولاي سبب ما اضاف الملايكة الى الناس . لكنه قال الحياة كانت للناس : فنقول
لان الكلام يوجد الان عنده في وصف هذه الطبيعة * ولهم جاء مبشراً بالحظوظ الصالحة * (٥)
‹‹ والنور في الظلام ظهر * ›› يعني بالظلام . الموت والضلالة * لان هذا النور المحسوس ليس
يظهر في الظلام * لكن هذا النور منفصل من ذلك * والانذار بربنا اشرق في وسط الضلالة عند
استظهارها فغيبها * ولما صار هو في الموت . قهر الموت هذا القهر الذي بلغ فيه . الى ان اصعد من
هنالك الذين كان قد سبق فضبطهم * فاذاً ما قهره الموت ولا الضلالة * لكنه وجد في كل مكان بهياً
لامعاً بقدرته * لذلك قال البشير ‹‹ والظلام ما ادركه * ›› لانه هو عديم ان يوجد مقهوراً *
وليس يجب ان يسكن في النفوس التي ما تشا ان تستنير *

العظــة الخامسة

في ان الخطية ظلمةٌ هي * وان العقوبة ليس لها نهاية

فان كان ما اختار كل الناس . فلا يرجفننك هذا * فانه ليس ينقاد الينا بالزام وغصب * لكنه يُستمد بارادتنا وبعزمنا * فلا تغلقنّ ابوابك لدى هذا النور * فتستمتع بالتنعم الكثير به * فهذا النور انما يجي بالامانة * واذا حضر فمن شانه ان ينير من يقتبله . انارةً واسعة جزيلة * واذا خولته عيشة نقية . يلبث قاطناً في باطنك دايماً * لانه قال . « من يحبني يحفظ وصاياي * وساوافي انا وابي الى عنده * ونجعل منزلنا عنده (يوحنا ص ١٤ ع ٢٣ *) وكما ان شعاع الشمس * لم يمكن ان يستمتع به على ما يجب . من ليس يفتح عينيه * فكذلك لن يساهم لمعان هذا النور مساهمة واسعة . من ليس يفتح ناظر نفسه جداً * ويجعله حادّ البصر من كافة جهاته * وان استخبرت كيف يكون ذلك ; اجبتك . اذا نقينا نفسنا من ادواء الهوى كلها * وذلك ان الخطيــة هي ظلمة * وظلام دامس غمقة * وذلك واضح من افتعالها مستورة بابلغ الاستتار * والحــذر من ان يعرفها عارف * « لان كل من يعمل اعمالاً ردية يمقت النور * وليس يجي الى النــور (يوحنــا ص ٣ ع ٢٠) وما يتكوّن مستوراً . فمستقبح ان يوصف ويُذكر * وكمــا ان في الظــلام . ليس يعرف عارف صديقه * ولا عدوه . لكنه يجهل من الاشيا طبايعها كلها * فكذلك في الخطية ليس يعرف احدنا شياً * وبيان ذلك ان المريد ان يستكثر في القنية . ليس يفصل صديقه من محــاربه * والحسود ينظر الى المختص به كثيراً بصورة عدوه * والمغتال يحارب جميع اهل بلدته بالســواء * وكل من يعمل الخطية فهو على بسيط ذات تمثيله * لا فرق بينه وبين السكارى والمجــانين * من طريق انه ليس يعرف طبيعة الاشيا * فكما اننا في الظلمة نبصر الخشب والحديد والرصاص والفضة والذهب والجوهر النفيس على مثال واحد كلها * اذ ليس الضو الذي يميزها حاضراً * فكذلك من قد امتلك عيشة بخسة . ما قد عرف فضيلة العفة * ولا حسن الفلسفة * لان الجواهر النفيسة على ما تقدمتُ وقلتُ . اذا كانت طريحة في الظلام . ليس من شانها ان يظهر حسنها * وليس ذلك من تلقاء طبيعتها * لكنه من تلقا جهل الناظرين اليها * وليس يعرض هذا العارض الصعب وحده لنــا نحن المتسكعــين في الخطايا * لكننا يعرض لنا مع ذلك ان نعيش في خوف راتب دايم * وكما ان الذين يمشون في ليل دامس خالٍ من قمر . يرتعدون ويرتاعون * وان كان ليس يحضــرهم احد يريعـهــم * فكذلك الذين يعملون الخطية . ليس يتجه لهم ان يطمانوا . وان لم يحضر لهم احد يوبخهم * لكنهم يرتاعون من الاشيا كلها . ويتوهمون كافة الاوهام * وفطنتهم تلدعهم * واحوالهم كلها مملوة

عندهم خوفاً واجهاداً . يحاولون الحاظهم الى كل ما يتحرك حولهم . ويخافون كافة ما يدهمهم * فسبيانا ان نهرب من الحياة المولة بهذه الصفة * لان بعد هذا الوجع يعتقبهم موتهم * وهو موت قد عدم ان يموت * لان العقوبة هناك لن توجد لها نهاية * والذين يجولون في منام الاحلام التي ليست ثابتة هنا . فلا فرق بينهم وبين المصروعين * لانهم يظنون انهم ايسروا . وليسوا موسرين * ويتوهمون . انهم يتنعمون . وليسوا متنعمين * وما يشعرون اولاً بهذه الخدعة على واجب الاحساس بها . الى ان يتخلصوا من الجنون بها . والى ان يتيقظوا من نومهم * ولهذا السبب يوعز بولس الى ساير المومنين ان يستفيقوا ويتيقظوا * وربنا يقول لنا هذه الاقوال باعيانها * ولعمرى ان من يكون مستفيقاً منتبهاً . ولو اقتنصته خطية بخصة ان يدفعها عنه بمسارعة * ومن يكون نايماً ساهياً . فليس يحس كيف انضبط بالخطية . فلا نرقدن * فليس زماننا مناسب الليل . لكنه مناسب للنهار * فينبغي ان نتصرف فيه احسن تصرف . كمتصرفين فى النهار * لان ليس عارض اقبح من الخطية * وذلك ان تصرفنا عراة . في موضع للشهوة والفضيحة عارض ادنى ضرراً . من تصرفنا خطاة مذنبين * لان ذلك التعرى * ليس هو زللاً جزيلاً تقديره * وطال ما تكون من الفقراء * وليس يكون اقبح شهرة من المخطيين . ولا اكثر هواناً * وينبغى ان نتفطن فى الذين يساقون الى مجالس القضا . بسبب اختلاسهم ما ليس لهم واستغنامهم . كيف يستبينون مضحوكاً عليهم مستقبحاً فعلهم * متوقحين في كافة حججهم * كذابين فاقدين الخجل * ونحن بهذه الصورة اشقيا نستحق ان يرثى لنا * من طريق اننا ما نبصر ان نلبس ثوبنا مقلوباً على يسيط ذات لبسنا اياه * لكننا اذا ابصرنا رفيقنا قد عرض له . نصلحه ونتلافا غلطه * ونحن كلنا ورفقاونا نمشى منكبين علي روسنا . وما نحس بذلك * ولا نشعر به * لان قل لى ما الذى يكون اقبح من رجل يدخل الى عند امراة زانية ; ما الذى يكون احق من الشاتم والحاسد ان يضحك عليهما ; فان استخبرت من اية جهة ما تظن هذه الافعال الموجودة بهذه الصفة مستقبحة منكرة ; ولا تستقبح مثل ما يستقبح لنا ان نمشى عراة مجردين ; اجبتك . ذلك من زوال حسنا وحده * لان هذا التعرى ما عرض ولا فى وقت من الاوقات ان يفعله احدنا طايعاً * وذلك الخطاء يجترى عليه كلنا بطلاقة عزم دائماً * ولو دخل داخل بمنكره الى جماعة مليكية . ما صار عندهم فى وقت من الاوقات مثل ذلك المنكر . يعرف حينيذ تضاحكهم الجزيل عليه * وما معنى قولى لو دخل الى جماعة مليكية ; لان فى قصور الملوك هذه التى عندنا . ان احضر محضر زانية . او ان قبض عليه وقد سكر من الخمر . او ان اشتهر باحد الافعال المنكرة . فسيقابل بعقوبة فى غايتها * فان كان فى قصور الملوك ما يستجاز التجاسر علي هذه الافعال وامثالها . فاليق بنا واوجب اذا تجاسرنا على هذه الافعال ونظايرها لدى ملكنا الحاضر فى كل مكان * الناظر الى الافعال الكاينة منا * ان نعاقب

عقوبة واصلة الى غايتها * فلذلك اتوسل اليكم . ان نظهر في عيشتنا هدواً كثيراً . واصطلاحاً جزيلاً * لاننا قد حوينا ملكاً ناظراً الى افعالنا كلها كل حين دايماً * حتى ينيرنا هذا النور ابداً انارةً واسعة * ونستجذب شعاعهُ الينا * فاننا على هذه الجهة * نستمتع بالخيرات التي ههنا وبالحظوظ الصالحة المامولة * بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه * الذي بهِ ومعهُ لابيهِ المجد مع الروح القدس * الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة السادسة

* في قولهِ (٦) صار انسان مرسل من الله اسمهُ يوحنا *

لما خاطبنا البشير في مبادى كلامهِ بالاقوال . التي استحقتهُ الى وصف الاله الكلمة . سلك في طريق وصفهِ وترتيبهِ * وجاء الى النذير بالكلمة يوحنا سميهِ * فاذا سمعت انت انهُ مرسل من الله . فلا تظن ان لفظة من الالفاظ توجد انسانية * لانهُ ليس يتكلم اقوالهُ . لكنهُ انما يتكلم اقوال مرسلهِ * ولهذا المعنى سُمّي ملاكاً * وفضيلة الملاك ان لا يقول قولاً يخصهُ * ولفظة صار في هذا الموضع . ليست دالة على بروزهِ الى وجودهِ * لكنها لفظة دالة على ارسالهِ * لان قولهُ " صار مرسل من الله * " بدل من قولهِ ارسل من الله * فكيف قال قايل " اذ لم يزل بصورة الله * " ما قيل في وصف زوال مباينتهِ والدهُ . لاجل انهُ لم يضع الحاشية التي هي الالف واللام في اسم الله ; لان ها يوحنا لم يضع الحاشية في قولهِ مرسل من الهٍ * اتراهُ لم يقل هذا القول في وصف الاب ; فما الذي تقولهُ للنبي القايل . " هنذا مرسل ملاكي امام وجهك الذي يصلح طريقك * " لان حرف الياء في ملاكي . والكاف في وجهك . يدلان على وجهين * " هذا جاء للشهادة * ليشهد للنور * " ولعل قايلاً يقول . فما معنى هذا . افالعبد يشهد لسيدهِ ; نقول لهُ . فاذا رايتهُ ليس يشهد لهُ عبده فقط . لكن اذا ابصرتهُ مع ذلك جائياً الى عنده مصطبغاً منهُ مع اليهود . اتراك ما تتحير وتدهش اكثر ; ولكن ما سبيلك ان ترتجف ولا تقلق * لكن ينبغي ان تنذهل من خبريتهِ الفايقة الوصف * وان لبث احدنا متحيراً من ذلك مرتجفاً . سيقول لهُ هذا القول الذي قالهُ ليوحنا . " اترك الان هذا . فان لايقاً بنا هو ان نتمم على هذه الجهة كل عدلٍ * " وان ارتجف لذلك مرتجف كثيراً . فاقول لهُ ما قالهُ لليهود . " انني لست استمد الشهادة من انسان * " فان قلت . فان كان ليس يحتاج الى هذه الشهادة . فلم ارسل الله يوحنا . اقول لك . ما ارسل يوحنا لانهُ هو محتاج الى شهادته لهُ * لان هذا القول هو مناسب لتجديفٍ في اقصى غايتهِ * ويوحنا البشير يستثني بايضاح هذ المعنى . اذ قال " حتى تومنوا بهِ * " اى بانذارهِ بهِ * والمسيح بعينهِ

قد قال . « لست استمد الشهادة من انسان * » حتى لا يتوهم عند الذين قد زال فهمهم . انهُ مخالف لذاته . اذ قال احيانا . « آخرهو الذى يشهد لى * وانا عارف ان شهادتهُ هى صادقة * » يعنى بقوله هذا يوحنا * ولما قال احياناً . « لست استمد الشهادة من انسان * » استثنى بان قال حل هذا المعنى باسراع . بقوله « لكنني انما اقول هذه الاقوال لاجلكم * حتى تتخلصوا * » كانهُ قال البرهان على انني اله انا وابن خالص لله . ومن ذلك الجوهر السعيد الفاقد ان يكون ميتاً . لست احتاج الى شاهد واحد به * لان ان لم يوثر موثر ان يقول هذا القول . فلست انقص انا في طبيعتي لاجل ذلك نقصاً * واذ الاهتمام عندى انما هو بخلاص الكثيرين * لهذا السبب تحدرت الى هذا المقدار من التواضع . الذى ابلغ فيه الى ان افوض انسان الشهادة لى * لان بسبب ذل جموح اليهود الى الاوهام الارضية وضعفهم . اثر ان يكون التصديق به عندهم بهذه الصورة اسهل ادراكاً وايسر مراماً * وكما انهُ لبس جسمنا . حتى لا اذا صار منا بلاهوته عارياً يهلكنا كلنا * فكذلك ارسل انساناً نذيراً به . حتى اذا سمعوا صوتهُ الذى يناسبهم . يصغى اليه من يسمعهُ حينئذ اسهل اصغاء * والدليل على انهُ ما كان محتاجاً الى شهادة يوحنا . قد كان يكفيه لايضاح ذلك . ان يظهر بجوهر عرى ذاته . ويريع جميع الناظرين اليه ويفزعهم * الّا انهُ ما عمل هذا العمل * لاجل ما قدمت ذكره . انهُ كان قد اباد كل الناظرين اليه * اذ لم يستطع احدهم ان يحتمل ذلك الشعاع الممتنع الدنوّ منهُ . اللامع من نوره * لهذا المعنى ليس على ما قدمت ذكره جسمه * وفوض الى احد الذين يواخوننا في العبودية الشهادة لهُ * اذ كان انما عمل كل ما عملهُ مكتسباً للناس خلاصهم * ليس ناظراً الى مرتبته فقط . بل ناظراً الى ما يتيسر اقتبالهُ على سامعيه ويكون نافعاً لهم * وهذا المعنى فقد ذكره هو غامضاً فقال . « وهذه الاقوال اقولها لاجلكم . حتى تتخلصوا * » والبشير اذ تكلم فى سيدنا هذه الاقوال باعيانها . بعد ان قال « لكى يشهد للحق * » استثنى بقوله . « لكى يومن الناس كلهم به * » فقارب بقوله هذا المعنى * لا تظن ان يوحنا السابق جاء لهذا السبب شاهداً . حتى يزيد سيده قولاً موهلاً لتصديقه . فما جاء لهذا السبب . لكنهُ انما جاء لكى يصدق به الذين قبيلتهم قبيلتهُ وروذ سيده * والدليل على انهُ انما استثنى بهذا . لحرصه ان يتقدم فيبطل هذا التوهم . فذلك واضح مما قالهُ بعد ذلك * لانهُ استثنى فقال . « وذلك فما كان النور * » فان كان ما اسعاد هذا القول مبيناً ذلك الوهم . فقد ازاغ ما قالهُ عن الصواب على بسيط ذات اذاعته * وقد حصل لتعليمه تكريراً للفظ . اكثر مما حصل لهُ ايضاح للمعنى * لانك اذا قلت ايها البشير . ان يوحنا ارسل ليشهد للحق * فما معنى قولك ايضاً . وذاك فما كان النور : فما قال ذلك على بسيط ذات القول . ولا قولاً باطلاً * لكن اذ قد تحقق عندنا في اكثر الجهات . وعلى اكثر الحالات . ان الشاهد اعظم من المشهود لهُ * ونظن في اكثر

الاوقات انهٔ موهل للتصديق اكثر من المشهود له * فلكيلا يتوهم متوهم في بوحنا هذا التوهم . بطل البشير في الحين منذ مبادي قوله هذا التوهم الخبيث . واقتلعهُ من قرمته * وبين من هو هذا الشاهد . ومن هو ذاك المشهود له * وما هو الفرق بين الشاهد وبين المشهود له * وعمل هذا العمل . وبين سمو محله الفايت المقايسة * ثم بالغ بعد ذلك في شرح ما تبقى من الكلام بمهلة * وان كان في اوهام الزايل فهمهم شنعة من الشناعات مانعة . انتزعها بابلغ الاستقصاء واقتلع اثرها * وحصل في جميع المومنين كلام تعليمه على مساقه بايسر مرام خالياً من تعويق *

العظة السادسة

في انهٔ ليس يحصل لنا نفع من امتلاكنا اراءً متقومة في ديننا اذا كانت عيشتنا عيشةً ملتوية

فسبيلنا الان ان نبتهل ان يكون لنا مع انكشاف هذه المعاني لنا * ومع تقوم اراءنا في ديننا . عيشةً نقية ايضاً وسيرة بهية * اذ كان ليس يحصل لنا من هذه الاعتقادات نفع . اذا لم تكن الاعمال الصالحة حاضرة عندنا * لاننا ان امتلكنا الامانة كلها . وتفهم الكتب ومعرفتها . وكنا عراةً مقفرين من نجدة تحصل لنا من عيشتنا . فليس مانع يمنعنا من حشرنا الى نار جهنم * التي يحرقنا لهيبها المسلوب خمودها . احراقاً قد عدم ان يكون مخبوراً * وعلى نحو ما ان العاملين اعمالاً صالحة يقامون الى حيوة دهرية . على نحو ذلك يقام المتجاسرون على الافعال الضدية الى العقوبة الابدية * التي ما تحوى في وقت من الاوقات غاية * فلذلك سبيلنا ان نظهر كل حرص واجتهاد * حتى لا تنفسد الفايدة الحاصلة لنا من امانتنا المتقومة . برداءة اعمالنا * لكن اذا تهذبنا ههنا . يمكننا ان نعاين المسيح بدالةٍ * فان ليس يوجد حظ جليل يكون لهذه السعادة عديلاً * فليكن لنا كلنا ان ننال هذه الحظوظ الصالحة الموصوفة * وان نعمل كلما نعمله لمجد الهنا * الذي له المجد مع ابنه الوحيد والروح القدس * الى اباد الدهور امين *

المقالة السابعة

في قوله (٩) كان النور الحقيقي الذي يضي لكل انسان وارد الى العالم

يا اولادي الماثورين عندي كثيراً * لهذا السبب نغذوكم بمعان من الكتب قليلاً قليلاً . وما ندفقها كلها عليكم في دفعة واحدة * ليكون حفظ ما تتلقنونهٔ دايماً سهلاً عليكم * لان على ما يعرض في البناء . من يضع على الحجارة الاولى التي ما قد سندت بعد . ولا تمكن نظامها .

جارة" اخرى غيرها * ينظم الحايط كلة نظاما" ضعيفا" . ويكون انهدامة سريعا" * ومَن يصبر الى ان يتمكن رصف البنا اولا" . ويضع بعد ذلك باقي ما يبنيه قليلا" قليلا" . فذلك يتم البيت كله بابلغ وثاقته * ويجعلة ليس بيتا" قصيرا" مداء ثباته سريعا" انهدامه * لكنة يجعلة بيتا" مكينا" * فنحن قد ماثلنا هولاء البنايين * وعلى هذا النحو بعينه نبتني نفوسكم * لاننا خشينا ليلا يكون في الموضع الاول من البناء طراوة يمكنها ان تفسد الافهام الاولى * لسبب تنضيد الثانية فوقها . اذا لم يكن في تمييزكم كفاية ان يضبطها كلها * فان سالت وما هو القول الذى قُرِى اليوم عندنا ; اجبتك . «كان النور الحقيقي المنير كل انسان وارد الى العالم * » لان البشير اذ تكلم قبل هذا الكلام في وصف يوحنا . ذكرانة «جاء ليشهد للنور * » وانه الان أُرسل * فلكيلا اذا سمع سامع اقواله هذه يتوهم في المشهود لة . بسبب ان ورود الشاهد لة محدث توهما" مناسبا" . لهذا اصعد تمييزه * وارسلة الى الوجود المتجاوز كل ابتداء . الذى ما ينتهى البتة الى غاية . ولا يقف ثابتا" عند نهاية * ولعل قايلا" يقول . وكيف يحوى هذه الخاصّة من هو موجود ابنا" . فاقول لة . كلامنا في وصف الاله * أفتستخبر انت كيف ذلك ; أفما ترتاع ولاتجزع ; لكنك لو سالك سائل . كيف تمتلك نفوسنا واجسادنا بعد هذه الدنيا حياتها عديمة ان توجد منقضية . لضحكت على سواله * من طريق انه ليس لتمييز انسانى ان يطلب هذه المطالب وامثالها * لكنة يجب عليه ان يصدق فقط ما قد قيل لة . ولا يبحث عنة * اذ قد امتلك برهانا" كافيا" لما قد قيل في هذا المعنى قدرة قايله * فاذا قلنا ان خالق النفوس والاجساد . الفايق سموه على كل الخليقة فووقا" يفوت القياس لم يزل عديما" ان يكون مبتديا" * اتطالبنا بحال ذلك ومعناه ; ومَن يوجد يقول هذه الاقوال من نفس ثابتة ; مَن يوجد ينطق بها من فكر معافى صحيح ; قد سمعت «ان قد كان النور الحقيقى * » فما بالك تماحك جزافا" وباطلا" . ان تظفر بفكرك الى اعلى من هذه الحيوة العديمة ان تكون مخبورة ; لان ليس ذلك ممكنا" * ما رايك في ان تطلب ما قد عدم ان يكون مطلوبا" ; ما غرضك في ان تفتش عما قد عدم ادراكه ; ما بالك تقتفي اثرا ما قد سُلب تفتيشه ; ثم تامل اصل شعاعات الشمس بعينك * الّا انك ما تقدر على ذلك * ولكنك ما تغتاظ على ذاتك * ولا تستصعب ضعفك عن ذلك * فكيف قد صرت مجتريا" متهجما" على المطالب الاعظم قدرا" ; فابن الرعد يوحنا الحاوى البوق الروحاني . اذ سمع من الروح القدس لفظة «كان . » ما طلب مطلوبا" اكثر من هذا * وانت الفاقد نعمة ذاك الفاضل . مع انك تتكلم من افكارك الجزوعة . انظفر فوق مقدار معرفته ; فلهذا السبب ما تستطيع ان تصل . ولا الى دون مقدارها * لان حيلة ابليس المحتال هذا الفعل فعلها * لانه يخرج الذين يقبلون منه من الحدود التى اعطاناها الله . بالترغيب في حدود اعظم منها بكثير * واذا اطغاهم بهذه الامال . يخرجهم من نعمة الله * وبعد

ذلك ليس من شانه فقط انه ما يدفع اليهم شيا اكثر . لانه كيف يخولهم شيا صالحا وهو محال :
لكنه مع ذلك ولا يتركنا ان نعود الى الحدود الاول . التى لبثنا فيها بابلغ الصيانة واتم الحياطة * لكنه
يجيلنا في كل مكان تايهين * لا نمتلك البتة ثباتا * فعلى هذه الجهة جعل المخلوق الاول ادم .
ان يعدم المقام في الجنة * لانه نفخة بتاميل معرفة اعظم وكرامة اكثر . والمسلبة ما كان له حينئذ
بثقة والطمانية * لانه ما اصابه فقط انه ما صار عديلا لله * على حدوما وعده ذلك . لكنه سقط الى
تمرد الموت عليه * وليس مصابه انه ما استمد من اكله من الشجرة فايدة اكثر فقط . لكنه اضاع
مع ذلك من المعرفة التى كان قد امتلكها جزءا لم يكن يسيرا . بتاميله معرفة اكثر * لان
استهزاءه وتوشحه بعريه في ذلك الحين ضلالة * لانه قبل انخداعه كان اعلا من هذا الاستهزاء .
لان نظره الى ذاته قد صار طاريا . واحتياجه بعد ذلك من الثياب الى سترتها . وامتلاكه امراض
حرم فيه هذه اكثر منها . من هذه الجهة افزعت حينئذ فيه * فحتى لا يصيبنا نحن هذا المصاب *
سبيلنا ان نخضع لالهنا * ونثبت في الحدود التى اوعز هو الينا ان نثبت فيها * ولا نستبحث عن
شي * يتجاوزها * حتى لا نعدم الفوايد الصالحة التى اعطيناها فيما سلف . على حدو ما اصاب
هولاء * لانهم لما التمسوا ان يجدوا للصبوة الفاقدة ان تكون مبتدية ابتداء . اضاعوا ما كانوا
قد اقتدروا ان يمتلكوه * لانهم ما وجدوا مطلوبهم * لانه ليس يوجد ممكنا * وخابوا من
الامانة الصحيحة المغافاة المذكورة في وصف الابن الوحيد * لكننا نحن لا ننقل الحدود الدهرية التى
وضعها ابلونا . ولا نزعزعها * بل سبيلنا ان نخضع في كل مكان لشرايع الروح * واذا سمعنا انه
كان النور الحقيقي دايما . فلا نطلب ان نجد معنى اكثر * لاننا ليس يتجه لنا ان نتجاوز هذه
اللفظة * لان الاب لو كان ولد كما يلد انسان . لالزمت الضرورة ان يوجد زمان فيما بين الوالد
والمولود * واذ كان انما ولد ولودة يختص وصفها . وعلى ما هو لايق بالله . فانفصل عن حرف
قبل وحرف بعد * لان هذين الاسمين يناسبان الازمان * والابن الازلي فهو خالق الدهور كلها *
ولعل قايلا يقول . فليس هو اذا اباه . لكنه اخوه * فنقول له . قل لي . واية ضرورة تلزمنا بذلك :
لاننا لو كنا نقول بان الاب والابن يوجدان من اصل اخر مختلف . لكنت تقول هذه الاقوال
على جهة الصواب * وان كنا نهرب من هذا الكفر بعينه . ونقول ان الاب مع انه يوجد قديما ان
يكون مبتديا لم يولد * والابن يوجد قديما ان يكون مبتديا * وهو مولود من الاب * فاية
ضرورة من هذا المعنى تستورد ذلك القول الكافر * ولا ضرورة واحدة تورد علينا * لانه شعاع
هو * والشعاع انما يفطن به مع الطبيعة التى هو شعاعها * لان لهذا الغرض سماه بولس هذا الاسم .
حتى لا يتوهم فيما بين الاب والابن وهم وسط * لان الشعاع دال على اصله * وما يتلو التمثيل
يتلافى في الذين قد زال فهمهم الشناعة المانعة تصديقهم * لانه قال اذ قد سمعت انه شعاع . فلا تتوهم انه

قد تبرأ من اقنومهم بعينهم * فان هذا القول هو كفر مناسب لاصحاب صافاليوس . ولجنون الناشيين من مركللوس * فنحن ما نقول هذا القول * لكنا نقول انه موجود في قنومه بعينه الخاصي به * ولهذا المعنى اذ ذكر بولس انه « شعاع » استثنى بان قال . وانه « صورة قنومه » ليبين قنومة الخاص به * وانه موجود من الجوهر بعينه الذي هو صورته * لانه ما يكتفى على ما تقدمت فقلت بلفظة واحدة . ليبين للناس الاعتقادات في الله * لكن فعلاً محبوباً عنده . اذا اقنعنا بالفاظ كثيرة . ان ننتخب من لفظة لفظة منها المعنى اللايق به * فاننا على هذه الجهة . نقتدر على الوصول الى التمجيد الموهل له . على حدو قوتنا * لانه ان ظن ظان انه يقتدر ان يقول قولاً في التمجيد الموهل بالحقيقة له . ويماحك قايلاً . انه يعرف الله على هذا النحو . على نحو ما قد عرف هو ذاته . فهذا هو الذي يجهل الله اكثر من غيره كثيراً *

العظة السابعة

في انه ما يجب علينا ان نبحث فيما ليس هو تحت البحث لكن ينبغي ان نصدق ما قاله الكتاب وان نتذكر خطايانا

واذ قد عرفنا هذه المعاني . فينبغي ان نتمسك باتم الصيانة . بما سلمه الينا الذين كانوا معاينين بذاتهم الكلمة وخداماً له . منذ ابتداء وروده * ولا ننقلب الى ما يتجاوز ذلك * لان السقماء بهذا السقم . من شانهم ان يعرض لهم عارضان رديان * احدهما انهم يشقون شقاء باطلاً في ابتغايهم ما ليس وجوده ممكناً * والثاني انهم يغيظون الله بمحاولتهم ان يقلبوا الحدود التي هو وضعها * وهذا الفعل فالسخط الجزيل الذي من شانه ان يحركه . لستم محتاجين ان نعرفكم اياه . لانكم كلكم تعرفونه * فلهذا السبب سبيلنا ان نجتنب تخبير اوليك الفاعلين هذا الفعل * ونرتعد من اقوال ربنا * ليحوطنا خياطة دايمة * لانه قال « الى من انظر . الا الى المتواضع الهادي المرتعد من اقوالي » * فينبغي ان نباين هذا الاستبحاث المهلك * ونطحن قلوبنا ونخشعها * وننوح على ما اوعز المسيح الينا . على ما اجترمناه من خطايانا * ونتخشع على ما اذنبنا * ونتفكر ابلغ الافتكار في كل ما اعتدنا عليه في السالف من زماننا * ونمقته ونجتنبه بكل حال في ساير الجهات * لان الله قد فتح لنا طرقاً كثيرة الى هذا الاصطلاح * لانه قال « قل انت اولاً خطاياك . حتى يتحقق عدلك » وقال ايضاً « اذعت لك اجتنابي شريعتك * فانتزعت نفاق قلبي (مزمور ٣١ ع ٦) لان ليس يفيدنا لتنقيص جسامة خطايانا فايدة يسيرة . تذكرها ومواصلة ثلبها * وقد يوجد طريق اخرى . ابلغ فعلاً من هذه . وهي ان لا نحقد على احد الذين

اخطاوا الينا * وان نغتفر لجميع من اذنب الينا ما اذنبوه لنا . وعملوه من المكروه بنا * وان شئت ان تعرف طريقاً ثالثاً ; اسمع دانيال القايل الى بختنصر الملك * « لهذا السبب سبيلك ان تفتدى من خطاياك بصدقاتك . وتتخلص من مجانباتك الشريعة برافاتك علي الفقرا . » وقد يوجد مع هذه طريقاً غيرها . وهي اتصال الصلوات ومثابتتها * والدوام بثباتٍ في التضرع الى الله . يورد لنا تسلية ليست بيسيرة . وحلا لخطايانا . والصوم اذا قارنهُ التعطف على رفقاينا . فانه يطفي شدة سخط الله علينا * لان النار المضطرمة يطفيها الماء . وبالصدقات تنهدم الخطايا * فسبيلنا ان نسلك فى هذه الطرق كلها * لاننا اذا حصلنا فيها كل حين . ان افنينا فراغنا في هذه الطرق . فسنغتسل ليس من الذنوب فقط . التي سلفت لنا . لكننا سنربح فيها يستانف اعظم الفوايد نفعاً * لاننا ما نخول ابليس المحتال مهلة يصادمنا فيها . لا بونيةٍ فى ميشتنا . ولا باستبحاثٍ يهلكنا * لانه يورد هذه المطاغي مع غيرها مهنا من اقسام البحث التي قد زال الفهم منها . ومن الحرب بالكلام الضارة من يثيرها * حتى نصير فارغين بطالين . ولا نعتني ولا عناية واحدة بالفضيلة فى ميشتنا . لكننا ينبغي لنا ان نسد هذا المدخل الذى يخنس فيهِ الينا ونتيقظ ونستفيق * حتى اذا تعبنا فى هذا الزمان القصير تعباً يسيراً . ننال النعم الصالحة المسلوبة الموت . في الدهور العديمة ان تكون مخبورةً * بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذى بهِ ومعهُ لابيهِ المجد مع الروح القدس * الان والى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الثامنة

في قولهِ (٩) كان النور الحقيقي الذى يضى كل انسانٍ وارد الى العالم (١٠) فى العالم كان والعالم بهِ تكوّن *

ليس مانع يمنعنا ان نلامس اليوم هذه الالفاظ بعينها * لان شرحنا فيما سلف ما نرتايه في الدين . منعنا من الاطناب في ايضاح كافة ما قرى علينا * فاين هم القايلون انه ليس الهاً حقيقياً ; لانهُ قد دعي ههنا نوراً حقيقياً * وحقاً بذاتهِ . وحياة بذاتها * لكننا اذا وصلنا الى ذلك الموضع فى كلامنا . سنبالغ فى شرحهِ ونجعلهُ ابين وضوحاً * وفي هذا الوقت الحاضر يلزمنا ضرورةً . ان نخاطب حبكم ذاكِ الخطاب . الذى يسالنا سائل عن معناه * ان كان ينير كل انسانٍ واردٍ الى العالم . فكيف قد تبقى اناس جزيل مبلغهم غير منارين ; لان ليس جميع الناس قد عرفوا عبادة المسيح * فكيف قال انهُ ينير كل انسانٍ ; فنقول لهُ . انهُ قد انار الكل الانارة

التي كانت اليد علي انفراده افتعالها * فان كان اناس يغمضون بايثارهم الخاظ تمييزهم . فاذ لم يريدوا ان يقتبلوا شعاعات هذا النور . فالظلام انما حصل لاوليك ليس من تلقا طبيعة النور . لكنه من جهة سوء صناعة الذين اعدموا ذواتهم موهبته باختيارهم * لان نعمته متدفقة الى كل الناس * ليس من عادتها ان تردّ يهودياً . ولا اوثانياً . ولا اعجمياً . ولا كردياً . ولا احراً . ولا عبداً . ولا رجلاً . ولا امراة . ولا شيخاً . ولا صبياً * لانها تقترب الى كل المومنين على مثال واحد . وتدعيهم بتكريم متعادل * فاما الذين لم يريدوا ان يتمتعوا بهذه الموهبة . فلينسبوا الى ذواتهم عمايتهم هذه على جهة الواجب * لان اذا كان مدخلها مفتوحاً لكل من يعتمده . ولم يوجد مانع يمنعهم فيلبث اناس موثرون الشر خارجاً . فانما يهلكون ليس من جهة اخرى * لكن هلاكهم انما يتكون من جهة خبثهم وحده * قال «« في العالم كان * »» الّا انه ليست حالته حال قرين العالم في زمانه * اكفف عن هذا الكفر * لان البشير لهذا المعنى استثنى بقوله . «« والعالم به تكون * »» و بهذا القول يصاعدك الى فوق ايضاً . الى الوجود الذى قبل الدهور وجود الوحيد * لان من يسمع ان هذا العالم كله تكون به . ولو كان فاقداً حسه جداً . ولو كان عدواً . ولو كان محارباً لمجد الله . فسيظهر علي ساير وجوه الاضطرار . الى ان يعترف طايعاً وكارهاً . ان الصانع قبل اعماله * ومن هذه الجهة يعرض لى ان استعجب دايماً جنون بولس السميساطي * كيف اجترى ان يعكس نظره عن حق ظاهر بهذه الصفة وضوحه . وهور ذاته طايعاً ; لانه ما اخطى جاهلاً . لكنه اخطى عارفاً ابلغ معرفة * اذ اصابه مصاب اليهود بعينه * لان على حدو ما ان اليهود لنظرهم الى الناس . دفعوا قوة ايمانهم المعافاة . لانهم اذ قد عرفوا انه هو ابن الله الوحيد . ولاجل روسايهم ما اعترفوا به . لكى لا يصيروا مفصولين من مجمعهم * فكذلك اصاب هذا الشقي * لتحمده الى امراة واحدة . ذكروا انه باع خلاصه * لان تمرد الشرف الفارغ صعب على الحقيقة مستصعب * فيه كفاية ان يعمى ابصار الحكماء . اذا لم يستفيقوا * ولين كان اقتبال الهدايا يقتدر على هذا الاضرار . فالداء الذى هو اشد اغتصاباً منه . اليق ان يقتدر على هذا الاضرار اكثر منه * ولهذا السبب قال المسيح ربنا لليهود . «« كيف تقدرون ان تومنوا اذا كنتم تستمدون من الناس تشريفاً . وما تطلبون الشرف الذى من الله وحده ; (يوحنا ص ٥ ع ٤٤) قال البشير ايضاً . «« والعالم ما عرفه * »» فالعالم ههنا سمى به الجماعة المنفسدة . الذايبين شوقاً الى الاشيا الارضية . الشعب المرذول المنزعج الزايل فهمه * من طريق ان احباء الله العجيبين كلهم . قد عرفوه قبل وروده في جسمه * فقد قال المسيح بعينه في وصف رئيس الاباء باسمه . «« ان ابراهيم اباكم ابتهج لكى يرى يومى . فابصره وفرح (يوحنا ص ٨ ع ٥٦) وقد قال فى وصف داود حين وبخ اليهود . «« كيف يدعوه داود بالروح ربه . اذ يقول . قال الرب لربى اجلس عن ميامنى ; (متى ص ٢٢

ع ٤٣) وفي معاني كثيرة يذكر موسى عند معاندة اوليك * وقد قال الرسول في وصف جماعة
الانبيا . لان جميع الانبيا منذ صمويل . قال بطرس انهم قد عرفوه * ويتقدم فيذيع وروده من
بعد نازح * اذ يقول هذا القول . ‹‹ وجميع الانبيا منذ صمويل والذين بعده كلهم . تكلموا واذاعوا
هذه الايام (ابركسيس ص ٣ ع ٢٠) وقد ظهر ليعقوب ولابيه كما ظهر لجده * وخاطبه ووعده
ان يعطيه حظوظاً كثيرة عظيمة صالحة * واوصل وعده الى فعله * ولقايل ان يقول . فكيف
قال هو قوله . ‹‹ ان انبيا كثيرين اشتهوا ان يبصروا ما قد رايتم فلم يبصروا * وان يسمعوا ما قد
سمعتم فما سمعوه (لوقا ص ١٠ ع ٢٤) أفتراهم ما ساهموا المعرفة الموقتة به : فاقول له . انهم قد
ساهموا جداً * وساروم ان اجعل ذلك ظاهراً من هذا القول . الذى منه يتوهم متوهمون انهم
يسلبون الانبيا هذه المعرفة * لانه قال ‹‹ وان كثيرين اشتهوا ان يبصروا ما قد رايتم . ›› على نحو ما
ابصروه وارداً الى الناس مدبراً الافعال التى دبرها * لانهم لولا انهم عرفوا . لما كانوا اشتهوا * لان
ما يستطيع احدنا ان يشتهى اشيا . ما قد اشتمل عليه افتكارها * فمن هذه الجهة قد عرفوا ابن الله *
وانه مجيى الى الناس * ولو كانوا سالوه ياسيدنا . وما هى الاشيا التى ما عرفوها ; وما هى الاقوال
التى ما سمعوها ; لاجلهم هى هذه الافعال . التى قد رايتموها الان انتم * والاقوال التى قد سمعتموها *
لان الانبيا قد سمعوا صوته وابصروه * الا انهم ما راوه في جسمه . ولا راوه على هذه الحال .
متصرفاً مع الناس . ولا راوه يفاوضهم بمجاهرة جزيل تقديرها * وهذا المعنى عندما اوضحه هو . ما
قال على بسيط ذات القول . انهم اشتهوا ان يبصرونى . لكن ما الذى قال ; قال انهم اشتهوا ان
يسمعوا ما قد سمعتموه انتم * فيجيب من ذلك . انهم وان كانوا ما ابصروا وروده الحاصل في جسمه .
لكنه مع ذلك قد عرفوا وروده المنتظر . الذى اشتهوه وامنوا به . وما ابصروه في جسمه ومتى ما
شكانا الاوثانيون وقالوا لنا هذه الاقوال . ما الذى اعتمده المسيح . اذ لم يتعاهد جنس الناس في
الزمان السالف ; وما الذى عضد به خلاصنا . لما جاء في الزمان الاخير . وقد اهمل تخليصنا
زماناً هذا مبلغ كثرته ; نقول لهم . انه قبل هذا الورود في العالم كان معتنياً باعماله * وكان معروفاً عند
كافة المؤهلين له بسبب انه لم يعرفه حينئذ جميع الناس . بل انما عرفه اوليك الاجلاد المكينين في فضيلتهم
وحدهم * فعلى قولكم هذا . ولا الان تعترفون ان الناس يسجدون له * اذ ليس الان جميعهم قد عرفوه *
لكن كما ان في وقتنا الحاضر ليس يجوز ان ينكر الذين عرفوه منكر . لسبب الذين جهلوه *
فكذلك ليس ينبغى ان يرتاب مرتاب لاجل الازمان السالفة * لانه قد عرف عند الكثيرين * واليق
ما يقال انه قد عرف عند جميع اوليك الرجال الاجلاد العجيبين * فان قال قايل . فلم ما اصغى
اليه كل الناس في ذلك الوقت . ولا خدموه كلهم ولا ارضوه . لكن اصحاب العدل لله وحدهم استرضوه ;
اقول له . فلم ما يعرفه الان الناس ; وما معنى قولي عن المسيح ; لانني اورد اباه * واقول لم ما عرفه

كل الناس . لا في ذلك الحين . ولا الان : لكن بعضهم قالوا ان البرايا كلها مسيرة بحركة ذاتها * وبعضهم يسلمون العناية بالكل الى شياطين * ويوجد اناس يخترعون الهاء اخر غير هذا * واقوام منهم يجدفون عليه بانه يوجد قوة معاندة * ويتوهمون لبن شرايعه شرايع شيطان مريد خبيث * فما رايك : افمن تلقا هذا القول ما نقول نحن انه يوجد الهاء . اذ قد يوجد اقوام يقولون هذا القول . ويعترفون انه يوجد خبيثاء : لان قد يوجد اناس يجدفون عليه بهذا القول * ابعد عنك الانحراف بصبرتهم وجنونهم الواصل الى غايته * لاننا ان اعتزمنا ان نمثل اعتقاداتنا من حكم المصروعين . فليس مانع يمنعنا نحن من ان نبحن جنوناء اصعب تاثيراء * وبعد ذلك فليس يقول قايل . ان الشمس بسبب المرضى في الحاظهم . توجد مفسدة لابصارنا * لكنه يقول انها منيرة لالحاظنا مستمداء من الاصحا المعافيين قضاياهم بحقيقة ذلك * والعسل ليس قايل انه مر * اذ يظن عنه حس السقما انه مر * أفيتبغي من جهة توهم المرضى في عقولهم . ان يحكم اقوام ان الاله ليس هو موجوداء : ام انه يوجد خبيثاء : او انه احياناء يعتني بالبرايا ويسوسها . واحياناء ليس يعتني بها ولا يسوسها : ومن يقول ان الذين هذه الاقوال اقوالهم معافون : لكننا نقول ان هولاء قد انحرفوا عن تمييزهم * وقد صرعوا وجنوا جنوناء في اقصى غايته * وقد قال البشير «« والعالم ما عرفه * »» الا ان الذين ما كان العالم عديلاء لهم . هولاء عرفوه . لانه لما ذكر الذين ما عرفوه . وصع بلفظ يسير علة استجهالهم اياه * لانه ما قال على بسيط ذات القول انه ما عرفه عارف . لكنه قال «« ان العالم لم يعرفه * »» ومعنى ذلك هو ان الذين قد تسمروا في العالم وحده . والناس الراغبين في اشيا الدنيا ويفحصونها . اوليك ما عرفوه وحدهم * لان المسيح من عادته ان يسميهم هذه التسمية * على نحو ما اذ قال . «« يا ابي القدوس . والعالم فلم يعرفك * »» فالعالم اذاء ما جهله هو وحده * لكنه قد جهل اباه معه ايضاء * فعلى حسب ما قلنا . ان ليس عارض يكدر على هذا النحو تمييزنا . مثل تلهفنا الى الاشيا الحاضرة * حتى يصوينا شوقنا اليها *

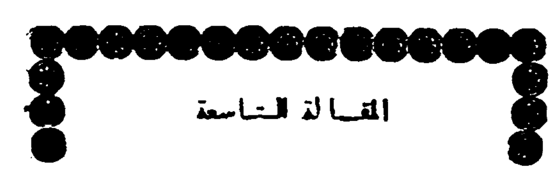
العظة الثامنة

طعن على من يحب المال وانما يتعبد لله * لكنه يتعبد لنصب المال *

فاذ قد عرفنا هذه الاقوال . فانتزحوا عن الدنيا * وانفصلوا من الاشيا الجسمانية بحسب امكانكم * لان ما يحصل لكم منها الخسارة في اشيا حقيرة * وانما يكون منها الخسران لكم في هامة الصالحات * لان ليس يوجد في هذه الدنيا انسان متشبث باحوالها تشبثاء شديداء . يقتدر ان يمتلك امتلاكاء خالصاء النعم التي في السموات * لكن الحريص المجتهد في هذه الدنيا الزايلة . يفقد بلازم الضرورة

تلك النعم ويعدمها * لانه قال ما تقدرون ان تتعبدوا لله ولغصب المال (متى ص ٦ ع ٢٤)
لان الضرورة تلزمكم ان تثبتوا باحدهما . وتمقتوا الاخر * وهذه الاقوال فممارسة الاشيا تهتف
بها * وذلك ان الذين يقهقهون على شهوة الاموال . فهولاء هم الذين يحبون الله حباً جزيلاً على
ما ينبغي * كما ان الذين يحبون تلك الرياسة ويستعجبونها . فهولاء هم اكثر من جميع الناس توانياً
في حبهِ * لان النفس التي اقتنصها حب الاموال في دفعة واحدة . ما تتابي ان تقول وتعمل بايسر
مرام عملاً من الاعمال التي تسخط الله * من طريق انها قد صارت عبدة لسيدٍ اخر . مومر
بكل ما يخالف الله * فاستيقظوا اذاً في وقتٍ من اوقاتكم . وتيقظوا وانتهضوا * فاذا تفطنا
لمن نحن عبيد . فينبغي ان نحب ملكه وحده * وسبيلنا ان نبكي وننوح من اجل ازماننا
السالفة . التي فيها تعبدنا لغصب المال * وينبغي ان نحذف عنا في دفعةٍ واحدة نيره الثقيل المستصعب
حمله * ونثبت حاملين نير المسيح الخفيف السهل * فانه ليس يامرنا امراً يماثل ما يامر به غصب
المال * لان هذا المال يامرنا ان نصير اعداً لكل الناس * وربنا يامرنا بضد ذلك * ان نود جميع
الناس ونحبهم * وذلك يوعز الينا ان نتجبن في الطين واللبن * لان الذهب هو طين * وما يتركنا
ان ننام في الليالي قليلاً * والمسيح يامرنا ان نجتنب هذا الاهتمام الزايل الخالي من المنفعة * وان
نجمع ذخايرنا في السموات . ليس من ظلم يصل الى غيرنا . لكن من عدلنا * وذلك فعند اعراقنا
الكثيرة وضروب شقانا الجزيلة . ما يقتدر ان يقف بنا . اذا حصلنا معذبين هنالك معكبدين
ضنك العقوبة لاجل شرايعه * وربنا فاذا امرنا ان نعطي قدحاً من الماء بارداً . فليس يطلق
ان يضيع منا ثوابه ومجازاته في وقتٍ من اوقاتنا * لكنه يعوضنا الجزاء بتوسعةٍ كثيرة * فكيف
ليس يكون هذا الفعل من غباوةٍ في غايتها . ان نتوانى في سيادةٍ رافقة بنا هذا الرفق البليغ
مملوة خيرات جزيل تقديرها . وان نتعبد لغاصب زايل شكره وحفاظه . ليس يفيد الخاضعين
له لا ههنا ولا هنالك نفعاً . ولا يمكنه ذلك ; وليس هذا الفعل المنكر فعلة فقط * ولا هذه الخسارة
تصيبنا منه . انه ما ينتصر لنا اذا حصلنا معاقبين فقط * لكن مع ذلك يلقينا في بلايا جزيل عددها .
على ما قدمت ذكره الى الخاضعين له * لان اكثر الناس الذين يعذبون هنالك . يراهم الناظر
معاقبين من جهة هذه العلة * لانهم تعبدوا لاموالهم * واحبوا ذهبهم . وما واسوا المحتاجين *
فحتى لا نقاسي نحن هذه البلايا . سبيلنا ان نبذل ما نمتلكه . ونعطيه للفقرا * ونستخلص نفسنا
من الهموم التي ههنا الضارة . ومن العقوبات الراتبة لنا هناك . لاجل هذه الافعال * ولنخزن
لنا في السموات عدلاً . بدلاً من اموال نخزنها في الارض * ولنجمع لنا ذخاير قد عدمت امتحاقها *
ذخاير مقتدرة ان تسير معنا الى السما * قادرة اذا تورطنا في الشدة . ان تقف معنا . وتجعل
القاضي حينئذٍ غفوراً * الذي فليكن لنا كلنا ان نخاطبه متعطفاً علينا . الان وفي ذلك اليوم *

وان نستمتع بدالة كثيرة بالنعم الصالحة المستعدة في السموات للذين احبوه على ما يجب * التى فليكن لنا كلنا ان ننالها بنعمة يسوع المسيح وتعطفه . الذى معه ولابيه المجد مع الروح القدس * الان ودايما والى اباد الدهور امين *



المقالة التاسعة

في قوله (١١) الى خاصته جاء . وخاصته لم تقبله *

ان كنتم تذكرتم المعانى الاولى . فسنبنى عليها المعانى التى تتلوها بنشاط اوفر واكثر * عاملين هذا العمل * كمن يعمله فى فايدة عظيمة * لانكم على هذه الجهة يكون كلامنا عندكم سهلا تعليمه . اذا تذكرتم ما قيل لكم سالفا * وما نحتاج نحن الى تعب اكثر . اذا اقتدرتم انتم بكثرة ايشاركم التعليم . ان تنظروا في باقى ما نعلمكم اياه احد نظرا لان من يهلك من قد يدفع اليه من العلم ويضيعه دايما . يحتاج الى من يعلمه دايما * وليس يعرف في وقت من الاوقات شيا * ومن يحفظ ما يتسلمه . ويحصل باقى ما يتلقنه هذا التحصيل . ليكون سريعا بدلا من تلميذ معلما * وليس يكون نافعا لنفسه فقط . لكنه سيكون مع ذلك نافعا الاخرين كلهم * وهذا الحظ اتوقع انا ان تحصله الجماعة كلها * مستدلا عليه من حبها الاستماع هذا الجزيل تقديره * فهلت الان نستودع فضة ربنا فى نفوسكم * كانها في خزانة صاينة للذخاير * ونفتح معانى ما قد قدم اليوم لنا . على نحو ما تخولنا نعمة الروح * قال البشير . « ان العالم ما عرفه * » بعد ان تكلم فى وصف الازمان التي فوق . انحدر فيما بعد كلامه الى ازمان المناداة به * وقال . « الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله * » فاذ قال الان خاصته . انما عنى اليهود . من طريق انهم شعب متكاثر * وللناس كلهم من جهة انه هو كونهم * وعلى حدو ما يخبر فيما سلف من كلامه عن عباوة الكثيرين . وخجل لي وصفو طبيعتنا المشتركة . وقال ان العالم به تكون . وما عرف خالقه . فكذلك استصعب ههنا زوال شكر اليهود * وقلة وفاء الناس الكثيرين ايضا * وجعل ثلبهم اشد لذعا * يقولو ان خاصته لم تقبله * وهذه افعالهم مع انه هو جاء اليهم * وليس هذا وحده مستعجبا لكن العجب من ذلك ان الانبيا قد قالوا هذا القول بعينه . متعجبين من فعله * وبولس بعد ذلك قد انذهل من هذه الحوادث باعيانها * والانبيا هتفوا هذا الهتاف نايبين عن وجه المسيح قايلين . « الشعب الذى ما عرفته تعبد لى . وبسماع اذنه اطاعنى * والبنون الغربا كذبونى * البنون الغربا هتفوا . وعرجوا عن سبلهم (مزمور ٧٨ ع ٦ *) وايضا سيبصره الذين لم يخبروا بوصفه * والذين

ما سمعوه يفطنون به * وقد صودفت عند الذين لم يطلبوني . فقد صرت ظاهراً عند الذين لم يسالوا
عني (اشعيا ص ٦٥ ع ١) وبولس حين راسل اهل رومية قال * ،، ما الغـرض في ان ما طلبة
اسرائيل ذاك ما وصل اليه * بل قد وصل انتخابه (رومية ص ١١ ع ٧) وقال ايضاً ،،، ماذا نقول
في ان الامم التي ما سعت وراء العدل . وصلت الي العدل * وال اسرائيل مع سعيه وراء العدل .
ما وصل الي شريعة العدل (رومية ص ٩ ع ٣٠) لان هذا الحادث بالحقيقة اهل للانذهال منه * كيف
الذين تربَّاهوا في كُتب الانبيا . وكانوا يسمعون موسى كل يوم قايلاً اقوالاً كثيرة في ورود المسيح *
وبعد ذلك سمعوا باقى الانبيا يصفون حضورة . وعاينوا المسيح بعينه مجترحاً كل حين عجـايبة لهم *
متفـرغاً لهم وحدهم . لا يطلق عاجلاً لتلاميذه ان يذهبوا في طريق الامم . ولا يدخلـوا الى
مدينة السامريين * ولا يعمل هو هذا العمل . لكنهُ يقول في اعلا خطابه واسفله . انني انما أُرسل الى
الغنم الضالة من بيت اسرائيل * وقد سمعوه يذكرهم اذكاراً متصلاً باياته . وباقوال انبيائو * اعموا
نفوسهم . وتصامموا في دفعةٍ واحدة على هذا النحو * حتى انهم ولا بصنف من هذه الاصناف انقادوا
الى تصديق المسيح * والجموع من الامم ما استمتعوا ولا بصنفٍ واحدٍ من هذه الاصناف . ولا
سمعوا ولا في وقتٍ من زمانهم اقوالاً الهية . ولا في نومهم قولاً يقوله المنام * لكنهم كانوا متصرفين
دايماً في احاديث المجانين . التي يحاكي الحق لفظها * لان هذا اللفظ يخترعهُ الفلاسفة والشعراء
الذين خارج محلتنا . ويهدرون هذه الهذيانات * مستمرين في شغفهم بالخشب والحجارة * لا
يعرفون احتجاجاً نافعاً معافى عن معتقداتهم وسيرتهم * لان سيرتهم كانت ابخس من اعتقاداتهم *
وذلك علي جهة الواجب جداً * لانهم اذا كانوا ابصروا الهتهم مسرورين بكل رذيلة * يسترضون
بالفاظ قبيحة و باعمال اقبح منها . يستشعرون هذا الفعل عيدهم وتكريمهم * مكرمين ايضاً
بصنفٍ من القتل بخسة وبقتل الصبيان * كيف ما كانوا يمالون الهتهم : الا انهم بعد انهباطهم
الي قعر الرذيلة بعينه . ظهروا عندنا علي غفلةٍ من ذروة السماوات بعينها لامعين * كانهم قد حصلتهم
في علوها حيلة من الحيل صاعدتهم اليها * وان سالت كيف صار هذا . ومن اين تكون :
اجهتك . اسمع بولس القايل * لان ذلك السعيد اذ بالغ في التماس هذه المطالب . ما انتزح عن
ابتغايه . الي ان وجد علة ذلك . واوضحها للناس الاخرين كلهم * وان استخبرت وما هي هذه
العلة . ولمن هي : ومن اين عرض لهم هذا العمي الجزيل تقديره : اسمع الموءتمن على هذه السياسة
قايلاً هذه الاقوال . ادخل شك الناس الكثيرين في هذا الوجه . فقال ،، انهم اذ جهلوا عدل
الله . ولالتماسهم ان يثبتوا عدلهم . ما خضعوا لعدل الله (رومية ص ١٠ ع ٣) ولذلك عرضت لهم
هذه العوارض * وقال ايضاً اذا ترجم هذا المعني بعينه علي جهةٍ اخرى . ،، ماذا نقول : ان الامم
التي ما سعت وراء العدل . وصلت الى العدل * العدل الذى من الايمان * واسرائيل اذ سعى

وراء شريعة العدل . ما وصل اليها (رومية ص ٩ ع ٣٠) وان سالته لم ذلك : لاجابك . « ما التمسوها من الامانة لانهم عثروا بحجر العثرة * فالذي يقوله هذا هو معناه . ان زوال تصديقهم صار علة لبلاياهم * وزوال التصديق ولده تجبرهم * لانهم اذ امتلكوا قبل هذا الوقت اكثر من الاوثانيين اختصاصاً . بتسليمهم للشريعة . ومعرفتهم الله . والمواهب كلها التي ذكرها بولس . ثم ابصروا اوليك مدعوين وهم الى الامانة بمساواة واحدة بعينها . وعاينوا الواحد من اهل الجاهلية . ليس يحتمل خطاء افضل من الواحد من الامم بعد ايمانه . غمهم تجبرهم وبغيهم * اذ صعدوا الى الحسد ؛ وما احتملوا ود سيدنا للناس الذي لا يوصف المفرط فضله * وهذا العارض عرض لهم . ليس نحو جهة من الجهات البتة . الا من تجبرهم وتخبثهم ومقتهم للناس * وانا اخاطبهم . يا من هم اقل الناس كلهم فهماً * ما الذي يضركم من الاشفاق الواصل الى الناس . اخرين : ما الذي ينقص حظوظكم الصالحة . اذ تحوزون اناساً اخرين : يساهمونكم فيها باعيانها ؛ فالخبث اعمى بالحقيقة * وليس يقدر ان يعرف باسراع صنفاً من الاصناف الواجبة * فلما ادعوا اذاً بامتلاكهم شركا في دالتهم بعينها . دفعوا السيف على انفسهم * اذ اخرجوا ذواتهم من تعطف الله * وذلك على جهة الواجب جداً * لانه قال « ياصاح لست اظلمك * اريد ان اعطي هؤلاء كما اعطيك انت (متى ص ٢٠ ع ١٣) واولى ما يقال . ان هؤلاء ليسوا موهلين لهذه الاقوال * لان ذلك ان كان استصعب تخويل الفاعل الاخر نظيره * لكنه مع ذلك يتجه له ان يذكر اتعاب نهاره وشقاوه . وحر النهار واعزاقه * وهؤلاء فما الذي ينساغ لهم ان يقولوا ; لعمري انه ما يتجه لهم ان يقولوا قولاً هذا معناه * الا انهم يوردون ونيتهم وتفريطهم وسيئاتهم الجزيل عددها . التي كانت الانبيا كلهم قد لبثوا كل حين يقرعونهم بها * التي لاجلها صادموا الله بمشابهتهم الامم * وهذا المعنى اذ اوضحه بولس قال . « لان ليس فرق فاصل فيما بين اليهودي واليوناني * لان الناس كلهم اخطاوا * واعدموا مجد الله * وانما تحقق لهم العدل مجاناً بنعمته (رومية ص ٣ ع ٢٣) وهذه المقدمة كلها يروضها في تلك الرسالة رياضة نافعة زايدة في الفهم جداً * وقد ذكر في اعلا تكلمه فيها . انهم موهلون لعقوبة كثيراً اعظم * لانه قال « جميع الذين اخطاوا في حين شريعتهم . سيحكم عليهم بشريعتهم (رومية ص ٢ ع ١٢) ومعنى هذا هو انهم يحكم عليهم اصعب حكومة * اذ قد امتلكوا شريعتهم مع طبيعتهم ثالبة اياهم * وليس هذه علة عقوبتهم وحدها . لكن علتها مع هذه انهم صاروا علة للافترا على الله عند الامم * لانه قال « ان اسمي بكم يُفترى عليه في الامم (اشعيا ص ٥٢ ع ٥) (رومية ص ٢ ع ٢٤) ولعمري ان هذا الاحسان السابغ على الامم . كان الذي لذعهم لذعاً شديداً * لان هذا الحادث قد استشنع عند الذين امنوا من اهل الختانة . لانه بديع مستعجب * ولذلك شكو بطرس عند عودته اليهم من مدينة قيسارية * وقالوا له . « انك دخلت الى عند

رجال مشتملين غلفتهم * واكلت معهم * ،، وبعد ذلك اذ عرفوا سياسة الله استعجبوها ايضاً هذا الاستعجاب الجزيل * واظهروا اندهالهم * ،، من ان كيف قد اندفقت على الامم موهبة الروح القدس * ،، من طريق انهم ما توقعوا في وقت من الاوقات هذا الحادث البديع * فلما عرف بولس ان هذا الحادث قد لذعهم اكثر اللذع واشده . ابصر كيف استفرغ صلفهم وحال تجبرهم . بعد تورمه تورماً شديداً * لانه بعد ما تكلم في وصف الاوثانيين . واظهرهم لا يمتلكون البتة ولا عذراً واحداً . ولا تاميل خلاص * وفند اعوجاج اعتقاداتهم تفنيداً بليغاً * ونجاستهم في عيشتهم . نقل كلامه الى اليهود * وتلفظ من النبي كافة الاقوال التي بها قال ذلك . انهم كانوا اناساً نجسين غشوشين مستبطنين الخبث . وانهم كلهم قد زال الانتفاع بهم معاً * ،، وان ليس فيهم ولا واحد يطلب الله * لكنهم كلهم قد انحرفوا عنه جامحين (رومية ص٣ع١٩) وما ناسب هذه وماثلها * واستثنى بقوله * ،، وقد عرفنا ان كل ما تقوله الشريعة . انما تخاطب به الذين في الشريعة * لينسد كل فم * ويصير العالم كله عند الله تحت جناية * لان الناس كلهم اخطاوا . واعدموا مجد الله * ،، فما بالك ايها اليهودي تعلّي ذاتك مترفعاً ; ما بالك تتفخم تفخماً عظيماً ; لان فمك قد انسد ودالتك قد ازيلت وبطلت * وصرت انت مع العالم كله تحت جناية . وحصلت بسوية غيرك . محتاجاً ان يتحقق لك العدل مجاناً * وقد كان سبيلك ولو كنت متهذياً مالكاً دالة جزيلة عند الله . ان لا تحسد ولا على هذه الجهة المولين ان يرحموا . ويستخلصوا بتعطف الله على الناس * لان هذا العارض من خبث في غايته * وهو ان تذوب حسداً . لحظوظ غيرك الصالحة * ولاسيما اذا ازمع هذا الحادث ان يحدث ليس بخسارة تنالك * لان لو افسد خلاص الناس الاخرين حظوظك المستحسنة . لكان توجعك لذلك يمتلك احتجاجاً * على ان هذا التوجع لن يجوز احتجاجاً عند من تعلّم ان يتفلسف * فاذا كنت لا اذا عوقب رفيقك تتكاثر لك فوايد اجرتك . ولا اذا احسن اليه تنتقص . فلمَ تقطع ذاتك من اجل الفوايد التي يتخلص بها غيرك مجاناً ; وقد كان ينبغي لك على ما قد قلت . ولو كنت من المتهذبين الافضلين . ان لا يمضك الخلاص الصاير الى الامم بنعمة الله * فاذا كنت عند سيدك تحت جناية هذه الجرايم باعيانها . وانت مصادم له بافعالك . اتستصعب الحظوظ الصالحة الحاصلة لاخرين . وتتفخم تفخماً عظيماً . كانك وحدك مستوجب ان تساهم نعمته ; فليس هذا العارض من حسدك وبغيك فقط . لكنه من غباوة في غايتها . تجعلك مستوجباً لكافة العقوبات الاصعب من غيرها * لانك غرست في ذاتك قومة الشرور كلها . التي هي الكبريا * ولهذا المعنى قال حكيم من الحكما . ،، ان ابتداء الخطية الكبريا (سيراخ ص ١ ع ١٥) ومعنى ذلك . ان الكبريا هي اصل الخطية وينبوعها وامها *

العظة التاسعة

طعن على الكبريا

فعلى هذه الجهة خاب المخلوق الاول من ذاك التصرف السعيد * على هذه الطريقة انهبط ابليس المحال الذى طغاه من علو مرتبته ذاك السامى * فمن هذه الجهة اذ عرف الشيطان النجس طبيعة هذه الخطية . ان فيها كفاية ان تهبط من السموات باعيانها . سلك هذه الطريق . حين حرص ان يهبط ادم من كرامته تلك الجزيل تقديرها * لانه بوعده اياه انه يكون عديلاً لله نفخه * وبعد ذلك اهبطه وكردسه الى مهاوى الجحيم باعيانها * لان ليس عارض بهذه الصورة يغربنا من تعطف الهنا . ويدفعنا الى نار جهنم . مثل اغتصاب الكبريا * لان هذه اذا حضرت فينا تصير عيشتنا كلها نجسة . ولو احكمنا عفافاً * ولو امتلكنا بتولية * ولو مارسنا صوماً * ولو داومنا الصلوات * ولو افتعلنا صدقة * ولو اصطنعنا مهما كان من الصلاح * لانه قال «« ان نجس عند الله كل مترفع قلبه * »» فينبغى ان نقبض تبذّخنا . ونقلع تعظّمنا . ان شئنا ان نكون انقيا . وان نتخلص من العقوبة المعدة لابليس المحال * والبرهان علي ان المستعظم يقاسي النوايب باعيانها . والشدايد الموجبة علي ذلك المحال . اسمع بولس يقول في من يختار اسقفاً . قال «« لا يكونن غرسةً جديدة * لكيلا يتصلف فيسقط الى حكومة ابليس المحال وفخه * »» وان سالت وما معنى حكومة ابليس ; اجبتك * لكيلا يسقط الى الحكومة الموجبة عليه بعينها فى عقوبته نفسها * ولسايل ان يسالنا . فكيف ينفلت احدنا من هذه النائبة الصعبة ; فنجيبه * ينفلت ان فكر في طبيعته . وفي كثرة خطاياه . وفي عظم التعاذيب التى هنالك . وفى مدى الحظوظ المظنونة ههنا بهيئة الوقتى زوالها . انه لا فرق بينها وبين الحشيش . تضمر ذابلة اكثر من ذبول ازهار الربيع * ان اهجسنا هذه الافكار في ذواتنا دايماً . وحصلنا فى حاسة ذكرنا الذين احكموا المحامد الجسيمة . فليس يقتدر ابليس المحال ان يرفع وهمنا * ولو ماحك دفعات كثيرة ان يوفعه ويصلفه * بل ولا يمكنه ان يعرقلنا في رياسة * والهنا اله المتواضعين الصالح الوديع . هو يهب لكم ولنا قلباً متخشعاً متطمناً متذللاً * فاننا على هذه السجية نقتدر ان نحكم المحامد الاخرى بايسر مرام . لمجد ربنا يسوع المسيح . الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس * الى اباد الدهور كلها امين *

المقـالة العـاشرة

في قوله (١١) الى خاصته جاء * وخاصته لم تقبله *

الهنا ايها الاحباء . لم يزل محباً للناس محسناً اليهم * من شانه ان يعمل كل اعماله ويتحيل بها . حتى يشرق نورنا في الفضيلة * ويريدنا ان نكون متهذبين * وهذا العمل يعمله . لكي يجتذب به اليه جميع المريدين . ليس بصنف من غصب ولا بالزام . بل بقبولهم منه . وباحسانه اليهم يستميلهم اليه * ولهذا السبب عند مجيئه قبله اقوام من الناس . واقوام منهم ما قبلوه * لانه ما يشا ان يمتلك ولا عبداً واحداً كارهاً ولا مضطراً * لكنه يشا ان يحوزنا كلنا طايعين مختارين عارفين منه التعبد له * لان الناس من طريق انهم محتاجون الى خدمة عبيدهم . يضبطون بشريعة سيادتهم اناساً كثيرين ما يكونون يريدون ان يخدموهم * فاما الهنا فقد عدم ان يكون محتاجاً الينا * وليست به حاجة الى صنف من صنوف خدمتنا * وانما يعمل كلما يعمله . لاجل خلاصنا فقط * وقد جعلنا باعياننا اصحاب هذا العزم * ولهذا السبب ما وضع ولا علي واحد من الذين ما يريدون التعبد له قسراً ولا الزاماً * لانه انما ينظر الى الفعل الموافق لنا فقط * لان اجتذابه ايانا كارهين الى هذا التعبد له * هو عديل لاجتنابنا التعبد له بجملة عزمنا * ولعل قايلاً يقول . فما الراى في انه يعاقب الذين ما يريدون ان يطيعوه ; وما غرضه في انه يهول بجهنم علي الذين ما يقبلون اوامره ; فنجيبه * لاننا اذا لم نخضع له ولا نقبل منه . يشفق علينا جداً * لانه لم يزل صالحاً * واذا طفرنا جامحين عنه . وهربنا منه . ما يتنزح عنا * ولعمرى اذا ابعد طريق احسانه الاولى الذين لم يريدوها بالقبول منه . وبسبوغ انعامه عليهم . اورد الطريق الاخرى . التي تستحوذ عليهم بتعذيبه وعقوباته * وانها لاشد مرارة من كل استمرار * الا انها مع ذلك ضرورية لازمة . اذا اهونوا بالطريق الاولى * ومع ذلك فمشترعوا الشرايع . قد رسموا عقوبات كثيرة صعبة علي الذين يخطيون * وما نرتجع عنهم بسبب هذه الفرايض * لكننا نكرمهم اكثر لاجل التعاذيب علي مخالفتهم * ولانهم ما يحتاجون الى فايدة من الفوايد المستفادة منا * وطالما لم يعرفوا من هم المزمعون في وقت من الاوقات . ان يستمتعوا بالمعونة مما شرعوا * الا انهم مع ذلك اهتموا بحسن ترتيبنا في عيشتنا . اذ اكرموا العايشين في الفضيلة . ومنعوا بالتعاذيب التي رسموها للفاسقين عن تفريطهم . والمفسدين بهدو باقى اصحابهم * فان كنا نستعجب هولاء ونحبهم . افما يجب علينا ان نندهل من الهنا . ونحبه اكثر . لاجل اهتمامه هذا الجزيل تقديره بنا جداً ;

لان الفرق بين اهتمام اوليك بنا . وبين عناية هذا السابغة علينا . هو عدم ان يكون مخبوراً * لان غنى خيرية الهنا بالحقيقة لا يوصف . قاهراً كل افراطٍ في وصفهِ * وتامل هذا . قال « الى خاصته جاء * » ليس لاجل حاجتهِ * لان الذات الإلهية علي ما قلت عديمة ان تكون محتاجة * لكنهُ انما جاء من اجل الاحسان الى خاصتهِ * وما قبلهُ ولا على هذه الجهة خواصة عند مجيه الى اصحابه لمنفعتهم . لكنهم دفعوه * وما فعلوا بهِ هذا الفعل فقط لكنهم اخرجوه الى خارج كرمهِ وقتلوه * وما جيزهم هو ولا علي هذه الجهة من التوبة . لكنهُ خولهم متى ارادوا بعد تجاوزهم شريعتهُ هذا الجزيل تقديره . ان يغتسلوا بايمانهم بهِ من ساير ما اجترموه * وان يعادلوا الذين ما فعلوا فعلاً هذه صفتهُ . لكنهم لم يزالوا يحبونه اكثر من كل الناس * والدليل على ذلك . انني ما قلت هذه الاقوال على بسيط ذات القول . ولا لاجل رفق وملاطفة * انا ابدي بايضاح ذلك صوتاً بهياً . ابين بهِ اخبار بولس السعيد كلها . تحقيقاً لاقوالي هذه * لان هذا المضطهد للمسيح بعد صلبهِ . الراجم استفانوس شهيده بايادي كثيرة . لما تاب وذم الخطايا المخترعة بهِ اولاً . وبادر جرياً الى من كان يضطهده . حسبهُ للجين من احبايهِ المالكين المراتب المتقدمة عنده * واظهره نذيراً بهِ ومعلماً للمسكونة كلها * واعلى شان المفترى المضطهد الشتام ورفع اسمهُ * على جدو ما قد اذاع هو ذلك . مبتهجاً بتعطف الهنا عليه * وما خجل من ذلك . بل صنف لكل الناس . وبين الجرايم التي اجترمها اولاً بكتايب كانها في تمثال مشهورة * مستشعراً ان تصنيفهُ لدى جميع الناس عيشتهُ الاولى . لاظهار جسامة موهبة الله . يكون افضل من سترهِ تعطفهُ عليه المتنع ان يكون موصوفاً . اذا تكاسل ان يشهر للناس كلهم ضلالته * فلهذا السبب يردد في اعلا رسايلهِ واسفلها اضطهاداته واغتيالاته وحروبه . التي اثارها على كنيستنا * بقولهِ احياناً . « لست انا مستحقاً ان ادعى رسولاً لانني اضطهدت كنيسة الهي (قرنتية ١ ص ١٥ ع ٩) واحياناً « ان يسوع جاء * ليستخلص الخاطيين الذين انا اولهم (تيموثاوس ١ ص ١ ع ١٥) * وقال ايضاً . « قد سمعتم بتصري في قديماً في اليهودية * انني كنت اضطهد كنيسة الله بافراطٍ في ذلك . واهدمها (غلاطية ص ١ ع ١٣) لان حالهُ حال من يقضي المسيح هذا الاقرار . مكافاةً لتمهلهِ عليهِ . باظهاره من كان سالفاً * وكيف خلّص بفضلهِ عدوه ومحاربه * فعلى هذه الحال ينادي بجربهِ للكنيسة بمجاهرةٍ كثيرة . الذي جارب بهِ المسيح في ابتدا ايمان الناس بهِ بنشاطٍ جزيل * ومع ذلك يبسط للذين ييئسوا من انفسهم امالاً صالحة * لانهُ قال ان المسيح لهذا الغرض قدمهُ وادناه اليهِ * ليبين فيه اولاً تمهلهُ كلهُ * وافراط ثروة خيريتهِ * تمثالاً للمزمعين ان يومنوا بهِ يوصلهم الى حيوة دهرية * لان الافعال التي اجترى عندهم عليها . كانت اعظم من كل عفوٍ * وهذه الافعال فقد اظهرها البشير * وقال . « الى خاصته اتى * وخاصته لم تقبله * » ولعلك تسال . فمن اين جاء المالي الكل . الحاضر في كل مكان . واي مكان فرغ

من حضوره فيه . المحتوى على البرايا كلها في يده وضابطها ; فاجيبك . انه ما استبدل ولا مكاناً واحداً * لان كيف كان يكون ذلك ; وانما فعل هذا الفعل بتحدره الينا * لانه اذ كان في العالم موجوداً . ولم يظن انه حاضر فيه * لانه لم يكن بعد معروفاً . اظهر ذاته اخيراً * لما اهلنا لاستبطانه جسمنا * فالرسول اعني يوحنا البشير يدعو ظهوره هذا وتحدره وروداً . وقد يتعجب متعجب من هذا التلميذ . اذ لم يخجل من امتهان معلمه * لكنه كتب بمجاهرة المشيئة الصايرة اليه * وهذا الفعل ليس هو دلالة صغيرة على سجية حبهم للصدق * ولمعنى غير ذلك . هو ان المستخزى لاجل المتهنين . ما سبيله ان يخجل لاجل المتهن الشتوم * لان هذا المتهن قد اشرق نوره اكثر اشراقاً بامتهانهم اياه * واعتنى بالذين امتهنوه بعد امتهانهم اياه . عناية جزيل تقديرها . واوليك فاستبانوا عند جميع الناس مكابرين غادرين نجسين . اذ ابعدوا من جاء اليهم بخيرات هذا المقدار الجزيل مقدارها * واحلّوه محلّ عدوهم ومحاربهم * وما انضرّوا بهذه المضرّة وحدها . لكنهم انضروا معاً بانهم ما اتفق لهم امتلاك ما اتفق للذين قبلوه تحصيله * وان سالت . وما الذي اتفق لهولاء الذين قبلوه امتلاكه ; اجبتك . هو قول الرسول ١٢ . « وجميع الذين قبلوه . اعطاهم سلطاناً ان يصيروا اولاد الله * » وانا اخاطب الرسول . ما رايك ايها السعيد في انك تذكر لنا العقوبة الراتبة للذين لم يقبلوه * لكنك قلت كانوا خاصته * ولما جاء الى خاصته لم تقبله * وما وصفت ما يقاسونه بدلاً من افعالهم هذه * ولا استثنيت ايضاً بذكر العقوبة التي يتكبدونها * على انك كنت على هذه الجهة قد ارعتهم اعظم الارتياع واشدّه . وكنت بتهويلك قد لينت جفاوة تجبرهم * فلمَ صمت عن ذكر ذلك ; فسوف يجيبنى عن ذلك * وما الذي حدث من الحوادث في وقت من الاوقات اعظم من هذه العقوبة . عقوبة غيرها ; اذا كان السلطان مبذولاً لهم ان يصيروا اولاد الله . فلم يصيروا ; لكنهم اعدموا ذواتهم طايعين . شرف هذه المجانسة والكرامة الجزيل تقديرها * ومع ذلك فما قد وقف في هذه الاقوال عوارض العقوبة الراتبة لهم . ولا انهاها الى انهم ما يحصلون حظاً صالحاً . لكنه اذ امعن في قوله كشف النار العادمة ان تكون خامدة التي تقتبلهم كشفاً ابيّن وضوحاً * الّا انه يصف الحظوظ الصالحة للذين قبلوه . ويبينها بلفظ يسير . بقوله هذه الالفاظ باعيانها على هذه الجهة . « وكافة الذين قبلوه . اعطاهم سلطاناً ان يصيروا اولاد الله * » ولو كانوا عبيداً . ولو كانوا احراراً . ولو كانوا اوثانيين . ولو كانوا اعجميين . ولو كانوا صقالبة . ولو كانوا حكما . ولو كانوا غير حكما . ولو كانوا نساء . ولو كانوا رجالاً . ولو كانوا صبياناً . ولو كانوا شيوخاً . ولو كانوا مهانين . ولو كانوا مكرمين . ولو كانوا اغنيا . ولو كانوا فقرا . ولو كانوا روسا . ولو كانوا عامّة * فكلهم قد اهّلوا لكرامة واحدة بعينها * وبيان ذلك ان الامانة ونعمة روح القدس (التي نقتبلها في المعمودية) اذا انتزعت من اشخاص الناس العالمية زوال

التساوى؟ . خلقتهم كلهم صورة واحدة * ومثّلتهم بصورة التمثال الواحد الملكى * فما الذى يكون
هديلاً لهذا التعطف على الناس : فالملك المخلوق معنا من طين واحد بعينه . ليس يوهل الذين
يواخونه فى العبودية لله ويشاركونه في طبيعته بعينها . وربما كانوا افاضل فى اخلاقهم . ان يحسبوا فى
جنسه الملكى . ان اتفق ان يكونوا عبيداً * الا ان ابن الله الوحيد لم يستنكف ان يحسب
اناساً عشارين . ساحرين . وعبيداً . واقواماً افقر الناس كلهم . واكثرهم هواناً . وكثيرين
اجسامهم فيها عاهات مشتملين عيوباً كثيرة . في وصف اولاده . فقوة الايمان به جزيل تقديرها .
وافراط نعمته جزيل مقدار سموه * وكما ان طبيعة النار اذا لامست ارض معادن الذهب . جعلت ترابها
فى الحين ذهباً متكوناً من ارضها * هذا الفعل تفعله المعمودية (فى فعل المعمودية) بالذين
يستحمون فيها واكثر منه كثيراً * لانها تجعلهم بدلاً من ترابيين ذهبيين * اذ حصلت نار الروح
فى ذلك الوقت في نفوسنا . واحرقت تمثال الترابى . وجددت افتراس تمثال السموى . واظهرته
بهياً لامعاً صقيلاً . كصقال الذهب الخالص الخارج من الكور * فان سالت فما غرضه في انه جعلهم
ان يصيروا اولاد الله ؛ اجبتك . انه اراد بذلك اننا نحتاج الى حرص كثير . حتى يرتسم تمثال
البنوة بالوضع فينا بالمعمودية * وان نصونه بجملته ناجياً من ان يصير متدنساً او ملموساً * مظهراً
مع ذلك ان هذا السلطان ليس يقتدر احد ان يسلبنا اياه اذ لم نسبق نحن فنوصل سلبه الى ذواتنا *
ولين كان الذين يتسلمون من اناس سلطاناً على بعض الاعمال . يمتلكون قوة تقارب فى تقديرها .
القوة التى يمتلكها الذين اعطوهم السلطان باعيانهم * فالذين قد اتفق لهم ان يمتلكوا من الله
هذه الكرامة . احق واولى بذلك * اذا لم يعملوا عملاً هديماً ان يكون اهلاً لهذا السلطان * ولنكونن
اشد قوة من جميع الناس * لاجل ان الذى خولنا هذه الكرامة هو اعظم من الكل واوفر صلاحاً *
ومع ذلك فنريد ان يوضح ان النعمة ما تتبع على بسيط ذات الاتباع * لكنها انما تتبع الذين
يريدونها والمجتهدين علي امتلاكها * لان في سلطان هولاء قد وضع ان يصيروا اولاداً * فان لم
يشاء ذلك هولاء . فما تتبعهم الموهبة . ولا تعمل عملاً يخصها * فعند انتزاعه في كل مكان السجية
المضطرة . وايضاحه السجية الموثرة المستولية على ذاتها . قال الان هذا القول * لان في هذه
المواهب الصالحة المتنع وصفها باعيانها * اما اعطاء النعمة فهو لله . واما اصدار الامانة فهو للانسان *
وفي الزمان الذى بعد ذلك نحتاج ان يكون حرصنا واجتهادنا كثيراً * لاننا ليس يكفينا لصيانة
الطهارة فينا ان نصطبغ وان نومن فقط . لكننا نحتاج اذا اعتزمنا ان نستمتع كل حين ببهجة المعمودية
هذه الى ان نخولها عيشة موهلة لها * فهذا الفعل قد فوضه الهنا الينا * لان تولّدنا تولداً سرياً
وتنظفنا من كافة الخطايا المجترمة بنا . انما يتكون من المعمودية لنا * وثباتنا فيما يتلو ذلك
انقياء . ولا نقتبل ايضاً فيما بعد من الوسخ ولا صنفاً . فهو لسلطاننا واجتهادنا * ولهذا المعنى

اذكرنا بسهية الولادة * وارانا من مقايسة اتعاب الطلق الجسمانية عظمها وشدتها . بقوله * ١٣
«الذين ما ولدوا من دم . ولا من مشية لحم . ولا من ارادة رجل . لكنهم من الله ولدوا» *
فعمل هذا العمل حتى اذا تأملنا حقارة ولادتنا الاولى . ومذلتها الكائنة بالدماء . وبمشية
اللحم . وعرفنا علو ولادتنا الثانية . وشرف حسبها الكائنة بالنعمة . نستفيد من هذه الجهة وعياً
عظيماً من اجلها . موهلاً لموهبة الذى ولدنا * ونظهر فيما بعد حرصنا كبيراً * لان خوفاً ليس
يسيراً نحتاج . حتى لا ندنس في وقت من الاوقات هذه الحلة الحسنة بنيتنا فيما بعد . ونخرج
بذنوبنا من الحجلة والخدر . مثل اوليك العذارى الجاهلات الخمس * نظير ما اخرج الذي ما ابتلك
لبوس العرس * لان ذاك قد كان من الندماء لانه قد دعي وبعد اكرامه للاكرام الجزيل سب من
دعاه * واسمع اية مقابلة قوبل * وكيف يستوجب النرثي لها والدموع الغزيرة * جاء ليتناول
من تلك المايدة البهية . فما منع من الوليمة فقط . لكنهم شدوا يديه ورجليه . وساقوه إلى الظلام
البراني الاقصى بعيداً . متكبداً العويل الدهري الفاقد إن يكون مجبوراً وصريف الاسنان *

العظة العاشرة

زكى من لا يعيش عيشة صالحة . ما يستفيد من المعمودية المقدسة نفعاً *

فلا نظن نحن يا احبتي ونتوهم . ان امانتنا فيها كفاية لخلاصنا * لاننا ان لم نظهر عيشة
نقية . بل نحضر لابسين ثياباً دنية لن نكون اهلاً لهذه الدعوة السعيدة . فليس مانع يمنعنا
ان نقاسي مما قاساه ذالك الشقي بعينه * لان منكراً ان يكون هو لم يزل الهاً وملكاً . لم
يأنف ان يدعو اناساً حقيرين مكديين ليسوا موهلين لشي . لكنه ساقهم من طريق المسكنة
ذات الثلث جهات الى تلك المايدة . فنظهر نحن زوال حس يبلغ في كثرته . الى ان لم نصر في
هذه الكرامة الجزيل تقديرها افضل مما كنا * لكننا ناتون بعد دعوته ايانا في رذيلته بعينها *
لانه ليس لهذا الغرض دعانا الى مشاركة اسراره هذه الروحانية الرهيبة . حتى ندخل الى وليمته
برذيلتنا * بل انما دعانا حتى اذا نزعنا قباحتنا . نلبس الثياب التي يجب ان يلبسها المدعوون الى
الاكل في قصور ملكه * فان لم نشا ان نعمل اعمالاً موهلة لدعوته تلك النفيسة . فليس ذلك من جهة
المنعم الكريم * لكنه من جهتنا * لان ليس يخرجنا داعينا من صف ندمايه العجيب * لكننا
نحن نخرج ذواتنا * لانه هو قد استكمل كل ما هو منسوب اليه * لانه قد سوم افراح عرسه .
واقد اصلح مايدته . وقد ارسل رعاته واستقبل الواردين لما جاءوا الى عنده . واكرمهم الاكرام
الاخر كله * ونحن اوصلنا الهوان اليه . والى الحاضرين عنده . والى عرسه . بثيابنا الوسخة التي هي

اعمالنا النجسة * فعلى جهة الواجب يكون اخراجنا فيما بعد * لانه بهذا الفعل يكرم عرسه والمدعوين اليه وطرده اوليك الوقحين المسلوبين استجابهم * لانه لو ترك في عرسه اللابسين ذلك الثوب الوسخ لتوجه الطعن عليه . انه هو بهين للاخرين * لكن لا صار ان يمارس واحد منا . او من الناس الاخرين * ما مارسه ذلك المدعو الذى هذه الحال حالة * لان لهذا الغرض كتبت هذه الحوادث كلها قبل كونها . حتى نرتدع بتهويل الكتب الواصفة هذه العقوبات . ولا نطلق ان يصل هذا الهوان وهذا العذاب الى فعله * وان نوقف العذاب في الالفاظ وحدها * و يصير كل واحد منا الى تلك الدعوة بحلة ملكية . التي فليكن لنا كلنا ان نتمتع بها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس * الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الحادية عشر

في قوله (١٤) والكلمة صار لحما . وسكن فينا *

اريد ان استميحكم كلكم . قبل ان الامس الفاظ الانجيل منة واحدة * وعساكم ما تجنحون الى استماحتي * مع انني لست اطلب فعلا ثقيلا صعبا . وليس هو نافعا لي اخذه وحدي . لكنه نافع لكم انتم ايضا الذين تجودون به علي . واكثر منفعته واصلة اليكم * وان انتم سالتموني عما استميحكم اياه . اجبتكم * انني اريد ان كل واحد منكم ياخذ الاصحاح من الاناجيل التي ينتظر ان تقرا عليكم في يوم الاحد او السبت بيده قبل هذين اليومين . وليقراه جالسا في منزله قراة متصلة * وليتصفح ما قد قيل فيه تصفحا بليغا دفعات كثيرة . وليتامل المعاني المخزونة فيه . وليبحث منها كلها بحثا صايبا * ويميز ما هو منها واضحا * وما هو غامضا * وما هو علي ما يظن مناسبا لاضداد معناها * وما ليس هو علي ما يظن به . ويستبريها كلها . علي بسيط ذات الاستبراء ويعتبرها * وبعد ذلك تستقبلون استماع ما يقراء عليكم * فان الفايدة لكم ولنا من هذا الحرص والاجتهاد ما تكون صغيرة * لاننا نحن ما نحتاج تعبا كثيرا لايضاح ما قيل في الاصحاح . واظهار قوته لكم * اذا كان تمييز فهمكم قد تقدم فاختص بمعرفة الفاظه * وانتم تصيرون بهذه الرياضة بصايركم اسرع فهما واحد نظرا * ليس في استماعكم فقط . ولا في تعلمكم . لكن في تعليمكم اخرين غيركم * فمن هذه الجهة اقول ان كثيرين من الحاضرين الان ههنا . يلزمون ذواتهم ان يتعلموا هذين الصنفين جميعا * وهما الفاظ الاصحاح كلها . وما نقوله نحن في ترجمتها * ولو استكملوا يعملون هذا العمل سنة كاملة . لما كانوا يقتطفون فايدة من الفوايد يسيرة * وكيف يمكنهم ذلك

وهم اما يتفرغون لما يُقال ههنا في وقتٍ قصير . كأنّه من عملٍ منحرف عن غرضهم * فان احتج عندنا محجون باشغالهم ومهماتهم . وبكثرة اشغالهم بالنظر الى احوال المدينة والعامة . فهذا العارض بعينهِ اولاً هو ذلك ليس صغيراً لهم . ان يحذق بهم كثرة اشغال جزيل تقديرها * وان يتبجنوا علي هذا النحو في اشغال الدنيا كل حين . تبجناً يفضي بهم الى ان لا يتفرغوا فراغاً يسيراً . للفوايد التى هى الزم ضرورة من الاشغال كلها * وبعد ذلك نثلبهم بان اقوالهم هذه احتجاج ومدافعة * لان التيامهم مع اصدقايهم . ومقامهم في مشاهد اللعب . وجموعهم التى يجمعونها من اجل النظر الى تهاجن الخيل وسباقها . التى طالما افنوا فيها اياماً كاملة * وما يحتج فيها احدهم البتة باشتغالهِ باشغالٍ مهمة تحجزه منها * ومع ذلك فالاشغال المذمومة . قد اذلتم منكم توجد الحجة عليكم فيها * ويمكنكم ان تتفرغوا لها تفرغاً غريقاً * واذا وجب ان تصغوا الى اقوال الهنا . تظنون انها احقر من كل ما يوجد فضلة زايدة واشدّ هواناً * وتبلغون في استحقارها الى ان تعتقدوا انها ما يجب ان توزعوها ولا فراغاً يسيراً * فاذا كانت هذه الحال حالكم . فكيف تكونون اهلاً لاستنشاق الهوا . والنظر الى هذه الشمس ; وقد يوجد الاكثرون ونيةً من غيرهم جهة اخرى وهى اعدم الحجج احتجاجاً * وهى انهم ما يستقنون ولا يمتلكون مصاحف * فالاغنيا من المحتجين هذا الاحتجاج يتكاثر الضحك عليهم . من اجل احتجاجهم هذا * واذ الاكثرون من الفقرا علي حسب ظني يستعملون هذه الحجة استعمالاً متصلاً . اقول لهم ذلك القول باوفر الالتذاذ . هل يوجد صانع من الصناع . ليس يقتني لصناعتهِ كافة اداتها تامة كاملة . ولو منعتهُ موانع من فقرهِ جزيل عددها ; فكيف ليس يكون هذا الفعل منكراً . ان يكون ذلك الصانع ليس يحتج بفقرهِ . لكنهُ يعمل كلما يعملهُ . حتى لا يكون له عايق من العوايق في صناعتهِ ولا من جهة من الجهات ; واذا اعتزمتم انتم ان تستثمروا منفعة هذا المبلغ الجزيل مبلغها . تنتحبون علي اشغالكم وتحتجون بفقركم ; ومع ذلك ان كان اناس منكم فقرا في الغاية القصوى من فقرهم . فقد يمكنهم من استماع القراءة المتصلة ههنا . ان لا يجهلوا ولا معنىً واحداً من المعاني المخزونة في الكتب الالهية . فان تكن هذه الفايدة تظن عندكم ان وجودها ممتنع . فعلى جهة الواجب تظنون هذا الظن لان الاكثرين منكم اذا جاءوا الى ههنا . ما يسمعون ما يقال بكافة نشاطهم * لكنهم انما يستكملون هذا السماع الى ان يضي النهار فقط . ويرجعون في الحين الى منازلهم * وان لبث عندنا اناس . فلم يكن حالهم افضل من حال الذين انصرفوا * وانهم حاضرون عندنا ههنا بجسمهم وحدهُ * لكن لكى لا نثقل عليكم بتطويل العذل كثيراً . ونفنى كافة الوقت فى مذماتكم . سبيلنا ان نسير الى الفاظ البشارة * لان الوقت يسوق كلامنا الى الموضوع له * ولكن انهضوا حتى لا يفوتكم صنفٌ مما يقال * قال . « والكلمة صار لحماً * وسكن فينا * » لما قال ان الذين اقتبلوه

قد وُلدوا من الله وصاروا اولاد الله . ثبّت علة هذه الكرامة الجزيل مقدارها المغتاص وصفها وسببها * وهذه العلة هي كون الكلمة لحماً . واتخاذ سيدنا صورة عبده * لانه صار ابن انسانٍ . وقد كان ابناً خالصاً لله * لكي يصيّر بني الناس بنين لله * لان ذا الحظ العالى . اذا خاطب الرجل الذليل وصاقبه . فليس يصل الى شرفهِ هو ضرر * وقد انهض ذاك من تذلله الكثير * وهذا الفعل فقد كان في تحنن ربنا * لانه من تحدرهِ هذا ما نقص من طبيعتهِ نقصاً * ورفعنا نحن الجالسين كنا في الظلام كل حين * وفى زوال الشرف الى شرف يغتاص وصفهُ * فعلى هذه الجهة اذا خاطب ملكٌ في مكانٍ من الاماكن رجلاً مسكيناً فقيراً بحرصٍ وتودد . فهو لعمري ما قد اخزى بذلك ذاته * وقد جعل ذلك ان يكون عند كل اهل بلدهِ بهياً شايعاً ذكرهُ * فان يكُن في مرتبة الناس الزايلة . ليس يضرّ من كان فيها اكرم من غيرهِ محلاً مخاطبتهُ ومصاقبتهُ من كان فيها ادنى من غيرهِ قدراً . فاليق واوجب ان لا يوثر ذلك في الجوهر السعيد ذاك العديم ان يكون بالياً . الذي ليس يحوّى فعلاً دخيلاً ولا باطلاً * الذى يمتلك افعالهُ كلها على الكمال ثابتة عادمة ان تكون متحركة * فقد وجب من ذلك . اذا سمعت ان الكلمة صار لحماً . ان لا ترتجف ولا تسقط * لانهُ ما انتقل من جوهرهِ الى اللحم * لان هذا الافتكار هو من كفرٍ والحاد * لكن جوهرهُ بقي على ما هو * فاتخذ على هذه الجهة صورة عبدٍ * وان سالت . ولمَ استعمل البشير لفظة صار؛ اجبتك * انهُ استعملها حتى يسدّ بها افواه اصحاب بُدع الهَوى فى الدين * لان اذ قد يوجد اناس يقولون ان افعال تدبيره كلها انما كانت خيالاً ومراياةً وتوهماً . وضع البشير قولهُ صار لحماً اذ تقدم فابطل من اعلى كلامهِ تجديفهم * ليس مريداً ان يبيّن انتقال جوهره . ابعد هذا الوهم * لكنهُ قالهُ موثراً ان يبين اتخاذهِ لحماً حقيقياً * وعلى نحو ما ان بولس اذ قال „ ان المسيح ابتاعنا من لعنة الشريعة . اذ صار من اجلنا لعنة . „ ما قال هذا القول . ان جوهره انتزح عن شرفهِ * وتجوهر لحماً * لان هذا القول ولا الجن فطنوا بهِ * ولا الذين قد زال فهمهم جداً . وقد عدموا بصايرهم ايضاً الطبيعية * امتلكوا مع الحادهم انحراف تمييزهم هذا الجزيل تقديره * فما قال الرسول اذاً هذا القول * لكنهُ انما قال ان المسيح اقتبل اللعنة الموجبة علينا . وما اهملنا ان نوجد فيما بعد ان نوجد ملعونين * على هذا النحو قال البشير ههنا انهُ صار لحماً * ليس انهُ احال جوهره الى لحمٍ . لكنهُ قال انهُ اتخذ لحماً * اذ بقى جوهرهُ ناجياً من ان يدانيهِ حوول * فان قالوا انهُ اذ لم يزل الهاً قادراً على كل ما يشا . قد اقتدر ان ينتقل الى لحمٍ * نقول لهم ذلك القول . انهُ يقتدر على كل ما يريد الى ان يبقى لم يزل الهاً * فان اقتبل انتقالاً وحوولاً الى حالٍ اشر . فكيف يكون الهاً ؛ لان الانتقال والحوول منتزح عن تلك الطبيعة الفاقدة ان تكون بالية * ولهذا الغرض قال النبي . „ ان كافة البرايا تعتق كما يعتق الثوب * ومثل الردا تطويهم فيتغيرون وانت على

ماهيتك انت هو * وسنوك لا تفنى (مزمور ١٠١ ع ١٧) لان هذا الجوهر اعلى من كل حوولة * لان ليس شيء افضل منه . حتى عند نجاحو واقتبالو يصل الى ذلك الشى * وما معنى قولى ليس شيء افضل منه : بل ولا يوجد عديل له * ولا قريب منه قليلاً * فاقتباله اذاً الانتقال الى الجوهر الادنى ينقص شرفه * ولو انتقل هذا الانتقال . لما كان يكون الهاً ولكن هذا التجديف فلينعطف الى راس القايلين هذه الاقوال * والبرهان على انه لهذا الغرض وحده قيل صار لحماً . حتى لا تظنه خيالاً * اسمع البشير باقواله التالية هذه ينقض قول المعارضين الردى . ويعكس توهمهم الخبيث * لانك ان سالت وما هو القول الذى استثنى به : اجبتك * هو قوله « وسكن فينا » * فقارب ان يقول . لا تتوهموا توهماً شنعاً من قولى وصار لحماً * لانى ما ذكرت حوولاً لتلك الطبيعة الفاقدة ان توجد مستحيلة * لانى انما ذكرت سُكنى واستيطاناً * والساكن والمسكن ليسا معنى واحداً بعينه * لكن شيء اخر يسكن فى شى اخر * والا فما كان يكون سكناً * لان ليس شيء يسكن فى ذاته * وانما ذكرت آخر فى الجوهر . لان الاله الكلمة واللحم هما فى اتحادهما واقترانهما واحد . اذ لم يصر لجوهرى ربنا تشويش تخليط ولا تغييب * لكن صار لهما اتحاد عديم ان يقال او يوصف * قدمرف هو كيف تكون بابلغ الاستقصاء * وان سالت وما هو المسكن الذى سكنه ; اجبتك اسمع النبى القايل . « لانهضن مسكن داود الهابط (عاموص ٩ ع ١١) لان طبيعتنا سقطت بالحقيقة * وكان سقوطها سقوطاً عديماً شفاوه * واحتاجت الى تلك اليد العزيزة * وما اتجه لاخر ان ينهضها . الا الذى خلقها فى القديم * ومد يده لمعونتها . ومثلها ونشلها من فوق باعادة ولادتها بالماء والروح * وانظرلى الى السر المريع الممتنع وصفه * لانه يسكن فى هذا المسكن دايماً * لانه لبس لحمنا . وليس حالة حال من قد خلاه ايضا * لكن حالة حال مشتمل اياه كل حين ومعه دايماً * ولو كان ليست هذه الحال حالة . لما كان اهله لعرسه الملوكى * وسجدت له وهو لابس لحمنا كافة جيوش الملئكة التى فى العلو * وروسا الملئكة . والكراسى . والربوبيات . والرياسات . والسلطات * فاى قول . واى تمييز . يقتدر ان يبين هذه الكرامة الجزيل تقديرها الواصلة الى جنسنا . المريعة على هذه الجهة الفايقة على الطبع : ايما ملاك . ايما رئيس مليكة امكنه ذلك ; ما اقتدر البتة ان يبين هذه الكرامة ولا واحد من الذين فى السما . ولا من الذين فى الارض * لان المحامد التى احكمها الهنا هذا المحل محلها * واحساناته عظيمة على هذا المثال وفايقة على الطبيعة * حتى ان وصفها البليغ يفوق ليس على اللسان الانسانى فقط . لكنه يعلو مع ذلك على القوة المليكية *



العظة الحادية عشر

في اننا اذا عشنا عيشة منقومة لسنا نوصل المنة الى الهنا . بل الى نفوسنا *

فلهذا السبب نحبس كلامنا في الصمت * واوصيكم ان تكافوا المحسن الينا العظيم محالة بمنحٍ من المكافاة . يبلغ تقديرها الى ان تثبت كافة فايدتها لنا * وهذه المكافاة هي ان نهتم نحن بانفسنا بابلغ الاهتمام * لان هذا العمل فعلٌ لتعطفه * لانه ليس محتاجاً الى عملٍ من اعمالنا * وهو يقول انه يستمد منح المكافاة منا . اذا اهتممنا نحن بانفسنا * فلهذا السبب يكون فعلنا من غباوةٍ في غايتها . موهلاً لعقوبات جزيل تقديرها * اذا كنا قد استمتعنا بكرامةٍ هذا المبلغ الجزيل مبلغها . فلا نقدم ما تصل اليه قوتنا * على ان المنفعة من هذه الاعمال الصالحة موافية الينا ايضاً * والنِعَم الصالحة الجزيل عددها موضوعة لنا فيها * فسبيلنا من اجل هذه الاحسانات كلها . ان نعلي تمجيداً لالهنا الوادّ للناس * ليس بالفاظنا وحدها . لكن نعلي له تمجيداً اكثر وازيد باعمالنا * لكي يتفق لنا فيما بعد امتلاك النعم . الصالحة * التي فليكن لنا كلنا ان نمتلكها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه * الذي به ومعه المجد لابيه مع الروح القدس * الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الثانية عشر

في قوله (١٤) وعاينا مجده مجداً كمجد وحيد من ابيه * مملواً نعمة وحقاً *

لعلنا ظهرنا عندكم مستثقلين خارج الواجب مستكرهين . اذ استعملنا كلامنا لكم فيما سلف . الذع من غيره . واسهبنا على توانى الكثيرين منكم تقريعنا طويلاً * لكننا ان كنا فعلنا ذلك معتمدين هذا الغرض بعينه . ان نغمكم فقط . فعلى جهة الواجب قد استصعب ذلك كل واحد منكم * وان كنا قد اعرضنا عن التحمد اليكم باقوالنا ناظرين الى ما يوافقكم . فان كنتم من ركاكتكم ما تريدون ان تقبلونا * الّا انكم اذا كنتم اصحاب عدل ستعرفون خلوص ودّنا الجزيل تقديره * لاننا نرتاع ارتياعاً شديداً . اذا لم نحرص نحن ان ننبهكم . ولو لم تؤثروا انتم ان توضحوا ايثار التعب بعينه في استماعكم * ان تصير عقوبات العاجزين منكم اصعب ايلاماً * فلهذا الغرض نضطر ان ننهضكم وننبهكم تنبيهاً متصلاً * حتى لا تسقط عنكم لفظة من الالفاظ التي نقولها * لانكم على هذه الجهة يتساغ لكم ان تعيشوا الآن عيشة حميدة . وان تقفوا في ذلك اليوم لدى منبر المسيح بدالةٍ كثيرة * فاذا كنا قد لذعناكم فيما سلف لذعاً كافياً . فهات

نتوجه اليوم الى اقوال البشارة باعيانها من مباديها * قال . « ورأينا مجده مجداً كمجد وحيد من ابيه * » لما قال اننا قد صرنا اولاد الله . وبين باى حال صار الكلمة لحماً . ذكر ايضاً فايدة اخرى منه بعينه * فان استخبرت وما هي هذه الفايدة : اجبتك * انه اذ قال « وعاينا مجده مجداً كمجد وحيد من ابيه . » فلولم يظهر لنا بجسد مناسب لنا . لما كنا عايناه * ولئن كان الذين كانوا في زمان موسى النبي الذى كان مساهماً لنا في طبيعتنا بعينها . ما صبروا على معاينة وجهه فقط لما مجد . لكن احتيج الى برقع للصديق يقتدر ان يحجب خلوص مجده . ويوضح لهم وجه النبي انيساً . وديعاً . فكيف كنا نستطيع نحن الترابيون الارضيون . ان نحتمل لاهوتاً عارياً . يعتاص على القوات التي في العلو مقارنته : لهذا السبب سكن فينا . حتى نستمكن ان ندنو منه * وان نخاطبه ونتصرف معه بمجاهرة كثيرة * وان سالت وما معنى قوله « مجداً كمجد وحيد من ابيه : اجبتك . لما كان كثيرون من الانبيا قد مجدوا . كقولك موسى هذا بعينه . وايليا . واليشع * فاليشع احاطت به مركبة نارية (ملوك ص ٦ ع ١٧) * وايليا صوعد على هذه الجهة علياً * وبعدهما دانيال . والثلثة فتية . واخرون كثيرون . اظهروا عجايب ومجدوا * واستبانوا عند الناس ملئكة وابرقوا طبيعتهم * اذ فتحوا للناظرين اليهم * وقد ظهر للنبي اشعيا ليس ملئكة فقط . بل قد ظهر له ايضاً الكاروبيم بمجد كثير وقد ظهر له السارافيم بشبه ذلك * فالبشير جزنا من هولاء كلهم . وانهض تمييز فهمنا من الخليقة ومن بهجة المتواخيين فى العبودية . واقامنا عند هامة النعم الصالحة بعينها * لانه ما قال عاينا مجد نبي . ولا مجد ملاك رئيس ملايكة . ولا مجد القوات الاعلى سمواً . ولا مجد طبيعة اخرى مخلوقة * ان كانت توجد طبيعة اخرى * لكنه قال . اننا عاينا مجد سيدنا بعينه * ملكنا نفسه * مجد الابن الوحيد الخالص بعينه * ربنا كلنا وسيدنا * وحرف مثل ههنا ليس هو حرف تشبيه ولا مقايسة * لكنه حرف تحقيق وتحديد خالٍ من ارتياب * كانه قال عاينا مجداً كما لاق ووجب ان يمتلكه ابن وحيد خالص لاله البرايا كلها وملكها * وهذه عادة الكثيرين من الناس * لاني لست استعفى ان احقق كلامي من عادتهم الشايعة * لان ما قد وضع لنا الان ان نتكلم كلاماً يتوخى حسن الاسماء ونظام الشروط . لكنه يعتمد منفعتكم فقط * فمن هذه الجهة ليس يمنعنا مانع ان نحققه من عادة الناس الكثيرين * وان سالت ما هي عادة الناس الكثيرين . اجبتك * اذا ابصر في اكثر الاوقات اناس ملكاً مزاناً لامعاً في كافة جهاته مكرمة جداً . اذا ارادوا ان يصفوا لقوم اخرين ذلك الحسن . وينعتوا زينته وشرفه يقولون ما يمكنهم * فيصفون زهر حلته . وعظم جواهرها . وبياض بغلتيه . والذهب الذى يشتمل اقترانهما . ومفرشه الناعم اللامع صقاله * فاذا اعددوا هذه الاوصاف وغيرها معها . ولم يمكنهم ان يبينوا بكلامهم بهجة زينته كلها * استثنوا في الحين بهذا اللفظ . وقالوا ما حاجتنا ان نقول اوصافاً

كثيرة . نقول فى دفعةٍ واحدة . انهُ مثل ملك * يريدون ان يبيّنوا بحرفِ مثل مَن ذكروا هذه
الاوصاف كلها فى نعتهِ . ليس انهُ شبيه بملك . لكنهم يوثرون ان يوضحوا بذلك انهُ ملكٌ بذاتهِ
خالص * فعلى هذه الجهة وضع البشير حرف مثل في قولهِ * ,, مثل مجد وحيد من ابيه * ,, مريداً
ان يبين جسامة مجدهِ * وتجاوزه الغاية فيه . تجاوزاً يفوت المقايسة * لان الاخرين كلهم اعنى
الملئكة . والانبيا . كانوا اذا اوعز اليهم . يعملون جميع ما يعملونه واما هو فعمل كل ما اراد بسلطان
لايق بملكٍ وسيدٍ * وهذا الفعل فقد استعجبتهُ الجموع . انهُ علّمهم تعليم مالكٍ سلطاناً عليهم *
وعلى ما قلت فقد ظهرت فى الارض ملئكة بمجدٍ كثير * على نحو ما ظهروا فى زمان دانيال . وفي
ايام داود . وفى عصر موسى * الّا ان حالهم كانت حال عبيد يجوزون سيداً يمتلكهم * وربنا
فحالهُ حال سيد ضابط برایاه كلها . فعلى افعاله هذه لمّا . ظهر بشكل حقير ذليل * الّا ان الخليقة مع
ذلك عرفت على هذه الحال سيدها * فالنجم من السما استدعى مجوساً الى السجود لهُ * ورهط
ملئكة جزيل عددها انبثّ في كل صقعٍ من تيك البلدة . يحوطون بسيدهم ويسبحونهُ * واخرون
منهم افرعوا على غفلةٍ منذرين بهِ . وكلهم يستقبل بعضهم بعضاً . مبشرين بهذا السر المغتاص التكلم
بهِ * فالملئكة بشروا الرعاة . والرعاة بشروا اهل المدينة * ومريم واليصابع بشرهما جبرائيل * ولمّا
جاءوا ايضاً الى الهيكل بشر بهم حنه وسمعان ايضاً * وليس رجال ونساء فقط استطاروا فرحاً
من شدّة التذاذهم . لكن ويوحنا ايضاً سمّى هذا البشير . وما كان بعد قد ظهر الى الضو طفلاً .
ارتكض وكان بعد فى حشا امهِ مسروراً * وكلهم كانوا مستعلين بامالهم الى افعالهِ المستانف
كونها * فهذه الحوادث كانت فى الحين عند مولدهِ * فلمّا اظهر ذاته اكثر اظهاراً . ما دلّ عليه
ايضاً نجمٌ وسماء . ولا مليكة وريسا مليكة . ولا جبرائيل وميخائيل . لكن اباه بعينهِ اشار به من
فوق السموات * ومع ابيهِ ايضاً طار عليهِ المعزى مع صوت ابيهِ . وثبت عليهِ * فعلى الحقيقة لاجل
هذه البدايع قال البشير . ,, وعاينا مجده مجداً كمجد وحيدٍ من ابيهِ * ,, وليس لاجل هذه الحوادث
الباهرة فقط قال هذا القول * لكنهُ قالهُ ايضاحاً لاجل ما يكون بعدها * لانهُ لم يبشرنا بهِ رعاة
فقط . ولا نسوة ارامل . ولا رجال شيوخ . لكن صوت افعالهِ بعينهِ هاتف ابهى من كل بوقٍ هتافاً
شديداً . يبلغ تمثيلهُ الى ان صارت نغمتهُ تسمع في الحين ههنا * لان سماعه وصل الى الشام .
واعلن ذاتهُ عندهم كلهم * وصاح الى ساير الجهات بكافة افعاله . ان ملك السموات قد وافى * لان
الجن هربوا من كافة الجهات . وتفارروا موليين * وابليس المحتال انصرف مستتراً * والموت
توارى حينئذٍ . وتغيب بعد ذلك تغيباً كاملاً * وانحل نوع كل سقم * والقبور اطلقت الاجساد
الميتة * والجن اهملت المجانين * والاسقام تركت المرضى * وكان للناظر ان يرى حينئذٍ افعالاً
معجزةً عجيبة * كان الانبيا علي جهة الواجب قد اشتهوا ان يروها . فما ابصروها * لان الناظر كان

يرى عيوناً مخلوقة * يعني عينى الضرير اللتين ابدعهما من طين * وذلك الابداع المأثور الذى اشتهى جميع الناس ان يبصروه * وهو كيف خلق الله ادم من الارض . هذا صار في مدة يسيرة عند جميع الحاضرين حينئذٍ ملحوظاً في العين . التي هي جزء افضل اجزاء جسمنا * وشاهدوا اعضاء جسدنا التخلعة ملصقة منضماً بعضها ببعض * ويدين ميتة قد عادت متحركة * وارجل متخلعة متفككة . قد صارت على شفللا تخفر والبة * واذاناً صمة قد عادت مفتوحة . ولساناً صامتاً صياحاً عظيماً . وقد كان مربوطاً فيما سلف بزوال نعمته * لانه تسلم حينئذٍ طبيعة الناس الشايعة بمنزلة صانع فاضل قد تملم بيتاً قد نخره الزمان . فجدد على هذه الجهة اجزاءها بعد تكسرها * وتممها . وضم اعضاءها المتباعدة المنفسخة ونظمها * وانهض الواقعة منها على التمام واقامها * وما الذى يقوله قايل في اعادته وابداعه نفسنا ; وقد كان اعجب من اختراعه الصحة في اجسامنا بكثير * لان عافية اجسامنا عظيمة المحل * الا ان عافية نفوسنا اعظم من تلك بكثير . ومقدار عظمها بمقدار ما ان نفسنا افضل من جسمنا * وليس هذا المقدار فقط بينهما . بل ان طبيعة اجسامنا اذا شاء خالقنا * ان يقتادها الى الصحة تتبعها وليس لها ولا صنف واحد معانداً * واما نفسنا فصايرة متامرة على ذاتها . حاوية سلطاناً على اعمالها * واذ لم تشا فما تخضع لله كافة قواتها * وليس يشا هو ان يجعلها جيدة اصيلة في الفضيلة كارهة مضطرة غصباً * اذ كان هذا الالزام ليس هو فضيلة * لكنه يشاء ان تطيعه . وتكون هذه الحال حالها مريدة طايعة * فمن هذه الجهة توجد مداواة النفس اصعب من مداواة الجسم * لكن هذه المداواة مع امتناعها . قد اصطلحت وتمت . وانطرد منها كل نوع من الرذيلة * وكما انه ما اعاد اجسامنا التي شفاها الى صحتها فقط . لكنه نقلها مع ذلك الى اتم الصحة . التي كانت لها فيما سلف . فكذلك ما نقل مستخلصاً نفوسنا من رذيلتها فقط الواصلة الى غايتها . لكنه مع ذلك استقادها الى هامة الفضيلة بعينها * فصار العشار رسولاً * واستوضح الطارد الشتام المفترى نذيراً للمسكونة * وصار مجوس معلمين لليهود * واستبان لص ساكن الجنة * واشرقت زانية في امانة كثيرة * واستبانت امراة سامرية نذيرة ايضاً للذين كانت قبيلتهم قبيلتها . واصطادت مدينة بجملة اهلها . واقتادتهم خارجين الى المسيح * وصبرت امراة كنعانية بامانتها والحاحها جنياً خبيثاً منطرداً من نفس ابنتها * وحسب اناساً اشر من هولاء بكثير في جملة تلاميذه * وكافة امراض اجسامنا انتقل شكلها بغتة * واسقام نفوسنا ايضاً . انتقلت الى صحتها . والى الفضيلة البليغ استقصاوها وما عوفي من هذه الاسقام اثنان او ثلثة اناس . ولا خمسة وعشرة وعشرون او ماية وحدهم . لكن مدناً بجملة اهلها وامماً ونقلت الى صحتها بسهولة كثيرة * وما الذى يقوله قايل في فلسفة اوامره . وفي فضيلة شرايعة السمائية . وفي حسن ترتيب طريقته الملكية ; لانه استورد لنا عيشة هذا المحل محلها * ووضع عندنا شرايع هذا التاثير تاثيرها *

وثبت سيرة هذا الفعل فعلها . اوصلت الذين استعملوها الى ان يصيروا في الحين ملئكة . ومتشبهين بالله علي حدو قوتهم * ولو اتفق ان يوجدوا اشرمن الناس كلهم * فهذه العجايب كلها . اذ جمعها البشر الكاينة في اجسامنا . والحادثة في انفسنا . والمتكونة في الاستقصات من اوامره ومواهبه وافعاله تلك المعجز وصفها . التي محلها اعلا من السموات . وشرايعه . وسيرته . وطاعته . ومواعيده المنتظرة . والامه . ابدى هذا الصوت العجيب الممتلي اراء وافهاما عالية * قايلا . « عاينا مجده مجدا كمجد وحيد من ابيه . مملوء نعمة وحقا * » لاننا لسنا نستعجب لاجل عجايبه فقط . لكننا مع ذلك نستعجبه بسبب الامه * كقولك اننا نستعجبه اذ سُمر على الصليب . بعد ان ضُرب بالسياط * اذ لُطم * اذ بُصق عليه * اذ ضربوه على خده الذين هو احسن اليهم * لانه بهذه الحوادث المتكونة انها تجتلب عارا . حصل موهلا ان يقال فيه ايضا هذا القول بعينه * اذ كان موسمي هذا الفعل مجدا * لان الحوادث الكاينة ما كانت سيمات اشفاقه وحبه فقط . لكنها كانت مع ذلك دلايل قدرته الممتنع وصفها * لان الموت حينئذ غيب * واللعنة انحلت * والشياطين اُخزيت . وانشهروا مفتضحين * وصلّ خطايانا سُمر في صليبه * ثم لما اُجترحت هذه العجايب اجتراحا عادما ان يكون ملحوظا . تكونت عجايب شُوهدت ملحوظة موضحة انه كان بالحقيقة ابنا وحيدا لله بسبب الخليقة كلها * لانه اذ كان جسده المغبوط بعد معلقا . علقت الشمس شعاعاتها * واهتزت الارض * واظلمت البرايا كلها * وتشققت القبور * وانتقضت البطحا * وطفر من الاجسام الميتة رهط يغتاص خبرته . ودخل الى مدينة اورشليم * وقام الميت الذى سُمر وصُلب وكانت حجارة قبره منظومة في وضعها * وسيماتها راتبة على حالها * وملا تلاميذه الاحد عشر من قوته الكثيرة * وارسلهم حينئذ الى الناس الذين في المسكونة * ليكونوا اطبا مشاعين لطبيعتهم كلها * فقوّموا عيشتهم وهذبوها . وزرعوا في كل مكان معرفة الاراء السمائية * وحلّوا تمرد الشياطين * وعلّموهم التعاليم العظيمة الصالحة الممتنع وصفها * وبشرونا بزوال موت نفسنا . وبحياة دهرية لجسدنا * وبجوايز تتجاوز عقلنا سموها . لن تحوي غاية في وقت من اوقاتها * فهذه النعم واكثر منها تاملها هذا السعيد . وعرفها هو * الا انه ما استجاز ان يكتبها كلها . لاجل ان العالم ليس يطيقها ولا يسعها * لانه قال هذه النعم كلها ان وصفها واصف فعلى حدو ظني ان ولا العالم يطيق المصاحف المكتوبة في وصفها ولا يسعها (يوحنا ص ٢١ ع ٢٥) وهذه كلها اذ افتكر فيها صاح هاتفا . « عاينا مجده مجدا كمجد وحيد من ابيه . ممتلى نعمة وحقا * »



العظة الثانية عشر

في العيشة الحميدة * وفي العقوبة الدهرية * واننا نحتاج الى عيشة متقومة * من طريق ان ليس يقتدر صنف غيرها ان ينجينا من العقوبة *

فيحتاج الذين قد أُهِّلوا لمعاينات هذا مقدار جلالتها * ولسماعات هذا محل منفعتها . واستمتعوا بموهبة هذا مبلغ فضلها . الى ان يظهروا عيشة موهلة لارايهم * حتى يستمتعوا ايضاً بالنعم المستحسنة هنالك * لان لهذا الغرض جاء ربنا يسوع المسيح . حتى لا نعاين مجده ههنا فقط . لكن نعاين مع ذلك مجده المنتظر ظهوره * لهذا المعنى قال . « اشاء ان يكون هولاء حيث اكون انا . لكي يعاينوا المجد الذى لى (يوحنا ص ١٤ ع ٣) فلين كان هذا المجد على هذا المثال بهجاء ظاهراً شرفه . فما الذى يقوله قايل فى وصف ذاك المجد المنتظر : لانه ليس يظهر فى ارض بالية * ولا في اجساد فاسدة توجد لنا * لكنه انما يظهر فى خليقة قد عدمت ان تكون بالية . شايعة . ببهجة هذا المقدار الجزيل مبلغها . ليس ممكناً ان يبين بقولنا * فبالحقيقة ان الموهلين لان يكونوا معاينين ذلك المجد السعيد لكثيروا الغبطة . مستوجبون هذا النعت دفعات كثيرة * الذي فى وصفه قال النبي « فليدفع المنافق . لكيلا يعاين مجد الرب * » لكن لا كان ان يُدفع احد منا . ولا نكون فى وقت من الاوقات عادمين معاينته * لاننا ان كنا ما نومل ان نستمتع به . فقد انساغ لنا ان نقول فى اوفق وقت لذلك * قد كان جيداً لنا . ان لا كنا قد ولدنا * لان ما الذى ينفعنا ان نعيش ونستنشق الهواء : ما فايدتنا قد حصلنا موجودين . اذا اتفق لنا ان نخيب من تلك المعاينة . اذا لم يسمح لنا احد حينئذ ان نعاين سيدنا : ولين كان الذين ما يعاينون ضو الشمس يصابرون حياة اشد مرارة من كل موت .: فما الذى يقاسيه على ما يليق بذلك الذين يعدمون ذلك النور : لان الخسارة ههنا فى هذا العارض فقط هى * والخسران هنالك فليس ينتهي الى هذا العمى فقط . على ان العارض المستصعب لو كان هذا فقط . لما كان على هذه الجهة عديلاً لشدة العقوبة * بل مقدار تاثيره الاصعب من غيره . بمقدار ماتوجد تلك الشمس افضل من هذه بتقدير يفوت القياس * الا انه الان ينتظر عذاباً غير هذا * لان من ليس يبصر ذلك النور ليس يجب ان يودى الى الظلام فقط * لكنه يكون يحترق كل حين ويذوب وتتقعقع اسنانه * ويقاسي شدايد اخرى جزيلاً عددها * فلا نتغافلن عن انفسنا بتضجيرنا هذا اليسير وتراخينا . فنسقط في تعذيب دهرى * لكن سبيلنا ان نتيقظ ونستفيق . ونعمل ونتحيل بكل ما يمكننا . لكي يتفق لنا امتلاك ذلك التمتع * ونكون بعيداً من نهر النار الساحب بدوى عظيم قدام

المنبر الرهيب * لان من قد سقط فيه دفعةً واحدةً . فهنالك يستوجب ان يبقى كل حين * وليس احد يستنقذه من تعذيبه . لا ابوه ولا امهُ ولا اخوه * وهذه الحوادث فالانبيا باعيانهم يهتفون بها * فاحدهم داود يقول . ,, اخٌ ما يفدي * أفيفدي انسان * ,, وحزقيا فيبيّن اكثر من هذا العارض * ويقول . ,, ان وقف نوح وايوب ودانيال . فما ينقذون بنيهم وبناتهم (حزقيال ص ١٤ ع ١٤) وانما توجد هنالك عناية واحدة وحدها . وهي التي تكون من اعمالنا * والعادم هذه العناية . فليس يجد من جهة اخرى استخلاصة * فاذا رددنا هذه الحوادث في نفوسنا . وكررنا افتكارنا فيها دايماً . فسبيلنا ان ننقي عيشتنا ونجعلها بهيةً * لكي نعاين ربنا بدالةٍ * ويتفق لنا تحصيل نعمو الصالحة . التي وعدنا بها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه * الذي بهِ ومعهُ لابيهِ المجد مع الروح القدس * الى ابد الدهور كلها امين *

المقالة الثالثة عشر

في قولهِ (١٥) يوحنا شهد من اجلهِ وصاح قايلاً . هذا كان الذي قلت انهُ جاءَ وراي وهو الذي كان قبلي *لانهُ كان اولاً لي متقدماً عليَّ *

أترانا لسنا نعدو في سعي باطل . ونتعب تعباً باطلاً فارغاً ; أترانا لسنا نزرع على الصخور ; هل ليست زروعنا قد خفي عنا انها واقعة على الطريق . وفيما بين الاشواك ; لانني اجتهد واخشى ليلا تكون فلاحتنا خايبة من ان تكون نافعة لنا * على انني مع ذلك لست اتوقع ان انظر واخيب من اجرة هذا التعب * لان اتعاب الذين يعملون . ليس هي نظير اتعاب الفلاحين * ولا يعرض لهولاء مثل ما يعرض لاوليك * لان الفلاح ربما بعد اتعابهِ طول سنته . وبعد شقايهِ ذلك الجزيل واعراقه . اذا لم تقدم لهُ ارضهُ ثمراً اهلاً لاتعابهِ . ليس يقدر يجد من احد غيره سلوةً لاتعابهِ * لكنهُ يرجع من ببذره الى بيتهِ بخجل واكتئاب وتقطيب . وليس يتجه لهُ ان يطالب امرأتهُ واولاده بمكافاة ايثارهِ التعب الطويل مداه * وليس يوجد في احوالنا نحن المعلمين عارض مثل هذا صفتهُ * لان الارض التي نفلحها نحن ان لم تبرز ثمرةً واحدةً . بعد ان نظهر فيها كافة تعبنا . فربها وربنا ليس يغفل عنا . ان ننصرف باماليِ فارغة * لكنهُ يعطينا منح مكافاتنا * لانهُ قد قال ,, ان كل احد يتسلم اجرته على حدو تعبه (قرنثية ١ ص ٣ ع ٨) ليس على نحو غاية افعاله * فقد قال في حزقيال . ,, وانت يا ابن الانسان حذر هذا الشعب ان كانوا لعلهم يسمعون . ان كانوا لعساهم بفطنون (حزقيال ص ٢ ع ٥) وقال ايضاً ,, اذا تقدم الرقيب فقال ما يجب

ان يهرب منه ، وما ينبغي ان يختار ، فقد نجّى نفسه * ولو لم يكن من يصغي اليه (حزقيال ص ٣ ع ١٩) لكننا مع اننا قد حوينا هذه التسلية قوية ، ومع ثقتنا بالمكافاة الواصلة الينا ، اذا راينا عملكم ليس نامياً ولا منجحاً ، لن يكن حالنا افضل من حال اوليك الفلاحين ، المتحسرين النايحين المستترين الحازين * لان هذا هو ترثي المعلم * هذا هو اشفاق الاب * لان موسى لما امكنه التخلص من زوال محافظة اليهود ، واقتدر ان يتقلد رياسة امةٍ اخرى ابهى من تلك الرياسة سمواً واعظم كثيراً ، لان الله قال له ، « ذرني ابيدهم ، واجعلك رئيساً لامة عظيمة اكثر من هذه الامة (خروج ص ٣٢ ع ٩) فاذ كان قديساً ، ولله عبداً خالصاً جداً ، شجاعاً ، ما احتمل ان يسمع هذا القول * لكنه اختار ان يهلك مع الذين حصلوا رهطه ، افضل من ان يتخلص خلواً منهم ، وان يكون في رتبة اعظم من رتبته * هذا العزم يجب ان يكون عزم المتقدم على نفوس الناس * لان فعلاً شنعاً منكراً علينا ، ان يكون من يحوي بنين طالحين ليس يشا ان يدعوه غيرهم اباً لهم * لكنه يشا ان يدعوه الذين اولدهم اباً لهم * ونكون نحن قد استقنينا تلاميذ ، فنستبدل داىماً اخرين من غيرهم * ونختلس التقدم حيناً على هولاء ، وحيناً ايضاً على اوليك ، وبعد هولاء نتقدم على غيرهم * ولا يكون حالنا حال من يختص ولا بواحدٍ منهم * لكن لا كان لنا ان نتوهم هذه الاوهام من اجلكم في وقتٍ من اوقاتنا * لاننا موقنون انكم قد زدتم اكثر في ايمانكم بربنا يسوع المسيح ، وفي حبكم الذي بخلصة احدكم للاخر ولكل الناس * وانما نقول هذه الاقوال مريدين ان يزيد بها حرصكم ، وان تنمى فضيلة سيرتكم الى اعظم مبلغ * لانكم على هذه الجهة تقدرون ان تخزنوا معاني الاقوال التي توضع لكم في قعر قلبكم بعينه ، اذا لم يظلم الحاظ تمييزكم صنفٌ من رمد الخبث ، ويكدر قوته الباصرة الحاد نظرها * وان سالتم ما هو القول الذي قد قيل اليوم لنا ، اجبتكم ، « هو يوحنا شهد من اجله ، وقد صرخ قايلاً ، هذا كان الذي قلت انه جاء وراءي * وقد كان قبلي * لانه كان اولاً لي متقدماً عليّ * » هذا البشير يوجد في اعلا كلامه واسفله ، يردد ذكر يوحنا كثيراً * ويورد شهادته في جهاتٍ * ويعمل هذا ليس على بسيط ذات العمل ، لكنه باوفر فطنة واكثرها * لان اليهود كانوا قد حووا استعجاب هذا الرجل عظيماً * لان يوسيبس يجتنب الحرب الذي اشتملهم ، لوفاة هذا الفاضل * الحرب الذي لم توجد لليهود المدينة التي كانت في وقتٍ من الزمان ام مدنهم * وينتخب في وصف يوحنا اقوالاً من المديح طويلة ، مريداً ان يخجل اليهودية منه ، ويذكرهم اذكاراً متصلاً بشهادة السابق * ولعمري ان البشيرين الاخرين يذكرون الانبيا الاقدم من غيرهم * وفي كل فعلٍ صاير بربنا يرسلون سامعيهم الى هنالك * فعندما ولد قالوا « هذا كله كان ، حتى يتم ما قيل بلسان اشعيا النبي القايل ، ها هي العذراء تحبل في البطن ، وتلد ابناً (متى ص ١ ع ٢٢

اشعيا ص ٧ ع ١٤) ولما اغتيل عليه وطلب في كل مكان. هنالك بمبالغة على هذه الجهة . وعندما ذبح هيرودس الاطفال . يذكرون ارميا القايل * «صوت سمع في الرامة . كان عويلاً وبكاء ونوحاء عظيماً * راحيل تبكي على اولادها (ارميا ص ٣١ ع ١٥) ويذكرون هوشع النبي . اذ صعد من مصر * لانه قال «من مصر دعوت ابني (هوشع ص ١١ ع ٢) وفي كل موضع يعملون هذا العمل * وهذا البشير يجعل الشهادة افصح جهاراً . واطوى زماناً * من طريق انه ناطق بصوت اعظم نغمة من المبشرين الاخرين * فيسوق الى وسط كلامه سوقاً متصلاً . ليس الانبياء القدما فقط . لكنه يقتاد الى وسط قول النبي الحي * الذي اظهر ربنا لما جاء وعمده * ليس غرضه ان يجعل سيدنا من جهة عبده اهلاً لتصديقه * لكنه فعل ذلك منحدراً مع ضعف الاطفال في عقولهم * وكما انه لولا انه (اعني ربنا) اخذ صورة عبد لما كان يتيسر لنا قبوله . فكذلك لولا انه سبق فراض اسماع المتواخين في طبيعتهم بصوت العبد . لما كان كثيرون من اليهود اقتبلوا قوله على هذه الجهة * ومع ذلك فقد اصلح بذلك صنفاً اخر عظيماً عجيباً * لانه اذا كان احدنا متى قال عن ذاته اوصافاً عظيمة يجعل شهادته لذاته متهمة * وربما ثبتت عند كثيرين من سامعيه اذا جاء اخر شاهداً له بها * وخلوا من هذه الاصناف . فاكثر الناس قد اعتادوا لنحو من الانتحاء . ان يحاضروا اكثر الى الصوت المالوف عندهم المناسب لهم . من طريق انهم يعرفونه اكثر من الاصوات الاخرى * ولهذا الغرض صار الصوت من السماء دفعة . او دفعتين * وصار صوت يوحنا دفعات كثيرة متصلاً * لان الافضلين هم الذين قد صاعدوا فوق ضعف شعبهم * وتخلصوا من الاشيا المحسوسة كلها . واقتدروا ان يسمعوا الصوت من العلو . وما قد احتاجوا الى الصوت الانساني جداً لكنهم قد اطاعوا في كل الاحوال ذلك الصوت وانقادوا له * وغير هولاء هم منصرفون اسفل ايضاً . محجبون بحجابات كثيرة يحتاجون هذا الصوت الادنى من غيره * فعلى هذه الجهة اذ عرى يوحنا ذاته من الاملاك المحسوسة كلها . ما احتاج الى متعلمين اخرين . لكنه أُدّب من السموات . لانه قال « ان الذي ارسلني لاعمد بالماء . ذاك قال لي . على من تبصر روح الله منحدراً . فذلك هو » واليهود الذين هم بعد صبيان لا يستطيعون ان يصلوا الى ذلك العلو بعد . اتكلوا معلمهم انساناً . انساناً ليس قايلاً اقوال نفسه بل مخبراً بالاقوال التي سمعها من العلو * فان سالت ما الذي قال هذا البشير ; اجبتك . انه قال هذا الفاصل شهد من اجله . وقد هتف قايلاً . وان استخبرت وما معنى هتف . اجبتك . انه ينادي بمجاهرة وبجراة خلواً من انقباض * ولعلك تسال . وما القول الذي نادى به ; وبماذا شهد وهتف ; اجبتك . انه قال . « هذا كان الذي قلت انه جاء وراي * وهو قبلي كان * لانه اقدم مني » . فشهادته هذه محجوبة حاوية ايضاً الراى الظليل جزيلاً * لانه ما قال ان هذا هو ابن الله الوحيد الابن الخالص . لكنه قال « هذا كان

الذى قلت انهُ يأتي ورأى * وقد كان امامي * لانهُ اقدم مني * ». لانهُ علي مثال امهات الطيور انها ما تعلّم افراخها فى الجبن . ولا في يوم واحد الطيران كلهُ . لكنها تخرجهن احياناً بهذا المقدار بمقدار ما يصيرن خارج عشهن . واحياناً ترجعهن اولاً . وتزيدهن ايضاً في طيرانهن * وفى اليوم التالى هذا . تطير معهن مسافة اكثر من تلك كثيراً * وعلي هذه الجهة بسكون قليلاً قليلاً تقتادهن الى العلو الواجب * فعلى هذا المثال كان يوحنا السعيد . ما اقتاد اليهود فى الجبن الى الاراء العالية * لكنهُ علّمهم عاجلاً ان يطيروا ويعتلوا من الارض قليلاً قليلاً * بقوله ان المسيح كان افضل منهُ * لان ولا هذا الاعتقاد صغيراً * اذ يقتدر ان يحقق عند سامعيهِ . ان الذى لم يكن بعد ظاهراً ولا اجترح عجايبهُ . هو افضل من العجيب بهذه الصفة * اعني انهُ افضل من يوحنا . الظاهر عندهم شرفهُ . الذى تحاضروا اليهِ كلهم . الذى كانوا قد دعوه ملاكاً * ولعمرى انهُ حرص عاجلاً ان يحصل في تمييزات سامعيهِ هذا الراى . ان المشهود لهُ افضل من الشاهد * وان الوارد فيما بعد . هو افضل من الذى جاء اولاً * وان الذى لم يكن بعد قد ظهر . افضل من الواضح الظاهر شرفهُ * وانظر كيف استورد الشهادة باتم فطنة . لانهُ ما اوضحهُ حين ظهر فقط . لكنهُ انذر بهِ قبل ان يظهر * لان قولهُ هذا هو الذى قلت هو موضح هذا المعنى * على نحو ما قال متى . انهُ عند مجيء جماعتهم الى عنده قال . «« انا انما اعمدكم فى ماء * والجاءي وراى هو اقوى مني * الذى لست انا كفواً . ان احل شسع حذائهِ (متى ص ٣ ع ١١) وان سالت . ولم عمل هذا العمل قبل ظهور المسيح ; اجبتك . لكي تكون شهادته عليهِ اذا ظهر اسرع قبولاً . اذا كانت سريرة سامعيهِ . قد سبقت فتمسكت بما قد قيل فى وصفهِ . وليس يفسدها ضرر من حجاب الشهادة الحقير * لانهم لو كانوا ابصروا ربنا ولم يسمعوا البتة عنهُ قولاً . واقتبلوا مع ما نظروا اليهِ شهادة اوصافهِ . الشهادة العجيبة على هذه الجهة والعظيمة . لقد كانت حقارة شكلهِ تحصل حقارة لجسامة ما يقال فيهِ * لان المسيح اشتمل شكلاً حقيراً عاماً لجميع الحاضرين . يبلغ تمثيله الى ان كان نسوة سامريات وزانيات وعشارين يجنحون بكل اطمانية . الى ان يتقدموا اليهِ . وان يخاطبوه * فعلى ما قلت لو كانوا سمعوا الفاظ الشهادة هذه مع ما ابصروه . لكانوا ضحكوا علي شهادة يوحنا * فالان لما سمعوا الشهادات قبل ان يظهر المسيح دفعات كثيرة . وتباهوا بما قيل في وصفهِ . عرض لهم خلاف ذلك * لانهم ما اخرجوا تعليم الفاظ يوحنا الشاهد من وجه المسيح المشهود لهُ * لكنهم من تصديق ما قيل سالفاً فيهِ . اعتقدوا انهُ ابهج فضلاً * واما قولهُ الجاءي وراءي . فيدل علي الذى ينذر بعدى * وما قال الصاير بعدى * وهذا المعنى يذكره متى غامضاً . عند قولهِ يجي وراى رجل * فليس قولهُ هذا في وصف ولودتهِ من مريم القديسة . لكنهُ انما قالهُ في وصف ورودهِ فى انذارهِ * لانهُ لو كان قال ذلك في وصف ولودتهِ . لما كان قال يجي * لكنهُ كان قال قد جاء * لانهُ كان مولوداً حين قيلت هذه الاقوال * وان استخبرت . وما معنى قولهِ وقد كان

قدامي: اجبتك * قد كان المع نوراً واكرم قدراً مني * كانهُ قال . لاتظنوا اذا جئت انا اولاً ونذيراً .
لاتتوهموا من هذا الفعل . انني انا اعظم من ذاك * لانني انا دونهُ كثيراً * وانا بهذا المقدار
دونهُ وادنى منهُ * اشتهي اذا مثّلت قدري الى انني لست موهلاً . لان أحسب في منزلة عبده * لان
هذا هو معنى قد كان قدامي * وقد اوضحهُ متى البشير على نحو اخر . وقال لست كفواً ان احل
شسع حذايهِ * والدليل على ان قولهُ قد كان . لم يقل في وصف خروجهِ الى ورودهِ الينا . فهو
واضح بالقول الذى يتلوه * لانهُ لو كان اراد ان يقول هذا القول . لكان قولهُ الذى يتلوهذا لانهُ
قد كان قبلي متقدماً عليَّ . يكون فضلةً زايدة * لان من يكون بهذه الصفة جرياً زايلاً
فهمهُ حتى يفنى عنهُ . ان الكاين قبلهُ قد كان اولاً لهُ متقدماً عليهِ ; لان قولهُ لو كان في وصف
وجوده الذى قبل الدهور . لما كان ما قيل يوجد معنى اخر . الاّ ان الجاءى وراى قد كان
قدامي * لكن هذا القول قد عدم ان يكون مفهوماً * والعلة فقد وضعت فهو باطلة * لانهُ ان
كان اراد هذا المعنى . فانما بيّن خلافه وضده * وقد كان يجب عليهِ ان يقول . ان الجاءى وراى
قد كان اولاً لي متقدماً عليَّ * لانهُ قد كان قدامي * لان على جهة الواجب قد كان يحتاج
الواضع الى هذه العلة لوجوده اولاً . وليس معنى وجوده اولاً . علة لكونهِ اولاً * وهذا القول قد نقولهُ
نحن . لو كان يحوى جهة بينة جداً * لانكم قد عرفتم كلكم هذا المعنى . ان المعاني الواضحة
لن تحتاج الى ذكر العلة * لكن المعاني العديمة ان تكون واضحة . تحتاج داىماً الى ذكر العلة
فيها * فلو كان كلام البشير في وصف تجوهر ربنا . لما كان غامضاً ان الكاين اولاً يجب ان
يوجد اولاً * واذ كان انما يخاطبنا في وصف كرامتهِ . فعلى جهة الواجب حل الشبهة المظنونة * لان
واجباً كان ان يشتبه على اناس كثيرين . فيقولون من اين ; ومن اية جهة ان يكون الجاءى
اخيراً . قد كان قدام يوحنا وقبلهُ ; ومعنى هذا من اين يستبين اكرم منهُ وافضل ; فلهذه الطلبة
والبحث وضع العلة فى الحين * والعلة فهو انهُ يوجد اولاً لهُ ومتقدماً عليهِ * لانهُ قال ليس من نجاح
واقبال كان اولاً لي . فلما حصل وراى صار قدامي * وانما قال انهُ كان اولاً لي ومتقدماً عليَّ *
وان كان قال اخيراً * ولقايل ان يقول . فان كان يتكلم فى وصف ظهوره للناس . وفى ذكر
المجد العتيد ان يكون منهُ . فكيف يصف ما لم يصل بعد الى غاية . كانهُ قد كان سالفاً ; لانهُ ما
قال سيكون . لكنهُ قال قد كان * فنقول لهُ . هذه عادة توجد للذين يتنباءون منذ اعلى الزمان .
ان فى جهات كثيرة يتكلمون فى وصف العوارض المستانفة . كتكلمهم فى ذكر الحوادث التى قد
كانت * لان إشعيا النبي لما تكلم في وصف ذبحهِ . ما قال يساق كما تساق النعجة الى ذبحها *
وهذا فقد كان مستانفاً . لكنهُ انما قال " سيق كالنعجة الى الذبح (اشعيا ص ٥٣ ع ٧) على انهُ
ما كان بعد قد تجسد * الا ان النبي يقول ما سيكون . كما يصف ما قد كان * وداود النبي

لما اوضح صليبه . ما قال سيثقبون يدىّ ورجليّ . لكنه قال ‹‹ ثقبوا يدىّ ورجليّ * واقتسموا ثيابى بينهم * والقوا اقتراعاً على لباسى (مزمور ٢١ ع ١٨) ولما تكلم في وصف دافعه الذى لم يكن بعد قد ولد . قال هذا القول ‹‹ الذى اكل خبزى رفع غشه علىّ (مزمور ٤٢ ع ٩ يوحنا ص ١٣ ع ٢٦) وذكر في وصف الافعال الكاينة في حين صلبه قايلاً * ‹‹ جعلوا في طعامى مرارةً . وسقونى عند عطشى خلاً (مزمور ٦٨ ع ٢١) افتوثرون ان استثنى بما يتلو ذلك . او هذه الاقوال تجزيكم * فانا اظن ان فيها كفاية * لاننا اذا لم نحفر في مكان عظيم واسع . لكننا نحفر في قعر عميق * فلن يحوى عملنا هذا تعباً انقص من ذاك العمل * فنخش ليلا نمدكم مدا قد عدم الاعتدال . فنجعلكم ان تسقطوا * فلهذا السبب نجعل كلامنا غاية واجبة * وان سالتم وما هى هذه النهاية الواجبة * اجبتكم . هى تمجيدنا اللايق بالله بنطقنا . وقد يليق بنا ان نمجده . ليس بالفاظنا فقط وحدها لكن الاوجب بنا كثيراً ان نمجده باعمالنا * لانه قد قال ‹‹ ليشرق نوركم قدام الناس . لكى اذا ابصروا اعمالكم الحسنة يمجدوا اباكم الذى في السموات . (متى ص ٥ ع ١٦) ولعمرى انه ليس يوجد صنف المع من السيرة الفاضلة * على نحو ما قال واحد من الحكما * ‹‹ ان طريق اصحاب العدل تلمع لمعاناً شبيهاً بالنور (امثال ص ٣ ع ١٨) وهذه الطرق تنير وترشد الى الطريق القويمة * ليس الذين باعمالهم قد اشعلوا نورهم وحدهم . لكنها تضى ايضاً الذين يوجدون قريبين منهم *

العظة الثالثة عشر

في الصدقة * وفي ان لا تكون من الاستغنام *

فسبيلنا ان نسكب الزيت في مصابيحنا هذه * حتى تصير نارها اعلى سمواً * لكي يستبين ضوءها غنياً واسعاً * لان هذا الزيت ليس يملك الان قوة كثيرة * ولكن اذا ازهرت حينئذٍ ضحايا الصالحات . يصى قوة تلك الضحايا بعالة الجزيل فضله * لانه قال . ‹‹ اريد رحمة * ولست اريد ضحية (هوشع ص ٦ ع ٦ متى ص ٩ ع ١٣) وذلك على جهة الواجب بعداً * لان تلك الضحية محرابها خايب من نفس * وهذه محرابها ذو نفس * وهنالك فالضحية التى تقدم كلها تصير مادة للنار . وتنتهى الى غبار . وتنبث الى تراب . ويتحلل دخانها الى طبيعة الهوا * وههنا فالصدقة ليس فيها صنف هذه صفته . لكنها تاتى بثمرات اخر * وهذه الثمرات فقد اوضحها بولس بقوله . لانه لما وصف ذخاير حب اهل مدينة قرنثية للمساكين . كتب هذا اللفظ * ‹‹ ان خدمة هذه المهنة ليس مستحبة انها فقط متممة اعوازات القديسين . لكنها مع ذلك زايدة نامية بصنوف

بكثيرة من الشكر لله * لذ مجدوا الله على خضوع اعترافكم للبشارة . وعلى ثروة مشاركتكم لهم. ولكل الناس * وعلى توسلهم من اجلكم تايقين اليكم (٢ قرنثية ٢ ص ٩ ع ١٣) ارايت ان هذه الرحمة منحللة الى شكر وتسبيح لله . والى صلوات متصلة من الذين قد وصل المعروف اليهم . والى حب اوفر حرارة : فينبغي لنا يااحباى ان نذبح ونضحي على هذه المحاريب كل يوم * فان هذه هي ضحية اعظم من الصلوة والصوم . ومن محامد غيرها كثيرة * اذا صارت من ربح عدل فقط . ومن اتعاب عدلة . وكانت نقية من كل اغتنام وخطف وغصب * لان الله انما يتقبل هذه القرابين وامثالها . ويرتجع عن غيرها ويمقتها * لانه ليس يشا ان يكرم من مصايب غريبة * لان هذه الضحية نجسة مرفوضة وتغيظ الله على من يقدمها . اكثر مما تستعطفه * فلذلك سبيلنا ان نستعمل كافة حرصنا . حتى لا يشتم من نكرمه في فرض استرضاينا اياه * لان قاين ان كان اذ قرب لا انماولادون من غيرها . على انه قدمهلوما ظلم غيره . قوبل مقابلة عدلة في غايتها * فاذا قربنا نحن من اختلاس واستغنام . كيف ما نقاسي عقوبات اصعب مراسا . لان الله لهذا السبب ارانا نوع هذه الوصية * لكي نرحم الذين يواخوننا في العبودة * ليس حتى نعاقبهم * لان من ياخذ اشيا اخرين ويعطيها لغيرهم . فما قد رحم * لكنه قد عاقب * وظلم ظلما واصلا الى غايته * وكما ان الحجر ليس يولد زيتا . فكذلك ولا القساوة تولد تعطفا * لان الفعل الذي هذه صفته . ليس هو صدقة * اذ كان يحوى قرمزا هذه الحال حالها * فلهذا المعنى اسالكم . ان لا ننظر الى هذا العزم فقط . وهو كيف نعطى المحتاجين * لكن ننظر مع ذلك الى هذا الفعل ايضا . كيف يكون ما نعطيه ليس من اختلاس اناس اخرين * لانه واحدا يصلى . وواحدا يلعن . فاى صوت منهما يسمع السيد : (سيراخ ص ٣١ ع ٢٥) فاذا سقنا ذواتنا هذا المساق بابلغ استقصاء . سنقتدر بنعمة الله . ان نحصل تعطفا كثيرا علينا . ورحمة لنا . وافتقارا لما اجترمناه من خطايانا في هذا زماننا هذا الطويل . وننفلت من نهر النار * الذي فليكن لنا كلنا ان نتخلص منه * وان نطلع الى ملكوت السموات * بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه * الذي معه ولابيه المجد مع الروح القدس * الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الرابعة عشر

في قوله (١٦) ومن امتلايه نحن كلنا اخذنا . ونعمة بدل نعمة *

قد قلنا سالفا ان يوحنا حل الشبهة عن المزمعين ان يلتمسوا في ذواتهم . من اين يستبين ان الرب حين جاء الى الانذار اخبر انه جاء اولا ليوحنا متقدما عليه . والمع نورا منه * واستثنى بانه

كان اولاً متقدماً عليهِ * فهذه علة واحدة * وقد وضع علةً اخرى . التي نقالها الآن * وان سالت ما هي هذه العلة ; قال لك من امتلايهِ حزنا كلنا نعمةً بدل نعمة * ومع هذه الاقوال اقول ايضاً علةً اخرى * وان استخبرت وما هي ; اجابك * ،، ان الناموس بيد موسى اعطي . والنعمة والحق بيسوع المسيح صارا * ،، ولعلك تسال . وما هو المعني بقوله ،، من امتلايهِ اخذنا كلنا ; ،، فاجيبك * لعمري ان في قولهِ في هذه الجهة متقوم جداً * كانهُ قال ليس يمتلك الموهبة . لكنهُ هو بذاتهِ عين المواهب الجيدة كلها * وهو بذاتهِ اصلها * وهو حياةٌ بذاتهِ . وحق بذاتهِ * ليس يحصر في ذاتهِ ثروةَ خيراتهِ . لكنهُ يدفقها على براياه الاخر كلها ويغمرهم بها * وهو باقي بعد ان يفيضها عليهم ويدفقها ممتلياً * وليس ينقص من تلقا افاضتها على اخرين ولا نوع في واحد منها * لكنهُ فايض دايماً . ويخول براياه كلها هذه الهبات الحسنة * ويبقى في كمالهِ بعينهِ ثابتاً * والذي اورده انا . فهو مثال موصول اليهِ . (لاني من اخر اخذتهُ) وهو كمن ياخذ جزءاً صغيراً من الكل * وبمنزلة لفظةٍ حقيرةٍ باضافتها الى لجةٍ قد فاتها الوصف * والى غمر مسلوب خبرته * والليق ما يقال . ان ولا هذا المثال يقتدر ان يبين لنا ما نتعاطى ان نصفهُ * لانك اذا استخرجت نقطةً من لجةٍ . فقد نقصت اللجة بتلك النقطة بعينها * وان كان التنقص قد عدم ان يبين ظاهراً * وليس يتجه ان يقال هذا في تلك العين الفايضة * لكن بمقدار ما يغترف منها مغترف . تبقى ليست ناقصة شياً * فلذلك نحتاج اكثر احتياجاً ان نجي الى مثال غير هذا . وهو لعمري ضعيف . ليس قادراً ان يبين ما نطلبهُ . والليق به انهُ يقتادنا الى المثال الاول . والى المعنى الموضوع لنا الان * نتصور ان عين نار موجودةٌ . ثم توقد من تلك العين سرج ربوات عددها * وتوقد منها ايضاً دفعةً ثانية * وثالثة * ودفعات كثيرةً . نظير تلك السرج الجزيل عددها * افهل ما تبقى النار في كمالها بعينهِ . بعد تخويلها تلك السرج الجزيل عددها فعلها ; فهذا واضح في كل مكان * فلين كان يوجد في الاجسام المتوزعة المنقوصة . من جهة ما ينتزع منها غريزة هذه صفتها . بعد ايزاعها اشخاصاً اخر . الاجزا الماخوذة منها ما تنضر ضرراً . فهذا العارض اليق واوجب ان يعرض لتلك القوة العديمة ان تكون بالية الخايبة من جسم * لانهُ وان كان يوجد الشيء الماخوذ جوهراً وجسماً . ويوزع وما يتجزى . فاليق واوجب اذا كان كلامنا في وصف فعل الجوهر الخايب من جسم ان يعرض لهُ هذا العارض واجباً * فلهذا المعنى قال يوحنا . ،، من امتلايهِ اخذنا نحن كلنا * ،، ويقرن شهادتهُ بشهادة الصابغ * لان قولهُ ،، من امتلايهِ اخذنا نحن كلنا . ،، ليس هو قول السابق . لكنهُ قول يوحنا التلميذ * فالذي يقولهُ هذا هو معناه . لا تظنوا (زعم) اننا نحن المقتربين بهِ زماناً طويلاً . وقد ساهمناه في ملحٍ ومايدةٍ . نشهد لهُ بتحمدٍ * لان يوحنا الذي لم يعرفهُ قبل هذا الوقت . الذي لم يقارنهُ الا في ذلك الحين

فقط * حين عمده مع الاخرين . لما عاينة هتف . ›› قد كان اولاً لي . ومتقدماً علي * ‹‹ لما اخذ من هنالك اى من فريق كل ما شهد به . * فنحن الاثنا عشر كلنا * والثلثماية . والخمسماية . والثلث الاف . والخمسة الاف . والربوات الكثيرة من اليهود وجميع افواج المومنين في ذلك الحين . والمومنين الان . والذين سيؤمنون فيما بعد . من امتلايه اخذنا * فان سالتنى . ماذا اخذنا ; اجابك اخذنا نعمةً بدل نعمة * فان قلت . فاية نعمة اخذناها بدل اية نعمة ; فيقول لك . الحديثة بدل العتيقة * وكما انه قد كان عدل وعدل . لانه قال . (اعنى بولس) ›› انه كان في العدل الذي في الشريعة عديماً ان يوجد معيباً . (فيلوبوسيوس ص ٣ ع ٦) واسانة وامانة * لانه قال . ›› من امانة الى امانة * ‹‹ وبنوة بالوضع . وبنوة بالوضع * لانه قال . ›› الذين لهم بنوة بالوضع * ‹‹ ومجد . ومجد * لانه قال . ›› والمبطل ان كان ذا مجد . فالثابت في المجد اليق من ذلك واوجب (قرنثية ٢ ص ٣ ع ١١) وشريعة . وشريعة * لانه قال . ›› ان شريعة روح الحياة اعتقتنى (رومية ص ٨ ع ٢) وديانة . وديانة * لانه قال . ›› الذين لهم الديانة . ويخدمون الله بروحهم * ‹‹ وعهد . وعهد * لانه قال . ›› اعهد لهم عهداً جديداً ليس نظير العهد الذي عهدت به لابايهم * (ارميا ص ٣١ ع ٣١ . عبرانييين ص ٨ ع ١٠) وقداسة . وقداسة * ومعمودية . ومعمودية * وذبيحة . وذبيحة * وهيكل . وهيكل * وختانة . وختانة * فكذلك كانت نعمة ونعمة * لكن تلك الاصناف كانت محلها محل رسوم * وهذه الاصناف حالها حال حق * فتلك العتيقة حافظة اتفاقاً في الاسم . واختلافاً في الحد * وليست موضحة اتفاقاً في الاسم والحد * لان في الرسوم والتماثيل تمثال الانسان المرسوم بخطوط على لوح لونه اسود . يُسمى انساناً * والتمثال المقتبل حقيقة الالوان يسمى ايضاً انساناً * وفي التماثيل المجسمة . التمثال الذهب منها يُسمى انساناً * وقالبه الطيني يُدعى ايضاً انساناً * لكن ذاك الرسم والقالب . محلة محل رسم الصورة وقالبها * وهذا الكامل بالالوان او المجسم من الذهب . هو بمنزلة حقيقتها * فلا يكونن حالك حال من يظن الاشيا من اشتراك الاسماء غريبة ذاتها . ولا اغترابها * لانه ان كان رسماً . فما كان غريباً من الحق * وان كان رسم الصورة . فقد حفظ ظلها * فقد كان ادنى من حقيقتها * فما هو الفرق اذاً فيما بين هذه الاصناف كلها ; اتريدون ان نتعاطى شرح صنف واحد منها . او صنفين ; لان على هذه الجهة يصير باقيها واضحاً لكم . فسنبصر كلنا ان تلك الاصناف العتيقة كانت تعاليم صبيان . وهذه الاصناف الجديدة تعاليم رجال شجعان معظمين * وان تلك محلها محل فرايض افترضت لاناس . وهذه منزلتها منزلة شرايع اشترعت للملئكة * فمن اين ينبغي ان نجعل ابتداء بحثنا ; اتريدون ان نبتدى من البنوة بالوضع بعينها . وننظر ما هو الفرق بين تلك البنوة وهذه ; فتلك البنوة كانت كرامة من كلام * وهذه البنوة يتبعها الفعل * فقد قال في وصف تلك البنوة ›› انا قلت انكم تكونون

الهة . وابناء العلي كلكم (مزمور ٨٢ ع ٦) وقال في وصف هذه البنوة «« ولدوا من الله * »»
وان سالت كيف ; وباى حال ولدهم الله ; اجبتك . ولدهم بجميم اعادة الولادة . وتجديد
الروح القدس * واوليك فبعد تسميتهم بنين . كانوا قد اقتنوا روح عبودية ايضاً * لانهم لبثوا عبيداً *
وعلي هذه الجهة كرموا بهذا اللقب * ونحن فصرنا حينئذٍ احراراً * فتسلمنا تكريمنا ليس بالاسم .
لكن بالفعل * وهذا المعني اذ اوضحهُ بولس الرسول قال . «« انكم ما تسلمتم روح عبودية للخوف *
بل اخذتم روح التبني بالوضع . الذي بهِ نهتف للاب ياابانا (رومية ص٨ ع ١٥) لاننا لما
ولدنا من فوق . واُعيد تعنصرنا علي ما يقول قايل . دُعينا على هذه الجهة بنين * وسمية القداسة ان
تاملها متامل عرف ما هى هذه . وما هي تلك * وابصر الفعل فيها ايضاً كثيراً * لان اوليك متى
كانوا ما قد عبدوا الاصنام . ومتي ما كانوا ما قد زنوا . ومتى كانوا ما فسقوا . كانوا يسمون بهذا الاسم *
ونحن فنكون قديسين ليس في حال ابتعادنا من هذه الرذايل . لكننا نكون قديسين في استقنايتنا الفضايل
الاعظم محلاً * ونحصل اولاً هذه الموهبة من حلول الروح القدس علينا بعينهِ * ثم نحصلها بعد ذلك
من سيرتنا . التى هى اعظم من السيرة اليهودية بمقدارٍ كبير * والدليل علي ان اقاويلنا هذه ليست
تفخماً . اسمعهُ ماذا قال لاوليك . «« اما تخافونني: اما تطهرون ابناءكم ; فانكم شعب قدوس
انتم (تثنية ص١٨ ع ١٠) فالقداسة عند اوليك انما كانت من تخلصهم من شرايع الاصنام * والقداسة
فليست حالها عندنا هذا الحال * لكنهُ قال «« لتكن الجماعة قديسة في جسمها وفي روحها * »»
«« واسعوا وراء السلامة والقداسة . اللتين خلواً منهما . ما يبصر ربنا باصر (عبرانيين ص١٢ ع ١٤)
«« وتمموا قداسة بخوف الله (قرنتية ٢ ص٧ ع ١) ولعمرى ان الاسم بانهُ قديس اذا قيل علي كل
من يُسمى بهِ . ليس هو كافياً ان يبين معنىً واحداً بعينهِ * لان الله يُدعَى قديساً * الاّ انهُ
ليس كما ندعى نحن قديسين * وتامل النبي حين سمع اسم القدس هذا متوجهاً الىهِ من
السارافيم . ماذا قال . «« ويلي انا الشقي * فانني موجود انساناً حاوياً شفتين نجستين *
وانا ساكن فيما بين شعب حايز شفاه نجسة (اشعيا ص ٦ ع ٥) علي انهُ قد كان قديساً
ونقياً * ولكننا نحن اذا قويسنا بالقداسة التي فى العلو . نحن نجسون * والمليكة قديسون *
ورؤسا المليكة قديسون * والسارافيم والشاروبيم باعيانهم قديسون * الا ان فضل هذه القداسة
اخر هو ايضاً باضافتها الينا . والى القوات الفايقة علينا * وممكن لنا ان نتكلم فى الاصناف الاخرى
كلها * الا ان مقالتنا تصير طويلة طولاً جزيلاً * فلذلك نعبر الى ما يتجاوزها . ونهمل لكم باقيها
تمارسون شرحها * لان ممكناً لكم ان تجمعوا هذه الاصناف . اذا حصلتم فى منازلكم . وان
تشرحوا الاصناف الباقية شبيهاً بشرح هذه * فقد قال «« اعطي الحكيم شياً . فيكون اوفر
حكمةً * »» لاننا يلزمنا نحن اضطراراً ان نشرح الفاظ البشارة التي بقيت * لانهُ لما قال «« من

استعلايه اخذنا نحن كلنا . ،، استثنى بقوله . ،، نعمةً بدل نعمةٍ * . لان اليهود بنعمته خلصوا *
لانه قال * ،، ما اخترتكم لاجل تكاثركم كثيراً * لكنني من اجل ابايكم انتخبتكم * ،، فالذين
ما اختارهم الله من تلقا محامد احكموها . فانما اتفق لهم تحصيل هذه الكرامة بنعمته * ونحن
كلنا ايضاً فانما خلصنا بنعمته * لكن ليس ذلك متشابهاً * لاننا ما خلصنا بمواهب اوليك
باعيانها . لكن بمواهب اعظم محلاً بكثير واعظم سمواً * لان هذا المعنى عندنا نعمة * لاننا لم
يوهب لنا اغتفار خطايانا فقط . لاننا نساهم اوليك فى هذا الصنف * ،، لان الناس كلهم اخطاءوا * ،،
لكننا قد وهب لنا عدل * وقداسة . وبنوة بالوضع . ونعمة روح ابهج اشراقاً بكثير واوسع فيضاً *
وبهذه النعمة صرنا مالورين عند الهنا * وليست منزلتنا منزلة عبيده فقط . لكن محلنا محل ابنايه
واصدقايه * ولهذا الغرض قال البشير . ،، نعمة عوض نعمةٍ * ،، لان فرايض الشريعة قد كانت من
نعمته * وكوننا بعينه مما ليس موجوداً اناساً . من نعمته كان * لاننا ما تقدمت لنا محامد احكمناها .
فاخذنا هذه المنة . مكافاةً عنها * وكيف يمتلك ذلك الذين ما كانوا موجودين ; لكن الهنا فى كل
مكان ابتدانا باحساناته * وما استمدينا كوننا فقط مما لم يكن موجوداً . لكننا حصلنا ايضاً مع
كوننا ان نعرف ما نعمله . وان نمتلك هذه الشريعة فى طبيعتنا . ومجلس قضاء فطنتنا . استبدعه
مبدعنا فينا عديماً ان يكون محابياً * وذلك كان من نعمة جسيمة * واخذنا بعد تلك نعمة
اخرى * واستعادة هذه الشريعة بالشريعة المتكونة بعد انفسادها من نعمته كانت * لان قد
كان فعلاً تابعاً للنظام . ان يعذب ويعاقب الذين يلبلوا الوصية . التى دُفعت اليهم دفعةً
وغيرها * الا ان الذى صار اليهم ما كان هذا الفعل . لكنه كان تلافياً لهم . لم يكن واجباً لهم *
لكنه كان موهوباً من رحمته ونعمته * والدليل على انه كان من نعمته . اسمع ما قاله داود . ،، ربنا
صانع رحماته وانصافه لساير المظلومين * قد عرف موسى طرقه . وعرف بني اسرائيل مشياته (مزمور
١٠٢ع٦) وقال ايضاً . ،، ربنا صالح ومستقيم * ،، لهذا السبب يشترع للذين اخطاوا فى طريقهم *
فاخذ الشريعة اذاً . انما كان من رحمته ورافاته ونعمته * فلهذا قال البشير . ،، اخذنا نعمةً بدل
نعمةٍ * ،، واذ كان مجتهداً ان يوضح جسامة المواهب التى اعطيناها ابين وضوحاً . قال البشير . ،،
الشريعة بموسى اُعطيت . والنعمة والحق بيسوع المسيح صارا * ،، انظرت كيف يوحنا الصابغ .
و يوحنا التلميذ . صاعدا للسامعين منهما بلفظةٍ واحدة . الى معرفة اعلا محلاً . بسكون مهلاً مهلاً .
لما راضهم بالفاظٍ ادلّ من غيرها اولاً : لان ذلك الصابغ قايس بذاته المستولى على البرايا كلها خلواً
من مقايسة * وبعد ذلك اوضح على هذه الجهة سمو سلطانه قايلاً . ،، الذى كان امامي * ،،
ثم استثنى بقوله . ،، لانه قد كان اولاً لى متقدماً علىّ * ،، وهذا التلميذ فعمل فى المقايسة اعظم مما
فعل ذلك الصابغ بكثير . وانقص من رتبة الوحيد * لانه ما قايسه بيوحنا . لكنه قايسه بموسى
المستعجب عند اليهود اكثر من يوحنا * عندما قال . ،، ان الشريعة بموسى اُعطيت . الا ان النعمة

والحق بيسوع المسيح صارا * ». وانظر الى فهمو . فليس يجعل البحث من الوجه . لكن من الافعال لان الاعمال اذا تبرهنت واستبانت اعظم بياناً واكثره . كان اقتبال الزايل حفاظهم قضيتة في وصف المسيح . وشهادتة من لازم الضرورة واجباً * لان اذا كانت اعمال المسيح التي ليست لها ولا علة واحدة . تشهد انة يعمل هذا العمل لتحمّده الى احد * او لمعاداة . فقد بيّن عند الزايل حفاظهم قضيّتة خالية من ارتياب بها * لان الاعمال على نحو ما يمثّلها الذين يعملونها . على ذلك النحو تلبث ظاهرة * فلهذا المعنى توجد الشهادة البادية منها . اكثر من جميع الشهادات خالية من تشكيك فيها * وانظر كيف يجعل وضعة خايباً من ان يكون مستثقلاً * حتى عند الاضعفين تمييزاً ايضاً * لانة ليس يصلح التعظيم لكلامه . لكنة يرينا الفضل من اسماء عارية * لانة جعل بازاء الشريعة نعمةً وحقاً * وجعل بحذاء اعطى صارا * والفرق بينهما عظيم * لان معنى اعطى هو مناسب لخادم اخذ شياً من جهة اخرى . ودفع اياه الى الذين اوعز اليه ان يدفعة اليهم * ومعنى صارت النعمة والحق . هو مناسب لملك غافر بسلطانه الخطايا كلها . مصلح الموهبة لة * ولهذا السبب قال للمخلّع . « قد غُفرت لك خطاياك (مرقص ص ٢ ع ٩) وقال ايضاً . « لكي تعرفوا ان ابن الانسان يمتلك سلطاناً ان يغفر في الارض الخطايا * » ثم قال لة . « انهض احمل سريرك . واذهب الى منزلك * » أرايت كيف تكوّنت النعمة به . تأمّل الان الحق ايضاً * ولعمري انة قد ارانا النعمة * واوضحتها لنا افعالة هذه * ومنحتة التي جاد بها على اللص . وموهبة المعمودية . ونعمة الروح التي اعطيناها به . ومنح اخر غير هذه كثيرة * وسنعرف الحق ابين معرفة واوضحها . اذا تاملنا الرسوم * لان السياسات المنتظر كونها في الحديثة . كانت رسومها قد سبقت . فارتسمت على انها رسوم * فلما جاء المسيح تمّمها * فسبيلنا ان نتامّل الرسوم في اصناف يسيرة * لان ليس مناسباً لوقتنا الحاضر ان نستقربها كلها * فاذا عرفتم من الاصناف اليسيرة جلة المطلوب . ستعرفون الاصناف الباقية منها * افتوثرون ان نبتدى من تامّل سيدنا بعينه . وان سالتم وما الذى قالة الرسم . اجبتكم . قال « خذوا خروفاً في بيتكم واذبحوه . واعملوا به على حدو ما اومرتم واشترع لكم (خروج ص ١٢ ع ٣) والمسيح فما اوعز هذا الايعاز . ولا امر ان يكون * لكنة هو صار هذه الضحية * اذ قرّب ذاتة لابيه ضحيةً وقرباناً * فانظر كيف اعطى الرسم بموسى . واما الحق فصار بيسوع المسيح * وايضاً في طورسينا لما حضرت فيه جيوش العمالقة . اسند هرون وحور يدى موسى . عند بسطه اياهما . واقفين من كلّ جانبيه * والمسيح لما جاء . وقف بذاته . وبسط يديه في صليبه * أرايت كيف الرسم أُعطي . والحق صار . والشريعة ايضاً قالت . « ملعون كل من لا يثبت في هذه الفرايض المكتوبة كلها في هذا المصحف * » الا ان النعمة قالت . « تعالوا كلكم ايها المتعوبون المحتملون الاوساق فانا اريحكم * » وبولس يقول . « المسيح ابتاعنا من لعنة الناموس . اذ صار من اجلنا لعنةً * »

العظة الرابعة عشر

ايعاز بعيشة مكينة فى الفضايل . وفضل المواهب الموهوبة من الله لنا ولليهود * وفي ان لا نتوجع اذا شكينا شكوى متصلة اننا مضجرون في العيشة القويمة * بل ينبغي لنا ان نقبل ذلك بحسن وفاء *

فاذ قد استمتعنا بنعمة وحق جزيل بهذه الصفة مبلغهما . فاتوسل اليكم ان لا نصير لاجل عظم الموهبة اكثر توانياً وتضجيعاً * لاننا بمقدار ما قد أُهِّلنا لكرامة اعظم من غيرها . بقدر ذلك نحن غرماً مطالبون بفضيلة اكثر من غيرها . وبيان ذلك ان من قد أُحسن اليه احسانات يسيرة . ان اظهر صنوفاً من الفضيلة يسيرة . فليس هو مرءهلاً للملامة واحدة بعينها * فاما من قد طلع الى هامة الكرامة الاعلا سمواً . ثم اظهر افعالاً ذليلة منسحبة علي الارض . سيكون مؤهلاً لتعذيب اعظم من غيره بمقداً كثير * ولكن لا كان ان نتوهم من اجلكم في وقت من الاوقات هذه الاوهام وما ناسبها * لاننا متحققون تمكنكم فى حب ربنا * انكم قد ريشتم نفوسكم للاستطارة الى السما * وقد باينتم الارض * وانكم فى الدنيا . وما تمارسون خدايع الدنيا * الا اننا مع تحققنا ذلك منكم . لسنا نكف ان نتوسل اليكم. وسايل هى هى باعيانها توسلاً متصلاً * لان في الجهادات التى هى خارج محلتنا . ليس يستميل اليها ساير الناظرين الى صنوفها المضجرين. ولا الطريحين على ظهورهم. لكنهم انما يستنهضون اليها العمولين فيها . الساعين بعد فى صنوفها * لانهم يكون حالهم فى استدعايهم اوليك . حال عاملين اعمالاً مسلوبة الانتفاع بها * وليس يمكنهم ان يستنهضوهم بتمليقهم اياهم * لانهم قد انفصلوا في دفعة واحدة من الظفر . وقد كفوا عن الجهاد على هذا المثال لما ايسوا من قهرهم * وههنا يتجه لنا ان نومل املاً صالحاً . ليس منكم المستفيقين وحدكم . لكننا ننتظر مع ذلك المستلقين ايضاً تاميلاً صالحاً * ان ارادوا ان ينتقلوا عن عجزهم * ولهذا الغرض نعمل كلما يمكننا * ونلبث متوسلين . ومبكتين . وموعزين . وما دحين * حتى نكتسب خلاصكم فلا تستصعبوا تنبيهنا المتصل فى تهذيب سيرتكم * فليست اقوالنا اقوال ذامّين توانياً توهمناه فيكم . لكنها اقوال حايزين امالاً صالحة جداً فيكم * وهذه الاقوال قد قيلت وتقال . ليس لكم وحدكم . لكنها تقال لنا معكم نحن الذين نقولها * لاننا محتاجون الى هذا التعليم بعينه * وليس كنا نحن نقولها . الا انه ليس مانع يمنع ان تقال لنا * لان الكلام اذا وجد قايلة حاصلاً تحت تبعة مخالفته تلافاه واصلحه * واذا وجده خارجاً من التبعة متخلصاً منها . حجزه ايضاً عن الزلل الى ابعد بعد منه * ولعمرى اننا لسنا انقيا من الخطايا فالمداومة مشاعة لكافتنا * والادوية قد وضعت لكلنا . الا ان الشفا ليس هو مشاعاً * لكنه انما يصير علي حدو اختيار من يستعمل الدواء * لان من اراد ان يستعمل الدواء . فقد انتفع بالشفاء * ومن لم يضع المرهم على جرحه . فذاك قد جعل الداء اعظم

تاثيرا ً . وقد انعكس الى عاقبة مستصعبة * فلا نتوجع اذا اعتمدنا بالمداواة وطببنا * لكن سبيلنا ان نفرح بذلك اكثر الفرح وازيده * وان اوردت صناعة التعليم علينا اوجاعا ً مستمرة . فانها توضح لنا اخيرا ً ثمرتها لذيذة كثيرا ً * فينبغي لنا ان نعمل كل ما نعمله . ونقول كل ما نقوله . لهذا الغرض * لكي نرتحل الى ذلك الدهر انقيا من جراحاتنا وعقورنا . التي وضعتها انياب الخطية في نفوسنا * حتى نصير موءهلين لمعاينة وجه المسيح * ولا ندفع في ذلك اليوم الى القوات المعاقبة القاسية * لكن ندفع الى المليكة المقتدرين ان يدخلونا الى الموْرث . اى موْرث السموات المستعد للذين احبوه * الذي فليكن لنا كلنا . ان يتفق لنا امتلاكه بنعمة ربنا يسوع * الذى له المجد . الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الخامسة عشر

في قوله (١٨) الله ما ابصره قط باصر * الابن الوحيد الذى لم يزل في حضن ابيه هو خبّر بهذا *

ان الله ليس يريدنا ان نسمع الاسماء والالفاظ الموضوعة في كتبه على بسيط ذات سماعها . لكنه يريدنا ان نسمعها بتفهم ٍ كثير * ولهذا المعنى تقدم داود النبي . فكتب في جهات ٍ كثيرة من مزاميره . لمعنى يؤدى الى تفهم ٍ * وقال . «« اكشف الحاظى فاتامل من شريعتك معانيها العجيبة (مزمور ١١٨ ع ١٨) وبعد ذلك الفاضل قال ابنه «« اننا ينبغي لنا ان نبتغى الحكمة كالتماسنا الفضة * وان نبحث عنها كبحثنا عن كنز ٍ * »» وربنا قد وصّى اليهود ان يفتشوا الكتب . وما قال فتشوها لو كان ممكنا ً ان نتاملها ونتفهمها من قراءتنا الاولى اياها بذاتها * لان الشيء الطريح في الوسط والسهل وجوده . ليس يفتش عليه وعنه مفتش * لكنه انما يفتش عن الشيء المستور . الموجود باستبحاث كثير * ولهذا السبب قال * ان الكتب هي كنز مستور * مستنهضا ً ايانا الى ابتغايه * فهذه الاقوال قلناها حتى لا نمارس الفاظ الكتب على بسيط المراس . وعلى ما اتفق * لكن نتصفحها بابلغ الاستقصاء واكثره * لانه ان سمع سامع ما يقال فيها سماعا خاليا ً من تصفح . واقتبله كلمة هذا الاقتبال . على حدو ما قد قيل على نحو لفظ الكتاب . فسيتوهم في الله اوهاما ً . انه يوجد انسانا ً ومركبا ً من نحاس . وانه سخوط غضوب * ويظن فيه اوصافا ً غير هذه كثيرة . اشر من هذه بمقدار كثير ً وان تامل معنى الاسرار المخزونة في قعرها . سيتخلص من هذه الشناعة كلها * لان القراءة الموضوعة الان لنا . قد ذكرت ان الله يمتلك حضنا ً * وهذا الحضن فهو خاصة الاجسام * ولكن ليس يصرع احدنا هذا الصرع . حتى يتوهم ان الخايب من جسم هو جسم * ولكيما نحصل كافة المعنى المطلوب موءهلا ً للمعنى الروحاني . فهات نستبحث عن الاصحاح من اعلاه * قال

البشير «الله ما ابصره قط باصر» ولقايل ان يقول . فهذا البشير من اى نظام جاء الى هذا القول ; فنقول له . لما بين افراط مواهب المسيح انها كثيرة . وان الفرق بينهما وبين الرسوم التي دبرت بموسى قد عدم ان يكون مخبوراً . استثنى بعلة واضحة للفصل بينهما . لان ذاك كان خادماً . اذ صار خادماً افعالاً اذل مجللاً * وهذا سيد وملك وابن ملك . اورد لنا المواهب الاعظم كثيراً من غيرها بمقدار كثير . عند اتفاقه داعماً مع ابيه * ونظره اليه ابداً سرمداً * ولهذا المعنى قال البشير . «الله ما ابصره قط باصر» * فما الذى نقوله لاشعيا العظيم صوته القايل . «رايت الرب جالساً على كرسي عالٍ شاهق ;» وليوحنا هذا الشاهد له بانه قال هذه الاقوال حين ابصر مجده ; ولحزقيال لان هذا قد ابصره جالساً على الشاروفيم ; وما الذى نقوله لدانيال ; لان هذا قال ان عتيق الايام جلس * وما الذى نقوله لموسى بعينه . القايل «اري مجدك * فابصرك بمعرفة ;» ويعقوب عن هذا النظر تسلم لقبه اذ دعى اسرائيل * لان معنى اسرائيل هو الناظر الى الله * واخرون كثيرون قد ابصروه * فما غرض يوحنا في قوله . «الله ما ابصره قط باصر اصلاً ;» موضحاً ان تلك المعاينات كلها انما كانت مناسبة لتحدره * وليست مناسبة لجوهره العارى بعينه . لانهم لو كانوا ابصروا طبيعته بعينها لما كانوا ابصروها بصراً مختلفاً * لان طبيعته بسيطة عديمة ان تكون ذات شكل * فاقدة ان توجد مركبة او محصورة * ولن تجلس . ولا تقوم . ولا تمشي * لان هذه كلها خواص اجسام * وهو وحده قد عرف كيف هو * ومعنى هذه المعاينات فقد اظهره بلسان نبي من انبيايه . وقال «انا اكثرت معاينساتهم * وتشبهت في يدى انبيائى (هوشع ص ١٢ ع ١٠) ومعنى هذا هو انني تحدرت لهم . وما ظهرت على ما انا * لانه لما ازمع ابنه ان يظهر بجسم حقيقى ; تقدم فراضهم من اعلى الزمان . ان يبصروا جوهر الله . على حد ما كان ممكناً لهم ان يبصروا * اذ هذه الماهية (اعنى ما هو الله) ليس مستعجباً ان الانبيا ما عرفوها * لكن العجب من ذلك . ان ولا الملايكة . ولا روسا الملايكة عرفوها * ولكنك ان سالتهم ان تسمع قولاً في وصف جوهره . ليس يحاوبونك جواباً * وانما يعلون الى الله مجداً في الاعالى * وسلامة فى الارض * ومسرة في الناس * وان اشتهيت ان تعرف من الشاروبيم او من السارافيم شياً . فانما تسمع لحن تقديسهم السرى * وان السما والارض ممتلية من مجده * وان استخبرت القوات الاعلا فوقاً . سيجيبونك ايضاً . ان عملاً واحداً يوجد عندهم . هو ان يسبحوا الله * لانه قال . «ياكافة قواته سبحوه» * وانما يبصره ابنه وحده والروح القدس * لان الطبيعة المخلوقة كلها كيف تقتدر ان تبصر العديم ان يكون مخلوقاً ;ولن كنا ما نستطيع ان نقتبل النظر على بسيط ذاته الى قوة خابية من جسم على انها مكونة . وهذا لاغتياص فقد استبان غير مرة فى الملايكة . اى اغتياص النظر اليهم * فاليق بنا واوجب ان لا نقتدر ان ننظر

الجوهر الخايب من جسم . العادم ان يكون مكوناً * ولهذا المعنى قال بولس الرسول .
«» الذي ما ابصره احد من الناس * ولا يستطيع ان يراه *«» ولعلك تقول . فهل هذه الخاصة الفاضلة .
للاب وحده خالصة . وليست هي لابنه : فاقول لك . اسمع بولس القايل هذه الاقوال الاولى بعينه .
قايلاً «» ان الابن هو صورة الاب «» العديم ان يكون ملحوظاً * وصورة العادم ان يكون
ملحوظاً هي عديمة ان تكون ملحوظة * والّا فما كانت توجد صورته وتمثاله * ولهذا المعنى
قال . «» انه ظهر في جسم * «» لان ظهوره انما كان بجسم . وما كان ظهوره في جوهره * والدليل
علي ان الابن بعينه عديم ان يكون ملحوظاً . ليس عند الناس فقط . لكن عند القوى ايضاً التي
في العلو معهم . يستبين من ان بولس الرسول . اذ قال انه ظهر في جسم . استثني بانه «» ظهر
للمليكة * «» فيجب من ذلك . انه في ذلك الحين ظهر للمليكة . حين لبس لحماً * وقبل ذلك
ما ابصروه علي هذه الجهة * اذ كان جوهره عديم ان يكون ملحوظاً عندهم * ولقايل ان يقول .
فكيف قال هو . «» لا تستحقروا واحداً من هولاء الناس الصغار * فانني اقول لكم . ان مليكتهم
كل حين . يبصرون وجه ابي الذي في السموات : (متى ص ١٠ ع ١٨) فنقول له . فما
رايك : هل الله يحوى وجهاً . وهو محصور في السموات : لكن ليس يصرع احد الناس هذا
الصرع . الذي يفضي به الى ان يقول هذه الاقوال * فان قال فما هو القول الذي قد قيل : اجبناه . على
نحو ما اذا قال . «» مغبوطون الانقيا في قلبهم * فانهم يبصرون الله * «» انما ذكر البصر الذي في
سريرتنا . المقتدر فينا علي تصفح اوهامنا . وعلى التفكر في الهنا * فكذلك ينبغي لنا ان نعتقد في
المليكة . انهم لاجل نقاء طبيعتهم وسهرها وتيقظها . ليسوا يعملون عملاً اخر . الاّ تخيلهم الله دايماً *
ولهذا المعنى قال المسيح ربنا . «» ليس يعرف الاب احد الا ابنه * «» ولعلك تقول فما رايك :
افكلنا في الجهل به : فاقول لك . لا كان ذلك * ولكن لم يعرفه احد على هذا المثال . مثل ما
يعرفه ابنه * وكما ان كثيرين قد ابصروه على نحو البصر الممكن لهم . وجوهره فما ابصره احد منهم *
فكذلك نعرف نحن الكثيرون الله * واما جوهره فما عرفه احد منا في وقت من الاوقات ما هو .
سوى الابن الذي ولد منه وحده * والمعرفة ههنا انما يعنى بها معاينته البليغة وادراكه . ومقدارها
بمقدار المعرفة التي يحويها الاب في وصف ابنه * لانه قال . «» على نحو ما يعرفني ابي * وانا اعرف
ابي *«» فلذلك ابصر البشير باى مقدار من تكاثر التكريم يتكلم * لانه اذ قال . ان الله
ما ابصره قط باصر . ما قال ان ابنه لما ابصره . خبرنا * لكنه وضع لفظاً اخر اكثر من النظر . اذ
قال «» الذي لم يزل في حضن ابيه * «» لان معنى اقامته في حضن ابيه هو اكثر من نظره اليه
بمقدار كثير * لان الباصر على بسيط ذات البصر . ليس يحوى معرفة الظاهر له بليغة مستقصاه علي
كل حال * والمقيم في حضونه ليس يجهل في وقت من الاوقات شياً * فاذا سمعت ان ليس يعرف

الاب احدٌ الّا ابنهُ . حتى لا تقول ان الابن وان كان قد عرف اباهُ اكثر من الكل . الّا انهُ ما عرف ما هو . فلهذا الوهم ذكر البشير اقامته في حضن ابيهِ * فقال ان المسيح بعينهِ بهذا المقدار يعرف اباه . بمقدار ما يعرف الاب ابنهُ * فاسئل انت معاندك . افالاب الازلي يعرف ابنهُ ; فسيقول على كل حالٍ اذا لم يصرع . نعم انهُ يعرفهُ * فنقول لهُ بعد ذلك . ذاك القول . فما رايك ; فهل يبصره بصراً بليغاً . ويعرفهُ معرفةً مستقصاه ; وقد عرفهُ ما هو بعينهِ معرفةً واضحة ; فسيقول هذا القول على ساير الجهات * ومن هذا اجمع ادراكاً لابن البليغ لابيهِ . لانهُ هو قال . « ان على نحو ما يعرفني ابي . على هذا النحو اعرفهُ انا (يوحنا ص ١٠ ع ١٦) وقد قال في موضعٍ اخر . ليس ان الله ابصره باصر سوى من لم يزل من الله * لهذا المعنى على ما قلت ذكر البشير حضنهُ . مظهراً لنا هذه المعاني كلها بهذه اللفظة الواحدة . ان مجانسة جوهره كثيرة وقريبة . وان معرفتهُ قد عدم ان يجوز اليها غيره . وان سلطانهُ عديل لسلطانهِ . لان الاب الازلي ما حاز في حضنهِ جوهراً غير جوهرهِ * لكن ولا ذاك كان قد اجترئ اذ لم يزل عبداً وواحداً من الكثيرين . ان ينقلب في حضن سيدهِ * لان هذه خاصة ابن خالص فقط . مستعمل دالةً كثيرة لدى ابيهِ * ليس مالكاً شياً ادنى منهُ * أفتشا ان تعرف خاصة الازلية ; اسمع ما قالهُ موسى في وصف الاب الازلي * لانهُ سالهُ . فان سالتني اليهود من هو الذي ارسلك ; ماذا تامرني ان اجيبهم ; فسمع قُل لهم . ان الموجود دايماً ارسلني * ومعنى الموجود دايماً دليل على ان الموجود خلواً من ابتدا . والموجود بالحقيقة * ومعنى الموجود دايماً يدل بتحقيق على انهُ لم يزل * ويظهر انهُ كان في الابتدا * فيوحنا البشير استعمل هذا القول ههنا . موضحاً ان الابن هو في حضن ابيهِ موجود وجوداً ازلياً خالياً من زمان * لان حتى لا تظن لاجل اشتراك اسم البنوة . انهُ يوجد ابناً واحداً من البنين الصايرين بنعمة . تقدم اولاً فوضع حاشية الاسم فاصلاً اياه من البنين بالنعمة * فان كان هذا ليس يكفيك . لكنك ايضاً تنحني الى اسفل . فاسمع اسمهُ الاخصّ من غيرهِ وهو الوحيد * فان كنت بعد هذا الاسم تنظر الى اسفل . فقد قال لست استعفي ان اقول في وصف الهنا كلمة انسانية * اعني لفظة حضنه * حتى لا تتوهم فيهِ توهماً ذليلاً * أعرفت تعطّف الهنا وسيدنا واهتمامه بنا ; فقد وضع الهنا لذاتهِ الفاظاً عديمة ان تكون اهلاً لهُ . لكي ولو على هذه الجهة تبصر وتفهم راياً عظيماً عالياً . وانت ثابت اسفل * لان قل لي . لمَ اخذ في هذا الموضع الحضن . هذا الاسم الكثيف اللحمي . حتى تتوهم الهنا جسداً ; معاذ الله * ابعد هذا الظن * زعم لا البتة . فلمَ قيل هذا الاسم ; لانهُ ان لم يكن قيل ليبين بهِ خلوصية الابن . ولم تكن هذه اللفظة قد طُرحت ههنا . دالّة على ان الله ليس يوجد جسداً . فليست تتم ولا حاجة واحدة * والّا فلمَ قيلت ; فانني لست انتزح مستخبراً اياك عن هذه اللفظة . حتى ماذا تظن بها . اوليس من البيّن انها انما قيلت ليس لمعنًى اخر . الا لتدلنا على خلوصية الوحيد . وعلى اتفاقهِ مع ابيهِ

في ازليته : وقد قال البشير ذاك خبّرنا * فان سالتنة . وما الذى اخبرنا بهِ : اجابك . اخبرنا ،، ان الله ما ابصره قط باصر * وان الله هو واحد * ،، لكن هذا القول قد قالتـه الانبياء * وموسى قد هتف بهِ في اعلا كلامهِ واسفلهِ قايلاً . ،، الرب الهك رب واحد هو * ،، واشعيا النبي فقد قال ،، ما صار اله اخر امامي * ولا يوجد بعدي (اشعيا ص ٤٣ ع ١٠) فان استخبرت وما الذى تعلمناه من الابن اكثر . اذ حالة حال موجود في حضن ابيه : وما الذى استفدناه من الوحيد : اجبتك . استفدنا منه هذه الفوايد باعيانها . التي هي من فعل ذاك * وبعد ذاك اقتبلنا تعليمه افصح وابين كثيراً . وهو ،، ان الله روح * والذين يسجدون له ينبغي ان يسجدوا له بروحٍ وحق (يوحنا ص ٤ ع ٢٣ و٢٤) وان هذا بعينه اعني النظر الى الله ممتنع * وان ليس يعرفه احد الا ابنه * وانه هو ابٌ لابن وحيد خالص * والعلوم الاخرى التي قيلت في وصفهِ كلها . ومعنى قوله اخبرنا . تبين تعليمه الاجلى والاوضح من غيره . الذى لم يعتمد به اليهود وحدهم . لكنه جعلـه لكافة اهل المسكونة وتلافيهم * لان الانبيا ما اصغى اليهم ولا اليهود كلهم . واما وحيد الله اطاعتـه المسكونة كلها وقبلت منه * فاخباره ههنا يدل على لفـظ تعليمـه الواضح * ولهذا المعنى دُعي كلمـة ورسول الراي العظيم *

العظة الخامسة عشر

في الحب الذى يخلصه احدنا للاخر * وان احدنا سبيله ان لا يطلب ما ينفعه فقط . لكن يبتغي ما ينفع قريبه ايضاً *

فاذ كنا قد اهلنا لتعليمهِ الاعظم والاكمل * ولم يخاطبنا الله بانبيايهِ . لكنه كلمنا بابنهِ في هذه الايام الاخيرة * فينبغي ان نظهر سيرةً اعظم من كرامتنا . واهلاً لها * لان منكراً علينا ان يكون هو قد تحدّر تحدراً هذا مقداره . حتى انه لم يشاء ايضاً ان يخاطبنا بعبيدهِ . لكنه خاطبنا بذاتهِ * فلم نظهر نحن خضوعاً اكثر من القدما * فاوليـك حازوا موسى معلماً * ونحن فقد استقنينا سيد موسى والهه معلماً * وانما نظهر فلسفة موهلة لهذه الكرامة . اذا لم نمتلك شياً مشاعاً بيننا وبين الارض * لهذا السبب اورد الينا تعليمه من فوق السموات . لينقل تمييزنا الى هناك * لكي نصير مماثلين معلمنا على حدو قوتنا * وان استخبرتم كيف يتهيه لنا ان نصير مماثلين المسيح : اجبتكم . انما نماثله . اذا عملنا كل ما نعمله ونكتسبه لمنفعةٍ بين جماعتنا . واذا لم نلتمس فوايد لذواتنـا وما يخصنا * لان الرسول قد قال ،، ان المسيح ما ارضى ذاته * ،، لكن كما كتب . ان عار معيريك وقع عليَّ (رومية ص ١٥ ع ٣) فلا يطلبن احدنا فايدةً لذاتهِ * لان احدنا على هذه الجهة . يلتمس فايدةً لذاته * اذا راقب فايدةً تحصل الى قريبهِ * لان فوايد اوليك هي فوايدنا * لاننا نحن

جسمٌ واحدٌ * و بعضنا اوصال بعضنا واعضاهم * فلا نجعلنّ حالنا حال منفصلين * لايقولنّ احدنا . ان فلاناً ليس هو لي صديقاً . ولا مجانساً . ولا جاراً اليَّ . ولست استلك بيني وبينهُ حظاً مشاعاً * فكيف ادخل الى عنده ; او كيف اخاطبه ; الّا انهُ ان كان ليس هو نسيبك . ولا صديقك . الّا انهُ انسان مثلك * مساهم طبيعتك هذه بعينها . حاوٍ سيدنا بعينهِ سيده . مواخينا في العبودية . وفي السكنى * لانه قد تكون في عالمنا هذا بعينهِ * وان كان يساهم امانتنا بعينها . فها قد صار عضواً لك * لان اية صداقةٍ تقتدر ان تخترع اتحاداً هذا مقداره . بمقدار مناسبة الامانة ان تبدعه * لاننا لسنا نحتاج ان نظهر اختصاصاً لبعضنا بمقدار ما يجب ان يختص صديق لصديقه . لكن كمثل العضو منا لمفصله * لان ليس يجد احدنا مثل هذه الصداقة والاهتمام والاشفاق * وكما ان احدنا لو جاء حتى ينكر عضوه . لكان مضحوكاً عليه * كذلك ليس يقول هذا القول في مناسبة اخيهِ الروحاني * لان الرسول قد قال . « اننا كلنا اصطبغنا بجسدٍ واحدٍ (قرنتية ١ ص ١٢ ع ١٣) وان سالت وما معنى اصطبغنا كلنا بجسد واحد ; اجبتك . معناه حتى لا ننفصل * لكن نحفظ نظام جسم واحد في اتفاق احدنا مع الاخر ومحبته لهُ * فلا يستحقرن احدنا رفيقه . حتى لا نغفل عن ذواتنا * فان احدنا ما يمقت في وقت من اوقاته لحمهُ * لكنه يغذيهِ ويدفيهِ * لهذا المعنى وهب الله لنا الدنيا منزلاً واحداً مشاعاً * واشعل لكافتنا شمساً واحدةً * ومدَّ لنا السماء سقفاً واحداً * وبسط لنا الارض مايدةً واحدةً * واعطانا مايدةً اخرى اعظم من هذه بمقدار كثير * الا ان هذه المايدة ايضاً واحدةً * واصحاب سرها يعرفون ما قد قلناه * ووهب لكافتنا سجية واحدة لولادتنا * وهي السجية الروحانية * ووطناً واحداً لجماعتنا في السموات * وكلنا نشرب من كاس واحدةٍ بعينها * وما وهب للموسر من دعوتهِ حظاً اكثر . وللفقير قسماً منها انقص واحقر * لكن دعا كل الناس بالسواء * ووهب لهم مواهبه الجسدانية متعادلة * والروحانية متساوية * ولقايل ان يقول . فمن اين في عيشتنا زوال اعتدالها الكثير ; فنقول لهُ . من استغنام الموسرين ومنعوهم * ولكن لا تصيرنَّ يا اخوتي هذه الافعال ايضاً * ولا ننفصل من المحامد الكلية اللازمة الضرورية التي تجمعنا الى الفةٍ واحدةٍ بعينها . من تلقاء الاحوال الارضية الحقيرة * وهي الغنا . والفقر . والمجانسة الجسدانية . والعداوة . والصداقة * فان هذه كلها ظل . واحقر من الظل عند الذين قد امتلكوا رباط الحب من العلو * فسبيلنا ان نصونهُ ناجياً من ان يكون منفسخاً * فليس يقدر ان يندسّ الينا ولا امرض واحد من اسقام هوانا الخبيثة . الفاصلة الاتحاد الجزيل تقديره * الذي فليكن لنا كلنا ان نمتلكهُ . بنعمة يسوع المسيح ربنا وتعطفه * الذي بهِ ومعهُ للابِ المجد مع الروح القدس * الان والى اباد الدهور كلها امين *

المقالة السادسة عشر

في قولهِ (١٦) لان هذه هي شهادة يوحنا حين ارسلت اليهود اليهِ من اورشليم كهنةً ولاويين . ليسالوه . انت من انت ;

ان الحسد ايها الحبيب لردي ومهلك للحاسدين . ليس للمحسودين * لان اصحابه يفسدون ذواتهم اولاً ويهلكونها * اذ فعلهُ فعل صدي مميت مستكن في تقوسهم * وان اضروا بعض الاوقات المحسودين . فضررهم يسير . ليس اهلاً لشيء . حاوٍ فايدتهُ اعظم من خسارتهِ * ولن يتولد ذلك في داء الحسد فقط . لكنهُ يتولد معهُ في ادواء هواذا الاخرى كلها * ليس ينضر من يقاسي مكروهاً . لكن من يعمل عملاً ردياً هذا هو المقتبل الضرر * لان لو لم يكن هذا الفعل هذه خاصتهُ . لما كان بولس اوعز الى تلاميذهِ . ان ينظلموا . انفع لهم من ان يظلموا * قايلاً . « لمَ لا يظلمكم غيركم ; فذاك افضل من ان تظلموا انتم اخرين * ولمَ لا تخسرون اكثر ;(قرنتية ١ ص ٦ ع ٧) لانهُ عرف معرفة بليغة . ان الهلاك تابع في كل مكان ليس لمن يقاسي مكروهاً . لكن لمن يعمل ذلك * فهذه الاقوال كلها قلتها بسبب حسد اليهود * لان الذين تقاطروا من مدنهم الى يوحنا . ذموا خطاياهم . واصطبغوا . هولاء أُرسلوا بعد اصطباغهم منهُ . يستخبرونهُ استخباراً كانهُ من تندم خاطرهم . انت من انت ; لقد كانوا بالحقيقة حيات واولاد افاعي . ومهما كان اردى من هذه . جيلاً خبيثاً فاسقاً ملتوياً . أبعد اصطباغك تفتش صابغك . وتستبحث عنهُ ; وماذا يكون اعدم قياساً من زوال هذا القياس ; كيف خرجتم اليهِ ; كيف اعترفتم لهُ بخطاياكم ; كيف عدوتم احضاراً الى صابغكم ; كيف سالتموهُ عن اعمالكم ; فهذه الافعال كلها عُملت عندكم خلواً من قياس . اذ قد جهلتم ابتداءها وموضوعها * ألا انهُ ما قال لهم صنفاً من هذه الاقوال . ولا شكاهم * (اعني يوحنا السعيد) ولا عيرهم * لكنهُ اجابهم بكافة الدعة * ولعمري ان غرضهُ في ذاك يستوجب ان يعرف * وهو ايثارهُ ان يصير سوء علمهم واضحاً عند كل من يسمعهُ ظاهراً * فيوحنا قد شهد دفعاتٍ كثيرةً للمسيح * وحين عمدهم قد ذكر ذكراً متصلاً لدى الحاضرين . وقال . « انا انما اعمدكم في الماء * والجائي ورائي هو اقوى مني * هو يعمدكم بروح قدس ونار * » فعرض لهم في امرهِ عارض انساني * اذ كانوا باهتين الى شرف الدنيا . ناظرين الى ما يرضي الوجه * فتوهموا ان خضوع يوحنا للمسيح قد عدم ان يوجد اهلاً لهُ * لان صنوفاً كثيرة كانت تظهر يوحنا عندهم بهياً جليلاً * فاولها جنسه وجلالته وظهور شرفه * لانه كان ابناً لرئيس كهنتهم * ثم طعامه وصعوبة طريقته . واعراضه عن الاملاك الانسانية كلها * لانه كان مهوباً بثوبهِ ومايدتهِ ومنزلهِ وطعامه بعينهِ * قد اقام دهره السالف في

البرية * وجميع ما ابصروه في المسيح كان بخلاف ذلك * لان جنسه كان عندهم حقيراً * قد اوردوه مراراً لتهجينه . قايلين . « أفما هذا ابن النجار هو : او ما امه تُدعى مريم . واخوته يعقوب ويوسي : » والموضع المظنون انه وطنه كان التعيير يتجه عليه * على ما ذكر ناثانايل . « أمن الناصرة يوجد شيٌ صالح : » وطعامه مكان مشاعاً . مستقنياً ثيابه ليست اكثر من ثياب الكثيرين حقارةً * لانه ما كان يحوي حقوه منطقة جلد . ولا كان لبوسه من وَبَر * ولا اكل عسلاً وجراداً * لكنه تدبر بمشابهة لكل الحاضرين * وقد حضر في مجالس شرب مع اناس خبثا وعشارين . حتى يستجذبهم اليه * وهذا الغرض فما فطن به اليهود * فعيّروه لاجل هذه الافعال * على ما قال هو . « جاء ابن الانسان آكلاً وشارباً . فقالوا ها هوذا انسان اكول . وللخمر شروب . صديق العشارين والخاطيين * » فلما ارسلهم يوحنا من ذاته ارسالاً متصلاً . الى ذلك المظنون عندهم انه احقر محلاً منه . خجلوا واستصعبوا ذلك * وارادوا ان يستقنوا يوحنا معلماً افضل * وما تجاسروا ان يقولوا له عزمهم هذا ظاهراً * فارسلوا اليه متوقعين انهم بدكلنزتهم له . يستجذبونه الى ان يعترف من ذاته انه المسيح . وما ارسلوا اليه اناساً يتيسر التهاون بهم كما ارسلوا الى المسيح . لانهم لما ارادوا ان يقبضوا على المسيح . ارسلوا خدامهم واصحاب هيرودس . واقواماً هذه الحال حالهم * وههنا ارسلوا كهنة ولاويين * وما انفذوا كهنة على بسيط ذاتهم . لكنهم ارسلوا كهنةً من اورشليم . وهم اوفر كرامةً من غيرهم * لان البشير ما صنف هذه الاقوال على بسيط ذات تصنيفها * وراسلوه ليسالوه . « انت من انت : » وقد كان مولده واضحاً عند جماعتهم * حتى ان جميع الذين حضروا . قالوا ترى ماذا يكون هذا الصبي : وهذا القول فقد انبثّ الى ساير الناحية الجليلية * ولما جاء ايضاً الى الاردن . استطارت اليه تلك المدن كلها كالريش * وتبادروا اليه من اورشليم . ومن كافة بلد اليهودية * ليصطبغوا منه * فان سالت . فما رايهم الان في سوالهم : اجبتك * ما كانت حالهم حال من قد جهله * وكيف كانوا يجهلون الصاير عندهم واضحاً في جميع الاحوال : لكنهم انما سالوه مريدين ان يستميلوه الى هذا القول الذي قلته * واسمع السعيد يوحنا كيف اجابهم نحو المعنى الذي به سالوه * ليس على نحو سوالهم بعينه * لانهم اذ قالوا له . « انت من انت : » ما قال لهم في الحين ما كان ينساغ ان يقال على استواء اللفظ . « انا صوتُ هاتف في البرية . » لكنه القول الذي توهمه اوليك بطالة هو * قال البشير لمّا سُئل « انت من انت : » اعترف . وما جحد * واقرّ اني انا لست المسيح * وانظر الى حكمة البشير . اذ قال هذا القول بعينه ثلث دفعات . موضحاً فضيلة الصابغ . مبيناً خبث اوليك وغباوتهم * ولوقا فقد قال . ان الجموع اذ توهموا انه هو المسيح . ازال ايضاً توهمهم * هذا قول عبد محافظ . ليس من شانه انه ما يختلس فقط شرف سيده . لكنه اذ خوّله اياه الكثيرون يردّه ويدفعه * الّا

ان الجموع حينئذ . انما افضوا الى هذا التوهم من سداجتهم وغباوتهم * وهولاء فسالوه من عزم خبيث على ما قلت . متوقعين على ما ذكرت انهم يستجذبونه من تلقاء دكلزتهم الى ما حرصوا فيه * لانهم لولا انهم توقعوا هذا الامل . لما كانوا جنحوا الى سوال اخر * لكنهم قد اغتاظوا اذ اجابهم جواباً منافراً لم يكن نحو سوالهم * وكانوا قد قالوا العلنا نحن توهمنا هذا التوهم ; أترانا لهذا المعنى جئنا نسالك ; لكنهم اذ صارت حالهم حال خايفين قد صيدوا . جنحوا الى سوال اخر . وقالوا . فماذا تقول ; ايليا انت ; فقال لست انا ايليا * لانهم قد كانوا منتظرين هذا ان يجي على ما قال المسيح * لانه اذ سالهُ تلاميذه . ,, كيف تقول الكُتّاب . ان ايليا ينبغي ان يجي اولاً ; قال لهم . ان ايليا يجي ويمهد الاحوال كلها * ,, ,, ثم سالوه أفالنبي انت ; فاجابهم لا * ,, وقد كان لعمري نبياً . فلمَ جحد ; لعمري انه قال هذا القول لنظره الى سريرتهم ايضاً * لانهم كانوا ينتظرون نبياً مستخصاً يجي * لاجل قول موسى . ,, ان الرب الهكم سيقيم لكم نبياً من اخوتكم مثلي . فاسمعوه (تثنية ص ١٨ ع ١٥) وهذا هو المسيح * فلهذا الغرض ما قالوا له . أ نبي انت ; معتمدين اعتماداً مستوراً . اي واحداً من الانبيا * لكنهم انما سالوه بمصاحبة الاسم . ,, أ فالنبي انت ; ,, زعموا الذي تقدم موسى فانذرنا به ; فلهذا المعنى جحد * وما جحد انه نبي * لكنه ليس هو ذاك النبي (٢٢) ,, فقالوا فمَن انت . حتى نردّ جواباً الى الذين ارسلونا ; ما الذي تقوله عن ذاتك ; ,, ارايت اوليك مسارعين في السوال اشدّ اسراعاً . لا يتنزحون عن سوالهم ; وذلك الفاضل مبطلاً بدءه اولاً اوهامهم فيه . التي لم تكن موجودةً * واضعاً بعد ذلك اللقب الموجود له * (٢٣) لانه قال . ,, انا صوتُ هاتف في البرية * قوموا طريق الرب . على ما قال اشعيا النبي * ,, لانه اذ كان قد قال في المسيح وصفاً عظيماً عالياً . اعتمد به توهم اوليك . التجي في الحين الى النبي . جاعلاً قوله في هذا الوجه موهلاً لتصديقه (٢٤) ,, وكان المرسلون من الفريسيين * (٢٥) فسالوه . وقالوا له . فما بالك تعمّد . ان كنت لست انت المسيح . ولا ايليا . ولا النبي ; ,, أرايت اني ما قلت قولاً باطلاً . انهم انما ارادوا ان يستميلوه الى هذا الغرض ; وما ذكروه منذ ابتداء سوالهم . حتى لا يصيروا عند جميع الحاضرين مشهورين * ثم اذ قال لست انا المسيح . لايثار اوليك ان يستروا ايضاً ما قد اضمروه في باطنهم . جنحوا الى ايليا والى النبي * فلما قال انه ليس هو واحداً منهما . تحيروا بعد ذلك . واطرحوا تظاهرهم المشابه وجوه لعب الخيال . واظهروا براس حاسر عزمهم المخاتل * قايلين . ,, فما بالك تعمّد . ان كنت لست انت المسيح ; ,, ثم لايثارهم ايضاً ان يستروا عزمهم . تظللوا بالاثنين ايليا والنبي * لانهم اذ لم يمكنهم ان يعرقلوه بدكلزتهم . توقعوا بشكواهم اياه . انهم يقتدرون ان يضطروه الى ان يقول ما ليس هو * الا انهم ما اقتدروا * فترحاً لغباوتهم . وبوساً لتجبرهم وعتوهم واستبحاثهم

المسلوب وقته * اوسلتم تستعلمون منه من هو · ومن اين كان · ولستم واضعين له شرايع * لان هذا
الالزام كان الزامهم · ان يعترف عن ذاته انه المسيح * الا انه مع ذلك ما اغتاظ الان عليهم ·
ولا قال لهم قولا" هذا معناه * على نحو ما يليق بهم· انتم توسوسوني وتتشكرعون لي * لكنه اظهر ايضا" دعة"
كثيرة (٢٦) لانه قال ,, انا اصبغ في الما · وقد وقف في وسطكم الذى ما عرفتموه انتم * (٢٧)
ذلك هو الجاءى وراءى · وقد صار امامى * الذي لست اهلا" موهلا" ان احل شسع حذايه ,,
فاليهود ما الذي يتجه لهم فيما بعد ان يقولوه ردا" على هذه الاقوال ; لان الجناية عليهم في هذه
الجهة قد سلبت اعتافهم منها · والحكم الوجب عليهم خايب من العفو * لانهم هم ابرزوا القضية على
انفسهم * وان سالت كيف وباية حال ; اجبتك · لانهم انتسبوا يوحنا موهلا" للتصديق * صدوقا"
على هذا المقال الذى احلّه عندهم محل من ليس يُصدق قط · اذا شهد لاناس اخرين · لكنه مع
ذلك يُصدّق في قوله من ذاته بعينه * لانهم لو لم يكن هذا الحال حاله عندهم · لما كانوا ارسلوا يستعلمون
منه ما يقوله عن ذاته * لانكم قد عرفتم اننا انما نصدق اوليك وحدهم ابلغ تصديقا" فيما يقولونه
عن انفسهم · الذين نستشعر انهم لم يزالوا اصدق من اهل بلدهم كلهم * وليس هذا المعنى وحده هو
الذى يسد افواههم فقط · لكن العزم ايضا" الذى الموا به ايضا" وقصدوه * لانهم خرجوا الى عنده
بنشاط كثير · وان كانوا قد انتقلوا من ذلك اخيرا" * والعزمان كلاهما فقد اوضحهما المسيح وقال ·
,, ذلك كان السراج المتوقد * فاردتم انتم ان تُبتهجوا بنوره مقدار ساعة (يوحنا ص ٥ ع ٣٥)
وجوابه ايضا" يجعله موهلا" للتصديق اكثر · لانه قال ,, ان من لم يلتمس للشرف الذى له · فهو
صادق * وليس يوجد فيه ظلم * ,, وهذا فما التمس تشريفا" * لكنه ارسلهم الى اخر * والذين ارسلوا
فانما ارسلوا اقواما" من الموهلين للتصديق عندهم الحاوين الرتب المقدمة في شرفها · حتى لا
يوجد لهم ولا فى جهة من الجهات مهربا" · ولا مفيصا" لانكارهم · الذى به انكروا المسيح *
فانا اخاطبهم · لمَ ما قبلتم الاقوال التى قالها يوحنا في وصفه ; انتم ارسلتم اليه المالكين الرتب
المقدمة فى الشرف * انتم سالتموه بهم * انتم سمعتم ما اجابوا به للصابغ * اوليك اظهروا كل
بحث · واستبحثوا عن كل ما ارادوا * فكافة الاوهام التى توهموها قالوها له * ومع ذلك فقد
اعترف بمجاهرة كثيرة · انه ليس هو المسيح · ولا ايليا · ولا النبي * وما وقف عند هذه الاقوال ·
لكنه علّم من هو * وبين ذلك بكلامه من المعنى فى طبيعة صبغته · انها صغيرة حقيرة · لن
تمتلك شيا" اكثر من الما * ووصف سمو المعمودية المعطاة من المسيح * واقتاد اشعيا النبى شاهدا"
من اهل الزمان قبل زمان كثير · اذ سمى المسيح ربا" * ودعاه هو خادما" له * واما ههنا فما
الذى قد وجب عليك ; أليس قد وجب ان تصدق المشهود له وتسجد له · وتعترف انه الهك ;
والبرهان على ان الشهادة ما كانت من دكلوة · لكنها كانت من صدق وحقيقة · فقد اوضحها

حال الشاهد بها وفلسفته * وذلك بيّن ايضاً من تلك الجهة . اذ احدنا ليس يشا ان يفضّل قريبه علي ذاته . ولا ممكناً ان توهب لهُ كرامة فيحيلها الى غيره . ويكون هذا المقدار الجزيل مقدارها * فيجب من ذلك . ان ولا يوحنا كان ابرز هذه الشهادة للمسيح . لو كان ليس هو الهاً * لانهُ وان كان قد دفعها عن ذاته . من جهة انها كانت اعظم من طبيعته . الّا انهُ ما كان يضعها ايضاً لطبيعة اخرى اذل محلاً * وزعم «قد وقف في وسطكم * الذي ما عرفتموه انتم * » لانهُ قد كان لايقاً به ان يختلط بالشعب . كواحد من الكثيرين * لانه يعلمنا في كل مكان . السجية الخالية من الصلف والتفخيم * والمعرفة ههنا يريد بها المعرفة البليغة * كقولك ما قد عرفتم من هو . ومن اين هو * ومعني الجاءي وراءي قد ذكره ذكراً . متصلاً * فقد قارب بذلك ان يقول . لا تظنوا ان جلة المطلوب موضوعة في المعمودية التي لي * فلو كانت تامة . لما كان قد جاء اخر بعدي بخولكم معمودية اخرى * لكن هذه المعمودية استعداد لتلك وتطريق لها * فانها الى ظل وصورة * ويجب ان يجي اخر واضعاً للحق * فيجب من ذلك ان يكون قوله الجاءي وراءي . بيّن به اكثر بياناً رتبته * لانّ لو كانت هذه الصبغة كاملة . لما طلب موضع صبغة ثانية * «وقد صار قبلي * » ومعني ذلك هو اكرم قدراً مني . وابهي محلاً * ثم حتي لا تظنوا ان سمو المسيح يوجد من مقايسته به . ولايثاره ان يبين سموه الفايت المقايسة . استثني قايلاً « الذي لست انا بمستحق ان احل سيور حذايه » يعني قال ليس هو صار امامي علي بسيط ذلك . لكن علي هذا المثال . الذي تقديره انني لست اوجد موهلاً ان اعد ولا في خدامه الاخرين * لان معني حل الشسع هو الخدمة الاخيره *

العظة السادسة عشر

طعن علي الكبريا والايسار * وحث علي الصدقة *

فلين كان يوحنا ليس موهلاً ان يحل شسع حذايه . وهو الذي ما صار في المولودين من النساء اعظم منهُ . فاين نرتب نحن ذواتنا ; ان يكن عديل المسكونة . واوجب ما يقال واعظم منها . (لانهُ قد قال من افاضل اهلها ان العالم ما كان عديلاً لقيمتهم) . قد قال انهُ ليس يوجد موهلاً ان يُعَدّ ولا يُحسب في جلة الاخرين من خادمي ربنا . فما الذي نقولهُ نحن المملوون من اعمال ردية جزيل عددها . الناقصون بهذا المقدار عن فضيلة يوحنا الصابغ . بمقدار ما تنقص الارض عن السما ; فهذا الفاضل قال عن ذاته . انهُ ليس موهلاً . ولا ان يحل شسع حذايه * واما اعداء الحق فصرعوا صرعاً هذا المقدار مقداره . حتي انهم يقولون عن انفسهم انهم موهلون ان يعرفوه . كما قد عرف هو ذاتهُ * فما الذي يكون اشرّ من هذا الصرع ; ما الذي يوجد

اشد جنوناً من التجبر والكبريا : ولقد قال رجل حكيم قولاً صايباً . « ان ابتداء الكبريا لا يعرف صاحبها ربهُ (سيراخ ص ١٠ ع ١٤) ولعمري ان ابليس المحال ما كان اهبط وسقط . ولا كان محالاً اولاً . لولا انهُ انسقم بهذا السقم * هذا السقم اخرجهُ من تلك الدالة * هذا الداء ارسلهُ الى جهنم * هذا السقم صار العلة للافعال الردية كلها * لان فيهِ وحده كفاية ان يفسد فضيلة نفسنا كلها * ولو وجد لها صدقة . ولو صادف لها صلوة . ولو وجد لها صوماً . ولو وجد لها مهما كان من الفضايل افسده * لانهُ قد قال « ان العزم المترفع في الناس نجس عند الله * » وليس من عادة الزنا فقط . ولا في طباع الفسق ان يدنس مستعملهُ . لكن الكبريا ايضاً تدنس مستعملها اكثر من الزنا والفسق بكثير * وان سالت لمَ ذلك ; اجيبك . لان الزنا وان كان فعلاً رديا خايباً من العفو . الا ان صاحبهُ مع ذلك يتجه ان يقول . شهوته كانت علته * فاما الكبريا فليس يجد صاحبها علة يوردها لها * ولاحجة مهما كانت تمتلك لاجلها ظلاً من عفو * فليست الكبريا عارضاً آخر الّا انقلاب نفسنا وسقمها الاصعب من جميع الاسقام * وليست متولدة ولا من جهة من الجهات . الا من غباوتنا وجهالتنا * لان ليس يوجد اعدم فهماً من انسانٍ متكبر . ولو كان مشتملاً ثروةً . ولو كان مالكاً الحكمة التي خارج محلتنا كثيرة . وحاصلاً في اقتدارٍ . ولو كان حاوياً الحظوظ كلها المظنونة عند الناس انها مرغوب فيها محسودة * ولين كان من يستعظم بالمحامد المستحسنة بالحقيقة . فانهُ يكون شقياً خايباً قد اضاع ثوابها كلها * فمن يترفع في الاحوال التي ليست توجد شياً . الّا شبه ظلّ وزهر الحشيش ; لان هكذا هو الشرف الحاضر * فالذي ينتفخ بهِ ويصلف ذاتهُ . كيف لا يكون احق من كل الناس بالضحك عليهِ ; لانهُ يشبه مسكيناً فقيراً ذايباً بالجوع طول زمانهِ . ان عرض في بعض اوقاتهِ ان يبصر في ليلةٍ واحدة مناماً صالحاً . صار لاجلهِ مبتدخاً * فياشقياً منكوداً حظهُ . بنفسك فيك مفسودة بسقم اشد الاسقام ضنكاً . مفتقرة فقراً واصلاً الى غايتهِ . وانت تتعظم في عقلك بانك تمتلك من الذهب اوزاناً مبلغها كذا وكذا ; وانك تستقنى جماعة من المماليك ; الّا ان هذه الاملاك ليست لك * وان لم تقبل اقوالي . فاعرف ذاك مما قاساه الذين سلف انصرافهم من الدنيا * فان سكرت هذا السكر الذي ينتهي بك . الى ان لا تتادب من هذه العوارض العارضة لاناس اخرين . فتمهل قليلاً . وتعرف بما يعرض لك * ان ليس لك من هذه صنف نافع . حين تنتزع نفسك . وما تكون مالكاً ساعة صغيرة . ولا لحظة حقيرة * وتبدرق هذه الاملاك الى اناس اخرين كارهاً * وربما لا تكون تشتهي هولاء ان يملكوها * لان كثيرين ما سمح لهم ان يتصفحوا احوالهم * لكنهم ذهبوا على غفلةٍ . وقد كانوا ارادوا ان يتمتعوا باملاكهم . فما سمح لهم ذلك * لكنهم اجتذبوا وخيبوا من حضور اهلهم واصدقايهم عندهم * فاطلقوها عند كراهيةٍ منهم . واباحوها لاناس ما ارادوهم

ان يملكوها * فلكيلا يصيبنا هذا المصاب . بسبيلنا ما دمنا ههنا اصحاء معافين ان نوسلها الى مدينتنا * فاننا على هذه الجهة وحدها نستطيع ان نستمتع بها * وليس يمكننا ان نتمتع بها على جهة اخرى غيرها البتة * فعلى هذه الطريقة نخزنها في مكان حريز ناج من السلب * لان ليس يوجد هناك ولا يصادف صنف من الاصناف القادرة ان تسلبها منا * وليس يوجد هناك موت * ولا مواثيق كاذبة * ولا خلوف وارثين * ولا سعايات واغتيالات * لكن المنصرف من ههنا المورود زادات كثيرة يستثمرها هو كل حين دايماً * فمن يكون بهذه الصورة شقياً . ينتهي في زوال توفيقه . الى ان لا يشاء ان يتنعم باموالة كلها ; فينبغي لنا ان ننقل ثروتنا ونخزنها هنالك * فليس نحتاج جميراً . او جمالاً . ولا مركبات وعجلات . ولا سفناً لننقلها . لان الهنا قد اراحنا من صعوبة هذا الاهتمام * لكننا انما نحتاج الى فقراء وحدهم من المساكين ومن العرجان والعميان . ومن ذوي العاهات من السقما * هولاء هم الذين قد فوض اليهم نقل اموالنا الى السما * هولاء يولجون اصحاب هذه الاموال الى ميراث النعم الصالحة الدهرية * الذي فليتفق لنا كلنا امتلاكه بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه * الذي به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس * الان ودايماً . والى اباد الدهور كلها امين *

المقالة السابعة عشر

في قوله (٢٨) هذه الخطوب صارت في بيت عنيا جائز الاردن حيث كان يوحنا يعمد (٢٩) وفي الغد ابصر يسوع جائياً اليه فقال . ابصر حمل الله الحامل خطايا العالم *

ان مجاهرة احدنا واصلاحه فمه حراً . ووضعه الحوادث كلها ثانية لاعترافه بالمسيح . لعمل صالح كبير * وهو عظيم عجيب بليغ في تمثيل جلالته . الى ان يشيد بمن هذه الحال حالة ابن الله الوحيد بحضرة ابيه * على ان هذه المقابلة ليست بالسواء * لانك انت تعترف بمحضر الناس في الارض * وهو يعترف بك في السموات * انت تعترف به لدى اناس حاضرين * وهو يعترف بك لدى ابيه وملئكته اجمعين * ويوحنا فهذه السجية كانت سجيته * ما هاب رهطاء . ولا شرفاء . ولا اشياء غيرهما من الاشيا الانسانية * لكنه توطأ هذه العوايق كلها * واذاع عند كافة الحاضرين بحرية واجبة ما شهد به للمسيح * لان لهذا الغرض وصف البشير المكان * حتى يوضح مجاهرة النذير العظيم صوته * لانه ما اشاد به في بيته . ولا في زاويته . لكنه توجه الى الاردن * وانذر به في وسط جماعة الناس الحاضرين الذين اصطبغوا منه كلهم * لان اليهود وقفوا به عند تعميده . فنادى لديهم بذلك الاعتراف العجيب . المملو من تلك الاراء العالية . التي يغتاص وصفها بالمسيح * وقال انه ليس كفواً ان يحل شسع حذايه * لهذا الغرض قال البشير "" هذه الخطوب صارت

في بيت عنيا * ›› وما كان من النسخ ابلغ استقصاء من غيرها يوجد فيها . ‹‹ وان هذه صارت في بيت عفارا * ›› لان بيت عنيا ليس موقعها جاير الاردن * ولا هي عند البرية * لكن موقعها بقرب اورشليم * ولعمري ان البشير بين المواضع لعلة اخرى * لانه اذ اعتزم ان يصف افعالا ليست قديمة . لكنها عارضة منذ زمان يسير . جعل الذين حضروها وعاينوها شهوداء للاقوال التي قالها * وخولهم برهاناء من المواضع * لانه لثقته انه ما زاد من ذاته لفظا في الاقوال التي قالها * لكنه انما وصف الحوادث التي حدثت كلها على بسيط ذاتها وحقيقتها . اتخذ من المواضع الشهادة بها . التي تصير برهاناء (على ما ذكرت) ليس حقيراء لصدقها * قال . ‹‹ وفي الغد ابصر يسوع جائياء . فقال . ‹‹ ابصر حمل الله الحامل خطية العالم * ›› لعمري ان البشيرين قد قسما الاوقات * فمتى حذف الاوقات التي كانت قبل القبض على يوحنا الصابغ . واندفع الى الاوقات التي تتلوها * ويوحنا البشير ثبت في تلك الاوقات اكثر ثباتاء * فذاك ذكر ما جرى بعد مجي المسيح من البرية . والغى ما جرى في اثناء ذلك * وصمت عما تكلم به يوحنا . وعما قاله لليهود الذين ارسلوا اليه * وحذف جميع ما جرى بعد ذلك . وانتقل في الحين الى حبس يوحنا * لانه قال . ‹‹ ولما سمع يسوع ان يوحنا قد أسلم الى الحبس . انصرف من هنالك * ›› واما يوحنا فما عمل هذا العمل . لكنه صمت عن طريقه الى البرية * لان متى كان قد وصفها . ووصف ما جرى له بعد انحداره من الجبل * واذ شرح اوصافاء كثيرة . استثنى بقوله * ‹‹ ان يوحنا لم يكن بعد محبوساء في السجن * ›› فان سالت . ولم قال الان ان يسوع جاء الى عنده . وبما قال هذا القول دفعة واحدة . لكنه قاله دفعتين ; ولعمري ان متى قال ان مجيئه اليه كان ضروريا بسبب اصطباغه * لانه قال ان يسوع استثنى بقوله هذا . ‹‹ لايق بنا على هذه الجهة ان نتمم كل عدل * ›› الا ان يوحنا الصابغ عند مجي يسوع ايضا اليه . قال بعد اصطباغه . وبين هذا المعنى ههنا * لانه قال * ‹‹ انا رايت الروح منحدراء بصورة حمامة . وقد ثبت عليه * ›› فلم جاء الى عند يوحنا ; لانه ما جاء على بسيط ذات المجي . لكنه مضى الى عنده * لانه قال . انه ابصره جائياء اليه . فان استخبرت . لم جاء الى عنده ; اجبتك . اذ كان هو اعمده مع كثيرين . فحتى لا يظن ظان انه من تلقاء هذه العلة . التي بها جاء الكثيرون من الناس الى يوحنا . جاء هو ايضاء اليه * كقولك انه قصده معترفاء بخطايا . وانه انما جاء مستحما في نهر الاردن لتوبة ; فوض الى يوحنا ان يتلافا هذا الظن ويصلحه * لان قوله ‹‹ ابصر حمل الله الحامل خطايا العالم * ›› بطل هذا الظن كله وازاله * لان الطاهر على هذا المثال . الذي ينتهي تقديره الى ان يقتدر ان يطلق خطايا اخرين . قد استبان واضحاء انه ما جاء حتى يعترف بخطايا . لكنه انما جاء حتى يعطي ذاك النذير العجيب جهة . ان يحصل بها ابلغ تحصيلا في الذين سمعوا اقواله الاولى التي قالها

صوتاً ثانياً * ويزيدهم شهادةً اخرى ايضاً * ومعنى قوله «« ابصر . »» انما قيل لاجل التماس
الكثيرين اياه غير مرةٍ . من تلقا ما قيل فيهِ * ومنذ حين طويل * ولهذا المعنى لما حضر واوراه
للجمع . فقال «« ابصر . »» هذا هو المطلوب قديماً * هذا هو حمل الله * وانما سماه حملاً . مذكراً
اليهود نبوة اشعيا النبي * وبالظل الذى فى كتاب موسى * حتى يقتادهم ابلغ اقتياداً من الرسم الى
الحق * فذاك الخروف ما اخذ في دفعةٍ واحدة خطية احد الناس * وهذا فاخذ خطية المسكونة
كلها * لانها لما هلكت وتورطت في الخطر . استخلصها من رجز الله سريعاً * (٣٠) «« هذا كان
الذى قلت فى وصفهِ انهُ جاء ورای . وقد كان امامى * »» ارايت ولو فى هذا الموضع ; كيف
يترجم قوله امامى , لانه اذ قال خروفاً . وانهُ يحمل خطية العالم . قال حينئذٍ انهُ «« كان
امامى * »» موضحاً ان هذا هو معنى امامى . اى اخذه خطايا العالم . واعماده بروح القدس *
لان ورودى انا لن يحوى فعلاً . اكثر من الانذار بالمحسن المشاع الى المسكونة . وايزاع
الصبغة بالماء * وورود هذا يحوى فعلة ان يطهر الناس كلهم . وان يهب لهم فعل المعزى * قال
«« هذا قد كان امامى * »» ومعنى ذلك هو انهُ استبان ابهى منى لمعاناً * «« لانهُ كان اولاً لى
متقدماً علىّ * »» فليستحيِ خلفاء بولس السميساطى . ومقتبلى جنونهُ . المعاندين حقاً ظاهراً
بهذه الصورة . واضحاً * فقد قال يوحنا (٣١) «« وانا ما كنت اعرفهُ * »» فقد جعل شهادتهُ
في هذا الموضع عديمة ان تكون متهمة * اذ اوضحها انها ليست من صداقة انسانية . لكنها صايرة
من استعلانٍ الهي * لانهُ قال «« ما كنت اعرفهُ * »» وانا اخاطبهُ . فكيف تكون شاهداً
موهلاً للتصديق ; كيف تعلم اناساً اخرين . اذا كنت جاهلاً بهِ ; الّا انهُ ما قال ما عرفتهُ .
لكنهُ انما قال «« ما كنت اعرفهُ * »» فيجب من ذاك انهُ بهذه الشهادة صار موهلاً لتصديقهِ
كثيراً * لانهُ كيف فرح بمن هو مجهول عنده ; «« لكن لكى يظهر لال اسرائيل . لهذا الغرض جيت
انا صابغاً فى الماء * »» فربنا اذاً ما احتاج الى معمودية * وذلك الاستحمام فما امتلك علة اخرى .
الا ان يطرق لباقى الناس كلهم الايمان بالمسيح * لانهُ ما قال انى جيت لكى اطهر المصطبغين .
ولا قال انى جيت صابغاً حتى اريحهم من خطاياهم * لكن لكى يظهر لال سرائيل * ولعلك تقول .
افما كان يمكنهُ خلواً من التعميد ان ينذر بهِ . ويقتاد الجموع علي هذا المأخذ بايسر مرام ;
فاجيبك . لم يكن ذلك ممكناً البتة * لانهُ لو كان نادى وانذر خلواً من معموديةٍ . لما كان
اهل ذلك البلد تقاطروا اليهِ كلهم علي هذا المثال في كثرتهم * ولا كانوا عرفوا من المقايسة بينهما سمو
احدهما * ولعمرى ان كثرة الشعب خرجت اليه . ليس اذ سمعوا الاقوال التى قالها . لكنهم انما خرجوا
اليهِ يصطبغون . ويعترفون بخطاياهم * ولما جاوا الى عنده . علمهم وعرفهم ما شهد بهِ فى وصف
المسيح . والفرق بين المعمودية التى لهُ . والتى للمسيح * علي ان معموديته كانت اشرف من

المعمودية اليهودية * ولهذا السبب تبادروا اليه كلهم * الا انها مع ذلك علي هذا المثال قد كانت خالية من تمامها * الا انك ان سالتة * فكيف عرفة ; قال لك عرفتة بانحدار الروح عليه * وحتى لا يظن ايضا ظان . انة كان محتاجا الى الروح مثل ما نحن نحتاجه . اسمع كيف يبطل هذا الظن . اذ بين ان انحدار الروح عليه ومجيئة انما كان لينذر بالمسيح * لانة لما قال . «« وانا ما كنت اعرفة . »» استثنى بقوله . «« لكن الذى ارسلنى اعمد فى الماء . ذاك قال لى . علي من ترى الروح منحدرا ثابتا عليه . ذاك هو الصابغ بروح القدس * »» أرايت ان هذا الفعل كان فعل الروح ان يرى المسيح ; لان شهادة يوحنا كانت عديمة ان تكون متهمة * ولايشاوره ان يجعلها موهلة للتصديق اكثر من غيرها . اعلاها الى الله . والى الروح القدس * لانة اذ كان قد شهد علي هذه الجهة شهادة عظيمة عجيبة . فيها كفاية ان تريع * سامعيها ان المسيح وحده ياخذ خطايا المسكونة كلها . وان جسامة موهبته تحوى لفداء هذا مقداره جزيل . اصلح فيما بعد قضيته هذه وبرهنها * واصلاحه اياها هو قوله ان المسيح هو ابن الله . وانة ما احتاج الى معمودية . وان فعل انحدار الروح انما صار حتى يصيره بينا واضحا فقط * لان ما كان لقوة يوحنا اقتدار ان يعطى روحا * وهذا المعنى بينة الذين اصطبغوا منة * اذ قالوا الا اننا ما سمعنا ان كان الروح القدس موجودا * فالمسيح اذا ما احتاج الى المعمودية . ولا الى شى غيرها * لكن المعمودية احتاجت الى قوة المسيح * لان نقصها هذا كان . وهو هامة الخيرات كلها * وذلك هو ان يوهل المصطبغ للروح * فلما جاء هو زادها منحة الروح هذه الجليلة * (٣٢) «« وشهد يوحنا قايلا . انني عاينت الروح منحدرا عليه . بصورة حمامة . وقد ثبت عليه * (٣٣) «« وانا فما كنت اعرفة . لكن الذى ارسلني اعمد فى الماء . ذاك قال لى على من تبصر الروح منحدرا وثابتا عليه . فهذا هو الصابغ بروح القدس * (٣٤) «« فانا قد رايت وشهدت . ان هذا هو ابن الله * »» فالصابغ يوحنا قد وضع ما كنت اعرفة وضعا متصلا * فان سالت . فلم ذاك ; ولاجل ماذا فعل ذلك ; اجبتك . انة كان مناسبا لة في ذات اللحم * لان الملاك قال «« ها هى نسيبتك اليشبع حاملة ابنا * »» فلكيلا يظن به انة يتحمد اليه بسبب المناسبة . قال ما كنت اعرفة * وهذا فعرض براى صايب * لانة اقام زمانة كلة في البرية . خارجا عن بيت ابيه * ولعلك تقول . فان كان ما عرفة قبل انحدار الروح . وان كان حينيذ ما عرفة اولا . فكيف منعة قبل اصطباغه قايلا . انا محتاج ان اصطبغ منك ; فهذا القول دليل على انة قد كان يعرفه معرفة بليغة * فنقول في ذلك . الا انه ما كان يعرفه فيما سلف ولا قبل زمان كثير * وذلك علي جهة الواجب * لان العجايب التى صارت لما كان صبيا . كقولك العجايب التى حدثت في ورود المجوس وغيرها مما يناسبها . التى كانت قبل زمان كثير . كلها حدثت وكان يوحنا صبيا صغيرا جدا * وقد سلف

في ائنا ذلك زمان كثير * فعلى جهة الواجب كان ربنا مجهولاً عندهم كلهم * والّا فلو كان معروفاً . لما كان قال لكي يظهر لاسرائيل. لهذا الغرض جيت صابغاً * فمن هذه الجهة يستبين واضحاً عندنا . ان تلك الايات التي يقولون انها ايات المسيح في حين صباه . هي كاذبة . واختراعات اناس دخيلين * لانه لو كان ابتدا منذ سنه الاول يجترح ايات . لما كان جهله لا يوحنا بعينه . ولا كان جماعة الشعب فيما بعد احتاجوا الى معلم يظهره لهم * فقد قال الان يوحنا . انه لهذا الغرض جاء . ليظهر لآل اسرائيل * فان قلت . فكيف قال انا المحتاج ان تعمدني انت ; وكانه اذ عرفه اخيراً ابن معرفة . انذر به عند الجميع قايلاً . هذا كان الذى قلت انه سيجي وراءى رجل قد كان امامي * وان الذى ارسلني اعمد بالماء . لهذا الغرض ارسلني . لكي يظهر عند آل اسرائيل * وهو قد اعلنه له . قبل انحدار الروح عليه * ولذلك قبل ان يجي الى عنده قال . سيجي وراءى رجل قد كان امامي * قلت لك . ان يوحنا قبل ان يجي الى الاردن و يعمد كل من قصده . ما عرف ربنا * ولكن حين اعتزم ان يصطبغ . حينيذ عرفه * وذلك لما اعلنه ابوه ليوحنا النبي . واراه لليهود الروح عند اصطباغه . وصار انحدار الروح لاجلهم * لان حتى لا تستحقر شهادة يوحنا القايل انه كان متقدماً عليّ . وانه يعمد بروح القدس . وانه يحكم على المسكونة . ابدي ابوه صوته منذراً بابنه * وتلا الروح صوته منحدراً الى راس المسيح * لانه لما كان يوحنا قد اعمد . والمسيح قد عمد . فلكيلا يتوهم متوهم من الحاضرين . ان القول الذى قيل من اجل يوحنا قيل . جاء الروح متلافياً هذا التوهم * فيجب من ذلك . ان يوحنا اذ قال انني ما كنت اعرفه . انما يقول الزمان السالف . ليس زمان صبغته القريب * والا فكيف منعه قايلاً . انا المحتاج ان تعمدني انت ; كيف قال في وصفه هذه الاقوال وامثالها ; ولقايل ان يقول . فكيف ما امن به اليهود وصدقوه ; لان ليس يوحنا وحده ابصر الروح بصورة حمامة * فنقول له . ان هذه البدايع وامثالها . ما تحتاج الى عيني جسمنا فقط . لكنها تحتاج قبلها الى بصر سريرتنا ايضاً . حتى لا تظن ان الحادث خيالاً زايداً * ولين كانوا قد ابصروه مجترحاً عجايبه . لامساً بيديه السقيمين والمايتين . معيداً اياهم على هذه الجهة الى حياتهم والى عافيتهم * فاسكرهم حسدهم سكراً بلغ تقديره الى ان حكموا باضداد العجايب التي ابصروها * فكيف كانوا من حلول الروح وحده . قد حذفوا كفرهم وزوال تصديقهم ; وقد قال قايلون ان الروح ما اعتلن للحاضرين كلهم * لكن انما عاينه يوحنا وحده . والذين كان عزمهم اخلص من غيرهم * لانه ان كان ممكناً ان يبصر الروح منحدراً بصورة حمامة باعين محسوسة . ولكن ليس يلزم لهذا الغرض بكل الضرورة ان يكون انحداره واضحاً لجميع الحاضرين * وذلك ان زخريا النبي قد عاين اشيا كثيرة ببصر محسوس * ودانيال وحزقيال ايضاً . وما امتلكوا احداً من الناس شريكاً

لهم في معاينتهم * وموسى فقد راى صنوفاً كثيرة لم يبصرها ولا واحد من الناس الاخرين * والتجلى الكاين علي الطور . ما استمتع به التلاميذ كلهم * ومع ذلك معاينته في حين قيامته . ما تمتعوا بها كلهم * ولهذا المعنى بينة بياناً شافياً لوقا البشير بقوله . انه اظهر ذاته للشهود الذين انتدبهم الله سالفاً * قال يوحنا . « وانا قد رايت وشهدت . ان هذا هو ابن الله * » فان قلت واين شهد ان هذا هو ابن الله ; لانه قد سماه خروفاً * وذكر انه سوف يعمد بروح القدس . وما ذكر البتة انه ابن الله * علي ان البشيرين الاخرين ما كتبوا انه قال بعد تعميده اياه قولاً فيه * لكنهم صمتوا عن ما في اثنا ذلك . وكتبوا عجايب المسيح الكاينة بعد القبض على يوحنا * اجيبك . من هذه الافعال يتجه لنا ان نحدس حدساً واجباً . انهم قد الغوا هذه الاقوال وامثالها اكثر منها بكثير * ولهذا المعنى فقد اوضحه هذا البشير بعينه . بما قاله عند تمام البشارة التي صنفها * لانهم ابتعدوا ابتعاداً جزيلاً تقديره . من ان يختلقوا قولاً عظيماً في وصفه . لان الافعال المظنونة انها تجتلب عاراً وضعوها كلهم فيما كتبوه بابلغ الاتفاق وبكافة الاستقصاء * ولست تجد ولا واحداً منهم قد صمت ولا عن صنف من هذه الاصناف * واما عجايبه فبعضها اهملها بعضهم . وبعضهم ذكرها * وبعضها ايضاً صمتوا كلهم عنها * فهذه الاقوال ذكرتها ليس على بسيط ذكرها . لكنني قلتها طعناً علي وقاحة الاوثانيين * لان غرضهم هذا ايضاح كاف لسجيتهم المحبة للصدق . يبين انهم لم يقولوا قولاً يعتمد تمجداً * وموضوع اقوال البشيرين هذا بعينه . تقتدرون ان تشتملوه سلاحاً مع الحجج الاخرى للطعن عليهم . اعنى الاوثانيين *

العظة السابعة عشر

في انه يجب علينا ان نعرف الحجج عن امانتنا معرفة بليغة . حتى نقتدر ان نجاوب الذين يسالونا عنها *

لان منكراً علينا ان يكون الطبيب يجتهد ابلغ الاجتهاد في صناعته . والحداد . والنساج . والذين يمارسون كافة الصنايع على بسيط ذاتها . ويكون القايل انه مسيحي . ليس يمكنه ان يقوم بالحجة علي امانته * على ان تلك الصنايع اذا اغفل واعرض عن التمهر فيها . اورد ذلك الخسارة الى الاموال وحدها * واما براهين امانتنا اذا توانينا فيها . افسد ذلك نفسنا بعينها فينا * الا اننا مع ذلك قد حصلنا اشقياء على هذا المثال . الذى قد بلغنا فيه . الى ان نوزع تلك الصنايع كافة حرصنا واجتهادنا * والعلوم اللازمة الضرورية التي هى سبب خلاصنا . نتهاون بها . كانها ليست موهلة لصنف من الاهتمام * وفعلنا هذا ليس يترك الاوثانيين ان يضحكوا باسراع على

ضلالتهم * لانهم اذا كانوا هم متمكنين في الكذب . يعملون كل ما يمكنهم . حتى يستروا خزى رايهم واعتقادهم * ونحن الخادمون الحق ما يمكننا ان نفتح فمنا . فيكيف ما يذمون كثرة ضعف معتقدنا ; كيف ما يتوهمون ان فرايضنا خدعة وحماقة ; كيف ما يجدفون على المسيح . ويحلونة محل مداهن ومخادع . مستعملاً غباوة الكثيرين في اختداعهم ; ونحن هم علل هذا التجديف . اذا ما نشاء ان نسهر في البحث فى الاقوال والحجج عن شرف ديننا * لكننا نجعل هذه العلوم منحرفة عن قصدنا * اذ نهتم باعمال الارض * واذا احب احدكم راقصاً . او رايضاً . او مصارعاً للوحوش . يحرك كافة عزايمه . ويعمل كل حيلة حتى لا ينصرف فى اجتهادات احتجاجيه عنه دون غيره . وتنظمون لهم مدايح طوالاً . طامنين على ثالبيهم . وتولفون احتجاجاً عنهم . وترشقون مصاديهم بمثالب جزيل عددها * ومتى ما حضرت اقوال في معنى الديانة المسيحية . اطرقتم الى اسفل كلكم . وحكيتم روسكم . وتثاءبتم . وانصرفتم اذا ضحك عليكم . وكيف لا تكون هذه الافعال موهلة لسخط جزيل تقديره ; اذا كان المسيح يستبين عندكم اهون قدراً من راقص او رايض ; اذا كنتم درستم حججاً كثيرة جزيل عددها عن الافعال الكاينة باوليك . على انها اقبح الافعال واشنعها . وما تستجيزون ان تفطنوا بمعنى واحد فى وصف عجايب المسيح . على انها هى التى استجذبت المسكونة الى الايمان . ولا تهتموا بذلك ; اكثر ما نقولون . فنحن نومن باب وابن وروح قدس ونصدق قيامة اجسادنا والحيوة الدهرية * فان سالكم سايل . ما هو هذا الاب ; ما هو هذا الابن ; ما هو هذا الروح القدس ; ها انتم قد قلتم ثلثة الهة . وتشكون منا كثرة الالهة عندنا * فما تقولون له ; ما الذى تجاوبونه به ; كيف تستطيعون رشق هذه الاقوال ; ماذا تعملون اذا سكتتم ; فاورد عليكم سوالاً اخر ايضاً مستخبراً منكم . ما هى هذه القيامة بجملة تحديدها ; وهل بهذا الجسد نقام ايضاً . ام بجسد غيره ; وان كنا نقام بهذا الجسد . فما الحاجة الى تفسخه وتحليله ; فما الذى تقولونه رداً على هذه الاقوال ; اوماذا تقولون ان قال لكم . لمَ جاء المسيح الان . وما جاء فى الازمان السالفة ; فهل الان ارتاى راياً صايباً عنده ان يعتنى بالناس . وتهاون بهم مدى زمان اخر كله ; ويستبحث مع هذه المسايل عن مسايل اخرى اكثر منها * لان ليس يلزمنا اضطراراً ان نضيع مطالب ومسايل يتلو بعضها بعضاً كثيرة . ونصمت عن حلها * حتى لا نضر بذلك الاكثرين سذاجة من فهمهم * لان هذه المسايل التى قد ذكرناها فيها كفاية . ان تنفض النوم عنكم * ما الذى تعملون اذا استبحثوكم عن هذه المسايل . وانتم فما قد اقتدرتم ان تسمعوا الفاظها ; قل لى ترى نقاسى تعذيباً يسيراً . اذا صرنا عللاً لضلالة هذا مبلغ كثرتها . للجالسين فى الظلام . قد كنت اشاء لو استمتعتم بفراغ كثير . ان احضر الى وسطكم كلكم مصحفاً لفيلسوف اوثانى نجس . مقولاً في الرد علينا . ومصحفاً غيره لفيلسوف

اخر اقدم منه ايضاً * حتى انهضكم على هذه الجهة واستميلكم من كثرة عجزكم * فان كان اوليك قد سهروا اوقاتاً جزيلاً تقديرها . حتى تقولوا ما يطعنون به علينا . فلاي عذر نكون نحن موهلين . اذا لم نعرف ان نساطع وندافع رشق طعنهم علينا ; ولمَ خلقنا ; أَلم تسمع من الرسول القايل . ›› كونوا متسومين الاحتجاج لكل من يسالكم جواباً . عن الرجا الحاصل فيكم (بطرس اولى ص ٣ ع ١٥) وبولس يوصينا هذه الوصايا باعيانها بقوله . ›› كلام المسيح مليسكن فيكم بغزارة * (كولوصليس ص ٣ ع ١٦) ولكن اسمع ما يقوله الاعدمون نطقاً من النحل الباطل . جواباً لهذه الاقوال . ›› ان النفس المباركة بسيطة كلها * والسالك بغريزة بسيطة يسلك واثقاً مطمأناً * (امثال ص ١٠ ع ٩) فاجيبهم ان هذا العزم علة الافعال الردية كلها * لان الكثيرين منا ما يعرفون ان يوردوا شهادات الكتب على واجبها . وذلك ان الحكيم ما ذكر في هذه الالفاظ من كان فاقد الفهم * ولا اعتمد من كان لا يعرف علماً . لكنه انما اعتمد بقوله هذا . من كان قد عدم ان يكون خبيثاً . ومن ليس هو عاملاً الشر . ومن كان فهماً فطوناً * والا فلو كان ماهذا معناه . لكان قول ربنا فضلة زايدة . وهو ›› كونو فطونين كالحيات . وساذجين كالحمام * ›› ولكن ما حاجتي ان اقول هذه الاقوال . اذا كان هذا الكلام ليس ينتهي الى اهتمام واجب * ومع هذه المناقص التي ذكرناها . فولا النقايص الاخر نقايص عيشتكم وحياتكم قد اصطلحت لنا * لكنكم من ساير الجهات اشقيا مضحوك عليكم * يتيسر لكم دايماً ان يتعالل بعضكم ببعض * فقد حصلنا عاجزين عن اصطلاحنا . وعن تلافي العيوب التي ننسب العلة فيها الينا ونشكي بها * فلهذا السبب اتضرع اليكم . ان لا نثبت الان صايرين الى تقريعنا ذواتنا فقط . لان هذا التقريع ليست فيه كفاية ان يستغفر الله لنا * لكن سبيلنا ان نظهر انتقالاً حميداً من كافة حالاتنا * لكي نعيش لتمجيد الله بنا * ونستمتع بالمجد المنتظر كونه . الذي فليتفق لنا كلنا امتلاكه . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي له المجد الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الثامنة عشر

في قوله (٣٥) وفي الغد ايضاً وقف يوحنا واثنان من تلاميذه . واذ ابصر يسوع ماشياً . فقال ها حمل الله * فسمعه تلميذاه قايلاً هذا القول . ولحقا بيسوع *

ان طبيعتنا الانسانية لوانية بجهة من الجهات . وسريعة الجنوح الى هلاكها . وليس ذلك من جهة تركيب طبيعتها . لكنه من جهة ونية اختيارها * ولهذا المعنى نحتاج الى اذكارات كثيرة * وقد قال بولس . ›› ايثاري ان اكتب اليكم اقوالاً هي هي باعيانها . ليس يجعلني عاجزاً * وذلك لكم

حياطة وافية (فيليبوسيوس ص ٣ ع ١) لان الارض اذا تسلمت البذور دفعة واحدة . اينعت بعد ذلك اثمارها * وما تحتاج الى طرح البذور دفعة ثانية فيها * وليس يجرى الحال في انفسنا هذا المجرى * لكن فعلاً محبوباً ان نزرع فيها دفعات كثيرة * وان نظهر اهتماماً كثيراً . لنقتدر ان نتسلم ثمرتها دفعة واحدة * فاولاً لان باشد صعوبة تتمكن في سريرتنا الاقوال التي تقال لنا * لاجل ارتساخ القساوة فينا كثيراً . وتشبكنا باشواك جزيل عددها متكاثفة فينا * ولان الذين يغتالون علينا ويختطفون البذور منا يوجدون كثيرين * وبعد ذلك اذا تمكن الزرع وتاصل يحتاج الى هذا الحرص بعينه ايضاً . الى ان يبلغ نشوه * واذا وصل الى نشوه يحتاج الى هذه الصيانة . ليبقى سالماً لن يلحقه ضرر . ولا يضره صنف من الاصناف الضارة * لان البذور من الحنطة اذا تكاملت السنبلة منها . واستمدت قوتها . واكتنزت طبيعتها . يخصها ان تستحقر بايسر مرام الشوب والقحط والعوارض الاخرى كلها * ولن يجرى الحال في الاراء والاعتقادات هذا المجرى * لكنها بعد ان نعمل كل ما يحتاج اليه فيها عملاً تاماً . ربما وافاها شتاء واحد . وزوبعة مداهمة فاهلكتها * واذا صادمتها صعوبة الاحوال . وقاربها اناس يعرفون ان يغتالوا عليها . وداهمتها محن اخر مختلفة الوانها . افسدتها * فهذه الاقوال قلتها ليس على بسيط ذات القول . لكنني قلتها حتى اذا سمعت يوحنا الصابغ قايلاً اقوالاً هي هي باعيانها . لاتتوهمها هذياناً . ولا تظنها انها فضلة زايدة مستثقلة * لانه قد كان يشاء ان تستمع اذا قالها دفعة * واذ كان الكثيرون من الناس ما اصغوا من الابتدا الى الكلمات التي قالها . بسبب نومهم الكثير . انبههم ايضاً بصوت ثانٍ . وتامل هذا . قال « الجاي وراي كان امامي * وانني لست كفواً ان احل شسع حذايه * وان هذا يعمد بروح قدس ونار * » وانه عاين الروح منحدراً بصورة حمامة عليه . وشهد هذا هو ابن الله . فما اصغى احدهم الى قوله . ولا سأله . ولا قال له . ما بالك تقول هذه الاقوال ; ولاجل من تقولها ; وقال ايضاً « لنبصر حمل الله الحامل خطية العالم * » ولا على هذه الجهة لذع زوال حسهم * فلهذا السبب اضطر الى ان ان يقول تلك الاقوال باعيانها ايضاً * فكانت سجيتهم عنده . سجية ارض صلبة جاسية . لينها بفلاحته * وانهض تمييزهم الطيني بكلامه . كمن يحرثه بفتقنه . حتى يلقي زروعه في قعره * ولهذا الغرض اسهب كلامه طويلاً * لانه اجتهد في غرض واحد . وهو ان يقدمهم الى المسيح ويلصقهم به * لانه عرف انهم اذا اقتبلوا قوله هذا وقبلوه منه . ما يحتاجون فيما بعد الى الشاهد له * وهذا الغرض فقد كان * لان السمرة ان كانوا قالوا للامراة بعد استماعهم منه . « لسنا نؤمن به ايضاً لاجل كلامك * لاننا نحن قد عرفنا . ان هذا هو المسيح مخلص العالم (يوحنا ص ٤ ع ٤٢) فتلاميذ يوحنا كان يليق بهم اكثر . ان يصطادوا سريعاً * وهذا قد تم وكان * لانهما لما ذهبا معه . وسمعاه عيشة واحدة . ما رجعا الى يوحنا

ايضاً * لكنهم التصقوا به التصاقاً اوصلهما الى ان اقتبلا خدمة يوحنا . وانذرا به هما * لانهُ قال «ان هذا وجد سيمن اخاه وقال له . قد وجدنا ماسيا الذى تاويلهُ المسيح *» وانظر لي الى ذلك المعنى . ان الصابغ حين قال «الجائى وراى كان امامي * واني لست كفواً ان احلّ شسع حذايه .» ما اقتنص بهذا الكلام احداً * وحين تكلم في وصف تدبيره . وحطّ كلامهُ الى اذلّ درجاته . حينيذٍ لحق تلميذاه المسيح * وليس ينبغي ان نتامل هذا المعنى فقط . لكن سبيلنا ان نتامل ان الكثيرين من الناس لم ينقادوا الي الهنا هذا الانقياد السريع . حين قال يوحنا في وصفه وصفاً عظيماً عالياً . مثل ما انقادوا لما سمعوا قولاً صالحاً متعطفاً . عاطفاً الى خلاص الناس . للذين يسمعوه * لانهم سمعوا انهُ يحمل خطية العالم . فتبادروا فى الحين * لانهم قالوا ان كان يوجد اغتسالنا من جرايمنا . فلمَ نتباطى . وقد حضر من يعتقنا منها خلواً من التعاب : فكيف ليس تكون مدافعتنا موهبة . من غباوة واصلة الى غايتها : فليسمع الموظون الذين يوءخرون خلاصهم الى انفاسهم الاخيرة . فقد قال «وقف يوحنا وقال . «ابصر حمل الله *» وما خاطبهُ المسيح خطاباً . لكن يوحنا قال هذه الاقوال كافياً * وهذا الحادث يحدث في باب الختن . ليس يقول هو حينيذٍ للعروس قولاً . لكنهُ انما يحضر صامتاً . واناس اخرون يوصحون فصلهُ . وغير اوليك يسلمون اليه عروسهُ * وهي انما تظهر فقط . وليس ياخذها هو من ذاته ويذهب . لكنهُ ياخذها اذا دفعها اليهِ غيره * واذا اخذها مدفوعةً اليه . يجعل حالها هذه الحال . التى توصلها الى ان لا تذكر الذين دلّوا عليها واستزفّوها * هذا العارض عرض في فعل المسيح * جاء خاطباً للكنيسة * فما قال هو قولاً . لكنهُ حضر فقط . فوضع يوحنا صديقه يمينه باقواله * في يمين العروس * وسلم اليه نفوس الناس * فلما تسلمها هو . جعل حالها هذه الحال فيما بعد . التي اوصلها الى ان لا ترجع ايضاً الى من دفعها اليه * وما نتامل في افعاله هذه هذا المعني فقط . لكن يتجه لنا ان نتامل فيها فعلاً اخر * لان علي نحو ما يعرض في فرايض الترويج . ان الجارية ما تمضى الى الختن . لكنهُ هو ينقاد اليها * ولو كان ابناً للملك . ولو اعتزم ان يتزوج امراة حقيرة مطرحة . ولو كانت خادمة . هذا الحادث حدث ههنا * ما طلعت طبيعة الناس الي السما . لكنهُ هو جاء الى هذه الحقيرة المطرحة المستحقرة * ولما صار العرس . ما تركها الختن ان تبقى فيما بعد ههنا . لكنهُ لما تسلمها صاعدها الى بيت ابيه * ولقايل ان يقول . فما غرض يوحنا في انهُ ما اخذ تلاميذه وخاطبهم في هذه المعاني علي انفرادهم . ودفعهم بعد ذلك الي المسيح : لكنهُ قال لهم مع جميع الناس الحاضرين قولاً شايعاً . «ابصر حمل الله :» فنقول . لكيلا يتوهم مملهُ هذا من تغبية ومخاتلة * لانهُ لو كان هو تملقهم علي انفرادهم . وحالهم حال ممتنعين عليه بقبولهم منهُ . لعلهم كانوا قد طفروا باسراع منحرفين عن المسيح * فالان اذ رغبوا في لحوقه من تعليم يوحنا الكاهن مشاعاً . ثبتوا فيما بعد

تلاميذ حقيقيين * وحالهم حال لاحقين المسيح . ليس بمنة يمتنون بها على معلمهم . لكنهم لحقوه لحوقاً خالصاً . ناظرين الى الفايدة الحاصلة لهم * ولعمري ان الانبيا والرسل انذروا به غايباً * فالانبيا انذروا بقبل وروده بذات جسمه * والرسل انذروا به بعد ارتقايه . ويوحنا وحده انذر به حاضراً * ولذلك قال البشير انه صديق الختن * لانه هو وحده في العرس * وهو عمل وحده كافة فرايض العرس وتممها * وهو فتح الابتدا لفعل خلاصنا * «واذ ابصر يسوع ماشياً . قال ابصر حمل الله *» لانه ما شهد للمسيح بصوته فقط . لكنه شهد له مع ذلك بعينيه . واستعجبه مسروراً مبتهجاً * ولم يجعل كلامه عاجلاً على جهة التوسل . لكنه استعجب الحاضر فقط وانذهل منه . واذاع لهم كلهم الموهبة التي جاء يجود بها . وبين حال التطهير * لان معنى الحمل يبين هذين الصنفين كليهما * وما قال الاخذ خطية العالم . اوالذي قد اخذها * لكنه قال . «الحامل خطايا العالم *» من طريق ان هذا الفعل لفاعله دايماً * لانه ما اخذ حينيذ خطايانا حين تالم فقط . لكنه مذ ذلك الحين . والى وقتنا الحاضر يحمل خطايانا * ليس انه يحصل مصلوباً دايماً . لانه انما قدم عن خطايانا ذبيحة واحدة * لكنه بتلك الضحية الواحدة . مطهراً ايانا دايماً * وكما ان البشير اذا قال الكلمة فقط بين غريزته الفاصلة . واذا قال الابن فقد اظهر خاصته التي خالفت البنين الاخرين . فكذلك اذا قال الحمل . والمسيح . والنبي . والنور الحقيقي . والراعي الصالح . وكلما يقال عليه بزيادة الحاشية التي هي الالف واللام في الاسم . فقد بين الحد المحدود كثيراً * لان حملان كثيرة قد كانت . وانبيا . ومسيحين . وبنين * لكنه هو قد انتزح عن اوليك كلهم بفرق كثير بينه وبينهم * وما استوثق في ذلك بهذه الحاشية فقط . لكنه قد استوثق معها بزيادة الوحيد * لان بينه وبين الخليقة تسمية مشاعة مشتركة * فان ظن ظان ان ذكر هذه الحوادث في الساعة العاشرة . يوجد وقتاً منافراً للخطاب والتعليم * لان هذا الوقت كان حينيذ من ذلك اليوم * لان البشير قال . «وكانت الساعة مقدارها مقدار ساعة عاشرة *» فقد غلط على حسب ظني من هذا الظن ظنه جداً * لان الناس الكثيرين المتعبدين لجسمهم . يقال فيهم على جهة الواجب . ان الوقت الذي بعد اكلهم ليس يوجد ملايماً جداً لفعل من الافعال الضرورية . لاجل ان قلبهم يتثقل بالاطعمة * فاذا كان انسان في مكان ليس مستعملاً الطعام المشاع بين الناس استعماله . لكنه بايت الى المساء بافاقة هذا تقديرها . بمقدار افاقتنا نحن بعد الغلس * واولى ما يقال بافاقة اكثر من المقدار بكثير . لاننا نحن في اكثر اوقاتنا . اذا بقيت فينا بقايا من الطعام المسائي تختل نفسنا * وذلك ما لقل سفينته بصنف من هذه الاغدية . فعلى جهة الواجب يتكلم عند المساء في هذه المعاني وامثالها * ومع ذلك فيوحنا اقام في القفر عند الاردن . في المكان الذي كانوا كلهم يتبادرون الى المعمودية بدعوة كثيرة فيه . مهتمين حينيذ بالحوايج الحالية اهتماماً

بسبرا • وقد ثابتوا المسيح ثلثة ايام • وكانوا فاقدين الاغتذاء * لان هذا عمل نذير بليغ • وفلاح مهتم حريص • ليس يبتعد اولاً الى ان يبصر الكلام الذى قد غرسة مضبوطاً ثابتاً * فان قلت فما غرضة في انة ما طاف كل مكان من بلد يهوذا منذراً بالمسيح • لكنة وقف عند النهر منتظراً مجيه • ويريهم اياه عند مجيو ; اجبتك • لانة شاء ان يصير تعريفة نافعاً لة * والغرض المحروص علية عنده كان ان يصيره عاجلاً معروفاً فقط * وان يستميل اناساً الى استماع الحياة الدهرية • واستقبالة الشهادة الاعظم محلاً التى باعمالو * على حدو ما قال هو • « انا لست اطلب شهادة من انسان * الا الاعمال التى اعطانيها ابى * « تلك هى الشاهدة من اجلى » • وانظر كيف كان هذا التعريف ابين فعلاً * لانه اذ القى شرارة صغيرة • ارتفعت النار الى العلو بغتة * لان الذين لم يصغوا فيما سلف الى الاقوال التى قالها • قالوا فيما بعد كافة الاقوال • التى قالها يوحنا صادقة * ومع هذه الاقوال • لو كان قال هذه الاقوال جايلاً • لتوهم متوهم ان الحوادث الحادثة انما حدثت من حرص انسانى * وكان انذاره يوجد مماوا توهماً وظناً * « فسمع تلميذاه ولحقاه * » على انة قد كان لة تلاميذ اخرون * الا ان اوليك ليسوا ما لحقوا ربنا فقط • لكنهم مع ذلك لبثوا يحسدونة * لانهم قالوا ليوحنا • « يامعلمنا ذاك الذى كان معك جايز الاردن • الذى شهدت انت لة • ها هو يعمد * وجميع الذين ههنا يتبادرون اليو * » وقد استبانوا ايضاً يشكونة • اذ قالوا لة • « لم نحن نصوم • وتلاميذك ما يصومون » • الا ان الذين كانوا افضل من تلاميذه الاخرين • ما عرض لهم عارض هذا تاثيره * لكنهم معا سمعا لحقاه * ولحوقهم المسيح ليس مستحقرين معلمهما • لكنهما لحقاه لحوق قابلين منة كثيراً * ولعمرى ان مسارعتهما الى لحوقو • دلالةً عظيمة على تمييز افكارهما القويم * لانهما ما عملا هذا العمل لما تملقهما معلمهما • وهذا فقد كان متهماً • لكنة لما تقدم فقال فعلة المستانف فقط • انة يعمد بروح قدس • لحقاه * فما انتزحا عن معلمهما • لكنهما ارادا ان يعرفا • ما الذى يورده اكثر من يوحنا * وانظر الى حرصهم الصاير من استحيايهم واحتشامهم * لانهما حين اقتربا من يسوع • ما سالاه في الحين عن اشيا ضرورية عظيمة على بسيط ذات السوال • وعلى ما اتفق علانيةً بمحضر الحاضرين • لكنهما اجتهدا ان يخاطباه على انفراده * لانهما عرفا ان الفاظ معلمهما • ما كانت الفاظ تذلل عزم • لكنها كانت الفاظ صدق * « وكان اندراوس اخو سيمن بطرس احد الاثنين • الذين سمعا ولحقاه * ولقايل ان يقول • ولم ما عرفنا البشير اسم الاخر ; فاقول لة • قد قال قايلون لاجل انه كان الكاتب هذه الاقوال * واناس اخر ما قالوا هذا القول • لكنهم قالوا • ان ذاك ما كان من التلاميذ المعروفين • وما احتاج ان يقول شياً اكثر من امره ضرورى * لان ما الفايدة النافعة من معرفتنا اسم ذاك التلميذ ; اذ البشير ما قال لنا اسماء الاثنين وسبعين رسولاً * وهذا العمل قد عمله بولس الرسول * لانة قال « وقد ارسلنا معة الاخ *

اذ قد وجدناه دفعات كثيرة ساكناً في الفضيلة في جهات كثيرة . الذي مديحه في البشارة (قرنثيه ٢ ص ٨ ع ١٨) وانما ذكر اندراوس بسبب علة اخرى * وان سالت وايما هى ; اجبتك . انما ذكره حتى اذا سمعت ان سيمن لما سمع مع اخيه .« اتبعاني فاجعلكما صيادي الناس .» ولم يتحير من هذا الوعد البديع العجيب . تعرف ان اخاه كان قد تقدم فالقى مبادي تصديقه وامانته (٣٨) « فالتفت يسوع وابصرهما تابعين اياه . فقال لهما . ماذا تطلبان ; » فمن هذه الجهة نتادب ونتعلم . ان الهنا ليس يسابق بمواهبه ارادتنا . لكننا اذا بدانا نحن . اذا خولناه ان نشاء مواهبه . حينيذ يعطينا هو اسباب خلاصنا كثيرة * « فقال لهما ماذا تطلبان ; » فان قلت فما المعنى في هذا السوال ; هل العارف قلوب الناس . الذى يغوص في افكارنا . سال هذا السوال ; فاجيبك . ما سال ليعرف . لان كيف يكون ذلك ; لكنه بسواله اياهما جعلهما يختصان به اكثر اختصاصاً * وخولهما من الدالة عنده اكثر قدراً . وبين انهما موهلان للاستماع منه * لان قد كان لايقاء بحالهما ان يخجلا ويرهبا . من جهة انهما ما عرفاه . وقد سمعا معلمهما شاهداً من اجله شهادات هذا محلها * فبسواله حل خجلهما وخوفهما واوهامهما كلها * وما تركهم ان يصلوا الى المنزل صامتين * على ان هذا العارض قد كان عرض . لو لم يستخبرهم * لانهما لبثا تابعين اياه ماشيين في اثره . ووقفا بالمنزل * فجواب معنى لم سالهما . هو هذا الذي قلته . لايثاره اصلاح وجلهما * وسكون الفكر فيهما * اذ كان خجلاً مضطرباً ايضاً * وافادهما ان يطمانا * اظهر شوقهما اليه ليس بلحوقهما اياه فقط . لكنه بينه بسواله اياهما * لانهما ما كانا قد عرفا منه فعلاً . ولا سمعا منه قولاً * فسمياه معلماً . ودخلا مع تلاميذه . وبينا له العلة التي لاجلها لحقاه . وهي حتى يسمعا قولاً من الاقوال النافعة * وانظر الى فهمهما * لانهما ما قالا له علمنا تعليماً في الاراء والاعتقادات . او صنفاً غير ذلك من الاصناف الضرورية . لكنهما قالا . « اين تقيم ; » لانهما على ما تقدمت فقلت . ارادا اذا قالا له قولاً . او سمعا منه جواباً . ان تكون كلها بهدوء وسكون * ولذلك ما تباطيا . ولا قالا نجيء على ساير الاحوال غداً . ونسمعه يخاطب الجماعة خطاباً عاماً * لكنهما اوضحا حرصهما الكثير الذى اشتملهما الى استماع خطابه . بانهما لم يعطفهما الوقت عن ذلك * لانه اتفق انه كان عند غروب الشمس * لان الساعة كان مقدارها مقدار العاشرة من النهار * ولهذا الغرض لم يصف لهما المسيح علامات المنزل . ولا المكان * لكنه استجذبهما الى لحوقه اكثر . موضحاً انه قد اقتبلهما * ولهذا المعنى ما قال هذا الوقت الان هو وقت منافر لدخولكما الى المنزل . ستسمعان غداً ما شيتما استماعه . انصرفا الان الى منزلكما * لكنه خاطبهما خطاباً مثاله مثال خطاب اعتمد به اصدقاه الاليفين به زماناً طويلاً * ولقايل ان يقول فكيف قال .« واما ابن الانسان فليس يمتلك مكاناً يسند راسه اليه . (لوقا ص ٩ ع ٥٨) وقد قال ههنا « اتبعاني . وابصرا اين اقيم ; » فنجيبه . ان قوله انه ليس يمتلك

مسكاناً يسند اليه راسه . هو موضح انه لم يستقن منزلاً يخصه * وليس دالاً على انه ما سكن في منزل * لان المثل المشتمل علي هذا القول يعتمد هذا المعنى * فان قلت فقد قال البشير .»« انهما اقاما عنده ذلك اليوم كله * .«» فلاى سبب ما استثنى ايضاً بايضاح علة لحوقهما اياه : اجيبك . لانهما ما لحقاه لاجل قصد اخر . ولا استجذبهما المسيح . الا لاجل التعاليم الذى استمتعا به . هذا الاستمتاع بسعة * وباوفر نشاطهما * وفي ليلة واحدة . اوصلهما الى ان بلغا في الحين . الى اقتناص اهلهما . مع اناس اخرين *

العظة الثامنة عشر

في ان كل وقت ملايم للاستماع الالهى * وفي انه يجب علينا ان نهرب من الاحاديث الضارة *

ففي هذه الجهة نتعلم ان نجعل اشغالنا كلها . بالاضافة الى الاستماع الالهى . عملاً منحرفاً عن قصدنا * ولا نظن انه يوجد ولا وقت واحد منافر له ; لكن ان احتجنا ان نذهب الى منزل غريب * وان شيت ان تكون معروفاً عند اناس معظمين . قد كنت عندهم مجهولاً . وان بلغت الى اخر النهار . وان كنت في اى الاوقات كان . فلا تتوان في هذه التجارة * اعنى استماع الاقوال الالهية في وقت من اوقاتك * لان الاطعمة والحمامات والغدوات والعشوات . والافعال العالمية كلها . فتمتلك الوقت المحدود لها * واما التعليم في الفلسفة العلوية . فما يحوى وقتاً محدوداً . ولا ساعة واحدة * ولكن كل وقت فليكن وقتاً له . لان الرسول قد قال لتلميذه .»« وبخهم اشهرهم لاطفهم . في وقت يلايم ذلك . وفي وقت ينافره * (تيموثاوس ٢ ص ٤ ع ٢) وقد قال النبي »« انه يتلو في ناموسه نهاراً وليلاً * (مزمور ١) وموسى فقد اوعز الى اليهود . ان يعملوا هذا العمل كل حين * لان المتع العالمية . اعنى الحمامات والغدوات والعشاوات . اذا ما استعملناها استعمالاً متصلاً . فمن شانها ان تجعل جسدنا صاوياً * واما تعليم النفس . فبمقدار دوامه واتصاله . بقدر ذلك يجعل النفس التى تقبله اوفر قوة * فنحن الان قد افرزنا زماناً كله لهذيانات واهدارات خالية من المنفعة * ونلتيم جموعاً عند الغلس . وعند الظهر . والعصر . والمساء . في باطل * ونترك في هذا العمل مواضعنا . ونجعل استماعنا للتعليم الالهى دفعة من الاسبوع او دفعتين * ونكون متدوخين شباعى منها * وان سالت وما علة ذلك ; اجيبك . لان حال نفسنا جعلناها حالاً ردية * لاننا قد فسخنا في الاعمال المذمومة . قوتها المشتهية المرتاحة * فلهذا السبب ما تعاف معافاة توصلها الى اشتهاء الطعام الروحاني * لان هذا المرض مع امراضها الاخر كلها . دلالة علي سقمها عظيمة . وهو انها ليست جايعة ولا ظامية الى الغدا النافع . لكنها متكرهة للصنفين كليهما * فان كان هذا العارض اذا عرض في اجسامنا كان دلالة علي مرض صعب

مبدع؛ سقماء * اعنى زوال الجوع والعطش * فاليق واولى اذا عرض في انفسنا . ان يكون دلالة على شدة سقمها * فان سالت كيف يمكننا ان نستعيدها الى صحتها بعد انهوايها في المرض وتحلل قوتها ; ما الذى نعمله بها ; ما الذى نقوله لها ; اجبتك . ينبغى لنا ان نلامس الاقوال الالهية . اقوال الانبياء والرسل . والاناجيل . واقاويل الاباء الاخر كلها * فاننا حينيذ نعرف ان اغتدائنا بهذه الاغدية افضل لنا كثيراً . وانفع من اكلنا الاطعمة النجسة * لاننا بهذا الاسم ينبغي ان نسمي المجامع الردية . والهذيانات الفايت وقتها * لان ما الافضل قل لى . ان نتفاوض في الامور السوقية . وفي الخصومات الناشية فى مجلس القضاء . وفى الاخبار الحادثة فى المعسكر . او نتحدث في ذكر النعم التى في السموات . وفي الحظوظ الحاصلة لنا بعد انصرافنا من ههنا ; ما الافضل عندك ان تتحدث بحديث جارك . وفى افعالو واحوالو . وان تستبحث من الاحاديث الغريبة منك . او ان تلتمس محامد المثكة . والفوايد المختصة بنا . ونبحث عنها ; لان احوال جارك ليست على كل حال هى احوالك * ونعم السموات فهى لك * ولعلكم تقولون فقد يوجد من يتكلم في هذه المعانى دفعةً واحدة . ونتمم كافة مطلوبه * فاقول لكم . فما بالكم ما تفهمتم هذا المعنى فى الاقوال التى تتكلمون فيها جزافاً وباطلاً ; لكنكم تفنون عمركم كله فى هذا الحديث * وما قد اقتنيتم ذكر هذه الاقوال * وما قد وصفت . بعد الافعال التى هى اثقل من هذه بكثير * لان الاكثرين وداعة وتحرزاً يتكلمون بامور؛ نافعة جداً . والمتوانين المضجعين يرددون اقاويلهم فى ذكر محاكيين وراقصين . فيدنسون سمع سامعهم * ويفسدون طبيعة نفسه الى الجنون بهذه الاحاديث * وبهذه المفاوضة يوردون الى سريرتهم كل نوع؛ من الرذيلة * لان معما يذكر اللسان اسم الراقص . فقد مثلت نفسة فى الحين وجهة . وجمتة . وحلتة الناعمة * فيوجد ذاك الذاكر بعينو اشد رخاوة؛ وتضجيعاً من هولاء الراقصين اللاسبين * وقد يوجد انسان آخر . قد روح من جهة؛ اخرى لهيب الفسق * اذا استورد في مفاوضتو امراةً زانية . والفاظها . واشكالها . وطموح عينيها . ورطوبة وجهها . وتجعيد شعرها . وحف حواجبها . وتحمير وجنتيها . ونقش يديها ورجليها * افتراكم ما قد اثر فيكم تاثيراً . حين وصفت لكم هذه الاوصاف ; لكن لاتخجلوا ولا تستحوا * لان ضرورة طبيعتنا تقتضى هذا العارض . وتجعل هذه الحال حال نفسنا . بحسبما تحوبه قوة الاوصاف التى توصف لنا * فان كنتم عند تكلمى انا . وانتم واقفون فى كنيسة؛ . ومنترحون عن اوليك . قد اثر فيكم تاثيراً عند استماعكم . فتفهم على ما يليق بالقياس . كيف يكون حال الجالسين في مشهد اللعب بعينو . الحاوين فسحةً كثيرة . الذين هم خارج هذا المجمع الشريف الرهيب . الذين يبصرون تلك الافعال . ويسمعونها برقاحة؛ كثيرة . ولعل قايلاً من الذين لايصغون ولا يحترسون يقول لى . اذ ضرورة طبيعتنا تجعل حال نفسنا هذه الحال . فما غرضك في ان تهمل تلك

وتشكسونا نحن ; فاجيبة . لعمرى ان فعل طبيعتنا من شانو ان يتراخى ويلين . اذا سمع هذه السماعات وامثالها * الا ان استماع هذه الاصناف ونظايرها . ليس هو خطاء لطبيعتنا . لكنة ذنب لاختيارنا * اذ كان من يلامس نارا . ينبغى لة ان يحترق * وهذا الفعل بريده ضعف طبيعتنا * لا ان طبيعتنا ليس من شانها . ان تقتادنا ايضا الى النار . ولا الى الحريق الكاين منها * لان هذا الفعل انما يتولد من الانقلاب . الذى يناسب اختيارنا * فاسالكم ان تبطلوا هذا الالتوا وتتلافوه . حتى لاتسكردسوا ذواتكم طايعين الى اعماق الرذيلة متتابعين * ولا تحاضروا الى النار بنفسكم ومن ذاتكم * حتي لانجعل ذواتنا مستوجبين التعذيب باللهيب المعد لابليس المحال * الذى ليكن لنا كلنا ان نتخلص من هذا اللهيب ومن ذلك . وان نحصل فى حضون ابراهيم باعيانها * بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذى بو ومعة لابيو المجد مع الروح القدس . الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة التاسعة عشر

فى قوله (٤١) هذا وجد اولا سيمون اخاه وقال لة قد وجدنا المسيا . الذى ترجمتة المسيح (٤٢) * واقتاده الى يسوع *

ان الهنا الذى خلق الانسان في الابتداء ما تركه ان يكون وحده . لكنة اعطاه الامراة معينة لة * وجعلة ان يسكن معها * لعلمو ان الفايدة من هذه المسالة ستكون عظيمة * وماذا عليو ان كانت الامراة ما استعملت هذا الاحسان علي واجبو ; ولكن ان تامل متامل طبيعة عملو . سيبصر المنفعة من هذه المساكنة عظيمة . حاصلة للمالكين عقلهم صحيحا * ولن تحصل هذه المنفعة للرجل والامراة فقط . لكن الاخوة ان عملوا هذا العمل ايضا . سيتمتعون بهذا الاحسان * ولهذا المعنى قال النبي .,, ماذا يكون احسن واجود من مساكنة الاخوة جميعا ; (مزمور ١٣٢ ع ١) وبولس يوصينا . ان لانترك الالتيام والايتلاف بهم * وهذا هو الفعل الذى بو ننفصل عن الوحوش * لهذا السبب نبتنى مدنا . واسواقا . ومنازل * ليكون بعضنا مع بعض ليس من المساكنة فقط . لكن من رباط الحب ايضا الذى يحوينا * لان طبيعتنا اذ كونها فينا خالقنا معوزة . وليست مكتفية بذاتها . دبرالله فى هذه الجهة تدبيرا موافقا . ان يصطلح اعوازها . من المنفعة الكاينة من مساكنة احدنا مع الاخر وايتلافنا * حتى يتم الناقص فى الرفيق من رفيقو * ويصير المعوز على هذه السجية مكتفيا * وكما ان طبيعتنا اذ صارت ميتة . انجد لها بالخلف وبتداول النسل . ان يحفظ زوال الموت

عنهما . وان تخرج الى طول مداه * فكذلك قد استبان لقولنا المنافع . الصايرة للموتلفين من ايتلاف احدهم بصاحبه الخالص التهذب * الا ان المعنى الذي استحثنا الان هو غير هذا . ولاجله قيلت هذه الاقوال عندنا * لان اندراوس لما اقام عند يسوع . وعرف ما عرفه . ما ضبط الكنز عند ذاته * لكنه بادر وحاضر الى اخيه باسراع . وجاد عليه بالفوايد الصالحة . التي استمدها * وان استخبرت لاجل اي غرض . ما وصف لنا يوحنا ما هي الاقوال التي خاطبهما المسيح بها . ومن اين تبين واضحاً . انهما لهذا الغرض اقاما عنده ; فنقول لك . قد استبان لنا ذلك فيما سلف . وقد ينساغ لنا ان نعرفه من الالفاظ التي قريت اليوم علينا * لان ما الذي قال هذا لاخيه ; قال قد وجدنا المسيا * الذي يترجم المسيح * أعرفت كيف ما عرفه اندراوس في مدة يسيرة . بين به يوحنا حكمة المعلم الذي استمالهما . واوضح نشاطهما . وبين انهما كانا من اعلا سنهما ومن ابتدايه مهتمين بهذه الامال ; لان هذه اللفظة هي لفظة نفس طلقة بوروده . منتظرة مجيه منذ اعلى سنها . مسرورة باوفر السرور . بعد امتلاكها مامولها * مسارعة ان توصل البشارات بوجوده الى اخرين غيرها * فهذا فعل الود الاخوي * هذا عمل الصداقة الجنسية * هذا فعل السجية الصالحة . ان يجتهد احدنا في الفوايد الروحانية . وان يمد يد معونته الى رفيقه * فاسمع هذا الفاضل ايضاً قايلاً هذا الاسم بحاشيته التي هي الالف واللام * لانه ما قال ماسيا . لكنه قال المسيا * لانهم انتظروا مسيحاً واحداً . ليس ما لكان مناسبة مشاعة بينه وبين الاخرين * وانظر لي الى تمييز بطرس السريع الخضوع والانعطاف . منذ ابتداء تتلمذه بعينه * لانه سارع في الحين . وما دافع * لان البشير قال . انه اقتاده الى يسوع * لكن لا يلومن لايم سرعة انقياده * فلو لم يكن قد التمس هذه التباشير مراراً كثيرة . لما كان اقتبل قوله * لانه على ما يليق بالمعنى . ان اخاه قد خاطبه خطاباً ابلغ استقصاء في هذه الاقوال * الا ان البشيريين قد حذفوا في كل مكان اقوالاً كثيرة . لاهتمامهم بتلك اللفظ واختصاره * وعلى جهة اخرى . فما قيل انه صدق على بسيط ذات التصديق . لكنه انما قيل انه اقتاده الى يسوع دافعاً اياه الى سيدنا * حتى يتعلم منه كل ما يريد * لان التلميذ الاخر كان معه موافقاً في هذه الفوايد . لان ان كان يوحنا الصابغ حين قال انه حمل . وانه يعمد بروح القدس . اوعز بذلك ان يتعلموا من المسيح . التعليم الابين وضوحاً في هذا المعنى * فاليق واولى باندراوس . ان يكون قد عمل هذا العمل . لانه لما اقتاده . لم يكن فيه هو كفاية لوصف المعنى كله . فاجتذبه الى عين النور بعينها باسراع وفرح جزيل تقديرهما * مع ان ذلك الفاضل ما دافع المضي . ولا ابطاء ولا مدة يسيرة * قال . « واذ ابصره يسوع . قال له انت هو سيمن بن يونا . انت تدعى كيفا . الذي يترجم بطرس * » فهنا ابتداء ربنا ان يكشف الان افعال لاهوته * ويظهر قليلاً قليلاً من نبواته وتقديم اوصافه بما سيكون * وهذا العمل عمله في استجذاب ناثانايل *

وفي خطابه للامراة السامرية * لان النبوات تنقاد . ليس بدون اقتياد الايات والعجايب * وهي تحوى السيجية الخالية من الطرمذة * لان العجايب التي اجترحها وان كانت قد قلبت عند الذايل فهمهم لانهم قالوا . ان هذا لا يخرج الشياطين الا ببعلزبول * (متى ص ١٢ ع ٢٤) الا ان مثل هذا القول ما نقيل في وقت من الاوقات . في معنى نبوته . فهذا الفحو من تعليمه استعمله لسيمن ولنثانايل . وما عمل هذا العمل بالدرلوس وفيلبس * وان سالت وما غرضه في ذلك . اجبتك . لان اوليك قد استملكوا شهادة يوحنا استعدادا ليس يسيرا * واما فيلبس فلما ابصر الحاضرين . استمد لتصديقه اياه دلالة موعملة لتصديقها . قال له * ،، انت هو سيمن بن يونا ،، لكي يحقق هذه من الجميع الفعل المنتظر * لان من عرف اباه . فواضح انه قد تقدم فعرف المنتظر * وتقديم قوله بمديحه فما كان قول ملاق مذكر * لكنه قول من قد سبق فقال الحظ المنتظر * وذلك بين من هنالك * اسمعه اذا كيف يجعل تقديم وصفه سجية السامرية موبخا اياها باسراع . لانه قال لها ،، قد حويت خمسة رجال * والذى تمتلكينه الان ليس هو رجلك * ،، فكذلك ابوه ينشى في النبوة قولا جزيلا * لما ناصب تشريف الاصنام قايلا . ،، ليخبروكم ما يزمع ان يوافيكم * ،، وايضا ،، اخبرت وخلصت . وما كان فيكم غريب * ،، وهذا القول يسوقه بالنبوة الى الوسط * لان هذا هو عمل الله خصوصا . الذى ما تقتدر الشياطين ان تماثله . ولو ارتادوا ذلك وتعاطوه جدا * لان العجايب قد يتكون فيها تخيل * واما خاصية النبوة التي تتقدم فتقول الحوادث المنتظر كونها بابلغ الاستقصا . فهي خاصة تلك الطبيعة الفايقة ان توجد بالية او دائرة * وان عمل الشياطين هذا العمل في مكان . انما يعملونه ليختدعوا به الناس الذايل فهمهم * فمن هذه الجهة تكون افعال جدسهم معروفة في كل مكان مدروكة * الا ان بطرس ما اجاب جوابا لهذه الاقوال * لانه ما كان قد عرف بعد لكونها ايقانا واضحا * الا انه مع ذلك قد عرف * وانظر الى تقديم وصفه ما سيكون . ليس موضوعا وضعا كاملا * لانه ما قال له انا احيل اسمك . والقبك بطرس . وابني كنيستي على هذه الصخرة . لكنه قال له انت تدعى كيفاس * لان ذلك القول كان يكون قول تامر وسلطان انظم * والمسيح فلم يبين في الحين . ولا منذ ابتدا ظهوره . افعال سلطانه كلها * لكنه يتكلم ماجلا كلاما اذل لفظا * وحين خول برهان لاهوته وضع ذلك باوفر تامر قايلا . ،، فانا اقول لك . انت هو بطرس * وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي * ،، فعلى هذه الصفة سمى هذا المعظم * وسمى يوحنا ويعقوب ابنى الرعد * ولعلك تسال . ولم عمل هذا العمل : فاجيبك . ليبين انه هو الذى خولنا الشريعة العتيقة * وهو الذى احال الاسما فيها وقومها * وهو الذى سمى ابرام ابراهيم * وساير سارة * ويعقوب اسراييل * وقد وضع لكثيرين اسماهم منذ مولدهم * كما وضع لاسحق . ولشمشون * وكما وضع اسماء للذين في نبوة اشعيا وهوشع * ووضع اسماء لاناس بعد الاسماء التي

سماهم بها والداهم * كما وضع اسما المذكورين حينيذٍ . وليشوع ناوي * وقد كان للقدما عادة ان يضعوا الاسما من افعال اصحابها * وهذا الفعل قد فعلة ايليا * وهذا الفعل فما صار على بسيط ذاتهِ . لكنهُ صار ليكون اللقب تذكاراً يذكرهم باحسان الله اليهم * ليهتف عند السامعين ذكراً دايماً للنبوة بالاسماء * وعلى هذه الجهة سمي يوحنا منذ اعلى كونهِ * لان الذين ازمعت الفضيلة ان تشرق فيهم منذ سنهم الاولى . اخذوا اسماهم من هنالك * والذين اذمعوا ان تحصل فيهم مطية الفضيلة بعد ذلك . وضع لهم لقبهم ايضاً بعد ذلك * ولكن في ذلك الحين . اخذ كل واحدٍ من اوليك اسماء مختلفة * والان فقد حوينا كلنا لقباً واحداً * وهو ذلك اللقب الاعظم من الاسماء كلها . ان نكون مسميين مسيحيين . وبنين لالهنا . واصدقايهِ وجسدهِ * لان هذا اللقب الافضل من تلك الالقاب كلها . فيهِ كفاية ان ينهضنا . ويجعلنا اشد الناس اسراعاً الى افتعال الفضيلة *

العظة التاسعة عشر

في انهُ يجب علينا ان نستعمل ثروتنا فيما يجب . ولا نطمرها *

فلا نعملنَّ اذاً اعمالاً عديمة ان تكون موهلة للكرامة التي تناسب اسمنا * تفهم اذاً افراط تكريمك * لاننا ندعى اوليا المسيح * لان بولس قد سمانا بهذا الاسم * فينبغي لنا ان نفهم جسامة لقبنا * لان ان كان احدنا منتسباً الى قايد من القواد شريف المحل . او الى بهي الحظ في مرتبة اخرى . يفتخر بذلك فخراً عظيماً . اذا سمع انهُ صاحب فلان او فلان . ويستشعر هذا الاسم مرتبة عظيمة * ويعمل كل عمل . حتى لايخترع بونيتهِ تجديفاً على من هو منتسباً اليهِ * فنحن من تسميتنا ندعي ليس باسم قايد . ولا باسم ريس من الروسا الذين في الارض . ولا باسم ملاك . ولا ريس ملايكة . ولا باسم الشاروبيم او السارافيم . لكن باسم ملك هولاء كلهم * افما يجب علينا ان نبذل نفسنا بعينها . حتى لا نشتم مَن اكرمنا ; أمَا قد عرفتم ان المواكب الملايكة الحاملين الاتراس والحراب . المحيطين بالملك . بكم كرامةٍ تتمتع ; فكذلك نحن قد أهلنا لان نصير بقربهِ . واقرب من اوليك بكثير * فنحن بهذا المقدار اقرب اليهِ . من اقتراب اوليك بملكهم * بل بمقدار اقتراب الجسد من راسهِ * واليق ما يقال ان اقترابنا منه . اقرب من هذه الاصناف كلها * فينبغي لنا ان نعمل كافة الاعمال التى نشابه المسيح بها * ونتامل ما قالهُ المسيح * قال « ان الثعالب تمتلك اوكاراً * وطيور السما تستقني لها مساكن * واما ابن الانسان فليس يمتلك موضعاً يسند اليهِ راسهُ * » (لوقا ص٩ ع٥٨) فهذا الذهد ان طالبتكم بهِ . لعساهُ يظن عند الكثيرين منكم . انهُ ثقيل مُستصعبَ * فلهذا السبب اترك هذا الاستقصاء في الذهد بسبب ضعفكم . واسالكم ان

لاتنهجنوا في حب الاموال * ولكن علي حسب ما انتزحت انا . لموضع ضُعف الكثيرين عن افراط الكمال المناسب للفضيلة * فكذلك اريد ان ابعدكم عن الاسراف في الرذيلة . واكثر بكثير * فلست اشكو المستقنين دوراً وحقولاً واموالاً وعبيداً . لكنني اريدكم ان تستقنوا هذه الاملاك باحتراس من الشره و بسياسة لايقة * وان سالت . وما معنى بسياسة لايقة ; اجبتك . ان تكون في مرتبة سادة لها يمتلكونها . ليس في رتبة عبيد لها * حتى تضبط انت املاكك . لا تضبطك هي * حتى تستعملها . ولا تذيغ استعمالها * فلهذا السبب تدعى املاكاً مستعملة * لكي نستعملها في حوايجنا الضرورية . ليس حتى نخزنها * لان طمرها هو فعل عبد لها * واستعمالها فيما يجب . هو فعل لسيدها المالك سلطاناً كثيراً عليها * لانك ما اخذت اموالك لهذا الغرض . حتى تطمرها * لكنك انما اخذتها . حتى تفرقها * فلو شاء الله ان تصان الاموال محفوظة . لما كان اعطاها للناس * لكنه كان قد تركها في الارض . لتبقى فيها مخزونة * واذ كان يشاء ان تنفق . لذلك اهملنا ان نمتلكها * ليخولها احدنا للاخر * فاذا اصبطناها عندنا . فلسنا نكون سادة لها * فان شيت ان تجعلها اكثر مما كانت . ولهذا الغرض تضبطها * فههنا حيلة . وهي افضل الحيل كلها * وهي تبذيرها وتفريقها في كل مكان * لان ليس ممكناً ان يكون دخلاً خلواً من نفقة وخرج * ولا تكون ثروة خلواً من نفقات * وهذا المعنى يبصره باصر كايناً في املاك الدنيا * هذا الفعل فعل التاجر * هذه الطريقة طريقة الفلاح * فالفلاح يخرج ذروعه و بذوره * والتاجر يخرج امواله * فالتاجر يسير في البحر حتى يبدد امواله * والفلاح يتعب عاماً كاملاً ملقياً بذوره وخادماً لها * وههنا ما نحتاج الى صنف من هذه الاصناف . لسنا نحتاج ان نصلح سفينة . ولا نحتاج ان نقرن بقراً ونحرث ارضاً . ولا نهتم باضطراب الاهوية * ولا نخشى انحدار البرد * وليس يوجد ههنا امواج . ولا صخرة متهدفة * فهذا الايسار وهذا الزرع انما يحتاجان صنفاً واحداً وحده . وهو ان تطرح الاشيا الموجودة لك * وباقي صنوف التعب كلها يعملها ذلك الفلاح * الذي في وصفه قال المسيح . « ابي هو الفلاح * » فكيف ليس هو منكراً شنعاً ان توجد في التجارة التي يتجه لك ان تاخذ منها ارباحك كلها خلواً من تعب * مستلقياً علي ظهرك وانياً فيها * وتبين نشاطك كله في تجارة تعرق فيها اعراقاً كثيرة . وتتعب اتعاباً جزيلة * وبعد ذلك ففايدة اسالك غامضة * اطلب اليكم ان لاتعملوا هذا العمل * ولا نعدم فهمنا الى هذا الحد الجزيل تقديره في خلاصنا * لكن سبيلنا ان نهمل الارباح الاثقل تعباً . وان نحاضر الى الفوايد المتيسرة الارباح اكثر من غيرها . لكي يتفق لنا امتلاك النعم الصالحة المامولة . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي معه ولابيه المجد مع الروح القدس * الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة العشرون

في قولهِ (٤٣) وفي الغد شاء ان يخرج الى الجليل فوجد فيلبس . فقال لهُ يسوع اتبعني * (٤٤) * وكان فيلبس من بيت صيدا . من مدينة اندراوس و بطرس *

قد قال القول الامثالي . « قد يوجد عند كل مهتم . فضيلة واحدة زايدة * (امثال ص ١٤ ع ٢٥) وقد قال المسيح . « من يطلب يجد * » فمن هذه الجهة يعرض لي فيما بعد ان استعجب . من اين لحق فيلبس المسيح ; لان اندراوس سمع من يوحنا * وبطرس سمع من اندراوس * وهذا فما عرفهُ ولا واحد من الناس . ولما قال لهُ المسيح هذا القول فقط . الحقني * قبل منهُ في الحين * وما انصرف . لكنهُ صار نذيراً بو لاخرين * لانهُ حاضراً الى ناثانايل . فقال لهُ . « ان الذي كتب عنهُ موسى في الشريعة والانبيا . فقد وجدناه * » ارايتهُ كيف امتلك سريرة مهتمة ; وقد درس فرايض موسى واقوالهُ دراسة متصلة * وانتظر حضوره ; لان قولهُ قد وجدنا . هو قول الطالبين دايماً * قال البشير . « في الغد خرج يسوع الى الجليل * » لان قبل ان يتبعهُ تابع خرج . ولم يدعُ احداً * وفعلُ ذلك ليس على بسيط ذات فعلهِ . لكن على حدو حكمتهِ وفهمهِ * لانهُ لو كان اذا لم يتقدم اليهِ احد من ذاتهِ استجذبهم هو . لعساهم كانوا قد انتزحوا عنهُ طافرين * واذا اختاروا هم ذلك من ذواتهم . ثبتوا معهُ فيما بعد متمكنين * فدعا فيلبس . والبق ما يقال انهُ قد كان معروفاً عنده ; لانهُ . من معنى انهُ في الجليل ولد وتربى . قد عرفهُ ابلغ معرفة * فلما اخذ التلاميذ . جاء فيما بعد الى اقتناص باقيهم * واجتذب فيلبس وناثانايل * لاان اصطياد باقيهم . ما كان بهذه الصفة مستعجباً * اذ كان سماع يسوع قد انبث الى الشام كله * لكن اقتناص بطرس ويعقوب وفيلبس كان مستعجباً * لا لانهم قبلوا منهُ قبل عجايبهِ فقط . بل انهم كانوا مع ذلك من الجليل . من المكان الذي ما أُقيم منهُ نبي . ولا كان يمكن ان توجد منهُ فايدة صالحة * لان هولاء كانت سجيتهم بنحوٍ من الانحاء انقص علماً . واوفر وحشية . واكثف عزماً * ولعمري ان المسيح اظهر في هذ الجهة مقدرتهُ * اذ انتخب المفترعين من المجاهدين . من ارض لم تكن مفرعة ثمرة واحدة * وقد كان واجباً ان يلحقهُ فيلبس . والذين ابصروا بطرس وسمعوا من يوحنا * وكان لايقاً ان يعمل فيهِ قول المسيح عملاً * لانهُ عرف المزمعين ان يكونوا ملايمين * ولعمري ان البشير حذف هذه الاقوال كلها * وقد كان فيلبس عرف ان المسيح سيجي . الا انهُ جهل ان ذاك كان المسيح * وهذا فقد انجه لهُ استماعهُ . اما من بطرس . اما من يوحنا * وقد ذكر البشير ضيعته . لتعرف ان الهنا اختار من الدنيا اصنافها الضعيفة * (٤٥) فوجد فيلبس لناثانايل . وقال لهُ .

ان الذي كتب موسى من اجلو في الشريعة . والانبيا . وجدناه * يسوع بن يوسف الذي من الناصرة * ». فقال هذه الالفاظ جاعلاً انذاره بو . موهلاً لتصديقو . من موسى ومن الانبيا . متوسلاً في هذا الوجه الى سامعو ومستعطفاً اياه * لان ناثانايل اذ كان بليغ الاستقصاء . متصفحاً للشهادات كلها بتحقيق . على حدو ما شهد بو المسيح . وبينة عمله . ارسلة علي جهة الواجب الى موسى والى الانبيا * لكى على هذه الجهة يقتبل من قد انذر بو * وان كان قد دعاه ابناً ليوسف فلا ترتجو . لانة قد كان بعد يظن انة ابن لة * وانا استجبره يافيلبس . من اين يكون واضحاً . ان هذا هو ذاك ; ما الدلالة التي تقولها لنا ; لان حكمك بذاك وحده ليس كافياً * اية علامة رايت ; اية عجيبة ; لان تصديقنا اشيا هذا الحال تحلها علي بسيط ذاتو . ليس يوجد ناجياً من خطر * اى برهان تمتلكه ; فسيجيبني قد امتلكت البرهان بعينو . الذى تحقق عند اندراوس * لان ذاك ما اتجه لة ان يبين الثروة التي وجدها . ولا اقتدر ان يبين بالفاظو الكنز الذى صادفة . فاقتاد اخاه الى من قد وجده * وكذلك فيلبس ما قال لناثانايل كيف يوجد هذا ذاك المسيح . وكيف تقدمت الانبيا فانذرت بو . لكنة اجتذبة الى يسوع * عالماً انة اذا ذاق الفاظة وتعليمة . ليس يوجد فيما بعد منتزحاً عنة * (٤٦) فقال لة ناثانايل . ا من الناصرة يمكن ان يوجد فايدة صالحة ; فقال لة فيلبس . تعال وانظر (٤٧) فلما ابصر يسوع لناثانايل جائياً الى عنده . قال في وصفو . ها اسرايلى بالحقيقة . ليس يوجد فيو غش * فان قلت اذ قال هذا القول . ا من الناصرة يمكن ان يوجد فايدة صالحة مدحة واستعجبة * اجبتك انة ما كان يجب البتة ان يشكى ويذم * لان الفاظه ما كانت الفاظ جاحد . ولا كانت موهلة لذم وتهجين . بل كانت موهلة لمديح * وان سالت كيف ذلك ; وبال حال ; اجبتك . ان هذا كان متصفحاً كتب الانبيا اكثر من فيلبس * لانة سمع من الكتب ان المسيح ينبغي لة ان يجي من بيت لحم . ومن الضيعة التى كان داود النبي فيها * وهذا القول كان قد ثبت عند اليهود * وقد نادى بو النبى منذ اعلى الزمان * اذ قال . « وانت يابيت لحم . لست انت في جهة من الجهات حقيرة في قواد يهوذا * لان منك يخرج المقتاد الذى يرعى اسرايل شعبي * (يوحنا ص٧ ع٤٢ متى ص٢ ع٦ ميخا ص٥ ع٢)

فاذ سمع انة من الناصرة . ارتجف وتحير * اذ لم يجد تخبير فيلبس موافقاً لسابق قول النبوة * وانظر الى فهمو وهدو في حيرتو * لانة ما قال في الحين يافيلبس قد اطغيتني وكذبت . ولست اقبل منك . ولا اجى معك * لانني قد علمت من الانبيا . ان من بيت لحم ينبغي ان يجي المسيح . وانت تقول من الناصرة * فهذا اذاً ليس هو ذاك * لكنة ما قال قولاً من هذه الاقوال . بل ذهب معة . موضحاً بعزمو الذى لم يقبل انة يوجد من الناصرة . تعمقة البليغ في الكتب وتهذب اخلاقة للفاقد ان يكون منخدعاً * مظهراً تجملة * اذ لم يرفض مخبره من كثرة شوقو الشديد التايق الى حضور المسيح * لانة افتكر ان

جايزا كان ان يغلط فيلبس في ذكر المكان * وانظر كيف جعل امتناعة من القبول وديعاً في درجة استخبار . لانة ما قال ان الجليل ليس يجيب فايدة صالحة . لكنة قال « أ من الناصرة يمكن ان يوجد فايدة صالحة ; » وفيلبس فقد كان فهماً جداً . لانة ما اغتاظ اغتياظ من قد انكر قولة . ولا استصعب ذلك * لكنة لبث مريداً ان يقتاد الرجل . موضحاً لنا منذ مبادى تتلمذه حسن الثبات اللايق بالرسول * ولاجل هذه المحامد قال المسيح سيدنا . « ها اسرايلي بالحقيقة . ليس يوجد فيه غش * » فيجب من ذلك ان يوجد اسرايلي كاذباً * الا ان هذا لم تكن هذه الحال حاله * لانة قال « ان حكمة قد عدم ان يكون محابياء . فليس يتكلم لتحمد . ولا لمعاداة * » علي ان اليهود لما سيلوا . « اين يولد المسيح ; قالوا في بيت لحم * » واستوردوا للشهادة * قايلين . « وانت يابيت لحم لست على ساير الجهات حقيرة في قواد يهوذا * » الا ان اوليك شهدوا بهذه الاقوال قبل ان يعرفوه * فلما عرفوه كتموا من وفور حسدهم هذه الشهادة . قايلين . « هذا ما نعرف من اين هو * » لكن ناثانايل لم تكن هذه الحال حالة * لكن العزم الذى كان قد حواه منذ ابتدا سنه من اجل المسيح ثبت حافظاً اياه . انة ليس يوجد من الناصرة * ولقايل ان يقول . فكيف دعاه الانبيا ناصرياً ; فنجيبة من تربيتة . ومن تصرفه هنالك * ولعمرى ان ربنا اهمل ان يقول لة . لست انا من الناصرة على حدو ما اخبرك فيلبس * لكننى من بيت لحم . حتى لا يجعل للحين كلام ذلك مشكوكاً فيه * ولو كان قيل هذا القول خلواً من هذه الاقوال . لما كان قد خولة دلالة كافية تدل على انة هو المسيح * لان ما المانع الذى منع ان يوجد من بيت لحم مثل الناس الاخرين المولودين هنالك ولا يكون مسيحاً ; فالغى اذاً هذا القول . وذكر القول الذى يقتدر ان يقتاده خصوصاً * واظهر ذاتة حاضراً في حين مفاوضتهما جميعاً * لان ذاك اذ قال . (٤٨) « من اين عرفتني ; قال لة . قبل ان يصوت بك فيلبس * اذ كنت تحت التينة رايتك * » فابصر انساناً ثابتاً متمكناً * لانة لما قال لة المسيح . « ها اسرايلي بالحقيقة . » ما تراخى للمديح . ولا حاضر مع المثانى * لكنة لبث طالباً مستفحصاً بابلغ الاستقصاء . مريداً ان يعرف قولاً بيناً * فهو استفحص استفحاص انسان ايضاً . الا ان يسوع اجابة اجابة اله * لانة قال قد عرفتك منذ اعلى سنك * (وخبرت خلقك ودعتك . ولا عرفة معرفة انسان تابع اياه فيما سلف .) لانني والان رايتك تحت التينة . حين لم يكن احد حاضراً هنالك . لكن فيلبس فقط كان وناثانايل يتخاطبان بهذه الاقوال على انفرادهما * ولهذا المعنى قيل . انة اذ ابصره من بعد قال . « هذا اسرايلي حقاني * » ليعرف انة قبل ان يقترب من فيلبس . قال المسيح هذه الاقوال * حتى لاتصير شهادتة متهمة * ولهذا المعنى ذكر الوقت والمكان والشجرة * لانة لو كان

قال فقط قبل ان يجي فيلبس الى عندك رايتك . لكان يتهمة بانة هو ارسلة * وما كان قد قال قولاً عظيماً * فالان انما يذكره المكان الذى لبث فيهِ لما صوت بو فيلبس . واسم الشجرة . ووقت مخاطبتهما * ليوضح تقديمه وصف ذلك . خالياً من ارتياب بو * وما اوضح لة سبوق تخبيره فقط . لكنة ادبة ايضاً علي جهة اخرى * لانة اقتاده الى تذكر الالفاظ التى تكلما بها حينيذ * كقولة . «ا من الناصرة يمكن ان يوجد فايدة صالحة ; » وبهذا القول اقتبلة خصوصاً اعظم الاقتبال * لان بعد ان قال هذه الاقوال . ما ذمة * لكنة مدحة واستعجبة * ومن هذه الجهة علم ناثانايل انهُ هو المسيح بالحقيقة . من سبوق تخبيره . ومن تصفحهِ عزم ناثانايل بابلغ الاستقصاء* وهذا فكان فعل موضح انة قد عرف الافكار التى في سريرتهِ * لان ناثانايل على جهة اخرى ارتاى ان يقول في ذاتهِ انة ليس يُلام . لكنهُ يمدح * فقد قال ان فيلبس قد صوت بو * وكنى عن ما قالة ذاك لة . وما قال هذا لذاك * واهمل ذلك لوهمهِ العالم * وما شاء ان يوبخة كثيراً * فان قلت فما معنى قولهِ . انة قد ابصره قبل ان يصوت بو فيلبس فقط . ا فما قد ابصره قبل ذلك الوقت بعينهِ الفاقدة ان تكون نايمة ; فاقول لك قد ابصره * وما يعاند فى ذلك معاند * الا ان هذا القول كان الذى قد اقتاده الى ان يقول ما قال * وان سالت . وماذا قال ; اجبتك . لما تسلم دلالة خالية من ارتياب بها على سبوق معرفتهِ . افضى الى الاعتراف * واوضح بتباطيهِ الاول مبالغة استقصايهِ * وبين بجنوحهِ بعد ذلك حسن حفاظه . « اجاب وقال لة . يامعلم . انت هو ابن الله * انت هو ملك اسرائيل * » ارايت نفساً صايرةً علي غفلةٍ مسرورةً جداً . مقتبلة يسوع بالفاظها * قال انت هو ذاك الماول المطلوب * ارايتة من افراط التذاذه . سندهلاً مستعجباً مرتكضاً طافراً ;

العظة العشرون

* في انة يجب علينا ان نحب الهنا ليس بكلامنا فقط . لكن بعملنا ايضاً *

فيجب علينا ان نفرح هذا الفرح * اذ قد اهلنا ان نعرف ابن الله * ونفرح ليس فى سيرتنا فقط . لكن سبيلنا ان نبين ذلك بافعالنا باعيانها * وعمل المسرورين هو ان يطيعوا من قد عرفوه * وفعل المطيعين هو ان يعملوا ما يريده ذاك المعروف * والا فان ازمعنا ان نعمل الاعمال التى تغيظة . فمن اين يبين اننا قد فرحنا بو ; اما قد رايتم ما يجرى في المنازل . اذا اقتبل احدنا فيها من كان ثايقاً اليهِ . كيف يعمل كلما يعملة بفرحٍ . ويحاضر الى كل مكان . وان احتاج ان يقدم لة كل ما يكون موجوداً عنده . فليس يشفق علي صنفٍ منها . حتى يرضى الحاضر عنده ; فان

دعاه داعٍ ولم يكرمهُ . ولم يعمل الاعمال التى ترضيهِ وتبهجه . فلو قال ذلك الداعى ربوات دفعات انهُ قد فرح بحضورهِ . لما صدقهُ في وقتٍ من الاوقات المدعو الذى قد ضيف * وذلك على جهة العدل والواجب * اذ يحتاج ان يبين حبهُ لهُ وفرحه بهِ باعمالهِ * ونحن فقد جاء المسيح الينا * فسبيلنا ان نريه اننا قد سررنا بهِ * ولا نعمل عملاً من الاعمال التي تغيظهُ * ونزين البيت الذى قد جاء اليهِ * لان هذا هو عمل المسرورين * ونقدم لهُ الطعام الذى يشاء ان ياكلهُ * فان هذا هو فعل المبتهجين * وان سالت وايما هو هذا الطعام ; اجبتك . هو قد قال „ طعامي هو ان اعمل مشية من ارسلني * (يوحنا ص٤ ع ٣٤) فينبغي لنا ان نطعمهُ . اذا كان جايعاً * ونسقيهُ . اذا كان عطشاناً * ولو اعطيته قدح ماء بارد . فهو يقتبلهُ * لانهُ يحبك * والصلات من المحبوبين . وان كانت صغاراً . تستبين عند من يحبهم عظيمة * فلا تكسل انت فقط * فان طرحت ولو فلسين . فلن يردهما * لكنهُ يقتبلهما كاقتبالهِ لثروة جزيلة * لانهُ اذ هو عديم ان يكون محتاجاً . وليس ياخذ الصلات بسبب حاجتهِ اليها . فعلى جهة الواجب تجد جملة المجازاة . ليس بمقدار العطايا التى تدفع اليهِ . لكن باختيار معطيها ونيتهِ * فاوضح انت فقط . انك مسرور بهِ عند مجيهِ اليك * وانك مجتهد فى الافعال كلها لاجلهِ * وانك فرحٌ بحضورهِ * تامل كيف هو تايق اليك . وقد بذل نفسهُ من اجلك * وما يتاءبى بعد ذلك ان يتضرع اليك * فقد قال بولس „ نحن عوض المسيح نتوسل اليكم * كان الهنا متوسل اليكم بنا * (قرنتية ٢ ع ٥ ص ٢٠) فان قلت ومن يكون بهذه الصورة مصروعاً . يبلغ فى تمثيل حالهِ الى ان لايحب سيده ; وهذا القول انا اقولهُ * واعرف ان كلاً منكم ليس ينكر هذا الحب بالفاظهِ وبسريرتهِ * لكن يراد منا ان نبين ذلك ليس من اقوالنا فقط . لكن من افعالنا ايضاً * لاننا ان قلنا اننا نرتاح اليهِ . وما نعمل اعمال المشتاقين . فهذا القول هو ضحك * ليس عند الهنا فقط . لكن عند الناس ايضاً * اذ كان اقرارنا بكلامنا فقط اننا نحبهُ . ومخالفتنا اياه بافعالنا . ليس هو غير نافع لنا فقط . لكنهُ مع ذلك ضارٌ لنا * فينبغى ان نضيف الى ذلك . الاعتراف بافعالنا * حتى نمتلك منهُ ايضاً . ان يعترف هو بنا في ذلك اليوم * اذا ما هو اعترف بالمستحقين بحضرة ابيهِ * بتوفيق يسوع المسيح ربنا . الذى بهِ ومعهُ المجد لابيه مع الروح القدس * الان ودايماً والى اباد الدهور كلها امين *



المقالة الحادية والعشرون

(٤٩) اجاب ناثانايل وقال لهُ . يامعلم انت هو ابن الله * انت هو ملك اسرائيل * (٥٠) اجاب يسوع وقال له . لاني قلت لك . انني رايتك تحت التينة امنت . ستبصر اعظم من هذه * المحاسن *

ياحباي نحتاج الى اهتمام كثير . والى سهر جزيل * حتى نقتدر ان نعاين القعر من الكتب الالهية * لان ليس ممكناً اذا كنا راقدين . ان نجد مرادها وغرضها علي بسيط ذات الوجود * لكننا نحتاج الى بحث بليغ . والى صلوات دايمة . حتى يمكننا ان نبصر في غوامض الاقاويل الالهية معنى صغيراً * فها قد حصل لنا اليوم ليس مطلوباً يسيراً . لكنهُ مطلوب محتاج حرصاً كثيراً . وبحثاً جزيلاً * لان ناثانايل لما قال « انت هو ابن الله * » قال لهُ المسيح . « لانني قلت لك . انني رايتك تحت التينة . امنت . ستبصر اعظم من هذه المحاسن * » فان سال سايل . وما هو هذا المعنى المطلوب في هذه الاقوال التي قيلت ; لان بطرس لما اعترف بو بعد عجايب جزيل تقديرها . وتعليم بليغ معناه . انهُ هو ابن الله . طوّبهُ تطويب مقتبل من الاب الازلي اعلان ذلك لهُ * وناثانايل لما قال هذا القول بعينهِ . قبل الايات . وقبل التعليم . ما سمع قولاً من التطويب هذا معناه * لكن حالهُ كانت حال من لم يقل قولاً يريد مقداره . علي ما يجب ان يقال و يقدم الى اعظم منزلة . فما العلة في ذلك ; نقول لهُ . لعمري ان بطرس وناثانايل قالا اقوالاً هي باعيانها * وما قالا كلٌ منهما بمعنى واحدٍ بعينهِ * ولكن بطرس اعترف بذلك انهُ ابن الله علي انهُ اله صادق * وناثانايل اعترف بذلك على انهُ انسان ساذج * وان قال السايل . ومن يكون هذا الغرض واضحاً لنا ; اجبتهُ . يستبين من الاقوال التي قيلت بعد ذلك * لانهُ اذ قال « انت هو ابن الله . » استثنى بقولهِ . « انت هو ملك اسرائيل * » وابن الله فليس هو ملك اسرائيل فقط . لكنهُ ملك المسكونة كلها ايضاً * وهذا المعنى فليس هو واضحاً من هذه الجهة فقط . لكنهُ يستبين من الاقوال التالية تلك * لان المسيح مازاد بطرس فيما بعد قولاً * لكن لان امانته كانت عنده كاملة . اوجب ان يبني كنيسته على امانته * وفي هذا الموضع ما عمل عملاً هذا معناه . لكنهُ فعل بخلاف ذلك * لانهُ اذ كان محلهُ عنده محل ناقص في اقرارهِ جزءاً كثيراً افضل من غيرهِ . زاده ما تبقى من اقوالهِ * لانهُ قال (٥١) الحق الحق اقول لكم . ستبصرون منذ الان السماء مفتوحة . وملايكة الله طالعين ونازلين على ابن الانسان * » ارايت كيف يصاعده من الارض قليلاً قليلاً .

ويجعلة ان لايتخيلة ايضاً انساناً علي بسيط ذاتو ; لان من تخدمة المليكة . وتطلع وتنزل عليو . كيف يكون هذا انساناً ; لهذا المعني قال « ستبصر اعظم من هذه المحاسن * ». واذ بين لة ذلك . استثنى بخدمة المليكة * فالذى يقولة هذا هو معناه . ياناثانايل اهذا التوهم عندك زعم قد توهمتة عظيماً . ولهذا السبب اعترفت انى ملك اسرائيل ; فما الذى تقول . اذا رايت المليكة منحدرين الي ; فبهذه الاقوال حقق عنده ان يعترف انة سيد المليكة * لان المليكة صعدوا ونزلوا اليو كخادمين لابن ملكهم الخالص * فكانت كذلك حيناً عند وقت صليبو . وحيناً في وقت قيامتو . وعند اوان ارتقايو * وقبل ذلك حين تقدموا وخدموه . وحين بشروا بمولده . لما صاحوا المجد لله في الاعالي . والسلامة في الارض * واذ جاءوا الى مريم . والى يوسف * وهذا القول نقولة الان في معان كثيرة * فقد قال صنفين من سبوق تخبيره * فمن الصنف السالف ابدى توبيخة . وحقق الصنف المنتظر من الحاضر * لان الاقوال التى قالها . بعضها قد تسلم ناثانايل برهانها * وهي قولة . « قبل ان يصوت بك فيلبس * وانت تحت التينة رايتك * » وبعضها انتظر نفوذها الى تمامها . وخروجها الى الفعل جزءًا جزءًا * وهي طلوع المليكة ونزولهم اليو . السكاين في حين صلبو وانبعاثو وارتقايه * وهو يجعل هذا المعنى باقواله التى قالها موهلاً لتصديقه قبل وصوله الى غايته * لان من قد عرف قدرتة في الافعال السالفة . وسمع بها في الافعال المامولة . يقتبل سبوق تخبيره هذا اسهل اقتبالاً * ولعمرى ان ناثانايل ما اجاب عن هذا الكلام جواباً * ولهذا الغرض وقف المسيح عند هذا الحد خطابة اياه . مفرجاً لة ان يفتكر على انفراده فيما قالة لة * وما شاء ان يقاطر عليه اقوالة كلها بغتة . لكنة القى زروعة في ارض خصيبة * واهملها ان تونع منها وبها فيما بعد على فراغ * وهذا الفعل فقد ذكره في فصل اخر . « ان ملك السماوات يشبه رجلاً زرع زرعاً جيداً * وفي حال رقوده . ذهب عدوه فزرع فيما بين تلك الحنطة زواناً * الاصحاح الثاني * قال البشير (١) وفي اليوم الثالث . صار عرس في قانا الجليل * (٢) ودعى يسوع الى العرس * وكان هنالك ام يسوع واخوتة * » قد سبقت فقلت انة كان معروفاً في الجليل اكثر من غيره * ولذلك دعوه الى العرس . فجاء اليه * لانة ما نظر الى رتبته . لكنة نظر الى احسانه الينا * لان من لم يستنكف ان يشتمل صورة عبد . فاولى به والیق انة ما انف ان يحضر في عرس عبيده * ومن اتكى مع عشارين وخطايين . فاليق به انة ما تابى ان يتكي مع الحاضرين في العرس * والذين دعوه ما امتلكوا التمييز الواجب من اجله . ولا دعوه على انة واحد عظيم . لكنهم دعوه على بسيط ذات الاستدعاء * كواحد من الكثيرين . على انة معروف عندهم * وهذا المعنى فقد ذكره البشير مستوراً . اذ قال . « وكانت هناك ام يسوع واخوته * » فعلى نحو ما دعوها ودعوهم . فكذلك دعوا يسوع ايضاً * (٣) فقالت امة ليس عندهم خمر * » ففي هذا الموضع معنى موهل

للبحث عنه * وهو من اين حصل الى امو ان تتخيل وهما عظيما من اجل ابنها ; لانه ما كان قد
عمل عجيبة من عجايبو * لان البشير قال . « هذه الاية جعلها يسوع ابتداء لاياتو في قانا الجليل . »
فان قال قايل . ليس يوجد هذا القول دلالة كافية علي ان هذه الاية هي ابتداء اياتو .
لاجل ابداعها في قانا الجليل * من جهة انه يمكن ان تكون هناك اولى * وليس هي علي كل
حال اولة لاياتو في كل مكان . لان ممكنا ان يكون قد اجترح في غير ذلك المكان ايات اخر
غيرها * نقول له ذلك الجواب الذي قد قلناه فيما سلف . ان يوحنا الصابغ قد قال « انا ما
كنت اعرفه . لكن لكي يظهر لال اسرائيل . لهذا السبب جيت انا صابغا * » فلو كان قد اجترح
في سنو الاولة عجايب . لما كان الاسرائيليون احتاجوا اخر يظهره لهم * لان من افضى الى قد
الرجال . وعرف من عجايبه هذه المعرفة الواضحة . ليس عند الذين كانوا في بلد اليهودية وحدهم .
لكنه عرف ايضا عند الذين في الشام . وابعد مسافة من ذلك * على ان هذه العجايب انما اجترحها
في مداء ثلث سنين فقط * واليق ما يقال انه ما احتاج لاظهار ذاته . ولا هذه الثلث سنين *
لانه في الحين من سنه الاولى انذاع خبره في كل مكان * فمن اشرق نوره اذا في مدة يسيرة
هذا الاشراق بكثرة عجايبو . حتى ان اسمه صار واضحا عند جميع الذين سمعوا به . فاولى واليق ان
يصير واضحا . لو كان اجترح العجايب . وهو صبي منذ السنة الاولى * وما كان ازمع ان يستتر
زمانا هذا مبلغه طويلا * لان قد كانت تكون الايات الكاينة حينيذ تظن انها ابدع من غيرها ;
من طريق كونها من صبي . وكان زمانها اضعافا كثيرة لهذه المدة * الا انه ما اجترح اية .
لما كان صبيا . لكن هذا القول وحده شهد به لوقا البشير . « انه جلس لما كان ذا اثني عشر سنة
فيما بين المعلمين سامعا معهم . وبسواله اياهم . استشعروا انه عجيب * ولمعنى اخر على جهة الواجب
وصايب القياس انه ما ابتدا باياته في الحين منذ سنه الاولى . لانهم كانوا قد توهموا افتعالها
خيالا * لانه ان كان اناس كثيرون بعد وصوله الى كمال سنه . قد توهموا فيه هذا التوهم . فقد
كان اولى بهم واليق ان يظنوا هذا الظن . لو كان اجترح اياتو منذ سنو الاولى حين كان صبيا
جدا . ولقد كانوا نهضوا سريعا قبل الوقت الواجب الى صلبو . اذ اذابهم الحسد له * وقد كانت
افعال سياسته قد انكرت ايضا وجحدت * فان سالت فمن اين حصل لامو ان تتخيل وهما
عظيما من اجلو ; اجبت انه ابتدى منذ ذلك الحين يستعلن * ومن شهادات يوحنا صار واضحا . ومن
الاقوال التي قيلت بو لتلاميذه . وقبل هذه كلها حبلها بو بعينو . والبدايع الكاينة في حبلها .
حصلت فيها توهما عظيما من اجل ابنها * لانه قال انها سمعت جميع ما قيل من اجل ابنها .
وخزنته في قلبها * ولقايل ان يقول . فلم ما قالت هذه الاقوال قبل هذا الوقت ; فنجيبه عما ذكرته .
ان في ذلك الحين كان ابتدا اظهاره ذاته * لان قبل هذا الوقت كان كواحد من الكثيرين * فمن

هذه الجهة ما وثقت امه ان تقول له ما هذا معناه * فلما سمعت ان يوحنا لاجله جاء . وانه قد شهد له بالشهادات التي شهد بها . وانه قد استقى تلاميذ حينيذٍ توسلت اليه واثقة . واذ عازهم خمر * قالت ليس عندهم خمر * ولعمري انها ارادت ان تسدى الى اوليك منة . وان تجعل ذاتها ابهى حالا ومنزلة بابنها * ولعلها عرض لها عارض انساني . مثل ما عرض لاخوته * لما قالوا له اظهر ذاتك للعالم * لايثارهم ان يستثمروا من عجايبه تشريفا * ولهذا المعنى اجابها هو اشد جواب ردعا * بقوله « مالي ولك يا ايتها الامراة . ما حان وقتي بعد * » والدليل على انه كان يوقر والدته كثيرا . اسمع لوقا البشير يوضح ذلك . ويصف كيف كان خاضعا لوالديه * واسمع هذا البشير يوحنا القايل . كيف اعتنى بها في اوان صليبه بعينه * لان في الاوامر التي لايعتاقنا بها والدونا . ولا يقطعونا عن الاعمال التي ترضي الله . تكون طاعتنا اياهم وخضوعنا لهم لازما ضروريا * ومن لا يعمل هذا العمل فخطره يكون عظيما * فاذا طلبوا منا مطلوبا قد فاته وقته . وقطعونا عن الافعال الروحانية . فليس قبولنا منهم حياطة لنا * ولهذا المعنى اجابها ههنا هذا الجواب * وقد قال ايضا في موضع اخر . « من هي امي : ومن هم اخوتي : » لان ما كان يصلح بعد ان يستمدوا من اجله تشريفا * لكنها اذ كانت قد طلقت به . طلبت على حسب عادة الامهات المالوفة . ان تامره على هذه الجهة بكل ما تشاء * وقد كان واجبا عليها ان تكرمه على انه سيدها وتسجد له * فلهذا السبب اجابها حينيذٍ هذا الجواب * لان تفهم لي اية حال كانت حاله . والشعب كله والمحفل واقف حوله . وجماعتهم متعلقون بالاستماع منه . وتعليمه مندفق عليهم . فعبرت هي في الوسط من مخاطبته . مريدة ان تستميله من وعظ الناس وتنبيههم . وان تخاطبه على انفراده * وما استجازت ان تجي الى داخل المحفل . لكنها ارادت ان تستجذبه الى خارج فقط * فلهذا السبب قال « من هي امي واخوتي . » ليس شاتما والدته . ابعد هذا الوهم عنك . لكن نافع اياها اعظم المنافع * وما تركها ان تتوهم فيه اوهاما ذليلة . ولين كان قد اهتم بالناس الاخرين . وعمل كل ما عمل . حتى يحصل فيهم الراى الواجب من اجله . فاولى به واليق ان يهتم بامه * لان قد كان واجبا عليها ان تسمع من ابنها تعليمه * فاذ لم تشاء اقتبال تعليمه ذلك بسهولة . لكنها طلبت في كل مكان لذاتها * (لانها كانت امه .) حظوظ الفخر المتقدمة * لهذا المعنى اجاب هذا الجواب للذين قالوا له * لانه ما كان على جهة اخرى صاعدا من هذا الذل الى ذلك العلو . لو كانت توقعت دايما ان تكرم من جهة ابنها . ولم تخضع له على انه سيدها * وفي هذا الموضع لاجل هذا السبب قال « مالي ولك يا امراة * » ولاجل سبب اخر ليس بدون هذا . هو حتى لاتتهم العجايب الكاينة * لان قد كان واجبا ان يساله المحتاجون الخمر . ولا تساله امه . وان سالت من معنى ذلك ; اجبتك . ان العجايب

الكاينة من توسل اهله اليه فيها . وان كانت عظيمة . فطالما استريب بها عند الناظرين اليها .
واذا كان المحتاجون اليها هم الذين يستميحونها . تكون فاجية من ان تكون متهمة * ويكون
مديحها نقياً . ونفعها كثيراً * لان اذا دخل طبيب فاضل الى منزل مرضى كثيرين . ولم يسمع
من المرضى قولاً ولا من اهلهم من يستميحة بمداواتهم . وسالتة امة وحدها ان يدلو بهم يكون معهما
عند المرضى مستقلاً * وليس يظنة ولا واحد من الطريحين ولا من الواقفين عندهم . انة يقتدر ان
يظهر مداواة عظيمة نافعة * فلهذا المعنى انتهرها قايلاً . ›› مالي ولك ايتها الامراة . ‹‹ مودباً
اياها . ان لاتعمل فيما يستانف مثل هذا العمل * لانة اهتم بالتكريم الواصل الى امو * واعتني
اكثر من ذلك بالخلاص الواصل الى نفسها * وبالاحسان الى الكثيرين الذى لاجلو لبس لحماً *
فهذه الالفاظ ما كانت الفاظ متشامخ علي امو . لكنها كانت الفاظ سياسة كثيرة مقومة لتلك الفاضلة .
جاعلة مجاببه ان تكون في رتبة لايقة بها * والدليل علي انة اكرمها خلواً من الناس الاخرين .
فهذا القول بعينه المظنون انة قيل على سبيل الانتهار لها . فيه كفاية ان يظهره كثيراً * لانة
باستنقاله قولها . اوضح قولها انها قد استعطفتة جداً * وسنقول هذا المعنى فيما يتلو ذلك . كيف
وباى غرض اوضح ذلك * فاذا تفهمت هذه الاقوال . وسمعت امراة اخرى قايلة . ›› مغبوط
الجوف الذى حملك * والثديان اللذان ارضعاك * (لوقا ص ١١ ع ٢٧) ثم سمعتة هو مجيباً .
›› لكن بالحقيقة مغبوطين العاملون مشية ابي . ‹‹ اعتقد ان تلك الالفاظ . انما قيلت من هذا العزم بعينو *
لانة ما كان جوابة جواب مطرح امة . لكنة كان جواب موضح انها لولا انها كانت صالحة جيدة
مومنة جداً . لما كانت ولودتها اياه نفعتها نفعاً * فان كانت مريم ما نفعتها ولودة المسيح منها
خلواً من الفضيلة التى تناسب نفسها . فذلك اولى بنا واليق . ولو امتلكنا اباً واماً واخاً وابناً مكيناً
في الفضيلة جليداً * ونكون نحن منترحين عن فضيلته . فليس يقدر ذلك ان يفيدنا نفعاً *
لان داود يقول ›› ان اخاً لمن يفتدي اخاه . أ فيفديه انسان غيره ؛ (مزمور ٤٨ ع ٧) لانة
يجب علينا ان نحصل امال خلاصنا بعد نعمة الله . ليس في غرض واحد اخر . الا في فضايلنا وحدها
التى نحكمها * والا فلو ازمع هذا الغرض ان ينفع علي انفراده . لكان قد نفع اليهود * لان المسيح
قد كان مناسباً لهم في ذات جسمو . وقد نفع مدينتهم التى ولد فيها * ولكان قد نفع اخوتة *
فالان اخوتة الى حين كانوا وانين في انفسهم . ما نفعتهم مرتبة مناسبتهم اياه نفعاً . لكنهم قد توجه
اللوم عليهم مع العالم * وفى ذلك الحين استعجبوا حين اشرقوا من فضيلتهم * ولكن المدينة هدمت
واحرقت . وما استفادت من ذلك فايدة * والذين كانوا يناسبونة بمناسبة الجسد . ذبحوا وهلكوا
هلاكاً يرثى لة جداً . وما استفادوا فايدة من مناسبتهم اياه تخلصهم * اذ كانوا ما امتلكوا النجدة
من فضيلتهم * ورسلة فاستبانوا اعظم من كل الناس * اذ استعملوا لمناسبته الطريقة الحقيقية المحسودة

طريقة طاعته * فمن هذه الجهة نعلم علماً يقيناً . ان الحاجة بنا في كل موضع ماسة الى الامانة *
والى العيشة الشارقة البهية * فان امتلاك هذه المحامد يقتدر ان يخلصنا فقط * ولعمرى ان اليهود
مناسيبو . قد استعجبوا فى كل مكان الى مداه كثير من الزمان . وسموا سايدين * الا انهم مع ذلك
ما نعرف نحن اسماهم * الا ان رسلة عيشتهم واسماهم ذايعة فى كل مكان *

العظة الحادية والعشرون

في اننا نحتاج لخلاصنا الى امانة وعيشة مستقومة . وان امتلاكنا والدين هذه الطريقة طريقتهم ليس
* كافياً لخلاصنا *

فلا تفاخرنّ مفاخرة عظيمة بشرف الحسب الذى يناسب لحمنا * لكننا لو كان لنا اجداد
عجيبون جزيل عددهم . فينبغي لنا نحن ان نجتهد حتى نفوق على فضايلهم فنزيدها . لعلمنا اننا ما
نستفيد فى الحكومة المستانفة نفعاً من حرص اخرين غيرنا * لكن هذا الحسب سيكون عقوبة لنا
اشد من غيرها . اذا كنا من اباء صالحين . وقد ملكنا تمثال الفضيلة مناسباً لنا . فلا نشابه
علي هذه الجهة مناسيبنا . فهذه الاقوال اقولها الان . لاننى ارى اوثانيين كثيرين . قد اقتدناهم الى
امانتنا . وسالناهم ان يصيروا مسيحيين . التجاوا الى مناسيبهم والى اجدادهم وابايهم . وقالوا
ان جميع اهلى واحبتى الاليفين بي . ومساكنى هم مسيحيون مومنون * فاقول انا لاحدهم . ياشقياً
حظه . وهذا ما الذى يصير اليك منه : لان هذا النسب يهلك اكثر هلاكاً * لانك ما احتشمت
كثرة اهلك ومساكنيك . وبادرت الى الحق * وايضاً اناس غير هولاء يكونون مومنين . وهم متوانون
في عيشتهم وطريقتهم . اذا استدعوا الى الفضيلة . يقدمون هذا الاحتجاج بعينه * قايلين . ان ابى
وجدى واباء اجدادى كانوا متهذبى الدين . مكينين في الفضيلة جداً * فاقول انا لاحدهم .
فهذا القول يوجب عليكم الحكم خصوصاً * لانك ولد اناس هذه حالهم فى فضلهم . وقد عملت
اعمالاً قد عدمت ان تكون موهلة لاصلك * واسمع النبي ماذا يقول لليهود . « تعبد اسرائيل فى
امراة * وحفظ في امراة * (هوشع ص ١٢ ع ١٢) وقد قال المسيح ايضاً . « ابراهيم ابوكم ابتهج
ليبصر يومى . فابصره وفرح * » وفى كل مكان فقد قدمت فضايل اجدادهم التى احكموها . ليس في
منزلة مدايح لهم فقط . لكنها قد اوردت بدلاً من ثلب لهم اعظم تقريعاً * فاذ قد عرفنا هذه الاخبار .
فينبغى لنا ان نعمل كل ما يمكننا . لكي نقتدر ان نتخلص باعمالنا . حتى لانخدع نفوسنا باطلاً .
بامال نتوكل بها على اناس اخرين * فنعلم حينيذ اننا قد طُغينا وخدعنا باطلاً * حتى لايحصل
لنا من عملنا هذا ولا صنف من منفعة * لان النبي قال « ليس فى الجحيم من يعترف لك * »

فينبغي لنا اذاً ان نتوب ههنا . حتى يتفق لنا تحصيل النعم الصالحة الدهرية * التي فليكن لنا كلنا ان نمتلكها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذى معه لابيه المجد مع الروح القدس * الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الثانية والعشرون .

(الاصحاح الثاني) في قوله . (٣) مالى ولكِ ايتها الامراة . ما حان بعد وقتي *

ان الكلام يحوى تعباً * وهذا المعنى لما اوضحه بولس قال . « القسوس المتقدم وقوفهم على ما ينبغي . الواجب ان يوهلوا لكرامةٍ مضعفة * واحق بذلك كثيراً . الذين يتعبون فى كلامهم وتعليمهم * (تيموتاوس ١ ص ٥ ع ١٧) الا ان هذا التعب انتم مالكون ان تجعلوه خفيفاً وثقيلاً * لانكم اذا رفضتم الاقوال التى نقولها . او لم ترفضوها . لكنكم ما توضحونها بافعالكم . فقد حصل التعب ثقيلاً عندنا لموضع تعبنا باطلاً وجزافاً * واذا اصغيتم الى ما نقوله . ومنحتم اظهار ذلك بافعالكم . فما نشعر بحسٍ لاعراقنا * لان الثمرة المتولدة من اتعابنا . ما تترك شدة التعب ان يستبين لنا * فمن هذه الجهة . ان شيتم ان تنهضوا النشاط فينا ولا ينطفى . ولا تصيروه اضعف فعلاً * فارونا ثمرتكم . حتى نبصر حقولكم مخصبة . فنغتذى بامال خصبها . ونفتكر في ايساركم فلا نكل فى تعبنا في هذه التجارة الحميدة * فقد حضر لنا اليوم مطلوب ليس صغيراً * وهو ان ام يسوع لما قالت ليس عندهم خمر . قال لها المسيح « مالى ولكِ يا امراة . ما قد حان وقتي بعد * » واذ قال هذا القول . عمل ما قالت امه * فهذا القول يوجد فى معنى البحث . ليس بدون القول الاول * فاذا تضرعنا الى مبدع العجيبة بعينه . يتحدر على هذه الجهة الى حل ذلك * فان هذا القول ما قاله في هذا الموضع فقط . لكنه قد قاله في مكان اخر * لان البشير قد قال * « انهم ما استطاعوا ان يضبطوه * لانه ما كان وقته قد حان بعد * » وقد قال فى موضع اخر . « ما وضع واضع يديه عليه * لان وقته ما كان قد حان بعد * » وقال ايضاً « قد حان الوقت . فمجد ابنك * » ولعل قايلاً يقول لنا . ما هو هذا المقول ; لانني لهذا المعنى جمعت اقوالاً كثيرة يتكرر هذا القول فيها . حتى اورد حلها واحداً * فما هو هذا القول ; فنقول له . ليس المسيح موضوعاً تحت ضرورة الاوقات . ولا قال ما حان وقتي تعذيراً كانه يراصد اوقاتاً . وكيف يكون ذلك . وهو خالق الاوقات ومبدع الازمان والسنين * فلعلك تقول . وما هو المعنى الذى ذكره غامضاً ; فاقول لك . انما قال ذلك مريداً ان يبين هذا المعنى . انه ما يعمل كافة اعماله في وقتٍ غير موافق لها . وليس عاملاً كافة اعماله معاً * والا ازمع ان يتكون فيها تغيير تخليطها وزوال ترتيبها . ان لم يعملها كلها في

اوقات لايقة بها * والا فكان اورد الولادة والقيامة والمداينة كلها معاً * وتأمل هذا المعنى . كان واجباً ان تتكون . الا انها ما تكونت كلها معاً * ووجب ايضاً ان يتكون الانسان مع امراته . الا انه ما كونهما معاً * فوجب ان يحكم على جنس الناس بموته . وان تتكون قيامته * الا ان الفرق فيما بين موتهم وقيامتهم طويل المدى * وكان واجباً ان تعطى الشريعة . الا انها ما اعطيت هي والنعمة في وقت واحد معاً * لكن كل منهما دبّر في وقت من اوقات لايقة به وواجبة * فهو اذاً ما كان داخلاً تحت ضرورة الازمان . لكنه هو وضع للازمان ترتيبها * اذ هو كان خالقها * ولهذا المعنى قال ههنا « ما حان وقتي بعد * » فما قاله هذا هو معناه . انه ما كان واضحاً عند الكثيرين . وما حوى صف تلاميذه كله . لكن اندراوس لحقه وفيلبس معه . ومالحقه احد اخر * واليق ما يقال ان ولا هذين عرفاه على ما يجب ان يعرفاه . ولا امه . ولا اخوته * لان بعد عجايب كثيرة قال البشير هذا القول فى ذكر اخوته . ان ولا اخوته كانوا قد امنوا به * بل والذين في العرس ما كانوا قد عرفوه * لانهم لو كانوا عرفوه . لكانوا هم قد تقدموا وسالوه فى الخمر عند احتياجهم اليه * فلهذا المعنى قال « ما حان وقتي بعد * » ومعنى هذا هو لست بعد عند الحاضرين معروفاً . ولا قد عرفوا مع ذلك ان قد عازهم خمر * اتركهم يشعرون بذلك اولاً * لان ليس واجباً ان اسمع منك في هذه الوسايل . لانك امي * فتجعلين العجيبة متهمة * لان واجباً هو على المحتاجين الى ذلك ان يتقدموا ويسالوني * ولست محتاجاً الى سوالهم . لكن حتى يتقبلوا هم العجيبة الكاينة بخنوع كثير اليها * لان من قد عرف انه قد حصل محتاجاً . متى ما اتفق له ان ينال مطلوبه . يعتد المنة عليه كثيرة * ومن لم يحس بحاجته حساً . فليس من شانه ان يحس بالاحسان الواصل حساً جلياً * فان استخبر مستخبر . فلم اذ قال « ما حان وقتي بعد . » واستعفى من ذلك ثم عمل ما قالت له امه ; اجبناه . فعل ذلك براى يبين صوابه كثيراً . حتي يكون افتعال ذلك عند الذين يعاندون . ويظنون انه حاصل تحت زمان . برهاناً كافياً يبين لهم انه ليس داخلاً تحت زمان * فكيف اذ لم يكن الوقت الواجب قد حان . عمل ما عمل ; وبعد ذلك فعل العجيبة . مكرماً امه * حتى لايظن ظان به انه يراددها كل حين . حتى لايخجل والدته . واناس جزيل عددهم حاضرون . لانها جاءت بالخدام اليه * لانه اذ قال للكنعانية . « ليس صواباً ان ناخذ خبز البنين . ونعطيه للكلاب * (متى ص ١٥ ع ٢٦) ثم اعطاها الخبز . لما احتشم الحاجها ومثابتها * على انه قد قال هذا القول مع ذلك « انني ما أرسلت الا الى الغنم التي ضلت من بيت اسرائيل * » الا انه مع ذلك بعد ان قال هذا . شفى ابنة الامراة * فمن هذه الجهة نتعلم اننا ولو كنا قد قدمنا ان نكون مستحقين . فنصير ذواتنا بمثابتنا والحاجنا . موهلين لاخذ مطلوبنا * فلهذا المعنى ثابتة امه * وبوفور حكمتها قدمت الخدام اليه . حتى يصير السوال مع اناس

كثيرين * واستثنت بان قالت (٥) مهما يقوله لكم افعلوا * ". لانها عرفت ان استعفاه من ذلك ما كان من ضعف . لكن استعفاه انما كان من اجتنابو التفخيم . ومن ان لايظن بو انه يطرح ذاته عليهم علي بسيط ذات اختياره * فلذلك قدمت الخدام اليو * (٦) وكان هناك ست جرار حجرية برسم تطهير . اليهود يسعن مكيالين او ثلثة * (٧) فقال لهم يسوع . املاءوا الجرار ماء * فملاوهن الى اعلاهن * ". فما قال البشير برسم تطهير اليهود علي بسيط ذات القول . لكنه قال ذلك لكيلا يتوهم متوهمون من الكفار . انها كان تبقى فيها دُردى في باطنها * ثم لما صُبَّ الماء فيهن وامتزج صار خمراً رقيقاً * فلهذا السبب قال برسم تطهير اليهود . موضحاً ان تلك الاوعية ما كانت في وقتٍ من الزمان اوعية للخمر * لان اذ بلد فلسطين هو خالٍ من الماء * وليس يوجد في مواضع كثيرة منه عيون وينابيع * فكانوا يملاءون داٮماً جرارهم ماء * لكيلا يحاضروا الى عيون الماء اذا صاروا بخسين . لكي يجوزوا حال تطهيرهم بقربهم * ولعل قايلاً يقول . وما غرضه في انه ما اجترح العجيبة قبل ان تملاء الجرار . فكانت تكون اعجب واظرف ; وذلك ان ابداعه مما ليس موجوداً جوهراً بذاتو يكون اعجب من احالتو مادةً موجودة الى كيفية اخرى * فنجيبه . الا ان العجيبة على هذه الجهة ما كانت تظن عند الكثيرين انها صادقة . ولهذا الغرض يقطع ربنا في اكثر الاوقات جسامة عجايبه طوعاً . حتى تصير مقبولةً اكثر اقتبالاً * ولقايل ان يقول . ولما لم يحضر هو الماء ويظهره بعد ذلك خمراً . لكنه اوعز الى الخدام ان يجيئوا بالما ; فنقول له . لاجل هذه العلة بعينها * ولكي يحوى الذين استقوه باعيانهم شهوداً بالعجيبة الكاينة . يشهدون ان العجيبة الصايرة ما كانت خيالاً * لان لو ازمع اناس ان يتواقحوا ويجحدوها . لاقتدر الخدام ان يقولوا لهم . نحن استقينا الماء * ونحن اوعبنا الجرار * ومع ما قلناه . يعكس بذلك الظنون التي افرغت فيما بعد في كنيستو * لان قد يوجد اقوام يقولون ان خالق العالم هو اخر . وليست البرايا الملحوظة اعماله * لكنها اعمال خالق اخر ضد الله * فاٮكم جنون هولاء الملحدين واصمتهم . وعلى هذه الجهة يعمل اكثر عجايبه من الجواهر الموضوعة * لان خالقها لو كان ضداً له . لما كان استعمل الجواهر الغريبة من ابداعه لايضاح مقدرتو * فقد اظهر الان انه هو الذى يحيل الماء في الكروم . وينقل المطر في اصولها الى خمرٍ * وما يتكون في نصبة الكرم بعد مدة طويلة ذاك الخمر عمله في العرس بغتةً * (٨) ولما اوعبوا الجرار . قال لهم . اغترفوا الان . وقدموا الى صاحب خزانة العرس * فقدموه اليو * (٩) فمما ذاق صاحب خزانة العرس الماء الصاير خمراً . وما عرف من اين هو . بل الخدام قد عرفوا ذلك . وهم الذين استقوا الماء * صوت صاحب الخزانة العرس بالختن . (١٠) وقال له . كل انسان يقدم اولاً الخمر الجيد * واذا سكروا يقدم حينئذٍ الخمر الادني من ذلك * وانت حفظت الجيد الى الان ; ". وفي هذا الموضع يستهجن مستهجنون . ويقولون . ان جماعة الناس الحاضرين هنا لك كانوا قد سكروا .

وان حس الذين يميزون الخمر كان منفسداً . ولم يكن فيه كفاية . ان يحصّل الاصناف الكاينة في المذاقات . ولا يميز الافعال التى فعلت حينيذٍ . وقد وصل الى ان لايعرف العجيبة التى كانت . هل هو ماء . او خمر : والدليل علي انهم كانوا قد سكروا . فقد ذكره صاحب خزانة العرس بعينه * الا ان قولهم هذا قد استبان مضحوكاً عليه كثيراً * ومع ذلك فقد قطع البشير توهمهم هذا * لانه ما قال . ان الندماء هم الذين حكموا هذا الحكم في الخمر الكاين من الماء . لكنه قال ان صاحب خزانة العرس المستفيق . هوالذى قال هذا القول . الذى ما كان بعد قد ذاق ذواقاً . لانكم قد عرفتم هذا المعنى . ان الموتمنين على خدمة الولايم التى هذه صفتها . اوليك يكونون مستفيقين اكثر من جماعة الحاضرين . مالكين عملاً واحداً . ان يرتبوا كل صنفٍ هنالك في رتبته وترتيبه * لهذا الغرض استدعى الحاسة المستفيقة هذه الى الشهادة للحوادث الكاينة * لانه ما قال ناولوا الخمر للمتكيين . لكنه قال قدموا الخمر الى صاحب خزانة العرس * فلما ذاق الماء الصاير خمراً . وما عرف من ابن هو . بل الخدام قد عرفوا . قال صوّت صاحب خزانة العرس بالختن * ولعلك تقول . فلمَ ما صوت بالخدام : لان على هذه الجهة كانت العجيبة قد انكشفت * اجبتك . ان ولا يسوع بعينه اعلن العجب الصاير . لكنه شاء ان تعرف قوة اياته بسكونٍ قليلاً قليلاً * فلو كان العجب اشتهر حينيذ . لما كان الخدام صدّقوا . لما اذاعوا هذه الاخبار * لكن الظن كان يتحقق عندهم . انهم قد صرعوا * اذ شهدوا بالاخبار التي هذا المحل محلها . المظنون حينيذٍ عند اناس كثيرين انه انسان ساذج * لانهم هم بالخبرة قد عرفوا صحتها ووضوحها * لانهم ما ازمعوا أن يصدقوا اناساً اخرين . وينكروا فعل ايديهم * ولا كانت فيهم كفاية لذلك * لهذا الغرض ما اعلن هذه العجيبة لجميع الحاضرين . لكنه اعلنها للقادر ان يعرفها اكثر من غيره . حافظاً معرفتها الواضحة للزمان المستانف * لان بعد وضوح باقى جرايحه ازمعت هذه الاية ان تكون صادقة * وحين اعتزم ان يشفى ابن العامل الملكي . اوضح البشير ان هذه العجيبة كانت ابين وضوحاً * لان لاجل هذه الاية خصوصاً استدعى ذلك العامل . لانه كان قد عرفها * وهذا المعنى قد اوضحه يوحنا وقال . « جاء يسوع الى قانا الجليل . الى المكان الذى فيه صنع الماء خمراً * » وما صيره خمراً علي بسيط ذاته . لكنه صيره خمراً فايق الجودة * لان عجايب المسيح هذه الخاصة خاصتها . تصير ابهى حسناً وافضل من الاصناف المتكونة فى الطبيعة بكثير * فعلى هذه الجهة حين اصلح في الناس الاخرين عضواً من جسدهم اعوج . اظهر ذلك العضو افضل من الاعضاء الصحيحة المعافاة * والبرهان على ان الماء الصاير خمراء . كان خمراً فايق الجودة . فقد شهد بحقيقته ليس الخدام وحدهم . لكن قد يشهد بذلك معهم الختن وصاحب خزانة العرس * والبراهان على ان المسيح صيره خمراً . سيشهد بصحته الذين استقوا الماء * فمن هذه الجهة . وان كانت العجيبة ما استعلنت فى ذلك الحين .

الا انهم ما انساغ لهم ان يصمتوا عنها الى الغاية * فعلى هذه الجهة سبق فخزن له للزمان المستانف شهادات لازمة ضرورية * لانه حاز الخدام شهوداً علي صنعو الماء خمراً * وامتلك الختن وصاحب عرسهِ شاهدين . بان الخمر الذى ابدعهُ المسيح خمراً جيداً فايقاً * وقد كان واجباً على ان يجيب الختن و يقول قولاً عند كون البدايع * الا ان البشير عند اسراعهِ الى ذكر ابداعهِ ايات الزم ضرورة من هذه الافعال . سلّم هذه الاية فقط . اذ مارس وصفها . لان الغرض اللازم الضرورى كان ان نعرف انهُ جعل الماء خمراً . وصيّره خمراً فايقاً جيداً * وما استشعر استثناه بما قالهُ الختن لصاحب خزانة عرسهِ خبراً ضرورياً * لان صنوفاً كثيرة من اياتهِ كانت فيما سلف اغمض بياناً . فلما تمادى بها الزمان صارت اوضح ظهوراً * حين اذاعها الذين عرفوها منذ ابتدايها بابلغ الاستقصاء فى وصفها *

العظة الثانية والعشرون

طعن على النهمة بطونهم

فيسوع ابدع الماء خمراً * وليس يكف حينيذٍ . والان عند احالتهِ اختيارات اناس رخوة متحللة * لان قد يوجد اناس لا فرق بينهم وبين الماء . باردين بهذه الصفة رخوين . ما يثبتون في وقتٍ من اوقاتهم وقوفاً * فسبيلنا ان نقدم الى ربنا الذين هذه الحال حالهم . حتى يحيل اختيارهم الى ملكة الخمر . حتى لاينحل اختيارهم ايضاً * لكنهم يستقنون الكيفية القابضة . ويصيرون للسرور عللاً لذواتهم . ولاخرين غيرهم * وان استخبرت . ومن هم هولاء الباردون ; اجبتك . هم هولاء الباهتون الى احوال هذا العمر السايلة . الذين ما يضحكون علي التنعم في هذه الدنيا . العاشقون شرف الدنيا واقتدارها * لان هذه الاصناف كلها هى سواقى جارية . ليست بجهةٍ من الجهات ثابتة . بل مندفعة دايماً الى انحدارها بجريةٍ كثيرة * لان الغنى اليوم . يكون غداً فقيراً * والظاهر اليوم بمنادى يتقدمهُ . وبمنطقة ومركبة . ولديهِ كثيرون حاملون عصياً . طالما سكن الحبس في اليوم التالى * اذا اباح غيره تلك الحال كارهاً * والمتنعم ايضاء المتمزق في الامتلاء . ما دام يمزق بطنهُ فى الاطعمة . ليس يستطيع ان يضبط المنحة الحاصلة لهُ منها الى يومٍ واحدٍ . لكنهُ اذا استفرغ ذلك الغداء . يضطر ايضاً ان يستمد غذاء اخر * فلا فرق بينهُ وبين ساقية جارية فى وادى * وكما ان الجرية الاولى من السيل . اذا عبرت هنالك . تتبعها جرية اخرى ايضاً * فكذلك تجرى حال اجسامنا . اذا برز منها الغذاء الاول . تحتاج الى غذاء اخر ايضاً * فطبيعة اقسام عيشتنا هذه الحال حالها * ليس يخصها ان تقف ثابتة . ولا فى وقتٍ من اوقاتها * لكنها تجرى وتندفع منسحبة دايماً * وليس يوجد هذا في التنعم الحادث الجارى المندفع فقط . لكن يتبادر الينا حوادث كثيرة * لان باندفاعهِ فى شدة جريتهِ . يجرد من

جسمنا عنصر قوته * ويسحب معه من نفسنا خاصة شجاعتها * وليس من عادة مدود الانهار الشديدة ان تاكل الشواطى . وتجعلها منحطة تحتها . على هذا المثال من التشبيه * مثل ما يسحب التنعم والتفكه دعايم عافيتنا كلها . ويقتلعها بايسر مرام * وان جيت الى بيمارستان وتقدمت لتسال . فستجد علل الاسقام كلها الا اقلها . متولدة من تلك الجهة * لان المايدة الحقيرة الساذجة هى ام الصحة * ولهذا المعنى يسميها فتيان الاطباء بهذا الاسم * اذ سموا اجتناب الشبع عافية * لان طعاماً خايباً من الطمع بعافي * وقالوا ايضاً ان الاخذ من الطعام بقدر الحاجة مولد الصحة * فان يكن تنقيص الغذاء هو ام الصحة . فواضح بيّن ان الشبع والامتلا من الطعام . هو ام المرض والسقم * ويعمل امراضاً تفوق على صناعة الاطبا * لان من الامتلا تتولد اوجاع الرجلين . وثقل الراس . وكلول البصر . واوجاع اليدين . وصنوف الرعدة . واليرقان . والحميات الطويلة الصعبة . وامراض اخرى اكثر من هذه بكثير * ومن عادتها ان تتولد ليس من الحمية بفطنة وبحكمة . لكنها من شانها ان تتكون من الشره في الاكل . والامتلاء من الطعام * وان شيت ان تعرف امراض نفسنا الناشية من هذه الجهة . فستجد استكثار القنية يتولد منها . والصلف . والمرة السوداء . والكسل . والفسق . والشبق . وزوال العلم * من هذه الجهة تمتلك ابتداها بمضرة النفوس . التى تغتذى من موايد هذه الصفة صفتها ليست هى افضل من الحمير . اذ تسحبها وحوش كثيرة * انا اصف لكم الغموم والمكاره التى يمتلكونها . الذين يثابتون التنعم والشره * مع ان ليس ممكناً ان اوضحها كلها . بل ساصير المطلوب كله ظاهراً في راس واحد * وذلك انهم ما يذوقون طعام هذه المايدة الجزيلة نفقتها بلذة . ولا فى وقت من اوقاتهم * لان كما ان اعواز الطعام وتقليله هو ام الصحة . فكذلك ايضاً هو ام اللذة * والامتلاء من الطعام كما انه ام الامراض . فكذلك هو ينبوع الكراهية واصلها * لان اينما يوجد الشبع . فلن يوجد هناك شهوة * وان لم توجد شهوة . فكيف توجد في وقت من الاوقات لذة ; فلهذا السبب ليس مستعجباً اننا نجد الفقراء اوفر فهماً من الموسرين واتم صحة فقط . لكن اعجب من ذلك اننا نصادفهم مستثمرين للسرور اكثر منهم * واذا تفهمنا هذه المعاني كلها . فينبغي لنا ان نهرب من السكر والتنعم * ليس من التنعم فى الموايد فقط . لكن سبيلنا ان نهرب من التنعم الاخر كله . اى التنعم باشيا الدنيا * ونعتاض من ذلك التنعم . باللذة من المحامد الروحانية * ونتنعم على راى النبي بربنا * لانه قال . « تنعم بربك * فيعطيك وسايل قلبك * » لكى نستمتع بالنعم الصالحة المنتظرة وبالتى ههنا * بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه * الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس * الان ودايماً والى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الثالثة والعشرون

في قوله (١١) هذه الاية عملها يسوع في قانا الجليل * وهي ابتداء اياته *

ان ابليس المحال يوثر ايثاراً شديداً . ويشتهي كثيراً . ان يحجزءنا من ساير الجهات خلاصنا * فينبغي لنا ان ننتبه ونستفيق . ونحجز من كل ناحيةٍ غارته علينا بسور احتراسنا * لانه متى ما اخذ من احدنا جهة صغيرة . يصير فيما بعد دخوله فيه واسعاً * ويولج قوته كلها قليلاً قليلاً * فان كان يوجد فينا اهتمام خلاصنا . فلا نسمح له ان يدخل في الذنوب الصغار الينا * بل نسبق فنحجزعنا الجرايم العظيمة من تلقاء احتراسنا . من هذه الزلات الحقيرة * لان ذلك اذا كان يوضح حرصاء هذا مقداره . حتى يهلك نفسنا . فاذا لم نورد نحن اجتهاداً عديلاً لحرصه مهتمين بخلاصنا . سيكون ذلك من غباوةٍ منا واصلة الى غايتها * فهذه الاقوال ما قلتها على بسيط ذات لفظها . لكنني قلتها . لانني خشيت ليلا يكون هذا الذيب قد وقف في وسط الكنيسة الان وقوفاً ليس ملحوظاً عندنا . فيصطاد نعجة من قطيعنا * اذا اقتطعها من الرعية . ومن السماع بونيتها . وباغتياله الخبيث عليها * لان لو كانت الجراحات محسوسة والضربات تنكي جسدنا . لما كان عملاً مستصعباً . ان نعرف الاغتيالات التي هذه الحال حالها * واذ نفسنا عديمة ان تكون ملحوظة . يخصها ان تقتبل القروح فيها . فنحتاج الى سهرٍ وتيقظٍ كثير * حتى يمتحن كل منا ذاته * لان «ما قد عرف عارف خفيات الانسان . مثل ما قد عرفها روح الانسان الذي فيه *» لان كلامنا يخاطب لجميع سامعيه * وقد وضع دواء للمحتاجين اليه مشاعاً . وكل واحد من سامعيه يتجه له ان يستمد ما يلايم مرضه * فانا ما عرفت المرضى . ولا قد عرفت الاصحا المعافيين * فلهذا المعنى احرك كل كلام ملايم للامراض كلها * اذا ثلب الاستكثار من القنية احياناً * واذم التنعم احياناً * واستهجن الفسق احياناً * وانظم ابصاء للصدقة والرحمة مديحاً وتخصيصاً * ثم اولف ايضاً مديحاً لكل فضيلةٍ من الفضايل الاخر التي تحكمها الناس * لانني اخشى ليلا اشغل اقوالي في مداواة داء واحد . فينكتم عني في مداواتي مرض اخر . لانكم قد اسقمتكم امراض اخر * فمن هذه الجهة لو كان المجموع مهنا واحداً . لما ظننت انه ضروري لازم جداً . ان اجعل كلامي جزيلاً في صورةٍ * واذ المجموع منكم متزايد في كثرة جزيل تقديرها . يوجد فيها علي واجب القياس ادواء كثيرة . فليس تلويننا تعليمنا الواناً فعلاً بغير واجب * لان كلامنا سيتجد على كل حالٍ حاجته عند انبساطه على جميع سامعيه * ولهذا المعنى يوجد في الكتاب الالهي لفظاً جزيل الصور

والاصناف * اذ يخاطبنا في معانٍ كثيرة * لانهُ يفاوض طبيعة الناس العامة الشايعة . وبلازم الضرورة ان يوجد في كثرة هذا المقدار مقدارها . ادواء النفس كلها * وان لم تكن كلها في جماعتهم * فاذا طهرنا ذواتنا منها . فلنسمع بعد ذلك الاقاويل الالهية * ونستمع بتمييز خاشع متطمن . الاقوال التي قريت اليوم علينا * وان سالت وما هي ; اجبتك . « هذه الاية صنعها يسوع في قانا الجليل . وهي ابتداء اياتهِ * » قد قلت فيما سلف ان اناساً قالوا . ليست هذه اولة * لانهم قالوا وان كان اجتراحها في قانا الجليل . فما الذي يوجب انها اولة ; لان البشير قال انهُ اجترحها في قانا الجليل وهي ابتداء اياتهِ * فانا ما تعمقت في الاستقصاء عن هذه الاصناف * لكنني اوضحت فيما سلف انهُ بعد اصطباغهِ ابتدى باياتهِ * وما اجترح عجيبة قبل اصطباغهِ * فان كانت هذه الاية . وان كانت غيرها قد صارت اولة لاياتهِ الكاينة بعد اصطباغهِ . فلست اظن انهُ يكون ضرورياً لازماً جداً . ان ابرهن ذلك * ثم قال البشير . « واظهر مجده * » ولقايل ان يقول . كيف ; وباية حال اظهر مجده ; لان ليس اناس كثيرون شاهدوا الاية الكاينة . الا الخدام والختن وصاحب خزانة عرسهِ * فكيف اظهر مجده ; وهولاء جزوء فريد من اهل زمانهِ ; فنقول لهُ . وان كان ما ظهر حينيذٍ . ولكن كل الناس ازمعوا ان يسمعوا هذا العجب اخيراً * لان هذه العجيبة الى الان متواصفة . وما قد نسيت * والدليل على ان ليس جميع الحاضرين عرفوه في ذلك اليوم . فذلك واضح من الاقوال التي تتلو هذه * لان البشير اذ قال . « واظهر مجده » استثنى بقولهِ . « وامن بهِ تلاميذه » . الذين استعجبوه قبل هذه الاية * ارايت ان اجتراح الايات كان حينيذٍ ضرورياً ; وحين حضر عنده الجميل حفاظهم . الناظرون الى الايات الكاينة نظراً بيناً ; لان هولاء ازمعوا ان يومنوا اسهل ايمان . وان يصغوا الى ما يجترحهُ اصغاء بليغاً * وكيف صار معروفاً خلوا من اياتهِ ; لانهُ حصل في نفوس سامعيهِ تعليماً كافياً ونبوة وعجيبة . حتى يصغوا الى ما يجترحه بسجية مناسبة لنفوسهم . التي قد ارتاضت سالفاً * ولهذا السبب قال المبشرون في جهاتٍ كثيرة . وفي اصنافٍ مختلفة . انهُ ما عمل اية . بسبب غباوة الناس المقيمين هنالك * وذكر انهُ (١٢) بعد ذلك انحدر الى كفرناحوم هو وامهُ وتلاميذه . ولبثوا هناك ليس اياماً كثيرة * » ولسايل ان يسالنا . ولمَ جاء الى كفرناحوم مع امهِ ; لانهُ ما عمل هنالك ولا عجيبة واحدة . ولا كان القاطنون في تلك المدينة من الصحيح رايهم فيهِ * لكنهم كانوا من المنفسدين جداً * وهذا المعنى فقد اوضحهُ المسيح اذ قال . « وانتِ يا كفرناحوم المرتفعة الى السماء . ستهبطين الى الجحيم (لوقا ص ١٠ ع ١٥) فلمَ جاء الى هنالك ; فنجيبهُ . على ما يلوح لظني . لانهُ اعتزم بعد مدة يسيرة ان يصعد الى اورشليم . لهذا السبب ذهب الى هنالك . حتى لا يستصحب معهُ في كل مكان امهُ واخوتهُ * فلما مضى الى هنالك اقام مدة يسيرة . لاجل تكريم امهِ * ثم مارس ايضاً عجايبهُ بعد ان اعاد امهُ الى منزلها * ولذلك قال البشير (١٣) انهُ صعد الى

اورشليم ليس بعد ايام كثيرة * ». لانه اصطبغ اذًا قبل الفصح بايامٍ يسيرة * وان سالت . فماذا عمل حين صعد الى اورشليم ; اجبتك . انه عمل عملاً مملوءاً تامراً كثيراً * لانه اخرج من الهيكل اوليك المتاجرين . والصيارفة . وبايعي الحمام والبقر والغنم . المقمين هنالك لهذا العمل * وقال بشير اخر . انه اذا اخرجهم قال لهم . «لا تجعلوا بيت ابي مغارةً للصوص * ». وهذا البشير فقال . (١٦) « لا تجعلوا بيت ابي بيت متاجرة * ». فما قالا اقوالاً يضادد بها احدهما صاحبه * لكنهما اوضحا انه عمل هذا العمل دفعتين * وان الفعلين كلاهما ما صارا في وقتٍ واحد بعينه * لكن احدهما فعله في مبادي انذاره . والاخر فعله عند مجيه الى تالمه بعينه * ولذلك استعمل حينيذٍ قوله اشد لذعاً * ودعا الهيكل مغارة * وعمل هذا العمل الان في ابتدا اياته . واستعمل انتهاره باوفر التذلل * فمن هذه الجهة وَجب ان يكون هذا الفعل دفعةً ثانية * ولسايل ان يسالنا . ولم عمل المسيح هذا العمل بعينه . واستعمل علي اوليك الباعة صرامةً هذا مبلغها ; وهذا العمل فما استبان انه عمله في جهةٍ من الجهات . مع انهم قد شتموه فيما بعد . وثلبوه . ودعوه سامرياً ومجنوناً * لانه ما اكتفى باقواله فقط . لكنه تناول قلساً . واخرجهم به على هذه الحال * واليهود فلما احسن فيما بعد الى اناس اخرين شكوه . وتوحش عليه غضبهم * وحين كان واجباً ان يتنمروا عليه . لانتهاره اياهم . ما استعملوا معه هذه الطريقة * لانهم ما انتهروه ولا شتموه * لكنهم قالوا له (١٧) ما الاية التي ترينا اياها . لانك تعمل هذه الاعمال ; » ارايت تفاقم حسدهم ; وكيف اغاظتهم احساناته الى اناس اخرين اكثر اغتياظاً ; فقال احياناً انهم صيروا الهيكل مغارة للصوص * موضحاً ان الاصناف التي كانت تُباع هنالك . كانت من سرقة وخطف واستغنام . وانهم قد ايسروا من الاشيا التي لم تكن لهم * وقال احياناً انهم قد جعلوه بيت متاجرة . موضحاً متاجراتهم الحالية من خجل * فلمَ عمل هذا العمل ; فنجيبه . لانه اعتزم ان يشفي في يوم السبت امراضاً . وان يعمل اعمالاً تناسب هذه الاشفية كثيرة * وهي المظنونة عندهم انها تجاوز لشريعتهم * ولكيلا يظنوا انه ضد الله * وقد جاء يعمل هذه الاعمال . معانداً لابيه . صنع في هذا الوجه تلافياً لتوهمهم هذا * لان من قد اظهر غيرةً هذا مبلغها من اجل الهيكل . ما كان يجنح الى ان يضادد سيد الهيكل المسترضى فيه * فقد كانت سنوه الاولى التي فيها عاش على افتراض الشريعة . فيها كفاية ان تبين احتشامه مفترض الشريعة * وتوضح انه ما جاء مشترعاً ما يضاد الشريعة * واذا كان واجباً ان تدفع تلك السنون الى ان تنسى في الزمان . من جهة انها ما كانت معروفة عند كل اهل ذلك البلد . لاجل انه تربا في منزل مسكين فقير حقير * واذ حضروا فيما بعد كلهم عنده عمل هذا العمل * وكان علي جهة التورط في الخطر * وكان اناس كثيرون قد حضروا * لان العيد كان قريباً * لانه ما اخرجهم علي بسيط ذات اخراجهم . لكنه اقلب مع ذلك موايدهم . وبدد فضتهم . محولاً اياهم من

هذا الفعل ان يفتكروا . ان من قد القى ذاته في شديد الخطر من اجل حسن زينة الهيكل . ما تهاون بسيد الهيكل * لان لو كان فعل هذه الافعال مرائياً . لقد كان واجباً ان يعد لهم فقط الّا ان ثبوته في شدايد الخطر الذي ما كان يسيراً . وبذلة ذاته لاغتياظ سوقيين جزيل تقديرهم . واثارته على ذاته غضب جمع من اناس متاجرين مملوين بهيمية كثيرة مخبراً اياهم * ما فعل مرائي * لكنه كان فعل من يختارات يقاسي كافة النوايب . لاجل حسن زينة الهيكل الذي لابيه * ولهذا السبب اوضح موافقته اياه * ليس بافعاله التي فعلها فقط . لكنه بينها ايضاً باقواله التي قالها * لانه ما قال لا تجعلوا البيت المتقدس . لكنه قال لا تصيروا بيت ابي * فها هو يدعوه اباه . وما اغتاظوا عليه * لانهم توهموه يقول هذا القول علي بسيط ذات القول * لكنه لما تكلم بهذا القول افصح تكلماً . حين امعن في زمانه . مريداً ان يبيّن ذلك المعنى . معني معادلته اباه . حينيذ اغتاظوا عليه * واسمع ما قاله اوليك . «ما الاية التي تريناها لانك تعمل هذه الاعمال ; » وانا اقول ترجاء لجنونهم الواصل الى غايته * هل كان يحتاج الى اية . حتى تكف الافعال الكاينة بغرض ردي . ويستخلص الهيكل من خرى جزيل تقديره ; مع ان اشتماله غيرة من اجل الهيكل هذا تاثيرها . اما كان علامة للفضيلة عظيمة ; لان من هذه الجهة استبان الجيل حفاظهم * لان البشير زعم . (١٧) ان تلاميذه ذكروا حينيذ . ان هذا مكتوب . وان غيرتي لبيتك اكلتني * » وما يذكر اوليك اليهود النبوة . لكنهم قالوا . «ما الاية التي ترينا ; » اذ توجعوا مع ذلك . لما انقطع ربحهم المستقبح عنهم * واملوا بهذا السوال ان يمنعوه . مريدين ان يستدعوه الى ان يستعجب ويتصفح ما فعله * فلهذا السبب ما خولهم اية * اذ كانوا فيما بعد قد تقدموا واستماحوه هذه الاستماحة بعينها . «فاجابهم الجيل الخبيث الملتوى يلتمس اية . وليس يعطى اية . الّا اية يونان النبى * » الا انه في ذلك الحين خاطبهم اشد الخطاب والذعة . والان خاطبهم باغمضه * ويعمل هذا العمل * لاجل زوال حسمهم الواصل الى غايته * لان من قد سابق الذين لم يسالوه واعطاهم اياته . ما كان يرتجع عن الذين سالوه فيها . لو لم يكن قد عرف سريرتهم انها خبيثة غاشة . ونيتهم مستنبطة دغلاً * وتامل انت سوالهم بعينه . من اي رذيلة كان مملواً * لان قد كان واجباً عليهم ان يقتبلوا حرصه وغيرته . وقد كان لايقاً بهم ان يتحيروا من انه يعتني بالهيكل اعتناء هذا مبلغه * لكنهم شكوا الذي قال انهم استجازوا ان يتجروا في الهيكل . وما امكنهم ان يبطلوا متاجرتهم . اذ لم يروا اية * فان سالت . فماذا قال لهم المسيح ; اجبتك انه قال لهم . (١٩) حلوا هذا الهيكل . وانا في ثلثة ايام اقيمه * » فمن عادته ان يتكلم اقوالاً كثيرة مثل هذه . ما تكون واضحة عند الذين يسمعونها حينيذ . وتكون واضحة عند الكاينين فيما بعد * وان سالت * ولم يعمل هذا العمل ; اجبتك . ليوضح انه قد تقدم فعرف من اعلى الزمان الحوادث

الحادثة فيما بعد . اذا خرج تمام سبوق تخبيره الى الكون * وهذا فقد حدث في نبوته هذه * لان البشير قال . (٢٢) وحين قام من بين الاموات . حينيذ ذكر تلاميذه . انه قال هذا القول * وصدقوا الكتاب . والقول الذي قاله يسوع *» وحين قيل هذا القول . قد تحير منه اناس . وقالوا ماذا يكون معنى قوله هذا ; وقد ارتاب اناس اخرون قايلين . (٢٠) في ست واربعين سنة بني هذا الهيكل فتقيمه انت في ثلثة ايام ;» فقولهم انه بني في ست واربعين سنة . موضحين بذلك بنيانه الاخير * لان بنيانه الاول كمل في مدى عشرين سنة * ولقايل ان يقول . فلاجل اي غرض . ما حل قوله الغامض وقال . لست اقول عن هذا الهيكل . لكنني انما اقول ذلك عن جسدي ; فنجيبه . ان البشير اذ كانت بشارته اخيرا . ترجم ما قيل حينيذ . واما هو فصمت عن ذلك * وانما صمت حينيذ . لانه لو كان قال ذلك . لما كانوا قبلوا قوله * لان تلاميذه ان كانوا لم يمكن فيهم كفاية . ولا عرفوا كيف يفهمون ما قد قيل لهم . فالجموع قد كان اولى بهم واليق انهم لم يفطنوا بمعنى ما قال * لانه قال . «» حين قام من بين الاموات . حينيذ ذكروا . وصدقوا قوله والكتاب * » لانهم كان قد انتصب لهم عاجلا معنيان . احدهما معنى قيامته . والمعنى الاخر اعظم من هذا . وهو ان كان الساكن في باطنه الهاه . وقد ذكر هذين كلاهما ذكراه غامضا * بقوله «» حلوا هذا الهيكل . وانا في ثلثة ايام اقيمه *» وهذا المعنى فقد ذكره بولس . انه ليس علامة صغيرة للاهوته * لما قال هذا القول «» لابن الله المحدود في قدرته بروح القداسة . من قيامة يسوع المسيح من بين الاموات * » (رومية ص ١ ع ٤) ولقايل ان يقول . ولم يعطيهم هنالك وههنا وفي كل مكان هذا القول اية * بقوله احيانا . «» اذا رفعتم ابن الانسان . حينيذ تعرفون اني انا هو *» واحيانا . «» ما يدفع اليكم اية . الا اية يونان *» وقد قال ههنا . «» انا في ثلثة ايام اقيمه ;» فنجيبه : لان هذا القول اكثر من كل قول هو كان الذي يوضحه . انه ليس انسانا ساذجا . وهو اقتداره ان يقيم الظفر على الموت . وان ينقض اغتصابه الطويل مداه . وحربه المستصعب . هذا النقض البديع باسراع * فلهذا المعنى قال . «» حينيذ تعرفون *» فلو كانوا سالوه متى ; لاجابهم . اذا قمت ساستجذب المسكونة . حينيذ تعرفون انني عملت هذه الاعمال * لانني اله وابن خالص لله * ولعلك تقول . فلم ما قال لهم ; واية ايات احتاج اليها . لابطال ما قد حدث حدوثا رديا ; لكنه وعدهم ان يعطيهم اية * اجبتك . لانه لو كان قال لهم ذلك القول . لكان قد اغاظهم به * وتوعده اياهم ان يقيم الهيكل اذا هم نقضوه . ادهشهم كثيرا * الا انه مع ذلك ما قال لهم في هذا المعنى قولا * لانه ظن عندهم انه يقول قولا قد عدم ان يكون مصدقا * ولا استجازوا ان يستخبروه عنه . لكنهم اعرضوا من قوله . على انه ممتنع عندهم * ولو كانوا مالكين عقلا صحيحا . ولو كان كلامه قد ظن حينيذ عندهم عديما تصديقه . لكانوا حين اجترح ايات كثيرة قد تقدموا

واستخبروه * وكانوا حينيذٍ قد سالوهُ ان يحلّ لهم اشتباهة عليهم * لكنهم كانوا فاقدين الفهم . فما اصغوا بجملة الاصغا الى ما قال لهم * وبعضهم سمعوا اقوالة بسريرةٍ خبيثة * فلهذا المعنى كلمهم المسيح كلاماً غامضاً معناهُ * لكن ذاك المعنى هو المطلوب . كيف ما عرف تلاميذهُ انهُ يجب ان يقوم من بين الاموات ; وذلك على حسب رائى * لانهم ما كانوا بعد قد اهلوا لنعمة الروح * ولهذا السبب قد سمعوا سماعاً متصلاً اقوالة فى القيامة . وما فهموا منها قولاً واحداً * لكنهم افتكروا في ذواتهم ما معنى قولو هذا ; ولعمرى ان القول الذى قيل قد كان مستغرباً بديعاً جداً . وهو ان يقتدر مقتدر ان يقيم ذاتهُ على هذه الجهة * ولهذا المعنى انتهر بطرس * لانهُ اذ لم يعرف فى ذكر القيامة غرضاً قال .«« حاشاك ياسيدى * »» والمسيح قبل فعل قيامته . ما كشف لهم ذلك كشفاً بيناً * حتى لا يرتابوا من الابتداء في كلامو . اذا لم يصدقوا قايلهِ * لاجل ان قولهُ كان بديعاً معجزاً جداً * وما كانوا بعد يمكنهم ان يعرفوا ماهو معرفة واضحة * لان ما انكر منكر افعالهُ الذايعة باعمالو * وقد كان واجباً ان ينكر منكرون اقوالهُ التى قيلت بالفاظو * ولهذا الغرض ترك كلامهُ منذ ابتدا تعليمو . ان يوجد محجوب المعنى * وحين ساق الى الحق . الاقوال التى قالها بالخبرة . حينيذٍ خولهم بعد ذلك تفهم الفاظهُ . ونعمة الروح جزيلاً تقديرها * حتي انهم استمدوا علي غفلةٍ العلوم كلها * لانهُ قال .«« ذاك يذكركم بجميع ما قلتهُ لكم * »» لان الذين في ليلة واحدة فقط اقصوا الاستحيا منه وتهاربوا . وقالوا انهم ما ابصروه ولا عرفوه . كيف يذكروا ما عملهُ وتكلم بهِ على فراغٍ فى كافة الزمان السالف لهم معهُ . لولا انهم تمتعوا بنعمةٍ من الروح كثيرة ; فان قلت . فان كانوا املوا ان يسمعوا من الروح . فما كانت حاجتهم الى مصاحبة المسيح * وما توقعوا ان يضبطوا الاقوال التى قالها ; اجبتك . ان الروح ماعلمهم . لكنهُ اذكرهم بما سبق المسيح فقال لهم * ولعمرى ان ارسالهم الى تذكر ما قيل لهم . مـا اوصل الى مجد المسيح زيادةً يسيرة * اما فى الابتداء تكون من نعمة الله استطارت نعمة الروح عليهم كثيرة بهذه الصورة واسعة * واما اخيراً يكون منهـا امتساك الموهبة بكثرة فضيلتهم * لانهم اظهروا عيشة نيرة . وحكمة كثيرة . واتعاباً عظيمة . وتضاحكوا علي هذه الحيوة الحاضرة . وما احتسبوا الحظوظ الانسانية شياً البتة . لكنهم صاروا على منها كلها * وكانت صورتهم صورة نسورة تطايروا الى الاعالى باعمالهم . ووصلوا الى السما بعينهـا * وبها امتلكوا نعمة الروح التى قد فات وصفها *



العظة الثالثة والعشرون

في الصدقة

فسبيلنا ان نمائل هولاء الافضلين * ولا نطفين مصابيحنا * لكن ينبغي لنا ان نحفظها بهجة نيرة • بصدقتنا ورحمتنا * فعلى هذه الجهة يمتسك ضو هذه النار * فيجب علينا ان نجمع في ظروفنا زيت الرحمة ما دمنا في هذه الدنيا * لاننا اذا ذهبنا الى هنالك • ليس يتجه لنا ابتياع هذا الزيت • ولا يمكننا تحصيله من جهة اخرى • الا بيد الفقراء * فسبيلنا ان نجمعه ما دمنا ههنا بسعة كثيرة * ان شينا ان ندخل الى ختننا * وان نحن لم نفعل ذلك • سنلبث بلازم الضرورة خارج خدره * لان ممتنعا علينا • ممتنعا جداً * ولو كنا قد احكبنا اعمالا صالحة جزيلاً عددها • ان نسالك خلوا من الصدقة والرحمة دهاليز ملك السما * فلهذا السبب يجب علينا ان نظهر صدقتنا ورحمتنا بتوسعة كثيرة • حتى نستمتع بالنعم الصالحة الفاقدة ان يباح بوصفها * التي فليتفق لنا كلنا امتلاكها • بنعمة يسوع المسيح ربنا وتعطفه * الذي معه لابيه المجد مع الروح القدس الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الرابعة والعشرون

في قوله (٢٣) * وحين كان في اورشليم في عيد الفصح • آمن به اناس كثيرون *

ان الناس في ذلك الحين كان بعضهم جانحين الى الضلالة • وبعضهم متمسكين بالحق * ولكن طايفة من هولاء كانوا اذا تمسكوا بالحق مدة يسيرة • انتزحوا عنه ايضا * وهولاء فقد ذكرهم المسيح ذكرا غامضا • وشبّههم بذروع ليست موضوعة في قعر الارض • اصولها عند سطح الارض * وقال انهم يهلكون سريعا * وهولاء فقد اوضحهم لنا البشير ههنا. اذ قال هذا القول „ انه لما كان في اورشليم في عيد الفصح * آمن به اناس كثيرون * لما ابصروا اياته التي عملها * (٢٤) الا ان يسوع ما وثق بهم على ذاته * „ ولعمري ان اوليك التلاميذ كانوا ابلغ استقصاء في ايمانهم * وهم الذين ما تقدموا اليه من تلقاء اياته فقط. لكنهم تبادروا اليه من جهة تعاليمه * لان الايات استجذبت الذين كانوا اكثف عقولا من غيرهم * ونبواته اجتذبت اليه الذين كانوا في النطق • اصح قياسا ممن سواهم * فجميع الذين اقتنصهم تعليمه • هولاء كانوا اثبت عزما من الذين اجتذبتهم اياته * وقد طوبهم المسيح اذ قال „ مغبوطون الذين ما ابصروني • وامنوا بي * „ (يوحنا ص ٢٠ ع ٢٩)

والدليل على ان هولاء ما كانوا خالصين . فيوضحة القول التالى هذا * لانة قال . "الا ان يسوع ما وثق بهم على ذاتة * " وان سالت ولمَ ذلك ; اجابك البشير . " لانة هو قد عرف الخفايا كلها * (٢٥) ولانة لم يكن محتاجاً الى ان يشهد عنده شاهد للانسان * لانة هو قد عرف ما فى الانسان * " فما يقولة هذا هو معناه * انة ما اصغى الى الفاظهم البادية من خارجهم . عند غوصه فى قلوبهم باعيانها . ودخوله الى تمييز فهمهم . ومعرفتو حرارتهم الوقتية . فما وثق بهم . كثقته بتلاميذ كاملين * ولا فوض اليهم اراء دينو كلها . كما فوضها الى الذين صاروا تلاميذه بتحقيق * والخاصة العارفة ما فى قلوب الناس - هى خاصة الالة الذى ابدع قلوبهم على انفراده * لانة قد قال " انت تعرف قلوبنا وحدك * (ملوك ٣ ص ٨ ع ٣٩ ابركسيس ص ١ ع ٢٤) ما احتاج الى شهود حتى يعرف سريرة خلايقو * فمن هذه الجهة ما وثق بهم * من جهة امانتهم الوقتية * لانهم كانو اناساً لا يعرفون لا الاشيا الحاضرة . ولا المستانفة . من عادتهم ان يقولوا للمقتربين اليهم بمداغلة . المنترحين عنهم بعد مدة يسيرة . كافة الاسرار خلواً من انقباض . ويفوضوها اليهم * والمسيح فلسيت هذه الحال حالة . لانه عرف خفياتهم كلها . التى يجتنبون اذاعتها معرفة بينة * وقد يوجد الان اناس هذه الحال حالهم كثيرون مالكون اسم الامانة . سريعين التقلب والانعطاف * ولهذا السبب مايثق بهم المسيح الان على ذاتو * لكنة يخفى عنهم اكثر اسرارة * وكما اننا نحن نثق ليس بكل الاصدقا وعلى بسيط ذاتهم . لكننا انما نثق بالاصدقا الخالصين * فكذلك يفعل الهنا * اسمع ما قالة المسيح لتلاميذه . " لست ادعوكم ايضاً عبيدى . لكن احبتي انتم * (يوحناص ١٥ ع ١٤ و ١٥) ولو كانوا سالوه من اية جهة ; ولمَ ذلك ; لاجابهم . " لاننى كشفت لكم . كل ما سمعت من ابى * " ولهذا الغرض ما خول لليهود اياتو لما سالوه فيها * لانهم انما طلبوها ممتحنين اياه * فالتماس الايات اذاً مناسب للممتحنين فى ذلك الحين والان * لان الان قد يوجد اناس طالبين قايلين . لمَ لا تصير الان ايات ; فاقول انا لاحدهم . ان كنت مومناً على ما يجب ان يكون المومن . وان كنت تحب المسيح كما يجب ان يحب . فما تحتاج الى ايات * لان هذه الايات انما تعطي للمنكرين الذين عدموا ان يكونوا مومنين * ولعلك تقول . فكيف ما اعطي الى اليهود ايات ؛ فاجيبك . قد اوعطوها اكثر من غيرهم * ولين كان يوجد انهم طلبوها فى مكان وما اخذوها . فذلك لانهم طلبوها ليس ليتخلصوا بها من زوال تصديقهم . لكنهم انما التمسوها ليحققوا بها خبثهم اكثر تحقيقاً * ثم قال البشير . (الاصحاح ٣) (١) وكان انسان من الفريسيين اسمه نيقوديمس ريساً لليهود . (٢) هذا جاء الى يسوع ليلاً * (يوحناص ٧ ع ٥١) وهذا يستبين فى الاوسط من هذه البشارة . منشياً من اجل المسيح احتجاجاً * لانة قال . " ان شريعتنا ما تحكم على احد . ان لم تسمع منه اولاً * " وقد استصعب اليهود كلامه وقالوا . " اسال واعرف . ان من الجليل

ليس يُقام منها نبيٌّ * ،، وبعد الصليب ايضاً اهتم اهتماماً كثيرا بتحنيط جسد سيدنا ودفنه * لان البشير قال ، ،، وجاء نيقوديمس الذي كان جاء الى عند ربنا ليلاً ، واحضر طيباً مخلوطاً من مر وصبر ، نحو ماية رطل * ،، (يوحنا ص ٧ ع ٥٠) والان فقد تودد الى المسيح ، لكن ليس كما كان واجباً له ، ولا بتمييز واجب * لكن الضعف اليهودي كان بعد مستحوذاً عليه * ولهذا السبب جاء ليلاً ، خاشياً من ان يجي اليه نهاراً * ولكن الهنا المتعطف على الناس ، ما ابعده على هذه الجهة ولا وبخه ، ولا اعدمه تعليمه * لكنه فاوضه بدعة كثيرة * وفتح له اراء عالية جداً بلفظ غامض المعنى ، وقد فتح مع ذلك معناه * ولعمري ان هذا الانسان ، قد كان موهلاً لان يسامح باستتاره ، اكثر من الذين انقبضوا بسبب خبثهم * لان اوليك هم خارج كل اعتذار * وهذا فقد كان مستوجباً للوم فقط ، ليس للوم جزيل تقديره * فان قلت ، فكيف ما قال البشير من اجله قولاً هذا معناه : اجبتك ، قال في موضع اخر ، ان الكثيرين من الروسا قد امنوا به ، ولكن بسبب اليهود ما اعترفوا به * لكيلا يصيروا مبعودين من مجمعهم * وقد قال ههنا ، كل ما اعتمده به بحضوره في الليل قولاً مستوراً * وان سالت ، عما قال هذا للمسيح ، اجبتك ، قال له ، ،، يامعلم ، قد عرفنا انك من عند الله جيتنا معلماً * لان هذه الايات التي تعملها ، ليس يقتدر احد ان يعملها * ان لم يكن الله معه * (يوحنا ص ٣ ع ٢) فنيقوديمس يتصرف اسفل ايضاً ، مالكاً من اجله بعد تمييزاً انسانيا * ويخاطبه خطاباً يقال في وصف نبي * ليس متصوراً من اياته تصوراً عظيماً * لانه قال ،، قد عرفنا انك من عند الله جيتنا معلماً * ،، وانا اخاطبه ، وما رايك اذ جيت ليلاً ، الى عند القايل اقوال الله مجياً مستوراً ، الى عند الموافي من هنالك ; وما بالك ما تخاطبه بمجاهرة ; الا ان يسوع ماقال له قولا من هذه الاقوال ، ولا وبخه * لان النبي قد قال في وصفه ، ،، انه ما يكسر قصبة مرضوضة * ولا يطفي فتيلة مدخنة * (اشعياص ٤٢ ع ٣) وقال ايضاً ، ،، ليس يماحك ولا يصيح * (متى ص ١٢ ع ٢٠) وقد قال هو ، ،، ماجيت لادين العالم ، لكنني جيت لاخلص العالم * ،، قال ،، ما يقتدر احد ان يعمل هذه الايات ، ان لم يكن الله معه * ،، فهذا نيقوديمس يكلمه كلاما يماثل فيه مبدعوا بدع هواهم ايضاً * اذ قال انه انما يعمل ما يعمله من هذه الايات مساعداً محتاجاً الى غيره * واسمع ما قال له المسيح ، وانظر الى افراط تحدره * لانه امتنع ان يقول له ، انني لست احتاج الى صنف من معونة اخرين * لكنني اعمل الايات كلها بسلطاني * لانني ابن خالص لله ، وبالقدرة بعينها التي لوالدي * واستعفى عاجلاً ان يقول هذا القول ، لانه مضاد عند سامعه * لان ما اقوله دايماً ، اقوله الان * ان الغرض المحروص عليه عند المسيح ، انما كان ليس ان يعلن عاجلاً رتبته على هذا المثال ، مثل اجتهاده ان يحقق انه ما عمل عملاً مضاداً لابيه * ولهذا السبب يستبين من جهات كثيرة متذللاً في الفاظه * وليست حالة هذه الحال في

اعمالو التي عملها * لانه اذا اجترح عجايبة يعملها كلها بسلطانو * مثلما قال. « اشاء فتطهر * (مرقص ص ١ ع ٤١) . « ويا لجارية انهضي * (مرقص ص ٥ ع ٤١) . « واسدد يدك * » « فقد غفرت لك خطاياك * (لوقا ص ٥ ع ٢٠) « واصمت وانبكم * (مرقص ص ٤ ع ٣٩) « واحمل سر يرك واذهب الى منذلك * (مرقص ص ٢ ع ٩) « ولك اقول . ايها الشيطان الخبيث اخرج منه * » « وليكن لك على حدو ايمانك » « واليوم ستكون معي في الفردوس * » « وقد سمعتم انه قد قيل للقدماء لا تقتل * وانا اقول لكم . ان من يغتاظ على اخيو باطلاً . سيكون مطالباً بالحكم عليو * » « وتعالوا وراى * فاجعلكم صيادين الناس * » وفي كل مكان تجد تامره موجوداً معه كثيراً . وما نكتةناكت في افعالو التي عملها * لان كيف كان ينكتها؛ لان اقوالة التي قالها . لوكانت لم تخرج الى فعلها . ولم تبلغ الى غاية على مثال ما امر. لانساغ لقايل من اوليك ان يقول . ان اوامرة كانت اوامر تحير * فاذ قد خرجت الى الفعل . فحقيقة الغاية في الايات الكاينة . قد اصمتتهم كارهين * وقد امكنهم دفعات شتى في اقوالو على حدو وقاحتهم . ان يختلقوا له تعظماً * وبحضرة نيقوديمس الان . ما تكلم كلاماً عالياً بمعنى ظاهر. فصاعدة من تذللو بلفظ غامض المعنى * اذ علمة انه هو كفو بذاتو لاظهار عجايبو * لان اباه ولده كافياً لذاتو * ليس حاوياً خاصة عديمة ان تكون تامة * لكن سبيلنا ان نبصر كيف امتثالة هذا التعليم بعينو * قال ذلك . « يامعلم . قد علمنا انك من عند الله جيتنا معلماً * وان الايات التي تعملها ليس يقتدر احد . ان يعملها * ان لم يكن الله معه * » فتوهم انه قد قال قولاً عظيماً * اذ قال للمسيح هذه الاقوال * فتامل ما قالة المسيح له * اذ اراه انه ماقد سلك ولا في دهاليز معرفتو الواجبة. ولا قد وقف لدى ابوابها . لكنة ضال في مكان خارج ملكو * وكل من يقول هذه الاقول غيره ايضاً * وبين ايضاً ان من يعتقد في الوحيد هذا الراى . ما قد اطلع على معرفة صادقة * اذ قال له (٣) « الحق الحق اقول لك . ان لم يولد الواحد من فوق * ليس يقتدر ان يرى ملكوت الله * » وهذا فمعناه هو ان لم تولد انت من فوق . وتتسلم استقصاء الاعتقادات فيّ . ستضل في مكان خارج . وتكون بعيداً من ملك السماوات * الا انه ما قال له هذا القول واضحاً . حتى يجعل كلامه ابعد عنده من ان يكون مستثقلاً * ولم يعتمد بو اعتماداً ظاهراً * لكنة قال قولاً قد عدم ان يكون محدوداً * وهو « ان لم يولد واحد * » فقارب بقولو . انك ان ارتايت انت . وان ارتاى من كان من الناس غيرك هذه الاراء فيّ . فهو في مكان خارج الملكوت * والا فلو لم يكن قال هذه الاقوال مريداً ان يصلح هذا الراى . لكان هذا الجواب عديماً ان يلايم الاقوال التي قالها ذاك * ولو كان اليهود سمعوا هذه الاقول . لكانوا قد انصرفوا ضاحكين * وهذا الرجل فقد اظهر في هذا الخطاب حبة التعليم . اذ لهذا الغرض يتكلم المسيح في جهات كثيرة كلاماً قد عدم

وضوحة . مريداً ان ينهض سامعيه الى سوالوعنة * وان يصيرهم اشداصغاء وتفهماً * لان ما يقال بلفظ واضح
طال ما تجاوز سامعه * وما يقال بلفظ قد عدم وضوحة . فيجعل سامعة بحثاً . وفي الفضيلة مكيناً *
فالذى يقوله هذا هو معناه . ان لم تولد من فوق . اى ان لم تساهم الروح القدس بجميع اعادة
ولادتك * والا فما يمكنك ان تحصل من اجلى راياً واجباً * لان رايك هذا ليس هو روحانياً .
لكنه نفسانى * الّا انه ما قال هذا القول . مستعفياً من ان يقرع فكره * اذ فهم الاوهام التى قد
حصلها ذاك فى ذاته . وانه ينطق على حدو امكانه * فصاعده الى معرفة اعظم محلاً خلواً من
ارتياب * اذ قال له « ان لم يولد واحد من فوق * » ومعنى من فوق ههنا . فقد قال قايلون .
انه من السماء * وقال غيرهم . انه من الابتداء * فقال ليس ممكناً ان يرى ملكوت الله من لم
يولد هذه الولادة * اذ اوضح ذاته ههنا . وبين انه ليس هو هذا الملحوظ فقط . لكنه نحتاج الى عيون
غير هذه . حتى نبصر المسيح بها * فاذ سمع نيقوديمس هذه الاول (٤) قال « كيف يمكن
انسان ان يولد . وقد صار شيخاً ; وانا اخاطبه . انت تدعوه ياه علمي . ونقول انه قد جاء من
عند الله . وما تقتبل الاقوال التى يقولها * لكنك تقول للمعلم اللفظة الموردة اراجيف كثيرة :
لان قولك كيف يكون هذا ; هو تشكيك الذين ما يصدقون جداً . وهو قول الموجودين
من الارض ايضاً * اذ سارة لاجل هذا الارتياب ضحكت * لانها قالت كيف يكون هذا ; واناس
غيرها كثيرون . اذ طلبوا هذا المطلوب . خابوا من تصديقهم * وعلى هذه الطريقة ثبت مبدعوا
هواهم على متابعة هواهم * اذ التمسوا فى جهات كثيرة هذه اللفظة . فبعضهم قالوا كيف اشتمل جسماً :
وبعضهم قالوا كيف ولد ; وطرحوا ذلك الجوهر الفاقد ان يوجد مخبوراً تحت ضعف افكارهم *
فاذ قد عرفنا نحن هذه العوارض نحتاج ان نهرب من هذا التفتيش الفايت وقته * لان الذين
التمسوا هذه المطالب . ما يعرفون معنى كيف * ويخيبون من التصديق القويم . ولهذا السبب
يلتمس هذا الرجل بحيرة الغرض في هذا الكلام * لانه فهم ان الكلام قد قيل له . فهو يرتجف
ويدوخ ويتحير * لانه جاء كمن يجيى الى انسان . فسمع اقوالاً اعظم من ان تسمع من انسان *
نعم ولا سمعها سامع قط * فلبث ينهض الى علوها عاجلاً . الا انه اظلم فهمه ولم يثبت . وحصل
دايراً الى كل مكان خايباً من التصديق خيبوبة متصلة . فلذلك لبث مخترعاً العزم الممتنع .
حتى يستدعى الى تعليم اوضح بياناً * لانه قال « هل يقتدر انسان ان يدخل الى جوف امه
دفعة ثانية ويولد ; » ارايتم ان احدنا اذا حال الاقوال الروحانية بافكاره . كيف يتكلم اقوالاً
يضحك عليها سامعها . ويظن انه يهذى . وانه سكران . اذا استبحث عما قيل له بخلاف
الرأى في ذلك عند الله * ولم يقتبل الجنوح الى تصديق ما قيل له ; فهذا الرجل سمع ولادة .
لكنها روحانية * فما فهمها روحانية * لكنه اجتذب القول الذى قيل له الى تذلل لحمه . وعلو راى بهذه
الصفة عظيم عال . بنظام طبيعته * ولذلك اخترع فيما بعد هذيانات وشكوكاً مضحوكاً عليها *

ولهذا السبب قال بولس . ان انساناً نفسانياً ليس يقبل اقوال الروح * (قرنيثة اولى ص ٢ ع ١٣) ولكنه في هذه الحيوة ما هو يحفظ الاحتشام والتوقير للمسيح * لانه ما ذم ما قيل له * لكنه سكت ظاناً انه ممتنع . فكان العارض له شكين . هذا الولادة التي هذه الحال حالها . والملكوت * لان اسم الملكوت ما سمع عند اليهود في وقت من اوقاتهم . ولا ذكر ولادة هذا معناها . الا انه وقف عاجلاً عند الاول منهما . وهو الولادة التي زعزعت تمييزه كثيراً *

العظة الرابعة والعشرون

في ان لا نستبحث عن الاقوال الالهية بافكارنا . لكن نصدقها * وفي تقويم عيشتنا *

فاذ قد عرفنا هذه المعاني . فلا نلتمس بافكارنا ما يقال في الله * ولا نسوق الاراء الناشية من هنالك هذا المساق الذي عندنا * ولا نطرحها تحت ضرورة طبيعتنا * لكن سبيلنا ان نفهمها كلها فهماً محموداً . مصدقين اياها على ما ذكرت الكتب * لان من كان مستبحثاً مفحصاً ليس يستفيد ربحاً * ومع ذلك فليس يجد مطلوبه . ويقابل مقابلة واصلة الى غايتها * قد سمعت انه ولد فصدق ما سمعت . ولا تتطلب كيف ولد * ولا تبطل لاجل هذا ولودته * فان هذه اوهام قلة محافظة كثيرة * فلئن كان هذا الرجل . اذ سمع ولادة ليس تلك الولادة الممتنع وصفها . لكن هذه الولادة التي هي بالنعمة . فاذ ما توهم فيها توهماً عظيماً . بل توهم فيها توهماً انسانياً ارضياً . اظلم فهمه لهذا السبب . وارتاب حايراً * فالذين يبحثون من تلك الولادة الرهيبة جداً . الفايقة على الاوهام كلها والعقول والاقوال باسرها . ويفتشون عنها . كم تعذيب يكونون مستوجبين ; لان ليس شي على معنى التشبيه يبدع ظلاماً رديا . مثل فكر انساني قابل من الارض كل ما يقوله . ولم يستجير ان يستنير من العلو * لان الصنف الارضي من الافكار يحوى حماة كثيرة * فلهذا السبب الحاجة بنا ماسة الى المياة من العلو . حتى اذا رسبت الحماة اسفل . يندفع الى فوق ما كان نقياً من فكرنا . ويختلط بالتعاليم التي هنالك * وهذا انما يصير . ان اظهرنا نفسنا جيدة العزم * وان اوضحنا عيشة منقومة * لان قد يوجد ويتكون من سجايا مفسودة . ليس من استبحاث قد فاته وقة فقط * ان يظلم سريرتنا وتمييزنا * ولهذا السبب قال بولس لاهل مدينة قرنثية سقيتكم لبناً . وما اطعمتكم طعاماً * لانكم بعد ما امكنكم الاغتذاء * بل ولا قد اقتدرتم الان ان تستعملوه ايضاً * لانكم بعد لحميون انتم * لانه قال . اذ يوجد فيكم المحك . والحسد . وانفصال البراى . الستم لحميون انتم ; (قرنتيه ا ص ٣ ع ٢) وفي رسالته ايضاً الى العبرانيين . وفي جهات كثيرة . يبصره باصر واصفاً وجود علة الاراء الخبيثة * لان النفس المنسقمة باعراض هواها . ما تقتدر

ان تعاين فكراً عظيماً جليداً . لكن حالها يكون حال من قد كدرها الرمد . فتكبدت مشاوة هي اصعب الامراض تاثيراً * فسبيلنا ان ننقي ذواتنا . ونستضيء بضياء المعرفة . ولا نزرعن في الاشواك * وقد عرفتم ما هي جملة الاشواك . وان لم نصفها نحن لكم * لانكم طالما سمعتم المسيح يسمي اهتمام هذا العمر الحاضر وخداعة ثروته باسم الشوك * وذلك على جهة الواجب * فكما ان تلك عديمة ان توجد مثمرة . فكذلك اهتمام الدنيا . وخدعة ثروتها * ومثلما ان الاشواك تمزق ايدي الناس الذين يلمسونها . فكذلك امراض هوانا هذه تمزق الذين يلمسونها * وعلى حدو ما ان الاشواك تتشبث بها النار سريعاً . وهي ممقوتة عند الفلاح . فكذلك احوال الدنيا * وكما تستخفي في الاشواك وحوش والافاعي وعقارب . فكذلك يستخفى في خدعة الغنى الوحوش المعقولة * لكن سبيلنا ان نفتش عنها بنار الروح . حتى تفنى الاشواك بها وتهرب الوحوش . لكي نخول الفلاح حقلانا نقياً * وبعد تنقيتها وتنظيفها . نسقيها بالمياه الروحانية * ولنغرس فيها زيتونة الرحمة الجزيل ثمرها . الغرسة الانيسة اكثر من ساير الغروس النضرة دايماً المنيرة . الغاذية المفيدة الصحة * فالصدقة والرحمة تحوي هذه الخواص * وهي مع الذين قد استقنوها بمنزلة خاتم * فغرسة الصدقة ولا الموت يجففها . اذا جاء الى صاحبها * لكنها تكون قد وقفت منيرة تمييز فهمو دايماً . غاذية اعصاب نفسه . جاعلة قوتها اكثر تاييداً * ان امتلكنا هذه نصبة الصدقة دايماً . فسنقتدر لمن نرى ختننا بمجاهرة . وان ندخل الى خدره * التي فليكن لنا كلنا ان نساهمه . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي معه لابيه المجد مع الروح القدس * الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الخامسة والعشرون

في قوله (٥) الحق اقول لك . ان لم يولد واحد من الماء والروح . فليس يقدر ان يدخل الى ملك الله

ان الصبيان الصغار يذهبون كل يوم الى معلميهم . يقتبلون تعاليم يلقنونها . وما يكفون في وقت من اوقاتهم من استفناء هذا التعليم * لكنهم ربما اضافوا لياليهم الى نهاراتهم * وهذه الافعال يلزمون افتعالها * بسبب احوال مضمحلة وقتية * ولكننا نحن ما نطالبكم انتم الواصلين الى تمام سنكم بتعب هذا مقداره . بمقدار ما تطالبون انتم ابناءكم * لاننا ما نسالكم ان تصغوا كل يوم الى ما يقال لكم . لكننا نسالكم ان تتفهموا ذلك يومين فقط في جزء يسير من نهاركم . حتى يصير التعب عندكم خفيفاً * ولهذا السبب نجرد لكم الالفاظ التي قد قيلت في الكتب قليلاً قليلاً .

ليمكنكم بايسر مرام ان تحصلوها وتخزنوها فى خراين تمييز فهمكم . وان تعتنوا بتذكرها اعتناء يبلغ تقديره الى ان تقتدروا ان تذيعوها بابلغ استقصا وتصفوها لغيركم * ان لم يكن احدكم نواماً كثيراً عاجزاً . اكثرونية من صبى صغير * فسبيلنا ان نثبت بما يتبع الاقوال التى قيلت لنا فيما سلف * لان نيقوديموس لما تسكع في غباوته . والتمس الولادة التي ههنا . وقال ممتنع هو ان يولد شيخ من العلو . انظر كيف يكشف له المسيح حال الولادة باوضح بيان * ولعمرى ان هذه الحال تحوى صعوبة عند السايل بغرض نفسانى * والبق ما يقال انه مقتدر ان يصاعد سامعه من استدلاله * وان سالت عمّا قاله . اجبتك . قال «ان لم يولد واحد من ماء وروح . ليس يقدر ان يدخل الى ملك الله * » كانه قال له . انت قلت ان هذا القول يوجد ممتنعاً . فانا اقول انه يوجد على هذا المثال ممكناً جداً * حتى انه يوجد ضرورياً . وليس ممكن التخلص على جهة اخرى الا به * لان الله قد جعل الاشيا الضرورية جداً . سهلة متيسرة * لان الولادة الارضية التى تناسب لحمنا هى من التراب . ولذلك قد حجزت عنها النعم التى فى السموات * لان ماذا من الحظوظ يوجد مشاعاً بين الارض والسماء : وتلك الولادة هي من الروح * ومن شانها ان تطيرنا بايسر مرام . وتعلينا الى قناطر السماء * اسمعوا يامن انتم خارج استنارة المعمودية . ارتاعوا تحسروا . فالوعيد رهيب * والقضية مخوفة * فقد قال « ليس يمكن من لم يكن مولوداً من ماء وروح . ان يدخل الى ملك السماوات * » لانه لابس لبوس الموت . ووشاح اللعنة . ولباس الفساد . وماقداشتمل علامة سيده بعد * فهو غريب اجنبى * ليس يمتلك سمة ملكية * قال « ان لم يولد واحد من ماء وروح . ليس يقدر ان يدخل الى ملكوت السموات * » الا ان نيقوديمس ولا على هذه الجهة فهم المعنى * لان ليس فعل اشر من ان يحيل احدنا الاحوال الروحانية بافكاره * فهذا الفعل ما ترك هذا الرجل . ان يتخيل تخيلاً عالياً عظيماً * لهذا السبب ندعى نحن مومنين * لنترك ضعف افكارنا الذى اسفل . ونطلع الى علو التصديق والايمان * ونخيل بتعلم الامانة اوهامنا الصالحة * ونعطفها الى التصديق * فهذا الفعل لو كان نيقوديمس فعله . لما كان هذا الامر ظنّ عنده ممتنعاً * فان قلت . فما الذى قاله له المسيح : اجبتك . انه اقتاده من هذا الفكر الساحب على الارض . واراه انه ما يخاطبه من اجل هذه الولادة * وقال له . « ان لم يولد واحد من ماء وروح . ليس يقدر ان يدخل الى ملكوت السماوات * » فهذه الاقوال قالها له مريداً ان يستجذبه بخيفة الوعيد الى تصديقه . وان يحقق عنده ان لا يظن هذا الفعل انه يوجد ممتنعاً . مسارعاً ان يبعده من التخيل الذى يتخيل الولادة اللحمية * فقال يا نيقوديمس . انما اقول انا ولادة اخرى . فما بالك تجذب قولى الى الارض : ما رايك فى ان تطرح هذا الفعل

تحت صرورة الطبيعة ; هذا المولد هو اعلى سمواء من المخاض الطلق التى هذه حالها . ليس يمتلك فعلاء مشاعاء بينه وبينكم * لان هذا يدعي ولادة . لكنة انما يشارك الولادة في اسمها فقط * وقد انفصل عنها بالفعل * ابعد ذاتك من العادة العامة الشايعة * فانا اورد الى الدنيا ولادة اخرى * واشاء ان يولد الناس على نحو اخر * قد جيت حاملاء حالاء مستغرباء من الابداع . لانني جبلت الانسان اولاء من ارض وماء * فما صار المجبول نافعاء . لكن الاناء تعوج * فلست اشاء فيما بعد . ان اجبلة من ارض وماء ايضاء * لكنني اريد ان اجبلة من ماء وروح * فان سال سايل كيف جبلة من ماء ;فانا استخبره . وكيف جبلة من ارض ; وكيف تقسم الطين الى اجزاء مختلفة ; كيف الموضوع صورتة مفردة ; لانه كان ارضاء وحدها . ولاجزا المتكونة منها متلونة مختلفة اصنافها * من اين تكونت عظام الانسان واعصابة وشريانات وعروقة ; من اين اغشيتة واطرافة الالية وغضاريفة وصفاقاتة وكبدة وطحالة وفوادة ; من اين تكون جلده ودمة وبلغمة وصفراة ومرتة ; من اين افعالة الجزيل تقديرها ; من اين الوانة المتلونة ; لان هذه الاجزاء ليست اجزاء ارض . ولا اجزاء طين * وكيف الارض اذا اقتبلت البزور تنبتها . وجسمنا اذا اقتبل البزور يعفنها ; كيف الارض تغذى البزور التى تطرح فيها . وجسمنا تغذوه هذه البزور . وليس هو يغذوها ;الارض تقتبل الماء فتجعلة خمراء . وجسمنا يقتبل الخمر فيجعلة ماء * فهذه الاصناف لعمرى لست اقدر ان اجد بفكرى من اين التحقق انها من الارض . اذ الارض تضاد جسدنا بهذه الاصناف المذكورة * الا انني بتصديقي وحده وامانتي . اقتبل انها من الارض * فان تكن الاصناف المتكونة كل يوم الملموسة . تحتاج الى تصديق وامانة . فالاصناف المختاص وصفها اكثر من هذه . الاوفر روحانية منها . اولى بها واليق ان تحتاج امانة وتصديق * وكما ان الارض الخايبة من نفس العادمة ان تكون متحركة . حين ايدت بارادة الله . تكونت منها هذه العجايب الجزيل عددها . فكذلك اذا حضر الروح فى الماء . تتكون بايسر مرام هذه الافعال البديعة الفايقة علي فكرنا كلها * فلا تكونن اذا ما تبصر هذه الافعال تنكرها * لكنك مع ذلك تصدق انك تمتلك نفساء . وان يوجد فيك شي غير جسمك * والمسيح فها استمالة من هذا المثال . لكن من مثال اخر * لان هذا المثال وان كان خايباء من جسم اعني مثال نفسنا . فلهذا المعنى ما استورده له . اذ كان ذلك الرجل قد حصل اكثف تمييزاء * بل وضع له مثالاء اخر . ليس يحوى كثافة الاجسام بالكلية . ولا صاعده ايضاء الى طبيعة الاشيا الخايبة من الاجسام بالكلية * وهذا فهو حركة الريح * فابتدى اولاء من الماء . الذى هو الطف من الارض . واكثف من الريح * وكما انة في الابتداء وضع الارض استقصاء . وكان الفعل كلة للخالق . فكذلك وضع الان الماء استقصاء . والفعل كلة لنعمة

الروح * وفي ذلك الحين صار الانسان ذا نفس حية . والان صار ذا روح محيية * فالفرق اذاً عظيم لان نفسنا من تخول غيرها حياتة * والروح فليس يحيي هو فقط . لكن يخول اصنافاً اخرى حياتها * لان الرسل على هذه الجهة انهضوا امواتاً * وفي ذلك الحين لما تكونت الخليقة . خلق الانسان اخيراً * والان فالحادث بخلاف ذلك * لان الانسان الجديد يخلق قبل الخليقة الجديدة * وهذا الانسان يولد اولاً . وبعد ذلك يجال بشكل الدنيا . وكما انة في الابتدا جبلة كاملاً . فكذلك بخلقة الان تاماً * وفي ذلك الحين قال «ولنصنعن لة معيناً . » وههنا فما قال قولاً هذا معناه * لان من قد اخذ نعمة الروح . الى اى معين يحتاج غيره . ومن قد صار الى جسد المسيح . اية نجدة يحتاجها فيما بعد ; في ذلك الحين ابدع الانسان بصورة الله . والان فقد اتحده بالله بعينه * في ذلك الحين امره ان يروس على اسماك ووحوش . والان فقد اطلع مقدمة طبيعتنا الناجمة الى اعالي السموات * في ذلك الحين اعطاه الفردوس منزلاً . والان فقد فتح السما لنا * في ذلك الحين خلق في اليوم السادس لما ازمع الصوان ينقضي . والان ابدع في اليوم الاول حين خلق الضو في مبادى الابداع * فواضح من هذه كلها . ان الافعال المفعولة . كانت افعال حياة افضل قدراً . وطريق ضابطة غايتها * لان الجبلة الاولى جبلة ادم . كانت من الارض . وابداع الامراة كانت من ضلعو وبعد ابداعو هو وابداع هابيل بعد ابداع الامراة كان من زرع . الا اننا مع ذلك ما نقتدر ان نصل ولا الى معرفة ابداع واحد من هذه الابداعات * ولا يمكننا ان نبين بكلامنا . هذه الاشخاص المكونة . على انها كثيفة * فكيف نقتدر ان نعطى اجوبة عن الولادة المعقولة التي بالمعمودية . التى هى اعلى من هذه الابداعات قدراً بكثير . ونطالب بافكار في هذه الولادة البديعة العجيبة ; وعند كون هذه الولادة . يقف بها مليكة ما ينساغ لهم ان يصفوا حال ابداعها هذا العجيب البديع . لكنهم يقفون هنالك فقط . وما يعملون شياً * بل يعاينون افعالها الكاينة . التي يعملها كلها الاب والابن والروح القدس * فسبيلنا ان نتحقق قضية الهنا . فانها قضية اصدق من بصرنا * لان بصرنا من شانو ان يغلط في كل مكان * وقضية ربنا ممتنع ان تسقط * فينبغي لنا ان نوقن بها . فانها استخرجت الموجودات مما لم يكن موجوداً * فيجب ان يكون قولها في طبيعة الموجودات . موهلاً لتصديقو * فان سالت . وماهي هذه القضية ; اجبتك . هى ان هذا العمل المعمول هو ولادة * فان قال قايل . وكيف ذلك ; فازجره بقضية الهنا الموجبة ذلك * التي هي برهان عظيم واضح بيانة * وان سال ايضاً سايل . وما الحاجة الى الما في هذه الولادة ; فينبغي ان نسالة نحن . وما كانت الحاجة في الابتداء الى ابداع الانسان من الارض ; لان الدليل على انة قد كان ممكناً ان يبدع الانسان خلواً من الارض . واضح في ساير الجهات *

فلا تستبعدن اذاً * والدليل على ان الحاجة الى الماء في هذه الولادة ضرورية . قد سلبت الاعفاء منها . اذ طار الروح في ذلك الوقت قبل الماء على كرنيليوس واصحابه * فما وقف بطرس عند هذا . لكنه انزل الماء منزلة شيءٍ ضروري . وليس فضلة زايدة * وقد اوضح ذلك بما قاله . ‹‹ ايجوزان يمنع مانع الماء . ان لا يصطبغ هولاء الناس فيه . الذين قد اخذوا الروح القدس . كما قد اخذناه نحن ›› (ابركسيس ص ١٠ ع ٤٧) وسوف اصف لكم . ما هي الحاجة الى الماء . معلماً لكم السر المستور * لان قد يوجد لهذا المغني اوصاف اكثر من غيره . يغتاص التكلم بها * فانا اصف لكم الان صنفاً من اوصافه الكثيرة * وان سالتم . وما هو هذا ; اجبتكم ان في هذا المولد تعمل وتتم دلايل الهية . هي قبر ودفن . واماتة . وحياة . وقيامة * وهذه كلها تتكون في المعمودية معاً * لاننا اذا غطسنا روسنا في الماء . كاننا نغطسها في قبرٍ من القبور . يندفن فيه الانسان العتيق اسفل . ويتغرق كله الى الغاية * ثم اذا رفعنا روسنا . يطلع الانسان الجديد ايضاً * وكما ان سهلاً علينا نصطبغ في الماء . وان نرفع رووسنا . فكذلك سهل عند الله . ان يدفن الانسان العتيق . وان يظهر الانسان الجديد * وانما يصير هذا الفعل ثلث مراتٍ . لكي تعلم ان قدرة الاب والابن والروح القدس . تتمم هذه الافعال كلها * والدليل علي ان ما ذكرته . ليس هو حدساً . اسمع بولس يوضحه قايلاً ‹‹ قد دفنا معه بالمعمودية في موته * (كولوصايس ص ٢ ع ١٢) وقال ايضاً ‹‹ وقد صلب معه انساننا العتيق * (روميه ص ٦ ع ٦) وقال ايضاً . ‹‹ وقد صرنا مغروسين معه في مشابهة موته * (روميه ص ٦ ع ٥) والمعمودية فما تدعى فقط صلباً . لكن الصليب ايضاً يسمى معمودية * لانه قال لابني زبدى . ‹‹ اما الصبغة التي اصطبغها انا فتصطبغانها * (مرقص ص ١٠ ع ٣٩) وقال ايضاً . ‹‹ قد حويت صبغة اصطبغها . ما قد عرفتموها انتم * ›› وكما اننا نحن بايسر مرام نصطبغ في الماء ونرفع منه روسنا . فكذلك هو بايسر مرام لما مات قام حين شاء * واليق ما يقال انه قام اسهل من انغطاسنا وارتفاعنا * وان كان قد لبث الثلاثة ايام . لتدبير سرٍ من اسراره *

العظة الخامسة والعشرون

في ان المنصرف من الدنيا خاياً من ان يكون معموداً الى جهنم يذهب . ولو كان مالكاً فضايل جزيلاً عددها *

فاذ قد اهلنا لاسرار هذا مقدار جسامتها . فلنظهرن عيشة موهلة للموهبة * وطريقة فاضلة * والذين ما اهلوا بعد لموهبة المعمودية . فليعملوا كل عمل حتى يوهلوا لها * حتى نصير جسداً واحداً .

حتى نصير اخوة * لاننا ما دمنا منفصلين من هذه الموهبة . فلو كان المنفصل منها اباك . لو كان اخاك . لو كان ابنك . لو كان من كان من مناسبيك . فليس هو نسيبنا خالصاً * اذا فصلتنا المجانسة العلوية منها * لان ما منفعتنا اذا ضمنا الجنس الطيني ; اذا كنا لسنا منتظمين في الجنس الروحاني ; اي ربح نستفيده من المناسبة التي في الارض . اذا كنا غربا في السموات ; لان الموعوظ غريب من المومن * لانه ما يمتلك راسة بعينو * ليس يحوى اباً هو هو بعينو * ليس يملك مدينة هي هي مدينة ذاك بعينها . ولا طعامه . ولا لباسه . ولا مايدته . ولا منزلة . لكن احوالهما كلها مختلفة * لان كل الاشيا التي لهذا في الارض * وكافة التي لذاك هي في السموات * فلهذا المومن . المسيح ملك . ولذاك الموعوظ الخطية وابليس المحال ملك * ولهذا المسيح طعام . ولذاك الغذا المتعفن المفسود طعام * وايضاً فاللبوس لذاك هو اعمال السوس . واللبوس لهذا هو سيد الملكة * والمدينة لهذا هي السما والمدينة لذاك هي الارض * فاذ لم تمتلك صنفاً مشاركاً قل لي بماذا نتناسب ; لكنك تقول اننا قد حللنا المخاض طلق هي هي باعيانها . وخرجنا من بطن واحد * الا ان هذه المناسبة ليست شياً . باضافتها الى المجانسة البليغة الاستقصا * فلنجتهدن ان نصير من اهل المدينة العلوية * الى متى نلبث في نفينا ; فمن الواجب ان نتسلم وطننا القديم * لان تورطنا في الخطرليس هو من اجل اشيا حقيرة . لكن ان حدث ما لا يكون . وهو ان تدهمنا وفاتنا . ونكون قد عدمنا انتظارها . وننصرف من ههنا خايبين ان نكون معمودين . او غير تايبين عن شرورنا . ولو امتلكنا صالحات جزيلاً تقديرها جداً . فليس يتسلمنا شي اخر الا جهنم . ودود نافث سماً . ونار فاقدة خمودها . وعقالات مسلوبة انفكاكها * ولكن لا كان لاحد من السامعين هذه الاقوال . ان يمارس ذلك العذاب * وسيكون هذا الخلاص لنا . اذا اهلنا لاسرار القربان المقدسة * وان ابتنينا على هذا الاساس . ذهباً . وفضةً . وحجارةً كريمة * فعلى هذه الجهة نقتدر اذا ذهبنا الى هنالك ان نظهر اغنيا . اذا لم نخلف ههنا اموالاً . لكن ننقلها معنا الى الكنوز الفاقدة سلبها . نقلاً يكون بايدى الفقرا والمساكين . اذا اقرضناها للمسيح * لاننا غرما هنالك ليس باموال كثيرة . لكن بخطايا جزيلة * فلنقرضه ههنا اموالاً . حتى ناخذ اغتفاراً لخطايانا * لان المسيح هو الديان * فلا نغفلن عنه ههنا جايعاً . حتى يغذونا هو هنالك * ولنكسوه ههنا . حتى لا يتركنا عراة من حياطتو * لاننا اذا اسقيناه ههنا . فما نقول كما قال الغني . «ارسل لعاذر * ليقطر بطرف اصبعه على لساننا عند تقليو *» وان اقتبلناه ههنا في منزلنا سيعد لنا هنالك منازل كثيرة * وان مضينا اليه اذا كان في الحبس . سيخلصنا هو من عقالاتنا * وان اويناه اذا كان غريباً . فما يهملنا ان نكون غرباء في ملكوت السموات . لكنه يخولنا البلدة التي في العلو * وان افتقدناه اذا كان مريضاً . سيحررنا سريعاً من اسقامنا * فما دمنا

ناخذ اشيا عظيمة . ونعطي اشيا حقيرة . فلو صار ان نعطيوا اشيا صغارا . حتى نستفيد فوايد عظيمة * فلنزرعن ما دام لنا وقت . حتى نحصد اذا دهم الشتاء * واذا امتنع علينا المسير في البحر . فمانكون مالكين هذه التجارة * وان سالت . ومتى يكون هذا الشتاء ; اجيبك * اذا وقف بنا ذلك اليوم العظيم * لاننا في ذلك الوقت ليس يتجه لنا ايضا ان نسير في هذا البحر العظيم الواسع * لان عيشتنا الحاضرة تشابه هذا البحر * فالان هو وقت زرعنا . وذلك الاوان هو وقت الحصاد والربح * فاذا لم يطرح احدنا زروعه في اوان الزرع . وزرع في وقت الحصاد . فسيكون مضحوكا عليه . وما يستفيد ربحا * فان كان وقتنا الحاضر هو وقت الزرع . فهذا الوقت ليس هو وقت الجمع . لكنه وقت التبديد * فسبيلنا ان نبدد . حتى نجمع * لا نشا ان نجمع الان . حتى نضيع حصادنا * لان هذا الوقت على ما ذكرت يدعونا الى ان نزرع . وننفق ونبدد * وليس يدعونا الى ان نجمع ونخزن * فلا نهملن الوقت الملايم . لكن فلنطرحن الزرع واسعا * ولا نشفقن على شي من الاشيا التي لنا * لكي نستوفيها بمجازاة كثيرة . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذي معه لابيه المجد مع الروح القدس * الى ابد الدهور

كلها الدهور

امين

*



اصلاح غلط

صفحه	سطر	غلط	صواب
١٧	١٦	مليكة	مليكتو
٢٠	١٥	من	في
٢٠	١٧	عنك	منك
٢٠	٢١	اومتقنة	ومنقنة
٢١	٢١	ان	ان يقول .
٢٤	٣٦	كا	كان
٣٠	١٤	الازلية	ازليته
٣١	٢٢	يوجد	ان يوجد
٣٣	١٣	ص٣ع٣	ص ٢ ع ٦
٣٥	٠٨	وغلط	وغيظ
٣٥	[illegible]	حين	أحين
٣٥	١٤	المكارة	المكاره
٣٥	٤١	ارفع	وارفع
٣٦	٢٤	يفرغ	يفرع
٤٠	١٧	يتلافا	يتلافى
٤٣	٠٥	نظن	تظن
٥٣	١٠	استثنى	استثنى
٥٤	١٧	فيحيب	فيجب
٥٨	٢١	تكون	تكون
٥٨	٢٥	ادخل	اذ حل

صفحه	سطر	غلط	صواب
٥٨	٢٧	اذا	اذ
٦٠	١٤	متهذياء	متهذياء
٦٥	٠٩	إذ	اذا
٧٠	٠٢	واقتبالو	واقبالو
٨٢	١١	ملوك	ملوك ٤
[illegible]	١٣	وابرقوا	وابرقوا نور
٧٢	١٦	رئيس	ولا مجد رئيس
٧٢	٢٥	جهاته	جهاته بجواهر
٧٢	٢٧	فاذا	فاذ
٧٣	٠٩	فعلى	فعل
٧٤	١٦	مداوة	مداواة
٧٩	١٢	من ذاته	لذاته
٩٢	١٣	ص ١٠ ع ١٨	ص ١٨ ع ١٠
٩٦	٠٤	(١٦)	(١٩)
١٠٢	١٩	بليغ	يبلغ
١٠٨	٠٣	المسيح	المسيح
١١٤	١٥	اظهر	واظهر
١١٥	٢١	زماناء	زماننا
١٢٩	١٣	الاشراف	الاشراق
١٤٢	٠٤	مختبراء	مخسراء
١٥١	١٩	واستفتاء	استقناء

فهرس ما يحتويه هذا الجزء الثاني من كتاب تفسير بشارة يوحنا الانجيلي صفحة

صفحــة

صفحـــة

المقالة السادسة والعشرون

في قولهِ ٦ ان المولود من اللحم لحمٌ هو * والمولود من الروح روحٌ هو ٥

ان ابن الله الوحيد . قد اهلنا لاسرار عظيمة جسيمة . لسنا موهّلين لها . لكنها لايقة بهِ ان يهبها * لان احدنا ان افتكر فيما نحن لهُ اهلٌ ايقن اننا لسنا عديمين فقط ان نكون موهّلين لموهبة البتة . لكننا مع ذلك مطالبون بتعذيبٍ وعقوبة * فان كان سيدنا ما نظر الى هذا . واستخلصنا ليس من تعذيبهِ فقط . لكنهُ وهب لنا مع ذلك حياةً ابلغ نوراً من الاولى بكثير * وارحلنا الى عالم آخر . وابدعنا ابداعاً آخر * لان بولس قد قال .. ان كان احدكم خلقة جديدة في المسيح " قرنثية ٢ ص ٥ ع ١٧ وان سالت وايما هي الخلقة الجديدة : اجبتك . اسمعهُ قايلاً .. ان مَن لم يولد من ماء وروح . ليس يقدر ان يدخل الى ملك الله " انهبطنا الى الارض من الفردوس . وما ظهرنا مستوجبين المقام هنالك . فاصعدنا الى السماء بعينها * في النعمة الاولى ما صودفنا ثقاة . فخوّلنا اعظم منها * ما امكننا ان ننقبض عن شجرةٍ واحدة . فوهب لنا النعيم العلوي * ما ثبتنا في الجنة . فطيّرنا الى السموات * فعلى جهة الواجب قال بولس .. يا لعمق ثروة الهنا وحكمتهِ ومعرفتهِ " رومية ص ١١ ع ٣٣ لن يوجد الان أمٌّ ولا المخاض طلق ايضاً . ولا نوم ومخالطة . ومعانقة اجسام . لكن الان ابداع طبيعتنا يُنسج فوق في العلو من الروح القدس والماء * فالماء يوخذ فيصير ولادة للمولود * لان ما هي الامُ للجنين . ذاك هو الماء للمعتمد * لان في الماء يُجبل ويصوَّر * لان الابداع قيل فيهِ .. لتخرج المياه دبابات نفوس حية " تكوين ص ١ ع ٢٠ ومنذ ارتكب سيدنا مجاري الاردن . افرغ الماء ليس دبابات نفوس حية . لكنهُ افرغ نفوساً ناطقة مشتملة الروح * والذي قيل في نعت الشمس .. انها كختن خارج من خدرهِ " مزمور ١٨ ع ٦ هذا قد اتجه لهُ وقت ان يقال في وصف المومنين اليق * لان نورهم قد ابدى شعاعاً . ابهج نوراً من الشمس بكثير * الا ان المخلوق من الاحشاء يحتاج زماناً . والمخلوق في الماء ليست هذه الحال حالهُ . لكن في لحظة واحدة تصير صنوف ابداعهِ كلها * لان الولادة التى حياتها بالية . وتحوى ابتداها من البلى الجسماني . يبطي المولود فيها * لان طبيعة الاجسام هذه الخاصة خاصتها . تتخذ الفعل التام في زمان * وفي الافعال

الروحانية . ليست الحال بهذه الصورة * وان سالت . وما حالها : آجبتك . ان المكونة منها تتكون تامة منذ ابتدائها * ولكن نيقوديمس اذ كان لما سمع هذه الاقوال بمداومة ارتجف * وابصر سيدنا كيف يفتح له معنى هذا السر الذي يمتنع وصفه . ويجعل له المعنى الغامض واضحًا * لانه قال له .. ان المولود من اللحم لحم هو والمولود من الروح روح هو " فجرده عن الاشياء المحسوسة كلها . وما تركه ان يستبحث بهذه الالفاظ فايدة سره * لانه قال له . يا نيقوديمس لسنا نخاطبك في وصف جسد . لكن في نعت روح * مع انه قد ارسله في هذا الكلام الى فوق * فلا تلتمس صنفًا من الاصناف المحسوسة * لان الروح ليس يظهر لهذه العيون * فلا تتوهم ان الروح يلد لحمًا * ولعل قايلاً يقول . فكيف ولد لحم ربنا فنجيبه ما ولد من روح فقط . لكن ومن لحم ايضًا * ولذلك اذ اوضح بولس هذا المعنى قال .. مولود من امراة . كاين تحت الشريعة * " غلاطيه ص ٤ ع ٤ وذلك ان الروح خلق اللحم . ليس مما لم يكن موجودًا * والا فلم احتيج الى المستودع : لكنه خلقه من لحم البتول * واما كيف خلقه : فلست اقدر اترجم ذلك * وهذا فكان حتى لا يتوهم متوهم ان المولود هو غريب من طبيعتنا * ولين كان هذا قد صار . وقد يوجد اناس ينكرون ولودته هذه . فلو لم يشارك لحم البتول . الى اي الحاد ما كان هولاء قد انهبطوا : .. فالمولود من الروح هو روح * " ارايت مرتبة الروح : لانه يستبين عاملاً اعمل الله * لانه قال في اعلا كلامه انهم من الله ولدوا . وقال هاهنا ان الروح يلدهم * لانه قال .. ان المولود من الروح هو روح * " وما يقوله هذا هو معناه من كان مولودًا من الروح . هو روحاني * لان الولادة هاهنا . ليس يعنى بها ولادة بذات الجوهر . لكنه انما يعنى بها الولادة بتكريم ونعمة * فان يكن الابن قد ولد هذه الولادة . فما الذي يتملكه اكثر من الناس المولودين من هذه الولادة : وكيف هو وحيد : لانني انا قد ولدت من الله * الا انني ما ولدت من جوهره * فان كان ليس هو من جوهره . فما الذي فضل به علينا في هذا الوجه : وسيوجد اذًا على هذه الجهة ادنى من ابيه * لان المولود الذي هذه حاله يتكون من نعمة الروح * افهل يحتاج الى المعونة من الروح حتى يثبت ابنًا : وما الذي قد انفصلت به هذه الاراء عن اراء اليهود : ولما قال المسيح لنيقوديمس . .. من كان مولودًا من الروح هو روح " * فاذ ابصره ايضًا مرتجفًا . عطف كلامه الى كلام محسوس * وقال هذا القول ٧ لا تستعجب انني قلت لك . .. انه ينبغي لكم . ان تولدوا من العلو " ٨ .. الروح يهب اينما تشاء " لانه بقوله لا تستعجب بين ارتجاف نفسه .

واقتادهُ الى شيء هو الطف الاجسام*لانهُ اقتادهُ من الولادات اللحمية بقولهِ .. مَن كان مولودًا من
الروح هو روح" واذ لم يعرف ما هو معنى .. مَن كان مولوداً من الروح هو روح" * بل ساق قولهِ
الى اكثف المعاني الجسمانية . ما اقتادهُ الى كثافة الاجسام . ولا خاطبهُ خطاباً خالصاً في وصف
الخايبة من اجسام ايضاً *لان ذلك الرجل ما اقتدر ان يسع كثيراً . لكنهُ وجد شياً اوسط فيما بين
الجسم والخايب من الجسم . وهو حركة الرياح . فصاعده من هذه الجهة*لانهُ في وصف الرياح قال ..
انك تسمع صوتها . لكنك ما قد عرفت من اين تجي. ولا الى اين تمضي" فاذا قال اينما تشاء تهبّ.
فما قال ذلك من طريق ان الرياح تمتلك اختياراً وعزماً * لكنهُ اعتمد بذلك الحركة التي من طبيعتها
الكاينة بسلطان . العادمة ان تكون ممنوعة*لان الكتاب من عادتهِ يفاوضنا على هذه الجهة في وصف
الاشيا الخايبة من نفوس *على نحو ما يقول الرسول .. لان الخليقة خضعت للضلالة . ليست مختارة
ذلك*" رومية ص ٨ عد ٢٠ فقولهِ .. اينما تشاء تهبّ" هو قول موضح عدم انضباطها * وانها
مندفقة في كل مكان . وليس مانع يمنعها ان تندفع الى هذه الجهة والى تلك الناحية* لكنها تتشعب
وتنبث بسلطان كثير* وليس يقدر مقتدر. ان يعكس حركتها * فقال تسمع صوتها الذي هو هفيفها
ووجبتها . لكنك ما قد عرفت من اين تجي. ولا الى اين تمضي* كذلك هو كل مولود من الروح*ههنا
هي النتيجة كلها*لانهُ قال ان كانت هذه الرياح التي تسلم حسها بسمعك ولمسك . ما قد عرفت ان
تترجم نهضتها . ولا طريقها. فكيف تستبحث عن الفعل من الروح الالهي. وما قد عرفت فعل الرياح.
على انك قد سمعت صوتها . وقولهُ .. اينما يشا يهبّ" فانما قيل ايضاً لايضاح سلطان الروح المعزي *
لان هذه الرياح ان كانت ليس يضبطها ضابط . لكنها تندفع اينما شاءت. ففعل الروح القدس اولى
والیق . ان لا يقدر ان تضبطه شرايع طبيعة ولا حدود ولادة جسمانية . ولا صنف آخر من هذه
الاصناف وامثالها *والدليل على انهُ في ذكر الرياح . قيل تسمع صوتها . فواضح من هنالك . لانهُ ما
خاطب كافراً ليس عارفاً فعل الروح*فقال يسمع صوته * فكما ان الرياح ما تستبين على انها تبدي
صوتها . فكذلك ولا ولادة الروحاني تستبين لعيني جسدنا . على ان الرياح جسم. وان كان الطف
الاجسام*لان ما كان واقعاً تحت حسنا . فهو جسم*فان يكن هذا الجسم ما تستصعب انك ما تبصرهُ .
ولا تنكرهُ لهذا السبب . فما بالك تدوخ . اذا سمعت ذكر الروح . وتحير . وتطالب باجوبة جزيل

تقديرها . وما تعمل هذا العمل في جسم : فان سالت وما الذي قال نيقوديمس : اجبتك . انه ثبت ايضاً
في الحقارة اليهودية . بعد ان قبل له مثال واضح على هذه الصفة * وقال ٩ .. كيف يمكن ان تكون هذه
الافعال :" فبسبب اقواله هذه خوطب خطاباً الذع من غيره ١٠ .. انت هو معلم اسرايل وما تعرف
هذه المعاني" فما ثلب من الرجل بجهة من الجهات خبثاً . لكن اليق ما يقال انه ثلب غباوته وركاكته *
ولعل قايلاً يقول . وهذه الولادة ما الذي تملكه مشاعاً بينها وبين الولادات اليهودية : فاقول له . وما
الذي ما تحتويه مشاعاً . قل لي : لان حين تكون انسان اول . والامراة المتكونة من ضلعه . والعواقر .
والبرايا كلها . المتكونة بالمياة * وما حدث في العين التي منها انتشل اليشع حديدة الفاس * وما جرى
في البحر الاحمر الذي سلكه اليهود * وما حدث في البركة التي حركها الملاك * وما صار في نعمان السرياني
المتطهر في الاردن * فهذه كلها سبقت واذاعت الولادة والتطهير المتنظر كونه * كانها في رسم * والاقوال
التي قيلت من الانبياء . ذكرت حال الولادة هذا ذكراً غامضاً * لان داود قال .. سيخبر بالرب الجيل
الوارد . ويتواصفون عدله عند الشعب المولود . الذي صنعه الرب" مزمور ١٢ع ٣١ وقوله .. ستجدد
حداثتك . كتجدد النسر . مزمور ١٠٣ ع ٥ وقوله ايضاً مغبوطون الذين غفرت لهم زيغاتهم عن شريعتك *"
مزمور ٣٢ع ١ وقول نبي اخر .. استنيري يا اورشليم . ها ملكك يا تيك *" اشعيا ٦٠ عدد ١ واسحق فقد
كان رسماً لهذه الولادة * لان قل لنا يا نيقوديمس . كيف ولد ذاك . هل ولد بشريعة الطبيعة : لم يكن
ذلك بجهة من الجهات البتة * لكن الفرق بين حال هذه الولادة . وبين تلك . ولادة اسحق هذا كانت .
ان المولود من تلك كان بمخالطة * والذي يولد من هذه ليس هو من دم * وهذه الاصناف فما سبقت
واذاعت هذه الولادة فقط . لكنها قد اذاعت ايضاً الولادة من البتول * لان اذا كان ليس متيسراً ان
يصدق احدنا ان بتولاً تلد . سبقها عواقر فولدن * ثم لم يكن عواقر فقط . لكنهن كن مع ذلك عجايز
هرمات * مع ان كون امراة من ضلع اعجب كثيراً من ولودة من عاقر * ولكن اذ كان كون حوا قديماً
عتيقاً . تكون ايضاً حال جديد محدث . وهو حال العواقر . مطرقاً لتصديق طلق المبتول * فلما ذكره
بهذه الاصناف قال .. انت هو معلم اسرايل . وما تعرف هذه المعاني : " ١١ .. ما قد عرفناه . نقوله * وما
قد رايناه . نشهد به * وليس يقتبل احد شهادتنا * " فهذه الالفاظ قالها . جاعلاً ايضاً كلامه من جهة
اخرى . موهلاً لتصديقه * متعدراً في لفظه لضعف ذلك الانسان * فلهذا الغرض قال .. ما قد رايناه

نشهد به * " لان اذا البصر عندنا هو اصدق من الحواس الاخرى . واذا شئنا ان نحقق شيًا . قلنا هذا القول . اننا قدرايناهُ باعيننا * لهذا الغرض خاطبه المسيح خطاباً اقرب الى الانسانية . محققاً في هذا المعنى كلامهُ * والبرهان على انهُ اراد يبين هذا المعنى . وما اعتمد معنى غيره . ولا اظهر بصراً محسوساً * فواضح من تلك الجهة * لانهُ اذ قال .. مَن كان مولوداً من اللحم فهو لحم * ومَن كان مولوداً من الروح . هو روح * " استثنى بان قال .. ما قد عرفناهُ نتكلم بهِ * وما قد رايناهُ . نشهد بهِ * " وهذا الفعل فما كان بعد متكوناً . فكيف قال .. ما قد رايناهُ : " او ليس واضحاً انهُ انما قال هذا في ذكر معرفته البليغة الحاوية العلم . ليس على جهة اخرى : قال .. وليس يقبل احدٌ شهادتنا * " فقولهُ .. ما قد عرفناهُ . " اما يكون قالهُ من اجل ذاته ومن اجل ابيهِ : واما يكون قالهُ من اجل ذاتهِ فقط * وقولهُ .. وليس يقبلها احدٌ " . فليس هو قول مستثقل ذلك . لكنهُ قول مخبر بالحادث منهم * لانهُ ما قال . ماذا يكون اقل حساً منكم . الذين ما قد قبلتم ما قد اخبرناكم بهِ على هذه الجهة بابلغ استقصاء : لكنهُ اوضح بافعالهِ وبالفاظهِ الدعة كلها . فما نطق بلفظ من هذه الالفاظ * واذاع العارض الذي عرض في الخطاب بابلغ الوداعة واوفر الرفق واللطف . مصاعداً ايانا الى الوداعة كلها . ومودباً ايانا اذا خاطبنا اناساً ولم يصاغوا الى القول منا . ان لا نستصعب ذلك منهم . ولا نتنمَّر عليهم * لان تنمرنا ليس من عادته ان يخرج مَن يستصعب كلامنا الى قبولهِ * لكن اليق بهِ ان يجعلهُ اعدم قبولاً واذعاناً * فلهذا السبب نحتاج ان نجتنب النيظ . وان نجعل كلامنا من هذه الجهة . موهلاً لتصديقهِ وقبولهِ : ليس بان لا نغتاظ فقط . لكن وباجتنابنا الصياح ايضاً . لان الصياح مادة النيظ والغضب

العظة السادسة والعشرون

طعن على الذين يغتاظون * وانهُ ينبغي لنا ان نتكلم ليس بصياح . لكن بسكون * فلنشكلنَّ الفرس ليهبط الفارس . ولنقطعنَّ اجنحة الغضب . فما يرتفع ايضاً فعله الردي الى فوق * لان النيظ داءٌ حادٌّ شديد ردي يسترق نفوسنا * فلذلك يجب علينا ان نسدَّ من كل جهة مدخله الينا * لان منكراً علينا ان نقتدر ان نونس الوحش . ونغفل عن سريرتنا متنمرةً * فالغضب هو نار



شديدة. ويجعلنا مكروهين. مستقبحاً النظر الينا * ولو كان ممكناً ان يوجد المغتاظ واضحاً عند ذاته. في وقت اغتياظه. لما كان يحتاج الى عظة اخرى * لان ليس يكون اعدم جمالاً من وجه مغتاظ * فالغيظ هو سكر * واليق ما يقال انه اردى من السكر. واقل ترثياً من شيطان * لكننا اذا تدربنا بان لا نصيح. سنجد للفلسفة طريقاً فاضلة * فلذلك بطّل بولس الصياح مع الغيظ. اذ كتب قايلاً " كل غيظ وصياح فلينزع منكم * " فلنتبلن من معلم كل فلسفة * واذا اغتظنا على غلماننا. فلنخطر بوهمنا خطايانا * ولنخجلن من دعة اوليك * لانك اذا كنت انت تشتم غلامك. ويحتمل ذاك مسبتك بصمته. فانت تفتضح. وذلك يتفلسف * فاقتبل احتماله اياك عوض كل وعظ وتنبيه * لانه وان كان عبداً لك. لكنه انسان حاوٍ نفساً قد عدمت ان تكون مايتة. وقد اكرمه واكرمك سيدنا الشايع بمواهب واحدة باعيانها * فان كان عديلاً لنا في المواهب الاعظم قدراً والاكثر روحانية. ولاجل سمو انساني حقير صغير يحتمل الشتايم الصادرة منا هكذا بوداعة. فلاي معنى نوجد مؤهلين. ولاي اعتذار نحن الذين ما يمكنا ان نتفلسف لاجل خوف الله. واولى ما يقال الذين ما نريد ان نحتمل كما يحتمل غلامنا من اجل خوفنا. فاذا افتكرنا في هذه الاقوال كلها. وتفطنا في خطايانا. وفي حال طبيعة الناس المشتركة. فلنتدرب بان نتكلم في كل مكان بسكون * لنكون متواضعين في قلبنا. فنجد الراحة في نفوسنا الحاضرة والمامولة * التي فليتفق لنا كلنا امتلاكها. بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه. الذي معه لابيه مع الروح القدس المجد والكرامة * الى اباد الدهور كلها امين

المقالة السابعة والعشرون

في قوله (١٢) ان كنت قلت لكم الافعال الارضية. فما صدقتموها. فكيف اذا قلت لكم الافعال السمائية تصدقونها: (١٣) وما صعد احد الى السماء. الا الذي نزل من السماء. ابن الانسان الذي لم يزل في السماء *

ما كنت قد قلته دفعات شتى. هذا اقوله الان * ولست اكف قايلاً اياه * وان سالت ما هو هذا: اجيبك ان يسوع التزم ان ينشي اراء عالية. فضبط ذاته في اوقات كثيرة. لاجل ضعف سامعيه. وليس يثبت في الاقوال الموهلة لعظمته ثبوتاً متصلاً. لكنه يثبت اكثر في الاقوال الحاوية تحدراً

وتقاربا *لان القول الرفيع العظيم السامي الذي قيل دفعةً · فيهِ كفاية ان يبيّن رتبته تلك الشريفة · على حدو ما يمكن عندنا استماعه * والاقوال الاذلّ من غيرها · القريبة من تمييز سامعيها · لو لم يتكلم بها بمداومة · لما كان السامع الجانح الى الاوهام الارضية · ضبط تلك الاقوال العالي محلها سريعاً * ولهذا الغرض قال اكثر اقواله اذلّ لفظاً من الاقوال العالي محلها *لكن لكيلا يولد هذا القول ضرراً آخر · اذا ضبط تلميذهُ اسفل ايضاً · ما وضع الاقوال الاوفر تواضعاً على بسيط ذات وضعها · لو لم يقل اولاً العلة التي لاجلها يقول هذه الاقوال * وهذا العمل فقد عمله هنا *لانهُ لما قال في ذكر المعمودية ما قالهُ · وفي وصف المولد بالنعمة الكاين في الارض *اراد ان يصف مولدهُ ذاك الذي يغتاص وصفهُ ويُمتنع ان يُباح بهِ · فما ذكرهُ *وذكر العلة التي لاجلها ما وصفهُ *وهي كثافة فهم سامعيهِ وضعفهم *وذكرها ذكراً غامضاً · وقال · · ان كنت قد قلت لكم الافعال الارضية · فما صدقتموها · فكيف اذا قلت لكم الافعال السمائية تصدقونها : فيجب من ذلك · انهُ انما قال لفظاً ذليلاً خفيفاً · فينبغي ان تحسب ذلك لضعف سامعيهِ * والافعال الارضية هنا · فقد قال قايلون · انها انما قيلت من اجل الرياح * ومعناها هو ان كنت انشات لكم مثالاً من الاشيا الارضية فما ايقنتم ولا على هذه الجهة · فكيف يمكنكم ان تعرفوا ما هو اعلى من هذه قدراً : وان دعا المعمودية هنا ارضية · فاما ان يكون لموضع انها تتم في الارض · واما يكون سماها ارضية · على نحو مقايستها بولادته تلك المريعة * لان هذه الولادة وان كانت سمائية · لكنها بمقايستها بتلك الصادقة الموجودة من جوهر ابيه يوجد ارضية *وما قال وما فهمتموها · لكنهُ قال وما صدقتموها *لان اذا استصعب احدنا تلك الاقوال التي ينساغ لهُ ان يقبلها بعقلهِ · ولم يتقبلها اقتبالاً سهلاً · فعلى جهة الواجب يشكي منهُ الغباوة *واذا لم يتقبل تلك الاقوال التي ما يتجه لهُ ان يتقبلها بفكرهِ · وانما يتقبل الامانة والتصديق وحدهُ · فيوجد ذللهُ ليس من غباوتهِ : لكن من زوال تصديقهِ *واذا دفع ما قد قيل ولم يستبحث عنهُ بافكارهِ · ونكثه اشد نكثاً · فيشكي منهُ زوال تصديقهِ *فان كانت ولادتنا تحتاج ان نتقبل بتصديق · فلاي تعذيب يكونون موهلين · الذين يستبحثون عن ولادة الوحيد بافكارهم : ولكن لعل قايلاً يقول · فلم قيلت هذه الاقوال الارضية · ان كان سامعوها ما اذعنوا ان يصدقوها : نقول لهُ · ان كان اوليك الذين سمعوها ما صدقوها · لكن الكاينين بعدهم اعتزموا ان يقبلوها ويربحوا فوايدها *ولما لذعهُ اشد

لذعاً. يبين له انه ما قد عرف هذه الاصناف فقط. لكنه ايضاً عارف اسراراً اخر اكثر من هذه واعظم قدراً بكثير * وهذا المعنى فقد اوضحه باللفظ الذي يتلوه. اذ قال هذا القول ,, وما صعد احد الى السماء. الا من انحدر من السماء * ابن الانسان الموجود دايماً في السماء * " وان قلت واي نظام ينظم هذا بما قبله: اجبتك. انه منتظم بالاقوال التي قبله انتظاماً عظيماً جداً * لان نيقوديمس اذ قال ,, اننا قد عرفنا انك من عند الله جيتنا معلماً. " تلافى ربنا هذا القول بعينه * فقارب ان يكون قد قال له. لا تظن انني اوجد على هذا المثال معلماً مثل الكثيرين من الانبياء الموجودين من الارض. لكنني من السماء قد حضرت الان * لان ولا واحداً من الانبياء صعد الى هنالك. وانا مقيم هنالك * أعرفت كيف القول الذي يظن ذاك انه عالٍ جداً. يوجد عديماً ان يكون اهلاً لعظمته جداً: لان ليس هو في السماء فقط لكنه حاضر في كل مكان مالي براياه كلها * لكنه يتكلم ايضاً هذا الكلام نحو ضعف سامعيه. مريداً ان يصاعده مهلاً مهلاً * ومعنى ابن الانسان هنا. فما سمى جسمه ابن الانسان. لكنه الان سمى ذاته كلها * حتى اقول هذا القول. من الجوهر الادنى * لان هذه عادة له. ان يدعو ذاته كلها من لاهوته احياناً. ومن ناسوته احياناً ثم قال (١٤) ,, مثلما رفع موسى الحية في البرية. فكذلك يجب ان يرفع ابن الانسان * " وهذا القول ايضاً يظن انه منفسخ من الاقوال التي تقدمته. وهو يملك الاتفاق معها كثيراً * لانه لما ذكر الاحسان الجسيم مثله الواصل الى الناس بالمعمودية. استثنى بذكر علته التي بالصليب. التي هي ليست بدونه * على نحو ما خاطب بولس أهل مدينة قورنتيه. فذكر هذه الاحسانات معاً. اذ قال هذا القول ,, العل بولس صُلِبَ عنكم: ام باسم بولس اصطبغتم: " قرنتية اولى (ص ١ ع ١٣) فهذان الصنفان اكثر من صنوف احساناته كلها ابانا محبته التي يقتاص الكلام بها * انه تالم من اجل اعدايه. وانه مات عن مبغضيه. ووهب لهم بالمعمودية اغتفار خطاياهم كاملاً * ولعلك تستخبر فلاي غرض. لم يقل مقالاً واضحاً. انني سوف أُصلب. لكنه ارسل سامعيه الى رسم قديم: فنقول لك. اولاً لتعرفوا ان الاقوال العتيقة مناسبة للجديدة. وان تلك ليست غريبة من هذه * وبعد ذلك لتعرف انه يجي الى التالم ليس كارهاً * ومع هذين الصنفين. لتعلم انه ما يتكون له من هذا الفعل ضرر. ويتكون لكثيرين من هذه الجهة خلاصهم * لان حتى لا يقول قايل. وكيف يمكنهم ان يتخلصوا اذا آمنوا بالمصلوب. اذا كان هو قد ضبطه الموت: فاقتادنا الى

الخير القديم*لان اليهود اذا كانوا لما نظروا الى حية من نحاس انفلتوا من الموت فاولى والبق بالذين آمنوا بالمصلوب ان يستمتعوا على جهة الواجب باحسان اعظم من ذلك كثيراً*لان هذا الصليب ما صار لاجل ضعف المصلوب ولا بسبب قهر اليهود له لكنه انما صار لان الهنا احب العالم* ولهذا السبب صلب هيكله ذو النفس*ثم قال ١٥ ..لكي لا يهلك كل من يومن به لكنه يملك حياة دهرية*"ارايت علة الصلب والخلاص الصاير منه: ارايت مناسبة الرسم للحق: هنالك انفلت اليهود من موتهم وههنا يتخلص المومنون بالمسيح من الموت الدهري*هناك حية معلقة شفت لذع الحيات وههنا شفي يسوع المصلوب جراحات التنين العقلي*هنالك شفي الناظر بعينيه الحسية الى الحية وههنا يطرح الناظر الى المصلوب بالحاظ تمييزه كافة خطاياه*هنالك كان الصنف المعلق نحاساً ممثلاً بشكل حية وههنا فالمعلق هو جسد سيدنا الذي ابدعه الروح* الحية لسعت هنالك وحية شفت لذعها*فكذلك ههنا الموت اهلكنا والموت خلصنا*الا ان الحية التي اهلكت امتلكت سماً والحية التي خلصت كانت نقية من السم* وهذا الحادث بعينه حدث ههنا *لان الموت الذي اهلكنا امتلك خطية مثل ما حوت الحية سماً وموت سيدنا استخلصنا من خطيتنا كلها كما استخلصت حية النحاس الملسوعين من السم*لانه قال.. ما اقترف خطية ولا صودف في فيه غش*" بطرس ١ ص ٢ ع ٢٢ وهذا الذي ذكره بولس... انه عرّى الرياسات والسلطات وشهرهم في مجاهرته اذ افضحهم في ذاته*" كولوصايس ص ٢ ع ١٥ لانه بمنزلة مجاهد جليد اذا رفع من كان يجاهد الى موضع متعالٍ وطرحه ومذفه اظهر قهره اياه ابهى فعلاً * فكذلك فعل المسيح بمشهد المسكونة كلها ومعاينة اهلها اهبط قوات عدونا الضدية واستخلصها*لما علق في صليبه الوحوش العقلية كلها*الا انه ما قال يجب ان يعلق لكنه قال يجب ان يرفع*فوضع اللفظة التي يظن انها ذايعة عند سامعيها اكثر من غيرها وانها اقرب من الرسم * ١٦ وقال.. لان هكذا احب الله العالم حتى انه بذل ابنه الوحيد لكي كل من يومن به لا يهلك*لكن يحوي حيوة دهرية*" فما قوله هذا هو معناه لا تستعجب انني سأرفع لتخلصوا انتم فان هذا الراي يرتايه ابي وهو قد احبكم هذا الحب حتى انه يبذل ابنه عن عبيده الزايل حفاظهم*على ان احدكم ما كان يعمل هذا العمل ولا من اجل صديقه ولا من اجل انسان عدل بمسارعة*وهذا المعنى فاذ اوضحه بولس قال:

.. لان بجهد وتكلف يموت احد الناس عن انسانٍ عادلٍ " رومية ص٥ ع ٧ الاّ ان الرسول اذ
خاطب اناساً مومنين جعل كلامه اوسع لفظاً . والمسيح هنا اذ كان كلامه لنيقوديمس جعل
قولهُ مختصراً * الاّ انه ابين وضوحاً . لان كل لفظة من قوله تحوي بياناً كثيراً * لان قولهُ .. هذ
الحب .." وقولهُ .. احبَّ الله العالم .." بيّن زيادة الحب انها كثيرة * لان الفرق في ذلك كان عظيماً .
قد عدم ان يكون مخبوراً * لان العادم ان يكون ميتاً . الفاقد ان يكون مبتدياً . ذا العظمة المدية
ان يوصل الى غايتها . احب الكاينين من ارضٍ ورمادٍ . المملوين خطايا جزيل عددها . المصادمين
خالقهم في كل حين من زمانهم . القليل حفاظهم * والالفاظ التي بعد هذه تشبه تلك موضحة ايضاً ودهُ .
التي نتلو هذه * وهي .. لانه بذل ابنهُ الوحيد * " وما بذل عبداً ولا ملاكاً ولا رئيس ملايكة * مع
ان ما اظهر احد الناس حرصاً هذا مقداره في تكريم ابنهِ . بمقدار ما اظهر الله في تكريم عبيدهِ القليل
حفاظهم * وتالّهُ فما جعله بلفظٍ عرىٍ جداً . لكنهُ وضعهُ مستوراً * والفايدة من تالهِ فاوردها بابين
اللفظ . اذ قال هذا القول * .. كل من يومن بهِ لا يهلك * لكي يمتلك حيوةً دهرية * " لانهُ لما قال
يجب ان يرفع . وذكر موته ذكراً غامضاً . فحتى لايصير سامعهُ من هذه الالفاظ مكتيباً . متوهماً فيها
توهماً اقرب الى الانسانية . ظاناً ان موته يكون ذوال وجودهِ . تامّل كيف تلافى هذا الظن بقوله .
ان المبذول هو ابن الله . وانهُ علّة الحيوة . اي الحيوة الدهرية * وما كان الواهب للاخرين حياة
بموته يتهيا ان يوجد هو في الموت دايماً * لان ان كان الذين يومنون بالمصلوب ما يهلكون . فاولى بهِ
هو والبق . اذا صلب . ان لا يهلك * لان الذي اذال عن آخرين هلاكهم . فالبق بهِ واوجب ان
يتخلص من الهلاك * ومن يمنح الاخرين حياةً . فاولى به والبق ان يفيض حياةً * اراءيت ان
الحاجة في كل مكان الى الامانة : لانه قال ان الصليب يوجد عين حيوة * وهذا القول فليس
يتقبله فكر اقتبالاً سهلاً * ويشهد بذلك ايضاً الاوثانيون الذين يتضاحكون عليهِ الان * الاّ ان
الامانة المتجاوزة ضعف الافكار اقتبلتهُ اقتبالاً سهلاً . وتمسكت بهِ * وان تاملت فمن اية جهة احب
الله العالم : اجبتك . ما احبهُ من جهةٍ من الجهات الاخرى . الاّ من جهة صلاحهِ وحدهُ

العظه السابعة والعشرون

في حب المساكين

فسبيلنا ان نستحي من حبه · وان نخجل من افراط تعطفه · لانهُ هو ما شفق على وحيده من اجلنا · ونحن نشفق على اموالنا من اجل ذواتنا * هو بذل ابنه الخاص من اجلنا · ونحن فما نتهاون بدرهم من اجله · ولا من اجلنا * فكيف تكون افعالنا هذه موهلة لعفوه : فلو راينا انساناً محتملاً من اجلنا شدايد واخطاراً وميتات · لفضلناهُ على جميع الناس · وحسبناهُ في اوايل اصدقاينا · وفوضنا اليه احوالنا كلها · وقلنا ان الاوجب ان تكون املاكنا لهُ · وما نحتسب على هذه الجهة اننا قد منحناهُ مجازاة موهلة لهُ البتة * والمسيح فما نحفظ لهُ هذا المقدار من الموالاه والمحافظة : لكنهُ هو بذل نفسه عنا · واراق دمهُ الكريم لاجلنا نحن الذين ما صرنا نصوحين ولا صالحين · ونحن فما نبدد اموالنا من اجل انفسنا · لكننا نتغافل عنهُ عارياً مماتاً من اجلنا * فمن ينقذنا من التعذيب المنتظر كونه : وان لم يعذبنا الله فنحن نعذب ذواتنا · افهل لسنا نحكم على انفسنا بنار جهنم · اذا اعرضنا عمن بذل نفسهُ عنا ذايباً بالجوع : وما معنى ذكري اموالاً نبذلها : لاننا لو امتلكنا نفوسنا جزيلاً عددها · لوجب علينا ان نبذلها كلها من اجله * مع اننا ولا على هذا الحال نكون قد عملنا عملاً موازياً لاحسانه * لان المحسن احساناً ابتدى به اولاً · فقد اوضح خيريتهُ ظاهرة * ومن قد احسن اليه فمهما جازى به فانما يكون قد قضى ديناً · وما قد اسدى منةً * ولا سيما اذا كان من قد ابتدى بالاحسان محسناً الى اعدايه · وكان من يجازيه انما يسدى منحةً الى من قد احسن اليه · وهو يحصلها ايضاً * الا ان هذه الاقوال ما تجتذبنا · لكننا اقل وفاءً وحفاظاً من جميع الناس · اذ نجمل القلايد من الذهب على عبيدنا · وعلى بغلاتنا · وعلى خيلنا * ونتغافل عن سيدنا جايعاً عارياً · طايفاً مستبدلاً باباً من باب · واقفاً عند منافذ الطرقات دايماً · يمد يديه الينا متوسلاً * وطالما نظرنا اليه بعين قاسية * على انهُ لاجلنا يصطبر على هذه الحال بعينها · لانهُ يجوع بالتذاذ ليطعمك · وينعمك من خيرات ملكه · ويطوف عارياً ليهب لك سبب لبوس ذوال البلى · الا انكم ما تجودون عليه على هذا الحال بشي من الاشيا التي لكم * لكن ثيابكم بعضها يكون ماكلاً للسوس · وبعضها يكون للذين يستقنونها

حشوا لصناديقهم. وهمّا زايداً لهم. والذي اعطاهم هذه الثياب وغيرها من نعمه يجول عارياً * وربما تكونون ما خزنتموها في صناديقكم. لكنكم لبستموها انتم وتزينتم بها * وما الذي يحصل لكم منها من فايدة اكثر: هل فايدتكم هي ان يبصركم جماعة اهل السوق: وما هي هذه الفايدة: لانهم ما يستعجبون المتوشح بها. لكنهم انما يستعجبون من يهبها للمحتاجين * فمن هذه الجهة ان شيت ان تستعجب. فلبّسها لاناس آخرين. فتستمع بمدايح جزيل عددها. وحينيذٍ يمدحك الله مع الناس * واذا لبستها انت فليس يمدحك ولا واحد لكن جميع الذين يبصرونك يحسدونك: اذا ابصروا جسمك مزيناً ما لكن لنفسك قد اشتمل التواني عليها * فهذه الزينة قد توجد عند نسوة ذانيات * فطالما توجد عندهم ثياب جزيلة اثمانها. ابهى حسناً من غيرها * وزينة النفس انما توجد عند العايشين في الفضيلة فقط * هذه الاقوال انا اكرر ذكرها. ولست اكف عن التكلم بها * ليس مهتماً بالفقرا على هذا المثال. مثل اهتمامي بنفوسكم * لان اوليك سيكون لهم سلواً. وان لم يكن من جهتنا. لكنه يكون من جهة اخرى * وان لم يكن لهم تعزية. لكنهم يذوبون بجوعهم ويهلكون. فعارض الخسارة لهم ليس هو عارضاً عظيماً * لان ماذا صار للعاذر فقره وجوعه وضناه. اليس سبباً للسكنى في الحضن الابراهيمية: وانتم فليس ينقذكم منقذ من جهنم ان لم تنفق لكم المعونة من الفقرا والمساكين * لكننا نقول اقوال ذاك الغني باعيانها المتقلي تقلباً دايماً. الذي لم يتفق لهُ صنف من تعزية * لكن لا كان يسمع احدكم تلك الاقوال في وقت من الاوقات. لكن فليحصل لكم ان تذهبوا الى حضن ابراهيم بنعمة يسوع المسيح ربنا وتعطفه * الذي بهِ ومعه لابيه المجد مع الروح القدس * الى اباد الدهور كلها آمين

المقالة الثامنة والعشرون

في قولهِ ١٧ لان الله ما ارسل ابنهُ ليدين العالم. لكن ليخلص العالم

ان الكثيرين من الاوفرين ونيةً من غيرهم * يستعملون تعطف الله لجسامة خطاياهم ولافراط تصحيحهم. فيقولون هذه الالفاظ. ما توجد جهنم. ولا توجد عقوبة. والله قد غفر لنا كافة خطايانا * وهو يغضي لنا عنها * فهولاء قد اطبق افواههم رجل حكيم وقال: .. لا تقولنَّ ان رأفة جزيلة. وهو يمحو كثرة خطاياي *" سيراخ ص ٥ ع ٩ .. فان عندهُ رحمة وسخطاً * فعلى البايين تحلّ رحمته. وعلى

الخاطين يستقر غضبه* وكما ان رحمته جزيلة · فكذلك توبيخه عظيم *" سيراخ ص ١٦ ع ١٢ فاين اقسام تعطفه · ان كنا لانختص ما يكون موهلاً لخطايانا : والدليل على اننا سنختص ما يكون موهلاً لجرايمنا · اسمع النبي والرسول يوضحانه بقولهما · فالنبي قال* .. انك انت تكافي كل احدٍ نظير اعماله* " مزمور ٦١ ع ١٢ وبولس قال · .. هو الذي يكافي كل احدٍ نظير اعماله* " والبرهان على ان تعطف الله كثير على هذه الجهة . فذلك واضح من ههنا* لان الله قسم احوالنا الى دهرين لحياتنا* وهما عيشتنا الحاضرة والمنتظرة* وجعل العيشة الواحدة في ترتيب جهادات وجعل العيشة الاخرى موجودة في اكلة وتاجات · فاوضح في هذا الوجه تعطفه كثيراً* وان سألت كيف ذلك : وباي حال : اجبتك · قد اجترمنا خطايا كثيرة صعبة · ولم ننكف منذ حداثتنا الى اقصى شيخوختنا · من ان نوسخ نفوسنا بافعال جزيل عددها · فما طالبنا بحجج ولا عن صنفٍ واحد من خطايانا · لكنه خولنا صفحاً لها بجميم اعادة ولادتنا · ووهب لنا عدلاً وقداسة* فما الذي يقوله الموهل منذ سنة الاولى للسرايز وبعد ذلك قد اخطاء خطايا جزيلاً عددها : وهذا فموهل لتعذيب اعظم من غيره* لان خطايا هي هي باعيانها · ما نعاقب عليها عقوبات هي هي باعيانها . لكننا نعذب لاجلها تعاذيب اصعب من غيرها كثيراً . اذا ما اخطانا بعد ان نكون قد استودعنا سر الامانة* ويبين ذلك بولس اذ يقول هذا القول · .. اذا خالف مخالف شريعة موسى بحضرة شاهدين او ثلثة · يمات خلواً من رافت* فكم تظنون يوهل لتعذيبٍ اشر من قد نوطا دم ابن الله · اذ احتسب دم عهده نجساً · وشتم نعمة روحه : " عبرانيين ص ١ ع ٢٨ و ٢٩ فمن هذه الحال حاله يكون موهلاً لتعذيب اعظم* ولكنه مع ذلك قد فتح لهذا باب توبة · وخوله ان ينسل ذنوبه التي اجترمها باصناف كثيرة* فتفطن في هذه الافعال سيمات تعطفه العظيم مقدارها · اعني انه اغضى عن خطايانا بنعمته · وبعد نعمته لم يعاقب من قد اخطاء بعدها وحصل موهلاً للعقوبة · لكنه يعطيه وقتاً وتاجيلاً للاعتذار* فمن اجل هذه كلها قال المسيح لنيقوديمس · .. ما ارسل الله ابنه ليدين العالم · لكن ليخلص العالم* " يوحنا ص ٣ ع ١٧ لان للمسيح ورودين* احدهما الكاين فيما سلف · والاخر هو المنتظر* والوردان فما صارا لاغراض واحدة بعينها · لكن ورودة الاول صار ليس ليفحص عن الافعال المفعولة منا · لكن

ليغضي لنا عنها* وورودهُ الثاني يصير ليس ليصفح لنا عن جرايمنا. لكن ليفحص عنها* ولهذا الغرض قال في وصف مجيهِ الاول. .. ما جيت لادين العالم. لكنني جيت لاخلص العالم* " وقال في ذكر مجيهِ الثاني. .. اذا جاء ابن الانسان في مجد ابيهِ. يوقف الغنم عن ميامنهِ. والجداء عن مياسرهِ* " والامثال الاخرى التي فانها تناسب هذه الالفاظ *مع ان ورودهُ الاول قد كان ورود محاكمة على معنى عدلهِ * فان قلت ولم ذلك: اجبتك. لان قبل ورودهِ. قد كانت شريعة طبيعية وانبياء. وشريعة مكتوبة ايضًا. وتعاليم ومواعيد جزيلٌ عددها. وظهورات ايات. وعقوبات وتعاذيب. واصناف غير هذه متلافية*وقد كان واجبًا ان يطالب بحجج عن هذه كلها* لكنهُ اذ لم يزل متعطفاً. لم يصنع فحصًا عن هذه*لكنهُ منح غفرانًا لها* والا فلو كان فعل هذا الفعل. لكنا قد خطفنا بغتةً*لان الرسول قد قال. .. ان الناس كلهم اخطاوا. وا عدموا مجد الله* "روميه ص٣ ع ٢٣ اعرفت افراط تعطفهُ الذي لا يوصف: ثم قال ١٨ .. من يومن بالابن ليس يُحاكم. ومن لم يومن بهِ فقد حُكم عليهِ فيما سلف* " ولعلك تقول. فان كان ما جاء الى هذا الغرض ليدين العالم. فكيف من لم يومن بهِ فقد حُكم عليه فيما سلف. اذ كان لم يحضر بعد اوان المحاكمة: فنجيبك. يجوز ان يكون قد قصد هذا القصد. ان اجتناب الايمان بهِ هو عذاب خالٍ من توبة* لان وجود صاحبهِ خارج الضوء. يحوي فيهِ التعذيب عظيمًا* او لعلهُ يتقدم فيذيع ما يكون مستانفًا* وكما ان القاتل. وان لم يحكم عليه بقضية القاضي. فقد حُكم عليه بطبيعة فعلهِ*وكذلك من قد عدم ان يكون مومنًا. فقد حكم عليهِ بطبيعة انكارهِ وكفرهِ * اذ كان ادم قد مات في اليوم الذي اكل من الشجرة* لان القضية عليهِ حوت هذا الحكم. القايلة .. في اليوم الذي فيهِ تاكلان من الشجرة تموتان* " على انهُ قد عاش. كيف مات: نقول انهُ مات بالقضية عليهِ. وبطبيعة فعل معصيتهِ* لان من قد جعل ذاتهُ مطالبًا بالعقوبة. فهو تحت العقوبة. وان لم يعاقب بالفعل عاجلًا* لكنهُ قد عوقب بالقضية*لان حتى لا اذا سمع سامع .. انني ما جيت لادين العالم " يظن انهُ اذا اخطى يكون ناجيًا من العقوبة. ويصير اشد مما كان في التواني. ردّ الرب هذا الظن بقولهِ. انهُ قد عوقب فيما سلف*لان المداينة اذ كانت ما مولة وليست حاضرة. اقتاد خوف العقوبة. وبيّن التعذيب انه قد كان*وهذا القول بعينهِ هو من تعطف كثير. انهُ ما بذل ابنهُ فقط. لكنهُ يوخر مع ذلك وقت

المدا ينة * حتى يصير للخاطيين وللكافرين سلطان ان يغسلوا الذنوب التي اجترموها * قال .. من يومن بالابن ليس بحكم عليه .. من يومن به قال ليس من يستبحث عنه * من يومن به ليس من يفتش عليه * ولقايل ان يقول . فما رايك . ان كان من يومن به يمتلك عيشة نجسة واعمالاً ليست صالحة . فنقول له قد قال بولس . ان الذين هذا الحال حالهم ليس يوجدون مومنين خالصين * .. لانهم يعترفون بالله وباعمالهم يجحدونه * .. تيطوس ص ١ ع ١٦ ولعمري انه هٰهنا انما قال ذلك القول . انه في الايمان هذا بعينه ليس يحكم عليه . الا انه سيقابل على اعماله اصعب مقابلة * وليس يعاقب لاجل اجتنابه الايمان * لانه قد آمن دفعةً * أرأيت كيف ابتدى من اقوال مريعة . وانتهى ايضاً الى هذا القول بعينه . لانه عند ابتدايه بالخطاب قال .. ان لم يولد الواحد من ماء وروح . فليس يدخل الى ملك الله * .. وقال هٰهنا ايضاً .. من ليس يومن بالابن . فقد حكم عليه * .. لانه قال لا تظن ان التاخير من شانه ان ينفع من قد صار فيما سلف مطالباً بتبعة . ان لم يتب ويتندم * لان من لم يومن . فليست حاله افضل حالاً من المعاقبين الذين قد وجب الحكم عليهم * قال ١٩ لان .. هذا هو الحكم . ان النور جاء الى العالم فاحب الناس الظلام اكثر من النور * .. فالذي يقوله هذا هو معناه . قال لهذا السبب يعاقبون . لانهم ما ارادوا ان يتركوا الظلام . ويتبادروا الى الضوء * فهٰهنا يعدمهم كل اعتذار * كانه قال . لو كنت جيت معاقباً مطالباً بحجج عن الاعمال التي عملوها . لاتجه لهم ان يقولوا . انما لهذا السبب طفرنا منه هاربين * فالان انما جيت اريحكم من الظلام . واقتادهم الى الضوء * ومن هو الذي يرحم من الاشياء ان يتقدم من الظلام الى الضوء * لانه قال ليس ينساغ لهم فعل يشكونه منا . لكننا احسنّا اليهم احسانات جزيلاً عددها . فطفروا نافرين منا * وهذا الفعل فقد شكاه منهم في موضع آخر وقال .. انهم مقتوني مجاناً * .. فقال ايضاً .. لو لم اجي واخاطبهم . ما امتلكوا خطية * .. لان من كان جالساً في الظلام من اجل فقد الضوء . لعله يمتلك عفواً * واما من كان بعد ورود الضو مثابتاً للظلام . فذلك يبيّن على ذاته دلالةً على عزمه الملتوي الموثر الغلبة * ثم اذ كان القول الذي قيل يظن عند الكثيرين انه مسلوب تصديقه . لان ما يكاد واحدٌ من الناس يفضّل الظلام على الضوء . وضع العلة التي منها

عرض هذا العارض لهم*وان سالت وما هي: اجابك.. لان اعمالهم كانت خبيثة* ٢٠ لان كل عامل الاعمال الطالحة يمقت الضوء. وما يجي الى الضوء. لكيلا تستبين اعماله*" على انه ما جاء حاكمًا عليهم ولامستفحصًا. لكنه جاء غافرًا صافحًا عن هفواتهم مخولاً اياهم من ايمانهم به خلاصهم*فكيف هربوا منه لهذا السبب: لانه لو كان جاء فانشاء مجلس قضاء. لامتالك القول الذي قاله احتجاجًا عندهم*لان من كان عارفًا لنفسه اعمالاً خبيثة. فذلك من عادته ان يهرب من الحاكم*فاما الغافر الصافح. فالمذنبون يتبادرون اليه*فان كان قد جاء صافحًا عنهم غافرًا لهم. فقد كان واجبًا عليهم ان يتبادروا اليه باوفر نهضتهم. الذين قد عرفوا لانفسهم خطايا كثيرة*وهذا العارض فقد عرض لاناس كثيرين. لان عشارين وخاطيين جاءوا فاتكاءوا مع يسوع*فان سالت. وما معنى ما قيل: اجبتك. انهُ قال هذه الاقوال في وصف الموثرين ان يثبتوا في رزيلتهم كل حين* لانهُ هو لهذا الغرض جاء. ليصفح عن الخطايا الاولى. ويصون من الجرايم المستانفة*واذ قد يوجد اناس مسترخين على جهة تمثيل حالهم. متخلين عن الاتعاب في الفضيلة. حتى انهم يريدون ان يثبتوا الى انفاسهم الاخيرة في خبثهم. ولا ينتزحوا عنهُ في وقتٍ من اوقاتهم. فذعهم ههنا وقال هذا القول*لان الدين المسيحي اذ من شانهِ ان يطالبنا بسحيةٍ معافاة. مع تقوم راينا فيهِ: ذكر انهم خشوا ان ينتقلوا اليه*لانهم ما ارادوا ان يوضحوا عيشةً متقوّمة*وذلك ان العايش في الدين الاوثاني. ليس يوبخهُ موبّخ* لان من قد حوى الهة هذا الحال حالهم. واعيادًا بشبه ذلك لالهة مستقبحة مضحوك عليها. يخصهم ان يوضحوا اعمالهم موهلة لاراء دينهم* واصحاب الله اذا عاشوا بتضجيع وتوانٍ. امتلكوا جميع الذين ينظرونهم حكامًا عليهم. قارفين لهم* واستعجاب ذلك يوجد عند اعداء الحق جزيلاً تقديرهُ* وابصر ربنا كيف وضع ما قالهُ بابلغ استقصاء* لانهُ ما قال من قد عمل اعمالاً صالحة دايمًا* ومعنى ذلك هو المريد دايمًا ان يتمرغ في حماة الخطية ليس يريد ان يلقي ذاته في شرايعي*لكنه يشاء ان يلبث خارجها*يزني بمهلة فسيحة. ويعمل الخطايا الاخر الممنوعة. لانه اذا جاء الي ههنا يصير ظاهرًا كظهور اللص في النور*فلاجل هذه الاسباب يهرب من رياستي عليه*وقد يتهيا لنا ان نسمع اوثانيين كثيرين قايلين. انهم لهذا السبب ما

يستطيعون ان يرجعوا الى امانتنا · لانهم ما يمكنهم ان ينتزحوا عن السكر والزنا · وعن الهفوات التي تناسب هذه * ولعل قايلاً يقول · فما رايك : انما يوجد مسيحيون عاملين اعمالاً طالحة · واوثانيون عايشين في فلسفة : فاقول له قد عرفت انا ان مسيحيين عاملون اعمالاً ردية · واما وثانيون عايشون عشية متقومة · فهذا ما عرفته انا معرفة واضحة * لان لا تذكر لي الوديعين في طبيعتهم المتوقرين * فان هذا ليس هو فضيلة * لكن اذكر لي من كان مصطبراً على تكليف كثير من امراض هواه · وهو متفلسف · الا انك ما ينساغ لك ان تذكر لي ذلك * لان ان يكن الوعد بالملكوت · والوعيد بجهنم · والاهتمام الاخر الجزيل تقديره · وبجهد وكلفة تضبط الناس في فضيلة · والذين ما يوثقون بصنف من هذه الاصناف استعمالهم الفضيلة هو بطالة * وان كان اقوام منهم يراوون بها · فانما يعملون هذا العمل لاجل التشريف من الناس * ومن يعمل هذا العمل لاجل التشريف اذا انساغ له ان يخفي عمله · فليس ينقبض عن استعمال شهواته الخبيثة * ومع ذلك فلكيلا تظن عند اقوام اننا نوثر الغلبة · فنقول ان قد يوجد عند الاوثانيين اقوام عايشين عيشة متقومة · لان هذا حينيذ ليس يضاد كلامنا * لانه انما قال ما يعرض افتعاله كثيراً · وما ذكر الفعل الكاين فرادى ايضاً * وابصره كيف يتقدم من جهة اخرى كل اعتذار اذ قال * .. ان الضوجاء الى العالم * " كانه قال العلهم هم طلبوا الضوء : اعساهم تعبوا في ان يجدوه : لكن الضو بعينه جاء اليهم * فما تبادروا ولا على هذا الحال اليه * ولين كان عند النصارى اناس عايشين عيشة خبيثة · تقول ذلك القول من اجلهم * انه ما قال هذا القول في وصف الكاينين منذ ابتدا الانذار مسيحيين · الذين تعاقبوا من اجدادهم حسن عبادتهم * وان كان هولاء في اكثر الاحوال ربما تزعزعوا عن استقصاء الاراء في الدين من تلقاء عيشة خبيثة * الا انه مع ذلك على حسب ظني · ليس يقول هذا القول من لجل هولاء * لكنه انما يقوله في ذكر الذين من الاوثانيين او من اليهود · يجب عليهم ان ينتقلوا الى الامانة المتقومة * لانه يبين ان ولا واحداً من الناس عايشاً في ضلالته · اختاره انه يجي الى الامانة · فلم يصور في ذاته اولاً عيشة متقومة * وليس يثبت احد في كفره · فلم يكن اولاً موثراً كل حين ان يكون ردياً * لان لا تقل لى هذا القول · انه يعف · ربما يخطف ما ليس له * لان هذين الصنفين

وحدها ليس هما فضيلة*لان ما المنفعة· اذا امتلك العفة واجتناب الاختطاف· وكان عبدًا للشرف الفارغ؛ وخجلاً ان يحب ذاتية· وهو ثابت على ضلالته؛ لان هذا الفعل ليس هو فعل عايش عيشة متقومة* لان من كان عبدًا للشرف الفارغ· ليس هو دون من كان زانيًا*لانهُ يعمل على هذا الحال اكثر من الزاني بكثير اعمالاً اصعب واردى*لكن صف لي انسانًا متخلصاً من كافت اسقام هواه حرًّا من كل رذيلةٍ· ثابتًا عند الاوثانيين*ولكنك ما تجده لك ذلك* لان المتفخمين عندهم بالمحامد الجسمية· القاهرين الاموال· وتظنهم على ما يقولون· تعبّدوا لتشريف الناس تعبدًا كثيرًا* وهذا فهو علة الاعمال الردية كلها*وعلى هذه الجهة ذكر اليهود وشكاهم· وقال ,, كيف تقدرون ان تومنوا· اذ تستمدون تشريفًا من الناس؛ " ولقايل ان يقول· فما السبب في ان ناثانايل الذي شهد لهُ بصدقهِ· ما خوطب في هذه المعاني ولا اسهب معهُ كلامًا طويلاً؛ فنقول لهُ· ان ذاك ما جاءَ اليهِ بحرص هذا تقديرهُ* لان هذا جعل هذا الكلام عملاً مهماً*والوقت الذي جعلهُ اناس اخرون وقتًا لراحتهم· صيرهُ هذا اوانًا لاستماع التعليم* وذاك انما لهُ غيرهُ فجاء الى عندهِ· مع انهُ ما اعرض عن ذلك؛لانه قد قال لهُ ,, منذ الان سترون السموات مفتوحةً· وملايكة الله طالعين ونازلين على ابن الانسان*" يوحنا ص ١ ع ٥١ وما قال لهذا صنفاً من هذه الاقوال· بل خاطبهُ في ذكر سياسته· وفي الحياة الدهرية خطاباً مختلفاً لفظهُ· مفاوضاً كلاً منهما نحو النيّة الموضوعة فيه؛ لان ذاك كان عالمًا باقوال الانبياء· وما كان على هذه الحال جبانًا· اجزاهُ ان يسمع هذا المقدار من الكلام فقط*وهذا اذ كان الجزع استحوذ عليهِ· ما كشف لهُ المطلوب كلهُ واضحاً· بل هزّ عزمه حتى ينتزع خوفاً بخوف*فقولهُ ,, ان مَن لا يومن بهِ يحاكم·" وان اجتناب تصديقه والايمان بهِ انما ينكوّن من فطنة خبيثة*لانهُ لما تكلم في التشريف من الناس كلامًا عظيماً اكثر من الكلام في العذاب· لانهُ قال· ,, ان كثيرين من الروسا آمنوا بهِ وبسبب اليهود ما اعترفوا بهِ* " فمن هذا التشريف لذعهُ بقولهِ؛ ان ليس يمكن ان يوجد من ليس يومن بي· انهُ لسبب آخر ليس يومن بي· الاَّ لانه يمتلك عيشة نجسة*واذ امعن في كلامهِ قال· ,, انا هو الضوء*" وقد قال ههنا ,, ان الضوء جاءَ الى العالم؛ لانهُ في مبادي تعليمهِ تكلم اكثر كلامهُ مستورًا· ولما امعن في انذارهِ تكلم كلامًا ابين وضوحاً * الاَّ ان هذا الانسان كان تشريف

الكثيرين قد ضبطهُ· ولذلك ما استجاذ ان يجاهر كما ينبغي

العظة الثامنة والعشرون

طعن على ذوي الشرف الفارغ

فلنهربنَّ اذاً من الشرف الفارغ*لان هذا الداء اشد غصباً من ادواء هوانا كلها۞لان من هذا الداء يكون استكثار القنية· وعشق الاموال· ومنهُ ينشو المقت والحروب والقتالات*لان من يعشق الاكثر· ومن يعشق الاموال· ليس ذلك لجهة من الجهات الاخرى· الاَّ من عشقهِ للتشريف الفارغ* لان قُل لي لمَ يستصحب الاكثرين من الناس جماعة من الخدم· وافواجاً من الغلمان والمماليك· ويشتملون رِخياً لاً كثيراً· ليس لاجل حاجاتهم الى ذلك· الاَّ من اجل ان يحوزوا الذين يلتقونهم شهوداً بخيا لهم هذا الفايت وقتهُ*فمتى ما قطعنا هذا التشريف مع راسهِ· وعطلنا باقي اعضاء الرذيلة· فليس يمنعنا مانع ان نسكن الارض على هذا المثال· كمن يسكن السماء*لان هذا الداء ليس من شانهِ ان يدفع الذين قد اقتنصهم الى الرذيلة فقط· لكنه مع ذلك قد اذاغ تمكنهم في الفضايل*واذا لم يقتدر ان يخرجنا من هنالك· يصطنع لنا الخسارة في الفضيلة بعينها كثيرة* اذ يلزمنا احتمال الاتعاب فيها· ويعدمنا اثمارها۞لان مَن كان ناظراً الى الشرف الفارغ· اذا لبث صايماً مصلياً راحماً· فقد استوفى ثوابه*فما الذي يكون احق من هذه الخسارة بالترثي لها· لانه اذا عرض لنا ان نتعب تعباً باطلاً فارغاً· ونصير مضحوكاً علينا· فنحن نستقط خايبين من المجد العلوي*لان لاسبيل لمن يرتاح الى الشرفين كليهما· ان يمتلكهما معاً*لكن ينفق لنا ان نمتلكهما كليهما· اذا لم نشتهيهما كليهما*بل اذا اشتهينا احدهما الذي في السموات۞ومتى اشتهيناهما كليهما· فلا سبيل لنا ان نمتلكهما كليهما* فلهذا السبب· ان شئنا ان نمتلك شرفاً· فلنهربنَّ من الشرف الانساني*ونحب الشرف الذي من الله وحدهُ*فعلى هذه الحال ينفق لنا امتلاك هذا الشرف وذاك· الذي فليكن لنا كلنا ان نستمتع بهِ· بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفهُ· الذي بهِ ومعهُ لابيهِ المجد مع الرروح القدس· الى اباد الدهور كلها امين

المقالة التاسعة والعشرون

في قوله ٢٢ وخرج الى ارض اليهودية هو وتلاميذهُ*واقام هنالك معهم وعمَّد*

ليس يكون شيء ابين من الحق*او اليق من الصدق. ولا اقوى*كما ان ليس يوجد شيء اضعف من الكذب. ولو ستر بستور جزيل عددها*لانهُ يصير على هذه الجهة ابين ظهوراً. ويتمزق تمزقاً سهلاً*فاما الصدق فقد وضع عارياً لجميع المريدين ان يتاملوا حسنهُ. وليس يشاء ان يستخفي. ولا يخشى عطباً. ولا يرتعد من اغتيالات. ولا يرتاح الى التشريف من الكثيرين. ولا يوجد مطالباً بتبعة من التبعات الانسانية*لكنهُ قد وقف اعلى منها كلها. متقبلاً اغتيالات جزيلاً عددها. ممتنعاً قهرهُ. صايناً بافراط قدرتهِ الملتجيين اليهِ. كانهم داخل سور حصين. قالباً مخابي الغش المستورة. منضداً في الوسط لكل الناس الافعال الناشية منهُ* وهذا الفعل اوضحهُ المسيح حين خاطب بيلاطس قايلاً.. انا علمت كل حين بمجاهرة. وما تكلمت كلاماً في خفية*" يوحنا ص ١٨ ع ٢٠ هذا القول قالهُ في ذلك الحين* وعملهُ الان*لان البشير قال.. وبعد ذلك خرج الى ارض اليهودية هو وتلاميذهُ. واقام هنالك معهم وعمَّد*"لانهُ في الاعياد صعد الى المدينة حتى ينشي في وسطهم اراء دينه والمنفعة من عجايبهِ*وبعد تقوض الاعياد وانحلالها. كان يجي في اكثر الاوقات الى الاردن. اذ كان اناس كثيرون يتبادرون الى هنالك*فكان يتوجه دايماً الى المواضع الحاوية الجموع الكثيرة. ليس مظهراً ذاته*ولا راغباً في التكريم. لكن مسارعاً ان يخوِّل الكثيرين المنفعة الكاينة منهُ*على ان البشير اذ امعن في كلامهِ قال*.. ان يسوع ما عمَّد. لكن تلاميذهُ*" فواضح من هذه الجهة. انهُ قد قال هذا القول ههنا ان تلاميذهُ عمَّدوا وحدهم۞ ولعلك تستخبر ولِمَ ما عمَّد هو. فنقول لك. اذ سبق يوحنا فقال.. ان ذلك يصبغكم بروح القدس ونار*" والروح فما كان بعد قد اعطي. فعلى جهة الواجب ما عمَّد هو* وتلاميذه فعملوا هذا العمل. مريدين ان يستفيدوا اناساً كثيراً الى تعليمهِ المخلص*ويجوز ان نسال. فلما كان تلاميذ يسوع يعمدون. ما السبب في ان يوحنا ما كف عن هذا العمل. لكنهُ لبث هو صابغاً من كان يقصدهُ: وعمل هذا العمل الى حين حصوله في السجن*لان قولهُ ٢٤ " ما كان بعد يوحنا محبوساً في السجن." كان قولهُ موضحاً انهُ

الى ذلك الحين ما كف عن التعميد * فلاجل اي غرض عمد الى ذلك الحين * مع انه قد كان اظهر تلاميذ يسوع اشرفين . لو كان كف عن التعميد عندما ابتدى اولايك به : فلمَ عمدَ : فنقول لك . انه عمَّد . لكيلا يتناد تلاميذهُ الى الغيرة والحسد . ويجعلهم اكثر حبًا للنالبة * لانهُ ان كان قد صاح دفعاتٍ كثيرة . وافرج للمسيح معالي التقدم عليهِ . وحقر ذاته حقارةً جزيلاً تقديرها . وما استمالهم الى ان يبادروا الى المسيح . فلو كان اضاف الى ذلك هذا الفعل . وهو تبطيل التعميد . لكان قد جعلهم اشد ايثارًا للنالبة * والمحك كثيرًا * ولهذا الغرض خصوصًا ابتدى المسيح حينئذٍ بانذارهِ . حين صار يوحنا غايبًا . وعلى حسب ظني ان لهذا السبب اطاق ان تكون وفاة يوحنا سريعةً لهُ * حتى ينتقل الى المسيح محبة الجمع كلها . ولا يشقوا ذواتهم في عزايهم من اجلهما كليهما * وخلوًا من هذه الاغراض . فما كف في حال تعميدهِ عن وعظهم وعظًا متصلاً . مظهرًا افعال يسوع عظيمة شريفة * لانهُ عمَّد . ولم يقل قولاً آخر غير ان يؤمنوا بالجائي بعدهُ * فمن انذر هذا الانذار . كيف ما قد اظهر تلاميذ المسيح مشرفين : لانهُ لو كان كف عن التعميد . لكان بخلاف ذلك قد توهموا تبطيله التعميد لحسد ولغيرة وغيظ * وثبوتهُ منذرًا بالمسيح . ما استثنى التشريف لذاتهِ . لكنهُ ارسل سامعيه الى المسيح ؟ وما ساعدهُ دون اسعاد تلاميذهِ . لكنهُ ساعده اكثر منهم بكثير بمقدار ما كانت شهادته هذه عديمة ان تكون متهمة * وكان قد امتلك عند جميع اهل ذلك البلد تشريفًا اعظم منهم بكثير ؟ وهذا المعنى فقد ذكرهُ الانجيلي ذكرًا غامضًا * وقال .. ان اليهودية كلها . والصقع المحيط بالاردن . كان اهلها يخرجون اليهِ . ويصطبغون منه ؟ ولما كان تلاميذ ربنا يعمدون . ما تخلف كثيرون عن المبادرة الى يوحنا * فان استفحص مستفحص وقال . ما الفايدة التي امتلكتها معمودية تلاميذ المسيح اكثر من معمودية يوحنا : نقول لهُ لم يكن بينهما فرق ؟ لانهما كلتيهما كانتا على حال واحد خايبتين من نعمة الروح * وعلة التعميد فكانت لكليهما واحدة . وهي ان تستفيد المصطبغين الى المسيح * لانهم لكي لا يحاضروا دايمًا حتى يجمعوا على هذه الجهة . الذين كان يجب ان يومنوا مثل ما فعل اندراوس بسمعان اخيهِ . وفيلبس بناثانايل . فلذلك اقاموا التعميد في ذلك الحين . حتى يستفيدوا جميع من يحضر عندهم خلوًا من تعب . ويطرقوا للامانة المستانفة ؟ والبرهان على ان المعموديتين ما حوت

احدهما فايدة تزيد بها على الاخرى. فالاقوال التى تقارب هذه توضحهُ. وهي قوله ٢٥.. حدث فيما بين تلاميذ يوحنا. وبين رجل يهودي بحثٌ عن التطهير* " لان تلاميذ يوحنا كانوا يحسدون المسيح بعينهِ* فلما ابصروا تلاميذهُ يعمدون. اقبلوا يقولون للمصطبغين قولاً على سبيل المناظرة. يبينون بهِ ان المعمودية عند معلمهم تحوى فايدة اكثر من معمودية تلاميذ المسيح* واخذوا واحداً من الذين اصطبغوا عند التلاميذ. وحاولوا ان يحققوا قولهم عندهُ. الاَّ انهُ ما قبل منهم. لان الدليل على ان هولاءِ هم الذين تبادروا الى الرجل. وما طلبهم هو. اسمع البشير كيف ذكر هذا ذكراً غامضاً* لانهُ ما قال ان يهودياً واحداً ناظرهم. لكنهُ قال* .. ان مناظرة حدثت بين تلاميذ يوحنا. وبين يهودي واحدٍ من اجل التطهير* " وتامل لي ذوال استثقال البشير* لانهُ ما استعمل كلامهُ على جهة اشهار عزمهم. لكنهُ بحسب طاقتهِ تلافى زللهم. بقولهِ.. حدثت مناظرة على بسيط ذاتها* على ان الدليل ان الاقوال التي قالوها كانت من حسدهم. تبينهُ الاقوال التي تتلو هذه التي وضعها خلوًا من استثقال بهم؟ لانهُ قال ٢٦.. انهم جاءوا الى يوحنا. وقالوا لهُ يامعلم. ذاك الذي كان معك جايز الاردن. الذي شهدت لهُ انت. ها هو يعمد. والناس الذين في البلد كلهم يتقاطرون اليهِ* " ومعنى ذلك هو الذي عمدتهُ انت؟ لانهم ذكروا هذا المعنى ذكراً مستوراً بقولهم. الذي شهدت لهُ انت؟ كقولك الذي اظهرته انت نبيًا. وجعلته ذايعًا ذكرهُ. قد اجترى عليك بهذه الافعال باعيانها* الاَّ انهم ما قالوا الذي عمَّدتهُ انت. والاَّ فكانوا قد اضطربوا ان يذكروا الصوت المنحدر اليهِ من العلو. وحلول الروح عليهِ* لكنهم قالوا.. ذاك الذي كان معك جايز الاردن الذي شهدت له انت؟ " ومعنى ذلك. هو الذي قد حوى مرتبة تلميذ لك. الذي ما قد امتلك شياً اكثر منا. هذا اذاً لما انفصل عنك عمَّد* وما توهموا ان يغيظوهُ بهذا القول فقط. لكن باستظهارهِ مع ذلك على افعالهم. وسموهِ فيما بعد في الشرف عليهم* لانهم قالوا.. وجميع اهل البلد يتقاطرون اليهِ* " فواضح من هذه الجهة انهم ما قهروا ذاك اليهودي الذي جرت المناظرة بينهم وبينهُ* هذه الاقوال قالوها. اذ كانوا اعدم من غيرهما كمالاً في سيرتهم* وما كانوا انقياء من المباهاة وايثار التكريم* واسمع ما قال لهم يوحنا. لانه ما زجرهم زجراً شديداً. خاشياً ان لاينفصلوا عنهُ ايضاً. فيعملوا عملاً آخر رديًا*

بل قال لهم ٢٧ .. ليس يقتدر احد من الناس ان ياخذ ولا شياً. اذا لم يكن معطى له من السماء ❁ " وان يتكلم في وصف المسيح كلاماً اوفر تواضعاً. فلا تستعجب ذلك * لانه ما كان يتجه له ان يعلم الذين قد تقدم انضباطهم بسقم هذا تاثيره كل ما يعتمده على غفلةٍ. ومن مبادي استمالته اياهم * لكنه شاء عاجلاً ان يلذعهم ويريعهم ويريهم انهم اذا حاربوه. فما قد حاربوا غير الههم * وهذا القول قد قاله غامالايل .. ابراكسيس ص٥ ع ٤٠ ما تقدرون ان تنقضوا هذا. لكيلا نوجد محاربين الهنا * " وهذا القول ينشيه يوحنا ههنا انشاءً مستوراً * لان قوله .. ليس يقدر احد ان ياخذ شياً. اذا لم يكن معطى له من فوق من السماء. " ليس هو قول او نحو معنى آخر و الا انهم قد ارتادوا ارتياداً ممتنعاً وانهم يوجدون ايضاً من هذه الجهة محاربين الههم * ولو كانوا سالوه. أفصحاب توداس ما استمدوا تكريماً من ذاتهم: لاجابهم الا انهم في الحين تشتتوا وهلكوا. واحوال المسيح فليست هذه الصورة صورتها ❁ ففي هذه الجهة سلاهم بسكونٍ موريا اياهم. ان الذي قد فاق عليهم في الشرف. ليس هو انساناً * لكنه اله هو ۞ وان كانت احوال ذاك نيرةً بهيةً. وجميع اهل البلد يتقاطرون اليه. فما يجب ان يستعجبوا ذلك * لان الافعال الالهية هذه الحال حالها * والاله هو الذي ابدع هذه الافعال كلها ۞ لان ما قد اقتدر انسان في وقت من الاوقات. ان يفعل افعالاً هذا مقدارها * وبيان ذلك ان الافعال الانسانية كلها واهية. يسهل الوصول اليها. وتسيل سريعا وتهلك * وهذه الافعال فليست هذه حالها. فما هي اذا انسانية * ثم اذ قالوا .. الذي انت شهدت له ۞ " فهذا القول الذي توهموا انهم يوردونه لهدم شرف المسيح. عطفه حينئذٍ اليهم. وبيّن لهم اولاً. ان ليس شهادته له حصل له اشراق فضله * وبعد ذلك اصمتهم في هذا الوجه ۞ لانه قال لهم .. لن يقتدر انسان من ذاته ان ياخذ ولا شياً. اذا لم يكن معطى من السماء ❁ " كانه قال. ان كنتم بالجملة قد تمسكتم بشهادتي. واحسبتموها صادقة. فاعرفوا انكم لاجلها خصوصاً يجب عليكم. ان تفضلوا ليس اياي على ذلك. لكن سبيلكم ان تفضلوا ذاك عليّ * لان ما الذي شهدت به: انا استدعيتكم شهوداً بذلك ٢٨ .. لانكم انتم قد شهدتم عليّ. انني قلت اني لست انا المسيح. لكنني انا مرسلٌ امامه * " فان كنتم قد تمسكتم بشهادتي لانكم الان قد اوردتموها قايلين .. الذي انت شهدت له. " فلستم ما قد نقصتم فقط عن اقتبال

احدهما فايدة تزيد بها على الاخري. فالاقوال التي تقارب هذه توضحهُ. وهي قوله ٢٥ .. حدث فيما بين تلاميذ يوحنا. وبين رجل يهودي بحثٌ عن التطهير* " لان تلاميذ يوحنا كانوا يحسدون المسيح بعينهِ* فلما ابصروا تلاميذهُ يعمدون. اقبلوا يقولون للمصطبغين قولاً على سبيل المناظرة. يبينون بهِ ان المعمودية عند معلمهم تحوي فايدة اكثر من معمودية تلاميذ المسيح* واخذوا واحداً من الذين اصطبغوا عند التلاميذ. وحاولوا ان يحققوا قولهم عندهُ. الاّ انهُ ما قبل منهم. لان الدليل على ان هولاء هم الذين تبادروا الى الرجل. وما طلبهم هو. اسمع البشير كيف ذكر هذا ذكراً غامضاً* لانهُ ما قال ان يهودياً واحداً ناظرهم. لكنهُ قال* .. ان مناظرة حدثت بين تلاميذ يوحنا. وبين يهودي واحدٍ من اجل التطهير* " وتامل لي ذوال استثقال البشير* لانهُ ما استعمل كلامهُ على جهة اشهار عزمهم. لكنهُ بحسب طاقتهِ تلافى زللهم. بقولهِ .. حدثت مناظرة على بسيط ذاتها* على ان الدليل ان الاقوال التي قالوها كانت من حسدهم. تبينهُ الاقوال التي تتلو هذه التي وضعها خلواً من استثقال بهم؟ لانهُ قال ٢٦ .. انهم جاءوا الى يوحنا. وقالوا لهُ يامعلم. ذاك الذي كان معك جايز الاردن. الذي شهدت لهُ انت. ها هو يعمد. والناس الذين في البلد كلهم يتقاطرون اليهِ* " ومعنى ذلك هو الذي عمدتهُ انت؟ لانهم ذكروا هذا المعنى ذكراً مستوراً بقولهم. الذي شهدت لهُ انت؟ كقولك الذي اظهرته انت نبياً. وجعلته ذايعاً ذكرهُ. قد اجترى عليك بهذه الافعال باعيانها* الاّ انهم ما قالوا الذي عمّدتهُ انت. والاّ فكانوا قد اضطربوا ان يذكروا الصوت المنحدر اليهِ من العلو. وحلول الروح عليهِ* لكنهم قالوا .. ذاك الذي كان معك جايز الاردن الذي شهدت له انت؟ " ومعنى ذلك. هو الذي قد حوى مرتبة تلميذ لك. الذي ما قد امتلك شياً اكثر منا. هذا اذاً لما انفصل عنك عمّدَ* وما توهموا ان يغيظوهُ بهذا القول فقط. لكن باستظهارهِ مع ذلك على افعالهم. وسموهِ فيما بعد في الشرف عليهم* لانهم قالوا .. وجميع اهل البلد يتقاطرون اليهِ* " فواضح من هذه الجهة انهم ما قهروا ذاك اليهودي الذي جرت المناظرة بينهم وبينهُ* هذه الاقوال قالوها. اذ كانوا اعدم من غيرهما كمالاً في سيرتهم* وما كانوا انقياء من المباهاة وايثار التكريم* واسمع ما قال لهم يوحنا. لانه ما زجرهم زجراً شديداً. خاشياً ان لا ينفصلوا عنهُ ايضاً. فيعملوا عملاً آخر رديّاً*

بل قال لهم ٢٧ .. ليس يقتدر احد من الناس ان ياخذ ولا شيأ. اذا لم يكن معطى له من السماء * " وان يتكلم في وصف المسيح كلاماً او فر تواضعاً. فلا تستعجب ذلك * لانه ما كان يتجه له ان يعلم الذين قد تقدم انضباطهم بسقم هذا تاثيره. كل ما يعتمده على غفلةٍ. ومن مبادي استمالتهِ اياهم * لكنه شاء عاجلاً ان يلذعهم ويريعهم ويريهم انهم اذا حاربوهُ. فما قد حاربوا غير الههم * وهذا القول قد قالهُ غامالايل .. ابراكسيس ص٥ ع ٤٠ ما تقدرون ان تنقضوا هذا. لكيلا نوجد محاربين الهنا * " وهذا القول بشبهِ يوحنا ههنا انشاءً مستوراً * لان قوله .. ليس يقدر احدٌ ان ياخذ شيأ. اذا لم يكن معطى له من فوق من السماء. " ليس هو قول اونحو معنى آخر والّا انهم قد ارتادوا ارتياداً ممتنعاً وانهم يوجدون ايضاً من هذه الجهة محاربين الههم * ولو كانوا سالوهُ. أفصحاب توداس ما استهدوا تكريماً من ذاتهم. لا جابهم الّا انهم في الحين تشتتوا وهلكوا. واحوال المسيح فليست هذه الصورة صورتها * ففي هذه الجهة سلاهم بسكونٍ موريا اياهم. ان الذي قد فاق عليهم في الشرف. ليس هو انساناً * لكنه الهٌ هو * وان كانت احوال ذاك نيرة بهيةً. وجميع اهل البلد يتقاطرون اليهِ. فما يجب ان يستعجبوا ذلك * لان الافعال الالهية هذه الحال حالها * والهٌ هو الذي ابدع هذه الافعال كلها * لان ما قد اقتدر انسان في وقت من الاوقات. ان يفعل افعالاً هذا مقدارها * وبيان ذلك ان الافعال الانسانية كلها واهية. يسهل الوصول اليها. وتسيل سريعا وتهلك * وهذه الافعال فليست هذه حالها. فما هي اذا انسانية * ثم اذ قالوا .. الذي انت شهدت له * " فهذا القول الذي توهوا انهم يوردونه لهدم شرف المسيح. عطفه حينئذٍ اليهم. وبيّن لهم اولاً. ان ليس شهادتهِ له حصل له اشراق فضلهِ * وبعد ذلك اصمتهم في هذا الوجه * لانه قال لهم .. لن يقتدر انسان من ذاتهِ ان ياخذ ولا شيأ. اذا لم يكن معطى من السماء * " كانه قال. ان كنتم بالجملة قد تمسكتم بشهادتي. واحسبتموها صادقة. فاعرفوا انكم لاجلها خصوصاً يجب عليكم. ان تفضلوا ليس اياي على ذلك. لكن سبيلكم ان تفضلوا ذاك عليّ * لان ما الذي شهدت بهِ. انا استدعيتكم شهوداً بذلك ٢٨ .. لانكم انتم قد شهدتم عليّ. انني قلت اني لست انا المسيح. لكنني انا مرسلٌ امامه * " فان كنتم قد تمسكتم بشهادتي لانكم الان قد اوردتموها قايلين .. الذي انت شهدت له. " فلستم ما قد نقصتم فقط عن اقتبال

شهادتي . لكنكم قد تزايدتم كثيراً من قولكم هذا في انكارها* واقول على معنى آخر . فشهادتي لم تكن مني . لكنها من الله كانت* فان كنت عندكم موهلاً للتصديق . فمع اقوالي الاخرى قد قلت هذا القول .. انني مرسَل امام ذلك* "أرايت كيف بيّن قايلاً قايلاً ان قولهُ كان الهيّاً : لان الذي قالهُ معناهُ هذا هو . انا خادم اقوال مرسلي . ولست مدكاراً لهُ بمنة انسانية* لكنني خادم لابيهِ الذي ارسلني* فما وهبت لهُ شهادتي . لكنني قلتُ ما ارسلت ان اقولهُ . فلا تظنوني اذاً ارجد عظيماً لاجل هذا القول . لان هذا القول يظهر ذاك معظماً* لان ذاك هو رب اعمالهِ* ولذلك استثنى بهذا وقال ٢٩ .. ان مَن يمتلك العروس هو الختن* وصديق الختن الواقف والسامع منهُ . يفرح فرحاً لاجل صوت الختن* " ولقايل ان يقول : فالقايل لست انا موهلاً ان احل شسع حذايهِ كيف قال عن ذاتهِ انهُ صديقهُ : فنقول لهُ . ما قال هذا القول مرتفعاً في ذاتهِ ولا منتفخاً . لكنهُ لايثارهِ ان يبين انهُ هو يحرص في هذا كثيراً . وان هذه ليست هي اقوال مفهوم . وان هذه الافعال ليست تصير عن كراهية منهُ . لكن اقوال مجتهد فيها* وان هذه الافعال . هي التي لاجلها عمل كافة الاعمال التي عملها* فهذه المعاني كلها . اوضحها باسم الصديق* لان خدام الختن ايضاً ما يفرحون على هذا المثال . مثل ما يفرح اصدقاوهُ . ويسرّون في هذه الاحوال وما ناسبها* فما اراد ان يبين معادلتهُ اياهُ بهذا القول . ابعد هذا الظن عنك . لكنهُ قال مريداً ان يبيّن كثرة التذاذهِ . ومع ذلك فقالهُ متحدراً مع ضعفهم* فدعى ذاتهُ صديقاً لهُ* اذ كان قد اوضح خدمتهُ بقولهِ .. انني مرسَل امام ذلك* " ولاجل هذه الاقوال . اذ توهموا انهم يلذعونهُ بما حدث من تقاطر الناس الى المسيح . دعا ذاتهُ صديقاً للختن . موضحاً ليس انه ما يمضّهُ ذلك فقط . لكنهُ اوضح انهُ يفرح بذلك جداً* كانهُ قال . انما جيت انتم هذا الفعل . وبهذا المقدار ابتعد من التواضع لما يعلّه ذاك* لانني حينيذٍ كنت اتوجع كثيراً . لو كان ما قد صار هذا* لو كانت العروس ما تقدمت الى ختنها . لكنت حينيذٍ قد توجعت ومضّني ذلك* لكنني لست انتم الان . اذ كانت امالي قد تكملت* لاننا نحن هم الموفقون باقبال احوال ذلك* لان قد صار ما تمنيناهُ* وقد عرفت العروس ختنها* وانتم فقد شهدتم بذلك* اذ قلتم هذا القول .. ان جميع اهل البلد يتقاطرون اليهِ* " لان هذا العمل اجتهدت انا

فيهِ· ولاجلهِ عملت كل عمل۞اذ قد رايت هذا المطلب خارجاً الى الفعل· أُسرُّ وابتهج وارتكض* وان سالت· وما معنى قولهِ .. الواقف السامع منهُ: " آجبتك· من المثَل الذي انشاهُ عطف كلامهُ الى ما اعتمده*لانه لما ذكر عروسًا وختنًا· بيَّن كيف صار استرفاقهما· انهُ تكَّون بصوتهِ وتعليمهِ * لان على هذه الطريقة تقترن الكنيسة بالله * ولذلك قال بولس· .. الامانة من السماع· والسماع هو قول الله*" روميه ص١٠ ع١٧ فمن هذا الصوت افرح انا* ولفظة الواقف*فما وضعها على بسيط ذاتها. لكنه وضعها موضحًا ان افعاله قد كفَّت۞وانه يجب عليهِ فيما بعد ان يقف· وان يسمع* اذ قد سلَّمَ الى ذاك عروسه۞انهُ هو خادمهُ وعبدهُ· وقد خرجت لهُ افعال املهِ الصالح· ودواعي سرورهِ الى الفعل۞ولذلك قال: فسروري هذا قد تكامل· وقد تممتُ العمل الذي وجب عليَّ ان اعملهُ· وما اقتدر ان اعمل اكثر منهُ عملاً۞ مانعًا بهذا القول تكوُّن نموّ داء حسدهم· ليس النمو الحاضر فقط· لكن المستانف ايضًا* مظهرًا قولهُ في ذكر الحوادث المستانفة۞وقد كان حقق هذه الاقوال مما قالهُ ومما عملهُ* فلذلك استثنى بان قال ٣٠ .. ذاك ينبغي لهُ ان ينمو· وينبغي لي انا ان انقص* " ومعنى هذا هو ان افعالنا نحن قد وقفت فيما بعد وكفَّت۞وافعال ذاك ينبغي ان تنمو*لان هذا هو الذي قد خشيتموهُ الان· فليس من شانهِ ان يقف الان فقط· لكن اليق بهِ واوجب ان يزيد ويثبت*لان هذا النمو هو الذي يوضح احوالنا نيِّرة بهية كثيرًا۞لاجل هذا جيت· وانا الان افرح بان احواله استمدت زيادة كثيرة· وتكوَّنت هذه الافعال· التي لاجلها كانت جميع الاعمال الكاينة منا* فاعرف كيف سكَّن بهدوٍ وحكمة كثيرة سَم هواهم· وطفى حسدهم· واوضح لهم انهم يتعاطون افعالاً ممتنعة*فبهذا الرفق سكَّن خصوصًا رذيلتهم*لان لهذا الغرض دبر ان تكون هذه الحوادث۞وهو حينيذٍ جاءَ ليعمَّد لكي يجوزوهُ شاهدًا بسمو محل المسيح· ولا يتملكوا صنفًا من اعتذار: ان لم يقبلوا منهُ*لانهُ ما افضى من ذاتهِ الى ان يقول هذه الاقوال· ولا قالها اذ سالهُ اناس آخرون*لان هولاءِ كانوا السايلين اياهُ السامعين منهُ*لانهم ما قبلوا منهُ على هذه الجهة۞اذا قال قولاً من ذاتهِ· مثل ما امتلكوا الحكم موجبًا القضية بذاتهِ عليهم* اذ سمعوهُ بعد سوالهم اياهُ مجيبًا اياهم۞فكانت حالهم حال اليهود الذين لاجل سوالهم اوجبوا الحكم

عليهم لانهم من ذاتهم ارسلوا اليهِ . وسمعوا منهُ ما سمعوهُ . ولم يقبلوا قولهُ . فاخرجوا ذواتهم من كل اعتذار

العظة التاسعة والعشرون

طعن على ذوي الشرف الفارغ

فماذا نتعلم من هذه الجهة : نتعلم ان التلهف الى التشريف هو علة الاعمال الردية كلها ۞ هذا العارض اقتاد تلاميذ يوحنا الى الحسد والغيرة . هذا العارض انهضهم ايضاً بعد ان سكنوا قليلاً . فتقدموا الى عند يسوع وقالوا .. لاي سببٍ ما تصوم تلاميذك : " متى ص ٩ ع ١٤ فلنهربنَّ يا احبائي من هذا الداء * لاننا ان هربنا منهُ فستتخلص من جهنم ۞ لان هذا الداء يضرم نارها كثيراً . وقد اوصل رياستهُ الى كل مكان . وضبط كل سنٍ وكل رتبةٍ ضبطاً غاصباً ۞ هذا العارض جعل الكنايس فوق واسفل . هذا الداء يفسد اعمال المدن . هذا الداء اقلب منازل بجملتها . واجتاح مدناً وجوعاً واممًا ۞ ولمَ تتعجَّب : اينما خرج الى ارضٍ قفراء . اوضح هنالك مقدرتهُ كثيرة . لان الذين قالوا للاموال ولساير خيال الدنيا السلام عليكِ واجتنبوها كثيراً . ولم يقترنوا بصنفٍ من اصنافها . وضبطوا الارتياح الى الاجسام الاشد اغتصاباً من غيرهِ . هولاءِ لما اصطادهم في اكثر الاوقات الشرف الفارغ . اضاعوا محامدهم كلها * لاجل هذا الداء ذهب الفريسي بعد ان تعب اتعاباً كثيرة . حاوياً حظاً ادنى من العشار الذي ما تعب تعباً . بل الذي كان خاطيًا خطايا جزيلاً عددها * ولكن ثلبنا هذا الداء ليس هو عملاً نافعا . لان جميع الناس يحكمون بصحة هذه الاقوال باعيانها * الا ان مطلوبنا النافع انما هو كيف نقهرهُ * وان سالت كيف نقهرهُ : اجبتك . نقهرهُ اذا ما وازنا شرفاً بشرفٍ . لاننا على نحوما نستحقر ثروة الارض . اذا ما نظرنا الى ثروة غيرها اعلى منها سمواً . ونعرض عن هذه الحياة . اذا تفطنا في الحياة الافضل من هذه كثيراً . فكذلك نقتدر ان نرفض الشرف الذي ههنا * اذا تاملنا الشرف الذي هو بالحقيقة شرف افضل من هذا واطول زماناً * لان هذا الشرف هو شي فارغ باطل . حاوٍ اسم الشرف . مقفرٌ من فعلهِ . وذلك شرف صادق من السموات . حاوٍ ليس اناساً . لكن مليكة .

ورؤساء مليكة ٠ وسيد الميكة ٠ واليق ما يقال ٠ والناس ايضاً معهم مادحين اياك* ان نظرت الى ذاك المشهد ٠ ان عرفت الاكلة التي هناك ٠ ان نقلت ذاتك الى التصفيق والفرح الذي هنالك ٠ فليس تقتدر في وقت من الاوقات الخدايع التي ههنا ان تضبطك ٠ ولا تحتسبها عند حضورها عظيمة ٠ ولا تطلبها اذا غابت* لان في قصور الملوك التي ههنا ليس يهمل واحد من الجند الواقفين بحضرة الملك ٠ ان يرضي اللابس التاج الجالس على كرسيه ٠ اذا استفحص اصوات العقاعق ٠ او هفيف الذباب . او طيران البرغش وذميمه* لان مدايح الناس ومثانيهم ٠ ما تفضل شياً على الاصناف التي ذكرناها* فاذ قد عرفنا حقارة الاوصاف . والحظوظ الانسانية ودناءتها . فلنجمع كافة الفوايد في الكنوز الفاقدة ان تكون مسلوبة * ونطلب الشرف الباقي الفاقد ان يوجد متزعزعاً * الذى فليتفق لنا كلنا امتلاكه ٠ بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه ٠ الذي به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس ٠ الى اباد الدهور كلها امين

المقالة الثلثون

في قوله ٣١ الوارد من فوق هو فوق البرايا كلها* والموجود اسفل هو من الارض ٠ ومن الارض يتكلم

ان عشق الشر لردي ٠ سبيل مملو اشواكاً ٠ والانجذاب منه مستصعب ٠ مستنهض على من يربيه وحشاً كثيرة روسه . ممتنعاً تونيسه * لان كما تاكل الدودة الخشب الذي يولدها . ويفني الصداء الحديد الذي يبرز منه ٠ وياكل السوس الصوف ٠ فكذلك الشرف الفارغ يهلك النفس التي تربيه وتغذوه* فنحتاج حرصاً كثيراً ٠ لنبيد هذا الداء* وانظر الى يوحنا ههنا ٠ وتامل الاقوال التي بها رقّي تلاميذه الذين استقهم هذا الداء ٠ وبالجهد سكنهم . لانه مع الاقوال التي قالها فيما سلف لهم نطلهم باقاويل غيرها اخرى* وان سالت ٠ وما هي هذه ؟ اجبتك ٠ هي قوله .. الوارد من فوق هو فوق الناس كلهم* والموجود اسفل هو من الارض ٠ ومن الارض يتكلم* " كانه قال . اذ قد رددتم شهادتي فوق واسفل ٠ وقلتم انها موهلة لتصديقها ٠ فيلزمني اضطراراً ان اعرفكم ذلك القياس ٠ ان ليس ممكناً ان يكون الوارد من السموات غير موهل للتصديق دون ساكن الارض*

فان قلت فما معنى قولهِ .. فوق البرايا كلها :" وما الذي نرتاده هذه اللفظة. ان توضحه لنا:
اجيبك. انهُ يبين لنا بها. انهُ ليس يحتاج الى احدٍ. هو كافي لذاتهِ. وهو اعظم من الكل*
والموجود اسفل المتكلم من الارض. يعني بهِ يوحنا الصابغ ذاته. ليس انهُ تكلمّ من تمييزهِ.
لكن على نحو ما قال المسيح ..ان كنت قلت لكم الافعال الارضية. وما صدقتموها" مسمياً
المعمودية بهذا الاسم* ليس لانها كانت ارضية. لكن لانهُ قايسها بولادتهِ الفايت وصفها.
فكذلك قال يوحنا ههنا عن ذاتهِ .. انهُ من الارض يتكلم*" لما قايس اقوالهُ هو بتعليم المسيح*
لان المتكلم من الارض ليس يدل على معنى آخر. الاّ على ان اقوالي زعم حقيرة ذليلة ذرية.
اذا قيست باقوال ذاك* وهذا المحل محلها اللايق ان تقتبلهُ طبيعة ارضية* لان .. عند ذاك
كافة كنوز الحكمة مخفاة" كولوصايس ص ٢ ع ٣ والبرهان انهُ ليس يقول ذلك في وصف
افكار انسانية. فواضح من هنالك. اذ قال .. الموجود من الارض من الارض يتكلم*" مع ان
ما كان كل ما فيهِ من الارض. بل قد كان فيهِ ما هو احق بالتفضيل* لانهُ كان قد حوى
نفساً وساهم روحاً لم تكن من الارض* اراءيت انهُ ما قال قولاً آخر. الاّ انني انا صغير. ولست
اهلاً لصنفٍ من وصفٍ. من طريق انني وارد من الارض. وفي الارض ولدت: واما المسيح فورد
اليكم من العلو. فبهذه الاقوال كلها اخمد حسدهم. وتكلم حينيذٍ فيما بعد في وصف المسيح بمجاهرة
اكثر. لان قبل هذا الوقت كان فضلة ذايدة ان يقول كلاماً ليس يبلغ عند سامعيه. فلما قلع
الشوك. حينيذٍ بذر زروعهُ فيما بعد بهيلة فسيحة *قايلاً .. الوارد من العلو هو فوق البرايا كلها*
٣٢ وما سمعهُ يتكلم بهِ وما ابصرهُ يشهد بهِ* وشهادته فليس يقبلها احدٌ" اذ قال في وصفهِ قولاً عظيماً
عالياً. اقتاد كلامهُ ايضاً الى اذل لفظٍ* لان قوله .. ما سمعهُ يتكلم بهِ. وما ابصرهُ يشهد بهِ* وشهادتهُ
ليس يقبلها احدٌ." هو قول اقرب الى الانسانية. لانهُ ما ابصر ما ابصرهُ من تامل. ولا عرف ما
عرفهُ من سماع* لكنهُ قد حوى كل ما لهُ في طبيعتهِ. اذ برز من حضون ابيهِ تاماً. وليس محتاجاً
الى من يعرفهُ* لانه قال .. على نحو ما يعرفني ابي. فكذلك اعرف انا ابي*" فان سالت. وما
معنى قولهِ: ما سمعهُ يتكلم بهِ: وما ابصرهُ يشهد بهِ: اجيبك. لما كنا نحن بهذه الحواس نعرف كل
ما نعرفهُ بابلغ استقصاء. ونستشعر انهما معلمون موهلون للتصديق في وصف الاشيا. التي اما ان

تأملها ببصرنا· واما ان نقتبلها بسمعنا*من طريق قولنا انها ليست كاذبة· ولامتصنعة۞هذا القول لما اراد يوحنا ان يصلحهُ ههنا· قال ما سمعهُ وما ابصرهُ* ومعنى ذلك· هو ان ليس يوجد في القول البادي منهُ لفظ كاذب لكن الفاظه كلها صادقة۞ ونحن على هذا الحال· طالما قلنا اذا استجنا عن شيٍ· فنسال انت سمعت· انت ابصرت؛ فاذا استوضح ذلك عندنا· كانت الشهادة خالية من التشكيك فيها*وربنا اذ قال ,, على حدو ما اسمع احكم۞وما سمعتهُ من ابي اتكلم بهِ· وما قد رايناهُ نشهد بهِ* '' يوحنا ص ١٥ ع ١٥ ويتكلم اقوالاً غير هذه تناسبها۞ليس يقولها حتى نعلم انهُ قد عرف بها· لان توهم ذاك هو من غباوة واصلة الى غايتها· لكنهُ انما يقولها· لكيلا يتهم اليهود المتوحين قولاً من الاقوال التي يقولها*لانهم اذ كانوا بعد ما امتلكوا رايًا واجبًا من اجلهِ· التجاء الى ابيهِ التجاء متصلاً· جاعلاً من هنالك الاقوال التي يقولها موءهلة لتصديقها۞ وما استعجابك ان كان يلتجي الى ابيهِ· اذا رايتهُ هو يجي دفعات كثيرة الى الانبياء· والى الكتب؛ اذ يقول تلك هي التي تشهد من اجلي*فهل تقول· انهُ هو ادنى من الانبياء· اذا استجذب الشهادات من عندهم وبعد هذا القول؛ لكنهُ لاجل ضعف سامعيهِ· اجرى كلامهُ على هذا المجرى۞ وقال انهُ تكلم بما تكلم بهِ اذ سمعهُ من ابيهِ۞ولم يكن حالهُ حال محتاج الى معلم· لكن لكي يصدق اوليك· ان ليس يوجد قول من الاقوال التي يقولها كذبًا۞ فالذي يقولهُ يوحنا معناهُ هذا هو· انا محتاج ان اسمع الاقوال البادية من ذاك*لانهُ من العلوجاء مخبرًا بالمحاسن التي هنالك· التي قد عرفها هو وحده معرفة بيّنة· لان قولهُ ابصرَ وسمعَ· هو قول موضح هذا المعنى بعينهِ* قال وشهادتهُ فليس يقبلها احدٌ۞على انهُ قد امتلك تلاميذ· وكثيرون قد اصغوا الى ما قالهُ· فان قلت· فكيف قال ان ما قبلها احدٌ؛ اجبتك· قولهُ هذا بدل من قولهِ اناس يسير عددهم قبلوها الان*والاَّ فلو كان قال ما قبلها ولا واحد· فكيف كان اتبع ذلك بقولهِ ٣٣ ,, ومَن قبل فقد ختم· ان الله صادقٌ هو* '' فههنا يلذع تلاميذهُ· اذ حالهم حال مَن لم يكونوا معتزمين ان يصدقوهُ عاجلاً*لان البرهان على انهم ولا بعد هذا صدقوا الفاظه فيهِ· فواضح من الالفاظ التي قيلت بعد هذه۞لانهُ لهذا السبب لما سكن في السجن· ارسلهم من هنالك الى عندهُ· ليربطهم بهِ كثيراً*فبالجهد آمنوا بهِ حينئذٍ۞وهذا فقد ذكرهُ المسيح ذكراً غامضاً· وقال ,, مغبوطٌ من

لم يشك فيَّ" ولهذا المعنى قال الان .. وشهادته ليس يقبلها احد* " واحتاط على تلاميذه. وقارب ان يكون قال لهم. لا تكونوا اذ قد ابتدى ان يصدقه الان اناس قليلون. قد توهمتم لهذا السبب ان الاقوال التي يقولها كاذبة. فانه انما يتكلم بما قد ابصره*ومع ذلك فيقول هذه الاقوال. يلذع بها ذوال حس اليهود*والبشير فلما ابتداء بالكلام. قد انتهرهم على هذه الجهة. اذ قال. انه .. جاء الى خاصته. وخاصته فلم تقبله* " وهذا فليس هو ثلبًا له. لكنه ثلب للذين ما قبلوه* وقال .. فمن قبل شهادته. فقد ختم ان الله صادق هو* " فههنا يريعهم. اذ بيّن ان من لم يصدقه فهو ينكر ليس له وحده. لكنه ينكر اباه ايضًا❁لانه قال ٣٤ .. من ارسله انما يتكلم الفاظ الله" فمن يصدقه يصدق ذاك۞ ومن ينكر قوله ينكر قول ذاك* وقوله قد ختم. فمعناه هو قد اوضح وابان*ثم انمى الخوف وقال .. ان الله صادق هو۞ "لان ليس ينكر منكر قول هذا لمعنى آخر. ان لم يعرف الله الذي ارسله بكذب۞لانه اذ ليس يقول قولاً خارج اقوال ابيه*لكنه انما يقول اقوال ذلك۞فمن يخالف هذا الابن. فقد خالف اباه الذي ارسله*ارايت كيف يلذعهم بهذه الاقوال: ولعمري انهم ما ظنوا ان مخالفتهم للمسيح عاجلاً توجد ذللاً عظيمًا. فلهذا السبب علق عليهم خطرًا عظيمًا تقديره. اعني على الذين انكروا اقواله ولم يصدقوه. ليعلم الذين عصوا المسيح. انهم قد عصوا الله اباه بعينه. وخالفوه۞ثم تقدم في هذا الكلام متحدرًا نحو مقدار ضعفهم*وقال .. لان الله ما اعطاه الروح بالكيل❁ " ها هو ايضًا على ما قلت. يسوق كلامه الى اذل اللفظ ويلونه. ويجعله سريعاً اقتباله عند سامعيه حينيذ*لانه ما كان موثرًا ان يعلي الخوف وينميه بمعنى آخر. لانه لو كان قال في وصفه قولاً عظيماً عالياً. لما كانوا صدقوه*لكنهم كانوا قد استحقروه* فلهذا السبب صاعد القول كله الى الاب* وهو الان يخاطبهم في وصف المسيح كمن يخاطب في وصف انسان❁فان سالت فما معنى ما قاله .. ما اعطاه الله الروح بالكيل: " اجبتك. انه قال نحن كلنا اخذنا فعل الروح بكيل ومقدار. لانه دعا الفعل ههنا روحاً*لان هذا الفعل هو القاسم المجزى. فاما هذا فقد امتلك الفعل كله كاملاً عديمًا ان يكون مقدرًا*فان يكن فعله عديمًا ان يكون مقدراً. فاولى واليق ان يكون جوهره عديمًا ان يكون مقدرًا*فاذا كان الروح عديمًا ان يوجد مخبورًا. فالمقتبل اذا كافة فعل الروح. العارف اقوال الله وافعاله. القايل ما سمعناه

تتكلم به. وما رايناهُ فنشهد بهِ. كيف يكون واجباً ان يتهم. لانه قال ليس لهُ ما ليس يوجد لله ابيه. وما ليس يوجد للروح۞ولعمري انهُ ما يتكلم الان قولاً في وصف الاله الكلمة. لكنهُ من الاب والروح يجعل كلامهُ وتعليمهُ موهلاً لتصديقهِ*لانهم قد عرفوا ان الهًا موجود۞وما انكروا ان روحاً موجود* وان كانوا ما امتلكوا في الله راياً واجباً * وما عرفوا ان ابناً موجود * فلهذا السبب يلتجي الى الاب والى الروح. محققاً من تلك الجهة ما يقولهُ۞اذ كان متى بطل مبطل هذه العلة. واستخص الكلام على انفرادهِ. ينقص مرتبة المسيح جداً*لان المسيح موهل للتصديق عندهُ ليس لاجل هذا المعنى. وهو لانه قد امتلك فعل الروح. بل لانه ليس يحتاج الى المعونة من تلك الجهة*لكنهُ هو كافٍ لذاتهِ*فيوحنا الصابغ الان يتكلم نحو ظن الذين قد عدموا ان يكونوا تامين. مريداً ان يصاعدهم من الاوهام الذليلة قليلاً قليلاً۞فهذه الاقوال اقولها الان. حتى لا تجاوز الاقوال الموضوعة في الكتب على بسيط ذات التجاوز والاعراض*لكن ينبغي ان تتامل غرض المتكلم. وضعف سامعيه۞والاصناف الاخر كلها التي فيها*لان المعلمين ليس من عادتهم. ان يقولوا اقوالهم كلها على نحو ما يريدون. لكنهم يقولون اقوالاً كثيرة على حدو ما تطالبهم بها ملكة الضعيفين التمييز*ولذلك قال بولس .. ما استطعت ان اكلمكم مثل ما اكلم اناساً روحانيين. لكنني سقيتكم كما يُسقى المحميون لبناً. وما اطعمتكم طعاماً* .. قرنثيه ا ص ٣ ع ٢ كانهُ قال اردت ان اكلمكم مثل ما يكلم الروحانيون۞الا انني ما قدرت على ذلك*ليس لانهُ هو ضعف عن خطابهم. لكن لان اوليك ما امكنهم ان يسمعوا هذا السماع * هذا العمل عملهُ يوحنا. اراد ان يعلّم تلاميذهُ علوماً عظيمة. الا ان اوليك ما كانوا قد احتملوا بعد ان يتقبلوها*فلهذا السبب خصوصاً لبث في الاقوال الاذل من غيرها

العظة الثلثون

في انهُ ينبغي لنا ان نستعمل الكتب استعمالاً ملايماً وعلى نحو ما قيلت وفي العيشة المذمومة ايضاً فيجب علينا ان نستخص الاقوال كلها بابلغ الاستقصاء*لان اقوال الكتب هي اسلحة روحانية* الا اننا اذا لم نعرف ان ننظم الاسلحة. وندرع بها تلاميذنا على ما ينبغي. تكون هي مالكة قوتها. الا

انها ما تنفع الذين يقتبلونها *لاننا نضع في القياس . انهُ يوجد درع قوي . وخوذة . وترس . ورمح .
ثم لياخذ هذه الاسلحة احد الناس . فيضع الدرع على رجليهِ . ويجعل الخوذة على وجههِ بدلاً من ان
يجعلها على راسهِ . ولا يجعل الترس امام صدرهِ . لكن فليماحك ان يجعلهُ على رجليهِ* فهل يستطيع
صنف من هذه الاسلحة ان تنفعهُ البتة : او ليس اليق بها ان تضرهُ اكثر : وذلك واضح في كل مكان :
وعند كل احد* الاَّ ان هذا الضرر ليس هو من ضعف الاسلحة . لكنهُ من زوال خبرة الذي لم
يعرف ان يستعملها استعمالاً صايباً* على هذا المجرى يجري الحال في الكتب . اذا شوشنا ترتيبها . فهي
تمتلك قوتها على هذا الحال . لكنها ما يفيدنا نفعاً * فهذه الاقوال قد خاطبناكم بها سرّاً وعلانيةً . وما
حصلت لنا فايدة اكثر* لكنني اراكم متجنبين طول عمركم في اشغال الدنيا . وما تساهمون الاعمال
الروحانية ولا في نومكم* فلهذا السبب حصل عمرنا ومعاشنا وانيا* واذا اجتهدنا عن الحق .
ما نمتلك قوة عظيمة ۞ لكننا نصير مضحوكاً علينا من الاوثانيين . واليهود . ومبدعي بدع هواهم في
الدين . ولو كنتم وانين في الاشغال الاخر . واظهرتم في هذه الافعال تلك الونية بعينها* لقد
كان فعلكم هذا ليس موهلاً على هذه الجهة لاعتزار ۞ فالان كل واحد منكم يوجد في اشغال الدنيا
سيفًا اجزم قطعاً ۞ والذين يمارسون الصنايع والذين يعملون اعمال المدينة . فحرصهم واصل الى
الغاية* وانتم في الاعمال الضرورية الروحانية انوم الناس كلهم . واكثرهم ونيةً . مستعملين الاعمال
الزايغة عن الواجب* والاعمال التي يجب ان تجعلوها الزم ضرورةً من الاعمال كلها . تستشعرون
انها ازوغ الاعمال عن الواجب . او ما قد عرفتم ان الكتب التي كُتبت . ما كُتبت لاجل الناس
الاولين وحدهم . لكنها من اجلكم ايضاً كُتبت ۞ اما تسمع بولس القايل .. ان هذه الاقوال انما كُتبت
لوعظنا وتنبيهنا . نحن الذين قد انتهت الينا غايات الدهور . حتى نمتلك الرجاء بتعزية الكتب
واذكارها* ‟ قرنثيه اولى ص ١٠ ع ١١ روميه ص ١٥ ع ٤ وقد عرفت اني اتكلم كلاماً باطلاً* ولكنني
لست اكف عن التكلم . لانني اذا عملت هذا العمل اعتزر الى الله* ولو لم يوجد مَن يسمع كلامي* وذلك
ان مَن يخاطب اناساً يصغون اليه . يمتلك تسليةً لخطابهِ قبول السامعين منهُ* ومَن يتكلم كلاماً
متصلاً . وليس مَن يسمع كلامهُ . ثم لا يكفّ عن تكلمهِ . يكون موهلاً لتكريم اكثر* لاجل رايهِ
المرضي لله . وليس يصغي اليهِ احد مكملاً كافة مراده* لكننا مع ذلك . وان كان الثواب من

معصيتكم اعظم قدراً . فاننا نشتهي ان ينقص ثوابنا كثيراً . وان ينمو خلاصكم ويذيد* معتقدين توفيقكم وتهذيبكم يوجد لنا ثواباً عظيماً* وهذه الاقوال نقولها الان . ليس حتى نجعل كلامنا ثقيلاً مستصعباً . لكننا نقولها لكي نريكم الوجع الذي يشتملنا لاجل توانيكم * الذي فليكن لنا كلنا ان نتخلص منهُ . ونستقني الحرص الروحاني . ونمتلك النعم الصالحة السمائية . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي معهُ ولابيه المجد مع الروح القدس الى اباد الدهور كلها امين

المقالة الحادية والثلثون

في قولهِ ٣٥ ان الاب احب ابنهُ . واعطاهُ البرايا كلها في يديهِ فمَن يومن بالابن يمتلك حياة دهرية . ومَن يجحد الابن فليس يعاين الحياة . لكن سخط الله يثبت عليهِ

ان الفايدة من الاستكانة والمقاربة في الاعمال كلها تستبين عظيمة *فعلى هذه الجهة نحكم الصنايع اذا تعلمنا من معلميها كافة اسرارها . ليس بغتةً . لكن رويداً رويداً *وعلى هذه الطريقة نبتني مدناً انشيناها بسكون قليلاً قليلاً *على هذه الحال نمسك حياتنا* ولا نستعجب ان كان هذا الفعل يمتلك في اعمال الدنيا قوةً هذا مبلغها . اذا كان في الاعمال الروحانية قد نجد قوة هذه الحكمة كثيرة* وبيان ذلك ان اليهود على هذه الجهة امكنهم ان يتخلصوا من عبادة الاصنام . لما اقتيدوا بسكون قليلاً قليلاً . وما سمعوا من الابتداء قولاً عالياً من اراء دينهم . ولا لاجل سيرتهم* وعلى هذه الطريقة اقتاد الرسل جميع الذين آمنوا بعد ورود المسيح . حين حضر وقت الاراء الاعلى محلاً من غيرها . وما خاطبوهم منذ ابتداء انذارهم خطاباً عالياً* والمسيح سيدنا فقد خاطب في ابتداء انذارهِ اكثر الواردين اليهِ هذا الخطاب* وهذا المسلك سلكهُ الان يوحنا الصابغ . فكانت حالهُ حال من يخاطبهم في وصف انسان عجيب* قد وضع في خطابهِ الاوصاف العالية وضعاً محجوباً* لانهُ في ابتداء كلامهِ قال هذا القول .. ليس يقدر انسان ان ياخذ شياً من ذاتهِ .. ثم نظم في كلامهِ قولاً عالياً* وقال .. الوارد من السماء . هو فوق البرايا كلها* .. ثم احدر كلامه ايضاً الى الالفاظ الاذل من غيرها . وقال اقوالاً اخرى كثيرة .. وان الله ما اعطاهُ الروح بالكيل* .. ثم استثنى بان قال . .. الاب احبَّ الابن* واعطاهُ البرايا كلها في يدهِ* .. ثم لعلمهِ ان قوة الوعيد بالتعذيب توجد كثيرة . وان الناس

الكثيرين ليسوا منقادين على هذا المثال الى الايمان . اذ اوعدوا بالمواعيد الصالحة . مثل ما ينقادون من اجل الوعيد بالعقوبات الرهيبة . حبس كلامهُ في هذه الالفاظ * اذ قال هذا القول .. مَن يؤمن بالابن يمتلك حيوةً دهرية . ومَن يعصى الابن ما يعاين الحياة . لكن سخط الله يثبت عليهِ * " وههنا ايضاً يصاعد الى الاب ذكر العقوبة * لانهُ ما قال سخط الابن . على ان الابن هو الديان . لكنهُ اقام لهم اباهُ . واولى ما يقال . انهُ اراد ان يريعهم * ولقايل ان يقول . فهل يكفي احدنا ان يومن بالابن . فيمتلك حياةً دهرية : فنجيبهُ . ليس يمتلك بجهةٍ من الجهات * لانهُ قال .. ليس كل قايلٍ لي يارب يارب يدخل الى ملك السموات * " متى ص ٧ ع ٢١ والتجديف ايضاً على الروح القدس . يكفي وحدهُ ان يزج قايلهُ في جهنم * وما حاجتي ان اتكلم في رايٍ جزوءيٍ : ولو ان احد الناس يومن بالاب والابن والروح القدس ايماناً متقوماً . ولم يمتلك عيشةً متقومة . لم يحصل لهُ من ايمانهِ . ولا فايدة واحدة توصلهُ الى خلاصهِ * واذ قال .. ان هذه هي الحياة الدهرية . ان يعرفوك انك انت الاله الصادق وحدك " يوحنا ص ١٧ ع ٣ فلا تتوهم ان هذا اللفظ الذي قيل . فيهِ كفاية لخلاصنا * لكننا نحتاج الى عيشة متقومة مهذبة . وطريقة نقية طاهرة . مع انهُ قد قال ههنا .. ان مَن يومن بالابن يمتلك حياةً دهرية * " واشد من هذا القول قد قال ههنا . لانهُ قد ركب كلامهُ ليس من المواعيد الصالحة فقط . لكنهُ قد نظمهُ مع ذلك من اضدادها . اذ قال هذا القول .. ومَن ليس يومن بالابن . ليس يعاين الحياة . لكن سخط الله يثبت عليهِ * " الاَّ اننا لسنا نقول مع ذلك . ان هذه الامانة وحدها تجزينا لخلاصنا * ويبيّن ذلك الاقوال التي قيلت في جهاتٍ كثيرة من الاناجيل المقدسة . في ذكر العيشة القويمة * فلاجل هذا المعنى . ما قال هذه هي الحيوة الدهرية وحدها . ولا قال مَن يومن بالابن فقط يمتلك حياةً دهرية . لكنهُ اوضح في كل واحد من القولين هذا المعنى . ان الفعل يمتلك حياة * فاذا لم تتبع افعال الطريقة فعل الامانة . فستتبعهُ العقوبة كثيرة * وما قال سخط الله ينتظرهُ . لكنهُ قال . وسخط الله يثبت عليهِ * ومعنى ذلك هو ليس ينتزح عنهُ في وقتٍ من اوقاتهِ * لانهُ لكيلا يظن قولهُ ليس يعاين الحيوة يوجد موتاً وقتياً . لكن يصدق ان تعذيبهُ دايم . وضع هذه اللفظة موضحاً ان السخط يتعلق بهِ بمداومة متصلة * وانما عمل هذا العمل مستقيداً اياهم بهذه الالفاظ الى المسيح * ولهذا الغرض ما جعل وعظهُ يعتمدهم خصوصاً . لكنهُ جعلهُ وعظاً كلياً حتى تمكن

ان يقتادهم اسرع كثيراً *لانه ما قال. ان امنتم بالابن. وان لم تومنوا بهِ. لكنه ساق كلامهُ الى اللفظ العام* حتى يصير ما يقولهُ ناجيًا من ان يكون متهمًا* والمسيح فقد عمل هذا العمل اشد فعلاً* لانهُ قال. ان مَن لم يومن* فقد حكم عليهِ. واسلف تعذيبهُ* وهذا فقال. ليس يعاين الحيوة. لكن سخط الله يثبت عليهِ* وذلك على جهة الواجب جداً* لان ليس فعلاً متشابهًا ان يقول قايل في وصف ذاته قولاً. وان يقول غيرهُ في وصفهِ قولاً* لانهم توهموا المسيح انهُ يقول هذه الاقوال في اوقات لاجل انهُ يحب ذاتهُ ويتفخم بها* ويوحنا تخلص من هذا التوهم٥ ولين كان المسيح بعد ذلك يستعمل الكلام اشدّ جهاراً* الا انهم فيما بعد امتلكوا من اجله رايًا عظيمًا* قال البشير.

الاصحاح الرابع ١ واذ عرف يسوع ان الفريسيين قد سمعوا ان يسوع يصطنع تلاميذ اكثر عدداً من تلاميذ يوحنا. ويعمّد ٢ على ان يسوع بعينه ما عمّد. لكن تلاميذهُ عمّدوا ٣ انصرف من بلد اليهودية وجاء الى الجليل* " فهو ما عمّد* الا ان الذين اخبروهم ارادوا ان ينهضوا السامعين منهم الى الحسد لهُ. فاخبروهم هذا الاخبار* وان سالت. لِمَ انصرف: اجبتك ما انصرف لاجل جبانة. لكنهُ انصرف قاطعًا حسدهم مسليًا نفاستهم* لانهُ كان قادراً ان يضبطهم. اذا وافوا اليهِ. الا انه ما اراد ان يعمل هذا العمل متصلاً. حتى لا تنكر سياسة تجسدهِ* لانه ان كان قد انفلت لما ضبطوهُ ضبطًا متصلاً. وانفلاته هذا فقد اُتهم عند كثيرين* فلهذا السبب يدبّر اكثر افعالهُ تدبيراً اقرب الى الانسانية* لانهُ على نحو ما شاء ان يُصدّق انهُ كان الهًا. فعلى نحو ذلك شاء ان يُصدّق انهُ موجود الهاً قد لبس جسداً* ولهذا الغرض قال بعد قيامته لتلاميذهِ.. فتشوا وانظروا. ان روحاً ليس يمتلك لحمًا وعظامًا. كما ترون لي* " لوقا ص ٢٤ ع ٣٩ ولهذا السبب ايضاً انتهر بطرس عندما قال.. حاشا يارب. ما يكون لك هذا* " متى ص ١٦ ع ٢٢ فهذا الفعل كان عندهُ بهذه الصورة محروصاً عليه جداً٥ اذ كان هذا الجزء ليس بوجد صغيراً من اجزاء اراء كنيستنا* وهو هامة الخلاص الكاين من اجلنا. وبه صارت افعاله كلها واُحكمت* لان على هذه الجهة انحل موتنا. وبطلت خطيتنا. وغيبت اللعنة عنا. ودخلت الفوايد الصالحة الجزيل عددها الى عيشتنا* فلذلك اراد واثر كثيراً ان يصدق تدبيرهُ الصاير لنا قرمة الفوايد الصالحة الجزيل عددها وينبوعها* واذ دبّر افعالهُ الانسانية. ما تركها ان تحجب افعالهُ الالهية* واذ انصرف ايضاً فعل افعالهُ باعيانها التي افتعلها

فيما سلف۝لانه ما صعد الى الجليل على بسيط ذات الصعود · لكنه افتعل افعالاً عظيمة عند اهل بلد السامرة۝وما دبرها على بسيط ذات التدبير· لكنه دبرها بالحكمة اللايقة به۝ولم يترك لليهود ولا حجة واحدة البتة لاحتجاج وقاح۝وهذا فقد ذكره البشير ذكراً غامضاً · وقال انه ٤ .. كان ينبغي له ان يجتاز بمدينة السامرة*" موضحاً ليآه فاعلاً هذا الفعل · فعلاً منحرفاً عن غرض طريقه.۝وهذا الفعل فقد فعله رسله۝لان كما ان اوليك · اذ طردوهم اليهود في ذلك الحين جاوا الى الامم · وكذلك فعل المسيح حين طردوه · حينيذٍ مارس انذار اوليك السامريين · على حدو ما عمل بالامراة السريانية التي من بلد الغور۝وهذا صار حتى ينقطع كل احتجاج اليهود . ولا يستطيعوا ايضاً ان يقولوا انه تركنا . وذهب الى عند الغلف*ولهذا السبب عند احتجاج تلاميذه قالوا .. قد كان فعلاً لازماً ضرورياً ان تخاطبوا انتم اولاً بكلام الله*واذ قد حكمتم على ذواتكم · انكم عديمين ان تكونوا موهلين له · لنرجعن الى الامم*" ابركسيس ص ١٣ ع ٤٥ و٤٦ وقد قال هو ايضاً .. ما جيت الا الى الغنم الضالة من بيت اسراميل*" متى ص ١٥ ع ٢٤ وقال ايضاً .. ليس هو جيداً ان يوخذ خبز البنين · ويعطى للكليبات*" فاذ طردوه . فنحوا للامم باباً*وما جاء ولا على هذا الحال الى اوليك السامريين مجياً قد تقدمه استعداد · لكن مجتازاً*لانه ٥ .. جا الى مدينة السامريين المسماة سوخار · التي موقعها بقرب الضيعة · التي اعطاها يعقوب ليوسف ابنه ٦ وكان هنالك بير ليعقوب*" ولعلك تسأل · لم تعمق البشير في وصف المكان ؛ فاجيبك · حتى اذا سمعت الامراة قايلة ان يعقوب ابانا اعطانا هذه البير لا تستغرب قولها*لان ذاك المكان هو الذي اغتاظ فيه لاوي وسمعان بسبب دينا اختهما · واخترعا ذلك القتل الصعب تاثيره جداً* لعمري ان فعلاً موهلاً للبحث عنه ان نصف من اين نشا السامريون · لان هذا المكان كله يدعى بلد السامرة* وينبغي ان نصف من اين استمد هذا اللقب*وذلك ان الجبل يدعى سومار من مستقنيه · على نحو ما ذكر اشعيا .. لان افرام راس السومريين*" اشعيا ص ٧ ع ٩ الا ان الذين سكنوه ما دعوا سامريين · لكنهم سموا اسراميليين · ولما تمادى بهم الزمان صادموا الله*وفي حين تملك فاكيا صعد ثغلاث فلاصار · واستباح مدناً كثيرة · وكبس ايلا وقتله · وسلم ملكه الى اوسيا*ثم جاء هذا سلمانا صار واجتاح مدناً لاوسيا اخرى · وجعل اهلها يدون الخراج اليه*الا ان هذا اوسيا اطاع في الاول مرسوم

سلماناصار. ثم انتزح بعد ذلك عن رياسته. والتجا الى نجدة الحبشة* واذ عرف ذلك سلماناصار العراقي. استجاش عليهم وقتلهم* وما ترك تلك الامة تقيم هنالك ايضاً. بسبب توهمه فيهم العصيان* لكنهُ استاقهم الى بابل والى دبلمان* واقتاد الى هنالك اماً من اماكن مختلفة. واسكنهم بلد السامرة* حتى تحصل له فيما بعد رياسته حريزة. اذا كان قاطنوا المكان يناسبونه* فاذ حدثة هذه الحوادث. شاء الله ان يوضح قدرتهُ. ويري انه ما اسلم اليهود بسبب ضعفه عن انقاذهم. لكن لاجل خطاياهم. فاطلق على اوليك الامم سباعاً فافسدتهم* فلما اُخبر هذه الحوادث الملك. ارسل اليهم كاهناً واحداً. ليُسلم اليهم شرايع الله* ولكنهم مع ذلك ما انتزحوا. ولا على هذه الحال عن الحادهم بجملة الانتزاح. لكنهم انتزحوا عن النصف من كفرهم* واذ تمادى بهم الزمان. جنحوا ايضاً عن عبادة الاصنام. وعبدوا الله* واذ كانت احوالهم قد جرت على هذا المجرى. عاد اليهود بعد ذلك من الغيرة الى محاربتهم. لكونهم غرباء من قبيلتهم* واستدعوهم من جبل السامرة. وخاصموهم من هذه الجهة خصومةً لم تكن يسيرة* ملوك ٤ ص ١٧ لان اوليك ما كانوا يستعملون الكتب كلها. لكنهم كانوا يقتبلون كتب موسى وحدها. وما اهتموا بكتب الانبياء اهتماماً جزيلاً* بل اجتهدوا ان يعادلوا ذواتهم بشرف حسب الذين اليهودي* وكانوا يتباهون بابراهيم. ويحتسبونهُ جداً لهم. من طريق انه كان من بلد الكلدانيين* وكانوا يسمّون يعقوب اباهم. من طريق انه ابن ولد ابراهيم* الا ان اليهود رفضوا هولاء مع الامم كلها* فمن هذه الجهة عيّروا المسيح بهذه الالفاظ قايلين .. انت سامريٌّ. وقد حويت شيطاناً*" يوحنا ص ٨ ع ٤٨ ولهذا السبب اورد المسيح في خبر المنحدر من اورشليم الى اريحا. سامرياً مصطنعاً الرحمة اليهِ. حقيراً عندهم مرفوضاً يتيسّر الاهوان به* ولهذا السبب دعا الواحد من البُرص العشرة غريب الجنس* لانهُ كان سامرياً* وهو اوعز الى تلاميذهِ هذا الايعاز قايلاً .. في طريق الامم لاتذهبوا ومدن السامرة لاتدخلوا*" متى ص ١٠ ع ٥ لوقا ص ٩ ع ٥ فالبشير ليس لاجل هذا الخبر وحدهُ. اذكرنا بمكان يعقوب فقط. لكنهُ اذكرنا بذلك ليبيّن فقد اليهود الواجب منذ قديم الزمان* لان في ايام اجدادهم ضبطت اوليك الامم مواضعهم بدلاً منهم* لان المواضع التي كان امتلكها اجدادهم الاولين على ايام يشوع بن نون. قبل ان يكونوا هم موجودين. هذه الاماكن بسبب توانيهم وتعديهم الشريعة. ضيّعوها هم في حين وجودهم* فعلى هذا المثال ليس بحصل

لاحدنا فايدة . اذا كان لهُ اجداد اخيار . متى لم تكن طريقته هو كطريقتهم * لان اوليك العجم معما مارسوا خبرة السباع فقط . عادوا في الحين الى تهذب دين اليهود * واليهود قاسوا عقوبات جزيلاً تقديرها . فما ارتدعوا ولا على هذه الجهة بها * الى هذا المكان اعني مدينة السامريين جاء المسيح سيدنا . مقصياً العيشة الراخية الرطبة دايماً . مستورداً الطريقة المتعبة المتشمرة * لانهُ ما استعمل حيراً . لكنه مشي على هذه الحال مشياً متصلاً . حتى انهُ اعيي من سفره * وهذا الفعل يعلمناهُ في كل مكان . ان نعمل بذاتنا حاجتنا . وان نكون فاقدين ما يكون فضلةً . ولا نحتاج حوايج كثيرة * لانه يريدنا ان نوجد على هذه الحال مغتربين مما هو فضلة زايدة . ونبلغ في ذلك الى ان نقطع في صنوفٍ كثيرة من الحوايج الضرورية التي لا بُدَّ منها * فلهذا السبب قال .. ان الثعالب تمتلك اوكاراً . وطيور السما مساكن . وابن الانسان فليس يمتلك موضعاً يسند راسهُ اليه * " ولاجل هذا الغرض كان يقيم اكثر اوقاته في الجبال . ليس في النهار فقط . لكن وفي الليل ايضاً . وفي البراري ○ وهذا فقد قدم داود الانذار به وقال .. يشرب من وادي في الطريق " موضحاً بذلك ظلافة عيشته وتقشفها * وقد ابان ههنا هذا المعنى . لانهُ لما اعيي من سعي طريقه جلس على هذه الحال عند البير . وكان الوقت نحو الساعة السادسة * ٧ .. فجاءت امراة من مدينة السامرة لتستقي ماءً فقال لها يسوع . اعطني لاشرب * ٨ وتلاميذه كانوا قد ذهبوا الى السوق ليبتاعوا اطعمة * " فههنا يعرف جلادتهُ في الاسفار . وزوال اهتمامه في الاطعمة . وكيف يستعمل ذلك عملاً منحرفاً عن غرضه * وتلاميذه تادبوا هذا التادب . ان يكونوا على انفرادهم هذه الحال حالهم . لانهم ما احتقبوا ذادات * وهذا المعنى يوضحه بشير آخر ويقول . انهُ لما خاطبهم في ذكر خمير الفرسيين . توهم اوليك انهُ يخاطبهم في انهم ما حملوا معهم خبزاً . واورد انهم لما جاعوا كانوا يفركون السنبل وياكلونه * واذ قال انهُ لاجل جوعه جاء الى التينة . فليس يعتمد غرضاً آخر . الاَّ هذا * وهو ان يعلمنا بهذه الافعال كلها ان نتهاون ببطننا . ولا نتوهَّم ان خدمته ينبغي ان تكون محروصاً عليها * وانظر اليهم ههنا . انهم ما حملوا شياً . ولا اذا لم يحملوا زاداً . اهتمُّوا به من مبادي نهارهم . لكنهم في الوقت الذي فيه يتغذى كل الناس . ذهبوا يبتاعون اطعمة * لانهم ما كانوا مثلنا نحن الذين معما تنهض من اسرتنا . نهتم قبل مهماتنا كلها بهذا الهم . وهو ان نستدعي طباخيننا ومصلحي اطعمتنا . وخدام موايدنا . ونوصيهم بحرص كثير على اصلاح ماكولاتنا . وبعد

ذلك ايضاً نمارس اشغالنا العالمية كلها ونهتم بها. قبل الاشغال الروحانية *والاشغال التي كان ينبغي ان نجعلها عملاً زايغاً عن قصدنا. نكرمها اكرام اشغال ضرورية*فلهذا السبب تصير احوالنا كلها فوق واسفل*لان قد كان واجباً علينا خلاف ذلك. ان نجعل اهتمامنا بالاشغال الروحانية كثيراً. وبعد ان نتمها. حينيذٍ نمارس ايضاً الاشغال العالمية*فقد استبان لنا هٰهنا العمل المتعب فقط. لكن قد استبان معهُ العمل الفاقد الصلف من سيدنا. ليس بتعبهِ فقط. ولا بجلوسهِ في الطريق. لكن بتخلفهم اياهُ وحدهُ. وبمفارقتهِ تلاميذهُ*مع انهُ قد كان يمكنهُ لو اراد. اما الأ يرسلهم كلهم. واما حين مضى اوليك من عندهِ. ان يستصحب خداماً اجرين*الّا انهُ ما شاء ذلك*لانهُ عوّد تلاميذه هذه العادة. ان يتوطاء واكل صلف.ولعل قايلاً يقول. وان تذللوا فما الذي فعلوهُ مستعظماً. وقد كانوا صيادين وخيميين. فنقول لهُ. لعمري قد كانوا صيادين وخيميين. الّا انهم طلعوا بغتةً الى ذروة السموات بعينها. وصاروا اشرف من الملوك كلهم. اذ أُهلوا ان يصيروا مخاطبين لسيد المسكونة. وان يلحقوا المستجيب في ساير الجهات. وقد عرفتم ذلك المعنى. ان الموجودين من اناس ذليلين. اذا تقلدوا رُتَباً يتيسّر ترفعهم الى التجبر كثيراً. من طريق فقدهم في الكرامة الحاصلة لهم معرفة جودتها*الّا ان ربنا ضبط تلاميذهُ في تذلل العزم بعينهِ. وعلمهم ان ينقبضوا من الاشغال كلها. ولا يحتاجوا في جهةٍ من الجهات الى مَن يخدمهم* واذ كان متعوباً من سعي المشي. جلس على هذه الحال عند البير*ارايتَ جلوسهُ انما صار بسبب تعبهِ لاجل الحرّ ومن اجل انتظارهِ لتلاميذهِ. لانهُ عرف ما سيُعرض للسامريين*وما جاء بسبب ذلك مجيأً قد تقدمهُ استعداد. وليس لانهُ ما جاء لهذا الغرض. كان واجباً اذ جاء ان يبعد الامراة. اذ قد استبانت على هذه الجهة وادّة للتعليم*لان اليهود لما جاء اليهم طردوهُ. والذين من الامم فعند توّجه مسيرهِ الى مكان اخر. اجتزبوهُ اليهم*واليهود حسدوهُ. والذين من الامم آمنوا بهِ*واوليك اغتاظوا عليهِ. وهولاء استحبوهُ. وسجدوا لهُ*وانا اخاطب اوليك. ما رايكم. أاوجب هو ان يغفل عن خلاص اناس هذا مقدار كثرتهم. وان يهمل نشاطهم الجليد بهذه الصفة. فهذا امرٌ عديم ان يكون موهلاً لتعطفهِ*فلهذا الغرض يدبّر افعالهُ الحاضرة كلها بالحكمة اللايقة بهِ* لانهُ جلس مريحاً جسدهُ ومُبَرِّدَهُ عند البير. لان الوقت كان نصف النهار*وهذا فقد ابانهُ البشير بقولهِ.. وكانت الساعة نحو السادسة* " وجلس

على هذه الحال* وان سالت ما معنى على هذه الحال: اجبتك معناه انه ما جلس على كرسي. ولا على مخدة. لكنه جلس على بسيط ذات الجلوس. وكما اتفق على الارض* واذا جاءت امراة من مدينة السامرة لتستقي ماء* انظر كيف قد بين البشير الامراة خارجة الى هنالك لاجل غرض آخر. مبكتًا في كل مكان مراددة اليهود الوقاحة. ولكيلا يقول قايل منهم انه يضاد الايعاز الذي اوعز به. اذ اوعز تلاميذه ان لا يدخلوا الى مدينة السامريين* وهو يخاطب السامريين* فلذلك استثنى البشير بذكر تلاميذه. انهم كانوا قد ذهبوا من عنده الى المدينة ليبتاعوا طعامًا. موردًا لمخاطبته اياها عللاً كثيرة؟ فان سالت عما قالته الامراة. اذ استماحها المسيح الماء. لانه قال لها.. اعطيني لاشرب؟" اجبتك انها قالت ؟ .. كيف وانت يهودي تطلب ان تشرب مني. وانا امراة سامرية: لان اليهود ما يختلطون بالسامريين*" ولعلك تستخبر ومن اية جهة توهمت انه يهودي: فاجيبك. لعلها توهمت ذلك من شكله ومن كلامه* وتامل لي انت كيف كانت الامراة متصفحة مميزة*. لان الاحتراس ان كان واجبًا. فيسوع كان واجبًا عليه ان يحترس ليس تلك. لانها ما قالت ان السامريين ما يختلطون باليهود. لكنها قالت ان اليهود ما يقتربون من السامريين* الا ان الامراة مع ذلك متخلصة من اللوم. اذ توهمت ان قد سقط في سمعها قولاً غريبًا* وما سكنت ولا على هذه الجهة. لكنها رامت ان تتلافى القول الصاير ليس بافتراض الشريعة على حسب ظنها* ولكن قد يجوز ان يشتبه على احد الناس ذلك المعنى. وهو كيف طلب يسوع ان يشرب منها. والشريعة ما تأمر بذلك: فان قال قايل. لانه قد تقدم فعرف انها ما تعطيه. كان جوابه فلهذا المعنى بعينه ما كان واجبًا ان يستميحها* فما الذي ينساغ ان يقال في ذلك: نقول له. ان غرضًا مهملاً كان له. وهو ان يقضي اصناف هذا التحفظ؟ لان من اقتاد اناسًا اخرين الى ان يحلوا هذا التحفظ. فاليق به هو واولى ان يتجاوزه ويهمله* لانه قال .. ليس ينجس الانسان ما يتناوله. لكن انما ينجسه ما يبدو خارجًا منه*" فالمخاطبة للامراة صارت ثلبًا لليهود ليس بيسير* لان طالما استجذب اوليك بالملاطفة بالفاظه وبافعاله. وما قبلوا منه * وابصر كيف انضبطت هذه من سوال سادج * لانه هو ما نصب هذه التجارة. ولا اعتمد هذه الطريق. فاذ جاء اليه اناس ما منعهم* لانه قد قال لتلاميذه هذا القول.. لا تدخلوا الى مدينة السامريين *" وما قال لهم. اذا وافوا هم الى عندكم فادفعوهم*

لان هذا الفعل كان عديماً ان يكون موهلاً لتعطفهِ على الناس* فلهذا الغرض. اجاب الامراة وقال لها ١٠ .. لو عرفتِ موهبت الله. ومَن هو القايل لكِ اعطيني لاشرب. لكنتِ استحتيه انتِ. فاعطاكِ ماءً حياً *" فاوضح اولاً انها موهلة ان تسمع. وليست هي اهلاً للاعراض عنها* وبعد ذلك كشف لها ذاتهُ* لانها ازمعت معما تعرف مَن هو ان تعطيه وتصغى اليهِ* وهذا الانقياد فما يذكرهُ ذاكرٌ في وصف اليهود* لانهم اذ عرفوا ما سالوهُ سوالاً. ولا اشتهوا ان يتعلموا قولاً من الاقوال النافعة. لكنهم شتموهُ وطردوهُ* فلما سمعت الامراة اقوالهُ هذه. انظر كيف اجابتهُ باوفر الدعة قايلة ١١ .. ياسيدي انك لست حاوياً مستقى. والبير فهي عميق* فمن اين تمتلك الماء الحي :" فقد انهضت عاجلاً ذاتها من الظن بهِ الذليل. ومن ان تتوهمهُ واحداً من الكثيرين. لانها ما سمتهُ ههنا سيداً على بسيط ذات التسمية. لكنها اوزعتهُ التكريم منها كثيراً. لان البرهان على انها قالت هذه الاقوال مكرمة اياهُ. واضح من اقوالها التالية هذه* لانها ما ضحكت عليهِ. ولا جمزت بهِ. لكنها تحيرت عاجلاً* وان كانت ما فطنت في الحين بكل ما وجب ان تفطن بهِ. فلا تستعجب ذلك. لان ولا نيقوديمس فطن بمعنى كلامهِ* وتامل ما قالهُ ذاك .. كيف يمكن ان تكون هذه الاقوال :" وقال ايضاً .. كيف يستطيع انسانٌ ان يولد. وقد صار شيخاً :" وقال ايضاً .. هل يقتدر ان يدخل الى جوف امهِ دفعةً ثانية ويولد :" فهذه كانت اوفر توقراً من ذاك. اذ قالت. ياسيدي. انك لست حاوياً مستقى. والبير عميقة. فمن اين تمتلك الماء الحي :" لان المسيح قال معنى اخر. وتلك توهمت معنى غيرهُ. وما سمعت قولاً اكثر من لفظهِ. ولا كانت تقتدر ان تفهم عاجلاً معنىً رفيعاً عالياً. على انها قد كان يمكنها ان تقول عند تكلمها قولاً على سبيل التهجم. انك لو كنت تمتلك الماء الحي لما طلبت مني ماءً. لكنك كنت قد خولتهُ لذاتك اولاً. فانت الان انما تفاخر بذلك* الا انها ما قالت لفظةً من هذه الالفاظ. لكنها اجابتهُ بوداعةٍ كثيرة في ابتداء الخطاب. وبعد ذلك. لانها في مبداء الخطاب قالت .. كيف اذ انت يهودي. تطلب ان تشرب مني :" وما قالت لهُ ايضاً على سبيل انها تخاطب غريباً من قبيلتها وعدواً. لا كان لي ان اسقيك. وانت انسان غريب من امتنا محارب لنا. وبعد ذلك ايضاً اذ سمعتهُ يقول اقوالاً عظيمة. من شانها ان تلذع الاعداء كثيراً. ما ضحكت عليهِ. ولا استهزاءت بهِ. لكن تامل ما قالتهُ ١٢ .. هل انت اعظم من يعقوب ابينا. الذي اعطانا هذه البير. وقد شرب منها هو وبنوهُ

وماشيته :" اراٴيتها كيف تساوي ذاتها بحُسن شرف اليهود : فما تقوله معناهُ هذا هو · ذاك استعمل هذا الماء . وما امتلك ان يعطينا اكثر منه* هذه الاقوال قالتها موضحت كيف من جوابها الاول اقتبلت وهماً عظيماً عالياً * لان قولها وهو شرب منه وبنوهُ وماشيتهُ · ما اضمرت فيهِ معنى آخر ·الاَّ انها قد امتلكت وهماً لماءٍ عظيم · وما وجدهُ هو · ولاعَرفهُ معرفة بيّنة * ولكي اقول ·ما ارادت ان تقوله ابين قولاً · وهو هذا القول · قالت ما ينساغ لك ان تقول ان يعقوب اعطانا هذه البير · واستعمل هو بيراً غيرها * لانهُ هو والمنسوبون اليهِ من هذه البير شربوا · فما كانوا قد شربوا منها · لو امتلكوا غيرها افضل منها * فما تقتدر انت ان تعطينا من هذه البير افضل من هذا الماء · ولا يمكنك ان تمتلك بيراً اخرى افضل من هذه · ان لم تعترف بذاتك انك اعظم من يعقوب * فمن اين تمتلك الماء الذي وعدتنا انك تعطيهِ لنا : الاَّ ان اليهود لم تكن هذه السجية سجيتهم ان يخاطبوهُ خطاباً رقيقاً لطيفاً · على انهُ قد خاطبهم في هذا المعنى الموضوع بعينهِ · حين ذكر لهم الماء الذي هذه صفتهُ · الاَّ انهم ايضاً ما استفادوا ربحاً * وحين ذكر ابراهيم ارتادوا ان يرجموهُ بالحجارة * الاَّ ان هذه الامراة ما قدمت لهُ هذه الطريقة · لكنها خاطبتهُ بوداعة كثيرة في سورة الحرّ · وفي نصف النهار * وخاطبتهُ وسمعت منهُ هذه الالفاظ كلها بتمهل كثير · ولم تفتكر افتكاراً هذه صفتهُ · لايقًا باليهود ان يقولوهُ · ان هذا مصروع · وقد زاغ عقلهُ · لانه قد ربطني عند ينبوع وبير · وما خوّلني شيأً * لكنهُ متبذخ بالفاظهِ * لكنها ثبتت وتمهلّت · الى ان وجدت مطلوبها

العظة الحادية والثلثون

في العيشة المتقومة

فان كانت امراة سامرية حرصت هذا الحرص الكثير · لتتعلم علمًا نافعًا · وثابتت المسيح · على انها كانت بعد جاهلة بهِ * فما العفو الذي يتفق لنا تحصيلهُ نحن الذين قد عرفناهُ وابصرناهُ · ليس عند بيرٍ ولا في بريّة · ولا في نصف النهار · ولا تحت شعاع من الشمس محرق · لكننا مستمتعون بهِ عند الصباح · وتحت سقف هذه صفتهُ · يفيدنا ظلاً وسروراً · وما نثبت عندهُ سامعين قولاً مما يقولهُ لكننا نتضجّر ونغتم * الاَّ ان تلك الفاضلة ما كانت هذه السجية سجيتها . لكنها ضبطت اقوالهُ

ضبطًا تناهت فيهِ . الى ان استدعت اناسًا آخرين اليهِ · واليهود فليس انهم ما استدعوا اليهِ آخرين فقط · لكنهم منعوا الذين ارادوا ان يتقدموا الى عندهِ وعوقوهم * اذ قالوا .. قد رايتم هل صدّقهُ احدٌ من روساءِينا · ما خلا الشعب الذين ما يعرفون شريعة · فهم ملعونون ❀ "فلنما ثل نحن اذًا هذه الامراة السامرية · ونخاطب المسيح ◌ لانهُ قد وقف الان فيما بيننا مخاطبًا ايانا بانبياءِيهِ ورسلهِ ❀ فسبيلنا ان نسمعهُ ونقبل قولهُ · الى متى نعيش عيشة باطلة مهملة ؛ لان افتعا لنا افعالاً ليست براي الله هي حياة باطلة نحياها · واولى ما يقال ان ذلك ليس باطلاً فقط · لكنهُ حياة في العمل الردي * لاننا اذا افنينا الزمان الذي قد اعطيناهُ فيما لا يفيدنا نفعًا · وانصرفنا من ههنا . سنقا بل مقابلة في اقصى غايتها · على افنائنا اياهُ المسلوب وقتهُ * لان من تسلّمَ اموالاً ليتجر بها فاكلها · هل ما يطالبه بها من ايتمنهُ عليها ؛ فمن قد افنى حياة يمتنع عليهِ وجودها · فناءً باطلاً · اي ما يتكبد عذابًا شديدًا ؛ لان الله ما اوردنا الى هذه الحياة · ونسمنا نفسنا · لهذا السبب · لكي نستعمل الاشيا الحاضرة فقط · لكن لنكتسب كل ما نكتسبهُ للحيوة المامولة ◌ لان البهايم وحدها نافعة في هذه العيشة الحاضرة * ونحن فانما امتلكنا نفسًا ناطقة عديمة ان تكون ميتة · لهذا السبب لكي نعمل اعمالنا كلها · استعدادًا لتلك الحياة ◌ لان الخيل والحمير والبقر والبهايم الاخرى الراعية التي هذه صفتها · اذ سالنا سايل عن الحاجة اليها · لم نقُل لهُ جوابًا آخر · الاَّ خدمتها في هذه الدنيا ◌ وما يتجه لنا ان نقول هذا القول في وصف ذواتنا · لكننا نقول اننا سيحصل لنا بعد انصرافنا من ههنا السجية الافضل من هذه · واننا ينبغي لنا ان نعمل كلما نعملهُ . لنشرق هنالك لامعين بهيين · لكي نجول مع الملايكة · حتى تقف بحضرة ملكنا كل حين · في دهور عديمة ان تكون بايدة * فلهذا السبب صارت نفسنا عادمة ان تكون ماينة ◌ وسيكون جسدنا عديمًا ان يكون مايتًا * لنستمتع بالنعم الصالحة الفاقدة ان تكون منقضية ◌ فاذا كنت متبجنًا في الارض · وقد وُضِعَت لك الخيرات السماءِية * فتفطن في المسبة الواصلة منك الى واهبها · اذا كان ذلك قد بسط لك النعم التي في العلو · وانت فما قد اعددت لها محلاً كبيرًا · واذ قد قايضتها بالارض · لاجل هذه العزايم هوَّل بجهنم * لانهُ فهون بهِ · حتى تعرف من هذه الجهة مبلغ جلالة الحظوظ الحسنة · التي اعدمت ذاتك اياها * لكن لا كان لنا ان نمارس خبرةً بذلك التعذيب · لكن اذا حسن ارضاءنا للمسيح . ينفق لنا امتلاك

النعم الصالحة الدهرية · بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه · الذي لابيهِ معهُ المجد مع الروح القدس · الى اباد الدهور كلها امين



المقالة الثانية والثلثون

في قولهِ ١٣ اجاب يسوع وقال لها · كل مَن يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً * ١٤ ومَن يشرب من الماء الذي اعطيه انا ليس يعطش الى الدهر · لكن الماء الذي اعطيه يصير فيهِ عين ماء فايض لحياة دهرية

ان نعمة الروح يدعوها الكتاب ناراً احياناً · ويسميها ماءً احياناً · موضحاً ان هذه الاسماء ليست هي اسماء جوهرها · لكنها اسماء فعلها · لان الروح ما يكون من جواهر مختلفة · اذ هو عديم ان يكون ملحوظاً · وصورتهُ مفردة * ولعمري ان يوحنا الصابغ يقول هذا القول " انهُ هو يعمدكم بروح قدس ونار * " متى ص ٣ ع ١١ الآن المسيح قال .. ان انهاراً تجري من جوفهِ ماءً حيّاً ۞ " يوحنا ص ٧ ع ٣٨ وقد ذكر البشير .. انهُ قال هذا القول في وصف الروح · الذي انتظروا ان ياخذوهُ * " وبهذا الاسم يسمّي الروح عند مخاطبتهِ الامراة السامرية * لانهُ قال .. ومَن يشرب من الماء الذي اعطيهِ انا · ليس يعطش الى الدهر ۞ " فالروح يُدعى على ما وصفنا ناراً وماءً * والذي لقبهُ باسم النار · اعتمد اعتماداً غامضاً خاصة نعمتهِ المنهضة الحارّة المفنية خطايانا * والذي دعاهُ باسم الماء · اظهر بذلك التطهير الصاير منهُ . والراحة الكثيرة للبصاير التي تقبلهُ * لانهُ يجعل النفس نشيطة بهذه الصورة · بصورة جنةٍ حسنة نضارتها مخصبة باشجار مثمرة · رايقة رونقها * وتلك الراحة فما تطلق نفسنا ان تحس لا باغتمامٍ ولا باغتيال شيطاني * لكنها تطفي كافة سهام الخبيث المتوقدة نارها * وتامل لي انت حكمة الهنا . كيف صاعد الامراة بسكونٍ · لانهُ ما قال لها من المخاطبة الاولى .. لو عرفتِ مَن كان القايل لكِ اعطيني لاشرب · لكنتِ انتِ سالتيه · " اذ اضطر ان يخبرها * لكنهُ حين خوّلها سبباً ان تدعوهُ يهودياً · وحصّلها تحت ذللٍ · دفع ثلبها · وقال .. لو عرفتِ مَن كان القايل لكِ · لكنتِ انتِ قد سالتيه " · اذ اضطر ان يخبرها بالعظايم · حين

ذكرت هي يعقوب رأس الآبا · اعطاها ان تنظر هذا النظر* ثم اذ قالت ·· هل انت اعظم من يعقوب ابينا : ·· ما قال لها نعم انا اعظم منه* والاّ فكانت ظنته يتباها ويفتخر فقط · اذ برهان ذلك ما كان بعد ظاهراً* فاصلح هذا البرهان بالاقوال التي قالها · لانه ما قال لها على بسيط ذات القول اعطيك ماء · لكنه اذ بطّل اولاً ماء يعقوب · حينيذ رفع محل ماءه* فمن طبيعة المايين المعطيين · ابان الفرق بين الوجهين · لايثاره ان يبين مقدار الفرق بين المايين المعطيين · وسموه هو بالمقايسة الى رئيس الاباء · كانه قال لها ان كنت تستعجبين يعقوب · لانه اعطاكم هذا الماء · فاذا اعطيتك انا افضل من هذا الماء كثيراً · ماذا تقولين : سبقت واعترفت انني اعظم من يعقوب* لانك ان كنت قد قلت هل انت اعظم من يعقوب : لانك تعدنا ان تعطينا ماء افضل من هذا · فاذا اخذت ذلك الماء · ستقرين على كل حال انني اعظم منه* أرأيت حكماً لهذه الامراة عديماً ان يوجد معايباً · اذ ميّزت من الافعال الكاينة · الفرق بين رئيس الابا وبين المسيح ◎ الاّ ان اليهود لم تكن هذه الحال حالهم · لكنهم اذ ابصروه يخرج الشياطين · ليس انهم ما قالوا انه اعظم رئيس الابا · لكنهم سموه متشيطناً ◎ وهذه الامراة لم يكن هذا العزم عزمها · لكنها اوردت من هذه الجهة قضيتها · من الجهة التي يريدها المسيح من برهان اعماله* لانه هو من هذه الجهة يحكم هذا الحكم* قايلاً ·· ان لم اعمل اعمال ابي · فلا تصدقوني* فان عملتها · وان كنتم ما تصدقوني · فصدقوا اعمالي* ·· فهذه الامراة على هذه الجهة تقدم بتصديقها* ولهذا السبب اذ سمع هو · هل انت اعظم من يعقوب ابينا : ترك يعقوب · وخاطبها في وصف الماء قايلاً ·· ومن يشرب من هذا الماء · يعطش ايضاً* ·· وجعل المقايسة ليس من ثلب وازدراء · لكن من سمو وتعظم* لانه لم يقل · ان هذا الماء ليس هو شيا · لكنه حقير يتيسر التهاون به ◎ لكن ما تشهد له به طبيعته اياه وضع ·· من يشرب من زعم هذا الماء يعطش ايضاً* ومن يشرب من الماء الذي اعطيه انا · ليس يعطش الى الدهر* ·· والامراة سمعت قبل هذا القول ماء حياً · لكنها ما فطنت به* لان الماء الفاير كل حين من عيون لا تنقطع · قد يسمى ماء حياً فايضاً* فالامراة توهمت انه هذا الماء يعني بقوله* فلذلك اوضح لها هذا المعنى ابين ايضاحاً · اذ قال هذا القول · مخترعاً من المقايسة تعظيمه* لانه قال ·· ومن يشرب من هذا الماء الذي اعطيه انا · ليس يعطش الى الدهر* ·· لان هذا القول اوضح سمو الماء كثيراً* والاقوال التالية هذه

ايضًا * لان الماء المحسوس ليس يحوي صنفًا هذه صفته* وان سألت وما الاقوال التي تتلو هذه : اجبتك هي .. بل الماء الذي اعطيه انا . يصير فيه عين ماء فايض لحياة دهرية *" وكما ان من يمتلك عيناً موضوعة داخل منزله . ليس يغتم بعطش في وقت من اوقاته* وكذلك من يمتلك هذا الماء . لن يتصويه عطش في وقت من زمانه *فصدقت الامراة في الحين قوله . اذ استبانت اوفر فهماً من نيقوديمس . وما استبانت اوفر فهماً منه فقط . لكنها استوضحت اشد شجاعة*لان ذلك لما سمع اقوالاً جزيلاً عددها . فما استدعى اليه احداً غيره . ولا جاهر هو ايضاً *وهذه الامراة فاوضحت افعالاً رسولية . اذ بشرت جميع اهل بلدها . واستدعتهم الى يسوع *واستجذبت ايضًا اليه الى خارج المدينة جمعًا كاملاً * وذاك اذ سمع قوله قال .. كيف يمكن ان تكون هذه الاقوال :" واذ انشاء المسيح مثالاً بيناً من الريح . ما اقتبل ولا على هذه الجهة كلامه * والامراة فلم يكن هذا الراي رايها . لكنها في اول الخطاب تحيرت . واخيراً فما اقتبلت كلامه باستعداد فقط . لكنها قبلته في ترتيب ايجاب له . وانقادت في الحين الى اخذه لانه لما قال المسيح .. يصير فيه عين ماء فايض لحياة دهرية" قالت الامراة في الحين .. اعطيني هذا الماء لكيلا اعطش ولا اجي الى ههنا استقي *" ارايتها كيف صوعدت قليلاً قليلاً الى علو الاراء : لانها في الاول توهمت انه واحد يهودي منحرف عن شريعتها *فلما دفعت عنها هذا الثلب . لانه وجب ان لايكون الوجه الذي يعلمها التعاليم التي هذه الحال حالها متهماً * فلما سمعت ماء حياً ظنت ان هذا القول قد قيل في وصف ماء محسوس *وبعد ذلك علمت ان الاقوال التي قيلت هي روحانية . فصدقت ان ذلك الماء يقتدر ان يبطل جائحة العطش * وما عرفت بعد ما هو الماء . لكنها تحيرت ايضاً . ظانة انه اعلى قدراً من المياه المحسوسة . وما عرفته معرفة واضحة . وههنا ابصرت بصراً ابلغ استقصاء . ولم تتامل جملة المعنى . لانها قالت .. اعطيني هذا الماء لكيلا اعطش . ولا اجي الى ههنا استقي* .. فقد فضلته الان على يعقوب * لانها قالت لست احتاج الى هذه العين . اذا اخذت منك ذلك الماء * ارايتها كيف فضلته على رئيس الاباء : هذا قول حسنة الحفاظ . اوضحت رايها في يعقوب ومقدار عظمه . وعرفت الافضل منه . وما انضبطت بسالف رايها * ولا كانت سهلة الانعطاف . لانها اقتبلت الاقوال التي قيلت لها على بسيط ذات اقتبالها *لان كيف كانت سهلة الانقياد . المستفحصة الاقوال باستقصاء هذا تقديره :

ولا كانت ايضاً عاصية مماحكة* وهذا الفعل فاظهرته من ابتغايها الماء *على انه قد قال في وقت من الاوقات لليهود .. من ياكل لحمي ليس يجوع · ومن يومن بي لن يعطش الى الابد ○ " الا انهم ليسو ما امنوا به فقط · لكنهم ارتابوا به* والامراة فما عرض لها عارض هذا تاثيرة · لكنها ثابتنه واستماحته* فقد قال لليهود .. من يومن بي لا يعطش للابد* " وما قال للامراة هذا القول : لكنه قال لها قولاً اكشف منه .. من يشرب من هذا الماء ليس يعطش الى الدهر* " فكان هذا القول وعداً بعطايا روحانية. وما كان وعداً بافعال محدودة* لهذا السبب رفع عقلها بالمواعيد عند مقامه بعد في الفاظ محسوسة · لموضع انها ما كانت تقتدر بعد ان تسمع استقصاء المعاني الروحانية : لانه لو كان قال لها · انك ان امنت بي ما تعطشين. لما كانت فطنت بما يقال لها* اذ لم تكن بعد عارفة من هو الذي يخاطبها: ولا عن اي عطش خاطبها* ولعلك تقول. فلاي سبب ما عمل هذا العمل في مخاطبته لليهود ؛ فاجيبك · ان اوليك كانوا قد ابصروا ايات كثيرة · وهذه ما ابصرت ولا اية واحدة ، وقد سمعت هذه الاقوال اولاً* فلهذا الغرض كشف لها فيما بعد قدرته بنبوة · وما اورد في الحين توبيخها . لكنه قال لها ١٦ اذهبي صوتي برجلك ○ وتعالي الى ههنا* ١٧ فقالت له لست امتلك رجلاً* فقال لها يسوع . لقد قلت قولاً صليباً . انني لست امتلك رجلاً* ١٨ لانك قد اتخذت خمسة رجال . والذي تحتويه الان · ليس هو رجلك* هذا القول قد قلتيه صادقاً* ١٩ فقالت الامراة ياسيدي على ما ارى انك نبي انت* " ما اعجب هذا الامر كم كانت فلسفة هذه الامراة : كيف اقتبلت توبيخه بافضل التورع : ولعلك تقول ، وكيف ما ازمعت ان تقتبله : وقل لي · لم تستحجبها : انما قد وبخ اليهود في اوقات كثيرة توبيخاً اعظم من هذا : فاقول لك · ليس فعلاً متساوياً · ان يورد الى الوسط الخفيات المغتاص التكلم بها المخزونة في سريرة صاحبها · وان يجعل واضحاً فعلاً كامناً سراً ○ لان احد هذين الصنفين هو لله وحده ، وما قد عرفه عارف غيره · او من قد حواه في سريرته* والاصناف الاخرى فيعرفها الذين يشتركون فيها كلهم* لكنهم مع ذلك اذ وبخوا ما يحتملون ذلك بوداعة* لكنه اذ قال لليهود .. ما غرضكم في التماسكم ان تقتلوني . " ليسوا ما استعجبوه فقط مثل هذه الامراة · لكنهم شتموه وثلبوه* على ان اوليك كانوا قد امتلكوا البرهان من علامات وايات اخر ○ واما هذه الامراة · فانما كانت سامعة

هذا الكلام وحدهُ * الا ان اوليك ليسوا ما استخبوهُ فقط · لكنهم شتموهُ * اذ قالوا .. قد اشتملت شيطانًا · مَن يطلب ان يتملك :" وهذه فليس انها ما شتمتهُ فقط · لكنها استعجبتهُ ودهشت منه · واستشعرت انهُ نبي * على ان هذا التوبيخ قد لذع الامراة لذعاً عظيماً · اكثر ما لذع ذاك التوبيخ لاوليك * لان هذا كان خاصًا لها وحدها . وذاك التوبيخ فكان عامًا * ونحن الناس فليس يلذعنا التوبيخ على الزلات العامة لنا ولغيرنا · مثل ما يلذعنا التوبيخ على زلات تخصنا وحدنا * واوليك ظنوا انهم اذا قتلوا المسيح فقد احكموا محمدة عظيمة · وفعل هذه الامراة فمتعارف بهِ عند جميع الناس انهُ خبيث * الا انها مع ذلك ما استصعبت التوبيخ · لكنها انذهلت منهُ واستعجبتهُ * وقد عمل المسيح هذا العمل بناثانايل * لانهُ ما اورد نبوّته ايرادًا قد تقدمهُ استعداد · ولا قال لهُ قد رايتك تحت التينة · لكن حين قال ذاك من اين تعرفني : حينيذٍ اورد هذا القول ﴿ لانهُ شاء ان ياخذ من الذين يقتربون اليهِ مبادي عجايبهِ وسبوق تخبيرهِ · حتى يجعلهم مختصين بالافعال الكاينة منه كثيرًا · وليهرب من توهم التشرف ﴿ وهذا العمل قد عملهُ ههنا * لان تقديمهُ اولاً توبيخها بانكِ ما تمتلكين رجلاً · قد كان يظن انه مستثقلاً زايدًا في تقريعها * واما اخذهُ علة ذلك منها · فاصلح هذه الاوهام كلها وتلافاها * وكان ملايماً جدًا التي سمعتهُ . وجعلها اكثر وداعةً وورعاً * ولعلك تقول · اي مساقٍ يلايم المعنى في قولهِ ،، اذهبي ادعي رجلكِ · " فاقول لك · كان كلامهُ في موهبة ونعمة فايقة على الطبيعة الانسانية . فاذ ارتاحت الامراة اليها طالبة ان تاخذها · قال لها .. صوتي برجلكِ * " موضحًا انهُ ينبغي لها ان تشاركهُ في هذه الفوايد * فاجتهدت هي ان تاخذها · وتستر فعلها المستقبح * وتوهمت انها تخاطب انساناً * وقالت ،، لستُ امتلك رجلاً * " فاذ سمع المسيح اقوالها هذه · اورد فيما بعد توبيخها في اوفق وقت · اذ وصف بابلغ الاستقصاء جماعة رجالها * لانهُ احصى كافة رجالها الاولين · واعلن الرجل المستور الذي كان لها في ذلك الوقت * الا انها ما استصعبت ذلك . ولا تركتهُ وهربت · ولا توهمت توبيخه مسبةً لها · لكنهُ استعجبتهُ اكثر وثابتتهُ اوفر مثابتة * لانها قالت لهُ ،، ياسيدي · على ما ارى انك نبي * " وتامل انت فهمها · لانها ما انصرفت في الحين مبادرة لكنها تتصفح ايضاً كلامهُ وتستعجبهُ . لان على ما ارى هذا هو معناهُ . قد استبان لي انك نبي انت * ثم اذ توهمت هذا التوهم · لم تسالهُ سوالاً عالمياً . ولا استخبرتهُ عن عافية جسمها · ولا عن اموال

تملكها · ولا عن ثروةٍ تحصل لها · لكنها سالتهُ في الحين عن اراء في الدين · لانها قالت ٢٠ .. ان اباءنا سجدوا في هذا الجبل ·· فاعتمدت بقولها ابراهيم واشياعه* لان هنالك ذكروا انهُ قرّب ابنه بعينه وكيف .. تقولون انتم انهُ في اورشليم هو المكان الذي يجب السجود فيهِ .. أعرفت كيف صارت في تمييزها اعلى عزماً · لان التي اهتمت بعطشها حتى لاتتكبد لاجلهِ تعباً سالتهُ فيما بعد عن اراء في الدين* الاّ ان المسيح ما حل مطلوبها · لان ما كان هذا محروصاً عليهِ عندهُ · ان يجيب عن اقوالٍ قد قيلت على بسيط ذاتها · لانها كانت متحرفة عن الاعتدال · لكنهُ اقتاد الامراة ايضاً الى علوٍ اعظم* وما خاطبها في هذه المعاني اولاً · الى ان اقرّت انهُ نبيّ هو* حتى تسمع فيما بعد ما يقولهُ لها بايقان كثير وتصدقه* لانها عند قبولها هذا · ما ترتاب فيما بعد فيما يقولهُ لها



العظة الثانية والثلثون

في انهُ يجب علينا ان نقراء الكتب الالهية ·وفي الابتعاد عن مشاهد اللعب

فسبيلنا ان نستخزي ونخجل فيما بعد · اذا كانت امراة حاوية خمسة رجال وهي سامرية تحرص في اراء الدين حرصاً هذا مبلغ تقديرهُ* وما عطفها عن البحث عن هذه الفوايد وامثالها لا الوقت من النهار· ولا تحجبها في شغلٍ اخر · ولا صنف اخر غير هذه* ونحن فلسنا ما نستبحث عن اراء ديننا فقط · لكن حالنا في الفوايد الروحانية كلها حال على بسيط ذاتها · وعلى ما اتفق* لهذا السبب نتوانى في المنافع كلها* لان قُل لي مَن منكم · اذا هو حصل في منزلهِ يتناول مصحفاً مسيحياً بيديهِ · ويتصفح ما قد قيل فيه · ويستبحث عن غرض الكتاب · ما يتجه لواحد منكم ان يقول انهُ فعل هذه الافعال · لكننا نجد عند اكثركم فصوص اللُعب بالنرد · والمربعات التي تطارح فيهِ · وليس يوجد عندكم كتب في جهة من هذه الجهات · الاّ عند لقوامٍ قليل عددهم · وحال هولاء شبيه بحال الذين ليست عندهم ولا يملكونها* لانهم يقفلونها ويخزنونها في صناديقهم كل حين* وحرصهم كلهُ فيها عندهم · انما هو برقة رقوقها · وفي حُسن كتابتها وتجليدها ليس في قراتها* وليسوا يجعلون اقتناها بسبب منفعة وفايدة · لكنهم يجعلون ايضاحاً لايسارهم ومباهاتهم اجتهادهم فيها* لان تفاقم الشرف الفارغ هذا المقدار مقدارهُ لانني

لست اسمع ولا واحداً منكم قايلاً . انه قد عرف المعاني المخزونة فيها * لكنه قد يتباهى بان مصحفه مكتوب بكتايب ذهبية ۞ وما الفايدة من ذلك . قل لي : وذلك ان الكتب ما اعطيناها من اجل هذه الاغراض لنمتلكها في مصاحف فقط . لكننا اعطيناها لننقشها في قلوبنا * من طريق ان هذا الاقتناء هو من مباهاة اليهود . ان يخزنوا الوصايا في كتايب فقط * ولعمري ان هذه الشريعة ما دُفعت الينا في الابتداء بهذه الصورة . لكنها دُفعت الينا في الواح قلوب لحمية * فهذه الاقوال اقولها لست امنع بها استقناء الكتب . لكنني اوصي بذلك واتمناه لكم جداً * واريد ان تحملوا من الكتب في سريرتكم كتابتها ومعانيها * حتى اذا حفظتموها على هذه الجهة . يعتقب حفظكم اياها موضوع اعمالها * ولين كان بيت يكون فيه انجيل موضوعاً ليس يجتري ابليس المحال ان يدخله . ولا يقترب اليه * فالبق واولى بنفس مشتملة معاني وافهاماً هذه صفتها . ان لا يلمسها شيطان . ولا يرتكبها في وقت من اوقاتها . ولا يلمسها طبيعة خطية * فقدس اذاً نفسك . وقدس جسمك بامتلاكك هذه الافهام في قلبك . وفي لسانك * لان الاقوال المستقبحة ان كانت توسخ نفوسنا . وتستدعي الشياطين اليها . فواضح بين ان القراة الروحانية تقدسنا . وتستجذب نعمة الروح الينا * لان الكتب هي رقيات الهية * فلنرقين بها ذواتنا * واد واء الهوا التي في نفسنا . نركب لها الادوية من الكتب * لاننا اذا عرفنا ما هي الاقوال التي نقراها . سنسمعها بنشاط كثير ۞ هذه الاقوال اقولها دايماً . ولست اكف عن اعادتها * كيف ليس يكون مستشنعاً منكراً . اذ يكون الجلوس في الاسواق يصفون اسماء الراضة . والراقصين . واجناسهم . ومدنهم . وافعالهم . ومحايلهم . وينعتون فضيلة الخيل ورذيلتها بابلغ استقصاء . والذين يحضرون هنا ليس يعرفون قولاً واحداً من الاقوال التي تقراء عليهم . ولا فعلاً من الافعال التي تفعل هنا . لكنهم يجهلون عدد الكتب باعيانها * لانك ان كنت تجتهد في تلك الاشيا المتقدم ذكرها لاجل اللذة . فانا اريك ان اللذة في هذه العلوم اكثر مقداراً * لان قل لي ماذا يكون اوفر لذة . او ماذا يوجد اعجب منظراً . ان تبصر انساناً يصارع انساناً . ام ان تبصر انساناً يصارع شيطاناً . وجسماً يشابك بقوته خابياً من جسم . وترى الموجود من جنسك قاهراً . هذه الصراعات تبصرها هنا . هذه يكون تشبهنا بها موافقاً لنا . تفيدنا حسن بهاء * ويمكننا ان نكلل اذا ماثلناها لكن لانشابه تلك الافعال التى تسبب مشابهتها لمن يماثلها خزياً ۞ لان ذلك الصراع نبصره مع شياطين . اذا انت ابصرته . وهذا الصراع نبصره مع مليكة ورساء مليكة ومع سيد روساء

الملكة* قل لي ان كان ممكنًا لك عند جلوسك مع روساء او مع ملوك. ان تعاين النظر الذي يبصرونه ونستمتع به. أفما تحتسب ان ذلك كرامة عظيمة: وانت ههنا تكون معاينًا مع ملك الملكة. وناظرًا الى ابليس المحال مضبوطاً عند اوساط ظهورنا. مريدًا ان يقهر افعالاً كثيرة. وليس يقتدر على شي *أفما تحاضر وتسعى وراء نظر هذه فايدته: ولقايل ان يقول. وكيف يمكن ان يكون ذلك: فنجيبه اذا قبضت على هذا المصحف بيدك. فانك ستبصر فيه معارك الجهاد. ومسافات الحروب الطويلة. ومذمات ذلك العنيد. وصناعة الانسان العدل الصديق *فاذا ابصرت هذه الحوادث. تتعلم انت ان تصارع هذه المصارعة. وتخلص من الشياطين. لان الافعال المفعولة خارج محلتنا هي مواسم شياطين. وليست مشاهد اناس. فلهذا السبب اتضرع اليكم ان تبتعدوا من المواسم الشيطانية. ولين كان دخولنا الى مشهد الاصنام ليس واجبًا. فاليق بنا واوجب ان لا ندخل الى عند الشياطين* هذه الاقوال لست أكف عن التكلم بها تكلماً متصلاً. مكررًا اياها دايمًا. الى ان تصير فايدة اكثر* فقد قال الرسول .. ان تكلمي ليس يجعلني عاجزاً. وهو حياطة لكم* .. فلا تستثقلوا تنبيهي وعظاتي. لانه ان وجب ان تستثقلوها مني. فالاوجب ان استثقلها انا الذي اتوجع دفعاتٍ كثيرة في تكريرها. وما تسمعون مني* وليس يجب ان تستثقلوها انتم الذين تسمعونها دايماً وتخالفونها كل حين* ولكن لا كان ان نشكو منكم كل حين هذه الافعال. لكن فليكن لكم ان تخلصوا من هذا الخزي* وتوهلوا للنظر الروحاني. والاستمتاع بالمجد المنتظر كونه بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه وجوده* الذي معه لابيه المجد مع الروح القدس. الى اباد الدهور كلها امين

المقالة الثالثة والثلثون

في قوله ٢١ قال لها يسوع. صدقيني يامراة. انه ستاتي ساعة حين يسجد للاب. لا في هذا الجبل. ولا في اورشليم ٢٢ انتم تسجدون لما لا تعرفونه. ونحن نسجد لمن قد عرفناه* لان الخلاص من اليهود هو*

ياحباي نحتاج في مكان الى الايمان والتصديق. الذي هو أم الاعمال الصالحة كلها في دواء خلاصنا* فخلوا من هذا التصديق والايمان. ليس يمكننا ان نضبط رايًا من اراء الدين العظيمة. لكننا نماثل الذين يتعاطون ان يعبروا لجة البحر خلوًا من سفينة. الذين تكون فيهم كفاية لان يسبحوا مدة

بحيرة . مستعملين ايديهم وارجلهم : واذا تقدموا في السباحة الى ابعد غاية : تغرقهم الامواج سريعاً *
هذه الصورة صورة الذين يستعملون افكارهم قبل ان يتعلموا شيئًا . يصابرون غرقاً * على ما ذكر
بولس .. أن اقواماً غرقوا دون التصديق *'' تيموثاوس اولى ص ١ ع ١٩ فلكيلا يصيبنا هذا المصاب
ينبغي لنا ان نضبط مرسى الامانة الجليل : الذي به يقتاد الان المسيح السامرية * لانها اذ قالت كيف
تقولون انتم أن في اورشليم هو المكان الذي ينبغي أن يُسجد فيه : قال لها المسيح .. يامراة صدقيني .
انهُ سيجي وقتٌ حين يُسجد للاب ليس في اورشليم . ولا في هذا الجبل *'' فقد كشف لها رايًا جزيلاً
نفعهُ عظيمًا * وهذا مما قالهُ لنيقوديمس . ولا لنا الالليل * فهذه حرصت ان توضع لرءها اشرف من اراء
اليهود . وهذا الغرض اختالت بهِ من الاباء الذين انتمت اليهم الاَّ ان المسيح ما اعتمد هذه المسئلة .
لان كلامهُ في ذلك كان منحرفًا عن الاعتدال * وما بيَّن لها لِمَ سجدت الاباء في ذلك الجبل . ولِمَ سجد
اليهود في اورشليم * فلهذا الغرض صمت . اذ ابطل وازال عن الموضعين كلاهما معالي التقدمه *
وانهض نفسها موضحًا . ان لا اليهود ولاهم يمتلكون فعلاً عظيمًا . بالمقايسة الى الفعل المزمع ان
يوهب لنا * وبعد ذلك اورد الفصل بينهما . الاَّ انهُ قد حكم ان اليهود اشرف على هذا القياس قدرًا .
وما فضل مكاناً على مكانٍ . لكنهُ من ذلك المعنى خولهم التقدم ○ كانهُ قال . ماينبغي لاحدٍ ان يماحك
لاجل مكان فيما بعد . بل اليهود في غريزتهم قد حازوا الشرف اكثر منكم انتم السامريين . لانهُ قال
.. انتم تسجدون لمن ما قد عرفتموهُ . ونحن نسجد لمن قد عرفناهُ *'' فان سالت . كيف ما عرف السامريون
مَن كانوا يسجدون لهُ : اجبتك لانهم ظنوا انهُ يوجد الهاً مكانياً بجزومياً . فعلى هذه الجهة اسجرضوهُ
وعبدوهُ * وعلى هذا الراي . ارسلوا الى اهل بلد فارس فاخبروهم . ان اله هذا الموضع يغتاظ علينا *
فعلى هذا الراي . ما تخيلوا فيهِ وهماً اكثر من تخيلهم في الاصنام * ولهذا السبب لبثوا يسترضون
الاصنام : ويسترضونهُ * ويخلطون عبادات غير شبيهة ان تكون مختلطة * واليهود كانوا متخلصين من هذا
التوهم * وقد عرفوهُ انهُ اله المسكونة كلها * وان كان هذا الراي لم يكن رايهم كلهم * فلهذا السبب قال
.. انتم تسجدون لمن ما قد عرفتموهُ ونحن نسجد لمن قد عرفناهُ ○'' ولا تستعجب انهُ يعدُّ ذاتهُ مع اليهود
لانهُ يتكلم نحو ظن الامراة فيهِ . كانهُ موجود نبياً يهودياً * ولذلك استثنى بقولهِ .. ونحن نسجد ○'' والدليل
على انهُ هو مسجودٌ لهُ * فواضح في كل مكان . وعند كل احد . لان معنى الساجد مناسب الخليقة * ومعنى

السجود له مناسب لسيد الخلية. الا انه الان يخاطبها خطاب يهودي۞لان قوله ههنا ونحن نسجد يعني به نحن اليهود * فقد رفع اذاً محل الافعال اليهودية. ويجعل ذاته ايضاً موءهلاً للتصديق * ويستميلها الى ان تصغي الى الاقوال التي يقولها اكثر اصغاءً. جاعلاً كلامه خايباً من ان يكون متهماً. موريا ان اعلاءه شان افعال اليهود. ليس هو لمناسبة الى من قبيلته قبيلتهم. لان من قد حقق هذه الاقوال الجازمة من اجل المكان الذي كان اليهود يتفاخرون بهِ كثيراً. وقد ظنوا انهم بهِ قد استظهروا على كل الناس. ولنقض افعالهم الشريعة. فواضح انه ما تكلم الاقوال التي قالها بعد ذلك لتحمدٍ الى احد. لكنه قالها بحقيقة. وبنوة سابقة بالتخيير۞ولما ثبّت افكارها عاجلاً بقولهِ .. صدقيني يامراة " وما يتلو ذلك. استثنى بواجب بقولهِ .. ان الخلاص من اليهود هو * " والذي يقوله معناهُ هذا هو. اما انه اعتمد بذلك ان الفوايد الصالحة من هنالك حصلة للمسكونة. لان المعرفة بالله والتهجين للاصنام من هنالك حازا ابتداها. واراء الدين الاخر كلها. ومعنى السجود عندكم وان كان ليس متقوماً فمن اليهود اخذتم مبداهُ. فهذه كلها قد كانت خلاصاً۞واما انه يدعو وورودهُ خلاصاً * واوجب ما يقال انه ليس يخطي الواجب من يدعو الصنفين كليهما خلاصاً. قال انه يوجد من اليهود * وهذا المعنى فقد ذكره بولس ذكراً غامضاً. وقال .. منهم المسيح الموجود دايماً الهاً للبرايا كلها * " روميه ص ٩ ع ٥ ولبصر كيف يجمع العتيقة ويوضحها قرمةً للفوايد الصالحة كلها. ويبيّن ذاته بهذه الاقوال كلها انه ليس ضداً للشريعة * اذ قال من اليهود يوجد موضوع الفوايد الصالحة كلها ٢٣ .. لكن سيجي وقت وهو الان حين يسجد للاب الساجدون المحقون * " قال ايتها الامراة نحن بسجية السجود نزيد عليكم * الا ان هذه السجية تجوز الان تملها * لان ما يتبدل رسوم الموضعين كليهما فقط. لكن سيتبدل مع ذلك رسوم مذهب الديانة * وهذه الحوادث فقد وقفت عند الابواب * لان سيجي وقت وهو الان * لان الانبياء اذ كانوا قد قالوا ما قالوه منذ زمان طويل. يطل هو هذا الطول ههنا. وقال .. والان هو * " اي لا تظني هذه النبوة لمن هذا الحال حالها. انها تتم بعد زمان طويل. فان افعالها قد وقفت الان. وهي عند الابواب .. حتى يسجد للاب الساجدون المحقون بروح وحق * " واذ قال محقين. فقد اخرج اليهود مع السامريين * لان هولاء اليهود ولئن كانوا لافضل من السامريين. الا انهم ادنى من المزمعين لان يسجدوا بروح وحق كثيراً.

فهم ادنى منهم بهذا المقدار بمقدار ما رسم الشي ادنى من حقيقته * فقال هذا القول في نعت كنيسته
ان السجود الحقيقي اللايق بالله هذا هو * لان ابي يطلب الساجدين له · الذين هذا الحال حالهم *
فقد طلب لعمري قديمًا ساجدين هذا المحل محلهم · واذ لم يشاء اوليك ان يثبتوا في الرسوم القديمة
سمح بالرسم * لكنهُ انما سمح بهِ تسامحًا لهذا الغرض . ليستورد هولاء الساجدين الحقيقين ۞ وان سالت
مَن هم الساجدون الحقيقيون : اجبتك هم الذين ما يحصرون ديانتهم في مكان · ويسترضون الله
في روحهم · على ما قال بولس .. الذي اعبدهُ بروحي في بشارة ابنهِ * " روميه ص ١ ع ١٢ وقال
ايضاً .. اسالكم ان توقفوا اجسادكم ضحيةً حية مرضية لله · وهي ديانتكم الناطقة * " واذ قال ٢٤
.. ان الله روح " فليس يدل على معنى آخر الاَّ على انهُ خايب من جسم * فينبغي ان تكون
العبادة للخايب من جسم · هذه الحال حالها خايبة من جسم ايضاً * وان تقدموها لهُ بما هو فيكم
خايب من جسم الذي هو بروحكم · وبنقاوة عقلكم * ولذلك قال .. والذين يسجدون لهُ · ينبغي ان
يسجدوا لهُ بروحٍ وحقٍ * " لان اذ كان اوليك السامريون واليهود وانين في انفسهم · ويجتهدون
في تنظيف اجسامهم اجتهادًا كثيرًا · وينظفونها باوفر صنوف التنظيف . لذلك قال · ان الخايب
مِن جسم يُسترضى ويُعبَد ليس بتنظيف الجسم وبتطهيرهِ · بل بالذي هو فيكم خايب من جسم ·
اي بعقلكم * فلا تذبحوا اذاً غنماً وعجولاً · لكن ضحّ ذاتك كلها وقدمها لله · واجعلها محرقة كلها * فهذا
هو معنى قول الرسول · ان توقفها ضحية حيّة * لانهُ يجب ان يُسجد لهُ بحقيقة * لان الختانة الاولى
كانت رسمًا · والضحايا المحرقة بجملتها · والذبايح · والبخورات ۞ والان فليست كذلك ايضًا · لكن
فعلنا كلّهُ حقيقة . وليس هو رسمًا * لان ما سبيلنا ان نقطع لحمًا · لكن ينبغي ان نقطع افكارنا الخبيثة ·
وان نصلب ذاتك · ونقتل شهواتك البهيمية الفاقدة القياس وتذبحها * الاَّ ان تلك الامراة دهشت
من الاقوال التي قيلت لها · وانذهلت من علو معانيها * وكلَّ تمييزها · واسمع ما قالت لهُ ٢٥ .. قد
عرفتُ ان سيجيء ماسيًا المقول لهُ المسيح . فاذا جاء ذاك سوف يخبرنا بالاسرار كلها ٢٦ .. فقال
لها يسوع · انا هو المكلم اياكِ ۞ " ولقايل ان يقول . ومن اين للسامريين ان ينتظروا مجيء المسيح ·
وهم انما يقبلون موسى وحدهُ : فنقول لهُ من كتب موسى باعيانها · لان في ابتدايها قد اعلن الابن
الازلي * لان قولهُ .. لنخلقن انساناً على صورتنا ومثالنا " انما قيل للابن * وهذا هو المخاطب ابراهيم

في الخباء * ويعقوب اذ تنبأ في وصفهِ قال .. ليس يفنى من يهوذا ريس * ولا قايد من فخذيهِ .
الى ان يجي من يُستعَدُّ لهُ ذلك . وهو انتظار الامم * " تكوين ص ٤٩ ع ١٠ وموسى بعينهِ قال
.. سيقيم لكم الرب الهكم نبياً من اخوتكم مثلي فاسمعوا منهُ * " تثنية ص ١٨ ع ١٥ وافعال حية
النحاس . وافعال عصاة موسى . وما فعل باسحق والكبش . وايضاً اصناف كثيرة غير هذه . يمكن
عند المريدين ان يختاروها مذيعة مجيه * ولعلك تقول . وما الغرض في ان المسيح ما اقتاد الامراة
من هذه الامثلة . لكنهُ استورد لنيقدديمس الحية الى وسط خطابهِ . واذكر ناثانايل بنبوة . وما قال
لهذه قولاً هذا معناهُ : فلمَ ذلك : ولاي سبب : تقول لك . لان اوليك كانوا رجالاً قد تصرفوا
في هذه الاقاويل . وهذه فكانت امراة فقيرة خايبة من العلم ومن الخبرة بالكتب * فلهذا السبب لم
يخاطبها من هذه المعاني . لكنهُ من الماء . ومن سبوق تخبيرها بافعالها اجتذبها * وبهذه العواطف
اقتادها الى تذكر المسيح . واعلن لها بعد ذلك ذاتهُ * وهذا القول فلوكان قالهُ في مبتداء الخطاب
للامراة . ولم تطلبهُ هي لكان قد ظُنَّ عندها انهُ يهدي . ويتكلم كلاماً باطلاً * فاذ اقتادها الان
قليلاً قليلاً الى تذكرهِ . اعلن لها ذاتهُ في اوفق وقت ۞ واليهود الذين قالوا هذه الالفاظ
بمداومةٍ .. الى متى تعلق انفسنا . قل لنا ان كنت انت هو المسيح : " ما اجابهم هذا الجواب واضحاً .
وقال لهذه ظاهراً . انهُ هو ذاك * لان هذه الامراة كانت احسن حفاظاً من اليهود . واجود عزماً *
لان اوليك طلبوا ليس لاجل ان يعرفوا . لكنهم انما طلبوا هذا المطلوب حتى يجمزوا بهِ دايماً *
لانهم لو كانوا ارادوا ان يعرفوا . لكان تعليمه اياهم بالفاظهِ وبالكتب وباياتهِ فيهِ كفاية للتعريف
بهِ * وهذه الامراة فقالت ما قالتهُ من عزم عديم ان يكون محابياً . ومن سريرة بسيطة * وذلك واضح
من الافعال التي فعلتها بعد ذلك * لانها سمعت وامنت * واستجذبت اناساً اخرين . واصطادتهم
بهذا الكلام * وفي كل مكان من خطابها يتجه لنا ان نبصر عزم هذه الامراة المستقصي والموقن *
واذا انتهى الخطاب زعم الى هذه الغاية ٢٧ .. جاء تلاميذهُ * " ووصلوا في وقت ملايم جداً .
اذ استتم تعليمه * .. واستعجبوا انهُ كان يكلم امراة . وما قال لهُ قايل منهم . ما الذي تطلب . او
ماذا كنت تتكلم بهِ معها : " فان قلت . وما الذي استعجبوا من ذلك : اجبتك . استعجبوا فقدهُ
الصلف . وعزمه المتذلل بافراط كثير * انهُ بهذه الصورة كان شايع الذكر . واستجاز ان يخاطب

يتذلل عزم جزيل تقديرهُ · امراة فقيرة سامرية * الاَّ انهم مع انذهالهم من ذلك · ما سالوهُ عن علة مخاطبته اياها · لانهم كانوا بهذه الصفة متادبين بحفظ ترتيب التلاميذ · وبهذه الصورة يهيبوه · واستحيوا منهُ * لانهم وان كانوا بعد ما امتلكوا الراي المؤهل لهُ · الاَّ انهم مع ذلك اصغوا اليهِ واحتشموهُ · كاحتشامهم صاحباً عجيباً · وخولوهُ الاستحيا منهُ كثيراً · على انهم في مكان اخر يستبينون مدلين عليهِ في جهات كثيرة * كقولك لما استقلى يوحنا على صدرهِ · ولما اقتربوا منهُ قايلين ·· من هو الاعظم في ملك السموات : ·· ولما تضرع اليهِ ابنا زبدى ·· ان يجلس الواحد عن ميامنهِ والآخر من ميسارهِ * ·· فان انت استخبرت · فلمَ ما استخبروهُ ههنا : اجبتك لان تلك المسايل كلها دعتهم الضرورة الى الاستبحاث عنها · من طريق ان فوايدها واصلة اليهم * والخطاب الجاري ههنا · فما ورد لهم ضرورة تدعوهم الى البحث عنهُ * ويوحنا عمل هذا العمل بعد زمانٍ طويل · عند غاية التدبير بعينها · حين استمتع بدالة غندهُ اكثر جهاراً · ووثق بحب المسيح لهُ * لانهُ قال ·· هذا كان الذي احبهُ يسوع ·· *

العظة الثالثة والثلثون

في ان الوداعة تنفعنا اعظم المنافع · وان يوحنا البشير لما امتلك هذه الوداعة احبهُ ربنا فما الذي يكون عديلاً لهذا التطويب : لكن سبيلنا يا احبتي · ان لا نقف عند هذا التطويب للرسول · لكن ينبغي لنا ان نعمل كل ما يمكننا · حتى نصير من الذين يطوبون · ونشابه هذا البشير · ونعرف ما هي المحامد التي ابدعت لهُ هذا الحب الجزيل تقديرهُ * فما هي هذه المحامد : قد ترك لعمري اباهُ وسفينتهُ وشبكتهُ · ولحق المسيح · ولكن هذا الفعل قد كان شريكاً فيهِ لاخيهِ · ولبطرس واندراوس والاخرين من الرسل * فما هي الفضيلة التي كانت خاصةً لهُ · التي جعلت حبهُ كثيراً : وهل نجدها : لانهُ هو ما ذكر عن ذاتهِ وصفاً بهذه صفتهُ · الاَّ انهُ احب فقط * وكفى عن محامدهِ التي لاجلها احب متذللاً ذاتهُ · لان البرهان على انهُ قد احب حباً خاصاً بهِ · قد كان واضحاً في ساير الجهات * ومع ذلك فليس يستبين مخاطباً مخلصنا · ولا سايلاً لهُ على انفرادهِ · مثلما سالهُ بطرس دفعاتٍ كثيرة · وكما سالهُ فيلبس · وعلى نحوِ ما سالهُ يهوذا وتوما * لكن حين شاء ان يطيع المتعلم معهُ اعني بطرس ويهدي اليهِ منة · حينيذٍ سال ربنا فقط * لانهُ حين اضطرهُ المعظم في الرسل · اذ اشار اليهِ · حينيذٍ

سأله * لان هولاء التلميذين حوى احدهم للاخر حباً كثيراً * لانهم على هذه الجهة يستبينون صاعدين الى الهيكل جميعاً * ويخاطبون الجمع خطاباً مشاعاً * مع ان بطرس يتحرك في كل مكان . ويتكلم باحر عزم * وعند غاية التدبير سمع المسيح قايلاً له .. يابطرس اتحبني اكثر من هولاء ؟ " ومن احبه اكثر من اوليك . فواضح انه قد احب . الآن هذا القول صار واضحاً من ان بطرس احب يسوع * وذلك القول استبان من ان يسوع احب يوحنا * فان سالت . فما هو الذي اصطنع له هذا الحب الخاص به : اجيبك . على حسب ظني . ان ذلك هو ان هذا الفاضل اوضح دعة كثيرة ووداعة * ولذلك يستبين في جهات كثيرة . لا مدلاً ولا مجاهراً * وهذه الوداعة فمقدار عظمها واضح من موسى النبي * لان هذه الفضيلة جعلت موسى بهذا المقدار جزيلاً فخره . عظيماً قدره * لان ليس فعل عديلاً لتذلل العزم * ولهذا السبب من هذه الفضيلة . ابتدى المسيح بتطوبياته * لانه كمزمع ان يطرح لبناً عظيماً اساساً وقاعدة فوضع على هذه الجهة تواضع العزم ۞ لان ليس ينساغ لنا . ولا يمكننا ان نتخلص خلواً من تواضع العزم * لكن لو صام احدنا . ولو صلى . ولو عمل صدقة بتعظم . فكل اعماله تكون مرفوضة * اذ لم يحضر تواضع العزم * كما انها كلها تكون ماثورة معشوقة . مصونة باتم الحياطة . اذا حضر التواضع فيها * فلنتذلل يا احبابي ولنتواضع * فان احكام هذه الفضيلة سهل جداً . لهذا استفقنا * لان ما الذي يرفعك بالجملة ايها الانسان الى التعظم . اما تبصر مقدار طبيعتك الحقيرة . وعزم اختيارك السريع زلقه : تفهم حال وفاتك * تفطن في كثرة الخطايا التي اجترمتها * ولكنك لعلك قد احكمت فضايل كثيرة . فتفتخر بها في ذاتك افتخاراً عظيماً * فبهذا الافتخار بعينه تضيعها كلها * فلهذا السبب ليس يحتاج من قد اجترم الخطايا ان يتواضع على هذا النحو . مثلما يحتاج من قد احكم الفضايل . الى الاجتهاد في ان يتذلل ويتواضع * وان سالت وما معنى هذا : اجبتك . لان المخطي يتملك اضطراراً فطنته تلزمه ان يتواضع * ومحكم الفضايل ان لم يستفق كثيراً . فهو يترفع كثي ترفعه ريح شديدة سريعاً . وتتغيب مثل الفريسي كل محامده * لكنك تعطي الفقراء اموالاً . الا انها ليست لك * لكنها اموال سيدك المشاعة للمتواخين في العبودية * ولهذا الغرض خصوصاً ينبغي لك ان تتواضع في مصايب الذين جنسهم جنسك ۞ اذ قد تقدمت فرايت نوايبك وعرفت في اوليك طبيعتك * ولعلنا نحن قد كنا من اجداد هذه الحال حالهم * ولين كان الغنى قد انتقل الينا . لكنه واجب هو ان يتركنا ايضاً * وما هي الثروة بجملة وصفها :

انما هي ظل ضعيف . ودخان متحلل . وزهرة حشيش يذبل * والتيق ما يقال انها احقر من الزهرة *
فما بالك تتعظم بحشيش ذابل : أفما يوافي الغنى الى اناس لصوص . وموثنين . وزواني . ونباشي القبور :
افهذا يعليك انك تمتلك شركاء في القنية هذه طريقتهم : أفهل تعشق التكريم : فليس فعل اكثر من
الصدقة يوجد استعداداً لواجب التكريم * لان تكريمات الثروة والمقدرة هي بالزام ومقت . وتكريمات
الفضيلة فهي من نية المكرمين وفطنتهم * ولذلك لن يستطيع في وقتٍ من الاوقات المكرمون . ان
ينتزعوا الكرامات عن محكي الفضيلة * فلئن كان الناس يخولون الرحومين توقيراً جزيلاً تقديره .
ويبتهلون لهم بالحظوظ الصالحة كلها . فتفطن في المجازاة التي ياخذونها من الاله المتعطف ما اعظم
مقدارها . وفي المكافاة ما اجلّ قدرها * فلنطلبنّ هذه الثروة الباقية دائماً . ولن نهرب في وقتٍ من الزمان
من مالكها لنصير ههنا معظمين . وهنالك بهيين * فليتفق لنا امتلاك النعم الصالحة الدهرية . بنعمة
ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي معه ولابيه المجد مع الروح القدس . الى اباد الدهور كلها امين

المقالة الرابعة والثلثون

في قوله ٢٨ وتركت الامراة جرتها . وذهبت الى المدينة . وقالت . ٢٩ تعالوا ابصروا انساناً .
قد قال لي اعمالي التي عملتها كلها * الا يكون هذا هو المسيح :

نحتاج يا اخوتي الى حرارة كثيرة وحرص متنهض * لان خلواً من ذلك لن يتجه لنا ان تنال صنفاً
من النعم الصالحة التي وعدنا بها . وهذا المعنى فقد اوضحه المسيح * فقال حيناً .. ان لم يحمل احدكم
صليبه ويلحقني . فليس هو موهلاً لي ،، متى ص ١٠ ع ٣٨ وقال حيناً .. انما جيت القي على
الارض ناراً . وما غرضي فيها قد كنت اشاء انها قد توقدت فيما سلف * ،، لوقا ص ١٢ ع ٤٩ فبهذين
القولين كليهما . اراد ان يبيّن لنا التلميذ المتوقد شوقه . المحمي بناره . المتسوم لكل خطرٍ وشدة *
فهذه الامراة كانت هذه السجية سجيتها . لان الاقوال التي قيلت لها . الهبتها هذا الالهاب الذي اوصلها
الى ان تركت جرتها . واهملت الحاجة التي جاءت بسببها . وحاضرت الى مدينتها * لتجتذب الى يسوع
كافة الجمع الذي فيها * لانها قالت .. تعالوا ابصروا انساناً قد قال لي . اعمالي كلها التي عملتها * ،،
تامل لي حرصها وفهمها . لانها جاءت تستقي فلما اتفق لها الينبوع الحقيقي . استحقرت بعد ذلك الينبوع

المحسوس. فحصلت معلمةً لنا* وإن كان ذلك تمثالاً صغيرًا ان يعرض في استماع الاقوال الروحانية عن اشياء الدنيا كلها. وان تمتلك منها همًّا واحدًا. لان هذه على حسب قوتها عملت العمل الذي عمله رسل ربنا* لان اوليك لما دُعوا تركوا شباكهم. وهذه فمن ذاتها ولم توعد بشيء. تركت جرتها. وعلمت عمل المبشرين○اذ ريشها سرورها*وما استدعت واحدًا واثنين. كما استدعى اندراوس وفيلبس. لكنها استنهضت مدينةً بكليتها: وجمعاً جزيلاً تقديره. واقتادتهم على هذه الجهة اليهِ*وتامل كيف اقتادتهم باوفر الفهم*لانها ما قالت لهم تعالوا ابصروا المسيح. لكنها استجذبت الرجال بالمقاربة والاستكانة التي اقتنصها المسيح بها* لانها قالت ،، تعالوا ابصروا انساناً قد قال لي اعمالي كلها التي عملتها* " وما خجلت ان تقول ذلك. مع انها قد كان يمكنها ان تقول قولاً غير هذا○وهو تعالوا ابصروا متنبياً. لكن نفس احدنا اذا أُحميت بالنار الالهية. ما تنظر بعد ذلك الى شيء من الاشياء التي في الارض. لا الى شرف. ولا الى خجل. لكن اللهيب الذي قد اشتمل عليها هو لهيب نار واحدة* الا يكون هذا هو المسيح: ابصر ايضاً حكمةً كثيرة لامراة*ما جزمت انهُ هو المسيح بحكم واضح. ولا صمتت* لانها ارادت ان تجلبهم اليهِ ليس من حكمها هي. لكنها اثرت ان تجعلهم من استماعهم كلامهُ شركاء لحكمها○وذلك يجعل كلامها اكثر تحقيقاً. واوجب اقتبالاً*مع ان ربنا ما وصف عيشتها كلها. لكنها مما قيل لها. انفتنت بمعرفة ما تبقى من اعمالها* وما قالت تعالوا امنوا. لكنها قالت تعالوا ابصروا* وهذا فكان اخف من قولها تعالوا امنوا * واستجذبهم ذلك اكثر○ اعرفت حكمة الامراة: لانها علمت علمًا يقيناً. انهم معما يذوقون فقط من ذلك الينبوع. سيطيعون الاقوال باعيانها التي اطاعتها هي * مع ان لو كان واحد من الناس الآخرين الاكثفين تمييزًا. لكان قد ستر التوبيخ وكتمهُ* وهذه فاشهرت عيشتها. وقدمتها في الوسط*حتى تستجذب جميع اهل بلدها وتقتنصهم* ٣١ .. وفي اثناء ذلك. ساله تلاميذهُ قايلين. يامعلمنا كُل طعامًا*" ومعنى انهم سالوهُ ههنا. هو في لغة بلدتهم تضرعوا اليهِ○ لانهم ابصروهُ متعوبًا من سعي الطريق. ومن لهيب الحرّ الراتب. فتضرعوا اليهِ ان ياكل*لان توسلهم اليهِ ان يتناول طعامًا ما كان ذلك من تهجم. لكنهُ كان من اخلاصهم الوادّ لمعلمهم* فان سالت عمّا اجابهم بهِ. قلت لك. انهُ قال ٣٢ .. انا امتلك طعامًا آكلهُ. ما قد عرفتموهُ انتم* " فقال البشير ٣٣ .. ان بعضهم قال لبعض. لعل احد الناس

قدّم له طعاماً آكله* " وما استعجابك لئن كانت تلك الامراة اذ سمعت ماءً تخيلت ايضاً ماءً · اذا كان تلاميذه قد عرضت لهم هذه العوارض ايضاً باعيانها · وما فهموا بعد معنىً روحانياً . لكنهم تحيروا من قوله : ثم خوّلوا معلمهم احتشامهم اياهُ المالوف واكرامهم لهُ · وخاطب بعضهم بعضاً · وما اجترؤا ان يسالوهُ سوالاً* وهذا العمل قد عملوهُ في مكان آخر · اذ اشتهوا ان يسالوهُ · الا انهم ما سالوهُ · فقال لهم المسيح ٣٤ .. طعامي هو ان اعمل مراد من ارسلني · واتمم عملهُ* " فسمى ههنا خلاص الناس طعاماً لهُ · موضحاً مبلغ ارتياحه الى العناية بنا* وكما ان الاغتذاء ماثور عندنا · فكذلك تخليصه ايانا ماثور عندهُ* واسمع كيف في كل مكان ليس يعلن احوالهُ كلها في لفظ متيسر فهمهُ · لكنهُ يزج اولاً سامعهُ الى تحير مما يسمعهُ · حتى اذا ابتداء بالتماس معنى ما قيل له · وتحيّر مما يسمعهُ وكلّ تمييزهُ . يقتبل بنشاطٍ اكثر حرصاً المطلوب · اذا ظهر له · وينهض الى الاستماع باوفر حرصهِ* ولقايل ان يقول · فلمَ ما قال في الحين طعامي هو ان اعمل مراد من ارسلني : عن ان هذا القول ما كان واضحاً* لكنهُ قد كان ابين من القول الذي تقدمهُ . وهو قولهُ .. انا امتلك طعاماً آكله وما عرفتموهُ انتم* " فنقول لهُ اولاً على ما ذكرتُ · انهُ اراد ان يجعلهم بتحيرهم في معنى ما قاله اكثر اصغاءً وتصفحاً · ويقودهم بهذه الالفاظ الغامض معناها · ان يسمعوا ما يقال لهم* وان سالت وما هو مراد ابيهِ : فسيصفهُ لك ويترجمهُ* قال لهم ٣٥ .. اما قد قلتم انتم ان بعد كون اربعة اشهر يجيء الحصاد . فهنذا اقول لكم · ارفعوا الحاظكم · وابصروا الحقول انها بيضاء . وهي قد تهياءَت للحصاد* " ها هو ايضاً يصاعدهم بالاسماء المناسبة الي النظر في المعاني العظيمة* لانهُ لما ذكر طعاماً · ما اوضح معنى آخر الا خلاص الناس الذين اعتزموا ان يجيؤا اليهِ* والحقول والحصاد تدل على هذا المعنى بعينهِ ايضاً · وعلى كثرة النفوس المتسومة لاقتبال انذارهِ * والالحاظ ههنا يعني بها الحاظ تمييزنا والحاظ جسمنا* لانهم ابصروا بعد ذلك جماعة السامر بين جايبةً اليهِ* وعنى بالحقول المبيضة استعداد اختيارهم* لان كما ان السنبل اذا ابيض فهو مستعد للحصاد · فكذلك هولاء الناس زعم انهم الان مستعدون للخلاص متسومون لهُ* فان قلت فلمَ ما قال قولاً بيناً ان اناساً سيجيئون ويومنون بهِ · وهم متسومون لاقتبال كلامهِ · اذ قد علمتهم الانبياء* فهم يقضون فيما بعد ثمر ما قد تعلموهُ* لكنهُ سمي حقلاً وحصاداً · فما الذي تعتمدهُ هذه التغييرات في الاوقات من الراي عندهُ : اجبتك انهُ من شانهِ

ان يعمل هذا العمل ليس في هذا الموضع فقط · لكنه يعمله في بشارته كلها * والانبياء فقد استعملوا هذا النحو * اذ قالوا اقوالاً كثيرة على جهة تقل لفظها الى معناها * فما العلة في ذلك : لان نعمة الروح ما اشترعت هذه الاقوال على بسيط ذات الاشتراع . لكنها اشترعتها لاجل شيئين * احدهما حتى يصير الكلام ابين وضوحاً · ويسوق الاقوال التي تقال لدى البصر اكثر سوقاً * وذلك ان تمييز فهمنا اذا اشتمل على الصورة المناسبة لمعاني الكلام · يشتد نهوضه كثيراً · ويبصر المعاني كمسطورة في كتاب · فيضبطها ضبطاً عظيماً ○ والسبب الثاني حتى يجعل الخطاب حلواً · ويلبث ذكر ما يقال ادوم بقاء * لان القول الجازم ليس ينضبط ويتمكن على هذه الجهة عند السامع الجزيل البحث · مثلما يتمكن منه الحديث بالمعاني وتمثيل الخبرة والتجربة * وهذا الحديث فبالمثل يتجه لنا ان نبصره متكوناً بحكمة كثيرة * قال ٣٦ .. والحاصد ياخذ اجره · ويجمع ثمرة لحياة دهرية * " لان ثمرة الحصاد الجسداني ما توصل الى حياة دهرية · لكنها توصل الى هذه الحياة الوقتية * وثمرة الحصاد الروحاني · توصل الى حيوة خالية من شيخوخة وموت * ارأيت كيف الفاظه محسوسة ومعانيها روحانية : وبهذه الالفاظ بعينها يفصل الاصناف الارضية . من الاصناف الروحانية السمائية * لانه قد عمل هذا العمل عندما تكلم في وصف الماء · اذ وضع الماء الذي يناسبه · فقال ان من يشرب من هذا الماء ليس يعطش ○ وهذا العمل يعمله ههنا عند قوله · انه يجمع هذه الثمرة لحياة دهرية * .. لكيما يسر الزارع والحاصد جميعاً * " فان سالت من هو الزارع : ومن هو الحاصد : اجبتك . الانبياء هم الذين زرعوا الا انهم ما حصدوا هم . لكن رسل ربنا حصدوا . وما يعدمون لهذا السبب لذتهم ومكافاة اتعابهم * لكنهم سيفرحون زعم معكم وان كانوا ما حصدوا معكم · لان الحصاد عمل اهون من عمل الزرع فالفعل الذي التعب فيه اقل · اللذة فيه اعظم * في هذه الافعال ولها خبأتكم · ليس للزرع . لان الشقاء هناك في الزرع كثير والعتب جزيل * لان الحصاد فيه دخل كثير · والتعب ليس هو على مقدار ذلك . لكن سهولته كثيرة * فههنا يريد ان يمكن عندهم بهذه الالفاظ ان مراد الانبياء هذا هو · ان نتقدم الناس الي · وهذا المراد فقد اراده الشريفة * ولهذا الغرض زرعوا · لكي يولدوا هذه الثمرة . واوضح ايضاً انه هو ارسل اوليك . وان المناسبة بين الحديثة والعتيقة كثيرة · واصلح هذه المعاني كلها بهذا المثل * وقد ذكر قولاً من اقوال الامثال يعيد ذكره اناس كثيرون * لانه قال ٣٧ .. في هذا الفعل يوجد الكلام صادقاً ·

ان الزارع هو آخر والحاصد هو غيرهُ*" فهذه الاقوال قد قالها الناس الكثيرون · متى ما اتفق ان يقاسي الاتعاب اناس آخرون · ويقتطف اثمارها اناس غيرهم*وقال ان هذا القول يحوي حقيقةً خصوصاً *وبيان ذالك ان الانبياء تعبوا فحصدتم انتم الثمراة المونعة من اتعاب اوليك* وما قال فحصدتم الان صنوف اجرة اوليك · لان ذاك التعب الكثير ليس خايباً من اجرة لاوليك *لكنه قال فحصدتم الثمرات من اتعابهم *وهذا العمل فقد عملهُ دانيال النبي · لان ذاك قد ذكر مثلاً قايلاً .. خرج من الخايبين من الشريعة هفوة*"ملوك اول ص٢٤ ع ١٤ وداود في حال نوحهِ يذكر مثلاً هذه صفتهُ *فلذلك قال فيما سلف · لكيما يسر الزارع والحاصد معاً*فاذ توقع ان يقول · ان اخر زرع وغيرهُ حصد*فلكيلا يظن ظانٌ على ما ذكرت انهُ يعدم الانبياء اجرتهم · قال قولاً مستغرباً بديعاً · ليس هو عارضاً في الاشياء المحسوسة · لكنهُ خاص في الافعال الروحانية*لان الاشياء المحسوسة اذا عرض فيها ان يزرع واحدٌ ويحصد غيرهُ زرعهُ · فليسا يفرحان جميعاً · لكن الزارعين يتوجعون* لانهم تعبوا لآخرين غيرهم · والحاصدين يفرحون وحدهم*وههنا لن يجري الحال على هذا المجرى · لكن الذين لم يحصدوا ما زرعوهُ · يفرحون · شبيهاً بفرح الذين حصدوا*فمن هذه الجهة استبان واضحاً ان هولاء ايضاً يشاركون الاجرة* ٣٨ .. قال انا ارسلتكم تحصدون ما لم تتعبوا فيهِ انتم*بل آخرون تعبوا فيهِ · ودخلتم انتم في تعبهم* " فبهذا الكلام نشطهم كثيراً* لان هذا العمل اذ كان يُظن انهُ متعبٌ · وهو ان يجولوا المسكونة وينادوا بالتوبة · بيَّن لهم انهُ سهل* لان العمل الذي كان متعباً جداً · انما كان ذاك العمل الذي احتاج تعباً كثيراً · وهو بذار المزروع · وان يولجوا نفساً فاقدة ان تكون معلمة · الى المعرفة بالله * فان سالت · ولِمَ قال هذه الاقوال : اجبتك · حتى اذا ارسلهم الى المناداة لا يرتجفوا كانهم مرسلون الى عملٍ متعبٍ لانهُ قال ان فعل الانبياء كان اكثر تعباً من فعلكم*والعمل يشهد للقول * لانكم جيتم الى الاعمال الاسهل من غيرها * لان كما ان الثمرة تجمع في الحصاد بسهولة · وفي لحظة واحدة يمتلي البيدر غموراً · ولم ينتظر انقلابات ازمان وشتاءً ومطراً وربيعاً · فكذلك يصير الان * والافعال تصيح بهذا*لانهُ في اثناء تكلمهِ بهذه الاقوال · خرجت السامريون وجمعت الثمرة بغتة*ولهذا المعنى قال .. ارفعوا الحاظكم وابصروا الحقول انها قد ابيضت* " فقال هذه الاقوال · واستبان الفعل منها*

وشوهدت الالفاظ من اعمالها * لان البشير قال ٣٩ .. ان كثيرين من تلك المدينة امنوا به من السامريين بسبب كلام الامراة اذ شهدت انه قال لي اعمالي كلها التي عملتها * "لانهم استيقنوا ان الامراة استعجبت ممن قد وبّخ هفواتها لتحمدا اليه . ولا شهرت عيشتها حتى تحمد بذلك الى انسان آخر

العظة الرابعة والثلثون

في انه يجب على من يتوب ان يبتعد عن هفواته ليس بعدم فعله اياها فقط . لكن سبيله مع ذلك ايضاً ان يعمل بعزمه اضداد الخطايا التي اجترمها *

فينبغي لنا ان نشابه هذه الامراة . ولا نخجل من الناس في خطايانا * لكن يجب علينا ان نخاف على ما يجب من الهنا الناظر الان الى ما نجترمه . المعاقب حينئذٍ الذين ما يتوبون الان * على اننا الان نعمل خلاف هذا . فما نخاف المزمع ان يديننا . ونرتاع من الذين ما يضروننا ضرراً ۞ ونرتعد من استخزينا منهم ۞ فلهذا السبب العارض الذي نخشاهُ فيه نقاسي العقوبة ۞ لان من يتوقى الاستخزاء من الناس . وما يستخزي من الله الناظر اليه . اذ يعمل عملاً منكراً شنعاً . ولا يشاء ان يتوب عليه وينتقل عنهُ . فسيفتضح في ذلك اليوم الرهيب . ليس بمحضر واحد واثنين من الناس . لكن بمشاهدة اهل المسكونة كلها . ويشتهر خزيه * لان البرهان على ان هنالك يرتب لاعمالنا الصالحة ولافعالنا الردية مشهداً عظيماً . فليعرّفك فيه مثل الغنم والجداء . وبولس السعيد عند قوله .. اننا يجب علينا ان نقف لدى منبر المسيح . ليحتضن كل واحد منا عمله بجسده . ان كان عمل عملاً صالحاً . وان كان رديّاً * " قرنتيه ثانيه ص ٥ ع ١٠ فان كنت قد عملت عملاً خبيثاً . او افتكرت افتكاراً رديّاً . وسترتهُ على انسان . الّا انك ما سترتهُ على الله * لكنك ما يروعك همٌّ من هذه الهموم . بل عيون الناس هي خوفك فقط * فتفطن انك ما تقدر ان تستتر عن الناس في ذلك اليوم الفزع * لان افعالنا كلها وافكارنا تنتصب حينئذٍ لدى الحاظنا كانها في تمثال مصورة . حتى ان كلاً منا يكون موجباً الحكم على ذاته * وهذا القول واضح من الغني * وذلك انه ابصر لعاذر المسكين الفقير الذي اعرض عنهُ واقفاً لدى عينيه . وتلك الاصابع التي رفضها دفعات كثيرة . اقبل يتوسل ان يصير منها سلوة لهُ حينئذٍ * فاسالكم يا احباي اذاً وان لم يعرف عارفٌ افعالنا . ان يدخل كل واحد منا الى فطنته

وسريرتهِ. ويجلس فكرهُ قاضياً لذاتهِ. ويحضر الى وسط مجلس القضاء هفواتهِ التي اجترمها* وان كان لم نشاء حينئذٍ ان تشتهر في ذلك اليوم الرهيب. فليشفي جراحاتهِ وعقورهِ. وليضع عليها ادوية التوبة* لان ممكناً لك وسهلاً عليك ان تمضي الى هنالك معافىً. بعد ان كنت مملوءاً جريحات جزيلاً عددها* لانه قال .. ان صفحتم يصفح لكم عن خطاياكم* وان لم تصفحوا فليس يصفح لكم* " وكما ان خطايانا تنطمر في حين تعميدنا ومنا تستبين ايضاً* فكذلك تنغيب جرايمنا ان شينا ان نقرّبها ونتوب عنها. فاعتزامنا ان لا نعمل ايضاً خطايانا باعيانها هو توبة* لان من يمارس افتعال خطاياهُ باعيانها .. فقد شابهَ كلباً عايداً الى قيهِ* " بطرس ثانية ص ٢ ع ٢٢ وان ينبغي لنا ان ننتزح الان بفعلنا وبعزمنا عن الهفوات التي تجاسرنا عليها* واذا ابتعدنا عنها. فيجب ان نضع على جراحاتنا ادويةً مضادةً لخطايانا. على حدو ما اقول* اختطفت واستغنمت: ابتعد من الخطف والاستغنام. وضع على جراحها صدقةً ورحمةً* ازنيت: باين المزنا. وضع على قرحتهِ عفةً وطهارة* أثلبت اخاك ثلباً ردياً واضررتهُ: اكفف عن ان تسيّ القول فيهِ. وضع على جرح الثلب التودد والبر والاحتفال في تكريمهِ؟ ونعمل هذا العمل في كل صنف من الاصناف المجترمة بنا* ولا نجوز الخطايا التي اجترمناها ونحرف عنها. على بسيط ذات الانحراف. فان قد وقف بنا الان اوان العقوبات* ولذلك قال بولس .. ربنا قريب* فلا تهتموا بشيٍّ* " فيلبوسيوس ص ٤ ع ٥ لكننا لعل بنساغ لنا ان تقول ضد هذا القول. الرب قريبٌ فاهتموا* لان اولئك سمعوا سماعاً صايباً لاتهتموا بشيٍّ؟ وهم الموجودون في ضغطة واتعاب وجهادات* واما العايشون في مغاوي استلاب ما ليس لهم وفي التنعم المزمعون ان يقاسوا تعاذيب صعبة. فسيسمعون لبس هذا القول. لكن ذاك القول على جهة الواجب. الرب قريب فاهتموا* لان ما قد تبقى لانقضاء الدنيا زمان طويل* لكن الدنيا الان قد سارعت الى انقضايها* وهذا الانقضاء فتدلنا عليهِ الحروب. هذا توضحهُ الضيقات والشدايد. هذا تبينهُ الزلازل. هذا تظهرهُ يبوسة الحب. اذ قد قشب لان بصورة جسم عتيداً ان تنزع منهُ نفسهُ. ووفاته قريبة؟ فانه يستمد عوارض من الضنك جزيلاً عددها؟ وكمنزل قد شارف ان يسقط. فمن شانهِ ان يتقدم فيسقط منهُ اجزاء كثيرة من سقفهِ ومن حيطانهِ* كذلك قد وقف بنا انقضاء المسكونة قريباً عند ابوابنا* ولهذا السبب قد انزرعت الافات والبلايا الجزيل

بعد ها في كل مكان * لان ربنا حينيذٍ ان كان قريباً. فالليق واوجب ان يكون الان قريباً* ان كان قبل ثلثماية سنة حين قيلت هذه الاقوال قد سمى بولس زمانه كمال الازمان. فاولى واليق بزماننا الحاضر ان يكون كمال الازمان* ولكن لعل اناساً لاجل هذا القول بعينه يزول تصديقهم. وقد كان يجب عليهم لهذا ان يصدقوا دنوّ الانقضاء كثيراً* وانا اخاطب احدهم. يا انسان. من اين عرفت ان لانقضاء الدنيا ليس هو قريباً. وبعد زمان يسير ندهمنا حظوظنا: لاننا على نحو ما نسمي تمام السنة ليس اليوم الاخير منها. بل قد نسمي الشهر الاخير منها كمالها. على انه يحوي ثلثين يوماً* وكذلك المعنى في السنين التي هذا المقدار الجزيل مقدارها. ولو سميت تمامها اربعماية سنة فليس اخطى الصواب. حتى ان كمال الدنيا منذ ذلك الحين قد تقدم فصاح بوروده* فلنيقظنّ ذواتنا. ولنتنعمنّ بخوف ربنا. فاننا عند مقامنا في فسحةٍ من الامل وما ننتظر الانقضاء ولا نهتم به كثيراً. حينيذٍ يقف بنا حضورهُ بغتةً* والمسيح اذ اوضح هذا المعنى قال.. انهم على نحو ما كانوا في ايام نوح. وعلى حدو ما كانوا في ايام لوط. فكذلك يكون ورودهُ*" متى ص ٢٤ ع ٣٧ وهذا المعنى لما ابانه بولس الرسول قال.. اذا قالوا سلامة وحياطة. حينيذٍ يدهمهم هلاكهم بغتةً كما يداهم الطلق للحبلى* " تسالونيكية ثانية ص ٥ ع ٣ وان سالت وما معنى الطلق الذي يداهم الحبلى: اجبتك. ربما تكون من النساء الحبالى على غفلة لاعبات. وللاطعمة مصلحات. او في الحمام او في السوق مقيمات. وما قد ابصرن عارضاً من عوارض الطلق المستانفة. فيستحوذ عليهن مخاض الطلق بغتةً* فاذا كانت احوالنا جارية على هذا المجرى. فلنكون مستعدين داياً* لاننا ما نسمع هذه الاقوال داياً. ولا نمتلك السلطان عليها داياً* لان النبي قد قال.. في الجحيم مَن يشكر لك*" فلنتوبن اذاً ههنا. لكي نمتلك على هذا الحال الهنا غفوراً لنا هناك في اليوم المستانف. ونقتدر ان نستمتع بعفوهِ الكثير عنا. الذي فليتفق لنا كلنا امتلاكهُ بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه. الذي معهُ لابيه المجد مع الروح القدس الان وداياً. والى اباد الدهور كلها. امين

المقالة الخامسة والثلثون

٤٠ ولما جاء اليه السامريون سالوهُ ان يقيم عندهم. فاقام هنالك يومين * ٤١ وجماعة منهم كثيرة امنوا به لاجل كلامه * ٤٢ وقالوا للامراة. اننا ما نومن ايضاً بسبب كلامكِ. لاننا قد سمعنا وعرفنا

ان هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم * ٤٢ وبعد يومين خرج من هنالك وذهب الى الجليل

ليس داء اشر من داء الحسد . وليس عارض اردى من الشرف الفارغ ۞ لان هذا في طباعه ان يفسد الاعمال الصالحة الجزيل عددها * وبيان ذلك ان اليهود امتلكوا معرفة اكثر من السامريين . وناسبوا الانبياء واغتذوا معهم . فاستبانوا في هذه الجهة متاخرين عنهم * لان هولاء السامريين آمنوا به من شهادة امراة . وما ابصروا منه اية واحدة * وخرجوا الى عنده متوسلين اليه ان يقيم عندهم * واليهود فشاهدوا عجايبه . وليسوا انهم ما ضبطوه عندهم فقط . لكنهم مع ذلك طردوه . وعملوا كل ما امكنهم حتى يخرجوه من بلدهم * على ان مجيه هذا لاجل اوليك اليهود كان . الا انهم طردوه * وهولاء توسلوا اليه ان يقيم عندهم * وانا اقول للمعترض . قل لي . ألم يكن واجبًا ان يقترب الى هولاء السامريين وهم يتضرعون اليه متوسلين : لكن كان يجب ان يثبت عند الذين اغتالوا عليه ودفعوه . ولا يبذل ذاته للذين احبوه وارتادوا ان يضبطوه عندهم * الا ان هذا الفعل ما كان موهلاً لاشفاقه واهتمامه * فلهذا السبب اقتبلهم . واقام عندهم يومين ۞ لانهم هم ارتادوا ان يضبطوه عندهم دايمًا . وهذا المراد فقد اوضحه البشير . اذ قال . انهم سالوه ان يقيم عندهم . فما اجابهم هو الى ذلك * لكنه اقام يومين فقط * وفي هذين اليومين آمنت به منهم جماعة كثيرة * على ان هولاء ما كان لايقًا ان يومنوا بمن لم يبصروا منه آيةً واحدة * وبمن كان اليهود يستثقلونه . الا انهم مع ذلك لما ميزوا الاقوال التي قالها بحقيقة تمييزها . ما وقف هذا الراي عندهم . لكنهم اتخذوا همةً اعلى من العوايق كلها وفضلوه . لما استعجبوه استعجابًا عظيمًا * لان البشير قال . انهم قالوا للامراة . اننا لسنا نومن به بسبب كلامك ايضًا * لاننا نحن قد سمعنا وعرفنا ان هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم * فالتلاميذ ارتفعوا وفاقوا على التي علمتهن * فهولاء على جهة الواجب يقرفون اليهود بايمانهم به . وباقتبالهم اياه ۞ لان اوليك اليهود من اجل افعاله التي بها ثبت كلما قاله . رجموه دفعات متصلة * وهولاء فلم يكن مناسباً لهم . فاستجذبوه اليهم * واوليك فبعد معاينتهم اياته لبثوا عادمين اصلاحهم * وهولاء خلوًا من ايات اظهروا امانتهم به كثيرة : وبهذا العزم فضلوه بانهم آمنوا به خلوًا من ايات يرونها منه * واوليك لم يكفوا طالبين منه ايات مجربين اياه فعلى هذه الجهة الحاجة ماسة في كل مكان الى خلوص عزم نفسنا . فان تسلم الحق خلوص عزمها يتيسر له ضبطها * وان لم يضبطها فهذا ليس

يكون من صنف الحق · لكنه انما يكون من غدرها وزوال حفاظها* لان الشمس اذا تسلمت الحاظاً
صافية نقية يتيسر لها ان تنيرها · فان لم تضيها فالخيبوبة هي لمرض تلك الالحاظ . وليس هي من
ضعف الشمس *واسمع ما قاله هولاء ·· قد عرفنا بالحقيقة · ان هذا هو المسيح مخلص العالم*'' ارايتهم
كيف فطنوا في الحين انه قد ازمع ان يستجذب المسكونة كلها · وانه قد جاء ليصلح الخلاص العام
المشاع · وانه ما قد اعتزم ان يحضر عنايته عند اليهود وحدهم · لكنه يزرع كلامه في كل مكان : ولكن
اليهود لم تكن هذه الهمة همتهم * لكنهم التمسوا ان يقيموا عدلهم · فما خضعوا لعدل الههم * وهولاء
فاعترفوا ان الناس كلهم حاصلون في زواجر العقوبة · موضحين قول الرسول ·· ان الناس كلهم
اخطاءوا · واعدموا مجد الله * فيتحقق العدل لهم مجاناً*'' لانهم اذ قالوا انه مخلص العالم · اوضحوا
انه مخلص العالم الضال * وما وصفوه مخلصاً على بسيط ذات الوصف · لكن مخلصاً باصناف
عظيمة جداً * لان كثيرين جاءوا يخلصون · وهم انبياء وملايكة *لكنهم قالوا ان هذا هو المخلص
الحقيقي * الواهب الخلاص الحقاني · ليس الخلاص الوقتي فقط* وهذا القول فكان من امانة
خالصة* لانهم حصلوا عجيبين من هذين الفعلين كليهما · من انهم امنوا · ومن ان ايمانهم كان خلواً
من ايات شاهدوها* وقد طوبهم المسيح اذ قال ·· مغبطون الذين ما ابصروني وامنوا بي*'' والدليل
على ان ايمانهم هذا ايمان خالص · على انهم قد سمعوا الامراة قايلة قول ارتياب ·· الا يكون هذا هو
المسيح : '' فواضح من انهم ما قالوا اننا نحن قد نظن انه المسيح · ولا اننا نتوهم انه اياه . لكنهم قالوا
اننا قد عرفنا ان هذا هو المسيح* وما قالوا قد اننا عرفنا ذاك على بسيط ذات المعرفة . لكنهم قالوا
اننا قد عرفنا بالحقيقة ·· ان هذا هو مخلص العالم'' لانهم ما اعترفوا بالمسيح كانه واحد من الكثيرين .
لكنهم اقروا انه بالحقيقة مخلص* مع انهم من ابصروه قد خلص : وانما سمعوا الفاظه . فقالوا هذا
القول* فلو كانوا ابصروا عجايب · لكانوا قد قالوا اقوالاً كثيرة عظيمة* فان قلت فلاي غرض ما قال
لنا البشيرون هذه الاقوال · وانه خاطب اوليك خطاباً عجيباً : اجبتك · لنعلم انهم قد تجاوزوا
صنوفاً كثيرة من اقواله العظيمة* ومن تمام خطابهم اوضحوا كافة المطلوب* لانه استمال الى القبول
منه جمعاً كلياً · ومدينة بجملتها · من اقواله التي قالها لهم * فالرسل في الوجوه التي لم يقبل قوله
يضطرون حينيذٍ ان يقولوا الاقوال التي قالها · حتى لا ينجه من زوال حفاظ السامعين ومن

سوء عزمهم. ان يوجب موجب اللوم على الخالق الذي خاطب جماعتهم * .. وبعد يومين خرج من هنالك وذهب الى الجليل * ٤٤ لان المسيح شهد بعينه ان نبياً في وطنه ليس يحوي تكريماً ٥ وان سالت ولِمَ استثنى بهذا القول . انه ما ذهب الى كفرناحوم . لكنه مضى الى الجليل . ومنه انطلق الى قانا : اجبتك . حتى لا تستبحث لِمَ ما اقام عند اهل وطنه . واقام عند السامريين : لهذا وضع علة ذلك * اذ قال انهم ما احفلوا به * فلهذا السبب ما ذهب الى هنالك . حتى لا تكون الجناية لهم اعظم * لانني اظنه يسمي ههنا كفرناحوم وطنه * والدليل على انه ما استمتع هنالك بتكريم . استمعه منه قايلاً .. وانتِ يا كفرناحوم المستعلية الى السماء ستهبطين الى الجحيم * " ويسمي وطنه موضحاً معرفة تدبيره . مقيماً فيه اكثر * ولعل قايلاً يقول . فما رايك : افما قد راينا اناساً مستعجبين عند اهلهم وفي وطنهم : فنجيبه . يجب على ما قد استبان كثيراً . ان يحكم في هذه الحوادث واشكالها . ليس من واحد فرادى * وان كان قد كرم اناس في وطنهم . فاولى بهم واليق ان يكرموا في الغربة اكثر * لان العادة في طباعها ان تجعلهم يتيسر التهاون بهم * ٤٥ .. فلما جاء الى الجليل . اقتبله الجليليون * لانهم عاينوا كل ما عمل باورشليم في العيد * لانهم ايضاً قد كانوا جاؤا الى العيد * " أرأيت ان المشتومين هم يوجدون مبادرين اليه كثيراً : لان احدهم قال .. أيمكن ان يوجد من الجليل شيء صالح : " وغير هذا قال .. اسال واعرف . ان من الجليل ليس يقام نبي * " فهذه الاقوال قالوها لا شتموه * اذ توهم عند الكثيرين انه من الناصرة * وعيروه بانه سامري * لانهم قالوا .. سامري انت وقد اشتملت شيطاناً * " ولكن ها سامريون وجليليون قد امنوا به لخزي اليهود وتخجيلهم * فالسامريون يوجدون افضل من الجليليين * لان اوليك السامريين من الفاظ الامراة اقتبلوه وهولاء ابصروا الايات التي اجترحها ٥ ٤٦ .. وجاء يسوع ايضاً الى قانا الجليل بحيث صنع الماء خمراً * " فقد اذكر السامع بحجيته . معظماً مديح السامريين * لان هولاء اقتبلوه من اياته الكاينة في اورشليم ومن الصايرة هنالك * والسامريون لم تكن هذه الحال حالهم . لكنهم اقتبلوه من تعليمه وحده * فقد ذكر لعمري انه جاء الى هنالك . الا انه ما استثنى بذكر العلة التي لاجلها جاء الى هنالك * لانه جاء الى الجليل بسبب حسد اليهود * فلماذا جاء الى قانا : لانه جاء اليها في الابتداء مدعواً الى عرس * فالان لِمَ جاء : ولاي سبب : فعلى حسب ظني انا جاء اليها جاعلاً امانتهم المتكونة من

عجيبة . اقوى فعلاً بوروده اليهم . مستجذباً اياهم اكثر بمجيه مدعواً من ذاته . اذ ترك وطنه وفضل اوليك * وكان احد الناس ملكي قد مرض ابنه في كفرناحوم * ٤٧ .. هذا لما سمع ان يسوع قد جاء من بلد اليهودية . الى الجليل جاء الى عنده . وساله ان يجيء فيشفي ابنه * " فهذا الرجل سمي بهذا الاسم . اما لانه كان من جنس ملكي . واما انه قد كان مالكاً رتبة اخرى من رياسة الملك * وقد يظن بهذا اناس انه ذاك المذكور في بشارة متى * وقد يستبين ان هذا اخر غير ذلك . ليس من مرتبته فقط . لكن من امانته ايضاً * لان ذاك لما اراد المسيح ان يجي اليه ساله ان يلبث في موضعه * وهذا فما وعده المسيح وعداً هذه صفته . فاجتذبه الى منزله * وذلك فقال .. لست انا موهلاً ان تدخل تحت سقف بيتي " وهذا استعجله اذ قال .. انحدر قبل ان يموت ابني * " وهناك لما انحدر من الجبل دخل الى كفرناحوم . وههنا جاء الى عنده * هذا لما جاء من مدينة السامرة ليس الى كفرناحوم . لكن الى قانا * وذاك فغلامه تقيد بزمانته * وهذا فابنه كان مضنوكاً بحمى * واذ جاء ساله ان يشفي ابنه . لانه شارف ان يموت * فقال له المسيح ٤٨ ان لم تبصروا ايات وجرايح فما تومنوا ۞ " وهذا الفعل فقد كان من امانة وهو مجيه وتضرعه اليه ❁ وبعد ذلك يشهد له البشير قايلاً . انه اذ قال له يسوع اذهب . فابنك حي . صدّق قوله وانطلق * فان سالت ما معنى ما قاله : اجبتك . اما يكون قال هذه الاقوال ههنا مستعجباً السامريين . لانهم آمنوا به خلواً من ايات ابصروها . واما انه قالها لاذعاً كفرناحوم المظنونة انها مدينة . التي كان هذا الرجل منها * اذ كان انسان اخر في بشارة لوقا قد قال ايضاً .. انا اومن ياسيدي فاعن قلة ايماني ۞ " فمن هذه الجهة وان كان هذا قد آمن . لكنه ما آمن ايماناً كاملاً ولا معافى * وهذا يستبين من استخباره في اية ساعة تركته الحمى " . لانه شاء ان يعرف ان كان انتزاحها عنه من ذاتها . او من ايعاز المسيح * فلما عرف انه تركته امس في الساعة السابعة . آمن هو وبيته كله * أرايت انه في ذلك الحين آمن حين قال له غلمانه ذاك القول . ليس حين قال له المسيح ذلك القول موبخاً سريرته . اذ تقدم الى حضرته فقال هذه الاقوال : لان بها على هذه الجهة اجتذبه الى امانة اوفر ايقاناً * لانه قبل الاية ما كان مومناً جداً ولين كان قد جاء وتوسل . فليس ذلك مستعجباً * وذلك ان الاباء قد جرت عادتهم لكثرة حبهم لابنايهم . ان يبادروا ليس الى الاطباء الذين يثقون بهم وحدهم . لكنهم يخاطبون مع ذلك الذين ما

يثقون بهم ايضاً . مريدين بذلك ان لايستبقوا من جهدهم ولا صيفاً واحداً اذ كان قد تقدم الى حضرته من ايمان زايغ عن صحته . حين جاء الى الجليل حينيذٍ ابصرهُ * فلو انه كان موقنا بقدرة المسيح مومناً جداً . ما كان كسل عندما شارف ابنه ان يموت . ان يجي اليهِ الى بلد اليهودية * فان كان خشى ان يموت . فليس ذلك عذراً مقبولاً ○ وانظر الى الفاظهِ كيف تبين ضعفهُ * لان قد كان واجباً عليه ان يتصور في ربنا | وان لم يكن في اول مجيهِ اليهِ . لكن بعد ان وبخ سريرته * | تصوراً عظيماً من اجله . واسمع كيف هو بعد ينسحب على البطحاء * لانه قال ,, ٤٩ انحدر قبل ان يموت ابني * " فقد انزلهُ بمنزلة من ليس هو مقتدراً ان يقيمه بعد موته . وليس عارفاً الغايات التي ثبتت فيها احوال ابنهِ * فلهذا السبب وبخهُ ولذع فطنتهُ . موضحاً ان اياتهِ من اجل النفس تكونت تكوناً متقدماً * فههنا يشفي ذاك الاب السقيم في تمييزهِ . ليس بدون ما شفي ابنهُ محققاً عندنا ان نجنح اليهِ ليس من اياتهِ . لكن من تعليمهِ * لان ,, الايات ليست للمومنين . لكنها لنقص الاكثفين تمييزاً من غيرهم * " وفي ذلك الوقت من تلقاء العارض لهُ . ما اصغي الى ما قيل لهُ كثيراً . بل اصغى الى الاقوال التي قيلت لهُ بسبب ابنهِ وحدها * وبعد ذلك ازمع ان يقتبل ما قيل لهُ . وان يستفيد من هذه الجهة اعظم الفوايد * وذلك . قد تم لهُ * ولقايل ان يقول . فما الغرض في انهُ في العارض لرييس المائة وعدان يجي الى عندهِ . واعداً بذلك من نفسهِ . وههنا ولا بعد ان استدعى مضى : فنجيبهُ . لان الامانة هنالك كانت تامّة * ولذلك وعد ان يذهب الى عنده . حتى نعرف خلوص عزم ذاك الفاضل * وههنا فهذا الرجل كان بعد قد عدم ان يوجد تاماً . اذ كان قد استعجله فوق واسفل قايلاً ,, انحدر * " وما كان قد عرف معرفة واضحة . انهُ يقتدر ان يشفيهِ وهو غايب عنهُ * فبين لهُ ان ذلك مقدورٌ عليهِ عندهُ ممكن . ليكون ما حواهُ رييس المائة في ذاتهِ من الايمان . يعرفهُ هذا . ويكون متيقناً انهُ واذا لم يجي يسوع الى منزلهِ . فهو قادر على شفا ابنهِ * فقال ,, ان لم تنظروا ايات فما تومنوا * " انما يقول هذا القول . انكم بعدُ ما قد ملكتم الامانة الواجبة . لكن عزمكم عزم من يجي الى عند نبي * معلناً ذاته وموضحاً انهُ يجب عليهم ان يومنوا بهِ خلواً من ايات يبصرونها منهُ ○ فقال ما قالهُ لفيلبس ,, صدّق ان ابي فيَّ . وانا في ابي ○ وان لم تصدقوني فصدقوني باعمالي * " ٥١ ,, وفي اثناء انحدارهِ . التقاهُ عبيدهُ قايلين . ان ابنك حي *

٥٢ فاستخبر منهم الساعة التي حصل فيها مستخناً من ضنايه. فقالوا له امس في الساعة السابعة تركته الحمى* ٥٣ فعرف ابوهُ ان في تلك الساعة التي قال له فيها يسوع ان ابنك حي* فآمن هو وبيته كلهُ ۞ ارايت كيف صارت العجيبة واضحة: لانه ما تخلص من شدة المرض على بسيط ذات التخلص. وعلى ما اتفق. لكنه براءً بغتةً. حتى يستبين ان الكاين ليس هو مساق طبيعة* لكنه انما كان من فعل المسيح ۞ لانه كان قد وصل الى ابواب الموت باعيانها على ما ذكر ابوهُ. اذ قال انحدر قبل ان يموت ابني. فتخلص من مرضهِ بغتةً. وذلك انهض عبيده. لانهم لعلمهم تلقوهُ. وحالهم ليس حال مبشرين بالصحة فقط. لكنهُ حال ظانين ان حضور يسوع فيما بعد يوجد فضلة زايدة* لان اوليك عرفوا انه جا في معهُ ۞ فمن هذه الجهة التقوهُ في طريقهِ بعينها. ومعما استراح الرجل من الخوف. جنح فيما بعد الي الايمان. مريداً ان يبين ان فعل طريقهِ قد كان* وفضله بعد ذلك. حتى لا يظن بهِ انه قد نهض اليهِ باطلاً* فمن هذه الجهة عرف كل ما قيل له معرفة بليغة. وآمن هو وبيته كلهُ* لان شهادته كانت فيما بعد عند اهل منزلهِ قد زال الشك عنهم ❁ لانهم لم يحضروا عند المسيح. ولا سمعوهُ متكلماً. ولا عرفوا الوقت. لكنهم سمعوا من سيدهم. ان هذا كان الوقت. فحازوا البرهان على قدرتهِ خالياً من ارتياب فيهِ ۞ ولهذا السبب امنوا هم بهِ

العظة الخامسة والثلثون

في انهُ يجب علينا ان نشكر الله في جميع العوارض التي تعرض لنا

فان سالت. فما الذي نتعلمهُ من هذه الاخبار: اجبتك. نتعلم الاّ ننتظر عجايب. ولا نلتمس براهين على قدرة الهنا* لانني ارى الان اناساً كثيرين اذا استمتعوا بتسليةٍ تصل الى ابنهم في حال مرضهِ. واما الى امراتهم في حين سقمها. حينيذٍ يصيرون اكثر تورعاً* وقد كان يجب عليهم اذا لم يتفق لهم تفريجاً لهمّهم. ان يلبثوا شبه ذلك شاكرين لله وممجدين* لان هذا الفعل هو فعل عبيد حسن حفاظهم ❁ هذا عمل الاجلاد الوادّين سيدهم. المحاضرين كما يجب ان يحاضروا اليهِ* ليس اذا كانوا مطلقين في حال الرخاء. لكن اذا كانوا مضرورين بسياط المحن ❁ لان هذه الحوادث افعال اشفاق الله وسياسته* لان مَن يحبه ربه يودبه. ويضرب بسياط كل ابنٍ يقتبلهُ*

لان اذا خدمر احد الله وارضاهُ في حالة الرخاء فقط . فليس يبين لحبهِ الكثير علاماتهِ . ولا يحب المسيح حبًّا نقيًّا❋ وما معنى ذكري عافية وسعة اموال . او فقرًا او مرضاً : لانك لو سمعت بجهنم . ولو توعدت بتعذيب آخر صعب . لما وجب على هذه الجهة ان تبتعد من الشكر لسيدك ❋ لكن سبيلك ان تقاسي كافة النوايب . وتعمل كل ما يمكنك من اجل الحب لهُ ❋ فان هذا فعل عبيد محافظين . ونفس عديمة ان توجد مايلة ❋ ومن كان هذا الحال حالهُ . فمن شانهِ ان يعبر الحالات الحاضرة عبورًا سهلاً . ويتفق لهُ امتلاك النعم الصالحة المامولة . ويستمتع من الله بدالةٍ كثيرة جزيلة لديهِ ❋ التي فليتفق لنا كلنا تحصيلها . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي لهُ مع ابيهِ المجد مع الروح القدس ❋ الان ودايمًا . والى اباد الدهور كلها امين

المقالة السادسة والثلثون

في قولهِ ٤ ٥٤ هذه ايضًا آية ثانية عملها يسوع . لما جاءَ من اليهودية الى الجليل

كما ان معادن الذهب . ليس يستجيز احدٌ من زوي البحث عنها . ان يعرض عن اصغر عرق يوجد فيها . من طريق انهُ مبتدع لهُ ثروة جزيلة ❋ فكذلك اعراضنا عن ياء واحدة في الكتب الالهية . او حرف واحد . ليس خاليًا من ان يوجد مخسرًا لنا ❋ لكننا يجب علينا ان نفتش الفاظها كلها ❋ لانها جميعها بالروح القدس قيلت . وليس فيها لفظ مُهمل . او زايغ عن حدهِ ❋ وتامل ههنا ما قال البشير . قال .. هذه ايضا آية ثانية عملها يسوع . لما جاءَ من بلد اليهودية الى الجليل ❋ " لانه ما استثنى بقولهِ ثانية على بسيط ذات الاستثناء . لكنهُ يحوي ايضاً مديح السامريين . موضحاً انهم بعد ان صارت آية ثانية . ما وصلوا بعد . الى علو محل اوليك السامريين . الذين ما ابصروا ولا عجيبة واحدة ❋ الاصحاح الخامس ١ . وبعد ذلك كان عيد اليهود ❋ " وان سالت . واي عيدٍ عنى : اجبتك على حسب ظني . انهُ عيد العنصرة .. وطلع يسوع الى اورشليم ❋ " كان يلم بالمدينة الماماً متصلاً ❋ فاحياناً فعل ذلك حتى يظنوا انهُ يعيد معهم ❋ واحياناً حتى يستجذب اليهِ الجماعة الخالية من الغش ❋ لان في ايام هذه الاعياد خصوصاً كان يتقاطر الى هنالك الساذجون من الشر جدًا ❋ ٢ .. وكان في اورشليم بركة غنمية . مدعوة باللغة العبرانية بيتسدا . حاوية خمسة

اروقة* ٢ وكان قد استلقي فيها جماعة. من عرجان وعميان وجافين. منتظرين تحريك مايها *
ولعلك تستخبر. ما هو هذا الصنف من الشفاء. واي سرٍّ يوضحه لنا ايضاحاً غامضاً. لان هذه الالفاظ
ما كُتبت على بسيط ذات كتابتها. ولا باطلاً. لكنها تصور لنا الفوايد المستانفة. تصوراً كانه في تمثال
ورسم *لكيلا اذا وردت وروداً بديعاً عديماً انتظارهُ. ينفسد عند الكثيرين قوة تصديقها* فما هو المعنى
الذي تصورهُ. فاقول انه اعتزم ان يعطينا معمودية حاوية قوة عظيمة وموهبة جسيمة. معمودية تطهر
خطايا الانسان* وتجعله بعد ميتٍ حياً* فهذه الفوايد قدم تصويرها في هذه البركة كانها في تمثال*
ومثلت في اصناف اخر اكثر من هذه* فاعطى اولاً ماءً مطهراً اوساخ احسامنا وادناساً ليست موجودة.
لكنها مظنونة انها موجودة* كقولك الادناس التي من دفن الموتى. والتي من ملاصقة البرص والتي
من الاصناف الاخرى. التي تشابه هذه* وقد يمكن باضرٍّ رسوماً كثيرة في العتيقة صايرة بالماء لاجل
هذا التسبب * ولكن فلنتوجه الان الى ما اعتمدناه * وذلك انه جعل اولاً ان تنحل بالماء ادناس
اجسامنا. وان تزول به ايضاً اسقامنا المختلفة* لان الهنا اذ شاء ان يقتادنا الى تصديق المعمودية
اقربها اقتياداً. ولم يغسل اوساخنا على بسيط ذات غسلها فقط* لكنه شفى ايضاً لاسقامنا* لان الصور
التي هي اقرب الى الحق. كانت في معموديته. وفي تالمه. وفي افعاله الاخر. اجهر وضوحاً من
الصور التي كانت اقدم منها* كما ان الذين بقرب الملك. هم اشد بهاءً من حاملي السلاح قدامهُ*
فكذلك كان الترتيب في الرسوم* كان ينحدر ملاك فيحرك الماء. ويولج فيه قوة شافية* لكي يعرف
اليهود. ان سيد الملايكة يليق فيه اكثر. ويقتدر اكثر. ان يشفي اسقام نفسنا وتعويقاتها كلها* ولكن
كما ان طبيعة المياه ما كانت تشفي ههنا على بسيط ذات الشفاء. لانها لو كانت هي الشافية. لكان
هذا الشفاء يتكون كل حين. لكنها انما كانت تشفي بفعل الملاك* فكذلك الحال في تطهيرنا. ليس
يفعل الماء على بسيط ذات فعله. لكنه يفعل تطهيرنا. اذا اقتبل نعمة الروح. حينيذٍ يحل خطايانا
كلها* حول هذه البركة كان قد استلقي جماعة من السقمى. من عميان. وعرجان. وجافين. منتظرين
تحريك الماء. الا ان هذا المرض صار في ذلك الحين مانعاً لذلك الذي اراد ان يُشفى* والان فكل
احدٍ منا مالك ان يتقدم. لان ليس ملاك هو الذي يحرك الماء. لكن سيد الملايكة هو عامل جميع
المطلوب* وليس يتجه للمريض ان يقول. الان لست امتلك انساناً. ولا ينساغ له ان يقول. الى ان

اجي انا يحدر اخر قبلي * لكن لو جاءت المسكونة كلها . فالنعمة ما تفنى . وفعلها ليس يتحقق . لكنها تثبت على حالٍ واحدٍ هذا الحال حالها . على الحال الذي كانت عليه قبل هذا الفعل * ومثلما ان شعاعات الشمس تضي كل يوم وما تتحقق . ولا يصير ضوها من كثرة انبثاثه اقل لمعاً في شعاعاتها . فكذلك فعل الروح اكثر من هذا القياس كثيراً . ليس تنقصه كثرة الذين يستمتعون به تقصاً * فهذا الحادث حدث حتى يسهل على العارفين . انه يمكن ان تشفى في الماء اسقام جسمنا . المرتاضين بهذا الشفاء زماناً متصلاً طويلاً . وان يصدقوا ان امراض نفسنا يمكن ان تبراء فيه * ولعل سايلاً يسال : وما غرض يسوع في انه ترك اوليك السقمى كلهم . وجاء الى الذي مكث في سقمه ثمانية وثلثين سنة : وما معنى انه ساله . اتشاء ان تصير معافى : فنقول له . ما ساله ليعرف مراده . لان هذا السوال كان زايغاً عن اللايق به * لكنه ساله ليعلمنا صبر من كانت تلك الحال حاله . حتى نعرف لم ترك السقمى الاخرين . وجاء الى هذا * واسمع ما قال ذاك .. نعم ياسيدي . ولست امتلك انساناً حتى اذا اختبط الماء يلقيني في البركة * لانني الى ان اجي انا ينحدر اخر غيري اليها * " لهذا الغرض ساله . اتشاء ان تصير معافى : حتى نعرف اقواله هذه * وما قال له اتشاء ان اشفيك : لانه ما كان بعد قد تصور فيه تصوراً عظيماً * لكنه قال له . اتشاء ان تصير معافى : لعمري ان صبر هذا المخلع مذهل * لانه لبث ثمانية وثلثين سنة : منتظراً كل سنة ان يتخلص من سقمه * فثبت وما انتزح عن ذلك الموضع * لانه لو لم يكن صبوراً جداً . لقد كانت ليس سنوه السالفة هنالك . لكن المستانفة . فيها كفاية ان تستميله عن ذلك المكان * تفطن لي كيف كان واجباً ان يستفيق هنالك السقمى الاخرون . لان ما كان واضحاً الوقت الذي فيه يتحرك الماء ۞ ولكن العرجان والزمنى قد كان يمكنهم ان يراصدوا الماء . فالعميان كيف كانوا يبصرونه : فلعلهم كانوا قد عرفوا ذلك من حسهم بارتجافه الصاير من اختباطه

العظة السادسة والثلثون

في انه ما ينبغي لنا ان نتضجر في الامال الصالحة * وفي انه لم رتب الله لنا عيشة متعبة * فلنستحزين يا احباي ونخجلن . ولنتحسرن على ونيتنا الكثيرة * فان ذلك المخلع لبث ثمانية وثلثين سنة ۞ مثابتاً ذلك المكان . وما انفق له الوصول الى ما كان يريده * وما انتزح . وما انفق له ذلك ۞

ليس من جهة توانيه . لكنهُ كان مستضاماً مغايساً من السقي الآخرين غيظاً وغضباً . وما كلّ على هذه الحال ولا ملّ* ونحن اذا لبثنا عشرة ايام متوسلين باسراع في مطلوب من المطالب . ولا يتفق لنا الوصول اليهِ . نتكاسل فيما بعد ان نستعمل ذلك الحرص بعينه۞وربما ثابتنا اناساً مدةً هذا مبلغها . متجندين لديهم . اشتياء في خدمتهم خدمة لايقة بالعبيد . وعند غاية تلك المدة يتفق لنا ان نخيب من املنا بعينه۞وما نصبر ولا نثبت بحرص واجب في التوسل الى سيدنا . الذي يتجه لنا على كل حال ان نستمد منهُ المكافاة اكثر واعظم من اتعابنا : لان الرسول يقول .. ان الرجاء ليس يخزي * " وهذه الافعال فلكم تعذيب توجد موهلة : لاننا ولو اتفق لنا ان لا ناخذ منهُ شياً . انما مخاطبتنا اياهُ بعينها بمداومة . تكون سبباً لفوايد صالحة جزيل عددها : لكنك تقول ان الصلاة الدايمة متعبة*فاقول لك . وما هو العمل من اعمال الفضيلة ليس هو متعباً : ولعل قايلاً يقول ان هذا المطلوب بعينه موعب حيرة كثيرة . ان اللذة مقترنة بالرذيلة . والتعب مقترن بالفضيلة*وعلى حسب ظني ان كثيرين يستبحثون عن هذا المطلوب۞فما العلة في ذلك : فنجيبهُ ان الله اعطانا في الابتداء عيشة حرّةً من الهموم . متبرية من الاتعاب . فما استعملنا موهبته على ما يجب . لكننا اذ اغتنا البطالة عن حفظها . وفقدنا الفردوس۞فلهذا السبب جعل حياتنا متعبة* وكأنهُ محتج لجنس الناس قايلاً * خوّلتكم من الابتداء ان تتنعموا . لكنكم صرتم براحتكم الى اشرّ الاحوال *فلهذا السبب امرت ان توضع لكم اتعاب واعراق*واذ كان ولا ذاك التعب ضبطنا . اعطانا ايضاً شريعة حاوية وصايا كثيرة . على حسب ما يضع واضعٌ على فرس صعب العنان شكلاً وقيوداً . حتى يمسك وثباتهُ * ورايضوا المهارة يعملون هذا العمل . لهذا السبب معاشنا متعب*اذ كان حصولنا في عيشة لا نتعب فيها من شانهِ ان يفسدنا*لان طبيعتنا ما تحتمل الان ان تبطل . لكنها تجمح الى الرذيلة اسهل جموحاً * لاننا ان وضعنا ان الضعيف ليس يحتاج اتعاباً . ولا من يحكم فضيلة اخرى . لكننا نستكمل اوقاتنا كلها نياماً . اين كنا نستعمل الراحة : هل ما كنا نستعملها في التعظم والتجبر : ولعلك تقول . فلمَ تقترن بالرذيلة لذة كثيرة . ويقترن بالفضيلة تعب جزيل وعرق غزير : فاجيبك . واية منة تكون : وما العمل الذي تاخذ لهُ اجرة . ان لم يكن متعباً : لانني الان يتجه لي ان اريكم اناساً كثيرين . في طبيعتهم ماتتين ان يخالطوا نساءً وهاربين منهن .

كان مخالطتهم اياهنَّ مرفوضة عندهم . أفنسمي هولاء عفيفين : ام نكللهم ونذيع فضلهم : لا . ما نسميهم اعفاء في جهة من الجهات * وذلك ان العفة هي ضبط الهوى وقهر اللذات عند محاربتها ايانا ٥ وذلك ان في الحروب اذا كانت جهادانها شديدة . فحينئذٍ تصير جوايزها ابهى من غيرها * ليس لمن لا يرفع يديهِ في الحرب . لكن لمن نقاتل ويعصب كثيراً * وقد يوجد اناس كثيرون عاجزين من طبيعتهم . فهل ندعو هولاء وديعين : لا . ما ندعيهم بجهة من الجهات ودعاء * ولهذا المعنى اذ وصف ربنا الخصيان ثلثة اصناف . ترك الصنفين منها عديمين ان يكونا مكللين . واولج الواحد الى ملكهِ * فان قلت ما الحاجة الى الرذيلة : اقول لك هذا القول . ومَن هو مبدع الرذيلة : هل هو غير هذا . وهو عجز اختيارنا ونيتنا : ولعلك تقول . فقد كان واجباً ان نكون اخياراً وحدنا * فاقول لك . وما هي خاصة الخيرية : هي ان نستفيق ونتيقظ . ام ان ننام ونغط : ويجوز ان تقول . فلمَ لا يظن هذا العمل انهُ عمل صالح . وهو العمل الذي يحكمهُ احدنا ولا يتعب فيهِ : فاجيبك . انما تقول الفاظ اناس الراعين كالبهايم الموعبين بطنهم المحتسبين جوفهم الههم * والبرهان على ان هذه الالفاظ عجز وبلادة . فواضح اذا اجبتني عن سوالي . اذا رأيت ملكاً وقايداً . وكان الملك في حين الحرب نايماً سكران . فبادر القايد . اقام سيمات الظفر في الحرب . شقياً في القتال متعوباً . لمن منهما يُحسب الظفر : ومَن الذي استثمر لذة الفتوح الحادثة : أرأيت ان نفسنا انما ترتاح اكثر الى تلك الحظوظ التي من اجلها تعبت : لهذا السبب اخلط ربنا في الفضيلة الاتعاب . مريداً ان يخص نفسنا بالفضيلة * لهذا السبب نستعجب الفضيلة . وان لم نحكها * ونذم الرذيلة . وان كانت مستلذة * فان قلت لاي سبب ما نستعجب الاخيار في طبيعتهم . اكثر من الموجودين اخياراً باختيارهم : اجتبك . لان عدلاً واجباً ان نفضل المتعوب على مَن ليس هو متعوباً * لاننا لاي غرض نستعجب اذا كنا ما نحتمل ولا ان تتعب تعباً يسيراً : واولى ما يقال ان نبحث باحث باستقصاء البحث . سيجد البطالة من عادتها ان تفسدنا على جهة اخرى . وتنتج التعب لنا كثيراً * وان شيت فلنحبس واحداً . ونطعمه . ونسقيه . ونوعب بطنه فقط . ولا نتركه يمشي . ولا نخرجهُ الى عمل من الاعمال . لكن فلنمتعهُ بملابسه وبسريره . ولننعمه نعيماً دايماً . فماذا يكون اشد شقوة من هذه الحياة : ولعلك تقول ان ممارسة العمل غير ممارسة التعب * فانا اسالك فهل ينساغ ان تعمل عملاً خلواً من اتعاب : ولعلك تقول نعم ٥ فاقول . فهذا قد ارادهُ الله * الا انك ما احتملتهُ *

لانه جعلك تعمل الفردوس. فاوعز بالعمل وما اخلط فيهِ التعب * لان الانسان لو كان تعب في الابتداء. لما كان الله وضع هذا التعب بعد ذلك في جهة عقوبة لهُ . لان قد يوجد ان يعمل عاملاً ولا يشقى. فيكون حالهُ حال المليكة* والدليل على انهم يعملون. اسمع ما قالهُ النبي* .. مقتدرين عاملين قوله بقوة*'' مزمور ١٠٢ ع ٢٠ لان نقص القوة الان يجعل تعبنا عظيماً ۝ وفي ذلك الحين لم يكن يوجد هذا بعد* لان الرسول قد قال .. ان مَن قد دخل الى راحتهِ فقد استراح. مثلما استراح الله من اعمالهِ * '' فليس يذكر ههنا بطالة. لكنهُ اما يقول انهُ ليك يتعب. لان الله الى الان يعمل. على ما قال المسيح ربنا * فانا اوصيكم ان تجتنبوا صنوف الضجر كلها . وان تماثلوا الفضيلة * لان لذة الرزيلة يسيرة. وغمها دايم* والفضيلة بضد تلك. فرحها قد عدم ان يشيخ. وتعبها وقتي * والفضيلة فقبل الاكلّة تعلي فاعلها. وتغذوهُ بالامال الصالحة كلها. والرذيلة فقبل العقوبة تعذبّ عاملها* اذ تخنق فطنته وتريعها. وتجعلها ان تتوهم كافة الاوهام المريعة* مع ان هذه الاوهام كم هي اشر من الاتعاب والاعراق تاثيرًا : فان لم تكن هذه الاتعاب. وكانت اللذة. فماذا يكون احقر من هذه اللذة : لانها مع ما تظهر تتغيب بعد ضمورها. وتهرب قبل ان تضبط* فان ذكرت لذة اجسامنا. ان ذكرت لذة تنعمنا. ان قلت لذة اموالنا. فليست تكف عن ان تشيخ كل يوم * فاذا كانت عقوبة وتعذيبًا. فما الذي يكون اشقي من الذين يستعملونها : فاذا عرفنا هذه الاقوال. فلنصبرنَّ من اجل الفضيلة على ساير العوارض * فاننا على هذه الجهة نستمتع باللذة الصادقة. بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه * الذي لهُ المجد مع ابيهِ وروح قدسهِ. الى اباد الدهور كلها امين

المقالة السابعة والثلثون

في قولهِ ٦ قال لهُ يسوع. اتشاء ان تصير معافى : ٧ فاجابه المريض نعم ياسيدي. لست استصحب انسانًا. لكيما اذا تحرك الماء. يلقيني في البركة ۝

ان الفايدة من الكتب الالهية لعظيمة. والمنفعة منها كافية جسيمة* وهذا فقد بينهُ بولس وقال .. ان كل الاقوال التي تقدمت كتابتها. انما قُدم تسطيرها لوعظنا وتنبيهنا. الذين قد انتهت الينا غايات

الدهور* لنمتلك الرجا بصبرنا وتعزية الكتب*" روميه ص ١٥ ع ٤ وبيان ذلك . ان الاقاويل
الالهية . هي ذخيرة ادوية مختلفة اصنافها . فان احتاج احدنا ان يطفي تعظمه . ان اثر ان يهدّي
شهوته . ان شاء ان يتوطاء عشق الاموال . ان اراد ان يعرض عن وجعهِ . ان ارتاد ان يستمد سروراً
ويخترع لهُ صبراً . فانه يجد في الكتب الالهية سبب هذه الفوايد كلها كثيراً جداً* لان مَن ذا يكون
اما من المصارعين فقراً طويلاً . واما من المتابتين سقماً صعباً . ليس يستمد تسليةً كثيرة . اذا قراءَ هذا
الخبر المذكور عن هذا الرجل . الذي لبث مخلعاً ثمانية وثلثين سنة . وهو يبصر في كل سنةٍ اناساً اخرين
مخلصين من سقمهم . ويرى ذاتهُ مربوطاً بسقمهِ . فما آيس على هذا الحال ولا انسحب الى القنوط* على
ان ليس اكتيابه في السنين الماضية فقط . لكن زوال تامليه الشفاء في السنين المستانفة . قد كان كافياً
ان يطيل عليه ضنكه* اسمع كلامهُ . واعرف جسامة ندبه* لان المسيح اذ قال لهُ .. اتشاء ان تصير
معافى: قال نعم ياسيدي . الاّ انني لست استصحب انساناً . لكيما اذا اخنبط الماء يلقيني في البركة*"
فما الذي يكون احق بالترثي من هذه الالفاظ : ما الذي هو اولى بالتحنن من هذه الاحوال: ارائت
قلباً متطحناً من تلقاء سقم طويل: أعرفت كافة تلهبه منقبضاً : لانهُ ما نطق بلفظ مجدف . نظير ما نسمع
اكثر الناس . يقولونهُ في نوايبهم* ولا لعن يومهُ . ولا استصعب السوال . ولا قال انك جيت تجهز
بي مستهزياً . اذ تسالني . ان كنت اشاء ان اصير معافى: لكنهُ قال بوداعة ودعة كثيرة . نعم
ياسيدي* على انهُ ما عرف مَن هو سايله* ولا شعر انه قد اعتزم ان يشفيه . لكنهُ وصف احوالهُ كلها
بدعةٍ . وما ظلب شياً اكثر . فكانت حالهُ حال من يخاطب طبيبه مريداً ان يصف لهُ مرضه فقط .
لانهُ لعلهُ توقع ان المسيح ينفعه في هذا الفعل . وهو ان يلقيه في الماء . ويريد ان يستجذبه الى ذاك
بالفاظهِ هذه . لكن المسيح قال لهُ .. انهض احمل سريرك . واذهب الى منزلك*" وقد يظن
ظانون ان هذا هو المذكور في بشارة متى* لكنهُ ليس هو ذاك* وهذا فهو واضحٌ من جهاتٍ كثيرة*
اولها اقفار هذا ممن يقف لديهِ* لان ذاك استصحب كثيرين مهتمين بهِ . وهذا فلم يمتلك ولا واحداً*
ولذلك قال الاّ انني لست استصحب انساناً* ثم من جوابهِ . لان ذاك ما تكلم كلاماً . وهذا فوصف
احوالهُ كلها* وثالثها في الوقت والزمان* لان هذا اشفاهُ في العيد* وفي يوم السبت* وذاك ابراهُ في
يوم اخر* والمكان مختلف لكليهما٥ لان ذاك شفي في منزل* وهذا شفي عند البركة . وحال شفائهما

مبتدل*لانه قال هنالك .. ياولدي قد تركت لك خطاياك*" وههنا شدد جسده اولاً . وبعد ذلك اهتم بنفسه*وهنالك وهب صفحًا*لانه قال .. قد تركت لك خطاياك*" وههنا اورد تنبيهًا ووعيدًا صاينًا اياهُ فيما يستانف*لانه قال له قد عوفيت فلا تخطين ايضًا*ليلا يتكون لك عارض اشر من هذا*وايضًا ان شكوى اليهود مختلفة*لانهم اوردوا ههنا عمل السبت . وهنالك شكوا منه تجديفًا * وتامل انت افراط حكمة الهنا . لانه ما انهضه في الحين . لكنه بسواله اياه اولاً . اختص به مطرقا لتصديقه اياهُ في المستانف*وما انهضه ايضًا فقط . لكن امرهُ ان يحمل سريرهُ*حتى تصدق العجيبة الكاينة * ولا يظن ظانّ ان الحادث كونه خيالاً . او مراياة*لانه لو لم تتشدد فيه اعضاوهُ تشددًا حقيقًا جدًا . لما كان امكنه ان يحمل سريرهُ * والمسيح قد فعل هذا الفعل دفعات كثيرة . مبكمًا المريدين ان يتوقحوا من تكاثر ايضاح اياته*لانه في تكثيره الخبز . لكيلا يقول قايلٌ انهم شبعوا على بسيط ذات الشبع . وان الحادث كان خيالاً . ابتدع ان يبقى من الخبزات فضلات كثيرة * وقال للابرص الذي تقاه .. اذهب واورِ الكاهن ذاتك * " مخولاً اياهُ برهانًا بليغًا لتطهيره* مطبقًا مع ذلك افواه الوقاحة من القايلين انهُ يضادّ اشتراع الله*وقد عمل هذا العمل في الخمر*لانه ما اظهر الخمر على بسيط ذات اظهاره . لكنهُ اوعز بتقديمه الى رئيس خزانة العرس . حتى يوزعهُ للشهادة خابية من ان تكون متهمة ممن لم يعرف ما جرى . معترفا بجودته*لان لهذا الغرض قال البشير ..ان صاحب خزانة العرس لم يعرف من اين كان الخمر*" مظهرًا لفظ شهادته الخايب من المحابات*ولما اقام في موضع اخر ميتًا*قال .. اعطوهُ يا كل*"جاعلاً ذلك علامة دالة على قيامته البليغ صدقها . محققًا بهذه الاقوال كلها عند الزايل فهمهم . انه ما كان خادعاً ولا مخيلاً . لكنه انما جاء لاجل خلاص الطبيعة العامة للناس كلهم*فان قلت فلمَ ما طالب هذا المقعد بتصديق وايمان . كما فعل بغيره . قايلاً اتومن اني اقتدر ان اعمل هذا : اجبتك . لان هذا الرجل ما كان عرفهُ معرفة واضحة مَن كان*لانه ما يستبين عاملاً هذا العمل قبل عجايبه . لكن بعدها *لان الذين ابصروا قدرته في اخرين غيرهم . سمعوا منه هذا القول على جهة الواجب○والذين ما كانوا قد عرفوهُ بعد . لكنهم توقعوا ان يعرفوهُ من اياته . طولبوا بالايمان به بعد عجايبه الكاينة فيهم* ولهذا السبب قال متى في ابتداء بشارته . انه شفى كثيرين . وما قال لواحد منهم اتومن اني اقتدر ان

اعمل هذه الآية ؛ وانظر انت على هذه الجهة الى امانة هذ المخلع * لانه لما سمع .. احمل سريرك واذهب الى بيتك * " ما ضحك عليه * ولا قال هذا القول . بنحدر ملاك ليحرك الماء . ويشفي واحدًا فقط * وانت موجود انسانًا . فمن امرٍ ساذج ولفظة واحدة نؤمل انك تقتدر اعظم من اقتدار الملايكة ؛ هذه الاقوال صلف وتعظم وضحك * الا انهُ ما قال لفظة واحدة من هذه الالفاظ . ولا اخطرها بوهمهِ * لكنهُ مهما سمع نهض وصار معافى * وما خالف الموعز اليهِ . لانهُ في الحين شفي . وحمل سريرهُ ومشى * والذي كان منهُ بعد ذلك . فكان اعظم من هذا بكثير * لان قبولهُ ما اوعز اليهِ في الابتداء . اذ لم يكن لهُ مغيث يغيثه * لم يكن فعلاً مستعجبًا * بل لما احاطت بهِ اليهود من كل جهةٍ . اشتد جنونهم ولاموهُ وحاصروهُ . وقالوا لهُ .. ليس يجوز لك ان تحمل سريرك * " لان اليهود قالوا للمشفي يوم السبت هو . وليس يجوز لك ان تحمل سريرك * " فلم يصغ الى جنونهم . لكنهُ نادى بالحسن اليهِ في وسط محفلهم مجاهرة كثيرة . وابكم لسانهم الوقاح * اقول انا ان فعله هذا فعل شجاعة كثيرة * لان البشير قال انهُ كان في ذلك اليوم سبت اليهود واذ قالوا لهُ ١٠ .. يوم السبت هو . ليس يجوز لك ان تحمل سريرك . اسمع ما قال لهم ١١ ان الذي صيرني معافى . هو قال لي احمل سريرك وامشِ * " فقارب ان يقول لهم . قد اشتمل الهذيان والصرع عليكم . اذ تامروني ان لا احتسب من اراحني من مرض طويل المداء مستصعب المراس معلمًا . ولا اطيع جميع ما يامرني بهِ * على انهُ لو كان اراد ان يسيء فعلهُ . كان ممكنًا ان يقول قولاً غير هذا * كقولك انني لست اعمل هذا العمل طايعًا * فان كان فعلي هذا زللاً . فانسبوا الزلل الى مَن امرني بهِ . وانا احط السرير * وكان قد ستر الشفاء * لانهُ علم علمًا يقينًا . انهم ما استمضوا حل السبت بهذه . مثلما استصعبوا تلافي سقمهِ وازالته * الا انهُ ما ستر الشفاء . ولا ذاك القول . ولا سالهم عفوًا * لكنهُ بصوتٍ بهي اقر بالاحسان الواصل اليهِ ونادى بهِ * فالمخلع هذا العزم كان عزمه * واوليك فتامل كيف كلامهم باوفر المكر . لانهم ما قالوا لهُ . مَن الذي صيَّرك معافى ؛ لكنهم صمتوا عن هذا القول وساقوا الى الوسط الفعل المظنون عندهم فوق واسفل انهُ معصية * وقالوا ١٢ .. مَن هو الذي قال لك احمل سريرك وامشِ * ولعمري ١٣ ان المشفي ما عرف مَن هو * لان يسوع اذ كان في المكان جموع . انعطف بينهم ماضيًا * " فان قلت وما هو غرض المسيح

في انه اخفى ذاته ؛ اجبتك . اولاً لكي اذا غاب تصير الشهادة خالية من ان تكون متهمة *لان مَن قد اتخذ حساً بعافيتهِ . فقد صار شاهداً بالاحسان الواصل اليهِ موهلاً للتصديق *ثم حتى لا يجعل غضبهم يتوقد عليهِ اكثر توقداً *لان وجه المحسود وحدهُ من عادته ان يولج في الحسودين ناراً ليست قليلة · لهذا الغرض انصرف وترك الفعل بعينهِ متصرفاً عندهم على انفراده *وحتى لا يقول هو ايضاً عن ذاتهِ قولاً . لكن يكون اوليك الذين يصنعون فعلهُ . ويصفهُ مع اوليك الذين يشكونهُ باعيانهم *لان هولاء يشهدون على كل حال لعجيبتهِ *لانهم ما قالوا لهُ لمَ امرت ان تصير هذه الافعال في يوم السبت ؛ لكنهم قالوا لمَ تعمل هذا العمل في يوم السبت ؛ ليس مستصعبين مخالفته الشريعة · لكن حاسدين خلاص المخلع *على ان العمل الذي عملهُ المخلع اذ حمل سريره . هذا كان اليق بهِ ان ينسب الى عمل انساني *وذاك العمل فكان كلاماً ولفظاً فقط *فههنا امر ان يحل السبت بنحوٍ آخر · وفي غير هذا الموضع يعمل هو هذا العمل بذاتهِ ليس بغيرهِ *اذ عجن طيناً وطلى بهِ عيني الضرير *فهو يعمل هذه الاعمال ليس مخالفاً للشريعة · لكنهُ طافر فوق الشريعة *ويعمل اكثر من هذه الاعمال اخيراً. لانه ليس يحتج لهم في كل مكان اذا شكوا منهُ حلّ السبت احتجاجاً متشابهاً وهم يرونه يحفظه حفظاً بليغاً



العظة السابعة والثلثون

في ان الحسد هو اشر من كل الخطايا

فينبغي لنا الان ان نبصر الحسد · وكفى بهِ داءً رديًا . وكيف يعمي الحافظ نفس مَن قد استحوذ عليهِ عن خلاصهِ *وكما ان المجانين في اكثر اوقاتهم يدفعون السيوف على ذواتهم . فكذلك الحاسدون يبصرون غرضاً واحداً فقط . وهو غم المحسودين . ويوجعهم خلاصهم كثيراً . فهولاء اشر من الوحوش* لانها اذا احتاجت الى طعامها . او اذا اغظناها . تندرع سلاحها علينا *وهولاء الحاسدون اذا احسنّا اليهم في اكثر اوقاتنا . انزلوا الذين احسنوا اليهم في منزلة الذين ظلموهم . فهم اردى من الوحوش *بل هم ايضاً يعادلون الشياطين ويساوونهم *ولعلهم اشرّ من الشياطين لان الشياطين يخترعون لنا حروباً مسلوبة صلحاً يسكنها · وليس من شانهم يغتالون على الذين يواخونهم في جنسهم *فمن هذه الجهة ابكم

المسيح اليهود . لما قالوا انهُ ببعلزبول يخرج الشياطين* فهولاء الحُسَّاد ما قد استلذوا شركة الطبيعة. ولا قد شفقوا على ذواتهم* لانهم يعاقبون انفسهم قبل ان يعذبوا المحسودين منهم* اذ يوعبون انفسهم كل ارتجاف واكتياب باطلاً ○ وانا اخاطب احدهم لمَ تتوجع يا انسان لحظوظ قريبك المستحسنة. لان واجبًا علينا ان نتوجع للنوائب المكروهة التي تقاسيها . ولا نتوجع للحظوظ التي نرى غيرنا متوفقين فيها* لهذا السبب تعدم هذه الخطية كل عفوٍ . لان الزاني يتحجه لهُ ان يذكر شهواته احتجاجاً* والسارق يحتج بفقرهِ* وقاتل الناس يورد غيظه وغضبه* على ان هذه كلها حجج باردة خالية من قياس* ومع ذلك فان هولاء يتملكون حججًا يوردونها* فانت ايها الحسود قُل لي . اية حجة تذكرها : وليست لك في جهة من الجهات ولا حجة واحدة توردها . ما خلا خبثًا متصلاً متماديًا وحدهُ* لاننا ان كنا قد أُمرنا ان نحب اعدانا . فاذا مقتنا اخوتنا والذين يحبونا . فاية عقوبة لا تتكبدها : ولئن كان مَن يحب الذين يحبونهُ ليس يفعل فعلاً افضل من فعل الاميين . فمن يوذي الذين لم يوذونهُ ولم يظلمونهُ اي عفوٍ يحصل لهُ . واي سلوٍ : اسمع بولس ماذا يقول .. ان بذلت جسدي للحريق . ولم امتلك حبًا . فلست استفيد نفعًا* "قرنتيه اولى ص ١٣ ع ٣ والدليل على انه اينما كان الحسد تبطل افعال الحب . فذلك واضح من ساير الجهات . فداء الحسد اشرّ من الزنا والفسق* لان داء الزنا يقف عند عامله* واما الحسد فقد اقلب كنايس بجملة اهلها . ودنَّس المسكونة كلها* هذا الحسد هو ام القتل* على هذه الجهة قتل قايين اخاهُ . على هذه الطريقة اشتد غضب العيس على يعقوب اخيهِ* على هذا الحال باعوا يوسف اخوتهُ* على هذا النحو قتل الناس ابليس المحال* لكنك تقول الان انك ما تقتل احدًا . الا انك تعمل اعمالاً كثيرة اصعب من القتل . اذا دعيت على اخيك ان يفتضح . اذا ضمرت لهُ ضميراً سوءًا . اذا وضعت لهُ اراجيف من ساير الجهات* اذا حللت اتعابه من اجل الفضيلة . وتوجعت منهُ . لانهُ يرضي سيد المسكونة* فلست تحارب ذاك . لكنك تحارب الاله الذي يخدمهُ ذاك ويرضيه . لانك ما تسب ذاك . اذا فضلت تكريمك على تكريم ذاك* وما هو اصعب من هذه الاصناف كلها . انك تظن ان هذه الخطية هينة مهملة قد ذال البحث عنها* على انها اصعب الخطايا واشدها* لانك وان كنت رحومًا . ان كنت سهاراً . ان كنت صوامًا . ان كنت مصليًا . فستكون انجس من الاشياء النجسة كلها . اذا كنت حسودًا لاخيك ورفيقك* وهذا المعنى

فواضح من تلك الجهة * وذلك انه زنى واحدٌ من الناس في وقت من الاوقات عند اهل مدينة قرنتيه* الآ انهُ شُفي وانصلح سريعاً* وحَسَدَ قاين هابيل. الآ انهُ ما شُفي ولا انصلح *لكنهُ اذ كان الله يداوي قرحته بمداومة. ورمت اكثر وتموجت المادة فيها. وسارع الى القتل* فهذا داء الحسد على هذا المثال اصعب من داء الزنا. وليس ينقاد الى المداواة بسهولة. اذا لم تتيقظ لمحاربته* فسبيلنا ان تقتلعهُ من كافة جهاته. ونجتذ اصوله. مفكرين في ذلك المعنى. اننا على حدو ما نصادم الله اذ ابينا حسداً لحظوظ غيرنا المستحسنة. على حدو ذلك نوفق اذا سررنا بمن قد احكم المحامد الحسنة. وفرحنا لمن قد انجح في اي الفضايل كانت. ونصير ذواتنا شركاه في الخيرات المخزونة لهُ* ولهذا السبب امرنا بولس ان نسرّ مع المسرورين. ونبكي مع الباكين. لنستمد من كلى الجهتين فايدة عظيمة* ونتفطن اننا وان لم نتعب. وفرحنا مع المتعوب واستلذينا فعلهُ سنكون مقاسميه في اكلّته* فلنقتلع منا كل حسد. ولنغرس الحب في نفوسنا. حتى نتجمع في جملة الموفقين. وينفق لنا امتلاك النعم الصالحة الحاضرة والمستانفة* بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفهُ. الذي لهُ المجد مع ابيه وروح قدسه. الى اباد الدهور كلها امين ❁



المقالة الثامنة والثلثون

في قولهِ ١٤ بعد هذه وجدهُ يسوع في الهيكل فقال لهُ. انظر انك قد صرت معافى. فلا تخطاينّ ايضاً* ليلا يتكون فيك عارض اشر من هذا ❁

ان الخطية لردية صعبة. وهي فساد لنفسنا. وطال ما لامست من تلقاء رزيانها وكثرتها اجسامنا ايضاً. فافاضت عليها الامراض الردية * ولعمري اننا اذ من عادتنا اذا مرضت نفسنا امراضاً كثيرة تعرض لها. ما نتوجع لذلك ولا يغمنا* واذا عرض لجسمنا ضرر يسير. نبذل كافة حرصنا حتى نعتقهُ من مرضه* فلهذا السبب يعاقب الله جسدنا في بعض الاوقات. من اجل الخطايا التي تجترمها نفسنا. حتى بضربة الادني بسياط الاوجاع يستمد الافضل الشفاء* فعلى هذه الطريقة تلافى بولس حال الذي زنى عند اهل مدينة قرنتية. لما ضبط سقم نفسه بهلاك جسمه وصناه. واورد البط الى جسمه* فعلى

هذه الجهة فمع الداء الردي . بمنزلة طبيب فاضل . يكوي داء الاستسقاء او وجع الطحال من خارج . ما يحتاج ان يداويه بالادوية من داخل . هذا العمل عملهُ المسيح بالمخلع . ويبيّن لهُ ذلك فقال ,, انظر قد صرت معافى . فلا تخطينَّ ايضاً . لكيلا يتكون لك عارض اشر من هذا* " فان قلت فما الذي نتعلمهُ نحن من هذه المداواة : اجبتك . اولاً تتعلم ان المرض يتولد من خطايانا . وثانياً نوقن ان ذكر جهنم صادق . وان تعذيبها يوجد طويلاً . قد عدم ان يكون مخبوراً *لان اين هم الآن الذين يقولون انني في ساعة واحدة فقط قتلتُ . ولحظة يسيرة من وقتٍ فسقت . فاعاقب عقوبات عظيمة عديدة ان تكون مايتة* لان ها هو هذا المخلع ما اخطى في سنين هذا مبلغ تقديرها . فعوقب بمقدارها . فقد افنى عمر انسانٍ كلهُ في طول تعذيبهِ *لان الخطايا ليس يحكم في زمان افتعالها لكن من طبيعة اجترامها بعينها * وبعد هذا المعنى ينساغ لنا ان تبصر ذلك الغرض . اننا ان كنا نقاسي عقوبة صعبة من اجل خطايانا الاولى . ثم نسقط فيها باعيانها . فاولي واليق بنا ان نتكبد عقوبة اصعب من تلك ايضاً *وذلك على جهة الواجب جداً *لان مَن لم يصر بالعقوبة التي قاساها افضل مما كان . فانهُ فاقد حسهُ ومتهاون . وسيُساق الى عقوبة اعظم من تلك لذعاً* وذلك ان الخطية فيها كفاية ان تقبض الزالق فيها دفعةً واحدة . ونجعلهُ اكثر ارتداعاً *فاذا كان يعمل هذا الخطاء . وما تنضاف اليهِ عقوبة . فعلى جهة الواجب يحتاج الى تعذيب اصعب وامرّ مراساً *فان كنا نقاسي عقوبة . ثم اذا سقطنا في خطايانا باعيانها . نصابر تعاذيب مبرحة شديدة* فاذاً لم نعاقب بجهة من الجهات . ولبثنا في خطايانا باعيانها . كيف ليس يجب علينا حينيذٍ ان نخاف ونرتعد كثيراً جداً . من طريق اننا نتوقع ان نتكبد تعاذيب شديدة تفوق طاقتنا : ولقايل ان يقول . فلاي غرض ليس يعاقب كل الذين يخطيون على هذه المقابلة : لاننا نبصر كثيرين من الاشرار خصيبة اجسامهم . كاملة قوتهم . مستمتعين بايام مملوة من الرخاء كثيراً * فنجيبهُ . سبيلنا ان لا نطمين* لكن لننهملنّ دموعنا على مثل هولاء خصوصاً . اكثر من جميع الاشقياء * لان مكثهم ان لا يقاسوا ههنا مكروهاً . يصير لهم زاداً لتعذيب اعظم لذعاً هنالك * وهذا المعنى فقد بينهُ بولس فقال ,, اذا داننا الان ربنا . فهو يودبنا *لكيلا يوجب الحكم علينا مع العالم هنالك* " قرنثية اولى ص ١١ ع ٣٢ لان العقوبات والنوايب التي ههنا هي تنبيهٌ ووعظ* والتي هنالك عقوبة وعذاب *ولعلك تقول . فما

رايك . هل الامراض كلها من خطايا تتكوّن : فاقول لك ليست كلها من خطايا . لكن اكثرها * وبعضها يتكوّن من ونيةٍ اخرى * وذلك ان شرهُ بطننا وسكرنا وبطالتنا . في طباعها ان تولد هذه الامراض وامثالها * فيجب علينا في كل مكان ان نحفظ هذه السجية الواحدة فقط . وهي ان نحتمل كل ضربٍ من النوايب باخلاص شكرنا * وامراض اخرى تتولد لاجل خطايا * على ما نبصر في قصور الملوك والروساء والاغنياء اناسًا يستحوذ عليهم النقرس " ملوك ٢ ص ١٥ ع ٢٣ الايام ٢ ص ١٦ ع ١٢ لاجل هذا السبب . وتتكوّن ايضًا امراض اخرى لاجل تهذيب * على نحو ما قال الله لايوب .. اتظنني انزلت بك هذه النازلة لمعنىً اخر . الا لكي تستبين عدلاً صديقا : " ايوب ص ٤ ع ٣ ويجوز ان يستخبر فما عرض المسيح في انه اورد الى الوسط من الوصف خطايا هذين المخلعين : لانه قال لذاك المخلع المذكور عند متى .. واطمئن يا ولدي فقد تركت لك خطاياك * " متى ص ٩ ع ٢ وقال لهذا .. ابصر . قد صرت معافى * فلا تخطئنَّ ايضًا * " وقد عرفت انا ان اناسًا يثلبون هذا المخلع قائلين . انه صار ثالبًا للمسيح * ولذلك سمع هذه الاقوال * فما الذي يقولونهُ في ذاك المخلع المذكور عند متى . السامع هذه الاقوال باعيانها : لانهُ قد قال لذلك .. قد غفرت لك خطاياك * " فنقول انه واضح من هذه الجهة ان ولا هذا المخلع سمع هذه الاقوال لاجل هذا السبب * وهذا المعنى فقد يتجه لنا ان نعرفهُ من جهةٍ اخرى ابين معرفةً * لان البشير قال . انه .. بعد ذلك وجدهُ يسوع في الهيكل * " وهذا فهو علامة لتحوّبهِ العظيم وتورعهِ الجسيم * لانه ما توجه الى الاسواق ومساعي المشي . ولا بذل ذاته لتنعم وراحة . لكنهُ اقام في الهيكل * على انهُ قد توقع ان يقاسي مبادرة اليهود اليهِ الجزيل تقديرها . وانهم كلهم سيطردونهُ من هنالك * الا انه ولا صنف من هذه الاصناف استمالهُ الى الانتزاح عن الهيكل * فلما وجدهُ المسيح . ما ذكر لهُ بعد مخاطبتهِ اليهود قولاً هذا معناه * فلو كان شاء ان يشكو منهُ هذا . لقد كان قال لهُ . أتمارس ايضًا اعمالك باعيانها . وما قد صرت بالشفاء افضل مما كنت : لكنهُ ما قال لهُ لفظةً من هذه الالفاظ * لكنهُ احتاط عليهِ فيما يستانف فقط * وما غرضهُ في انهُ شفى عرجان وزمنى . وما ذكر لهم بجهةٍ من الجهات خطاياهم : فعلى حسب ظني ان الامراض تكونت لهذين المخلعين من خطاياهما * وتولدت لاوليك السقمى الاخرين من مرض طبيعي * ولو لم يكن هذا هو السبب . لكان قد خاطب المرضى الاخرين بهذه الاقوال . وبالاقوال التي قيلت معهما * لان لما كان هذا السقم

اصعب الاسقام الاخرى كلها · فهو يتلافى ادنى الامراض باعظمها * لانه كما ابراء انسانا آخر ووصاهُ ان يعطي لله مجدًا · وما وصى ذاك وحده بهذه التوصية · لكنهُ وصى بذلك كل الناس * ويشير عليهم بهذه الالفاظ التي قيلت * ومع هذه الاقوال ينساغ لنا ان تقول ذلك القول · انهُ عرف ان في نفس ذاك صبرًا كثيرًا · فواصاهُ وحالهُ عندهُ حال قادر ان يحفظ توصيته ويقبلها * وضبطهُ في حال صحتهِ باحسانهِ اليهِ · وبالخوف من البلايا المنتظرة * وابصر لفظ سيدنا الخالي من التبدخ * لانهُ ما قال لهُ ها قد صيّرتك معافى · لكنهُ قال لهُ .. ابصر قد صرت معافى فلا تخطين ايضًا * " وايضًا فما قال لهُ · لكيلا اعاقبك · لكنهُ قال .. لكيلا يتكوّن لك مرض اشرّ من هذا * " فوضع اللفظين كليهما خايبين من وجه · موضحًا ان العافية موجودة من نعمتهِ هو · اكثر من ان تكون واجبة كذاك * لانهُ ما حكم لهُ لانك ادّيت الواجب كان عليك وتخلصت من طايلة المقابلة · لكنهُ اوضح لهُ انهُ انما خلص بتعطفهِ عليهِ * والاً فلو كان ليس هذا الراي رايه · لكان قد قال لهُ · ها قد ادّيت طايلة كافية لما اجترمتهُ من خطاياك · احترس فيما بعد * فالان ما قال لهُ هذا القول · لكنهُ قال لهُ .. ابصر قد صرت معافى · فلا تخطينّ ايضًا * " فينبغي أن تقول هذه الالفاظ لانفسنا اذا عوفينا وتخلصنا من امراضنا * فليقل كل واحدٍ منا لذاتهِ هذا القول .. ابصر قد صرت معافى فلا تخطينّ ايضًا * " فاذا لم ندب الطايلة · ونكون ثابتين في خطايانا باعيانها · فينبغي ان نرقي انفسنا بقول الرسول .. ان عزم الله الصالح يقتادنا الى التوبة بامهالهِ علينا · ونحن على جدو قساوتنا وقلبنا الفاقد ان يكون تايبًا · نذخر لذواتنا سخطًا * " روميه ص ٢ ع ٥ وما جاد ربنا على المخلع بتشديد جسمهِ فقط · لكنهُ خوّلهُ مع ذلك من جهةٍ اخرى · دلالةً عظيمةً على لاهوتهِ * لان قولهُ لهُ .. لاتخطينّ ايضًا · " اظهر لهُ انهُ عارف الهفوات كلها التي اجترمها سالفًا * فمن هذه الجهة اوجب ان يكون عندهُ في العوارض المستانفة موهلاً لتصديقهِ * ١٥ .. ومضى الانسان واخبر اليهود · ان يسوع هو الذى صيّرهُ معافى * " وانظر اليهِ ايضًا ثابتًا في حسن حفاظهِ بعينهِ * لانهُ ما قال ان يسوع هو قال لي احمل سريرك * لان اوليك اصدروا دايمًا فعلهُ المظنون عندهم زللاً · وهو فاورد الاحتجاج دايمًا * فجعل المخلع ايضًا طبيبهُ ظاهرًا · مجتهدًا ان يستجذب الآخرين الى الاختصاص بهِ * لانهُ ما كان بهذه الصورة فاقدًا حسةً · حتى انهُ بعد احسانٍ جزيلٍ تقديرهُ · وتنبيهٍ شايعٍ نفعهُ · يدفع المحسن اليهِ الى اوليك *

ويقول هذا القول بعزمٍ ردي فعله* لانه لو كان وحشًا. ولو كان واجدًا خاليًا من الانسانية حجريًا جداً. لقد كان الاحسان اليهِ. والخوف ايضًا مما نبّهَ عليهِ. فيهما كفاية ان يضبطاهُ. لانهُ امتلك التهويل عليهِ عربونًا* فكان قد خشي ان لا يصيبهُ مصابًا اشرّ من ذلك* لانهُ حصل عرابين عظيمة لقدرة طبيبهِ* ولمعنى آخر انهُ لو كان شاء ان يثلب سيدنا. لقد كان صمت عن ذكر عافيته. وكان قد ذكر مخالفته الشريعة وثلبهُ* لكن ليس هذا الظن بهِ صادقًا. ولا هو جايزًا* لكن الفاظهُ الفاظ مجاهرة كثيرة ومحافظة. وقد نادى بالمحسن اليهِ ليس بدون مناداة الاعمى بهِ* لان ذاك الاعمى قال.. صنع طينًا وطلى عيني*" وعلى هذا المعنى ايضًا قال هذا المخلع.. يسوع هو الذي صيّرني معافى* ١٦ فطردتهُ اليهود* لانهُ عمل هذه الاعمال في يوم السبت وطلبوهُ ان يقتلوهُ* فان سالت عمّا قالهُ المسيح لهم. اجبتك* قال ١٧ .. ابي الى الان يعمل. وانا اعمل*" لانهُ حين وجب ان يحتج عن تلاميذهِ. اورد الي وسط كلامهِ داود الذي يواخيهم في العبودية* اذ قال.. أمَا قراتم ما عملهُ داود حين جاع:" واذا اعتذر عن ذاته لجاء الى ابيهِ: يريهم من ساير الجهات معادلتهُ اباهُ* بقولهِ. انهُ ابوهُ خصوصًا. وبافتعالهِ افعال ابيهِ باعيانها* فان قلت. فلمَ ما ذكر لهم افعالهم الكاينة. في السبت حول مدينة اريحا: اجبتك. انهُ شاء ان يعليهم من الارض. لكيلا ينظروا اليهِ كنظرهم الى انسانٍ* لكن كنظرهم الى الهٍ يجب لهُ ان يشترع شرايع* فان لم يكن قد كان لله ابنًا خالصًا. ومن طبيعتهِ بعينها. فسيوجد احتجاجه اعظم ثلبًا لهُ* لان متى ما احال وزير شريعة ملكهِ. ثم شُكي منهُ ذلك* فاحتج بهذا الاحتجاج. وقال انهُ حلها لان الملك قد حلها. ليس يمكنهُ ان ينفلت من القضية عليهِ* لكنهُ بهذا الاحتجاج يجعل زللهُ اعظم قرفًا* لكن اذا كانت افعالهُ المرتَّبة متعادلة بالسواء. فتتم اقوال احتجاجهِ بكافة الاستيثاق. كانهُ قال. الجنايات التي قد اطلقتم الله منها. اطلقوني انا ايضًا منها باعيانها* فلهذا المعنى قدم قولهُ فقال ابي* لكي يحقق عندهم ان يطلقوهُ من هذه الجنايات كلها كارهين. محتشمين اتفاقهُ الخالص البليغ مع ابيهِ* فان قال قايل. واين يعمل ابوهُ. اذ قد استراح في اليوم السابع من ساير اعمالهِ: فليعرف الجهة التي يعمل فيها* فان قال وما هي جهة عملهِ: اجبتهُ. هي انهُ يعتني ببرياهُ المكونة كلها ويجمعها. اذا رايتهُ مشرقًا شمسهُ. ومطلعًا قمرهُ طايعًا. وبحيراتهُ وعيونهُ وانهارهُ. وامطارهُ جارية. وسعي الطبيعة في الزروع والبزور.

وفي اجسامنا · وفي اجسام البهايم * وافعالهُ الاخرى كلها التي بها انتظم كل هذا . اعرف عمل ابيهِ الدايم * لانهُ .. يشرق شمسهُ على الاشرار والاخيار · ويمطر على الصديقين والظالمين * " متى ص ٥ ع ٤٥ وقد قال .. ان كل حشيس الحقل الذي يكون اليوم موجودًا · وغدًا في النار مطروحاً · قد وشّحهُ الله في هذه الزينة متى * " ص ٦ ع ٣٠ واذ تكلم في ذكر الطيور قال .. ابوكم السموي يغذوها * " فههنا اوضح ايضًا عملاً في يوم السبت · وابان لهم بالفاظهِ كل ما اعتمدهُ . وما زاد فعلاً اكثر · وحل الجنايات حلاً من اعمالهم الكاينة في الهيكل . ومن الاعمال التي يعملونها هم · وفي الجهة التي يكون في السبت عمل * كقولك انهُ اوعز بحمل السرير * فما تم في ذلك فعلاً عظيمًا . الاّ هذا الفعل الواحد فقط * وهو ايضاحه حل السبت ايضاحاً بينًا · فاصعد كلامهُ الى اعظم منزلة * واليق ما يقال انه لايثاره ان يربع اوليك من رتبة ابيهِ · وان يصاعدهم الى اعلى الاوهام فيهِ * ولهذا السبب اذ كان كلامه في ذكر السبت · فليس يحتج من جهة انهُ انسان فقط · ولا من جهة انه الهٌ فقط · لكنه يحتج احيانًا على هذه الجهة . واحيانًا على تلك الجهة * لانهُ يشاء ان يصدق المعنيان كلاهما * معنى تحدر تدبيرهِ . ومعنى رتبة لاهوتهِ * لهذا الغرض يحتج الان من جهة ما هو الهٌ . لانهُ لو اعتزم دايمًا ان يخاطبهم من الاقوال الانسانية فقط · لثبتوا اذًا في مذلتهم بعينها * فلذلك لكيلا يكون ذلك . يقتاد اباهُ الى الوسط * على ان الخليقة تعمل في كل يوم سبتٍ * لان الشمس فيهِ تحاضر . والانهار تجري · والعيون تفور وتنبع * والنساء يلدن * ولكن لكي تعلم انهُ ليس هو من الخليقة . ما قال نعم انا اعمل . لان الخليقة تعمل . لكنه قال · نعم اعمل . لان ابي يعمل * لهذا المعنى قال البشير ١٨ .. ان اليهود التمسوا باوفر حرصهم ان يقتلوهُ * ليس لانهُ قد حل السبت فقط . لكن لانهُ دعا الله مع ذلك اباهُ . جاعلاً ذاتهُ عديلاً لله * " وما قال قايلٌ عن ذاتهِ انهُ عديلٌ لله * لانهُ ما يبين هذا من الفاظهِ وحدها . لكنهُ بالافعال اوضح ذلك ايضاحاً متواترًا * وان قلت وما غرضه في ذلك : اجبتك . لان ايضاحه ذلك من اقوالهِ ينساغ لهم ان يذموهُ فيها ويشكونه . بتعظم وصلف * واذ ابصروا صدق افعالهِ نافذًا الى غايتهِ . وعاينوا قدرته تنادي بها بافعالهِ . لن يمكنهم فيما بعد ان يزادوهُ * الاّ ان الذين ما يريدون ان يقتبلوا هذه الاقوال بحسن محافظة قالوا . ان ليس المسيح جعل ذاته عديلاً لله . لكن اليهود توهموا هذا التوهم * فسبيلنا اذًا ان نشرح الالفاظ

التي قيلت من اعلى المعنى *ونسال المعترض هل طردوهُ اليهود .او لم يطردوهُ : فواضح من ساير الجهات انهم طردوهُ *ونستخبرهُ ايضاً من اجل هذا طردوهُ . ام لاجل قولٍ آخر : وهذا فقد اقروا به . انهم لاجل هذا طردوهُ *وهل حلَّ السبت . او ما حلَّهُ : وهذا فلن يتجه لاحدٍ ان يراددنا فيه* اذ دعا الله ابًا له . او ما دعاهُ : وهذا قول صادق بالافعال * والاقوال التي تتلو هذه ينساغ لكم ان تجروها هذا المجرى بعينه *لانهُ على نحو ما دعا الله ابًا له . وحلَّ السبت . وطردوهُ اليهود لاجل ذلك الغرض . ولاجل هذا اكثر *وما كان ذلك من ظنٍ كاذب .لكن من فعل كاذب *فكذلك تصييرهُ ذاته عديلاً لله . كان تحقيقاً لهذا العزم بعينهِ *وهذا المعنى فمن الاقوال التي قيلت فيما سلف يتجه لنا ان نعرفهُ اوضح معرفة * لان قولهُ ابي يعمل وانا اعمل . هو قول جاعلٍ ذاتهُ عديلاً لله* لانهُ ما اعطى في هذه الاقوال ولا فصلاً واحدًا * لانه ما قال ان ذلك يعمل . وانا اخدمهُ .لكنه قال مثل ما يعمل ذلك وانا اعمل . فاظهر مساواة كثيرة *فلوكان ما اراد هو ان يصلح هذا المعنى . لكن اليهود توهموا هذا توهمًا باطلاً . لما كان اهمل تمييزهم متسكعًا في الغلط . بل كان قد تلافاهُ واصلحهُ *ولا كان البشير ايضاً قد صمت عن ذلك . بل كان قد قال قولاً ظاهرًا . ان اليهود توهموا هذا التوهم . وهو فما صيَّر ذاته عديلاً لله *على حدو ما عمل في موضع آخر هذا العمل بعينهِ . اذ ابصر ما قالهُ مفعولاً على معنى آخر . متوهمًا على معنى غيرهِ * كقولهِ قال المسيح .. حلّوا هذا الهيكل . وانا اقيمهُ في ثلاثة ايام * " وقال هذا عن جسدهِ *لكن اليهود الذين لم يفهموا هذا القول . بل توهموا انهُ قالهُ عن الهيكل اليهودي .. وقالوا في ستة واربعين سنة بني هذا الهيكل . افتقيمهُ انت في ثلثة ايام : " فاذ قال هو معنى . وتوهم اوليك معنى غيرهُ . لانهُ هو قال هذا القول في ذكر جسدهِ . واوليك توهموا ان القول قد قيل في وصف هيكلهم . دلَّ البشير على هذا . واصلح توهمهم *وقال مستثنيًا بهذا اللفظ . ان ذاك قال هذا في ذكر هيكل جسدهِ * فمن هذه الجهة لوكان المسيح ما صيَّر ذاتهُ هنا عديلاً لله . ولا اراد ان يبين هذا المعنى . بل اليهود توهموا ذلك . لكان البشير تلافى ظنهم ههنا وقال . ان اليهود ظنوا انهُ يجعل ذاتهُ عديلاً لله . وذاك فما قال من اجل معادلتهِ لله *وذلك ان البشير ما عمل هذا العمل فقط هو وحدهُ . لكن بشير آخر يستبين في معنى آخر . عاملاً هذا العمل بعينهِ ايضاً *لان ربنا حين قال لتلاميذهِ .. احترسوا من خميرة الفريسيين والذنادقة* " متى ص ١٦ع ٦

افتكر اوليك قايلين انهم ما اخذوا معهم خبزًا*فذكر هو معنى ذلك* لانهُ سمى تعليم الفريسيين خميرة. وتوهَّم تلاميذهُ معنى آخر. انهُ يقول لهم ذلك من اجل الخبز*فتلافى ايضًا ظنهم هذا. ليس البشير. لكن المسيح بعينه اصلح ذلك. اذ قال هذا القول .. اما قد فطنتم بعد ولا فهمتم. انني ما قلت من اجل خبز: " وهم فما فهموا معنى القول. لانهُ لم يقل قول مبطل لهذا * استثنى بقوله ايضًا ١٩ .. ليس يقدر الابن ان يعمل من ذاتهِ ولا شيأً*"فقد عمل بانسان بخلاف قولك*لانه ما قال هذا القول مبطلاً للمعادلة. لكنهُ قال ذلك مشددًا معادلتهُ لله ابيه*لكن تفطنوا ايها السامعون تفطنًا بليغًا*فان المطلوب ليس هو حقيرًا * لان هذا القول وهو ليس يقدر من ذاتهِ. موضوع في جهاتٍ كثيرة من الكتاب فيهِ وفي الروح القدس* وينبغي لكم ان تعرفوا قوة هذه اللفظة. لكيلا تغلطوا وتخطئوا خطايا عظيمة*لان لفظة ليس يقدر ان فهمها احدكم على انفرادها على هذا النحو. وهو نحو ما يتيسر لهُ فهمها. فتامل الشناعة التي تتبع ذلك ما اعظمها*لانهُ ما قال انهُ يقدر ان يعمل من ذاتهِ افعالاً. وليس يقدر ان يعمل من ذاتهِ اعمالاً. لكنهُ قال بسلب كلي .. ليس يقدر الابن ان يعمل من ذاتهِ ولا شيأً *" فانا اسال من يعاندني قُل لي. اما يقدر الابن ان يعمل من ذاته ولا شيأً: فان قال انهُ ليس يعمل شيأً. نقول لهُ لعمري انهُ قد عمل من ذاتهِ اعظم الاعمال الصالحة*وقد هتف بولس مذيعًا ذلك قايلاً .. ان الموجود في صورة الله. ما احتسب وجوده عديلاً لله حظًا مختلسًا. لكنهُ اخلى ذاتهُ اذ اخذ صورة عبدٍ* " فيلوبوسيوس ص ٢ ع ٦ و٧ وقد قال هو ايضًا .. انا امتلك سلطانًا ان ابذل نفسي. وامتلك سلطانًا ان اخذها. وليس ياخذها احدٌ مني*بل انا ابذلها من ذاتي* "يوحنا ص ١٠ ع ١٨ و١٩ أرأيتهُ ما لكًا سلطان الموت والحيوة. عاملاً من ذاتهِ سياسةً هذا المقدار متدارها: وما معنى كلامي في وصف المسيح: نحن الذين ما يكون شيء احقر منا. نعمل من ذواتنا اعمالاً كثيرة* فنختار من ذواتنا الرذيلة* ومن ذواتنا ايضًا نستعمل الفضيلة*فان كنا ما نعمل من ذواتنا شيأً. ولا قد حوينا سلطانًا. فما نقاسي جهنم اذا اخطانا. ولا نستمتع بالملكوت اذا احكمنا الصالحات ايضًا*فان سالت فما معنى قولهِ. انهُ ما يقدر ان يعمل من ذاتهِ شيأً: اجبتك. معناهُ انهُ ما يقدر ان يعمل عملاً ضدًا لابيهِ ولا غريبًا منهُ* وهذا قولٌ موضحٌ معادلته اياهُ. واتفاقه معه كثيرًا جدًا*فان قلت فلمَ ما قال انهُ ما يعمل عملاً ضدًا لابيهِ. لكنهُ قال انهُ ما يقدر: اجبتك. لكي يوضح من هذه الجهة ايضًا استقصاء المعادلة

وزوال المخالفة*لان لفظة ليس يقدر ما تصف ضعفه ُ.لكنها تبين مقدرته كثيرًا* اذ كان بولس قد
قال في مكان آخر في وصف ابيهِ ،، لكي بصنفين يغتاص حولهما بهما يكون ممتنعًا ان يكذب
الله*،،تيموثاوس ثانية ص ٢ ع ١٣ و١٢وقال ايضًا ،، ان انكرناهُ فهو يلبث صادقًا. وما يقدر ان
ينكر ذاته * ،، فليس لفظة ليس يقتدر دالةً على ضعف.لكنها لفظة مقدرة يحتجز وصفها*والذي
يقولهُ معناهُ هو هذا*ان ذلك الجوهر هو عديم ان يقتبل هذه العوارض وامثالها*على نحو ما اذا قلنا.
ليس يقدر الله ان يخطي*فلسنا نصفهُ بضعفٍ يناسبهُ.لكننا نعترف لهُ بقدرة يحتجز وصفها* فعلى
هذه الجهة اذا قال هو لستُ اقدر انا ان اعمل من ذاتي ولا شيًا * فانما يقول هذا القول. ان
ممتنعًا هو عليَّ وغير ممكن ان اعمل عملاً مضادًا *ولكي نعلم ان هذا هو معنى ما قيل.نعرفهُ اذا
تلونا ما يتبع ذلك*وما هي الاقوال التي يحققها المسيح . هل يحقق الاقوال التي تقولها نحن : ام
الظنون التي عندكم : لانك انت ايها المعترض تقول.ان لفظة ليس يقدر تزيل سلطانه وحريته
الواجبة لهُ وتبين ان مقدرته ضعيفة*وانا اقول انها تظهر معادلتهُ اباهُ وعدم مخالفته اياهُ. وعزمهُ
الكاين كانهُ من راي وسلطانٍ واحدٍ وقدرة واحدة*فسبيلنا ان نسال المسيح.ونعرف بالاقوال
التي قالها تاليةً لهذه.هل يترجم الاقوال التي قيلت نحو ظنك : ام نحو ظننا : فقد قال ،، لان
الاعمال التي يعملها الاب.يعملها ايضًا الابن على مثال واحد* ،، أعرفتَ كيف ازال توهمك
واقتلعه.وحقق الاقوال التي قلناها نحن : لانهُ ان كان من ذاتهِ ليس يعمل عملاً.فسيكون ولا
ابوهُ عاملاً من ذاتهِ عملاً.ان كان الابن يعمل اعمالهُ كلها على مشابهة لابيهِ*فان كان الاب يعمل
من ذاتهِ الاعمال كلها.فسيكون الابن عاملاً هذا العمل بعينهِ. حتى يوفي قولهُ على مشابهة لهُ.
والاَّ فان لم يكن هذا هو المعنى.فستتبع ذلك شناعةٌ اخرى*لانهُ ما قال انهُ عمل الاعمال التي
ابصر الاب يعملها.لكنهُ قال انهُ ليس يعمل عملاً.ان لم يبصر اباهُ يعملهُ* ماداً قولهُ مع الزمان
كلهُ.فيكون على رايكم دايمًا متعلمًا اعمالاً واحدة بعينها*أعرفتَ كيف يوجد المعنى عاليًا.وتذلل
لفظهِ يلزم المتوقحين جدًا وان لم يريدوا.ان يهربوا من ذلك الجموح الى الاوهام الارضية التي
تضادُّ تلك الرتبة جدًا : لان مَن يكون بهذه الصورة شقيًا منكود الحظ.حتى انهُ يقول. ان
الابن الازلي يتعلم كل يومٍ ما يحتاج ان يعملهُ : وكيف يكون ذلك القول صادقًا.وهو قول النبي

.. انت هو انت وسنوك لاتفنى :" مزمور ١٠١ ع ٢٨ وكيف يصدق ايضًا القول .. ان البرايا كلها بهِ تكوَّنت. وخلواً منهُ ما صار شيئًا* " ان كانت الاعمال بعضها يعملها الاب. وبعضها يشابههُ الابن فيها. اذا ابصرهُ يعملها: أرأيتَ من الاقوال التي قيلت فيما سلف. ومن التي قيلت فيما بعد. يستبين برهان السيادة: وإن كان يقدم الفاظًا من اقواله اوفر تذللاً. فلا نستعجب ذلك* لانهم لما طردوهُ حين سمعوا اقوالهُ العالية. وظنوا انهُ ضدٌّ لله. تخافض قليلاً بالفاظهِ* ثم اعلى كلامهُ ايضًا الى لفظٍ اعلى قدرًا. ثم احدرهُ ايضًا الى الفاظ اذل لفظًا. مُلَوِّناً تعليمهُ حتى يصير سريعًا اقتبالهُ عند المكابرين الزايل حفاظهم ايضًا* وتامل هذا المعنى. قال .. ابي الى الان يعمل. وانا اعمل* " وحكم انهُ عدبل لله* وقال ايضًا .. ليس يقدر الابن ان يعمل من ذاتهِ ولا شيئًا. ان لم يبصر الاب عاملاً اياهُ* " ثم صاعد القول ايضًا اعلى قدرًا. وقال .. لان الاعمال التي يعملها الاب. هذه يعملها الابن على مشابهة لهُ. " ثم حطَّ قولهُ الى اذل لفظ ايضًا. وقال ٢٠ .. الاب يحب الابن. ويريهِ كافة الاعمال التي يعملها* ويريهِ اعظم من هذه* " أعرفتَ معنى لفظهِ الذليل ايضًا على جهة الواجب: لان ما اسلفت ذكرهُ. ولست آكف من ان اقولهُ. هذا اقولهُ الان* انهُ متى ما قال لفظًا ذليلاً جامحًا الى الاوهام الارضية. وضعهُ بافراط في تأكيدهِ* لكي تستميل دناة الفاظهِ الزايل حفاظهم. الى اقتبال معانيها بتمييز صحيح* وإلاَّ فان كان ليس هذا الغرض هو غرضهُ. فتفطن كيف يكون ما قيل شنعًا* اذا رضيت ذلك من الفاظهِ باعيانها* لانهُ اذ قال وسيريهِ اعمالاً اعظم من هذه. سيوجد لم يتعلم بعد اعمالاً كثيرة* وهذا القول فليس ينساغ ان يُقال. ولا في وصف رسلهِ* لانهم لما اخذوا نعمة الروح في دفعةٍ واحدة. عرفوا بغتةً الاشياء كلها واقتدروا عليها* والاعمال التي عرفوها هم فيجب ان يكونوا يقتدرون عليها* وهذا الابن لم يتعلم بعدُ اعمالاً كثيرة من التي كان يجب ان يعرفها* وما الذي يكون اشنع من هذا القول: فان قلت فما معنى ما قيل: اجبتك. انهُ لما شدَّد مخلعًا. واعتزم ان ينهض ميتًا. لهذا المعنى قال ان كنتم استعجبتم انني شددت مخلعًا. ستعرون اعظم من هذه الآيات* الاَّ انهُ ما قال هذا القول. بل شرحه بلفظ آخر اذل قدرًا. ليتلافى جنونهم* ولكي نعلم ان لفظة يريهِ ما قيلت بتحقيق. اسمع اقوالهُ التالية هذه ايضًا* لانهُ قال ٢١ .. مثلما ينهض الاب الاموات ويحييهم. فكذلك يحيي الابن الذي يشاء* "

على ان لفظة ليس يقدر ان يعمل من ذاته عملاً · هي ضدٌّ للفظة يحيي الذين يشاء * لانهُ ان كان يقتدر من ذاته يعمل كما يشاء * لان لفظة شاء · متناسبة لسلطانهِ * فان كان ليس يقدر من ذاتهِ · فليس هو كما يشاء ايضاً * لان لفظة مثلما ان الاب ينهض · توضح عدم تخالف المقدرة * ولفظة يحيي من يشاء · تبين مساواة السلطة * أرأيت ان لفظة ليس يقدر من ذاتهِ ان يعمل · ليست هي لفظة مزيلة لسلطانه · لكنها موضحة عدم تخالف المقدرة والمشية ؛ وعلى هذا المعنى تفهم لفظة يريه * لانهُ قد قال في موضع آخر .. وانا اقيمهُ في اليوم الاخير * ‥ يوحنا ص ١١ ع ٢٤ ولما اراءنا ايضاً انه يعمل · وليس قابلاً فعلاً · قال .. انا هو القيامة والحيوة * ‥ ثم لكيلا تقول انهُ يقيم الاموات الذين يشاء ويحييهم · والافعال الاخرى ليس يعملها على هذا المثال · سبق فحصر كل مراددة هذه صفتها * اذ قال .. لان الاعمال التي يعملها الاب · هذه يعملها الابن على مشابهة له * ‥ موضحاً ان الاعمال التي يعملها ذاك كلها يعملها هذا · مثل ما يعملها ذاك ايضاً * ان قلت انهاض اموات · ان قلت ابداع اجسام · ان ذكرت اغتفار خطايا · ان قلت مهما كان غير هذه يعملها الابن على مشابهةٍ لوالدهِ * ولكن الوانين في خلاصهم لما يصغون الى قولٍ من هذه الاقاويل * لان عشق التصدر والرياسة داء ردي جزيلة رداءته * هذا الداء ولد بدع الهوى في الدين * هذا حقق الحاد الاوثانيين * لان الله شاء ان يغطن بجواهره الفائقة ان تكون ملحوظة بابداع هذا العالم · فاوليك تركوا هذه الخواص · واستنكفوا ان يجيئوا اليها بهذا التعليم · وقطعوا لهم طريقاً اخرى · فلذلك خابوا من الطريق الموجودة · واليهود ما صدقوهُ · اذ استمد بعضهم من بعض تشريفاً · وما التمسوا التشريف من الله ۞

العظة الثامنة والثلثون

في الشرف الفارغ * والعذاب الدهري

لكننا نحن ايها الاحباء · فلنهربنَّ من هذا الداء بكافة اجتهادنا هرباً مفرطاً * لاننا ان امتلكنا فضايل جزيلاً عددها قد احكمناها · فان فساد الشرف الفارغ · فيه كفاية ان ينقضها كلها * لاننا ان عشقنا المدايح · فلنطلبنَّ المدايح عند الله وحدهُ * فان المديح من الناس كيفما كان · معما يظهر قد هلك هو ان لم يهلك · فما قد قدم لنا فايدته * وطالما يتكون منهُ فايدة · وهي مرآة فاسدة * لان الشرف من الناس

ما هو المستعجب منهُ. وقد تستمتع بهِ الاحداث الراقصون. والنسوة المفسودات. والمستغنمون والخاطفون: ومَن يستعجبهُ الله. فلن يستعجب مع هولاء. لكن مع اوليك القديسين* اعني الانبياء والرسل المظهرين عيشةً مليكية* فان اشتقنا ان يحوط بنا جوع وينظرون الينا. فينبغي لنا ان نبحث عن هذا الشرف على انفرادهِ. فسنجد انهُ ليس موهلاً لشي البتة* فان كنت تعشق بجملة ايثارك جموعًا. فاستجذب جموع المليكة. وكن مرهوبًا عند الجن. فما تهتم بمحافل الناس. ولا همًّا واحدًا* لكنك على هذا النحو تتوطاء الاحوال البهية كلها. كما نتوطاء الحماة والطين* وتبصر حينيذٍ بصرًا واضحًا. ان ليس عارض بهذه الصورة يصيّر نفسنا قبيحة صورتها. مثل عشقها للتشريف من الناس* لان ليس ينجه ولا يتهياء لمن يعشق هذا التشريف. ان يعيش معاشًا مصونًا. مثل ما يوجد من يتوطاء هذا الشرف* فلا يتوطاء اكثر من اسقام هواهُ* ومَن قد قهر هذا الشرف. فقد قهر الحسد وحب الاموال وكافة اسقام الهوى المستصعبة* فان قلت. وكيف نقهر هذا التشريف: اجبتك. اذا ما نظرنا الى الشرف الآخر الذى في السموات. الذي يغاصبنا هذا الشرف عليهِ. ويحرص ان يخرجنا منهُ* لان ذاك الشرف يجعلنا ههنا بهيين ايضًا. ويسافر معنا الى الحيوة المامولة. ويعتقنا من كل عبودية لحمية قد تعبّدنا لها الان بكل شقاء. اذا بذلنا ذواتنا كلها للارض ولاعمال الارض* فان دخلت الى سوق. وان دخلت الى بيت. وان مشيت في الطرق. وان مضيت الى المواقف. وان دخلت الى الخزاين. وان حصلت في الفنادق. وان دخلت الى سفينة. او الى جزيرة. او الى قصور الملوك. او الى مجالس القضاة او الى مجالس ذوي الراي العلماء. فانك تبصر في كل موضع منها اهتمام الاحوال الحاضرة العالمية* وترى كل واحدٍ فيها منفصلاً الهمّة من اجل هذه الاحوال. التي قد استملكت النازحين والواردين. والمسافرين والمقيمين. والسايرين في البحر. والفلاحين الذين في الحقول. والذين في المدن. كل الناس على بسيط ذاتهم* فاي امل خلاص يكون لنا. اذا سكنّا ارض الله. ولم نكرم فرايض الله ووصاياهُ: لكنا قد أُمرنا ان نكون غرباء من الاشياء التي ههنا. فصرنا غرباء من السموات. ومُدنين الاحوال التي ههنا* وما الذي يكون اشرّ من ذوال حسنا هذا. اذا سمعنا كل يومٍ اوصاف المحاكمة. واحوال الملكوت. وشابهنا الكاينين في عصر نوح. والذين في صَدوم. ولبثنا في غينا الى ان نعرف العقوبات بممارسة افعالها: على ان لهذا الغرض كُتِبَت تلك الاخبار كلها. حتى ان كان احدنا

ينكر التعاذيب المنتظرة · يستمد من الحوايج والافات السالف كونها . البرهان على العقوبات المستانفة وانحا * فاذ قد فهمنا هذه الاقوال · وعرفنا الافات السالف كونها . والعقوبات المنتظر حدوثها . فلنتنفس قليلاً من هذه العبودية المستصعبة * ولنهتمنَّ اهتماماً يسيراً بنفسنا * لكي يتفق لنا امتلاك النعم الحاضرة والمامولة الصالحة * بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه · الذي لهُ المجد مع ابيه وروح قدسهِ · الى اباد الدهور كلها امين ❁

المقالة التاسعة والثلثون

٢٢ ابي ليس يحكم ولا على واحد · لكن القضاء كلهُ اعطاهُ للابن ٢٣ لكي يكرم الكل الابن · مثلما يكرمون الاب ❁

يا احباى نحن في كل الاوقات محتاجون الى حرصٍ كثير * لاننا سندي جواباً وتقاسي توبيخات بليغة عن اقوالنا وافعالنا * لان احوالنا ما قد وقفت الى مدى هذا الزمان الحاضر · لكن ترتيباً آخر للحياة ينتظرنا من ههنا · وسنقف لدى مجلس قضاء رهيب مريع * .. لاننا يجب علينا ان نقف لدى منبر المسيح . ليحتضن كل واحدٍ منا · ما فعلهُ بجسدهِ نظير ما عمل * ان كان عملاً صالحاً . وان كان ردياً * " قرنثية ثانية ص ٥ ع ١٠ فسبيلنا ان نتفطن في مجلس القضاء هذا دايماً * فعلى هذه الجهة تقتدر ان نكون في الفضيلة كل حين * لان مَن قد اخرج ذكر ذلك اليوم من نفسهِ · يكون حالهُ حال مَن قد فكَّ عنهُ لجامهُ . فهو يتكردس الى حافاتٍ متطرفة * وقد قال المترنم في وصفهِ .. تتدنس طرقهُ في كل حين * " مزمور ٩ ع ٢٧ واذ اورد علة ذلك · استثنى بقولهِ " تتغيب احكامك عن وجههِ * " فعلى هذا القياس من يستقصي هذا الخوف كل حين · يسلك سلوكاً عفيفاً * لانهُ قال .. تذكَّر اواخرك · فما تخطي الى الدهر * " سيراخ ص ٧ ع ٣٦ لان الذي يغضي لنا عن خطايانا . هو يجلس حينئذٍ قاضياً علينا * والذى مات من اجلنا . هو يظهر ايضاً حاكماً على طبيعتنا كلها * لان بولس قد قال .. ان المسيح سيظهر دفعةً ثانية خلواً من خطية يحملها عنا · للذين ينتظرونهُ لخلاصهم * " عبرانيين ص ٩ ع ٢٨ فلذلك قال ههنا .. ابي ليس يحكم على احدٍ · لكن القضاء

كلهُ قد اعطاهُ للابن *ليكرم الكل للابن · كما يكرمون اباهُ* " ولعل قايلاً يقول · فينبغي ان ندعوهُ اباً* فنجيبهُ · ابعد هذا الوهم * لانهُ لاجل هذا الوهم ذكر الابن · ليبقى ابناً *فنكرمهُ كما نكرم الاب * فمن يدعوهُ اباً · فما قد اكرم الابن كما قد اكرم الاب *لكنهُ قد خلط الفصل كلهُ* لان الناس اذ كانوا قد احسن اليهم · فما شعروا بالاحسان على هذه الجهة* كما يشعرون بالعقاب اذا هوّل عليهم *فلهذا الغرض قال · " ان القضاء كلهُ قد اعطاهُ ابوهُ لهُ * " ليستجذبهم ولو الخوف منهُ الى تكريمهِ *واذ قال القضاء كلهُ · فانما يذكر هذا المعنى · انهُ هو ربٌّ مالك ان يعاقب · وان يكرم الذين يشاء · وان يستعمل الصنفين فيهم كليهما* ولفظ اعطى فانما قيل لكيلا نتوهمهُ عديماً ان يكون مولوداً* ولا تظن ان قد يوجد ابوان · لان كل ما هو للاب . فذلك هو للابن *اذ وُلد وهو ثابت في انهُ موجود ابناً* ولكي تعلم ان لفظة اعطاهُ هي بمساواة لفظة ولدهُ · اسمع هذه اللفظة بعينها مبينة من وجهٍ آخر · لانهُ قال مثل ما ان الاب يحوي حياة في ذاتهِ · فكذلك اعطى الابن ان يحوي حياةً في ذاتهِ *فما رايك : هل ولدهُ اولاً · وبعد ذلك اعطاهُ الحيوة · لان المعطي بالحقيقة قد اعطى المعطى *فهل كان لما وُلد خالياً من الحيوة : الأ ان هذا التوهم ولا الجن توهمته *لان مع الحاد هذا الظن قد حوى الوهم الفاقد الفهم كثيراً *فكما ان لفظة اعطاهُ حيوة هي انهُ وَلَدَهُ حياً · فكذلك لفظة اعطاهُ للقضاء هي انهُ وَلَدَهُ قاضياً* لان لكيلا اذا سمعتَ انهُ يمتلك الاب علة لهُ تظن ذلك مخالفاً لجوهرهِ · وتنقيصاً لتكريمهِ · قال انهُ هو يجي قاضياً عليك . فيريك من هذه الجهة شرف حسبهِ *لان المالك سلطاناً ان يعاقب ويكرم الذين يشاء · فهو يقتدر على الافعال بعينها الممكنة عند ابيهِ* والأ فان لم يكن القول هذا هو معناهُ · لكنهُ اخذ الكرامة اخيراً بعد ان وُلد · فما الذي كان منهُ حتى كرمهُ اخيراً : ومن اي اقبال وصل الى هذا التكريم · حتى ينتدب وياخذ هذه المرتبة : افما تستخزون ان تداخلوا هذه الاوهام الانسانية الحقيرة · على الطبيعة الفاقدة ان تكون بالية · التي ما تحوى شياً دخيلاً · وتوردها عليها على هذه الجهة باشد الوقاحة : فان قال المعترض . فلمَ يتكلم هذا الكلام : اجبناهُ حتى يصيرّ كلامهُ سريعاً اقتبالهُ · ويتقدم فيطرّق للالفاظ العالية* لهذا الغرض خلط هذه الالفاظ بتلك* وتلك بهذه * وانظر في ابتداء كلامهِ قال " ابي يعمل · وانا اعمل* " فاراهم من هذه الالفاظ معادلته اباهُ · لكنهم ارتادوا قتله* فانظر الى ما فعل ايضاً . تخافض

في لفظهِ ووضع المعاني هي هي باعيانها. اذ قال هذا القول .. ليس يقدر الابن ان يعمل من ذاتهِ ولا شيًا* " ثم صاعد ايضاً بكلامهُ الى الالفاظ العالية* اذ قال .. ان الاعمال التي يعملها الاب . هذه يعملها الابن على مشابهة له . " ثم تحدر ايضاً الى لفظ اذل فقال .. ان الاب قد احب الابن واراهُ الاعمال كلها التي يعملها هو. واعظم من هذه الاعمال يريهِ* " ثم طلع ايضاً الى لفظ اعلى محلاً فقال .. مثلما ان الاب يقيم الاموات ويحييهم. فكذلك الابن ايضاً يحيي الذين يشاء* " وبعد هذا اللفظ ايضاً ذكر اللفظ الذليل والعالي معاً . قايلاً .. لان الاب ليس يحكم ولا على احدٍ . لكن القضاء كلهُ اعطاهُ للابن * " ثم صعد ايضاً الى لفظٍ اعلى قدراً . قال .. لكي يكرم الكل الابن . كما يكرمون الاب* " أرايتهُ كيف يكون كلامهُ . اذ ينظمهُ باسماء والفاظٍ عالية وذليلة . ليصير عند الكاينين في ذلك سريعاً اقتبالهُ . ولا ينضرّ بهِ الصايرون فيما بعد . اذا استمدوا من الفاظهِ العالية المعنى اللايق بالفاظهِ الاخرى الذليلة : لان ان لم يكن هذا الغرض غرضهُ . ولم تكن الالفاظ الذليلة انما قيلت لاجل استكانة ومقاربة . فلمَ وُضِعتْ الالفاظ العالية : لان مَن يجب لهُ ان يقول عن ذاتهِ اوصافاً عظيمة اذا قال لفظاً دنياً ذليلاً فقد جوى لتدبيرهِ حجة ذات وجهٍ مقبول . اذا فعل ذلك لاجل غرض تدبيرٍ اعتمدهُ* ومن ينبغي لهُ ان يقول عن ذاتهِ كل حينٍ لفظاً دنياً . فلمَ يقول عن ذاتهِ اوصافاً تفوق على طبيعتهِ وتتجاوزها : لان قولهُ هذا ليس قول تدبير يعتمدهُ . لكنه يكون قول الحاد في اقصى غايته* فنحن من هذه الجهة ينساغ لنا . ان ندعوا استكانة الفاظ الهنا الذليلة وتعليمه ايانا ان نتذلل . والخلاص المدبر لنا بهذه الاستكانة . علة عدلة لايقة بهِ* وهذا المعنى فاذ اوضحهُ هو في مكان آخر . قال .. هذه الاقوال اقولها . حتى تتخلصوا انتم * " لانهُ لما التجاء الى شهادة يوحنا اذ اهمل الشهادة التي لهُ . وكان ذلك فعلاً عديماً ان يكون موهلاً لعظمتهِ . اذ وضع العلة لدناءة الفاظهِ الجزيل تقديرها . قال .. هذه الاقوال اقولها حتى تتخلصوا انتم * " فانتم القايلين انهُ ليس يمتلك السلطان بعينهِ والاقتدار الذي لوالدهِ . ماذا تقولون اذا سمعتموهُ متكلماً اقوالاً يريكم بها معادلتهُ اباهُ وبمقدرتهِ وسلطانهُ ومجدهُ : ولمَ يُطالبُ بتكريمهِ بعينهِ . اذا كان ذلك متاخراً عنهُ جداً . على ما قد قلتم : وليس يقف هو عند هذه الالفاظ فقط . لكنهُ قد اتبعها بقولهِ .. مَن ليس يكرم الابن . فليس يكرم الاب الذي ارسلهُ * " أرائت كيف تكريم الابن منتظماً مع تكريم ابيهِ : ولعلك تقول . وما هو هذا : لان

ذاك قد يتجه لنا ان نعاينهُ في الرسل. لانهُ قد قال لهم " مَن يقبلكم اياي يقبل *". فاقول لك · لكنهُ هناك اذ يختص باحوال عبيدهِ. لذلك قال هذه الاقوال * وههنا اذ الجوهر واحد والمجد · لهذا السبب ما قيل في الرسل · لكي يكرَّموا *لان متى ما صودف ملكين · وشتم احدهما . فقد شتم الآخر معهُ *ولا سيما اذا كان المشتوم ابنًا للآخر * ولعمري ان الملك يُشتم . اذا شتم غلامهُ *الاَّ ان هذا السبب ليس هو شبيهًا بذلك. لكن هذا السبب ينالهُ بواسطة * وذلك فليس يستمدهُ على هذه الجهة بواسطة *لكن حالهُ حال من يقتبلهُ بذاتهِ. لهذا الغرض سبق فقال " لكي يكرموا الابن مثلما يكرمون الاب * "نظرت ان هذا التكريم واحدٌ بعينهِ: لانهُ ما قال من لايكرم على بسيط ذات الاكرام · لكنهُ انما قال مَن ليس يكرم على هذا المثال كما قلت · فليس يكرم اباهُ * ولعل قايلاً يقول · وكيف يكون المُرسِل والمرسول من طبيعة واحدة بعينها : فنقول لهُ *ها انت تحط الكلام الى الاوهام الانسانية · وما تفطن ان هذه الاقوال كلها ما قيلت لغرض آخر · الاَّ لنعرف العلة · ولا نسقط في مرض صاباليوس *ويُشفى ايضًا بهذا النحو سقم اليهود . لكيلا يُظَنّ عندهم انهم ضد الله *لانهم قد قالوا هذا ليس هو من الله · هذا ما جاء من الله *ومع ابطالهِ هذا التوهم . ليس يتكلم في كلامهِ الالفاظ العالية على هذا النحو · على نحو ما ينظم فيهِ الالفاظ الذليلة * ولهذا الغرض ذكر ارسالهُ فوق واسفل ذكرًا متصلاً . انهُ ارسل ليس حتى نتوهم لفظة أُرسِل تنقيصًا لهُ · لكن حتى يطبق افواه اوليك * لهذا الغرض يلتجي الى ابيهِ التجاء متصلاً اذ يضع في الوسط شرف حسبهِ *لانهُ لو قال اقوالهُ كلها نحو الى رتبتهِ. لما اقتبل اوليك اقوالهُ · اذ كانوا من الفاظٍ يسيرة هذا لفظها . طالما طردوهُ ورجموهُ *ولوكان ايضًا لتورعهِ متى اوليك تكلم اقوالهُ كلها ذليلة. لكان اناس كثيرون قد انضروا فيما بعد بها *فلذلك خلط تعليمهُ ومزجهُ * وبهذه الالفاظ اليسيرة على ما ذكرت . يدفع عند العقلاء عن الاقوال التي قيلت المعنى الحقير *ويريهم انها ليست في الجملة ملايمة لهُ *لان لفظة أُرسِل هي لفظة انتقال *والاله لحاضر في كل مكان * فان قلت فلمَ قال انهُ أُرسِل : اجبتك . انهُ اوضح ايتلافهُ بابيهِ بلفظة اكثف من غيرها *وعلى هذا النحو يشكل الفاظهُ التالية هذه . مريدًا ان يصلح هذا المعنى *لانهُ قال ٢٤ " حقًا حقًا اقول لكم · مَن يسمع اقوالي · ويصدق مَن ارسلني · يحوي حيوةً دهرية * " ارايت كيف قد وضع هذا القول بعينهِ وضعًا متصلاً . متلافيًا ذلك التوهم : وفي هذه الجهة وبالاقوال التالية يوجد ناقضًا

المماحكة لهُ بالخوف وبوعد الاحسان*وفي هذه الجهة ايضًا تجدهُ في الفاظهِ منحدرًا معهم كثيرًا*
لانهُ ما قال من يسمع اقوالي ويصدقني· لان هذا الفعل كانوا قد ظنوا بهِ انهُ صلف وطرمذة زايدة
في الاقوال*لانهم ان كانوا بعد زمان جزيل تقديرهُ. وبعد عجائب جزيل مبلغها ·قد توهموا هذا التوهم
فيهِ ·لما تكلم على هذا النحو*فاليق بهم واولى ان يظنوا في ذالك الحين هذا الظن فيهِ*فقد قالوا لهُ
حينيذٍ ,, ابراهيم قد مات· والانبياء قد ماتوا· فكيف تقول انت· ان مَن يسمع اقوالي ويصدق ليس
يذوق موتًا: " يوحنا ص ٨ ع ٥٢ فلكيلا يتمروا حينيذٍ· قال ,,مَن يسمع اقوالي ويصدق مَن ارسلني
يحوي حيوةً دهرية*" لان هذا القول وهو ايقان الذين يسمعونهُ انهم انما يصدقون اباهُ · يجعل كلامهُ
سريعًا اقتبالهُ· ويجتذبهم اجتذابًا ليس يسيرًا* لانهم اذا اقتبلوا هذا بنشاطٍ· جنحوا الى اقتبال
باقي اقوالهِ بايسر مرام*فمن هذه الجهة يخترع في اقوالهِ العالية· ان يقول الفاظًا ذليلة* ,, هذا زعم
يبصر حيوةً دهرية*وليس يجني الى الدينونة*لكنهُ قد انتقل من الموت الى الحيوة*" فبهذين اللفظين
يجعل كلامهُ سريعًا اقتبالهُ· بان يوجد مَن يسمع قولهُ مصدقًا اباهُ· وبان يستمتع مَن يقبل منهُ بنعم
صالحة كثيرة*ولفظة ليس يجي للدينونة· فمعناها هو انهُ ليس يُعاقب*لان الموت الذي ذكرهُ ليس هو
هذا الموت الذي ههنا ·لكنهُ الموت الدهري*كما ان الحياة التي ذكرها ·هي تلك الحياة الفاقدة ان تكون
ميتة ٢٥ ثم قال ,, حقًا حقًا اقول لكم· ستجي ساعةٌ· وهي الان حاضرة· حين تسمع الاموات صوت
ابن الله· والذين يسمعونهُ يحيون*" لما قال الالفاظ قال برهانها بالافعال*لانهُ لما قال ,, مثلما
ان الاب يقيم الاموات ويحييهم · فكذلك يحيي الابن الذين يشاء* " فلكيلا يظن ذلك تبدخًا
منهُ وصلفًا· خولنا حقيقتهُ بالافعال*اذ قال ,, ستجي ساعة* " ثم لكيلا نتوهم زمانًا طويلاً ·قال
,, وهي الان حاضرة · حين تسمع الاموات صوت ابن الله· ويحيون* " اعرفتَ ههنا سيادتهُ
وسلطانهُ· الممتنع وصفهُ: لان على نحو ما يكون هذا في القيامة·على هذا النحو قال يكون الان*
لاننا في ذلك الحين اذا سمعنا صوتًا موعزًا نقام · لان الرسول قد قال ,,ان بامر الهنا يقام
الاموات*" ولعلك تقول · من اين يكون هذا واضحًا· ان هذه الالفاظ التي قالها ليست الفاظ
تبدخ: اجبتك· يستبين ذلك من اللفظ الذي استثنى بهِ: وهو الان *لانهُ لو كان وعد بذلك في
الوقت المنتظر كونهُ فقط·لكان مع كلامهِ يوجد عندهم متهمًا*فقد خولهم الان برهانهُ*لانهُ قال عند

مقامي معكم تصير هذه الحيوة* فما وعدهم ان ليس ذلك ممكناً الآ في ذلك الحين · حتى لا يستوجب من هذا الوعد ضحكاً كثيراً عليه* ثم اورد الاقوال التي قالها فكراً برهانياً· اذ قال ٦ ٢ ،، لان مثلما ان الآب يحوى في ذاتهِ حيوة .فكذلك قد اعطى الابن ان يحوى في ذاتهِ حيوة* " أراءته مظهراً عدم التخالف· موضحاً الفصل في شيء واحدٍ وحدهُ في ان يوجد الواحد اباً والآخر ابناً: لان لفظة اعطى انما تورد هذه القسمة وحدها* وترى الخواص الاخرى كلها بالسواء· فاقدة التخالف والتباين *فواضح من هذه الجهة· ان الابن يعمل اعماله كلها بسلطةٍ جزيلٍ تقديرها· وقدرة موجودة ليس قدرة من جهةٍ اخرى* لان على هذه الجهة يحوى حياة مثلما يحواها ابوهُ* ولهذا الغرض يضع ايضاً في الحين اللفظ التالي هذا .لتفهم ذلك اللفظ من هذا* وان سالت واياما هو اللفظ : آجيبك هو لفظ اعطاهُ ان يعمل قضاء* فان قلت فلمَ يُردّد فوق واسفل قيامةً وقضاء : لانهُ قال .. مثلما ان الاب يقيم الاموات ويحييهم· مثل ذلك يحيي ابنهُ الذين يشاء* " وقال ايضاً .. ابي ليس يحكم على احد .لكن القضاء كلهُ اعطاهُ للابن * ومثل ما ان الاب يحوى في ذاتهِ حياة · مثل ذلك قد اعطى ابنهُ ان يحوى في ذاتهِ حياة* " وقال ايضاً .. الذين يسمعون صوت ابن الله يحيون* " وقال ههنا .. اعطاهُ ان يعمل قضاء * " فان سالت فلمَ يُردّد هذه الالفاظ بمداومة· وهي قضاء وحياة وقيامة : اجيبك .لان هذه الالفاظ اكثر من غيرها هي التي تقتدر ان تستميل السامع العديم ان يثني* لان من يوقن انهُ سيُقام ويُقابل مقابلات عدلة عن الجرايم التي اجترمها· وان كان ما قد عرف علامة اخرى .فاذا اقتبل هذا وتحققهُ .سيبادر على كل حال الى ان يصير القاضي رافقاً بهِ* قال .. واما انهُ يوجد ابن الانسان· فلا تستعجبوا هذا* " الآ ان بولس السميساطي ما قال هذا القول* وان سالت فكيف قال : اجيبك .قال اعطاهُ سلطاناً ان يعمل قضاء لانهُ ابن انسان هو* الآ ان هذا القول اذا قيل على هذه الجهة .ليس يمتلك من النظام صنفاً * لانهُ ليس لهذا الغرض تسلم قضاء* لانهُ ابن انسان هو* والاّ فاي مانع منع ان يوجد الناس كلهم قضاة : ولكن اذ هو ابن لذلك الجوهر الممتنع ان يوجد موصوفاً .لهذا السبب يوجد ايضاً قاضياً * فعلى هذا النحو يجب ان نقراء .. فاما انهُ ابن انسان. فلا تستعجبوا هذا* " لانهُ لما ظُن عند الناظرين ان اللفظ الذي يقوله يفوق عليهِ . وتوهموا انهُ ليس يوجد اكثر من انسان ساذج. والاقوال التي يقولها اعظم من ان تكون

خاصية لانسان. واليق ما يُقال انها اعظم من ان تكون منسابة للملاك. وانها اقوال الهٍ وحدهُ * حلّ هذه المنازعة. واستثنى بقولهِ (٣٨) *. . لاتستعجبوا انهُ هو ابن انسان. فانهُ سيجيء وقتٌ. اذا سمع فيهِ الذين في القبور صوتهُ (٣٩) يخرجون. الذين عملوا الاعمال الصالحة الى قيامة حياتهم. والذين عملوا الافعال الردية الى قيامة مداينتهم *" وان قامت فلاي سبب ما قال لاتستعجبوا انهُ ابن انسان هو. فانهُ ابن الله هو: لانهُ لما ذكر القيامة فوضع هذا القول. فوق هذا الموضع قايلاً. يسمعون صوت ابن الله * اقول لكَ. ان كان صمت عن ذلك هنا. فلا تستعجب هذا * لانهُ لما ذكر فعلاً لم يزل خاصة لله. خوّل سامعيهِ ان يقيسوا فيما بعد منهُ. انهُ كان الهًا وابنًا لله * لان اللفظ المقول منهُ بمداومة كان عند اوليك مضافاً * ومن قياس عجائبهِ. جعل تعليمهُ يستبين عديمًا ان يكون مستثقلاً * لان الذين يعطلون القياسات اذا وضعوا اجزاءها. برهنوا المطلوب بشهامةٍ * وفي اكثر الاوقات ليس يوردون هم النتيجة. لكنهم اذا صيروا سامعهم احسن رايًا. جعلوا طرفهم ابهى حسنًا. اذا جعلوا ذلك الذي يعاندهم بعينهِ ان يورد القضية * حتى اذا اورد الذين يعاندونهم القضية بدلاً منهم. يحكم الحاضرون بالفضل الجزيل فخرهُ لهم * لانهُ لما ذكر القيامة التي تناسب العازر. صمت عن ذكر القضاء * لان العازر ما اقيم لاجل هذا القضاء * ولما ذكر القيامة الكلية. استثنى بذكر القضاء * وقال .. ان الذين عملوا اعمالاً صالحة يخرجون الى قيامة حياتهم. والذين فعلوا افعالاً ردية يخرجون الى قيامة محاكمتهم *" وعلى هذه الطريقة اقتاد يوحنا الصايغ سامعهُ لما ذكر القضاء * .. وان مَن ليس يؤمن بالابن ليس يعاين الحياة. لكن رجز الله يثبت عليهِ *" وعلى هذه الطريقة اقتاد هو نيقوديمُس لانهُ قال لهُ *.. مَن يؤمن بالابن ليس يحاكَم * ومَن ليس يؤمن بهِ قد اوجب القضاء عليهِ فيما سلف *" وعلى هذا النحو يذكر هنا مجلس قضاء. وعقوبة على الاعمال الخبيثة * لانهُ لما قال فوق هذا الموضع. ان مَن يسمع اقوالي ويصدق مَن ارسلني ليس يحاكَم. فحتى لايظن ظانٌ ان الايمان وحدهُ يكفيهِ لخلاصهِ. اضاف الى ذلك الافعال الناشية من عيشتهِ * اذ قال .. ان الذين عملوا الاعمال الصالحة يخرجون الى قيامة حياتهم. والذين فعلوا الافعال الطالحة يخرجون الى قيامة محاكمتهم * فلما قال ان المسكونة كلها تعطيهِ جوابًا. والناس كلهم من صوتهِ يقامون. وذلك فعل جديد. منكر الان ايضًا عند كثيرين من الظانين انهم قد آمنوا. فاولى بهِ اكثر ان يكون منكرًا حينئذٍ عند اليهود * اسمع كيف اصلح هذا القول.

متحدرًا ايضًا مع ضعف سامعيهِ. قال (٣٠) .. لست اقدر انا ان اعمل من ذاتي ولا شيأً * وعلى نحو ما اسمع احكم * وقضاي هو عادل" . لانني لست اطلب المشية التي لي. لكنني التمس مشية مَن ارسلني * " على انهُ كان قد اعطى برهانًا للقيامة ليس يسيرًا . اذ شدد المخلع * ولذلك لم يتكلم اولاً في ذكر القيامة. الى ان اجترح تلك العجيبة التي ما كانت ناقصة عن القيامة جدًا * وذكر القضاء حينئذٍ ذكرًا غامضًا. بعد ان شدد جسم ذاك * اذ قال لهُ .. ابصر قد صرت معافى * فلا تخطئنَّ ايضًا * لكيلا يتكوّن لك مرضٌ اشر من هذا * " الاّ انهُ مع ذلك يتقدم فيذكر انهاض العازر هاتفًا بذلك وقيامة اهل المسكونة * واذ تقدم فذكر هاتين القيامتين. قيامة العازر التي هي حينئذٍ وصلت الى غايتها سريعًا . وقيامة اهل المسكونة الواصلة الى غايتها اخيرًا. بعد ازمانٍ طويلة. حقق هذه اعني قيامة العازر من المخلع. ومن اقتراب وقتها * بقولهِ .. ستجيء ساعة وهي الان حاضرة. " وحقق تلك اعني قيامة اهل المسكونة من قيامة العازر. سايقًا لدى البصر افعالها التي لم تكن بعد كائنة بافعال قيامة العازر الكائنة سالفًا * وهذا العمل ينجه لنا ان نبصرهُ عاملاً اياهُ في كل مكان . واضعًا من سبوق تخبيرهِ صنفين او ثلثة * محققًا دايمًا من الحوادث الكائنة المنتظر كونها * الاّ انهُ مع ذلك قد قال وفعل افعالاً جزيلاً تقديرها * واذ كانوا مع ذلك اضعف تمييزًا. ما اكتفى بهذه الاقوال والافعال. لكنهُ بالفاظٍ اخرى قمع معاندتهم. اذ قال .. لست اقدر ان اعمل من ذاتي ولا شيأً * على نحو ما اسمع اقضي . وقضاي هو عدل * لانني لست اطلب المشية التي لي . لكنني التمس مشية مَن ارسلني * " لانهم لما توهموا انهُ يقول اقوالاً مستغربة مخالفة لاقوال الانبياء. لان اوليك الانبياء قالوا ان الله هو القاضي على الارض كلها * ومعنى ذلك . انهُ القاضي على الجنس الانساني * وهذا المعنى فداود النبي قد نادى بهِ في كل موضع من كلامهِ قائلاً .. انهُ ليقضي على شعوبهِ باستقامة قضائهِ * (" مزمور ع ٩) وقال .. الله قاضٍ عدل. قوي طويل الامهال * " (مزمور ع ٧ و ١٢) والانبياء كلهم وموسى قد قالوا هذا القول * والمسيح فقال .. ابي ليس يقضي على احد. لكنني انا هو القاضي * وهذا القول فيهِ ما يزعج اليهودي الذي سمعهُ حينئذٍ . ويصيرهُ ايضًا ان يتوهمهُ ضدًا لله . فتحدر ههنا في كلامهِ كثيرًا . تحدرًا يبلغ تقديرهُ الى المقدار الذي يطالبهُ بهِ ضعفهم * حتى يقتلع توهمهم هذا المهلك ويزيلهُ * فقال .. انا لست اقدر ان اعمل من ذاتي شيأً * " ومعنى ذلك هو ما تبصرون مني فعلاً كائنًا غريبًا مخالفًا . ولا عملاً ليس يريدهُ ابي * فقال اولاً انهُ ابن

انسان* واراهم انهم قد توهموهُ مع ذلك انساناً* فعلى هذه الجهة قال ههنا .. على نحو ما اسمع اقضي* "
فعلى نحو ما قال فوق هذا الموضع .. ما سمعناهُ نقولهُ . وما ابصرناهُ نشهد بهِ* " فقال يوحنا السابق
.. ما ابصرهُ يشهد بهِ . وشهادتهُ ليس يقبلها احد* " فقالا هذين القولين كلاهما في ذكر المعرفة البليغة*
وما قالا ذلك في ذكر سمعٍ وبصرٍ محسوسين * فعلى نحو ذلك اذا قال ههنا سمعاً . فليس يظهر معنى
آخر . الأَّ ان ممتنعاً ان يريد هو مراداً آخر . الاّ ما يريدهُ ابوهُ* الاّ انهُ ما قال ذلك قولاً واضحاً* لانهم
ما كانوا قد اقتبلوا ذلك من عزمٍ متقوم . اذ سمعوهُ قائلاً هذا القول * لكنهُ خاطبهم خطاباً متحدراً
معهم . وعلى معنى الانسانية جداً* فقال .. على نحو ما اسمع اقضي* " فهنا ايضاً ليس قولهُ تعليماً . لانهُ
ما قال على نحو ما اعلم واعرف . لكنهُ قال على نحو ما اسمع . ولكنهُ ما قال هذه الالفاظ قول محتاج
الى سماع . لانهُ ما كان عديماً ان يكون محتاجاً الى تعليم وتعريف فقط . لكنهُ قد كان ايضاً عديماً ان
يحتاج الى سماع * وانما قال هذا القول موضحاً ايتلاف قضيتهِ وامتناع تخالفها * كانهُ قال انا اقضي
على هذا المثال . كاَن ابي بعينهِ هو القاضي لما اقضيهِ* ثم قال ايضاً .. وقد عرفت ان قضاي هو
عدل* لانني لست اطلب مرادي . لكنني اطلب مراد مرسلي* " وانا اتجاسر ان اسالهُ* ماذا تقول :
تملك مشية غير مشية ابيك : مع انهُ قال في موضعٍ آخر .. مثل ما انا وانت نحن واحد (حين تكلم
في المشية) اعطِ هولاء ان يكونوا فينا واحداً* " ومعنى هذا . هو ان يكونوا في ايمانهم بنا واحداً* أرأيت
ان الفاظهُ المظنونة انها اكثر من غيرها ذليلة . هذه هي الحاوية المعني العالي مستوراً فيها * لان القول
الذي ذكرهُ ذكراً غامضاً هذا هو* ان ليست مشية ابي اخرى . ومشيتي انا غيرها . لكن كما ان اتمييز
واحد مشيةً واحدة . فكذلك لي ولابي مشية واحدة* لا تستعجب ان كان يذكر ايتلافاً هذا مقدارهُ* فان
بولس قد استعمل في وصف الروح هذا المثال . اذ قال .. مَن هو من الناس قد عرف خفيات
الانسان . الاّ روح الانسان التي فيهِ : فكذلك خفيات الله ما عرفها عارفٌ . الاّ روح الله* " (قرنثيه
اولى ص ٢ ع ١٥) فما ذكر لفظاً آخر الاّ هذا اللفظ* ان ليس يوجد لي مشية اخرى خاصة غير مشية
ابي* لكن ذاك كان يريد مراداً . فذاك المراد انا اريدهُ* وان اشاء انا شيأ . فهذا يشاءهُ ذاك* وكما ان
احداً ليس يشكوني في قضاي . لان القضيتين كلتيهما ابتدئتا من رأيٍ واحد بعينهِ* وان كانت هذه
الالفاظ تقال قولاً اليق بالانسانية . فلا تستعجب ذلك* لانهم قد ظنوا انهُ انسان ساذج ايضاً* فلذلك

نحتاج اكثر احتياجاً في هذه الالفاظ. ان لانستبحث عن الاقوال التي يقولها فقط. لكن ينبغي ان نضيف الى ذلك البحث عن ظن سامعيها * وعلى هذا النحو نسمع الاقوال التي يقولها كانها قد قيلت تعتمد ظن اوليك * والاَّ فستتبع الاقوال شناعات كثيرة * لان تامل قولهُ .. لست اطلب المشية التي لي *" فهل مشيته هي اخرى ناقصة جدًا: وليست ناقصة على بسيط ذات النقص. لكنها ليست نافعة * والاَّ فان كانت مشيتهُ موافقة لمشية ابيهِ . فلمَ لا يطلبها: لان الناس على جهة الواجب يقولون هذا القول. من طريق انهم مالكون مشيات كثيرة مظنونة عند الله * فلمَ قال هو هذا القول. اذ هو معادلٌ لابيهِ في افعالهِ واوهامهِ كلها: لان هذه اللفظة ليس يقول انها توجد لرجلٍ مستقصى ومصلوب * لان بولس ان كان على هذا النحو مزج ذاتهُ في مشية الله . حتى لتجه لهُ ان يقول .. لست انا حيٌّ ايضًا بل المسيح حيٌّ فيَّ *" (غلاطيه ص ٢ ع ٢٠) فكيف قال سيد البرايا كلها،، انني لست اطلب المشية التي لي. لكنني التمس مشية مَن ارسلني :" كأن مشية ذلك بالحقيقة مشية اخرى: فما هو القول الذي قد قالهُ: على ما يلوح لي انهُ يبرز القول كانهُ في انسان . ويعتمد بهِ ظن سامعيهِ . اذ كان من الاقوال التي قالها فيما سلف . قد بيَّنَ ما قد قيل * اذ قال اقوالهُ بعضها بلفظ لايق بالله . وبعضها بلفظ لايق بانسان * وقد اصلح ايضًا اقوالهُ باعيانها من طريق انهُ انسان . وقال ،، لان قضاي عدل هو *" وهو يبين من اين يكون واضحًا ،، انني لست اطلب مشيتي . لكن مشية مَن ارسلني *" وكما ان المتخلص في الناس من حُب ذاتهِ . ليس يتجه عليهِ على جهة العدل ان يُشكى بانهُ قد حكم حكمًا زايغًا عن الواجب . فكذلك ما يقدرون الان ان يطعنوا عليَّ بانني قلت قولاً زايغًا عن الواجب * لان من يشاء ان يثبت اقوالهُ لعسى يتهمهُ اناس كثيرون بانهُ قد افسد الحكم العدل * فاما من ليس يتامل حقوقهُ . فاية حجة يملكها . اذا لم يحكم حكومات عدلة: فاستفحصوا اذًا هذا الفكر فيَّ * لانني ان كنت ما قلت ان ابي ارسلني . وان كنت لم ارفع اليهِ شرف الايات الكائنة. فلعل قد توهم متوهم منكم . لانني لايثاري ان اصيِّر ذاتي بهيًا . لست اقول ما يوجد حقًا * فان كنت احسب الايات الكائنة لآخر . وانسبها اليهِ . فلمَ: ومن اين ينساغ لكم ان تتوهموا ما اقولهُ: أرائت الى اية غاية احدر كلامهُ: ومن اية جهة قال ان القضاء الذي لهُ يوجد عادلاً: فمن هذه الجهة لما احتج . قال حجة واحدة من حجج كثيرة * أرائت ان ما قلتهُ انا دفعات كثيرة يلمع لمعانًا واضحًا: وان سالت . وما الذي قلتهُ: آجيبك . هو ان تفاقم تذلل

الفاظه اكثر من كل حجة يحقق عند العقلاء · ان لا يسقطوا في الارتياب · اذا قبلوا ما يقوله من تاهب له واستعداد * لكنه يجعلهم ان يصلوا الى علو معانيها * وينهض بسهولة كثيرة · المسيحيين على الارض قليلاً قليـلاً *

العظة التاسعة والثلثون

في زوال الحقد · وفي الصدقة · وانه ينبغي لنا لا ان نوجد بسيطين فقط · لكن سبيلنا ايضاً ان نكون فطونين في اراء ديننا · وفي عيشتنا *

فاذ قد تفهمنا هذه الاقوال كلها · فلا نتجاوزن الالفاظ التي قيلت على بسيط ذات التجاوز * لكن فلنستبحث عنها كلها بابلغ الاستقصاء · متصفحين في كل موضع علة الالفاظ التي قد قيلت * ولا نظنن ان غباوتنا وسداجتنا فيها كفاية لنا للاعتذار عنا * لان سيدنا ما اوعز الينا ان نكون وديعين فقط · لكنه قد امرنا ان نكون فطونين ايضاً * فينبغي لنا ايضاً ان نحكم اذاً الفطنة مع الوداعة في اراء ديننا · وفي افعال عيشتنا التي نحكمها * ونحاكم ذواتنا ههنا · حتى لا يوجب الحكم علينا حينيذٍ مع العالم · ونصير على هذا المثال للذين يواخوننا في العبودية · على مثال ما نشاء ان يصير سيدنا لنا * لاننا نقول له ,, اصفح لنا عن ذنوبنا · كما نصفح نحن لغرمائنا * ,, وقد عرفت ان نفسنا اذا جرحت ما تحتمل ذلك بوداعة · الا اننا اذ تفهمنا اننا ما نجود بالاحسان على محزننا · لكننا انما نجود به على ذواتنا * فسيسهل سريعاً سم غيظنا * وبيان ذلك ان الذي لم يسمح للمذنب اليه بماية دينار · ما ظلم ذاك الذي يواخيه في العبودية · ولا ضره · لكنه انما جعل ذاته مطالباً بقناطير جزيل عددها * وهي التي قد كان حصل له فيما سلف المسامحة بها * فاذا لم نصفح عن آخرين فما قد صفحنا عن ذواتنا * فلا تقولن لاهنا فقط لا تذكر خطايانا · لكن فليقل كل منا لنفسه · لا تذكر خطايا قريبك الكائنة منه اليك * لانك انت اولاً تحكم على الجنايات التي لك على رفيقك · وبعد ذلك يتبع الله قضيتك انت الذي تكتب الشريعة التي في الصفح وفي العقوبة ايضاً · وتبرز القضية من اجل هذه الاصناف · وانت هو صاحب ان يذكر الله خطاياك · وان لا يذكرها * ولهذا السبب يامرنا بولس ان نصفح : اذا امتلك احدنا لوماً على رفيقه * وما امرنا ان نصفح على بسيط ذات الصفح · لكنه اوعز الينا ان نزيل اللوم حتى لا يبقى له اثر * اذ المسيح الهنا

المقالة الاربعون

في قولهِ (٣١) ان كنت انا اشهد لذاتي. فشهادتي ليست صادقة* (٣٢) آخر هو الذي يشهد لي* وقد عرفت ان شهادتهُ صادقة* التي يشهد بها لي

ان تعاطى متعاطٍ ان يحتفر موضعًا معدنيًا. وكان غبيًا في هذه الصناعة. فليس من شانهِ ان يبتدع ذهبًا. اذ يخلط كل ما يعملهُ على بسيط ذات التخليط. ويقاسي تعبًا ضارًا قد عدم ان يكون نافعًا* فكذلك الذين ما يعرفون نظام الكتب الالهية. ولا يبحثون عن شرايعها وخواصها لكنهم يتناولون ساير الفاظها بمعنى واحد على بسيط ذات التناول. ويعجنون ذهبًا مع تراب. وما يصادفون في وقتٍ من اوقاتهم الذخيرة المخزونة فيها* فهذه الاقوال قلتها الان. لان الموضوع الذي قد حفرنا الكلام فيهِ يحوي لعمري ذهبًا كثيرًا* الا انهُ ما يستبين واضحًا. لكنهُ مطمور باغماض كثير من فوقهِ* فلذلك يحتاج اناسًا يحتفرون وينظفون ما فوقهُ. حتى يصلوا الى اخلص معانيهِ واخصّها بهِ* لان من ليس يرتجف في الحين. اذا سمع المسيح قايلاً ,, ان كنت اشهد انا لذاتي. فشهادتي ليست هي صادقه: ,, لانهُ قد استبان انهُ شهد لذاتهِ في جهات كثيرة* لانهُ قال حين خاطب السامرية ,, انا هو المسيح* ,, وقد قال للاعمى ,, الذي يكلمك هو ذاك* ,, وقد قال لليهود ,, كيف تقولون انتم انك تجدف. لانني قلت انني ابن الله: ,, وهو يعمل هذا العمل في وجوهٍ كثيرة من فوق هذا القول* فلذلك يحتاج اناسًا يحفرون وينظفون ما فوقهُ. حتى يصلوا الى اخلص ما فيهِ معانيهِ واخصّها بهِ* فان كانت تلك الاقوال كلها كاذبة. فاي رجاء خلاص يكون لنا: ومن اين نجد الحق. اذا كان الحق بعينهِ يقول. ان شهادتي ليست هي صادقة: وليس هذا القول وحدهُ يُظَن انهُ قولٌ متضادٌ. لكن قولهُ الاخر ايضًا. الذي ليس هو دون هذا. لانهُ اذا امعن في كلامهِ قال ,, وان اشهد انا لنفسي. فشهادتي صادقة هي* ,, فقُل لي ايهما اقتبل. وايهما اظنهُ كاذبًا: ان اتخذنا الكلام على هذا النحو على نحو ما قبل. ولم يبحث عن وجه ذلك. ولا عن علتهِ. ولا عن غرض من هذه الاغراض وامثالها. فيكون القولان كلاهما كاذبين* لان شهادته ان كانت ليست هي صادقة. ولا قولهِ بعينهِ صادق* ليس القول الثاني فقط. لكن وقولهُ الاول ايضًا* فما هو المعنى القول الذي قد قيل: فبنا حاجةٌ الى سهرٍ كثير. واولى

ما يُقال انا نحتاج الى نعمة الله . لكيلا نتيه في الفاظ ساذجة* لان ذوي بدع الهوى في الدين ، على هذه الجهة انخدعوا . اذ لم يبحثوا عن غرض المتكلم . ولم يستفحصوا ملكة سامعيه* لانه متى لم نستصحب هذه الاصناف وغيرها . كذلك نستصحب اوقات الكلام ومواضعه . وعزم سامعيه ، والا فستتبع الكلام شناعات كثيرة* فما هو اذًا معنى ما قد قيل : انا اقوله . لما اعتزم اليهود ان يقولوا له . ان شهدت انت لنفسك . فشهادتك ليست هي صادقة* فلهذا الغرض سبقهم هو فقال هذه الاقوال * كأنه قال لعساكم تقولون لي . اننا ما نصدقك انت : لان على نحو ما يقال في اناس . ان من يشهد باسراع لنفسه . ليس هو موهلاً لتصديقه* فلفظة ليست هي صادقة ليس ينبغي ان تقرأ على بسيط ذات قرآتها . لكن ينبغي ان تقرأ اذا اضفنا اليها توهم اوليك اليهود فيه* كقولك انها عندهم ليست صادقة* لانه ما تكلم هذه الالفاظ يعتمد بها رياسته . لكن انما يعتمد بها توهم اوليك فيه* فاذا قال ،، شهادتي ليست هي صادقة . ،، انما يبخ عزم اوليك . ويقرع ذلك المعاندة المزمعة ان تصدر من اوليك اليه* واذ قال ،، وان اشهد انا لنفسي فشهادتي صادقة هي ،، فانما قد اوضح طبيعة الحق بعينها . وانه اذا تكلم عن ذاته . فينبغي ان يعتقد انه اله موهل لتصديقه* لانه لما ذكر قيامة الموتى والقضاء عليهم . وان من يصدقه ليس يحاكم . لكنه يجي الى حياته . وانه يجلس مطالبًا للناس كلهم بالجميع . وانه يمتلك السلطان والقدرة بعينها الذين لابيه . فاذ اعتزم ان يصلح هذه الاقوال كلها . وضع معارضتهم اولة على جهة اخرى ضرورية* فقال .. قد قلت ان مثل ما ان ابي يقيم الاموات ويحييهم . مثل ذلك يحيي ابنه الذين يشاء* ،، قد قلت ،، ان ابي ليس يقضي ولا على احد . لكن القضاء كله اعطاه للابن* ،، قد قلت ،، انه ينبغي ان يكرم الابن مثل ما يكرم الاب* ،، قد قلت ،، من ليس يكرم الابن فليس يكرم اباه* ،، قد قلت ،، ان من يسمع اقوالي ويصدق مرسلي . ليس يعاين محاكمة . لكنه قد انتقل من الموت الى الحيوة* ،، قد قلت ،، ان صوتي ينهض الاموات . الذين قد ماتوا الان . والذين يموتون فيما بعد* قد قلت ،، انني اطالب الناس كلهم بجواب عن الهفوات التي اجترموها* قد قلت ،، انني افضي قضاء عدلاً . واكافي الذين قد احكموا الفضائل* فلما كانت هذه الاقوال كلها قضية جازمة . وكانت هذه الالفاظ التي قد قيلت عظيمة* ولم يكن بعد قد قيل لاوليك اليهود برهان واضح بحقيقتها . لكن برهان غامض فحين ازمع ان ينهض الى الايقابلان لالفاظ التي قالها . وضع اولاً هذا القول . بقوله على هذا

النحو. وان كنتم ما قد نطقتم بعد بهذه الالفاظ. لكن لعلكم تقولون هذه الاقوال كلها انت تقولها.
فلست شاهداً موءهلاً للتصديق. اذ تشهد لنفسك* وتقض منازعتهم اياهُ بوضعهِ هذا القول اولاً.
الذي ازمعوا ان يقولوهُ. وبايضاحهِ انهُ قد عرف اقوال سريرتهم الفاقدة التكلم بها. اذ خوَّلهم هذا
برهاناً لقدرته اولاً. وخوَّلهم بعد هذه المعارضة براهين اخرى واضحة ناجية من الطعن عليها* اذ اورد
الاقوال التي قالها ثلثة شهود. احدهم الاعمال الكائنة منهُ* وثانيهم شهادة ابيه* وثالثهم انذار يوحنا
بهِ* ووضع ادناهن وهي شهادة يوحنا اولة. لانهُ قال "آخر هو الشاهد لي. وقد عرفت ان
شهادته هي صادقة." (٣٣) استثنى بقولهِ .. انتم ارسلتم الى يوحنا فشهد للحق*" وانا اتجاسر
فاقول لهُ. ياسيدي. ان كانت شهادتك ليست هي صادقة. فكيف تقول انني قد عرفت ان شهادة
يوحنا صادقة. فشهد للحق: أرأيت ياسامع كيف قد استبان في هذه الجهة بياناً واضحاً. ان لفظة
شهادتي ليست هي صادقة. انما قالها يعتمد بها توهم اوليك اليهود: ولعل معارضاً يقول. فما قولك ان
كان شهد لهُ بتمجيدٍ: فنقول لهُ. حتى لا يقولوا هذا القول. انظر كيف ازال هذا التوهم. لانهُ ما قال ان
يوحنا شهد لي. لكنهُ قال اولاً .. انتم ارسلتم الى يوحنا*" فما ارسلتم اليهِ. لولا انكم احسبتموهُ موءهلاً
للتصديق* واعظم من هذا الاحتجاج. انهم ما ارسلوا اليهِ يسالونهُ عن المسيح. لكنهم انما ارسلوا يسالونهُ
عن نفسهِ* فمن ظنوا انهُ موءهل للتصديق في اقوالهِ عن ذاتهِ. فاولى بهِ ان يكون موءهلاً للتصديق
في اقوالهِ عن غيرهِ* لاننا نحن الناس كلنا في طباعنا (على ما يُقال) ان لا نصدق على هذا النحو
القائلين قولاً عن انفسهم. على نحو ما نصدّق القائلين عن غيرهم قولاً* فهذا يوحنا استشعروهُ على هذا
المثال موءهلاً للتصديق* كأنهُ في اقوالهِ عن نفسهِ ليس يحتاج الى شهادةٍ اخرى* لان المرسلين اليهِ
ما قالوا لهُ ما الذي تقولهُ عن المسيح: لكنهم قالوا لهُ .. انت مَن انت: ماذا تقول عن نفسك:" فعلى
هذه الصفة امتلكوا تعجبهم من يوحنا عظيماً* فهذا المعنى كلهُ اعتمدهُ اعتماداً مستوراً بقولهِ .. انتم ارسلتم
الى يوحنا*" ولهذا الغرض ما ذكر البشير انهم ارسلوا فقط. لكنهُ تعمق مع ذلك في وصف المُرسَلين.
انهم كانوا كهنة من الفريسيين. وما كانوا محقورين ادنياء المحل. ولا مُطرحين* ولا كانت حالهم حال
مَن ينفسد رايهم ويتغافل عنهم* لكنهم كانت فيهم كفاية. ان يعرفوا ما يقولهُ ذاك الفاضل بابلغ استقصاء*
ثم قال (٣٤) .. وانا لستُ استمد الشهادة من انسان*" فقد يجوز ان يُقال لهُ. فلمَ اوردت شهادة

يوحنا: على ان شهادة ذاك ما كانت شهادة انسان * لانهُ قال ،، الذي ارسلني اعمد بالماء . ذاك قال لي *'' فمن هذه الجهة شهادة يوحنا كانت شهادة الله * لانهُ من الله عرفها . وقال ما قالهُ * ولكن لكيلا يقولوا من اين هذا واضح انهُ من الله عرف ذلك : ويذمون هذه الاقوال . ابكمهم من سمو محلهِ * اذ خاطبهم ايضاً نحو توهمهم * لانهُ ما كان واجباً ان يعرف هذه الاقوال كثيرون * لكنهم اصغوا الى يوحنا كقائلها من ذاتهِ في ذلك الحين * لهذا الغرض قال .. انا لست استمدُّ الشهادة من انسان * '' ولو استخبرهُ مستخبر . فان كنت ما تستمدُّ الشهادة من انسان . وان تتائد من هذه الجهة . فلمَ اوردت شهادتهُ : فحتى لايقولوا هذه الاقوال . اسمع كيف تلافى ذلك . بايرادهِ معارضة هذه صفتها * لانهُ اذ قال .. انا لست استمدُّ الشهادة من انسان * '' استثنى بقولهِ .. لكنني اقول هذه الاقوال . لتخلصوا انتم * '' فالذي يقولهُ معناهُ هو هذا * انا لاجل انني لم ازل الهًا . ما احتجت الى شهادة انسانية * فاذ كنتم انتم اصغيتم اليهِ اكثر . واحتسبتموهُ موهلاً للتصديق اكثر من جميع اهل عصرهِ . وبادرتم اليهِ كمتبادرين الى نبي . (لان المدينة انبث أهلها الى الاردن) وما صدقتموني انا المجترح الايات . لهذا السبب اذكركم بتلك الشهادة * قال (٣٥) .. ذاك كان السراج المتوقد الظاهر . فاردتم انتم ان تبتهجوا في ضوءِ مقدار ساعة * '' لان حتى لايقولوا . وماذا علينا ان كان ذاك قال . ونحن فلم نقبل قولهُ : فاراهم انهم قد اقتبلوا الاقوال التي قالها * لانهم ما ارسلوا اليهِ الا نيا المحل عندهم . لكن كهنة وفريسيين . وارادوا ان يبتهجوا في ضوءِ * فعلى هذه الصفة استعجبوا يوحنا * وما انساغ لهم ان يرادوا حينئذٍ الاقوال التي قالها لهم * ولفظة .. مقدار ساعة . '' هي لفظة موضحة سهولة جنوحهم * وانهم ولّوا عنهُ طافرين بمسارعة * ثم قال (٣٦) .. فانا امتلك شهادة اعظم من شهادة يوحنا * '' لانكم ان شئتم ان تقبلوا على مساق القياسات الامانة بي . فقد اقتدتكم اليها من اعمالي اكثر اقتياداً . فاذ كنتم لم تريدوا . انا اسوقكم الى يوحنا . ليس سوق محتاج الى شهادة ذاك . لكن لانني اعمل كل عمل حتى اخلصكم * لانني امتلك شهادة اعظم من شهادة يوحنا . الشهادة التي من اعمالي * لكنني لستُ اراصد هذا الغرض فقط . وهو ان اصير من الشهادات الموهلة لتصديقها مقبولاً عندكم . لكنني اريد ان اكون مقبولاً عندكم من الاقربين اليكم المستعجبين عندكم * ثم لذعهم بقولهِ .. انكم اردتم ان تبتهجوا في ضوءِ مقدار ساعة * '' واوضح حرصهم الوقتي الفاقد ثباته * فدعاهُ سراجاً . موضحاً انهُ ما امتلك ضوءهُ من ذاتهِ . لكن من نعمة الروح

القدس * الا انهُ ما وضع في قولهِ الفرق فيما بين ذاك وبينهُ . لانهُ هو كان شمس العدل * الا انهُ ما
اعتمد ذلك اعتماداً مستوراً فقط * ولذعهم لذعاً شديداً * اذ اراهم ان من عزمهم بعينهِ الذي منهُ تهاونوا
بيوحنا . ما قدروا ان يصدقوا المسيح * لانهم لما استعجبوا المستعجب عندهم مقدار ساعةٍ فقط * فلو لم يعملوا
هذا العمل . لكان قد اقتادهم الى عند المسيح سريعاً * فاذ اراهم من كل جهةٍ . انهم قد عدموا ان
يكونوا لهُ مؤهلين للعفو . استثنى بقولهِ .. انا امتلك الشهادة اعظم من شهادة يوحنا * " وهي الشهادة من
اعمالهِ * لانهُ قال .. الاعمال التي اعطانيها ابي لكي اتممها . هذه الاعمال بعينها تشهد لي . ان ابي ارسلني * "
فههنا اذكرهم بالمخلع الذي شددهُ وقوّمهُ . وبسقمى كثيرين آخرين * ولعل قائلاً منهم قد قال . ان
اقوالهُ توجد تبدخاً * وشهادة يوحنا هي لهُ تمجد بسبب صداقته اياهُ * على ان هذا القول ما كان ممكناً
لهم ان يقولوهُ عن يوحنا (الرجل العارف ان يتفلسف بابلغ التفلسف المستعجب عندهم على هذه
الصفة) فافعالهُ اذاً ما امكن ولا عند المصروعين جداً المجانين ان يتوهموا فيها هذا التوهم * فلهذا
السبب اورد شهادة ثانية * بقولهِ .. الاعمال التي اعطانيها ابي لكي اتممها . هذه الاعمال باعيانها التي انا
اعملها . تشهد لي ان ابي ارسلني * " فههنا ينتصب لثلبهم اياهُ على حل السبت * لانهم اذ قالوا . كيف يمكن
ان يكون من الله : لانهُ ليس يحفظ السبت * لهذا المعنى قال .. التي اعطانيها ابي * " على انهُ قد عملها
بتاةً مرةٍ * الا انهُ اراهم بايضاحٍ كثير انهُ ليس يعمل عملاً مضاداً لابيه * فلهذا السبب وضع القول الادون
كثيراً * لانهُ لم يقل ان الاعمال التي اعطانيها ابي تشهد انني عديلٌ لابي * لان الصنفين كليهما كانا
يُعرَفان من اعمالهِ . انهُ عديلٌ لوالدهِ * وذلك فقد ابتدعهُ في موضع آخر فقال .. ان كنتم ما
تصدقوني فصدقوا اعمالي * لتعرفوا وتوقنوا انني انا في ابي . وابي فيَّ * " فالصنفان كلاهما كانا يشهدان
لهُ . انهُ كان عديلاً لابيهِ . وانهُ ما عمل عملاً ضداً لوالدهِ * فان قلت فلمَ ما قال هذا القول . لكنهُ
ترك القول الاعظم . ووضع هذا القول : أجبتك . لان الغرض المحروص عليهِ اولاً . هذا كان
تصديقهم انهُ جاء من الله . وهو ادنى بكثير من تصديقهم انهُ هو الهُ عديلٌ لابيهِ * لان ذاك الصنف
الاوَّل قد كان مناسباً للانبياء . وهذا الصنف الثاني فليس يناسبهم * الا انهُ مع ذلك حرص حرصاً
كثيراً من اجل التصديق الادنى . عالماً انهم اذا اقتبلوا هذا التصديق الادنى . صار ذاك التصديق
الاعلى مقبولاً عندهم فيما بعد سريعاً * ولما ذكر الشهادة التي اعلى واعظم . وضع الفعل الادنى منها حتى

يتبلوها* ثم قال (٣٧) .. والاب الذي ارسلني فقد شهد لي* " فان سالت واين شهد له: احببتك . في الاردن قائلاً .. هذا هو ابني الحبيب . فاسمعوا منه* " الا ان هذا القول احتاج تثبيتاً* لان قول يوحنا كان واضحاً . لانهم هم ارسلوا . وما انساغ لهم ان ينكروهُ* والشهادة التي من عجائبه على مشابهة الملك* لانهم ابصروها عند كونها . وسمعوها من الذين شفوا . وصدقوها * ومن هذه الجهة اشتكوهُ بافتعالها في السبت . فبقي ان يبيّن فيما بعد الشهادة التي من عند ابيه* ثم اعتزم ان يثبتها فقال .. ما سمعتم صوتهُ قط* " وكيف قال موسى .. ان الله تكلم . وموسى جاوبه* " وكيف قال داود .. سمعوا صوتاً ما كانوا عرفوهُ: " (خروج ص ٩ ع ١٩) وقد قال موسى ايضاً .. ان كانت توجد امة هذه الحال حالها . قد سمعت صوت الله . ولا رائتم صورته " (تثنية ص ٤ ع ٣٢) على ان الانبياء يتقولون انهم قد رأوهُ . واشعيا . وارميا . وحزقيال . واخرون اكثر من هولاء * فان قلت . فما الذي قاله المسيح: اجبتك . انهُ صاعدهم قليلاً قليلاً الى راي فيلسوف . موضحاً ان ليس في الله صوت . وليس له صورة . لكنهُ هو اعلى من كل الاشكال والنغمات التي هذه صفتها * وكما انهُ لما قال انكم ما سمعتم صوتهُ قط . ما ذكر هذا المعنى انهُ يبدي صوتاً . الا انه ليس مسموعاً . فكذلك لما قال ولا رأيتم صورته . ما ذكر هذا المعنى انه يمتلك صورةً * الا انها ليست ملحوظة . لكنهُ انما قال ان ليس في الله صنف من هذه الاصناف * لان حتى لا يقولوا انك تتبدخ متنخماً . الله قد كلّم موسى وحدهُ * وقد قالوا هذا القول نحن قد عرفنا ان الله كلّم موسى . وهذا فما نعرف من اين هو * قال ليس في الله صوت . ولا له صورة . وما معنى قولي: زعم انكم لستم ما قد سمعتم صوتهُ فقط . ولا رأيتم صورتهُ بل ولا الفعل الذي قد تفاخرتم بهِ اكثر مفاخرة . ولا الذي قد حصلتم كلكم موقنين به اكثر ايقاناً . انكم قد قبلتم اوامره وتمسكتم بها * ولا هذا ممكن لكم ان تقولوا انكم قد فعلتموهُ * فلذلك استثنى بقوله (٣٨) .. ولا قد ملكتم كلامهُ ثابتاً فيكم * " وكلامهُ هذا هو . فرايضهُ . اوامرهُ شريعتهُ . انبياءيه * ولين كان الله قد اوعز بهذه الاوامر الا انها مع ذلك ليست هي موجودة فيكم . اذا ما صدقتموني * لان الكتب ان كانت قالت هذا القول فوق واسفل . انهُ يجب عليكم ان تصغوا اليَّ . فانتم ما صدقتموني . فواضح ان كلامهُ قد انتزح عنكم * ولهذا السبب استثنى بقولهِ .. لان مَن ارسلهُ ذاك ما صدقتموهُ انتم * " ثم لكيلا يقولوا . فان كنا ما سمعنا صوتهُ فكيف شهد لك: قال فتشوا الكتب . فتلك هي التي تشهد لي * لانهُ بها شهد لي * مع انهُ في

الاردن قد شهد لي*وفي الطور*الا انهُ ما اورد الى وسط كلامهِ تلك الاصوات*لانهم لعلهم كانوا قد انكروها. لان الصوت المنحدر من الجبل ما سمعوهُ هم* والكاين في الاردن قد سمعوهُ لعمري. الاَّ انهم ما اصغوا اليهِ*لهذا السبب ارسلهم الى الكتب. موضحًا ان شهادة ابيهِ من هناك هي*فاولاً بطَّل الاخبار العتيقة التي تفاخروا بها. اما بانهم قد عاينوا الله. واما بانهم قد سمعوا صوتهُ. لانهُ اذ كان واجبًا ان ينكروا صوتهُ. وان يتخيلوا الحوادث الحادثة في طورسينا. تلافى اولاً توهمهم في تلك الحوادث. واراهم ان تلك الحوادث الكائنة كانت تحدرًا ومقاربة لهم. وارسلهم حينئذٍ الى شهادة الكتب

العظة الاربعون

في انهُ ينبغي لنا ان نتصفح معاني الكتب بحرصٍ كلي. ونواظب على ذلك بابلغ الاجتهاد* وفي ان من يعمل الوصايا كلها من اجل الله هو كامل في فضيلته* وفي الصدقة ايضًا*

فمن هذه الجهة نتائد نحن. اذا حاربنا ذوي بدع هواهم في ديننا. ونتدرع الفاظ الكتب الالهية سلاحًا عليهم* ،،لان كل كتاب هاجس من الله. هو نافع لتعليمنا وتوبيخنا. وتلافينا واصلاحنا. ولتاديبنا في العدالة والبر*ليكون صاحب الله كاملا. متكاملاً في كل عملٍ صالح*" (تيموثاوس ثانية ص ٣ ع ١٦) ليس حتى يمتلك بعض الصالحات. ولا يملك بعضها*لان مَن هذه سجيتهُ. ليس هو كاملاً*لان قل لي. ما منفعتك. اذا كنت تصلي صلاة متصلة. ولست ترحم رحمة واسعة: او اذا كنت ترحم رحمة واسعة. وتستكثر من القنية. وتغصب رفيقك: او اذا كنت ما تستكثر من القنية. ولا غاصبًا لرفيقك. ولا مستغنمًا اياهُ. وكنت تعمل كل ما تعملهُ من الفضائل لتريه للناس. وللتباهي بهِ عند الناظرين: او اذا كنت ترحم بابلغ الاستقصاء واكثره. رحمةً تعتمد بها ارضاء الله. ثم تترفع بها وتستعظم: او اذا كنت متواضعًا جانحًا الى الاصوام. وانت محبٌّ للفضة. متاجرٌ. متسمرٌ في الارض. مولجٌ الى نفسك ام الرذايل كلها: لان ،، اصل الشرور كلها. هي محبة الفضة*" كما قال الرسول*فلنرهبنَّ هذا العارض* ولنهربنَّ من هذه الخطية*لان مرض حب الفضة جعل المسكونة مسلوبة ثباتها. هذا الداء بلبل احوالها كلها*هذا الوجع يحجزنا من الخدمة السعيدة للمسيح والتعبد له*لانهُ قال ،،لا سبيل لكم ان تتعبدوا

الله · ولغصب المال* " لانه يوعز بخلاف ايعاز المسيح · لان المسيح يوعز الينا بالاعطاء للمحتاجين*
وغصب المال يامر باختلاس اشياء المحتاجين*المسيح يقول . اغفر للذين يغتالون عليك ويظلمونك*
وهذا يقول · اخترع فخاخاً للذين لم يظلموك*المسيح يقول · كن محبًا للناس مرافقا انيساً*وهذا يقول ·
كن جافيًا قاسيًا · ولا تحتسب دموع الفقراء شيًا*حتى يصير القاضي صارمًا علينا · لان في ذلك الحين
تحضر الاعمال التي عملناها كلها لدى الحاظنا · والذين ظلمناهم وسلبناهم يعطفوننا عن كل اعتذار* ولين
كان العازر ما ظلمهُ الغني ظلمًا · واذ لم يستمتع بخيرات ذاك الغني · انتصب لهُ ثالبًا مستمرًا · وما
تركهُ يمتلك من العفو ولا صنفًا واحدًا*فقل لي · اي اعتذارٍ يمتلكهُ الذين ما يرحمون مما يمتلكونهُ ·
ويستلبون الاشياء التي ليست لهم · ويقلبون بيوت اليتامى : ان كان الذين ما اطعموا المسيح عند جوعهِ
استجذبوا الى روسهم نارًا جزيلاً تقديرها . فالخطاطفون الاشياء التي ليست واجبة لهم . ويضفرون من
الظلم صنوفًا جزيلاً عددها . ويستحوذون على املاك جميع الذين يستضعفونهم باشد الظلم . اية تسلية
يستمتعون بها : فلنخرجنَّ من انفسنا هذا العشق الردي* وانما نخرجهُ · اذا تفطنا في الظالمين قبلنا
المستكثرين من القنيات · وفي حالهم بعد انصرافهم من الدنيا*أفما اناس آخرون يتمتعون باموالهم
واتعابهم . وهم قد حصلوا في عقاب وتعذيب . وفي مساوي معضلة مسلوبة تلافيها : وكيف ليست هذه
الافعال من جنون في اقصى غايتهِ . ان نتعب ونشقى · لكيما تمادى في الاتعاب طول مدا حياتنا ·
ونقاسي عقوبات وتعاذيب بعد انصرافنا من الدنيا مسلوبة ان نطيقها : وقد كان واجبًا ان نتنعم
ههنا * لان ليس فعل على هذا النحو يولد اللذة . مثل فعل الصدقة*واذا ذهبنا الى هنالك · تخلص
من البلايا كلها بهِ . ونمتلك النعم الصالحة الجزيل عددها * لان على نحو ما ان الرذيلة من عادتها ان
تعذب قبل جهنم الذين يستعملونها ههنا . على هذا النحو تجعل الفضيلة قبل الملكوت الذين يعملونها
ههنا ان يتنعموا باَمال صالحة . وتصيرهم ان يعيشوا في لذة دايمة * فلكيما يتفق لنا امتلاك هذه اللذة
ههنا · وفي الحيوة المتنظرة . فلنتمسك بالاعمال الصالحة · فاننا على هذه الجهة يتفق لنا تحصيل الاكاليل
المامولة * التي فليتفق لنا كلنا امتلاكها · بنعمة ربنا يسوع المسيح ونعطفه · الذي بهِ ومعه لابيهِ المجد مع
الروح القدس *الان ودايمًا · والى اباد الدهور كلها امين ❁



المقالة الحادية والاربعون

(٣٩) فتشوا الكتب . فانكم انتم قد ظننتم انكم تجدون فيها حياة دهرية * فتلك هي التي تشهد لي * (٤٠) وما تريدون ان تجيئوا اليَّ لتملكوا حياة دهرية

يا احباي . اذا اهتممنا اهتماماً جزيلاً بالمحامد الروحانية . ما نظن ان ممارستنا اياها كيفما اتفق فيه كفاية لنا لخلاصنا * ولين كانت اعمال الدنيا واشغالها ليس يستطيع احدنا اذا مارسها مراساً منحرفاً عن القصد وعلى ما اتفق . ان يستمد منها نفعاً عظيماً . فاولى واليق ان يعرض هذا العارض في الاعمال الروحانية * اذ كانت هذه تحتاج الى حرص اكثر دواماً * ولهذا المعنى ارسل المسيح اليهود الى الكتب ليس الى قراءة ساذجة لها . لكنهُ ارسلهم الى بحثٍ عنها بليغ متضنع * لانهُ ما قال اقرأوا الكتب . لكنهُ قال " فتشوا الكتب * " لهذا السبب يامرهم ان يحتفروها * لان اراء الاقوال التي قيلت من اجله تحتاج الى اهتمام كثير * (لانها قد سُتِرَت عن الكائنين في ذلك الحين بحجابٍ فوقها لما يوافقهم *) ليمكنهم ان يجدوا الفوايد الموضوعة في قعرها * لانها ما قيلت طافية على وجهها . ولا طُرِحت عند سطحها . ولكنها اذ محلها محل ذخيرة نفيسة . وُضِعت في قعرٍ كبير منها * ومَن يلتمس الاشياء الراسبة اسفل . ان لم يلتمسها بتعب وبابلغ الاستقصاء . فليس يمكنه في وقتٍ من الاوقات ان يجد مطلوبهُ * ولهذا المعنى قال " فتشوا الكتب . فانكم انتم قد ظننتم . انكم تملكون فيها حياة دهرية * " وما قال . قد ملكتم فيها * لكنهُ قال . قد ظننتم . موضحاً انهم ما استثمروا من هنالك شياء عظيماً جليداً * اذ توقعوا انهم يتخلصون من قراءتهم اياها وحدها . ولا تكون الامانة حاصلة لهم * فالذي يقولهُ معناهُ هذا هو . أفما قد استعجبتم الكتب . او ما قد توهمتم انها توجد عللاً لحياتكم كلها : فمن هذه الكتب اتايد انا الان * لان هذه هي التي تشهد لي * وما قد شيتم ان تجيئوا اليَّ . لتملكوا حياةً دهرية * فلفظة قد ظننتم انكم تملكون فيها . قد قالها على جهة الواجب * لاجل انهم ما ارادوا ان يقبلوا منها . لكنهم اثروا ان يفتخروا في قراءتها فقط الساذجة * ثم لكيلا من تلقاء اشفاقهِ الكثير عليهم يستمد عندهم ظن حب التشريف . وبسبب ايثارهم ان يصدقوهُ . يستشعروهُ يراصد حظ نفسهِ . لانهُ قد اذكرهم بصوت يوحنا . وشهادة الله . وباعمالهِ هو وقال

هذه الاقوال كلها . لكي يستجذبهم . ووعدهم حياة * واذ كان واجباً ان يتوهم كثيرون انه انما قال هذه الاقوال عاشقاً للتشريف منهم . اسمع ماذا قال (٤١) "لست استمد من انسان تشريفاً *" ومعنى ذلك هو لست احتاج * فطبيعتي ليست هذه الحال حالها . حتى انها تحتاج الى تشريف من الناس . ولئن كانت الشمس ما تستمد من ضوء سراجي زيادة . فانا ابتعد اكثر بعداً من ان احتاج الى تشريف انساني * فان قلت . فلمَ قال هذه الاقوال . اجابك هو "لتتخلصوا انتم *" لكن هذا القول قاله فوق هذا الموضوع . واعتمده هنا اعتماداً مستوراً بقوله ... "لتمتلكوا حياة * " ووضع ايضاً علة اخرى . وهي قوله (٤٢) . "الا انني قد عرفتكم . ان حب الله ما قد ملكتموه في ذواتكم * " لانهم على ما ذكروا لما احبوا الله طردوه هو . لانه صيّر ذاته ضداً لله . وقد عرف انهم ما يقبلون منه . فلكيلا يقول قائل له فلمَ يقول هذه الاقوال : يقول له اقولها . حتى اوبخكم انكم ما طردتموني لاجل حب الله . اذ كان الله يشهد لي بافعاله وانبيائه * لانكم على نحو ما توهمتم قبل هذا الوقت . انني ضد لله فطردتموني فكذلك الان منذ اوريتكم هذه الايات قد وجب عليكم ان تتبادروا الي . لو احببتم الله * الا انكم ما قد احببتموه * لان لهذا المعنى قلت هذا القول . حتى اوضحكم حاوين صلفاً زايداً . متفاخرين باطلاً . ساترين حسدكم . فاثبت هذه الاقوال ليس من هذه الاقوال وحدها لكن من الاقوال التي سيقولها . لانه قال (٤٣) . "انا جيت باسم ابي . فما قبلتموني * واذا جاءكم آخر باسم ذاته فاياه تقبلون *" ارايت انه فوق واسفل لهذا الغرض قال انه ارسل . وانه ياخذ القضاء من ابيه . وليس يقدر ان يعمل من ذاته شياً . ليحسم بذلك كل حجة لمكابرتهم * وان سالت . ومن هو الذي قال انه يجي باسم ذاته . اجبتك . انه هنا يذكر ضد المسيح ذكراً غامضاً * فوضع برهاناً على مكابرتهم يحتجز الطاعن عليه * وهو لانكم ان كنتم طردتموني انا لانكم احببتم الله . فاليق بكم ويجب عليكم ان تعملوا بضد المسيح هذا العمل * لان ذاك ليس يقول قولاً هذه صفته . لا ان اباه ارسله . ولا انه جاء براي ذاك * لكن اقواله كلها بخلاف ذلك . وهو انه يختلس على جهة الغصب الحظوظ التي ليست واجبة له اذ يقول عن ذاته انه هو اله على الكل . على ما ذكر بولس . انه مترفع على كل من يدعى الهاً او ذا عبادة . مظهر ذاته انه هو الاله " (تسالونيكية ثانية ص ٢ ع ٤) لان هذا هو معنى انه يجي باسم ذاته * فانا ما جيت على هذه الجهة . لكنني جيت باسم ابي * وهذا القول فيه كفاية ان يوضحهم انهم ليسوا محبين لله * لانهم ما اقتبلوا

القائل ان الله ارسلهُ. والان فقد اعلن وقاحتهم من ضد هذا*اذ قال. انهم يقتبلوا ضد المسيح. لانهم اذ لم يقبلوا القائل ان الله ارسلهُ. وازمعوا ان يجحدوا للمتخم بانهُ ليس يعرف الله. والقائل عن ذاته انهُ هو الهٌ على الكل. فواضح بيّن ان طردهم اياهُ. انما كان من حسدهم لهُ ومن مقتهم الله*فلهذا المعنى وضع للاقوال التي قالها علتين* فالاولى منها الاصلح من غيرها. فهي قولهُ لكيما تخلصوا. ولتمتلكوا حياة*واذ اعتزموا ان يجمزوا بهِ. وضع لهم العلة الالذع من غيرها. التي هي قبولهم ضد المسيح*موضحًا ان سامعيهِ وان لم يقبلوا منهُ. فان الله من عادتهِ ان يعمل في كل مكان افعالهُ. ولعمري ان بولس عندما تكلم في وصف ضد المسيح قال على معنى النبوة.. ان الله يرسل لهم فعل ضلالة ليحاكموا كلهم. الذين لم يصدقوا الله الحق. لكنهم ارتضوا بالظلم* " الا ان المسيح ما ذكر انهُ سيجي. لكنهُ قال اذا جاء آخر. وفعل ذلك مشفقًا على سامعيه*اذ مكابرتهم ما كانت بعد كلها تامة*فلهذا السبب صمتَ هو عن علة ورود ذاك العنيد* الا ان بولس رذكها ذكرًا غامضًا للمقتدرين ان يعرفوها معرفة بليغة. لان ذاك هو الذي انتزع منهم كل اعتذار* ثم وضع علة اجتنابهم تصديقهُ*اذ قال (٤٤) .. كيف تستطيعون ان تومنوا اذا استمد بعضكم التشريف من بعض ولم تطلبوا المجد الذي من الله وحدهُ* " ومن هذه الجهة. اراهم ايضًا انهم ما راقبوا حقوق الله. لكنهم بتظاهرهم هذا. ارتادوا ان يتصرروا لسقمهم. فابتعدوا هذا الابتعاد النازح من افتعال هذه الافعال لاجل مجدهِ*لانهم اثروا الشرف الانساني. آكثر من ايثارهم المجد الذي من الله*وكيف ازمعوا ان يمقتوا تشريف الناس مقتًا جزيلاً. وقد ازدروا على هذا النحو مجد الله. ازدراء اوصلهم الى ان يفضلوا الشرف الانساني عليهِ. واذ قال انهم ما امتلكوا حب الله. وبرهن هذا القول. بهذين القولين كليهما. بافعالهم الواصلة اليهِ. وبالتي تصل منهم الى ضد المسيح. وطعن عليهم طعنًا واضحًا. واوجب انهم معدومون كل عفوٍ. اقام لهم فيما بعد موسى ثالبًا لهم. اذ قال هذا القول (٤٥) .. العلكم ظننتم انني انا اثلبكم بحضرة ابي. وقد يوجد الثالب اياكم. موسى الذي قد رجوتموهُ انتم*(٤٦) لانكم لو صدقتم موسى. لصدقتموني انا*لان ذاك من اجلي كتب*(٤٧) فان كنتم ما صدقتم الالفاظ التي كتبها ذاك*فكيف تصدقون اقوالي: " فالذي يقولهُ معناهُ هذا هو. ان ذاك هو المثلوب قبلي في اقوالهِ المتوجهة اليّ*لانكم قد انكرتم موسى اكثر مما انكرتموني* وانظر كيف اخرجهم من سائر الجهات من كل اعتذار*قد قلتم زعم انكم بطردي انا انكم تحبون الله. فقد اوريتكم

انكم علمتم هذا العمل . اذ ابغضتم الله* قد قلتم انني احل السبت . وانقض الشريعة · فقد تعريت من هذا الثلب * قد وعدتم انكم تصدقون موسى بالافعال التي اجترأتم بها عليّ . فقد اوريتكم ان هذا الوعد هو اكثر من كل شي اجتنابًا لتصديق موسى * لانه بخوفٍ من مضادة الشريعة جزيل تقديرهُ اطاعها* واريتكم ان ولا واحدًا آخر من الناس يوجد ثالبًا اياكم مجاهرًا . الاّ الذي دفع اليكم الشريعة* وعلى نحو ما قال عن الكتب .. التي فيها قد ظننتم انكم تتملكون حياة دهرية* " فكذلك قال لهم عن موسى .. الذي ارتجيتموهُ انتم* " مستاسرًا اياهم في كل مكان من الاصناف التي تناسبهم* ولعل قائلاً منهم قد قال . من اين يستبين ان موسى يثلبنا . وانك ما تتفاخر بكلامك ؛ لان ما هو الراي المشاع بينك وبين موسى ؛ اذ حللت السبت الذي اشترع ذاك ضبطه · وكيف يثلبنا ذاك : وكيف يكون واضحًا اننا نومن بآخر . اذا جاء باسم ذاته : فهذه الاقوال كلها انما نقولها مسلوبة شاهدًا بحقتها* فانهُ يجيبه · هذه الاقوال كلها حاوية من العلو تثبيتها* لانهُ اذا اعترف بي اني من الله جيت · من اعمالي · ومن صوت يوحنا . ومن شهادة ابي . فمن اوضح البيان ان موسى سيثلبكم* لان تاملوا ما قالهُ موسى · قال .. اذا جاءكم مجترح اياتٍ مقتادًا اياكم الى الله . يتقدم فيصف لكم الحوادث التي ستكون وصفًا بتحقيق . فيجب عليكم ان تطيعوهُ بكافة نشاطكم* " (تثنية ص ١٣ ع ١) والمسيح قد عمل هذه الاعمال كلها* لانهُ قد اجترح اياتهِ بكافة حقيقتها واجتذب الى الله جميع الذين صدقوهُ · واورد الغاية بالفاظ سبوق تخبيرهِ بها* ولعلك تقول · فمن اين يستبين · انهم سيومنون بآخر : فنقول لك · يستبين ذلك من ابغاضهم المسيح* لان الذين ارتجعوا عن الذي جاءهم براي الله · فمن البيّن انهم سيقتبلون معاند الله* ولئن كان قد قدم موسى بعد قولهِ .. انا لست استمد الشهادة من انسان* " فلا تستعجب ذلك* فانهُ ما ارسلهم الى موسى . لكنهُ انما ارسلهم الى كتب الله* ولكن اذ كانت الكتب قد اخافتهم ادنى الخوف . ادار كلامهُ الى وجه مَن قد اوردها اليهم · اذ وقف لهم المشترع بعينهِ ثالبًا اياهم · جاعلاً الخوف على هذه الجهة اظهر بيانًا عندهم . ووبخ كلامهم من اقوالهم التي قالوها* وتامل هذا المعنى . قالوا انهم يطردونهُ لاجل حبهم الله . فاراهم انهم انما يطردونهُ لاجل ابغاضهم الله* قالوا انهم يعتصمون بموسى ويقبلون كلامهُ فاراهم انهم عملوا هذه الاعمال بسبب انهم ما صدقوا موسى لانهم لو كانوا التمسوا الشريعة . لكانوا قد اقتبلوا مَن تممها* ولو كانوا احبوا الله . لوجب عليهم ان يطيعوا مَن استجذبهم الى الله* ولو كانوا صدقوا

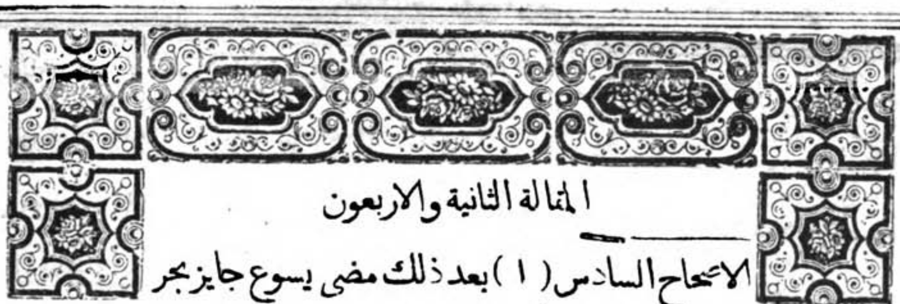
موسى . لوجب عليهم ان يسجدوا لمن تنبى عليهِ موسى . فان كنتم قبل ان تنكروا قولي قد انكرتم قول ذاك . فليس منكرًا عندكم ان تطردونى انا الذي قد انذر ذاك بي* وكما انهم اذ استعجبوا يوحنا . اظهرهم متهاونين بيوحنا . بالمكاره التي اوصلوها اليهِ . فكذلك لما ظنوا انهم قد صدقوا موسى . اراهم انهم قد انكروا قول موسى * واقلب على روسهم جميع الافعال التي ظنوا انهم يصدرونها من اجل انفسهم دايمًا* لانهُ قال . انني انتزح ابعد انتزاحاً من ان ازيغكم عن الشريعة *لانني ادعوا مشترعها بعينهِ ثالبًا اياكم* والغرض في انهُ قال .. ان الكتب تشهد لي: " وما ذكر اين تشهد لهُ . ولا استثنى بذلك . فهو لايثارهِ ان يحصل فيهم الخوف اعظم تاثيرًا . وان يرسلهم الى تصفحها وتفتيشها . ويحصلهم ذلك في ضرورة تلزمهم بالسوال *لانهُ لوكان ذكر لهم الموضع منها . ولم يسالوهُ . لكانوا قد رفضوا شهادتها* فلو كانوا اصغوا الى ما خاطبهم بهِ . لوجب عليهم ان يسالوهُ قبل الاشياء الاخر عن هذا المعنى . ويتعلموهُ منهُ . لان لهذا الغرض يُطنبُ كلامهُ في قضاياهُ . وفي تهويلاتهِ اكثر . وما يطيل الكلام في براهينهِ فقط . لكي ولو على هذه الطريقة يقتادهم بالارتياع من الاقوال التي يقولها* الا انهم لبثوا صامتين *لان الخبيث هذهِ السجية سجيتهُ . مهما قال قائل او فعل فاعل . فانهُ ليس ينتبه ولا ينتهض لكنهُ يلبث حافظًا سمهُ*

المعظة الحادية والاربعون

في ان الفضيلة تجعلنا فهيمين *وان الخبيث مبداهُ من غباوتنا*

فلهذا السبب نحتاج ان نخرج من نفسنا كل رزيلة* ولا نضفر في وقتٍ من اوقاتنا صنفًا من الغش * لان .. الله يرسل الى المتعوجين طرقًا متعوجة*" (امثال ص ٢١ ع ٨) .. وروح الحكمة الاقدس يطفر من الغش هاربًا . وينتقل مبادرًا من افكارٍ خالية من الفهم *" (حكمة ص ١ ع ٥) لان ليس فعل على معنى التشبيه يجعلنا حماقى مثل الخبث * لانك اذا كنت غادرًا . واذا عدمت ان تكون شكورًا . فهذهِ انواع الخبث* واذا كنت مغموماً . ولست مظلوماً . واذا ضفرت غشوشًا . فكيف ما تكون قد ابرزت غباوة واصلة الى غايتها . لان على جهة التشبيه ليس شيء يصيّرنا فطونين عقلاء مثل الفضلية* لانها في طباعها ان تجعلنا شكورين . حسنين الراي . ووادّين للناس . رفيقين . انيسين . وريعين . متحننين*

لانها من عادتها ان تولد السجايا الصالحة الاخرى كلها * لان من تكون هذه الحال حاله . فمن يكون بهذه الصفة اوفر فهماً منه . وبيان ذلك . ان الفضيلة هي عين الفطنة . وامها . واصلها * كما ان كل خبث يملك من الغباوة ابتداءه * وبيان ذلك . ان المتعظم الخوط . من قلة فطنته تصطاده ادواء عزمه * ولهذا السبب قال النبي " ليس يوجد شفاء في لحمي * من وجه جهالتي * " (مزمور ٣٧ ع ٧) موريًا ان كل خطية من الجهالة وزوال الفطنة تحوى مبدأها * لان المكين في فضيلته الحاوي خوف الله . هو اوفر الناس كلهم فهماً . ولذلك قال النبي . ابتداء الحكمة خوف الرب * " امثال ص ١ ع ٧ فلئن كان الخوف من الله . من عادته ان يحوى حكمة * وكان الخبيث ليس يحوى خوفاً . فقد عدم الحكمة بالحقيقة . ومن عدم الحكمة بالحقيقة هو اعدم الناس كلهم فهماً * على ان اناساً كثيرين يستعجبون الخبثاء من طريق ان فيهم كفاية ان يظلموا غيرهم ويضروهم . وما قد علموا انهم ينبغي لهم ان يولولوا اكثر من جميع الناس . لانهم اذا ظنوا انهم يوزرون اناساً آخرين . انما يدفعون السيف على ذواتهم * وهذا الفعل هو من غباوة واصلة الى غايتها . ان يجرح احدنا ذاته . ولا يعرف هذا بعينه * لكنه يظن انه يظلم غيره من ذبحه لذاته * ولهذا المعنى قال بولس اذ عرف هذا الفعل " اننا في حال ما نجرح اناساً آخرين . نقتل ذواتنا * لم لا تنظلمون اكثر . لم لا تنعدمون اكثر . " (قرنثية اولى ص ٦ ع ٧) لان لفظة . تنظلم موضوعة في موضع لفظة لا تظلم * كما ان لفظة لم لا تقاسي مكروهاً هي موضوعة في موضع لفظة لا تعمل مكروهاً * وان كان هذا القول قبل يظن عند الكثيرين انه قول غامض . فما يريدون ان يتفلسفوا ويصيروا مظلومين * فاذ قد عرفنا هذه الاقوال . فلا نولولن المظلومين . ولا نبكين على المستضامين . لكن فلنولول الذين يفعلون هذه الافعال ونبكي عليهم * فان هولاء هم الذين قد ظلموا اكثر * الذين يحاربون الله بانفسهم . ويفتحون عليهم افواه ثالبين جزيل عددهم . ويستقنون في هذه الدنيا ظناً خبيثاً . ويستمدون في الدهر المنتظر تعذيباً عظيماً * كما ان المظلومين المحتملين سائر العوارض بشهامة يتملكون الله غافراً . والناس كلهم متوجعين لهم . ومادحين . ومقتبلين * وفي هذه الدنيا يستمتعون بحسن الثناء كثيراً . موضحين مثالاً لتفلسفهم عظيماً ويساهموا النعم الصالحة الدهرية في الحيوة المستانفة . التي فلنتفق لنا امتلاكها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي معه لابيه المجد مع الروح القدس الى . . اباد الدهور كلها امين ۞



المقالة الثانية والاربعون

الاصحاح السادس (١) بعد ذلك مضى يسوع جايز بحر الجليل الى نواحي تخوم طبرية* (٢) ولحقهُ جمعٌ عظيم *لانهم ابصروا الايات التي اجترحها في السقمى* (٣) ثم مضى يسوع الى الجبل. وجلس هناك مع تلاميذه* وكان فصح اليهود قريبًا*

يا احبائي ما ينبغي لنا ان نتجاسر على ان نبادر الى الناس المكرين الحسودين. لكن سبيلنا ان نتعلم. اذا لا ينال فضيلتنا ضررٌ. ان نخول اغتيالاتهم الخبيثة مكانًا* فعلى هذه الجهة نكف كافة جسارتهم* وكما ان الحراب اذا هي سطعت شيًا صلبًا مكتنزًا. تنثني بحدهِ نهضتها الى الذين اطلقوها ايضًا* واذا كانت شدة اطلاقها ما تحوى حاجزًا يضاددها. تمتدّ باسراع وتنتهي* فكذلك يكون الحال في الناس الحسودين المكرين. اذا تجاسرنا ان نبادر اليهم. يتنمرون علينا اكثر. واذا انصرفنا عنهم وتركناهم. اخمدنا جنونهم كلهُ بايسر مرام* فلهذا الغرض اذ سمع ربنا ان الفريسيين قد سمعوا ان يسوع يصطنع تلاميذ اكثر من يوحنا ويعمّد جاء الى الجليل مخمدًا حسدهم. مسكنًا غضبهم الذي كان لايقًا ان يتولد من افعالهِ هذه بانصرافهِ عنهم* وذهب ايضًا الى الجليل. ليس سالكًا في اماكن هي هي باعيانها* لانه ما جاء الى قانا. لكنهُ مضى الى جايزًا البحر* ولحقهُ جمع عظيم* اذ عاينوا اياته التي اجترحها وانا اخاطب البشير. ايما ايات: ولِمَ لا يصفها لنا نوعًا نوعًا: لان هذا البشير اكثر من جماعتهم حرص في اقوالهِ وفي مخاطباتهِ الجموع. ان يكني عن الاكثر منها* وابصرهُ في سنة بجملتها. لانهُ من عيد الفصح الى الان في عيد الفصح. ما عرفنا من اجل اياتهِ وصفًا اكثر. سوى انهُ شفى المخلع. وابن الرجل الملكي* لانهُ ما اجتهد هذا الاجتهاد ان يحسب اياتهِ كلها* اذ احصاوها ما كان ممكنًا لهُ* لكنهُ وصف ايات يسيرة من ايات كثيرة عظيمة* قال .. ولحقهُ جمع عظيم* لما عاينوا اياته التي اجترحها* " فاللفظ الذي قيل عن هذا الجمع ما كان مناسبًا لعزم فيلسوف* اذ استمتعوا بتعليم جزيل تقديرهُ. فاستمالتهم اياتهُ اكثر* وهذا فكان من عزم اكثف تمييزًا* لان الرسول قد قال .. ان الايات ليست للمومنين* لكنها لنقيض المومنين* " (قرنثية اولى ص ١٤ ع ٢٩) الا ان المحفل المذكور عند متى البشير ما كانت

هذه الحال حالهُ. لكن كيف كانت حالهُ: فقد وصفها ذاك.. انهم تحيروا كلهم من تعليمهِ * لانهُ علمهم تعليم مالكٍ سلطاناً* ،، فان قلت. وما غرضه في توجهه الان الى الجليل. وجلوسه هنالك مع تلاميذهِ: اجبتك. بسبب الاية التي توقع ان يجترحها * واما صعود تلاميذه وحدهم معهُ: فكان ثلباً لكثرة الجموع *اذ ما الحقوهُ * وما عمل هذا العمل في توجهه الى الجبل لاجل هذا الغرض فقط. لكنهُ عمله لكي يعلّمنا ان نستريح من الاراجيف. ومن الانزعاج الناشي في الوسط * لان الهدو والتفر موافق للفلسفة * وقد توجّه هو الى الجبل دفعاتٍ كثيرة وحدهُ. ولبث طول ليلهِ يصلي * يعلمنا ان من يستدني الى الله خصوصاً. ينبغي لهُ ان يتخلص من كل ارتجاف. وان يلتمس مكاناً نقياً من الانزعاج * قال ،، وكان الفصح عيد اليهود قريباً * ،، فان سالت. وكيف ما طلع الى العيد: لكن اذ كان جميع اهل البلاد مسارعين الى اورشليم جاء هو الى الجليل * وما جاء هو وحدهُ. لكنهُ اقتاد معهُ تلاميذهُ. ومضى من هنالك الى كفرناحوم: اجبتك. انهُ حل الشريعة بسكونٍ ومساترة * اذ اخذ من خبث اليهود سبب ذلك * (٥) ،، ورفع عينيهِ. وابصر جمعاً جزيلاً * ،، موريًا انهُ ما جلس مع تلاميذه في وقتٍ من الاوقات على بسيط ذات الجلوس. لكن لعلّهُ يبالغ في معنى يقولهُ لهم. مسترجعاً اياهم اليهِ. جانحاً الى اصطلاحهم * وهذا اكثر من كل شي يبيّن اهتمامه بهم. وعزمه المتنزل المتقارب لهم * لانهم جلسوا معهُ ينظر بعضهم الى بعض * ثم رفع عينيهِ وابصر الجمع موافياً اليهِ * ولعمري ان البشيرين الاخرين ذكروا ان تلاميذهُ اقتربوا اليهِ. فسالوهُ وتوسلوا اليهِ ان لا يصرفهم صايمين * وهذا البشير ذكر ان ربنا سال فيلبس * وعلى حسب ظني ان القولين كليهما يوجدان صادقين * لان الحجيبتين ما صارتا في اوقات هي هي باعيانها * لكن تلك توجد اقدم من هذه. فيستبين ان تلك اخرى وهذه غيرها * ولعلك تسال. فلمَ سال فيلبس: فاجيبك. لانهُ قد عرف المحتاجين من تلاميذه الى القسم الاكثر من تعليمهِ * لان هذا التلميذ هو الذي نجدهُ فيما بعد قائلاً ،، ارنا الاب * ويجزينا ذلك * ،، فلهذا السبب قوّم رايهُ من اعلى تدبيرهِ. لان الاية لو كانت حدثت على بسيط حدوثها. لما كانت العجيبة عظيمة * فالان قد اضطرهُ ان يعترف اولاً بقلّة العدد عندهم ونزارته. حتى اذا عرف في حالٍ كانوا. يعرف جسامة العجب المزمع كونهُ ابلغ معرفة * فلهذا السبب قال لهُ ،، من اين لنا خبزات جزيلي تقديرها. حتى ياكلها هولاء: ،، وقد قال هذا القول في العتيقة لموسى * لانهُ ما عمل الاية اولاً. الا ان سالهُ ما هو هذا الذي

في يديك: لان اداء الحوادث البديعة العارضة بغتةً. من عادتها ان تلقينا في نسيان الاصناف الاولى. ويطلهُ اولاً بالاقرار بالحاضر في يدهِ. حتى اذا تكونت الدهشة من العجيبة. لا يمكنهُ ان يقتلع ذكر ما قد اعترف بهِ. ويعرف بعد ذلك جسامة الاية من مقايستها* وهذا الفعل تكوّن ههنا. ولما سال فيلبس اجابهُ (٧) .. ما يكفينا خبزات بمائتي دينار. ليتناول كل واحدٍ منهم جزواً يسيراً* فهذا القول قالهُ مختبراً اياهُ. لانهُ هو قد عرف ما اعتزم على افتعالهِ*" وان سالت ما معنى قولهِ مختبراً اياهُ: هل جهل ما اعتزم ذاك ان يقولهُ لهُ. وهذا ليس يجوزان يقال. لكن ما هي قوة هذه اللفظة: اجبتك. من العتيقة يكون ممكناً لك ان تعرفها* لانهُ هنالك قد قال .. وصار بعد هذه الحوادث ان الله اختبر ابراهيم. وقال لهُ خذ ابنك المحبوب الذي قد احببتهُ اسحق* " (تكوين ص ٢٢ ع ١) فليس يستبين عند قولهِ هنالك هذا القول. انهُ توقع ان يعرف من اختبارهُ الغاية من فعلهِ. ان كان يطيعهُ. وان كان ليس يطيعهُ* لان كيف يفعل ذلك العارف الحوادث كلها قبل كونها: لكن القولين كلاهما قيلا قولاً انسانيا* لان على نحو ما اذا قال. انني افتش قلوب الناس. فما قال ذاك ان تفتيشهُ يوجد من غباوة وجهل. لكنهُ يدلّ على معرفتهِ البليغة بخفياتها* فلذلك اذ قال انهُ امتحن ابراهيم فما قال قولاً آخر الا انهُ قد عرف ابراهيم معرفة بليغة وقد يتساغ لنا ان تقول قولاً غير هذا. انهُ جعلهُ اوفر تهذيباً كما جعل ابراهيم متهذبا* فكذلك اقتاد هذا التلميذ بسوالهِ اياهُ الى معرفة الآية البليغ استقصاؤها* ولهذا السبب لكيلا يلبث البشير في ضعف اللفظة. فتظن في الالفاظ التي قيلت ظناً شنعا. قال .. لانهُ هو قد عرف ما اعتزم على افتعالهِ*" بل ذاك المعنى سبيلنا ان نراعيه ويلازم الضرورة* لان البشير متى ما تكوّن توهم خبيث يدفعهُ بحرص كثير كما فعل ههنا. لكيلا يتوهم سامعوهُ توهماً هذه صفتهُ استثنى بتلافيهِ واصلاحهِ. اذ قال* .. لانهُ هو قد عرف ما اعتزم على افتعالهِ*" وهذا العمل قد عملهُ هنالك اذ قال .. ان اليهود طردوهُ. ليس لانهُ حلّ السبت فقط. لكن لانهُ دعا الله اباهُ جاعلاً ذاتهُ عديلاً لله*" فلو لم تكن قضية المسيح محققة بافعالهِ. لكان قد استثنى هنالك بهذا التلافي والاصلاح* ولئن كان البشير يتوقى في الاقوال التي قالها هو ان لا يتوهم فيها متوهم وهماً. فاولى به بالحق ان يتوقى ذلك في الاقوال التي قالها عنهُ اناس آخرون. لو لم يكن قد ابصر توهماً واجبها مستظهراً عليه* لكنهُ ما فعل ذلك. لانهُ عرف ان هذا القول هو عزم لهُ. وقضية عديلة ان تكون

متزعزعة* ولهذا السبب اذ قال جاعلاً ذاتهُ عديلاً لله . ما استعمل لهُ تلافياً هذا معناهُ* لان هذا القول الذي قيل ما كان توهماً لاوليك اليهود مفسودًا . لكنهُ كان قضية لهُ محققة بافعالهِ* فلما سُيل فيلبس (٨) .. قال اندراوس اخو سيمن (٩) قد يوجد ههنا صبيٌّ يحوى خمس خبزات شعير . وسمكتين* ولكن ما هي هذه بالمقايسة الى هولاء الذين هذا المقدار مقدارهم :" فاندراوس اعلى تمييزًا من فيلبس* ولكنهُ ما قد وصل الى كافة المطلوب* لانهُ على ما يلوح لظني . صدر الى عجايب الانبيا . وذكر كيف عمل اليشع الآية في خبزات الشعير . ولهذا السبب طلع الى ابعد غاية . وما اقتدر ان يصل الى ذروة المقدرة بعينها* فينبغي ان تتامل نحن الجانحين الى التنعم . ما هي الاغذية التي اغتذى بها اوليك الرجال العجيبين المعظمين . وننظر الى حقارة مائدتهم في كيفيتها وكميتها . ونشابهم* والالفاظ التالية الفاظ ضعف كثير* لان بعد ان قال يحوى خمس خبزات شعير . استثنى بان قال . ولكن ما هي هذه بالمقايسة الى هولاء الذين هذا المقدار مقدارهم : لانهُ ظن ان مخترع العجائب يزمع ان يصنع من خبزاتٍ يسيرة . اضعافًا يسيرة . ومن خبزاتٍ كثيرة . اضعافًا كثيرة* وهذا فما كان غيرهُ متيسرًا عندهُ ان يجعل طبيعة الخبزات تنبع من خبزاتٍ كثيرة . ومن خبزاتٍ قليلة . نبعًا متشابهًا* لانهُ ما احتاج الى مادة موضوعة* ولكن حتى لا يُظن ان الخليقة غريبة من حكمته . على راي الذين ثلبوهُ فيما بعد . وهم السقمى باسقام مركيون . وقالوا انهُ استعمل الخليقة فجعلها موضوعاً لعجايبه* فلما ايس تلميذاه كلاهما . حينيذٍ اجترح العجيبة بعد ذلك* فعلى هذه الجهة ربحا اعظم الربح . اذ اقرًا اولاً بصعوبة افتعالها . حتى اذا صارت يعرفان قدرة الله* لان لما حان كون الاية التي اصطلحت بالانبيا . وان كانت تلك لم تكن على مشابهةٍ لهذه . واعتزم ان يشكر قبل افتعالها . فلكيلا يسقطوا الى توهم ضعيف . انظر كيف رفع شانها في حالها بافعال سياستهِ كلها . واوضح الفصل بين تلك وهذه* لان الخبزات لم تكن بعد قد ظهرت* لنعلم ان الاشيا التي ليست موجودة تتشخص لهُ كانها موجودة . على ما ذكر بولس .. انهُ يدعو الاشياء التي ليست موجودة كانها موجودة* "(رومية ص ٤ ع ١٧) فامرهما ان يتكوا الجموع كمتكيين لدى مايدة معدّة مصلحة مصلوحة* وبهذا الايعاز انهض تمييز تلميذيه* ولانهما استفادا المنفعة من سوالهِ اياهما اطاعاهُ في الحين . وما ارتجفا . ولا قالا ما هو هذا : كيف امرنا ان نتكي الجموع وما قد استبان في الوسط شي : فعلى هذه الجهة ابتديا بالامانة . قبل نظرهما الى الاية* واللذان انكرا

في الابتداء انكاراً جزيلاً تقديرهُ · افضى بهما الى ان يقولا من اين نبتاع خبزاً · اتكيا مع رفقتهما الجموع بنشاط * ولعلك تسال · فما رايهُ في انهُ لما اعتزم ان يقوّم المخلع ما صلى · ولا صلى حين انهض المايت · ولا ابتهل لما الجم البحر · وصلى ههنا عند تكثير الخبز : فاقول لك · انهُ صلى موضحاً ان الذين يبتديون بتناول الطعام يجب عليهم ان يشكروا الله * ولمعنى غير هذا انهُ عمل هذا العمل في الايات التي كانت دون غيرها كثيراً · لتعلم انهُ ما عمل هذه الاية متوسلاً · لانهُ لو كان ابدعها متوسلاً · لكان اولى بهِ واليق ان يعمل هذا العمل في الايات الاعظم محلاً * فمن صنع تلك الايات بتأمرهِ · فمن البين انهُ عمل هذا العمل على جهة المقاربة والاستكانة * ولمعنى غير هذا · لان الحاضرين كانوا جمعاً عظيماً · ووجب ان يتحقق عندهم انهُ براي الله جاء اليهم * فلهذا الغرض متى ما كان وحدهُ يعمل ايات · ما كان يظهر فعلاً هذه صفتهُ * ومتى ما كان يعمل هذا العمل بحضرة اناس كثيرين · فحتى يصيرهم موقنين انهُ ليس هو ضداً لله · ولا معانداً لوالدهِ · كان يبطل بشكرهِ توهمهم ·· فاعطى المتكيين · فاكلوا وشبعوا * " أعرفت الفرق بين العبد وبين سيده * لان اوليك الانبيا امتلكوا النعمة بمكيال · واجترحوا عجايب على هذه الصفة · فاما الهم فلانهُ فاعل بمقدرة مطلقة · اجترح الايات كلها متكاثرة بسعة كثيرة (١٢) ·· وقال للتلاميذ اجمعوا الكسر التي فضلت · ليلا يضيع منها * (١٣) ·· فجمعوا وملاوا اثنى عشر زنبيلاً * " وذلك فما كان اظهاراً يوجد فضلة زايدة · لكنهُ كان حتى لا يتوهَّم افتعال العجيبة خيالاً · ولهذا السبب ابدعها من مادة موضوعة * ولقائل ان يقول · ولِمَ ما خوّل الجموع ان يحملوا الفضلات · لكنهُ اعتمد بذلك تلاميذهُ : نقول لهُ · لانهُ شاء ان يُعلِّم هولاء خصوصاً · الذين انتدبوا ان يكونوا معلمي المسكونة * لان الجمع الحاضر ما استثمر فائدة عظيمة من عجايبهِ عاجلاً * اذ كانوا في الحين نناسوها · وطلبوا عجيبة اخرى * وهولاء التلاميذ · فتوقعوا ان يربحوا ليس فوائد يسيرة * وصارت هذه الاية الكاينة عقوبةً ليست بيسيرة موجبة على يودس عند حمله القفة · والدليل على ان هذه الحوادث حدثت لاجل تعليمهم وتاديبهم · فالقول الذي قيل بعد ذلك يبينهُ · الذي اذكرهم بهِ حين قال ·· انما قد فهمتم بعد · وكم قفافاً حملتم * " ويوضحهُ ايضاً ان قفاف الفضلات صودفت معادلة بعدّة تلاميذهِ · وبعد ذلك لما تادبوا · ما كانت بقايا الكسر في العجيبة الاخرى هذا المبلغ مبلغها · لكنها كانت سبع زنابيل · وانا فلست استعجب كثرة الخبزات الكاينة

فقط. لكنني استعجب مع كثرتها المبالغة في كثرة بقيتها. انهُ جعلها ان تفضل لا اكثر ولا انقص. لكن كان مقدارها المقدار الذي ارادهُ لسابق عليه بمقدار ما يحملونهُ. وذلك كان من قدرةٍ يعجز وصفها* وحققت الكسر الاية الكائنة* واظهرت الكسر والاية كلتاهما ان الايات الكائنة بما كانت خيالاً* وان الذين اكلوا من تلك الخبزات كان اكلهم* واما العجيبة في تكثير السمك فصارت حينئذٍ من مادةٍ موضوعة* واما اخيرًا بعد قيامتهِ فتكونت ليس من مادة موضوعة* وان سالت ولمَ ذلك: اجبتك. لتعلم انهُ استعمل للان مادةً ليس من نقص قدرة. ولا محتاجاً الى اصل. لكنهُ استعملها ليسدَّ افواه ذوي بدع هواهم في دينهِ* ولعمري (١٤) "ان الجموع قالوا. هذا هو بالحقيقة النبي* " ترحاً لتفاقم هيمان البطن* قد اجترح جرائح جزيلاً عددها اعجب من هذه. وما اعترفوا بجهةٍ من الجهات بهذا القول* لكن لما شبعوا. فظاهر من قولهم هذا. انهم قد انتظروا نبياً خاصاً* لان اولئك قالوا ليوحنا " انت هو النبي: " قال (١٥) " فاذ علم يسوع انهم معتزمون ان يوافوا فيختلسونهُ* ليصيّروهُ ملكاً. انصرف الى الجليل* " فيا اعجب هذا الخبر: كم مبلغ غصب هيمان البطن: وكم كانت سهولة عزمهم: ما انتصروا للشريعة ايضاً* ولا حصل لهم اهتمام بتجاوز السبت ايضاً. ولا غاروا من اجل الله. لكنهم لما امتلاء بطنهم. حذفوا هذه العزايم كلها وكان الطعام عندهم هو اكثر حرصهم. واعتزموا ان ينتدبوهُ ملكاً* الا ان المسيح هرب* وان سالت. وما رايه في هربهِ: اجبتك. هرب مؤدباً ايانا ان نستحقر مراتب الدنيا. موريا انهُ ليس يحتاج الى صنفٍ من الاصناف التي في الارض* لان الذي انتخب الاشياء الحقيرة كلها. وهي امهُ. ومنزلهُ. ومدينتهُ. وتربيتهُ. وثيابهُ. ما اعتزم اخيرًا ان يستبين بهياً من الحظوظ التي في الارض. لان الاصناف الواردة اليهِ من السموات. كانت بهية عظيمة. وهي المليكة. والنجم. وابوهُ هاتف. والروح شاهد. وانبياء انذروا بهِ من زمانٍ بعيد. واما التي كانت لهُ في الارض كلها حقيرة* لتستبين على هذه الطريقة مقدرتهُ اعظم قدراً* فهو جاء ليعلمنا ان نزدري الاشيا التي هنا. ولا نستعظم محل املاك الدنيا البهي حسنها وندهش منها. لكن نتهقهُ على هذه الحظوظ كلها. وان نعشق النعم المامولة* لان مَن يستعجب الاشيا التي هنا. فليس من شانه ان يستعجب النعم التي في السموات. فلهذا السبب قال لبيلاطس " مُلكي انا ليس هو من الارض* " يوحنا ص ١٨ ع ٣٦ لكيلا يخطر في عزمهِ ايضاً. ان يستعمل لاستمالتهِ واقناعهِ خوفاً انسانيا. واقتدارًا

عالميًا* فان قلت. فما معنى قول النبي لاورشليم "ها هو مَلِكُكِ جاءِي اليكِ وديعًا. راكبًا على حمارٍ" اجبتك. انما ذكر مُلكهُ ذاك الذي في السموات. ليس هذا المُلك* ولذلك قال .. لست استمد من انسان شرفًا* " زخريا ص ٩ ع ٩

العظة الثانية والاربعون

في ان شرف الدنيا ليس هو شيًا* وفي الذين يجمعون القنيات جمعًا رديًا. وينفقونها انفاقًا ضارًّا* فلنتعلم يا احباءي ان نذدري الكرامة التي عند الناس ولا نرتاح اليها* لاننا قد كُرِمنا تكريمًا عظيمًا. اذا قويس بتلك الكرامة العالمية. توجد تلك الكرامة مسبةً وضحكةً وشهرةً* وكما ان هذه الثروة العالمية بالاضافة الي تلك الثروة السمائية فقرٌ. وهذه الحيوة خلوًا من تلك موت. لانهُ قال .. اتركوا الاموات يدفنون الموتى الذين لهم* " فكذلك هذا الشرف بالمقايسة الى ذاك المجد هو خزيٌ وضحكة* فلا نرغبنَّ في هذا الشرف* لان الذين يخولوننا هذا التشريف* ان كانوا يوجدون احقر من الاقياء والاحلام. فاليق واوجب ان يكون تشريفهم ادنى واحقر من هذه كثيرًا* .. لان شرف الانسان كزهر الحشيش* " فما الذي يكون احقر من زهر الحشيش؛ ولو كان ثابتًا باقيًا. ما الذي كان ينفع بهِ نفسنا. وليس في طباعهِ ان يفيدنا نفع. لكنهُ من عادته ان يضرنا اعظم المضرات. ويصيّرنا حينيذٍ اشرَّ من العبيد المبتاعين بالفضة. عبيدًا ليس لسيد واحد فقط. لكن لسادة جزيل عددهم؛ فكم يكون افضل ان توجد حرًّا. ولا تكون عبدًا؛ حرًّا من التعبد للناس. وعبدًا لسيادة الهك* فان شيت ان تعشق التشريف. فحب الشرف الذي لا يموت* لان مشهدهُ المع نورًا. وربحهُ اعظم محلًا* وهولاء السادة يامرونك ان ترضيهم بما تنفقه عليهم. والمسيح يعمل بخلاف ايعازهم كلهِ* لانهُ يعطيك ماية ضعف للاشيا التي تعطيه اياها. ويزيدك عليها حياة دهرية* فما الافضل عندك. ان تُمدَح في الارض. ام في السموات؛ ان يستعجبك الله. ام الناس؛ ان تُمدَح على ربحك. ام تذم على خسارتك؛ ان تُكلل على مداه يوم واحد. ام ان تُكلل الى دهور قد سُلبتْ خبرتها؛ اعطِ المحتاج. ولا تعطِ الراقص* لكيلا تهلك نفس ذلك مع اموالك* لانك انت علة هلاك ذاك بتكريمه الفايت وقتهُ* لان الذين يلتهبون بحضرة الراقصة. لو عرفوا ان افتعالهم يصير خلوًا من فايدة. لكفّوا قديمًا من

افتعالهم هذه الافعال المنكرة* لانهم اذا ما رأوك مصفقاً ساعياً. منفقاً للاشياء التي لك كلها. وان لم يؤثروا ان يمارسوا هذا العمل. الا انك انت تضبطهم باشتهاء الربح والفائدة منك* ولو عرفوا ان ولا واحداً من الحاضرين يمدح افعالهم. لانتزحوا سريعاً عن بغيهم. بسبب زوال الفائدة منهُ. واذا ابصروا عملهم يستحسنهُ اناس كثيرون. فيصير لهم مديح الناس الآخرين اياهم طمعاً لاختداعهم* فلنبتعد اذاً من نفقة خالية من فائدة* ولنعرف على مَن يجب ان نُنفِقَ. ومتى ينبغي لا نستخطن الهنا بالفعلين كليهما. باحتشادنا القنية من جهةٍ ليس يجب جمعها منها. وبانفاقها وتدبيرها فيما لا ينبغي* فلكم تخطئ لست تكون موهلاً لهُ. اذا اعطيت الزانية. واعرضت عن الفقير وتجاوزته: لانك ان اعطيتها من اتعاب عدلة. افليس فعلك هذا يكون لك ذنباً عظيماً: وهو ان تعطي اجرة للرذيلة: ومن اجل الاعمال التي يجب على تلك ان تعاقب بسببها. تُكرَّم من اجلها* واذا عريت اليتامى. وظلمت الارامل. واطعمت الفاسقة. فتامل النار التي تكون للمتجاسرين على هذه الاعمال ما اعظمها: اسمع ما قال بولس „ انهم ليسوا يعملون هذه الفواحش فقط. لكنهم يرتضون بالذين يعملونها. ويستحبون فعلهم* „ (رومية ص ا ع ٣٢) ولعلنا نلذعكم لذعاً شديداً. لكننا ان لم نلذعكم نحن. فالذين قد اخطاؤا خطايا لم يتلافوها بتوبتهم. ستبقى تعاذيبهم دايمة بالافعال* وماذا ينفعكم ان تحمد اليكم بالاقوال. ونسرّ الذين سيعاقبون بالافعال: أتستحسن فعل الراقص وتمدحهُ: فقد صرت اذاً اشرّ من ذاك* لان ذاك تفيدهُ حجة فقرهِ عفواً* وان كان لا حجة لهُ* وانت فقد عدمت هذا الاعتذار* وذاك فان سالتهُ. ما بالك تركت الصنايع الاخرى. وجيئت الى هذه الصناعة النجسة الدنسة: يقول لي. لانني يمكنني ان اتعب فيها تعباً يسيراً. واستفيد فوائد كثيرة* وان سالتك انت ما غرضك في استحبابك العايش في الفسق. وفي افساد الكثيرين. ليس يتجه لك ان تلجاء الى حجة ذاك بعينها. لكنك بلازم الضرورة تطرق الى اسفل. وتخجل. ويحمر لونك* فان كنت اذا طالبناك تحجج. ما تملك لها جواباً. فاذا حضرنا كلنا في مجلس القضاء ذاك الرهيب الخالي من استعفاء. الذي فيهِ نؤدي جواباً عن افكارنا واعمالنا كلها. كيف تقف: وباية الحاظ تنظر الى القاضي: ماذا تقول لهُ: بماذا تحتج عندهُ: اية حجة تقدمها لهُ واجبة او عدمية ان تكون واجبة. جواباً عن نفقتنا: جواباً عن طربنا: ام عن هلاك اناس اخرين نهلكهم بتلك الصناعة: ما نجد ان نقول

ولا محبة واحدة*لكننا سنعذب بلازم الضرورة . تعذيبًا ليس بحوي غاية . ولا يعرف نهاية ينتهي اليها*فلكيلا نحصل في هذا التعذيب . فلنحترس ههنا من هذه الزلات كلها* حتى نمضي بتامبل صالح . فينفق لنا امتلاك النعم الصالحة الدهرية بنعمة ربنا يسوع المسيح . الذي به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس . الان ودايمًا والى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الثالثة والاربعون

في قوله(١٦) ولما صار المسا انحدر تلاميذه الى البحر*(١٧) وطلعوا الى السفينة . وجاءوا الى عبر البحر الى كفرناحوم . وصار الظلام . وما جاء يسوع اليهم*(١٨) وانهض البحر ريحًا عظيمة هابة عليهم* لم يكن المسيح حاضرًا مع تلامذه حضورًا جسمانيًا فقط . لكنه اذا كان منتزحًا عنهم دبر ما كان موافقًا لهم . لانه لم يزل سريع النفوذ . دقيق الحيلة . يبتدع بافعال متضادة فعلاً واحدًا بعينه*وانظر ما الذي فعله ههنا . ترك تلاميذه وطلع الى الجبل*فاذ صار المساء . انحدروا الى البحر وانتظروه . متعوقين مجيه اليهم*فلما صار المساء ما استجازوا ان لا يطلبوا معلمهم . وقد تمسك بهم عشق له جزيل تقديره*لانهم ما قالوا الان مساء . وقد ادركنا ليل*الى اين نذهب الان . والمكان ذو خطر . والوقت معطب . لكن شوقهم اليه . انهضهم الى ان طلعوا الى السفينة*لان البشير ما اوضح الوقت على بسيط ذات الايضاح . لكنه اظهر بذلك حبهم الحار له*فان سالت ولم تركهم . ولم يظهر لهم . ولماذا ظهر لهم ايضًا وحده ماشيًا على البحر . اجبتك ليعرفهم كم هو مقدار تركه اياهم . ويجعل شوقهم اليه اعظم تاثيرًا*وهذا الفعل ايضًا موضح مقدرته* وكما انهم في تعليمه ما سمعوا مع الجمع كافة اقواله . فكذلك في اياته ما ابصروها مع الجمع كلها*لان الذين قلدوا التقدم على المسكونة . كان واجبًا ان يجوزوا اختصاصًا اكثر من باقي الحاضرين*وان سالت اما ايات عاينوها على انفرادهم . اجبتك . قد عاينوا تجليه على الجبل . ومشيه هذا على البحر . وقد ابصروا بعد قيامته ايات كثيرة كائنة وعظيمة* وانا فمن هذه الايات احدس على ايات اخرى*وجاءوا الى كفرناحوم . وما عرفوا له خبرًا واضحًا* بل املوا انهم يجدونه هنالك . او في توسط مسيرهم*وهذا المعنى فقد ذكره البشير ذكرًا غامضًا بقوله . ان الظلام كان قد صار . وما جاء يسوع اليهم*والبحر فانهض ريحًا عظيمة هابة عليهم*وان سالت . فلماذا اضطربوا .

اجبتك . ان الاسباب التي جعلتهم ان يضطربوا قد كانت كثيرة ومن جهاتٍ كثيرة * فمن الوقت . لانهُ كان ظلاماً * ومن الشتاء لان البحر انهض رياحاً * ومن المكان . لانهم ما كانوا قريباً من الارض . لكنهم (١٩) امعنوا في مسيرهم خمسة وعشرين غلوةً . ومن الحادث المدهش ارتجفوا . لانهم ابصروهُ ماشياً على البحر * وفي حال ارتجافهم قال (٢٠) ،، انا هو لا تخافوا * '' فان سالت . ولمَ ظهر لهم . اجبتك ليريهم انهُ هو الذي حل الشتاء وازالهُ * لان هذا المعنى قد بيَّنهُ البشير بقولهِ . انهم (٢١) ،، ارادوا ان ياخذوهُ . وفي الحين صارت السفينة بقرب الارض * '' لانهُ ما خوّلهم مسيرهم حريزاً مضموناً فقط . لكنهُ جعلهُ مع ذلك برياح ساكنة * وما اظهر ذاتهُ للجميع ماشياً على البحر . لان هذه العجيبة كانت اعظم من ضعف اوليك * بل ولا ظهر لتلاميذهِ ماشياً على البحر حيناً طويلاً . لكنهُ معا ظهر لهم انصرف عنهم . وعلى ما يلوح لظني . ان هذه الاية هي اخرى . غير الاية الموضوعة في بشارة متى * وذلك واضح من جهاتٍ مختلفة * لانهُ قد اجترح في اوقاتٍ اياتٍ هي هي باعيانها * حتى يستعجبها الناظرون اليها ولا يستغربوها جداً . لكنهم يقتبلونها بتصديقٍ كثير * وقال ،، انا هو لا تخشوا * '' ومع كلمته استخرج الجبانة من نفس اوليك * وفي موضع غير هذا لم يجري الحال على هذا المجرى * ولذلك ،، قال بطرس ، ان كنت انت هو . فامرني ان اجي الى عندك * '' ولقايل ان يقول . فمن اية جهةٍ ما اقتبلوا هذا في ذلك الحال . والان قبلوهُ : فنقول لهُ لان الشتاء في ذلك الحين لبث ايضاً مزعزعاً سفينتهم * والان فمع كلمتهِ صار السكون والهدو * فان لم تكن هذه اولى . فتوجد تلك اولى * وهذا فقد قدمت ذكرهُ * انهُ قد ابدع في اوقاتٍ اياتٍ هي هي باعيانها * فجعل الايات الثانية في الزمان مقبولة سريعاً . من جهة الايات الاولى في حينها * ولعلك تسال . فلاي غرض ما طلع الى السفينة : فاقول لك . لايثارهِ ان يجعل العجيبة اعظم حسناً . وان يكشف لهم لاهوتهُ ابين تعرياً . ويريهم انهُ اذ شكر حينيذٍ . ما فعل ذلك محتاجاً الى معونة . لكنهُ فعلهُ تقارباً لاوليك متحدراً * فاطلق ان يصير الشتاء . لكي يطلبوهُ دايماً . وسكَّن الشتاء . ليعرفهم قدرتهُ * ولم يطلع الى السفينة ليجعل العجيبة اعظم محلاً * (٢٢) ،، الا ان الجموع الحاضرين هنالك . لما عرفوا ان ما كانت هناك سفينة اخرى . الا واحدة . اليها طلع تلاميذهُ * وان يسوع ما طلع الى السفينة . لكن تلاميذهُ فقط * '' فان قلت . ولمَ يتعمق يوحنا في ذكر ذلك . ولمَ ما قال ان الجموع في اليوم التالي عبروا وذهبوا : اجبتك . يريد ان يعلّمنا معنى آخر .

انهُ اعطى الجموع يتفطنوا في العجيبة الكائنة تفطنًا خفيا · وان لم تكن بهذه الصورة ظاهرة · و يحدسوا على كونها * لانهُ قال " انهم عرفوا انهُ ما كان هنالك سفينة اخرى · وايقنوا ان يسوع ما طلع في تلك مع تلاميذه * فلما ذهبوا · وجدوهُ في كفرناحوم قد تقدمهم اولاً * " فاي توهم آخر كان لهم ان يتوهموهُ . الاَّ انهُ جاء الى هنالك ماشيًا على البحر : لانهم ما كان يتجه لهم ان يقولوا انهُ عبر في سفينةٍ اخرى * لانهُ قال · ان سفينة واحدة كانت هنالك اليها طلع تلاميذهُ .. الاَّ انهم مع هذه العجيبة الجزيل قدرها . لما ذهبوا الى هنالك . ما سالوهُ كيف عبر وكيف جاء · ولا التمسوا ان يعرفوا آيةً هذا مقدار جلالتها * لكنهم قالوا (٢٥) .. رَبيّ متى جيت الى ههنا : " ان لم يقل قائل ههنا · ان لفظة متى جيت الى ههنا · يدل من قولهم كيف جيت · ولعمري ان واجبًا هو ان نعرف ههنا نهضتهم السريع انهزامها . لان الذين قالوا هذا هو النبي . الذين سارعوا ان يختطفوهُ فيجعلوهُ ملكًا . لما وجدوهُ لم يرتادوا ارتيادًا هذه صفته * لكنهم اخرجوا العجيبة من همتهم * فعلى ما اظن انا . انهم ما استعجبوا فيما بعد عجايبه الاولى . لكنهم التمسوا ايضًا استمتاعًا بمايدة نظير التي استمتعوا بها اولاً * فاليهود قد عبروا البحر الاحمر حين اقتادهم موسى * الاَّ ان الفرق بين العبورين عظيم ههنا * لان موسى عمل كلما عملهُ مبتهلاً ابتهالاً لايقًا بعبدٍ . وربنا عمل هذه العجيبة بسلطانهِ كلهِ * وهنالك حين هَبَّ الريح الجنوبي قمع الماء حتى صيرهم ان يعبروا على اليابسة . وههنا صارت العجيبة اعظم قدرًا * لان البحر ثبت في طبيعته . وحمل سيدهُ على هذا الحال على ظهرهِ * وشهد بذلك . اللفظ القائل .. انهُ الماشي على البحر كالساعي على الارض * " وعلى جهة الواجب . اذ اعتزم ان يمضي الى كفرناحوم القاسية العاصية ابدع آية الخبز . مرتادًا ان يعرك عصيانها · ليس بالايات التي اجترحها فيها فقط . بل بالعجايب ايضًا التي اجترحها خارجها * لان موافاة جموع جزيل عددها الى تلك المدينة بحرص كثير . اسے حجر لم يكن فيهم كفاية ان يلينوهُ : الاَّ ان ولا اوليك الجموع اثر فيهم ولا تاثيرًا هذه صفتهُ * لكنهم اشتهوا ايضًا طعامًا جسدانيًا : ولهذا السبب عيرهم يسوع *

العظة الثالث والاربعون

في اننا نحتاج ان نستميح من الله المواهب الروحانية. لا الحظوظ العالمية* وفي ان الصلوة التي قد علَّمها ربنا لتلاميذهِ. وهي ابانا الذي في السموات روحانية هي* وفي ان ايسار الظالمين ليس هو من الله *

فاذ قد عرفنا نحن هذه المعاني. فلنشكرنَّ لله من اجل النعم المحسوسة* ولنضاعف الشكر لهُ أكثر وازيد. لاجل المواهب الروحانية* لان على هذه الجهة يشاء هو ان يعطينا لاجل هذه الافعال تلك المواهب. مقتاداً الذين قد عدموا ان يكونوا تامين بهذه الاشياء. مودباً اياهم. اذ هم ملتهفون الى الدنيا بعد * لكنهم اذا اخذوا هذه العطايا وثبتوا فيها. يُشكون ويُنتهرون* اذ كان في اشفايهِ المخلع قد شاء ان يعطيه اولاً تلك العطية. الاَّ ان الحاضرين ما استجازوا ذلك* لانهم اذ قال ,,قد غُفرت لك خطاياك*" (متى ص ٩ ع ٥) قالوا هذا يجدف* فلا يعرض لنا عارض هذه صفتهُ. لكن فليكن لنا اهتمام جزيل بتلك المواهب* لان الموهب الروحانية اذا كانت حاضرةً عندنا. فليس يصير لنا ولا صنف من ضررٍ من فقد الاشياء اللحمية* واذا لم تكن تلك المواهب الروحانية موجودة عندنا. فما هو الرجا الذي يكون لنا فيما بعد: وما هو السلو الذي يحصل لنا: فلهذا السبب نحتاج ان نتوسل الى الله دائماً* من اجل هذه المواهب. وان نستميحهُ اياها* لانهُ قد علمنا ان نصلي بهذه الالفاظ ومناسبها* وان فتحنا تلك الصلوة. فما نجد فيها صنفاً لحمياً* لكننا نجد فيها المواهب الروحانية كلها* وذلك الصغير المحسوس يتكوَّنُ روحانياً في سجيته* لان لفظة ان لا نطلب شياً اكثر من الخبز الواصل الى جوهرنا. الخبز الذي هو في يومنا. هو مناسب لسريرة روحانية فيلسوفة* والالفاظ التي قبل هذا اللفظ. ليتقدس اسمك. ليأتِ ملكك. لتكن مشيئتك في الارض. كما هي في السماء* ثم اذ قال ذلك اللفظ المحسوس. انعطف عنهُ باسراع. واقتادنا الى تعليم روحاني بقولهِ. اصفح لنا عن ذنوبنا. على نحو ما قد صفحنا نحن عن غرمائنا* وما وضع بجهةٍ من الجهات في الصلوة ان نستميحهُ رياسةً. ولا ثروةً. ولا شرفاً. ولا اقتداراً* وانما وضع فيها كافة الطلبات التي توصلنا الى خلاص انفسنا ومنفعتها* ولا ذكر فيها بوجهٍ من الوجوه مطلوباً ارضياً* لكن المطالب الروحانية كلها* لاننا ان كنا قد أُمرنا بالابتعاد من القنيات العالمية الحاضرة. فكيف لانكون شقيين منكودين الحظ اذا التمسنا من

الله هذه المطالب. التي قد اوعز الينا. اذا كنا قد التمسناها. ان نخرجها ونباينها * واذا اشتهينا ان نمتلك الاشياء التي قد أمرنا من اجلها. ان لانحرص عليها حرصًا *لان هذا الطلب هو الاهدار في الصلوة* ولاجل هذه المطالب. اذا صلينا ما يتم لنا مطلوبنا* ولعل قايلاً يقول. فكيف الناس الخبثا الاشرار يستغنون: وكيف الظالمون والنجسون. اذا اختلسوا ما لغيرهم تتكاثر املاكهم: فليس الله الواهب ذلك لهم: فنجيبه. ابعد هذا الظن* ليس اثراءهم من الله* لكنهم يختلسون تلك الاشياء ويحتشدونها* ولعله يقول. وكيف يسمح الله لهم بذلك: فنقول له. انه قد سمح لذلك الغني في ذلك الحين. وخباه لتعذيب اعظم لذعًا* اسمع ما قيل له* "يا ولدي قد استوفيت خيراتك* واستوفى العاذر حظوظه الردية* فهو الان يتعزى. وانت تُعذّب وتتوجع*" فلكيلا نسمع نحن هذا الصوت. اذا تنعمنا تنعمًا باطلاً خاويًا. وجمعنا قنيات كثيرة. وصممنا لانفسنا خطايا جزيلاً عددها* فلنحتشد الغنى الحقيقي. والفلسفة البليغة* حتى يتفق لنا تحصيل النعم الصالحة التي قد وعدنا بها* التي فليتفق لنا كلنا امتلاكها. بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه. الذي معه لابيه المجد مع الروح القدس الان ودايمًا. والى اباد الدهور كلها امين*

المقالة الرابعة والاربعون

في قوله (٢٦) فاجابهم يسوع حقًا حقًا اقول لكم. تطلبونني ليس لانكم رايتم اياتي. لكن لانكم اكلتم من الخبز وشبعتم* (٢٧) اعملوا ليس للطعام الهالك. لكن للطعام الباقي الى حياة دهرية*

ليس الكلام اللطيف اللين نافعًا في كل مكان* لكن قد يحتاج المعلم احيانًا الى ما يكون من الكلام اكثر لذعًا* لان التلميذ اذا كان بليدًا. كثيف التميز. يحتاج ان ينهضه بسنان عدله. حتى يزيل كافة بلادته* فهذا العمل عمله ابن الله في مواضع اخري. وفي جهات اخري. وفي هذا الموضع* لان الجموع لما جاءوا اليه سايرين في البحر. وكلموا له. وقالوا "يا معلمنا متى جيت الى ههنا:" اوري انه ما يرتاح الى الكرامة من الناس. بل ينظر الى غرض واحد. هو خلاصهم* اجابهم جوابًا مضاضًا. ليس مريدًا ان يتلافى هذا العارض فقط. لكن مرتادًا مع ذلك ان يكشف سريرتهم* ويقتاد ما فيهم الى وسط البيان. اذ قال لهم "الحق الحق اقول لكم*" بتحديد وتحقيق* "تطلبونني. لا لانكم

رايتم اياتي . لكن لانكم أكلتم من الخبز وشبعتم* " فلذعهم بكلامه ووبخهم . ولكنهُ عمل هذا مخلوطاً
برفقٍ واشفاقٍ *لانهُ ما قال ياشرهين في الاكل . ياعبيد بطونكم . قد اجترحت عجائب هذا مبلغ
تقديرها . فما لحقتموني بجهةٍ من الجهات . ولا استعجبتم الايات الكائنة لكنهُ خاطبهم بالطف الخطاب
قائلاً .. تطلبونني . ليس لانكم رايتم اياتي . لكن لانكم أكلتم من الخبز وشبعتم* " فقولهُ الان ليس
هو من اجل اياتهِ السالفة فقط . لكن بسبب الحاضرة*لانهُ قال ما ادهشتكم الاية الكائنة من الخبز .
بل اذهلكم حال شبعكم * والدليل على انهُ ما قال هذا القول حادساً على عزمهم . فاوليك قد
اوضحوهُ في الحين . لانهم لهذا الغرض جاءوا ايضاً هم مؤملين ان يستمتعوا بتلك الخيرات باعيانها*
ولهذا المعنى قالوا .. اباونا أكلوا المن في البرية* " يستجذبونهُ ايضاً الى طعام جسداني*وهذا الراي
فكان ذللاً لهم وثلباً عظيماً*الاَّ انهُ هو ما ثبت عند توبيخهم وعذلهم . بل اضاف الى ذلك تعليماً لهم*اذ
قال لهم .. اعملوا ليس للطعام الهالك . لكن اعملوا للطعام الباقي لحياةٍ دهرية . الذي يعطيكموهُ ابن
الانسان*لان هذا ختمهُ الاب الاله * " فالذي يقولهُ معناهُ هذا هو* لا يكوننَّ لاحدٍ منكم اهتمام بهذا
الطعام . لكن اهتموا بذلك الغذاء الروحاني*ولكن اذ اناس من المريدين ان يأكلوا على جهة البطالة
يزيغون معنى القول *من طريق ان المسيح كما زعموا قد بطل بهِ العمل وقطعه . تلزمني الضرورة أن
اخاطبهم*لانهم على ما يقال يثلبون الديانة المسيحية كلها*ويوردون التهجين عليها بالبطالة*فيلزمنا
اضطراراً نذكر لهم اولاً كلام بولس . فانهُ قد قال .. تذكروا ربنا القائل ان الاعطاء هو عمل مغبوط .
أكثر من الاخذ* " (ابركسيس ص ٢٠ ع ٣٥) على ان من اية جهةٍ اتجه لمن لا يمتلك شيئاً ان يعطي
صدقةً . وكيف قال يسوع لمرثا .. انتِ تهتمين وتجلبين من اجل اصناف كثيرة . والحاجة الى صنفٍ
واحدٍ*ومريم فقد اختارت الحظ الصالح ." وقال ايضاً .. ولا تهتموا للغد* " (متى ص ٦ ع ٤٣)
لاننا يلزمنا اضطراراً ان نحل هذه الاقوال كلها ونفحصها . ليس حتى نكفهم فقط عن أن يلبثوا بطالين
ان ارادوا . لكن حتى لا يظن ان اقوال الله تورد حرباً ومضادة*لان بولس قد قال في موضعٍ
آخر .. نطلب اليكم ان تفضلوا . وتحبوا الاسعاف . وتسكنوا . وتعملوا صنايعكم . لتتصرفوا لدى الذين
هم خارج محلتنا باحسن شكل* " (تسالونيكيه اولى ص ٤ ع ١٠) وقال ايضاً .. السارق لا يسرقنَّ
ايضاً . بل اولى بهِ ان يتعب عاملاً بيديهِ ليمتلك ما يواسي بهِ المحتاج* " (افسس ص ٤ ع ٢٨)

فبولس ما امرنا ههنا ان نعمل على بسيط ذات العمل · لكنه اوعز الينا ان نعمل على هذا النحو بتعبٍ وكدٍّ * حتى نواسي غيرنا · وقد قال هو في موضعٍ اخر * .. هاتان اليدان خدمتا حوايجي · وحوايج الذين كانوا معي * '' ولما راسل اهل مدينة قرنتيه قال * .. ماهو ثوابي : ان اكون اذا بشرت · اجعل بشارتي مسلوبة من الاحتياج الى نفقة * '' (قرنتيه اولى ص ٩ ع ١٨) ولما حصل في تلك المدينة لبث يعمل عند آكيلا وابرسكيلا * .. لان صناعتهما كانت صناعة الخيم * '' (ابراكسيس ص ١٨ ع ٣) الّا ان هذه الاقوال تظهر الحرب على الاقوال · الذي قيل لهولاء اشد تاثيرًا * فيلزمنا اضطرارًا ان نورد حلها * فما الذي نقولهُ نحو هذه الاقوال : نقول ان لفظة .. لاتهتموا '' ليس هي لفظة لا تعملوا · لكن معناها هو · لاتتسمّروا في اشغال الدنيا * فهذا هو معنى قولهِ * لاتهتموا اهتمامًا لاجل الراحة في الغد * لكنّ سبيلكم ان تستشعروا الاهتمام عملاً منحرفًا عن غرضكم * لان قد يمكن ان يوجد عمول لايذخر الى الغد شيأً * وقد يوجد عمول لايهتم اهتمامًا * لان الاهتمام والعمل ليس هما فعلاً واحدًا بعينهِ * لانهُ ليس يعمل عاملاً على انهُ واثق بعملهِ · لكنهُ يعمل ليواسي المحتاج الى مواساته * والقول الذي قيل لمرثا · ليس هو من اجل عملٍ وبطالة · لكنهُ قيل لانهُ يجب علينا ان نعرف الوقت · ولا نفني وقت الاستماع في الاعمال الجسدانية * فما قال لها هذه الاقوال دافعًا اياها الى البطالة · لكنهُ قالها محرضًا اياها على الاستماع منهُ · كانهُ قال لها · انما جينا نعلمكم الافعال الواجبة · فاجتهدتِ انتِ في اصلاح الماكول * أتريدين ان تضيفيني وان تصلحي مايدة جزيلة التفنن : اعملي لي ماكولاً آخر · وهو ان تخوليني استماعاً مني بنشاطٍ · مماثلة اختكِ * فما قال هذه الاقوال مانعًا حب الضيافة · ابعد هذا الوهم * وكيف يجوز ذلك : لكنهُ قالها يعلّمنا · انهُ ما يجب ان نشتغل في وقت الاستماع في شغل آخر * وقولهُ .. لاتعملوا للطعام الهالك '' فما اضمر فيهِ هذا المعني · انهُ ان نبطل · وذلك ان البطالة خصوصًا طعامٌ هالك هو * لان البطالة قد علّمت مستعمليها كل رزيلةٍ * لكنهُ اوعز بذلك ان نعمل · وان نواسي الفقراء * فان هذا العمل ليس هو طعامًا هالكًا * لان احدنا اذا كان بطالاً يملاء بطنهُ ويهتم بتعنيمه * فهو يعمل للطعام الهالك . واذا كان احدنا بعملهِ يطعم المسيح · ويسقيه ويكسوهُ . فمن يكون بهذه الصفة فاقدًا حسّهُ مصروعًا يفضي بهِ جنونه الى ان يقول · ان من هذه الطريقة طريقتهُ يعمل للطعام الهالك : بل لاجل هذا العمل هو الوعد بالملكوت المرتجى · وبتلك النعم

الصالحة. لان هذا الطعام يبقى دايمًا*وان كان اوليك القوم الذين لحقوهُ ما اهتموا بالامانة. ولا اهتمامًا واحدًا. ولا استبحثوا حينيذٍ ان يعرفوا مَن هو الذي يعمل هذه الاعمال. وباية قوة يعملها. بل ارتادوا مرادًا واحدًا فقط. وهو ان يملأوا بطونهم. ولم يعلموا للطعام الذي هذه خاصتهُ ولا صنفًا منهُ. سمى على جهة الواجب عملهم طعامًا هالكًا*كانهُ قال لهم غذوتُ اجسامكم. لكي تلتمسوا من هذا الفعل الطعام الآخر الباقي الغاذي انفسكم. فانتم قد تكردستم الى الطعام الارضي ايضًا*فلهذا السبب لستُ اقتادكم الى هذا الطعام الفاقد التمام. لكنني اقتادكم الى ذلك الطعام. الذي ليس من شانه ان يفيدكم حياةً وقتية. بل دهرية*الغاذي ليس اجسامكم. لكن انفسكم*ثم اذ كان قد تكلم عن ذاتهِ كلامًا عظيمًا. ذكر انهُ هو يعطيهم هذا الطعام*فلكيلا يريبهم ما ذكرهُ اذا جعل كلامهُ موهلاً لتصديقهِ مصاعدًا الى ابيهِ ايعاز ذلك. لانهُ لما قال ,,الذي يعطيكموهُ ابن الانسان*''اتبعهُ بقولهِ* ,,لان هذا قد حققهُ الاب الالهِ*'' ومعنى ذلك هذا هو*في هذا ارسلهُ الاب حاملاً لكم هذا الطام*وهذه اللفظة تدل على ترجمة اخرى*لان المسيح قد قال في موضع غير هذا ,,مَن يسمع اقوالي فقد ختم وحقق ان الله صادقٌ هو*'' وهذا معناهُ انهُ قد حقق ذلك تحقيقًا خاليًا من مناقضة*وهذا المعنى على حسب ظني ان اللفظة قد اظهرتهُ في هذا اللفظ*فقال هذا قد ختمهُ الله الاب*اي قد حققهُ واعلنهُ بشهادتهِ لهُ. لانهُ قد اظهر ذاتهُ بل اذ خاطب اناسًا يهودًا. اورد الى وسط كلامهِ شهادة ابيهِ*

العظة الرابعة والاربعون

في ان الحظوظ المظنونة انها بهية في هذه الدنيا ليست هي شيأً*

فلنتعلم يا احباي ان نستميح الله هذه المطالب*التي هي اهلاً ان تُطلب وتُستماح منهُ*لان تلك اعني احوال الدنيا كيفما اتفقت لنا. فما تورد علينا من الضرر ولا صنفًا*لاننا ان استغنينا ههنا فانما نستمتع بالتنعم ههنا فقط*وان سقطنا ههنا في فقرٍ. فما نتكبد مصابًا مستصعبًا*لان لا حظوظ الدنيا البهية. ولا نوايبها الحازنة. تمتلك قوة في مناسبة الغم واللذة وفعلهما*لكن الصنفين كليهما يتيسر التهاون بهما* وهما جاريان بمسارعةٍ كثيرة*فلذلك دعاهما الهنا طريقين*لكن الواحدة منهما واسعة* والاخرى ضيقة ظاغطة*واما الحظوظ المنتظر كونها. فالصنفان منهما كلاهما يلبثان قد عدما ان يكونا مايتين*

اعني اقسام العقوبة. وحظوظ الملكوت * فسبيلنا ان نحرص في تلك الحظوظ حرصاً كثيراً. حتى ننفلت من تلك الحازنة ونهرب منها. ونختار الحظوظ الصالحة ونوثرها * لان ما الحظ النافع من التنعم ههنا. وهو اليوم موجود وغداً ليس يوجد: اليوم هو زهرة رايقة. وغداً هو غبارٌ هالك: اليوم هو نار متوقدة. وغداً هو رماد خامد: ولكن النعم الروحانية ليست هذه الحال حالها * لكنها تبقى لامعةً دايماً. زاهرة. صايرة كل يوم ابهى حسناً * تلك الثروة ليس تكف في وقتٍ من الزمان * ولا تنتقل في وقتٍ من الاوقات. ولا تنتهي الى غاية من الغايات. ولا تورد في وقتٍ من الاوقات اهتماماً وحسداً وثلباً. ولا تهلك جسمنا. ولا تفسد نفسنا. ولا تحوى حسداً. ولا تضم لنا بخلاً علينا بالتمتع بها * لان هذه العوارض كلها حاصلة في هذه الثروة العالمية * فذاك المجد ما يرفعنا الى التعظم. ولا يصيرنا ان نتلهب. ولا يكف في وقتٍ من الاوقات. ولا يصيرنا اكدر ضوءاً * والراحة والنعيم في ملك السموات تلبث ايضاً دايماً. وتوجد عديمة ان تتزعزع او تموت * ولا يتجه ان يوجد لها غاية وتمام * فسبيلنا ان نرتاح الى هذه الحياة * لاننا ان اشتقنا اليها. فما نهتم بشيءٍ من الاشياء الحاضرة * لكننا سنزدري بهذه الاملاك ونتهقه عليها * ولو اوعز الينا موعز. ان ندخل الى قصور الملوك. فما كنا نختار ذلك. اذا كنا ماكثين ارتجاء تلك النعم * على ان الدخول الى هذه القصور ليس يوجد عند الناس حظ اسعد منهُ على حد ظنهم * الا ان هذا عند المضبوطين بعشق النعم السمائية حظ صغير حقير جداً. ليس موهلاً ولا لصنفٍ من تعب * لان ما يحوى غاية ليس هو محروصاً عليهِ كثيراً * وكلما يكف ويوجد اليوم. وليس يوجد غداً. ولو كان عظيماً فهو يُستشعَر صغيراً جداً. يتيسر التهاون بهِ * فلا نثبت اذاً بالاشيا الهاربة منا * ولا نتمسك بالقنيات السايلة العابرة * لكن ينبغي لنا ان نضبط الاملاك الباقية. الفاقدة ان تكون متحركة * التي فليتفق لنا كلنا امتلاكها. بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه. الذي بهِ ومعهُ لابيهِ المجد مع الروح القدس * الان ودايماً والى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الخامسة والاربعون

(٢٨) فقالوا لهُ. ماذا نعمل لكي نعمل اعمال الله: (٢٩) فقال لهم يسوع. هذا هو عمل الله. ان تومنوا بمن ارسله ذاك * (٣٠) فقالوا لهُ. ما الآية التي تعملها حتى نبصرها. ونصدقك: ماذا تعمل:

ليس داء اشرّ من داء نهم البطن. ولا يوجد اقبح منهُ هذا الداء يصيّر تمييزنا كثيفاً*هذا يجعل نفسنا لحمية*هذا يعميها. وما يتركها تبصر*وابصر هذا العارض عارضاً لليهود * لانهم اذ تلهفوا الى نهم بطونهم. وصاروا كلهم عبيداً لشهوات الدنيا. وما فهموا معنىً روحانياً. اقتادهم المسيح باقوال جزيلة عددها حاوية سناناً واشفاقاً. فما انتهضوا على هذه الجهة. لكنهم لبثوا طريحين اسفل*لانهُ ذكر لهم.. انكم تطلبونني. ليس لانكم رايتم اياتي. لكن لانكم اكلتم من الخبز وشبعتم* " فلذعهم بتوبيخهِ. واراهم ايما هو الطعام الذي ينبغي لهم ان يطلبوهُ*اذ قال.. اعملوا ليس للطعام الهالك* " ووضع الجايزة بقولهِ.. لكن لحياةٍ دهرية* " وشفى القول المشكوك فيهِ عندهم. وهو قولهُ. ان اباهُ ارسلهُ*ولكن اوليك كانت حالهم حال مَن لم يسمع قولاً من هذه الاقوال*.. فقالوا لهُ ماذا نصنع لنعمل اعمال الله : " فهذه الاقوال قالوها. لا حتى يعرفوا ويعلموا. ويبين ذلك اقوالهم التالية هذا القول. الذي كانوا يقتادونهُ بهِ الى ايزاعهم الطعام ايضاً. مريدين ان يستميلوه الى اشباعهم*فقال لهم المسيح.. هذا هو عمل الله. ان تومنوا بمن ارسلهُ الله*فقالوا ما الاية التي تعملها*لكي اذا رايناها نصدقك : (٣١) اباونا اكلوا المَنّ في البرية* " ليس يكون اعدم حساً*ولا ازول قياساً. من الذين آية الخبز ايضاً في ايديهم موجودة. فقالوا كانها لم تكن.. ما الاية التي تعملها : "واذ قالوا هذا القول. ما اهملوا التماس الاية ان يكون مفوضاً اليهِ. لانهم ظنوا انهم يستميلونهُ الى الالزام بالاّ يعمل ايةً اخرى. الاّ ايةً هذا مثالها. كالتي حدثت في ايام اجدادهم*ولهذا الغرض قالوا لهُ.. اباونا اكلوا المَنّ في البرية* " ظانين انهم يستنهضونه بهذا القول. الى ان يعمل آيةً (هذا الغرض غرضهم فيها) نقتدر ان نغذوهم تغذية لحمية*لان لماذا ما ذكروا. ولا ايةً واحدة من الايات السالفة : على انها كانت كثيرة في مصر. وفي البحر. وفي القفر*لكنهم انما ذكروا هذه خصوصاً. التي اشتهوها جداً باغتصاب بطنهم اياهم * وانا اخاطبهم. يا مَن دعيتموهُ نبياً. وحاولتم ان تجعلوهُ ملكاً لما رايتم آيته. كيف انزلتموها منزلة شي لم يكن. وصرتم عديمين ان تكونوا شكورين فاقدين الموالاة. وطلبتم آيةً. اذ ابديتم الفاظ طفيليين. وكلاب كلبة من جوعها : فالمَنّ الان مستحب عندكم : ونفسكم ليست قشبة ايضاً*وانظر الى مرادتهم*ما قالوا ان موسى اخترع هذه الاية. فما الذي تعمل انت : اذ توهموا انهم يلذعونهُ بذلك*لكنهم خاطبوهُ عاجلاً بتكريم كثير. لتاميل الطعام*ولا قالوا هذا القول. ان الله عمل هذه الجريحة. فانت ما الاية

التي تعلن : لكيلا يتوهموا انهم يعادلونه بالله * ولا استوردوا موسى : لكيلا يظنوا انهم ينللوا قدرة * لكنهم وضعوا كلامهم باوسط معنى بقولهم .. اباونا اكلوا المنّ في البرية * " وقد كان ينساغ لربنا ان يقول . انني الان قد اجترحت جرايح اعظم من موسى * وما احتجت الى عصاة * ولا الى صلوة * لكنني اجترحتها كلها من ذاتي * فان ذكرتم المنّ . فهنذا قد جدتُ عليكم بالخبز * الا ان الوقت ما كان وقت هذه الاقوال * لكن الغرض المحروص عليه كان واحداً . ان يصاعدهم الى الغداء الروحاني * وايصير فهمهُ الغايت ان يكون مخبوراً . كيف اجابهم * فقال (٣٢) .. ليس موسى اعطاكم الخبز من السماء . لكن ابي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء * " فان قلت فما غرضهُ في انهُ ما قال ليس موسى اعطاكم الخبز . لكنني انا اعطيتكموهُ * لكنهُ وضع الله بدلاً من موسى . وجعل ذاتهُ عوض المنّ : اجبتك . لان ضعف سامعيهِ كان كثيراً . وذلك واضح مما يتلوهُ * لانهُ قال لهم هذا القول . وما ضبطهم على هذه الجهة * على انهُ قد قال في ابتداء خطابهِ .. تطلبونني . ليس لانكم رايتم اياتي . لكن لانكم اكلتم من الخبز وشبعتم * " والدليل على انهم كانوا يطلبون هذه المطالب . فواضح من الاقوال التاليه هذه التي تلافاهم بها . وما انتزحوا عنها . ولا على هذه الجهة * الا ان ربنا حين وعد السامرية ما ذكر اباهُ . لكنهُ قال لها .. لو عرفتِ مَن هو القائل لكِ اعطيني لاشرب . لاستعطيتهِ فاعطاكِ ماء حياً * " وقال لها ايضاً .. الماء الذي اعطيهِ انا * " وما ارسل الكلام الى ابيهِ * وههنا ذكر اباهُ . لنعرف كم هو مقدار امانة السامرية . وكم ضعف ايمان اليهود * ولعمري ان المنّ ليس هو من السماء . فكيف يقال انهُ من السماء : وانما قيل ذلك . كما يقال طيور السماء . وارعد الرب من السماء * ولعمري انهُ يدعى خبزاً حقيقياً . ليس لان العجيبة الكاينة في المنّ كانت كاذبة . لكن لانها كانت رسماً * وما كانت هي الحقيقة بذاتها . ولما ذكر موسى ما عادل ذاتهُ بذلك * لانهم ما كانوا بعد قد فضلوهُ على موسى . لكنهم كانوا قد حازوا بعد في موسى ظناً اعظم * ولهذا المعنى قال .. ليس موسى اعطاكم المنّ * " ولم يتبع ذلك بانا اعطيكم * لكنهُ قال . ان اباهُ بدلاً منهُ يعطيهم * فلما سمعوهُ .. قالوا اعطنا هذا الخبز ناكله * " لانهم قد توهموا ايضاً انهُ شي محسوس * وهم بعد يتوقعون تمتعاً لبطنهم * ولهذا السبب تبادروا اليه بمسارعة * الا ان المسيح صاعدهم قليلاً قليلاً فقال (٣٣) .. خبز الله هو المنحدر من السماء المعطي للعالم حيوة * " فما اعطى حيوة لليهود وحدهم . لكن للمسكونة معهم كلها * وما ذكر طعاماً ذكياً

على بسيط ذاته. لكنهُ ذكر حياة اخرى تخالف هذه بابتدائها*وذكر حيوة يجود بها على المسكونة*لان جميع اهلها كانوا مائتين*الّا ان هولاء القوم كانوا جانحين بعد الى اسفل* اذ قالوا (٣٤) ،، اعطنا هذا الخبز*" فاذ وبخهم بانهم الى حين توهموا ان توجد عندهُ مايدة محسوسة تبادروا اليهِ. ولما عرفوا انها مايدة روحانية هي ما سارعوا اليهِ ايضاً*(٣٥) قال ،، انا هو خبز الحيوة*مَن يوافي اليَّ ليس يجوع*ومَن يومن بي ليس يعطش في وقتٍ من اوقاته*(٣٦) لكنني قد قلت لكم. انكم قد رايتموني. وما صدقتموني* ،، وهذا العمل قد عملهُ يوحنا الصابغ منذ اعلا انذاره*اذ تقدم فقال ،، ما قد عرفه يقولهُ*وما ابصرهُ يشهد بهِ. وليس يقبل احدٌ شهادته*" وقد قال هو ايضاً ،،ما قد عرفناه نقولهُ. وما رايناهُ نشهد بهِ. وما تصدقونني*" فيعمل هذا العمل. اذ سبقهم وبيّن لهم ان فعلهم هذا ما ارجنهُ*ولا يرتاح الى تشريفهم اياهُ. ولا يجهل غوامض سريرتهم لا الحاضرة ولا المستانفة* ،،انا هو خبز الحياة" يوثر ان يداخل الى تسليم الاسرار. واولاً يتكلم في لاهوته قايلاً ،،انا هو خبز الحيوة*" لانهُ ما قال هذا القول عن جسدهِ*لانهُ عند تمام خطابه يتكلم في ذكر جسدهِ ويقول* ،، الخبز الذي اعطيه انا هو لحمي*" لكنهُ الآن خاطبهم في ذكر لاهوتهِ*لان لحمهُ لاجل الكلمة الاله خبز هو. مثل ما ان هذا الخبز لاجل حلول الروح عليهِ يصير خبزاً سموياً*وههنا ليس يستعمل شهوداً. مثلما استعمل في الابداع الاول*لانهُ امتلك ابداع الخبزات شاهداً لهُ*فهم الان يتخاضعون لهُ متظاهرين مرائين* وهنالك ارادوهُ وشكوهُ*فلهذا السبب يجزم ههنا قولهُ ويثبتهُ*واذ كانوا هم قد توقعوا ان يتمتعوا بطعام لحمي. لهذا السبب ما ارتجفوا الى ان ييّسوا بعد ذلك ما ارتجوهُ. وما اصمتهم على هذه الحال. لكنهُ قد قال لهم اقوالاً مخجلة*لانهم لما اكلوا دعوهُ نبياً. وههنا ارتجفوا وارتابوا. وسموهُ ابن النجار. الّا انهم ما قالوا هذا القول لما اكلوا الخبز. لكنهم قالوا هذا هو النبي. وارادوا ان يجعلوهُ ملكاً. وقد يتوهم متوهم انهم اغتاظوا بقولهِ*انهُ انحدر من السماء*وهذا فعلى الظن الصادق ما كان الذي ولد لهم الاغتياظ. لكن الذي اغاظهم عليهِ. انهم ما أُهِلوا ان يستمتعوا منهُ بمايدة محسوسة*لانهم لوكانوا قد اغتاظوا على هذه الجهة. لكان واجباً ان يسالوهُ ويستخبروا منهُ. كيف هو خبز الحيوة. وكيف انحدر من السماء. فهذا العمل لعمري ما عملوهُ*لكنهم تدمَّروا عليهِ* والدليل على ان هذا القول ما شككهم. فواضح من تلك الجهة*لانهُ اذ قال ان ابي يعطيكم الخبز. ما قالوا لهُ فاطلب اليهِ ان

يعطيناهُ*لكن قالوا اعطنا هذا الخبز*على انهُ ما قال انا اعطيكم .لكنهُ قال ابي يعطيكم*الاَّ انهم لشهوة الطعام ظنوهُ انهُ موءهل للتصديق في استماحتهِ* فالذين ظنوهُ موءهلاً للتصديق في اعطايهم الخبز.كيف اجمعوا بعد ذلك ان يرتابوا بهِ. وقد سمعوا مع ذلك ان اباهُ يعطيهم : فان سالت. ما علة ذلك : اجبتك. لما سمعوا انهم ما يمكنهم ان ياكلوا ايضاً. انكروا كلامهُ. وقدموا على ما يليق لهم حجاباً لانكارهم. وجودهم قولهُ عاليًا*ولهذا السبب قال. قد رايتموني وما صدقتموني*فهذا القول اضمر لهم فيهِ ذكر اياتهِ احيانًا. والشهادة لهُ من الكتب احيانًا*لانهُ قد قال .. ان تلك الكتب تشهد لي* ".. وانني قد جيت باسم ابي وما قبلتموني*" .. وكيف تقدرون ان تومنوا. مع استمدادكم تشريفًا من الناس : " (٣٧) .. وكل من يدفعهُ ابي اليَّ يجي الى عندي. ولست اخرج مَن يوافي الى عندي الى خارج* " فانظر كيف يعمل كل اعمالهِ بسبب المتخاصين*لانهُ لهذا الغرض. استثنى بهذا القول*لكيلا يظن بهِ انهُ يستنخص ويتكلم هذه الاقوال باطلاً*ويجوز ان يسال. وما هو معنى ما قالهُ .. وكل مَن يدفعهُ ابي اليَّ يجي الى عندي. وانا اقيمهُ في اليوم الاخير : " ولاي غرض ذكر القيامة المشتركة. التي يساهمها المحدون ايضاً .فاحلُّها محل هبة مفردة للذين يوءمنون بهِ : فاجيبك. انهُ لم يذكر قيامة على بسيط ذاتها .لكنهُ انما ذكر القيامة التي هذه الخاصة خاصتها*لانهُ اذ قال فيما سلف*لست اخرجهُ الى خارج. ولستُ اضيّع مما يعطينيهِ. قال حينيذٍ القيامة*لان في القيامة يُخرَج اناسٌ على ما قال .. احملوهُ واخرجوهُ الى الظلام البراني الاقصى بعدًا* "(متى ص ٢٢ ع ١٣) واناسٌ.. يهلكون*لانهُ قال .. خافوا خوفًا كثيرًا. من القادر ان يهلك نفسكم وجسدكم في جهنم* " وقولهُ .. انا اعطيهِ حيوة دهرية* " يدل على هذا المعنى*لان الذين عملوا اعمالاً ردية. يخرجون الى قيامة مداينة*والذين فعلوا افعالاً صالحة. يخرجون الى قيامة حيوة*فهنا اوضح هذه القيامة التي تكون في النعم الصالحة*ويريد ايضاً بقولهِ .. كل مَن يدفعهُ ابي اليَّ يجي الى عندي* " ان يلذع انكارهم اياهُ. مبيناً ان مَن لم يصدقهُ. يخالف ارادة ابيهِ*ولعمري انهُ ما قال هذا القول مجردًا مكشوفًا .لكنهُ قالهُ مستورًا*وهذا العمل يعملهُ في كل موضع من كلامهِ. مريدًا ان يظهر الذين انكروهُ مصادمين اباهُ. ليس مصادمين لهُ وحدهُ*لانهُ ان كانت هذه ارادتهُ. ولهذا الغرض جاء ليخلص الانسان. فالذين لم يوءمنوا بهِ. فقد خالفوا ارادتهُ*لانهُ قال اذا ارشد ابي واحدًا من الناس. فليس يوجد مانع يمنعهُ من المجي اليَّ*وقد

قال في موضع آخر .. ليس يقتدر احدٌ ان يجي اليّ . ان لم يجتذبهُ ابي* " وبولس قد قال . انهُ هو يدفعهم الى ابيهِ* لانهُ قال .. اذا دفع المملكة الى الاله ابيهِ* " وكما ان اباهُ اذا اعطاهُ ليس يعمل هذا العمل مُعدِمًا ذاتهُ اولاً ما يعطيهِ اباهُ . فكذلك اذا دفع الى ابيهِ ليس يعمل هذا العمل مخرجاً ذاتهُ مما دفعهُ اليهِ* فقال انهُ يدفع اليهِ . لاننا بهِ امتلكنا الانقياد اليهِ* ولفظة بهِ هذه . تقال في ابيهِ ايضاً . مثلما اذ قال .. انكم بهِ دُعيتم الى شركة ابنهِ* " (قرنثيه اولى ص ١ ع ٩) وبارادة الاب . وقد قال هو ايضاً .. مغبوطٌ انت ياسمعان بن يونا . لان ما اعلن لك هذا لحمٌ ودم* " (متى ص ١٦ ع ١٦) فالمعنى الذي بضمرهُ ههنا هو هذا . ان الايمان بي ليس فعلاً حقيراً . لكنهُ يحتاج الى اشارةٍ من العلو . وهذا يصلح القول بجملتهِ . موضحًا ان هذا الايمان يحتاج الى نفسٍ جليدة . والى خشوعٍ من الله* ولكن لعل قائلاً يقول لهُ . ان كان كل مَن اعطاهُ ابوك يجي الى عندك . والذين يجتذبهم هم يجيئون اليك . وليس احد يقدر ان يجي الى عندك . ان لم يكن ذلك معطى لهُ من فوق . فالذين ما اعطاهم ابوك ذلك . هم اذاً يتخلصون من كل علةٍ وزلةٍ . فنقول لهُ . هذه الاقوال ساذجة وحجة باطلة* لاننا نحتاج الى الاختيار الذي يناسبنا * لان لاختيارنا نوجد ان نتعلم . وان نومن * فليس يظهر ههنا بلفظة مَن يوٴمن بي ليس فعلهُ فعلاً حقيراً * وليس يحتاج الى افكار انسانية . لكنهُ يحتاج اعلاناً من العلو . ونفساً حسناً رايها قابلة الاعلان * ولفظة مَن يوافي الى عندي يتخلص . معناها هو انهُ يستمتع باهتمامٍ كثير* لانني لاجلهم جيت . واشتملت لحماً . واحتجبت بصورة عبدٍ* ثم استثنى بقولهِ (٣٨) .. انحدرت ليس حتى اعمل مشيتي . لكنني انحدرت لاعمل مشيئت مرسلي* " وانا اتجاسر ان اقول لهُ . ماذا تقول : أَفمشيتك اخرى . ومشية ابيك غيرها : فلكيلا يتوهم متوهم هذا التوهم . تلافاهُ باللفظ الذي يتلوهُ ايضاً . وهو (٤٠) .. هذه هي مشية مرسلي* لكي كل باصرٍ الى الابن ويوٴمن بهِ . يمتلك حياة دهرية* " فاقول لهُ . أَفهذه ليست مشيتك : فكيف تقول في موضع آخر .. جيت القي على الارض ناراً . وماذا كنت اشاء الاَّ اضطرامها فيما سلف : " (لوقا ص ١٢ ع ٤٩) فان كنت انت تشاء هذه المشية . فواضح ان لكما مشية واحدة* لان قد قال في موضع آخر من كلامهِ . .. وكما ان الاب يقيم الاموات ويحييهم . فكذلك ابنهُ يحيي الذين يشاء * " وما هي مشية ابيك . هل هي الآن لا يضيع منهم ولا واحد : وهذه المشية تريدها انت ايضاً * فليست تلك المشية اخرى .

وهذه المشية غيرها*لانه اذ امعن في تعليمه قال ,, كم دفعة شئت ان اجمع اولادك . فما شئتم* ''
فما هو معنى ما قاله : هو انني ما جئت اعمل عملاً آخر* الا هذا العمل الذي يريده ابي* وليست
ما لكنا المشية من ابي خاصة بي* لان افعال واوهام ابي كلها . هي افعالي واوهامي* وافعالي واوهامي
هي افعال ابي واوهامه* فان تكن افعال واوهام الاب والابن مشاعة مشتركة . فعلى جهه الواجب
قال ,, انحدرت ليس لكي اعمل مشيتي . '' الا انه ما قال ههنا هذا القول . لكنه يخزن هذا القول
لتمام كلامه* لان الفاظه الغالية على ما ذكرت يسترها عاجلاً ويحجبها* ويشاء ان يبين انه لو كان
قال . ان تشبعي هذه المشية هي . لكانوا قد ازدروا قوله* فقال . انني انا اوافق ابي في مشيئته مريداً
ان يلذعهم اشد لذعاً* كانه قال* ماذا ظننتم . انكم قد اغضبتموني اذ لم تؤمنوا بي : فقد اغضبتم اذاً
ابي* لان ,, هذه مشية مرسلي* لكي كل من اعطانيه . لا اضيعه منه* '' فقد بين ههنا انه ليس
محتاجاً الى خدمتهم* ولا جاء لاجل خدمة واصلة اليه منهم* لكنه انما جاء لاجل خلاصهم* ليس
لاجل تكريمهم اياه* وهذا فقد ذكره في مخاطبته الاولى اياهم ,, انني لست مستمداً من الناس تشريفاً* ''
وقال ايضاً ,, انما اقول هذه الاقوال . لتخلصوا انتم* '' مجتهداً فوق واسفل ان يحقق هذا المعنى .
انه انما جاء بسبب خلاصهم* مسوماً لابيه تشريفاً* حتى يعدم ان يكون متهماً* والدليل على انه
لهذا المعنى يخاطبهم . فقد كشفه باقواله التي تتلو هذه كشفاً بيناً* لانه قال ,, من يلتمس مشيئته . انما
يلتمس شرفاً لخصه* ومن يطلب تشريف مرسله . فهو صادق . وليس يوجد فيه ظلم . هذه هي
مشية ابي . لكي ناصر الى ابنه . ومؤمن به . يمتلك حياة دهرية* واقيمه في اليوم الاخير* ''
وان سالت وما غرضه في انه في اعلا كلامه واسفله يردد القيامة ترديداً متصلاً :

اجيبك . حتى لا يميزوا ان عناية الله هي في الاشياء الحاضرة فقط*
حتى وان لم يتسلموا ههنا المقابلة . لا يكونوا لهذا السبب
مستلقين على ظهورهم . لكن ينتظروا الحظوظ
المرتجاة* حتى لا يتهاونوا به . اذا لم يعاقبهم في



الاوان الحاضر . لكن يتوقعوا
حياة اخرى غير هذه

العظة الخامسة والاربعون

في ان ذكر القيامة والمحاكمة يقمع نهضاتنا الشنعة* وفي انهُ باطل هو القول بان يوجد حظ سعيد او ردي لاحد من تلقا الطالع والبخت* وفي ان نهاية هذه الدنيا قريبة *

الا ان اوليك اليهود ما ربحوا شيًا . واما نحن فقد نربح من اتصال الهتاف الينا بالقيامة*متي ما شينا ان نستكثر من القنيات . متى ما اثرنا ان نختلس شيًا . ان اعتزمنا ان نعمل عملاً منكرًا . وحصلنا ذلك اليوم في عقلنا في الحين . وصوّرنا فيهِ مجلس القضاء . فسيضبط هذا الفكر نهضتنا الشنعة . اشدّ ضبطًا من كل لجام*فسبيلنا ان نقول دايمًا بعضنا لبعض . ونخاطب ذواتنا . القيامة موجودة*ومجلس قضاء رهيب ينتظرنا. وان راينا انسانًا متشامخًا . وبالخيرات الحاضرة متبذخًا . نقول هذا القول بعينهِ . مظهرين ان الاشياء كلها تبقى ههنا * ومتى راينا غيرهُ متوجعًا متضجرًا . فينبغي ان نقول لهُ هذا القول بعينهِ . موضحين لهُ ان النوايب الجازفة نحوهُ نهاية*وان ابصرنا وانيًا مخرقًا . فسبيلنا ان نترنم عليهِ هذا القول بعينهِ . موضحين انهُ بلازم الضرورة سيقوم بالحجج عن ونيته*فهذه اللفظة فيها كفاية *ان تشفي نفسنا ابلغ من كل دواء*لان قيامتنا موجودة . وقيامتنا قد وصلت الى الابواب . وليست بعيدة ولا منتزحة .. لان بعد مدة يسيرة قريبة . سيجي الوارد وليس يبطي*" (عبرانيين ص ٥ ع ٣٧).. وينبغي لنا كلنا ان نظهر لدي موقف المسيح*" (قرنتيه ثانيه ص ٥ ع ١٠) الخبثاء منا والصالحون*فالخبثاء الاشرار يظهرون لديه . ليشتملهم الاستهزاء بمحضر البرايا كلها*والاخيار يظهرون . ليصيروا ابهى نورًا لدى الخلايق بجملتها* وكما ان القضاة ههنا يعاقبون الاشرار . ويكرمون الاخيار علانيةً . كذلك يصير هنالك . حين يصير الاستهزاء لاوليك الارذلين اعظم لذعًا . وتكون الاستنارة لهولاء الافضلين ابين ظهورًا * فهذه الحوادث سبيلنا ان نمثلها كل يوم لانفسنا . ونصوّر بها هذه الحظوظ المامولة*ان رددناها دايمًا بفكرها . فليس يقدر ان يمضنا من الاشياء الحاضرة ولا اهتمام واحد*لان الاشياء الملحوظة وقتية . والحظوظ التي ليست ملحوظة دهرية . فينبغي ان نقول لانفسنا . وبعضنا لبعض قولاً متصلاً . قد يوجد قيامة ومحاكمة . ومقابلات عدلة على الاعمال التي عملناها . وجميع الظانين انهُ يوجد حظ

لازم من طالع· فليقولوا هذا القول. ليتخصلوا في الحين من هذا السقم * لانهُ ان كان يوجد قيامة ومحاكمة· فليس يوجد حظ لازم من طالع. ولوما حكموا في ذلك باقوال جزيل عددها واختنقوا *ولكنني استخزي اذا علّمتُ اناساً مسيحيين الايقان بالقيامة· لان المحتاج الى ان يتعلم ان ستوجد قيامة· ولم يكن موقناً متحققاً في ذاتهِ· ان الاشياء ما تندفع بضرورة وعلى بسيط ذات اندفاعها· ولا تتحرك على ما اتفق· فليس هو مسيحياً *فلهذا السبب اتضرع اليكم ان ننظف ذواتنا من جميع الاوهام الخبيثة. ونعمل كل ما يمكنا· حتى يتفق لنا ان نمتلك في ذلك اليوم عفواً واعتذاراً *ولكن لعل قايلاً يقول· ومتى يكون انقضاء الدنيا . ومتى تكون قيامتنا . فها كم زمانٍ قد كان· ولم يعرض عارض هذا تاثيرهُ . فاقول لهُ· لكن صدقوا انها ستكون. لان الذين كانوا قبل الطوفان. قد كانوا يقولون هذه الاقوال وامثالها * وقد تضاحكوا على نوح *الا ان وافى ودام هولاء الذين قد انكروهُ· وخلص ذلك الذي صدق ورودهُ *والذين كانوا في زمان لوط. ما توقعوا تلك الآفة المنزلة من الله. الى ان انحدرت عليهم تلك الصواعق والشهايب المحرقة· فغيَّبتهم كلهم واباداتهم *وما حدث في زمان هولاء. ولا في زمان الذين كانوا في ايام نوح· مقدمة للافات التي ازمعت ان تعرض لهم *لكن في حال تنعمهم وسكرهم واغتباطهم كلهم· داهمتهم تلك الافات المغتاص احتمالها *على مثل هذا المثال تكون القيامة· ليس بمبادي تتقدمها. لكنها تكون ونحن موجودون في وسط سرّاء ايامنا *ولهذا السبب قال بولس ... اذا قالوا سلامة وحياطة· حينيذٍ يدهمهم هلاكهم على غفلةٍ. مثلما يدهم امخاض الطلق الحاوية الجنين في بطنها· وما يفلتون *" (تسلونيكيه اولى ص ٥ ع ٣) فهذا الحادث يحدث· لكي نكون مجتهدين كل حين· ولا نطمئن في حياطتنا بعينها * وانا اخاطب السامع . ماذا تقول . أما نتوقع ان سيكون قيامة ومحاكمة . أفما الشياطين يقرّون بكونها· وانت تتوقح . لانهم قالوا .. جيتَ الى ههنا قبل الوقت تعاقبنا * " فالجن يقولون ستكون عقوبة. ويعترفون بمحاكمة ومقابلة وتعذيب * فلا نغيظن الهنا بتجاسرنا على الافعال الردية· وبانكارنا اعتقاد القيامة *وكما ان المسيح سيدنا تقدم علينا في افعاله الاخرى اولاً· فكذلك تقدم علينا في هذا الانبعاث اولاً . لانهُ لهذا السبب يُدعى بكراً من الاموات *فان لم تكن قيامة· فكيف استانف ان يصير بكراً . اذ ليس يتبعهُ احدٌ من الاموات·

ان لم تكن قيامة*فاين يصح حكم الله العادل. اذا كان اناس اشرار جزيل عددهم متنعمين بطيبة ايامهم وسرَّايها. واناس اخيار هذا مبلغ كثرتهم مضغوطين بغمومٍ. وقد قضوا اعمارهم في اغتمامهم. فاين يتسلم كل فريقٍ من هولاء ما يكون واجبًا لهُ. ان يكن ما توجد قيامة: فليس ينكر احدٌ القيامة من العايشين عيشة منقومة*لكنهم يصلون كل يوم بذلك اللفظ المقدس قايلين "ليات ملكوتك*" وان سالت مَن هم الذين ينكرون القيامة: اجبتك. هم المالكون طرقهم دنسة. وعيشتهم نجسة* على ما ذكر النبي "سبلهم نجسة في كل حين. وتتغيب احكامك من وجوههم*" (مزمور ٩ ع ٢٨ و٢٩ (حزقيال ص ١٣ ع ٢٢) لان ليس يوجد انسان مالكًا عيشة نقية ينكر القيامة*من طريق ان الذين ما يعرفون لانفسهم فعلاً خبيثًا. يقولون بكونها ويريدونها ويصدقونها*حتى يتسلموا مكافاتهم* فلا نغيظن ربنا* لكن فلنسمعهُ اذ يقول "خافوا القادر ان يهلك في جهنم نفسكم وجسمكم*" (متى ص ١٠ ع ٢٨) لنصير بخوفهِ افضل حالاً* ونتخلص من هذا الهلاك* ونوهل لملك السموات*الذي فليتفق لنا كلنا امتلاكهُ*بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفهِ الذي بهِ ومعهُ لابيه المجد*مع الروح القدس*الى اباد الدهور كلها امين

المقالة السادسة والاربعون

في قولهِ (٤١) وتذمرت اليهود عليهِ. لانهُ قال. انا هو الخبز المنحدر من السماء (٤٢) وقالوا اما هذا هو يسوع بن يوسف الذي نحن قد عرفنا اباهُ وامهُ. كيف يقول انهُ الخبز الذي انحدر من السماء:

ان بولس عند مخاطبتهِ في وصف اليهود. قال "اوليك الذين جوفهم الههم*وشرفهم في خزيهم*" (فيليبوسيوس ص ٣ ع ١٩) وهذا فواضح فيما سلف من افعالهم* ويبيّن ايضًا من اقوالهم التي قالوها للمسيح لما اقتربوا اليهِ*لانهُ حين. اعطاهم خبزًا وملاء بطنهم. قالوا انهُ نبي والتمسوا ان يجعلوهُ ملكًا*ولما علمهم من اجل الطعام الروحاني. من اجل الحياة الدهرية. لما عطفهم عن الاشياء المحسوسة. وخاطبهم في وصف القيامة. وجعل رايهم اعلا تمييزًا. حين وجب عليهم ان يستعجبوهُ

كثيراً. حينيذٍ تذمروا. وظفروا ناكصين عنهُ* وانا اخاطبهم. فان كان هو النبي على ما ذكرتم. لكن هذا هو الذي في وصفه قال موسى .. ان الرب الهكم يقيم لكم نبياً من اخوتكم مثلي. فاسمعوا منه* " فقد وجب عليكم ان تسمعوهُ قايلاً .. انني من السماء انحدرت* " الا انهم ما سمعوا قولهُ لكنهم تذمروا* مع انهم قد احتشموهُ ايضاً. بسبب ان آية الخبز كانت جديدة* فلهذا السبب ما زادوهُ مزاددةً ظاهرة* وبتذمرهم اظهروا انهم قد اغتاظوا عليهِ. لانهُ ما خولهم المايدة التي التمسوها منهُ واراودها* واذ تذمروا قالوا .. اليس هذا ابن يوسف. " فمن هذه الجهة استبان واضحاً. انهم ما كانوا قد عرفوا بعد. ولا ولادتهُ العجيبة البديعة* ولهذا السبب دعوهُ ابن يوسف. وما انتهرهم. ولا قال لهم. لست انا ابن يوسف* وما قالوا هذا القول* لانهُ كان ابن يوسف. لكنهم قالوهُ* لانهم ما استطاعوا ايضاً ان يسمعوا ولادتهُ تلك العجيبة* فان كانوا ما استطاعوا ان يسمعوا سماعاً بيناً مولدهُ بذات لحمهِ. فاولى بهم واليق انهم ما استطاعوا ان يسمعوا مولده الفاقد وصفهُ الذي في العلو* ولين كان ما كشف لهم مولدهُ الذليل. فاليق واوجب انهُ ما قلدهم تلك الاسرار العالية. على ان هذا قد شككهم تشكيكاً كثيراً. انهُ موجود من ابٍ حقير المحل دني الحظ* لكنهُ ما اعلن لهم ذلك عاجلاً. لكيلا يبطل شكاً آخر. ويخترع شكاً غيرهُ* وان سالت عما قالهُ هو عند تذمرهم عليهِ. اجبتك. انهُ قال (٤٤) .. ليس يقدر احدٌ ان يجي اليَّ. ان لم يجتذبهُ ابي الذي ارسلني* " الا ان اصحاب ماني يتواثبون بهذه الالفاظ الى هلاكهم قايلين. اننا ما وضع فينا اختيار مفوض الينا* على ان هذا القول. قد بيّن اننا متامرون على عزمنا* ولعل قايلاً منهم يقول. فان كان من يشاه يجي اليهِ. فما احتياجهِ الى اجتذابهِ: فنقول لهُ. هذا القول ليس يبطل ما هو الينا. لكنهُ يبيّن اننا محتاجون الى معونتهِ* فبيّن ههنا ان ليس الكاره جائياً اليهِ. لكنهُ يبيّن المستمتع بمعونة ونجدة كثيرة جائياً اليهِ* ثم يوضح الحال الذي بهِ يجتذبهُ* لان حتى لا يتوهم ايضاً في الله توهماً محسوساً. استثنى بقولهِ (٤٦) .. ليس ان الله ابصرهُ باصرٌ. الا الموجود بالحقيقة من الله. هذا ابصر الاب* " فان سالت كيف يجتذبهُ: اجبتك. هذا الاجتذاب قد تقدم النبي منذ اعلى الزمان فهتف بهِ. وقال (٤٥) .. انهم سيكونون كلهم متعلمين من الله* " أعرفت رتبة الايمان. وكيف يتعلمون الايمان ليس من اناس. ولا من انسانٍ. لكنهم انما يتعلمون الايمان من الله بعينهِ. فلهذا الغرض اذ جعل كلامهُ موهلاً لتصديقهِ.

ارسلهم الى الانبياء · فان قلت · ان كانوا سيكونون متعلمين من الله · فكيف اناس لم يؤمنوا به :
اجبتك · ان هذا القول الذي قيل · انما قيل في وصف الكثيرين * وخلوا من هذا القول · فقول
النبي ذلك يبين المريدين كلهم ان يصدقوه · متعلمين من الله * لانه تقدم فجلس معلمًا لكل من
يشاء · لم يزل متسومًا لتخويلهم علومه · دافقًا على جماعتهم تعليمه · " وانا اقيمه في اليوم الاخير * " (يوحنا
فص ٦ ع ٣٩) فليس مرتبة الابن هنا صغيرة * اذا كان ابوه يقتاد اليه · وهو يقيم من يجي اليه ·
فليس يتناول هذا القول قاسمًا الافعال مع ابيه * لان كيف يكون ذلك : لكنه يقول ذلك موضحًا
معادلة المقتدرة * فكما انه لما قال هنالك · وابي الذي ارسلني يشهد لي · ثم حتى لا يستفحصوا صوتًا ·
ارسلهم الى الكتب * فكذلك لكيلا يتوهموا هذا التوهم هنا بعينه · ارسلهم الى الانبياء * مردًا الانبيا في
اعلا كلامه واسفله ترديدًا متصلاً * مظهرًا ذاته انه ليس هو ضدًا الى ابيه * فان قلت · فما قولك في
الذين كانوا قبل وروده · لما كانوا متعلمين من الله : فما هي الخاصة المميزة له ههنا : اجبتك ·
انهم حينئذٍ بالناس علموا اقوال الله * والان فعلموها بابن الله الوحيد والروح القدس * ثم قال " ليس
ان الله ابصره باصر · الا الموجود بالحقيقة من الله * " فليس قوله هنا في معنى العلة · لكن في
معزة الجوهر · والا فان كان قال هذا القول · وكلنا نحن من الله · فاين الخاصة المنفردة المميزة
له : وان قلت · فلاي غرض ما وضع هذا القول اوضح بيانًا : اجبتك · بسبب ضعف اوليك ·
لانه لان كان اذ قال " انني انحدرت من السماء · " ارتابوا هذا الارتياب : فما الشك الذي ما كان
قد عرض لهم لو كان استثنى بهذا القول : ويدعوا ذاته خبز الحيوة · لانه يضبط حياتنا هذه المستانفة *
وقد قال " من يأكل هذا الخبز يحيى الى الدهر * " فالخبز ههنا · اما يكون قد قال انه اراد
الاعتقادات الخلاصية والايمان به · واما يكون قد قال انه جسده : لانهما جميعًا يقويان نفسنا * على
انه قد قال في موضع آخر " ان سمع سامع قولي · فليس يذوق موتًا · " فتشككوا * وههنا فما عرض لهم
تعارض هذه صفته · بسبب استعطافه اياهم من الخبزات المتكونة به · وانظر من اين يخترع الفصل
بين هذا الخبز وبين المن * فيتجه لك ان تسمع ذلك من نهاية الطعامين كليهما * لانه اذ اوضح انه ما
تخول الحاجة الى ذلك الفصل مستغربة · استثنى بقوله (٤٩) اباوكم اكلوا المن في البرية وماتوا * ثم
اخترع ما من شانه ان يحقق لهم تحقيقًا واضحًا · انهم قد أهلوا الحظوظ اعظم من ابائهم · الذين هم

موسى واوليك الرجال العجيبين بكثير. لانهُ لما قال ,, ان الذين آكلوا المن ماتوا* " استثنى بقولهِ ,, مَن ياكل من هذا الخبز يحيى الى الدهر* " وما وضع لفظة في البرية على بسيط ذات وضعها. لكنهُ وضعها مضمرًا فيها. ان المن ما طال مداهُ الى زمان طويل. ولا دخل معهم الى ارض الموعد* وهذا الخبز فليست هذه الغريزة غريزتهُ* (٥١) ,, والخبز الذي اعطيهُ انا هو لحمي. الذي اعطيهُ انا من اجل حياة العالم* " وعلى جهة الواجب بتحير ههنا متحير فيقول. ايُّ وقتٍ كان لهذه الاقوال التي ما عمرت احدًا ولا نفعتهُ. وصارت مفسدة للمتعمرين: لان البشير قال ,, من هذا القول ذهب كثيرون من تلاميذهِ الى ما ورائهم. وقالوا مستصعب هو هذا القول. مَن يستطيع ان يسمعهُ; " لان قد كان ممكنًا ان تُسلَّم هذه الاقوال الى تلاميذهِ وحدهم. على ما ذكر متى. انهُ خاطبهم على انفرادٍ* فما الذي تقولهُ; وان استخبرت وما هو الغرض النافع من هذه الالفاظ: اجيبك. ان الغرض النافع منها والضروري اللازم جزيل تقديرهُ* لانهم لما ثابتوهُ طالبين طعامًا جسمانيًا. ذاكرين الطعام المُعطى في زمان اجدادهم* داعين المن عظيمًا محلهُ. اوضح لهم ان تلك الاصناف كلها كانت رسمًا وظلاً* وان حقيقة الاشياء هي هذه الحاضرة* وذكر الطعام الروحاني* ولعلك تقول فقد كان يجب ان يقول. ان اباءكم آكلوا المن في البرية. وانا قد اعطيتكم خبزًا* فنقول لك. الا ان الفرق بينهما عظيم* لان هذا الخبز قد ظُنَّ انهُ ادنى محلا من ذلك المن. لانحدار ذلك المن من العلو* ولكن مجيئة الخبز من اسفل. ولذا التمسوا طعامًا منزلاً من السماء* لذلك قال قولاً متصلاً ,, انني قد انحدرت من السماء* " وان استخبر مستخبر. وما غرضهُ انهُ اورد كلامًا في ذكر اسرارهِ: نقول ذلك الجواب. ان ذلك الوقت كان مناسبًا لهذه الاقوال جدًا* لان اغماض الاقوال التي قالها. من شانهِ ان ينهض سامعها دائمًا. ويصيرهُ اكثر اصغاء وبحثًا فما كان ينبغي ان يرتابوا. لكن قد كان ينبغي لهم ان يسالوا ويستخبروا. الا انهم الان انصرفوا* لانهم ان كانوا قد ظنوا انهُ نبي. فقد كان واجبًا عليهم ان يصدقوا الاقوال التي قالها* فيجب من ذلك ان الارتياب كان من غباوة اوليك. ليس من استعجام الاقوال التي قيلت لهم* وانظر انت كيف يصاعدهم اليهِ قليلاً قليلاً! لانهُ قال ههنا انهُ هو يعطي الخبز ليس ابوهُ اذ قال ,, والخبز الذي اعطيه انا هو لحمي. الذي اعطيه انا من اجل حياة العالم* " ولكنك نقول. ان تعليمهُ كان مستغربًا

مستحيمًا* على ان يوحنا السابق منذ اعلا انذاره قد اضمر هذا المعنى في قوله . لما سماه حملاً* ولكنك تقول : انهم ولا على هذه الجهة عرفوه* فاجيبك . وقد عرفت انا ذلك* لكن ولا تلاميذه عرفوه* لانهم ان كانوا ما قد عرفوا بعد قولاً في ذكر القيامة . ولذلك جهلوا معنى قوله .. حلّوا هذا الهيكل واقيمه في ثلثة ايام* " فاولى بهم واليق انهم ما كانوا عرفوا قولاً في معني ما قيل لهم *لان هذه الاقوال كانت اغمض من تلك* ولعمري انهم قد عرفوا ان الانبياء قد اقاموا امواتًا . وان كانت الكتب ما ذكرت القيامة على هذه الجهة ذكرًا واضحًا . الاّ ان احد الناس آكل لحمًا . ما قال ذلك ولا واحد من اوليك الانبياء في وقت من اوقاته * الاّ انهم مع ذلك . قبلوا قوله ولحقوه . واعترفوا انه حاو الفاظ حياة دهرية* لان التلميذ هذه خاصته الاّ يستبحث عن اقوال معلمه . لكن يستمعها ويقبلها . وينتظر وقت حلها وشرح معناها اللايق بها* ولعلك تقول - وما الفايدة من ذلك : لان قد عرض منها ضد ذلك . وعادوا الى ما وراءهم* فاقول لك . ان عودتهم هي من غباوتهم *لان متى ما دخل اليها كيف : رافقه زوال الامانة* فعلى هذه الجهة ارتجف نيقوديمس* اذ قال .. كيف يقتدر انسان ان يدخل الى جوف امه : " وعلى هذه السجية اضطرب هولاء . اذ قالوا (٥٢) .. كيف يقتدر هذا ان يعطينا لحمه ناكله : " لانك ان كنت تطلب ايها اليهودي كيف . فلمَ ما قلت هذا القول في اوان تكثير الخبز . كيف امتدت الخمس خبزات . وانبثت الى اناس هذا المبلغ الجزيل كان مبلغهم : انهم كانوا حينيذٍ من شبعهم فقط . ليس من معاينتهم منظرًا عجيبًا* لكنك تقول ان الخبزة حينيذٍ علمتهم* فاقول لك . فقد كان واجبًا ان تكون هذه الاقوال من تلك الخبرة مقبولة عندهم احسن قبولاً* لان لهذا الغرض سبق فاجترح تلك العجيبة البديعة* حتى يتعلموا بتلك العجيبة . ان لا ينكروا ما يقوله فيما بعد*

العظة السادسة والاربعون

في تناول سراير القربان المقدسة . وانها خلاص للموهلين لها . وعقاب للغير الموهلين*

ولعمري ان اوليك ما استثمروا حينيذٍ من الاقوال التي قيلت لهم نفعًا* ونحن فقد استمتعنا بالاحسان بالافعال باعيانها* فلذلك يلزمنا اضطرارًا . ان نعرف عجيبة اسرار القربان ما هي :

ولِمَ أُعطيت. وما هي منفعتها * نحن جسم واحد . واعضاء من جسده . ومن عظامه . فالخابرون هذه الاسرار . فليتبعوا الاقوال التي قيلت * ليلا نكون هذه الحال حالنا في حبه فقط * لكن نكون بالفعال بعينه نمتزج في ذلك اللحم * ويصير هذا لنا بالطعام الذي وهبهُ لنا * اذ شاء ان يرينا الشوق الذي قد حواهُ مرتاحاً الينا * ولهذا السبب خلط ذاتهُ فينا . وعجن جسدهُ فينا لنصير شيئاً واحداً * مثل جسم متحد براسه * لان هذا الفعل هو فعل التايقين جداً * وهذا المعنى قد ذكرهُ ايوب الصديق في وصف عبيده ذكراً خفياً * الذين كان محبوباً عندهم بافراط زايد . انهم لما اوضحوا شوقهم اليه . قالوا ,, مَن يعطينا ان نشبع من لحمانه : ,, لذلك عمل المسيح هذا العمل . اذ استقادنا الى ودّ اعظم . واوضح اشتياقهُ الينا * فما وهب للتايقين اليه ان يبصروهُ فقط . لكنهُ وهب لهم ان يلمسوهُ ويأكلوهُ . ويجنوا اضراسهم في لحمه . ويعانقوهُ . ويشبعوا من الشوق اليه كله * فسبيلنا ان ننصرف من تلك المايدة على هذا المثال . كسباع يتنفسون ناراً . صايرين مرهوبين عند ابليس المحال * متفطنين في راسنا . وفي الحب الذي اظهرهُ لنا * فالوالدات طالما اعطين اطفالهنَّ لاخرات يربينهم . فانا (زعم) ما عملت هذا القول . لكنني اغذوكم بلحماني * وقد قدمت لكم ذاتي . مريداً ان تكونوا كلكم شريفاً حسبكم . باسطاً لكم امالاً صالحة للنعم المستانفة * لان مَن قد اعطاكم ههنا ذاتهُ . فاولى به واليق ان يعطيكم ذاتهُ في الدهر المستانف * قد شيت ان اكون اخاً لكم . وشاركت لحماً ودماً لاجلكم . وهنذا اعطيكم ايضاً لحمي بعينه ودمي . اللذين بهما صرت نسيباً لكم * هذا الدم يصيّر الصورة الملكية زاهرة فيكم * هذا الدم حسنٌ لكم يمتنع الاحتيال عليه * هذا الدم ليس يترك شرف حسب نفسكم ان يذبل ضامراً . اذ يسقيها ويغذيها دايماً * لان الدم المتكون فيكم من الاغذية . ليس يصير في الحين هذا الصنف . لكنهُ يصير صنفاً آخر . وهذا الدم فليس هذا الفعل فعلهُ . لكنه في الحين يسقي نفسنا . ويحصل فيها قوة عظيمة . هذا الدم السرّي يطرد الشياطين . ويصيرهم ان يوجدوا مبتعدين عنا * ويدعوا الملايكة الينا وسيد الملايكة * لان الدم السيدي اينما شوهد فمن شانه ان تهرب منهُ الشياطين . وتبادر اليه الملايكة * هذا الدم لما أُريق غسل المسكونة كلها . والسعيد بولس قد تفلسف في وصف هذا الدم في رسالته الى العبرانيين باقوال كثيرة . هذا الدم طهّر مقادس القديسين . والمواضع الغامضة فيها * ولين كان رسمهُ اقتدر في هيكل العبرانيين اقتداراً هذا مبلغه

جزيلاً . ولما انطخت به ملابن الابواب في وسط مصر. فالحق اولى والبق ان يقندر اقندارًا عظيمًا * هذا الدم قدس المذبح الذهبي* خلوًا من هذا. ما اجترى رئيس الكهنة ان يدخل الى غوامض الهيكل المغتاص الدخول اليها* هذا الدم انتدب الكهنة* هذا الدم طهّر خطايانا في رسومه* فلين كان حوى في رسومه مقدرة هذا المقدار الجزيل مقدارها. ان كان الموت اراعهُ رسمهُ هذا الارتياع الشديد. فقل لي كيف ما قد اراعه الحق بعينه واخافهُ: هذا الدم خلص نفوسنا* بهذا الدم تنغسل نفوسنا. وبه تتجمَّل. وبه تخمى نارها* هذا الدم يجعل عقلنا المع من النار* هذا الدم يجعل نفسنا ابهى حسنًا من الذهب* هذا الدم حين أريق جعل السماء مسلوكة* بالحقيقة ان اسرار الكنيسة لمريعة* بالحقيقة ان مزبحها لرهيب مريع* قد طلع لعمري من الجنّة ينبوع افاض انهارًا محسوسة* ومن هذه المايدة تطلع عين فايضة انهارًا روحانية* حول هذه العين ليس شجر صنصاف مغروسة خايبة من ان توجد مثمرة. لكن حولها اشجار واصلة الى السما بعينها. حاوية ثمرًا بالغا. قد عدم ان يذبل طريًا دايمًا* فمن يضويه الحرّ. فليحضر عند هذه العين. وليبرّد استحرارهُ* لانها تحل قشب القحط. وتعزي الغروس المحترقة كلها. ليس المحترقة من الشمس. لكن المحترقة من النبل المحمي* لانها تمتلك ابتداءها من العلو. واصلها من هناك من حيث يسقى* ومجاري هذه العين كثيرة* التي يفيضها المعزي. ويكون الابن وسيطها. ليس حاويًا معولاً ومطرقًا. لكنهُ فاتح السريرة التي فينا* هذه العين هي عين نور فايضة شعاعات الحق* هذه العين تقف حولها قوات الملايكة فوق. ناظرين الى حسن مجاريها* لان تلك القوات تبصر ابين مما نبصر نحن. قوة القرابين الموضوعة. وشعاعاتها التي يمتنع الدنو منها* وبمنزلة ذهب ذائب. ان اغاص احدنا فيه يدهُ او ان اولج فيه لسانهُ. فقد صيّر في الحين يدهُ او لسانهُ ذهبًا* فكذلك تُصيّر ههنا القرابين الموضوعة نفسنا. لانها نهر نار يحمّي نفسنا اشد من النار* الا انهُ ما يحرقها. لكنه يصبغها فقط. اذا اخذتهُ* هذا الدم قُدم رسمهُ منذ اعلى الزمان في المذابح دايمًا. وفي ذبحات ذوي العدل* هذا الدم ثمنٌ للمسكونة* بهذا الدم ابتاع المسيح كنيسته* بهذا الدم وشّاها كلها* لان بمنزلة انسان ابتاع عبيدًا. واعطى ثمنهم ذهبًا* ولما اراد ان يزينهم زينهم بذهب* فكذلك عمل يسوع الهنا. ابتاعنا بدمه. وزينتا ووشّانا بدمه* فالذين يساهمون هذا الدم. فقد وقفوا مع الملايكة. ورؤساء الملايكة. والقوات الذين فوق. متسربلين حلة المسيح الملكية.

مالكين اسلحتهم روحانية * الاّ انني ما قلت الان قولاً عظيماً . لانهم هم لابسون ملكهم المسيح بعينهِ *
ولكن كما ان هذا الدم هو عظيمٌ وعجيب . فكذلك اذا تقدمتَ اليهِ بطهارة . فقد تقدمتَ الى
خلاصك * وان تقدمت اليهِ بفطنة خبيثة . فقد تقدمت الى عقوبتك وتعذيبك * .. لان
مَن ياكل ويشرب لحم ودم ربنا . بغير استحقاق . فانما ياكل ويشرب عقوبة ذاتهِ * " (قرنثية اولى
ص ١١ ع ٢٩) ولئن كان الذين يوسخون ديباجة الملك البنفسجي لونها يُعاقبون . كما يُعاقب
الذين يمزقونها بالسواء * فليس منكراً ان يتكبد الذين يقتبلون جسد ربنا بسريرةٍ نجسة عقوبة
الذين فزروهُ بالمسامير بعينها * وانظر كيف بيَّن بولس تعذيبهم مرهوباً ! اذ قال .. متى خالف
مخالف شريعة موسى بحضرة شاهدين او ثلثة . يمُات خلواً من رافات * فلكم تعذيب اشرٌ من ذلك
تظنون انهُ يوهَّل مَن قد توطاه ابن الله . واحتسب دم عهدهِ الذي به قُدِّس نجساً : " (عبرانيين
ص ١٠ ع ٢٨) فلنتيقظ يا احبتي الى انفسنا . اذ قد استمتعنا بنعم صالحة هذا المحل محلها * واذا
اردنا ان نتكلم كلاماً مستقبحاً . او اذا راينا ذواتنا قد اختلسنا غيظنا . او غيرهُ من اسقام هوانا .
فسبيلنا ان نفتكر في التي قد اهلنا لها . وفي جلالة الروح الذي استمتعنا بهِ * وليكوننَّ لنا هذا
الافتكار رادعاً لادواء عزمنا البهيمية الفاقدة القياس * الى متى نتسمّر في الاشيا الحاضرة : الى متى
ما ننتهض : الى متى ما نهتم بخلاصنا : فلنتفطن في النعم التي اهلنا لها المسيح ولنشكرهُ . ولنمجدهُ . ليس
بامانتنا فقط . لكن فلنمجدهُ باعمالنا باعيانها * لننال مواهبهُ الروحانية وخيراته الصالحة المنتظرة .
بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفهِ . الذي بهِ ومعهُ لابيهِ المجد مع الروح القدس الان ودايماً والى
ابد الدهور امين *

المقالة السابعة والاربعون

في قولهِ (٥٣) فقال لهم يسوع حقاً حقاً اقول لكم ان لم تاكلوا لحم ابن الانسان وتشربوا دمهُ
فما تملكون حياة في ذواتكم * (٥٤) مَن ياكل لحمي ويشرب دمي يمتلك حياة في ذاتهِ *

اذا تخاطبنا في معاني روحانية . فلا يكوننَّ في نفوسنا همّة عالمية . ولا افتكار ارضي * لكن فلنصرف
عنا الافكار كلها وما ناسبها * ولنهمل الهموم كلها وما ناسبها * ونتمكن في استماع الاقوال الالهية وحدها *

ولئن كان متى حضر مَلِك ينطرد كل رهج. فاولى والبق اذا خاطبنا الروح القدس · يجب علينا ان يكون لنا هدوء وصمت كثير وارتياع جزيل · لان الاقوال التي قيلت اليوم موهّلة لارتياعٍ وخوف · لانهُ قال .. حقاً حقاً اقول لكم * ان لم ياكل احدكم لحمي · ويشرب دمي · فليس يمتلك حياةً دهرية * " لانهم اذ قالوا · ان هذا هو ممتنع · اراهم انهُ ليس ما هو ممتنعاً فقط · لكنهُ اوضح لهم مع ذلك انهُ لازم ضروري جداً * .. مَن ياكل لحمي · ويشرب دمي يمتلك حياةً دهرية * وانا اقيمهُ في اليوم الاخير * " لانهُ لما قال .. ان مَن ياكل من هذا الخبز ليس يموت الى الدهر · " قد كان واجباً ان يزيدهم هذا القول · على حدو ما قالوا فيما سلف · ابراهيم قد مات · والانبياء قد ماتوا · فكيف تقول انت · انهُ ليس يذوق موتاً : فوضع القيامة حالاً بها المطلوب · موضحاً انهُ ليس يموت الى الغاية * ويُردِّد كلامه في وصف سراير القربان ترديداً متصلاً · موضحاً ممارسة ذلك ضرورية * وان هذا الفعل يجب ان يصير على كل حال · وان سالت وما هو قولهُ : (٥٥) .. جسدي ماكل حق · ودمي مشرب حق : " اجبتك · اما يريد ان يقول هذا القول · ان الاكل الحقيقي هذا هو الذي يخلص نفسكم · واما يريد ان يحقق عندهم الالفاظ التي قالها * حتى لا يظنوا ان القول الذي يقولهُ لهم هو رمز غامض ومَثَل * ولكن يلزمهم اضطراراً ان ياكلوا جسدهُ * ثم قال (٥٦) .. مَن ياكل لحمي · يثبت فيَّ * " فهذا القول قالهُ · موضحاً انهُ يمتزج فيهِ * والقول الذي يتلو هذا · يظن انهُ قول عديم ان يوجد كاملاً · اذا لم يستبحث عن معناهُ * لان اي نظام هذا ان يقول بعد قولهِ .. مَن ياكل لحمي يثبت فيَّ · " وينظم اليهِ · (٥٧) .. مثلما ارسلني ابي الحي · وانا حي لاجل ابي : " ولعمري ان هذا القول الذي قالهُ يحوي نظامهُ جزيلاً * لانهُ لما ذكر في اعلا كلامهِ واسفلهِ حياةً دهرية · اصلح هذا القول · واستثنى بقولهِ · انهُ .. يثبت فيَّ * " لانهُ ان كان يثبت فيَّ وانا حي · فواضح بيّن ان ذلك سيحيى * ثم قال .. مثلما ارسلني ابي الحي * " وهذا القول هو قول مقايس ذاتهُ بابيهِ ومماثل اياهُ * فالذي يقولهُ هذا هو معناهُ · انا حي على هذا المثال مثلما ابي حي * ولكيلا تظنه عديماً ان يكون مولوداً · استثنى بهاذا القول · وهو لفظة لاجل ابي * وليس هذا القول موضحاً انهُ محتاج لحياتهِ الى فعل من الافعال · لانهُ قد ازال هذا الظن فوق هذا الموضع وقال .. لان كما ان الاب يمتلك حياة في ذاتهِ · فعلى هذه الجهة اعطى ابنهُ ان يمتلك حياة في ذاتهِ * " فان كان يحتاج

الفعل . فسيوجد اما ابوهُ ما اعطاهُ على هذه الجهة امتلاك حياة في ذاته*ويكون القول كاذبًا . واما ان كان اعطاهُ ذلك على هذه الجهة . فليس يحتاج هو الى احدٍ غيرهِ مقايس بهِ*فان قلت . فما هو معنى لاجل ابي : اجبتك . انهُ ههنا يذكر علتهُ ذكرًا غامضًا فقط*فالذي قالهُ هذا هو معناهُ . كما ان ابي هو حي . فكذلك انا حي*ومَن ياكلني فذاك يحيي لاجلي . ويذكر ههنا حياة . ليس على بسيط ذاتها . لكنهُ يذكر الحياة النافعة*والدليل على انهُ ما يتكلم في ذكر حياة على بسيط ذاتها . لكنهُ انما يتكلم في ذكر تلك الحياة المجيدة المغتاص وصفها . فواضح من تلك الجهة*لان جميع الكفار والاغبيا عن العلم يحيون . وما ياكلون من ذلك اللحم *أرأيت انهُ ما تكلم في ذكر هذه الحياة . بل في ذكر تلك الحياة السعيدة : فالذي يقولهُ هذا هو معناهُ . ان مَن ياكل لحمي ليس يهلك . اذا قضى اجلهُ . ولا يُعاقَب *وما يتكلم ايضًا في ذكر القيامة العامة . لان الناس كلهم يقامون* لكنهُ انما يتكلم في ذكر تلك القيامة المنفردة بالسعادة . القيامة المجيدة الحاوية مجازاة الصلاح*(٥٨) .. هذا هو الخبز الذي نزل من السماء . ليس كما اكل اباوكم المَن في البرية وماتوا*مَن ياكل هذا الخبز يحيى الى الدهر* " يردّد هذا القول ترديدًا متصلاً . حتى يرسمهُ في سريرة سامعيهِ*لان تعليمهُ في هذه المعاني كان تعليمًا اخيرًا*وحتى يحقق عندهم الايمان في القيامة . وبالحياة الدهرية* ولذلك استثنى بذكر القيامة*ولما وعد بحياة دهرية . بيَّن ان هذه الحياة لن توجد الان . لكن بعد القيامة*فان قلت . ومن اين هذه الاقوال واضحة : اجبتك . من الكتب*لانهُ في كل مكان من كلامهِ يرسلهم اليها . موعزًا اليهم ان يعرفوا هذه الاقوال منها*وبقولهِ انهُ " يعطي العالم حياة دهرية* " يقتادهم الى مغايرة اهل العالم . حتى متى تاملوا لاستمتاع آخرين بالموهبة . لا يلبثوا خارجًا . ويذكرهم بالمن اذكارًا متصلاً*ويبيّن الفرق بينهُ وبين هذا الخبز*ويقتادهم الى تصديق ذلك*لانهُ ان كان قد امكنهُ ان يضبط حياة اوليك الناس في مداء اربعين سنة . خلوًا من ان يبذروا حنطة . ومساق عيشهم الآخر . فاولى واليق ان يقتدر الان من طريق انهُ اعظم من ذاك*ولين كان اوليك الناس كانوا رسومًا فجمعوا المن المنزل عليهم خلوًا من اعراق واتعاب . فاليق بهذا الخبز واولى ان يكون هذه الحال حالهُ . اذ الفصل بينهُ وبين ذاك كثير . وانهُ ما ينقضي في وقتٍ من الزمان *وانهُ يمتّع آكلهُ بحياةٍ حقيقية* ويذكر في كل مكان من كلامهِ حياة . اذ هي ماثورة

عند الناس. وليس عندهم على هذا المثال شيًا مستلذًا. مثل الآ يوتوا. اذ كان في العهد العتيق هذا الوعد وعدهُ. بطول العمر وبالايام الكثيرة* ولكن ههنا الان ليس طول عمر على بسيط ذاته. لكن حياة. لن تحوى تمامًا ولا غاية* ومع ذلك فيريد ان يريهم الان انهُ يحيل العقوبة المتكونة من الخطية ويزيلها. لما نقض تلك الخطية المميتة. واستورد بخلاف تلك الاولى قضية موردة حياة دهرية* (٥٩) ،، هذه الاقوال قالها في المجمع. لما علَّم في كفرناحوم* " بحيث صارت قوات كثيرة. فمن هذه الجهة وجب عليهم ان يتبعوهُ عاجلاً* فان سالت. فلمَ علَّم في مجمعهم وفي هيكلهم : اجبتك. جمع في ذلك غرضين. هما ايثارهُ ان يصطاد الجماعة الكثيرة منهم. وارتيادهُ ان يريهم انهُ ليس هو على طريقة. مضادة الى ابيهِ* (٦٠) ،، وكثيرون من تلاميذهِ اذ سمعوا اقوالهُ قالوا. هذا القول مستصعب هو* " وما هو المستصعب : هو انهُ يوجد خشنًا متعبًا حاويًا تعسيفًا* ولعمري انهُ ما قال قولاً هذا معناهُ. لانهُ ما خاطبهم في اصلاح الطريقة. لكنهُ انما خاطبهم في اراء دينهِ. مرددًا في اعلا خطابهِ واسفلهِ الايمان بهِ* فما معنى قولهم هذا القول مستصعب هو : الآ انهُ وعدهم بحياة وقيامة : لانهُ قال انهُ انحدر من السماء : الا انهُ قال انهُ ممتنع ان يتخلص مَن ليس ياكل لحمه : أفهذه الاقوال قُل لي ياسامعها مستصعبة : ومَن يقول هذا القول : فما معنى قولهم ان هذا القول مستصعب : معناهُ ان قبوله كان مستصعبًا عليهم. متجاوزًا حاويًا خوفًا جزيلاً. لانهم ظنوهُ يتكلم اقوالاً اعظم من رتبتهِ فايقة عليهِ. وقالوا مَن يستطيع ان يسمعهُ : محتجين عن انفسهم. لما اعتزموا ان يطفروا منحرفين عنه : (٦١) ،، فلما عرف في ذاتهِ يسوع انهم يتدمرون في انفسهم* " لان خاصة لاهوتهِ هي ان تورد الى الوسط الاوهام الفاقدة التكلم بها* قال. أهذا القول يشككم : (٦٢) ،، فما قولكم اذا رائتم ابن الانسان صاعدًا الى حيث كان اولاً : " وهذا المعنى قد عملهُ في حين خطابهِ نثانايل. اذ قال لهُ ،، لانني قلت لك. انني رايتك تحت التينة تؤمن : سترى اعظم من هذه الايات* ،، وفي حين مفاوضتهِ نيقوديمس قال ،، ما طلع احد الى السماء. الآ ابن الانسان الموجود في السماء* " ولعلك تقول. فما غرضهُ : هل ينظم شبهات في شبهات : فاقول لك. لا كان ذلك* لكنهُ يرتاد ان يستفيدهم اليهِ بجسامة اراء دينهِ وبكثرتها* لانه لو كان يقول على بسيط ذات القول. انني انحدرت من السماء. وما استثنى بقول اكثر من ذلك. لكان قد شككهم اكثر تشكيكًا* فبقولهِ ان جسدى حياة

العالم. وبقوله انني على نحو ما ارسلني ابي الحي فانا حي لاجل ابي. وبقوله انني من السماء انحدرت. حلّ الشبهة وازال الشك. وذلك ان مَن يتكلم في وصف ذاته قولاً واحدًا عظيماً. يكون اذا متهما بمنزلة مخترع لفظًا بديعاً. ومن ينظم اقوالاً جزيلة يتلوا احدها الآخر. فذلك يزيل عنهُ التهمة كلها* ويعمل كل ما يعملهُ. ويقول كل ما يقولهُ. حتى يستميلهم عن ظنهم ان يوسف ابوهُ* وما قال هذا القول مرتادًا ان يزيل تشكيكهم. لكن اولى ما يُقال انهُ ارتاد ان ينقضهُ ويزيله* لان الظن به انهُ من يوسف. ما اقنبل ما كان يقولهُ* والموقن انهُ قد انحدر من السماء واليها يصعد. فذاك من شانه ان يصغى الى اقواله التي كان يقولها بايسر الاصغاء واسهلهُ* ومع هذه الاقوال فقد اورد حلاً آخر بقوله (٦٣) "الروح هو الذي يحيي* اللحم ليس ينفع ولا نفعاً*" فالذي يقولهُ هذا هو معناهُ. ينبغي لكم ان تسمعوا الاقوال من اجلي سماعًا روحانياً* لان مَن يسمعها سماعًا لحمياً. ليس يستفيد نفعاً. ولا يتمتع بربحها* واستماعها اللحمي. هو ارتياب سامعها. كيف انحدر من السماء. وتوهمه انهُ ابن ليوسف* ولفظة كيف يستطيع ان يعطينا لحمهُ نا كلهُ: هذه الاوهام كلها لحمية* فينبغي لنا ان نتفهمها تفهمًا سريًا وروحانيًا* فان قلت وكيف كان يقتدر اوليك ان يفهموا لفظة ان ياكلوا لحمهُ: اجبتك. قد كان واجبًا عليهم ان ينتظروا الوقت الواجب. وان يستخبروهُ. ولا ييئسوا ويرتابوا*.. "الالفاظ التي قلتها لكم انا. هي روح وحياة*" وان قلت. ما معنى قوله هي روح: اجبتك. روحانية هي* ولن تحوى لفظًا لحميًا. ولا نظامًا طبيعيًا. لكنها متخلصة من هذه الضرورة كلها التي في الارض. ومن الشرايع الموضوعة ههنا* تحوى معنىً آخر مستغربًا. كما انهُ قال ههنا الروح بدلاً من المعاني الروحانية. فكذلك لما قال لحمًا ما قال معاني لحمية* لكنهُ عنى استماع اقواله استماعًا لحميًا. واعتمدهم اعتمادًا مستورًا. انهم يشتهون دائمًا شهوات لحمية. وقد كان يجب عليهم ان يرتاحوا الى الشهوات الروحانية* لانهُ متى ما فهم احدنا قولهُ تفهمًا لحميًا. فما قد استفاد نفعاً* فان قلت. فما رايك: افما يوجد اللحم الذي لهُ لحمًا: اجبتك. انهُ لحم* وذلك واضح جدًا* ولعلك تقول. فكيف قال اللحم ليس ينفع ولا نفعاً: فاقول لك. لم يقل هذا القول من اجل لحمه. (لا كان ذلك) لكنهُ انما قال من اجل الذين يتفهمون الاقوال التي قالها تفهمًا لحميًا* وان استخبرت. فما هو معنى ان يتفهمها احدنا تفهمًا لحميًا: اجبتك. هو ان ينظر الى الاقوال الموضوعة على بسيط ذات النظر اليها. ولا يتخيل

فيها تخيلاً أكثر من لفظها*لان هذا هو نظر لحمي* فيجب علينا الاّ نميّز الالفاظ الملحوظة هذا التمييز. لكن ينبغي لنا ان نتامل بالحاظنا الباطنة. اسرار الاقوال كلها*فان هذا النظر نظر روحاني* ,, مَن ليس ياكل لحمي ولا يشرب دمي. فليس يمتلك حياة في ذاتهِ* " فكيف ليس ينفع اللحم نفعًا. الذي ليس يمكن احدًا ان يحيى خلوًا منهُ: أرأيت انَ لفظة اللحم ليس ينفع ولاً نفعًا. لم يقُلها من اجل لحمهِ. لكنهُ انما قالها من اجل الاستماع اللحمي: (٦٤) ,,لكن قد يوجد اقوام منكم*ليسوا يومنون ولا يصدقون* " ها هو ايضًا يرتب في اقوالهِ رتبة المالوفة*اذ يتقدم فيذكر الحوادث المنتظر كونها*ويبيّن انهُ ما قال هذه الاقوال مرتاحاً الى التشريف من اوليك. لكنهُ انما قالها مهتمًا بهم*بقولهِ ان اقوامًا منكم ليس يوءمنون. اخرج تلاميذهُ وعزلهم منهم*لانهُ في مبتداء مفاوضته قال ,,قد رايتموني وما صدقتموني* " وقال ههنا ,,قد يوجد اقوام منكم ليسوا يصدقون* " لانهُ قد عرف من الابتداء مَن هم الذين ليسوا يصدقونه ومَن هو الذي يسلمهُ. ولهذا السبب قال (٦٥) ,,ليس يقدر احد ان يجي اليَّ. ان لم يكن ذلك معطى لهُ من فوق من عند ابي* ,,فالبشير ههنا يذكر لنا فعل سياسته الطوعي واحتماله ذكرًا مستورًا*ولفظة من الابتداء لم توضع ههنا على بسيط ذات وضعها. لكنها وضعت لتعرف معرفة من اعلا الدهر السابقة. وانهُ قد عرف دافعه قبل هذه الالفاظ*ليس انهُ عرفهُ بعد ان تدمّر اوليك. ولا بعد ان تشككوا. لكنهُ قد عرفهُ قبل ذلك. وهذا فعلاً للاهوتهِ كان*ثم قال ,,ان لم يكن ذلك معطى لهُ من عند ابي من فوق* ,,محققًا عندهم ان يستشعروا الله اباهُ. ولا يتوهموا ان يوسف ابوهُ*وموضحًا ان الايمان بهِ ليس هو فعلاً حقيرًا* كانهُ قال الذين ما يومنون بي ما يقلقونني ولا يزعجونني. ولا يغربونني من حلمي. لانني قد عرفت هذا من اعلا الدهور قبل ان يكون*قد عرفت مَن هم الذين اعطاهم ابي الايمان بي* فاذا سمعت ان اباهُ اعطاهم ذلك. فلا تظن هذا الاعطاء حظًا خاصًا على بسيط ذاتهِ. لكن صدّق ذاك المعنى. ان مَن جعل ذاتهُ موءهلاً لاخذ ذلك هو الذي اخذهُ* (٦٦) ,,فمن هذا القول ذهب كثيرون من تلاميذهِ الى ما ورايهم. وما مشوا معهُ ايضًا* ,, على جهة الصواب ما قال البشير انهم انصرفوا. لكنهُ قال انهم ذهبوا الى ما ورايهم*وهذا معناهُ انهم انقطعوا من الزيادة في الفضيلة. واضاعوا الامانة التي كانوا قد ملكوها قديمًا. لما شقوا ذواتهم من مصاحبتهِ* الاّ ان الاثني عشر ما عرض لهم هذا

العارض. وانظر ماذا قال لهم (٦٧) "هل قد شيتم ان تمرّوا: " موضحًا بذلك ايضاً . انهُ ليس محتاجاً الى خدمتهم. مبينًا لهم انهُ ليس لهذا الغرض ادارهم معهُ في الانذار*لان كيف يكون ذلك رأي القائل لهم هذه الاقوال: فان قلت. فلمَ ما مدحهم: ولِمَ ما استعجبهم: اجبتك. انهُ جمع في ذلك غرضين. هما حفظة الرتبة اللايقة بالمعلم . وايضاحه انهُ بهذه الطريقة وجب ان يستجذبهم اليق استجذاباً*لانهُ لو كان مدحهم. لتوهموا انهم قد اسدوا اليهِ منّةً ان عرض لهم عارض انساني* وبايضاحهِ انهُ ليس محتاجاً الى لحوقهم اياهُ . ضبطهم ابلغ الضبط وأليَقَهُ. وانظر كيف قال هذا القول بابلغ فطنة. لانهُ ما قال اذهبوا. لان هذا كان يكون قول دافع اياهم طاردٍ لهم. لكنهُ سالهم "هل وانتم قد شيتم ان تمرّوا: " فهذا كان قول منتزع كل غصبٍ والزام*ليس قول مرتاد ان يتشبث بهم باستحياء واحتشام. لكن بمعرفتهم المنّة لهُ عليهم*وما ثلب اوليك ثلباً ظاهراً. لكنهُ لذعهم بسكون*وبيّن كيف يجب ان يتفلسف في هذه الحوادث وامثالها*الاّ اننا نحن نقاسي اضداد هذه العوارض على جهة الواجب. اذ نعمل كل ما نعملهُ لتشبثنا بتشريف يصل الينا* ولذلك نتوهم ان احوالنا تنتقص بانصراف الغلمان الذين يخدموننا عنا*وربنا فما دكلز لتلاميذهِ ولا دفعهم. لكنهُ استخبرهم. فما كان فعلهُ فعل متهاون بهم. لكن فعل مَن لا يشاء ان يضبطهم بغصب والزام*لان ثبوتهم على هذه الحال هو مساوٍ لانصرافهم*واسمع ما قال بطرس (٦٨) "الى مَن ننطلق. وانت تمتلك الفاظ حياةٍ دهرية* (٦٩) ونحن فقد صدقنا. وعرفنا انك انت ابن الله الحي: " أرايت ان ليس الفاظ ربنا هي التي كانت شككت اوليك: لكن زوال تيقظ سامعيها وونيتهم وقلة حفاظهم*لانهُ ولو لم يقُل هذه الاقوال. لكانوا قد تشككوا. وما كانوا كفّوا عن جموحهم الى الطعام الجسداني دايماً. وعن تسمرهم في الارض*ولمعنىً آخر. وهو ان هولاء قد سمعوها مع اوليك. واظهروا اضداد اقوال اوليك. اذ قالوا "الى مَن ننطلق: " فهذا اللفظ مظهر توددًا كثيرًا. موضحاً ان المسيح هو عندهم اكرم من الكل* واجلّ من ابايهم. وامهاتهم. وموجوداتهم كلها*وانهم ان انتزحوا عنهُ. ليس يتجه لهم فيما بعد مكان يلتجيون اليهِ* ثم لكيلا يظن ان لفظة الى مَن ننطلق: لهذا المعنى قيلت فقط. لمعنى انهم ما يجدون اناساً يقتبلونهم غيرهُ. تامل ما استثنى بهِ اذ قال "وانت تمتلك الفاظ حياة دهرية* " لان اوليك الذين انصرفوا

سمعوا سماعاً لحمياً بافكار انسانية . وهولاء سمعوها سماعاً روحانياً . واحالوا المطلوب كلهُ الى تصديقها * فلهذا الغرض قال ،، الالفاظ التي قلتها روحٌ هي * ،، فلا نتسلَّم تعليم الفاظي بمساق الاشياء ونظامها . وبضرورة الحوادث الكائنة * فالالفاظ الروحانية ليس هذا المعنى معناها . ما تستجيز ان تتعبد للشرايع التي في الارض * وهذا القول قد قالهُ بولس ،، لا تقولنَّ في قلبك مَن يطلع الى السماء ; ومعنى ذلك هو ليحدر المسيح منها * او مَن ينحدر الى القعر ; ومعنى ذلك هو ليصعد المسيح من بين الاموات * ،، (روميه ص ١٠ ع ٦-٧) ،، وانت تحوي الفاظ حياة دهرية * ،، فهولاء قد اقتبلوا القيامة والنهاية التي هنالك كلها . وابصر حب الرسول الى اخوتهِ . واخلاص ودّهِ لهم * لانهُ اعتذر عن صفهم كله * لانهُ ما قال قد عرفت . لكنهُ قال ،، قد عرفنا * ،، وتامل كيف قد وصل بطرس الى الفاظ معلمهِ باعيانها الى ان قال . ليس الفاظ اليهود باعيانها . لان اوليك قالوا هذا هو ابن يوسف . وهذا قال * ،، انت هو ابن الله الحي * ،، . ويحوي الفاظ حيوة دهرية ،، لما سمع معلمهُ قايلاً انني ساقيمهُ . ويملك حياة دهرية * ،، لانهُ اوضح اذ اعاد ذكر هذه الالفاظ . انهُ قد ضبط الاقوال التي قيلت كلها * الَّا ان المسيح ما مدح بطرس . ولا استجبهُ * على انهُ قد عمل هذا العمل في موضع آخر ; لكنهُ قال * (٧٠) ،، أَلست انا انتخبتكم الاثني عشر . وواحد منكم محّال * ،، لان بطرس لما قال ،، ونحن قد صدقنا . " اخرج المسيح من صفهم يودس * لانهُ هو ما قال هنالك في ذكر التلاميذ قولاً * لكن لما قال المسيح ،، فانتم مَن تقولون انني ; قال انت هو المسيح ابن الله الحي * ،، وههنا اذ قال ،، ونحن صدقنا ،، فعلى جهة الواجب ما ترك يودس في صف تلاميذه * فعمل هذا العمل . ليوضح رذيلة الدافع من بُعدٍ نازح . ومن اعلا الانذار * لعلمهِ انهُ ما يستفيد نفعاً * ولعمري انه يكون بايعاً ذاته * وابصر حكمة سيدنا انهُ ما جعلهُ ظاهراً . ولا تركهُ ان يستتر مكرهُ . فغرضه كان في ذلك الفعل * ليلا يتوالح . ويصير اشدّ محكّاً * وقصدهُ في هذا الفعل . لكيلا يظن انه قد خُفي عنهُ عزمهُ . فيرتكب جراءته باوفر وقاحتهِ . ولهذا المعنى اذ امعن في التعليم . يورد توبيخاته ابين وضوحاً * لانهُ في اول الخطاب احصاهُ مع الاخرين . فقال ،، يوجد اناس منكم ليسوا يومنون * ،، والدليل على انهُ عدَّ الدافع معهم . اسمع البشير ماذا قال في ايضاحه ،، لانه قد عرف من الابتداء مَن هم الذين يصدقون . ومَن الذي يسلمهُ * ،، ولما ثبت على عزمهِ . اورد عليهِ توبيخه اشدّ لذعاً فقال ،، واحد منكم يسلمني . هو

محّال* " فبث الخوف عليهم كلهم مشاعاً مشتركاً . مريداً ان يستر ذاك*ولعمري ان واجباً هو
ان نتحير ههنا في ان تلاميذهُ ما قالوا الان قولاً* واخيراً ارتاعوا وتحيروا . ونظر احدهم الى الآخر.
واستخبروهُ ,, هل انا هو ياسيدي ؛ " واشار بطرس الى يوحنا ان يعرف الدافع . وان يستخبر معلمهُ
مَن هو . فما هي علة ذلك ؛ انا اقول ان بطرس ما كان قد سمع ياشيطان مرّ الى ورائي . فلهذا
السبب ما امتلك الان خوفاً*فلما انتهر وتكلم من حبٍ كثير . وما وقف . لكنهُ دعاهُ شيطاناً .
لما سمع ان واحداً منكم يسلمني . ارتاع حينئذٍ على جهة الواجب . فالان ليس يقول ان واحداً
منكم يسلمني . لكنهُ قال " ان واحداً منكم هو محّال* ,, ولذلك ما عرفوا ما قالهُ . لكنهم توهموهُ
يثلب خبيثاً فقط*ولعلك تسائل . فما معنى قولهِ* " ألستُ انا انتخبتكم . وواحد منكم هو محال* ,,
اجيبتك . انهُ قال هذا القول . مزيلاً من تعليمهِ الملق والدكلزة* لانهُ لما تركهُ اوليك كلهم . وثبت
هولاء عندهُ وحدهم . واعترفوا بلسان بطرس انهُ المسيح . فحتى لا يظنوا انهُ لاجل هذا الثبات قد
اعتزم ان يتملقهم ويدكلزهم . ازال الدكلزة وحجزها * فالذي قالهُ هذا هو معناهُ*ليس يستعطفني شي
ويحجزني عن الاّ اوبخ الاشرار*فلا تظنوا انكم قد ثبتم معي . ارتاد ان ادكلزكم واتملقكم* واذ قد
لحقتموني لست اوبخ الاشرار منكم * لان الفعل الذي هو اعظم من استعطاف المعلم * ولا ذاك
يستعطفني*لان الثابت معي فقد اباح دلالةً على خلوص ودّهِ اياهُ* ومَن قد انتخبهُ معلمهُ * فاذا
رُفض واُطرح يشتمل معلمهُ عند الفاقدين الفهم ظن غباوة * اذا انتخبهُ ثم رفضهُ*الاّ ان ولا هذا
الظن يحجزني عن التوبيخ للخبثا*وهذا الظن فالاوثانيون الان يشكونهُ في المسيح بتوهمٍ باردٍ خالٍ
من الفهم*لان الهنا ليس في طباعهِ . ان يجعلنا اخياراً صالحين بالزام وغصب*وليس انتخابهُ
غاصباً للافعال الماءمول كونها * لكنهُ آمر بها * ولكي تعلم ان دعوتهُ وانتخابهُ لن يغتصب ولا تقسر
المدعوين . يتجه لك الايقان بهِ*من ان قد عرض ان كثيرين من
المدعوين المنتخبين هلكوا*فمن هذه الجهة استبان ظاهراً .
ان قد وُضع في عزمنا . ان نتخلص وان نهلك*

العظة السابعة والاربعون

في الاغنيا . وفي محبي الفضة . وفي يودس *

فاذ قد سمعنا هذه الاقوال . فلنتعلم ان نستفيق ونتيقظ دايمًا * لانهُ ان كان الحاصل في ذلك الصف الجليل المقدس . المستمتع بموهبةٍ هذا المقدار في الجلالة مقدارها . المجترح ايات وجرايح * لان هذا قد كان مع التلاميذ الآخرين . الذين أُرسِلوا لينهضوا الاموات . ويطهروا البرص . لما اصطيد بسقم صعب . بداء حب الفضة . اسلم سيده * وما نفعهُ شي لا الاحسانات . ولا الموهبة . ولا كونهُ معهُ . ولا خدمته اياهُ . ولا غسل رجليهِ . ولا مشاركته في المايدة . ولا ضبطهُ دُرج النفقة لكن هذه كلها صارت لهُ زيادات لتعذيبهِ . فسبيلنا نحن ان نخاف . ليلا نماثل يودس بحبنا الفضة * لعمري انك ما تسلّم المسيح . الّا انك اذا تغافلت عن فقير ذايب بالجوع او ضاوٍ بالبرد . تستجذب انت اليك تلك العقوبة بعينها . واذا شاركنا الاسرار عادمين ان نكون موهلين لها * بسجية فاقدة ان تكون موهلة لها . سنهلك مع قاتلي المسيح بالسواء * اذا اختلسنا ما ليس لنا . اذا خنقنا الذين هم ادنى منزلة منا . نستجذب تعذيبًا عظيماً * وذلك من جهة الواجب جدًا * لان الى متى يضبطنا عشق الاشياء الحاضرة الفاقدة المنفعة . التي هي فضلة زايدة : لان الغنى انما يتكوّن في الاشياء التي هي فضلة . وليست فيها منفعة * الى متى تتسمّر في القنيات الباطلة : الى متى ما ننظر الى السماء : أما نستفيق : أما نشبع من هذه الاشياء الارضية السائلة : أما تتعلم بالخبرة حقارتها : فلنتفطن في الذين استغنوا قبلنا . أفما املاكهم كلها منام : اوليست ضلالاً وذهرًا : اوليست حديثاً وكذبًا بصورة الحق : اوليست سيلانًا مندفقاً : فلانٌ ايسرَ واثرى . فاين ثروتهُ الان : هلكت وانفسدت * والخطايا المتكوّنت لاجلها بقيت . والعقوبة الحادثة من اجل الخطايا ثابتة دايمة * والبقى ما يُقال . ولو لم يكن عقوبة . ولا قد سومت مملكة . لكان واجبًا علينا ان نحتشم من طبيعتهُ طبيعتنا . وجنسهُ جنسنا * اذ يستعطفنا عليهِ تالمهُ المواخي تالمنا * فنحن الان نربي كلابًا . وكثيرون حميرًا وحشية . ودبابًا . ووحوشًا مختلفة . ونعرض عن انسانٍ ضاوٍ بجوعهِ * فيكون الوحش الغريب من جنسنا . اكرم عندنا

من مجانسنا*ونجعل الذي يناسبنا . اهون عندنا مما ليس موجوداً . ولا مناسباً *لكن صواباً عندنا ان نبتني لنا منازل بهياً حسنها . وان نمتلك عبيداً كثيرين . وان نبصر مضطجعين تحت سقف ذهبي . وذلك فضلةً زايدة قد زالت المنفعة منها*لان قد يوجد ابنية ابهى من هذه حسناً . واشرف كثيراً . يلزمنا اضطراراً ان نفرح بها ونامنا لها الحاظنا . وليس مانع يمنعنا من ذلك*انشاء ان تبصر سقفاً اجمل السقوف حسناً : اذا حان المساء . ابصر السماء متلمعةً بنجومها*الاّ انك تقول ان هذا السقف ليس هو لي*فاقول لك . الاليق ان يكون هذا السقف لك . اكثر من ذلك*لان هذا السقف لاجلك صار . وهو مشترك لك ولاخوتك* وهذا السقف الذهبي ليس هو لك . لكنهُ للذين يرثونهُ بعد وفاتك*وهذه السماء تقتدر ان تنفعك اعظم المنافع اذ ترسلك بحسنها الى مبدعها* وهذا السقف المذهب يضرك اعظم المضرات . اذا صار في يوم القيامة ثالباً لك عظيماً . اذا كنت انت متوشحاً بذهب . والمسيح فليس يمتلك ثوباً ضرورياً لابدّ منهُ*فلا نلبثن في غباوتنا هذه الجزيل تقديرها*ولا نسعى محاضرين وراء الاشياء الهاربة منا . ونهرب من الاملاك الباقية معنا . ولا نهمل خلاصنا*لكن سبيلنا ان نتمسك بالرجاء المامول*فالشيوخ فليتمسكوا بهِ . من طريق علمهم علماً يقيناً ان قد بقي لهم من حياتهم زماناً يسيراً* والاحداث من طريق ايقانهم ايقاناً واضحاً . ان ما قد بقي من عمرهم ليس كثيراً*لان ذلك اليوم يجي كمجي السارق في الليل*فاذ قد عرفنا هذه الحوادث . فينبغي ان تسلي النساء منا رجالهنّ* ويعدل الرجال نساءهم * ونعلّم الاحداث والعوانق . ونودب كلنا بعضنا بعضاً . ان يعرضوا عن القنيات الحاضرة . وان يشتاقوا الى النعم المامولة* حتى تقتدر ان يتفق لنا امتلاكها . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه*الذي بهِ ومعهُ لابيهِ المجد مع الروح القدس * الان ودايماً . والى اباد الدهور امين

المقالة الثامنة والاربعون

في قولهِ الاصحاح السابع (١) وبعد ذلك مشي يسوع في الجليل . لانهُ ما شاء ان يمشي في اليهودية*
لان اليهود التمسوا ان يقتلوهُ* (٢) وكان عيد اليهود نصب المظالات قريباً*

ليس داءٌ اشرّ من الحسد . وعلى جهتهِ دخل الموت الى الدنيا . لان ابليس المحال . لما ابصر

الانسان مكرمًا . ما احتمل حسن حاله . فعمل كل ما امكنهُ حتى قتلهُ * وفي كل مكانٍ يبصر باصر لهذه القرمة هذا الثمر متكونًا . على هذه الجهة ذُبح هابيل . على هذه الطريقة قارب داود ان يُقتَل . على هذه الحال قتل آخرون كثيرون من ذوي العدل . من هذه الجهة صار اليهود قاتلين المسيح * ولما اوضح البشير هذا المعنى قال " بعد ذلك مشى يسوع في الجليل * " لانهُ ما حوى سلطانًا ان يمشي في بلد اليهودية * لان اليهود التمسوا ان يقتلوهُ * وانا اخاطب البشير . ماذا تقول ايها المغبوط يوحنا : أفالقادر على كل شيءٍ ما حوى سلطانًا : الذي قال لمن تطلبون . والقاهم الى ما ورائهم . الحاضر وليس ملحوظًا . هذا ما حوى سلطانًا : كيف عبرا خيرًا فيما بينهم في وسط الهيكل . وفي وسط العيد . والجمع موجود . والقاتلون حاضرون . وخاطبهم بهذه الاقوال التي اغاظتهم كثيرًا * وهذا الفعل فقد استعجبوهُ * قالوا . اليس هذا هو الذي يلتمسون قتلهُ : " وها هو يتكلم بمجاهرة . وما يعملون به شيئًا * " وما هي هذه الافعال الخفية : وليس هي افعالاً خفية . لا كان ذلك * لكننا ينساغ لنا ان تقول . انهُ اوضح افعال لاهوته . وافعال ناسوته * لانهُ اذ قال ما حوى سلطانًا . فحالهُ حال من يخاطبنا في وصف انسان عامل الاعمال الانسانية * واذ قال انهُ وقف في وسطهم وما امسكوهُ . فانما يبين لنا قدرة لاهوته * لانهُ هرب هرب انسانٍ . وظهر ظهور الهٍ * محققًا اياها كليهما * لانهُ اذ كان في وسط المقتالين عليه ولم يمسكوهُ . اوضح لنا قدرته الممتنع قهرها وحربها * وانقباضه ايضًا وتواريه . حقق تدبيره وسياسته لكيلا ينساغ ان يقول بولس السميساطي * ولا مركيون قولاً * ولا لسقمى باسقامهما * لانهُ اطبق افواههما كليهما وسدها * وبعد ذلك كان عيد اليهود نصب المظلات قريبًا * فلفظة بعد ذلك ما تدل على معنى آخر . الأعلى ان البشير فيما بين ذلك قد قطع زمانًا طويلاً مداهُ * وطفرهُ وتجاوزهُ * وهذا يبين واضحًا من تلك الجهة . لان البشير حين قال انهُ جلس في الجبل كان عيد الفصح * وهنا يذكر عيد نصب المظلات * وفي خمسة اشهر ما وصف لنا وصفًا اخر . ولا علمنا شيأً آخر . ما خلا الآية الكائنة في الخبز . ومفاوضته التي اعتمد بها الجموع الذين آكلوا الخبز * والبرهان على انهُ ما كفَّ في نهارٍ ولا في مساءٍ مجترحًا اياته ومخاطبًا باقواله . وطالما مارس ذلك في الليل . فقد عرف على هذه الجهة عند تلاميذه . على ما ذكر المخبرون كلهم . فان قلت . فلم كني البشير عن ذلك : اجبتك . انه ما اتجه لهُ ان يحسب

افعالهُ واقوالهُ كلها * ولمعنى غيرهذا . انهم اجتهدوا ان يذكروا هذه الافعال والاقوال التي لحقهُ من اجلها اما مذمة من اليهود . واما معاندة . لان تلك الايات قد كان لها امثلة واشباه كثيرة * لاننا طال ما سمعنا انهُ قد ابراء سقيمين . وقد انهض امواتًا . وانهم قد استعجبوهُ * ومتى اتجه ان يقول قولاً مُستغربًا او ان يتبرّع في مفاوضته بالفاظ مظنونة انها تنعطف على هذه الاخبار . وضعوها واوضحوها * مثال ذلك ما قيل الان . ان اخوته اجتنبوا تصديقهُ * لان فعلهم ليس بحوى وشاية يسيرة * وواجب هو ان يستعجب عزم البشيرين الوادّين للصدق * كيف ما خجلوا ان يذكروا هذه الاخبار . التي يُظَن انها تجاب لمعلمهم تخجلاً . لكنهم اجتهدوا كثيرًا ان يصفوا هذه اكثر من غيرها * فهذا البشير قد تجاوز الان ايات وعجايب كثيرة ومفاوضات جزيلة . وطفر في الحين الى هذا الخبر . لانهُ قال (٣) .. ان اخوتهُ قالوا لهُ . تحوّل من هنا الى بلد اليهودية . لكي تعاين تلاميذك الاعمال التي تعلمها * (٤) لان ليس يعمل عاملاً في الخفية عملاً . ويلتمس هو ان يوجد في مجاهرة وعلانية * (٥) لان ولا اخوته كانوا امنوا بهِ * " ولقايل ان يقول . واي لفظ زوال امانة قالوهُ . اذ سالوهُ ان يجترح عجايب : فنجيبهُ ان الفاظهم هذه ومجاهرتهم المسلوبة وقتها . هي الفاظ اصفار من الامانة كثير وجسارة * لانهم توهموا من المجانسة انهُ ينبغي لهم ان يخاطبوهُ بمجاهرة * فابتداء كلامهم يُظن كانهُ كلام اصدقاء . وقد كان متولدًا من مرارة كثيرة * لانهم ههنا قرّفوهُ بالجبانة . وبحب التشريف * لان قولهم ليس يعمل عامل عملاً في خفية . كان قول من يشكوا من جبانة ويتهم مع ذلك ما يجترحهُ كانهُ ليس حقيقيًا * وقولهم ويلتمس هو ان يوجد في جهر ظاهر . كان قول من يذم منهُ حب التشريف * وتامل لي انت قدرة المسيح ! لان من هولاء الذين قالوا هذه الاقوال . صار اسقفًا اولاً لاورشليم يعقوب المغبوط . الذي في وصفهِ قال بولس .. ما ابصرت احدًا آخر من الرسل . الاّ يعقوب اخا ربنا * " (غلاطية ص ١ ع ١٩) وقد قيل ان يهوذا صار انسانًا عجيبًا * على ان هولاء قد حضروا في قانا الجليل الخمر الصاير من ماء * الاّ انهم ما استفادوا حينيذٍ نفعًا * وان سالت فمن اين حصل اصفارهم من الامانة الجزيل تقديرهُ : اجبتك من اختبارهم . ومن حسدهم * لان المجانسة في طباعها ان يحسدها بنحوٍ من الانحاء القريب الذي يلابسها * وان سالت ومَن هم التلاميذ الذين ذكروا ههنا : اجبتك .. هم الجمع التابع اياهُ .. ليس الاثني عشر * وابصر كيف

اجابهم المسيح الطف الجواب : لانهُ ما قال لهم . ومَن انتم اذ تشيرون عليَّ بهذه المستورات .
وتعلموني : لكنهُ قال (٦) .. ما حضر زماني بعد * " وقد يلوح لظني في هذا الوجه . انهُ يذكر
معنى آخر ذكرًا غامضًا * لانهم لعلهم ارتادوا ان يسلموهُ الى اليهود . فقال لهم نحو هذا العزم . ما قد
حضر زماني بعد * الذي هو ذمان صلبي وتالمي * وما بالكم تستحثونني قبل الوقت ان اصعد الى
هنالك : وزمانكم انتم هو متسوم في كل حين * فانتم ولو اقترنتم دايمًا باليهود . فما يقتلونكم * اذ قد
ماثلتموهم في اعمال واحدة باعيانها * واما فللحين يرتادون قتلي * فمن هذه الجهة . لكم دايمًا وقت تقترنون
بهم . وما تتورطون في خطرٍ . ولي انا حينيذٍ وقتٌ اذا حان وقت صلبي . اذا احتجت ان اموت * لان
الدليل على انهُ هذا القول يقول قد اوضحهُ باقوالهِ التالية هذا القول اذ قال (٧) .. ما يقتدر العالم
ان يمقتكم * " لان كيف يمقت الذين يريدون مشياته باعيانها ويحاضرون من اجل افعالهِ باعيانها . وهو
يمقتني انا . لانني اوبخهُ بان اعمالهُ هي خبيثة * ومعنى ذلك . هو انني الذعهُ واطعن عليهِ بالطف الطعن
والتوبيخ * فمن هذه الاقوال نتعلم ان نمسك غيظنا * ولا يعرض لنا عارض خالٍ من الواجب . ولو كان
الذين يشيرون علينا ادنياء المحل حقيرين . ولين كان سيدنا قد احتمل بوفور وداعتهِ الذين اشاروا
عليهِ بافعالٍ ليست واجبة . مشيرين بافعالٍ ليست بنيةٍ صالحة * فما هو العفو الذي ينفق لنا
امتلاكهُ . اذ نحن تراب ورماد . وتكره الذين يشيرون علينا . ونستصعب مشورتهم . ان كان
الذين يشيرون علينا ادنى منزلةٍ منا قليلاً ونحتسب مشورتهم عديمة ان تكون موهلة لنا : فتامل سيدنا
كيف دفع ثلبهم بكافة الوداعة لانهم اذ قالوا .. اظهر ذاتك للعالم * " قال العالم يمقتني . مزيلاً
ثلبهم * لانهُ قال انني ابتعد ابعد البُعد من ان ابتغي من الناس تشريفًا * لانني لست انقبض عن
توبيخي اياهم . مع انني عارف المقت المتولد من هذا التوبيخ * والموت المتكوّن عنهُ * فان قلت
واين وبخهم : اجبتك . ومتى كف عن افتعال ذلك ; اما قد قال " هل قد ظننتم انني
انا اوبخكم واثلبكم لدى ابي . وقد يوجد موسى ثالبًا اياكم : واما قد عرفتكم انكما قد ملكتم حب
الله * فكيف تقدرون ان تؤمنوا . وانتم تستمدون التشريف من الناس . وما تلتمسون التشريف
الذي من الله وحدهُ : " فبهذه الاقوال اوضح معنى آخر . ان توبيخه الجاهر ولد بهذا المقت *
ليس لحلهِ السبت * فان سالت فما غرضه في انهُ ارسلهم الى العيد . اذ قال لهم (٨) .. اصعدوا

انتم الى هذا العيد . فانا لست اصعد الان : " اجبنك . بيّن انهُ قال هذه الاقوال * ليس محتاجاً اليهم · ولا مريدًا ان يتملقهم * لكن مطلقًا لهم ان يعملوا الفرايض اليهودية * ولعل قايلاً يقول . كيف طلع الى العيد · بعد ان قال لست اطلع : فنجيبهُ . ما قال بلفظ جازم لست اطلع الان * ومعنى ذلك · هو لست اطلع الان معكم * لان وقتي ما تكامل بعد * مع انهُ في الفصح المستانف اعتزم ان يُصلب * فان قال · وكيف ما طلع هو : لانهُ ان كان وقتهُ ما حضر بعد · ولهذا المعنى ما طلع . فقد كان واجبًا الاَّ يصعد بالجملة * فنجيبهُ . الاَّ انهُ ما طلع الى العيد لهذا الغرض لكي يتالم . لكنهُ طلع ليعلمهم · ولعل السايل يستخبر . فلمَ طلع سرًّا : لانهُ قد كان قادرًا اذا طلع طلوعًا ظاهرًا ان يوجد في وسطهم ويضبط نهضتهم الفاقدة الترتيب * وذلك فقد عملهُ دفعات كثيرة * فنجيبهُ · الاَّ انهُ ما شاء ان يعمل هذا العمل متواترًا * لانهُ لو كان طلع طلوعًا ظاهرًا واعماهم ايضًا . لكان قد اوضح جرايح لاهوتهِ اعظم ايضاحًا . وكان قد جرّدهُ اعظم تجريدًا * ولما توهم اوليك ان توقفهُ يوجد من جبانتهِ · اراهم سياستهُ وجسارتهُ جميعًا * لانهُ اذ تقدم فعرف الوقت الذي فيهِ قاسى ما تالم بهِ : اختار حينيذٍ ان يصعد الى يروشليم · واثر ذلك كثيرًا * واذ قال اطلعوا الى العيد · فانما يقول هذا القول . لا تظنوا انني الزمكم ان تثبتوا معي · ولستم موثرين ذلك * وقولهُ ما تكامل وقتي بعد · فهو قول موضح انهُ يجب ان يتكون منهُ ايات · وان يكلم الشعب بمفاوضاتهِ * حتى تؤمن بهِ جموع اكثر عددًا · ويصيرُ تلاميذهُ اوفر جلدًا * اذا عاينوا مجاهرة معلمهم وما قاساهُ

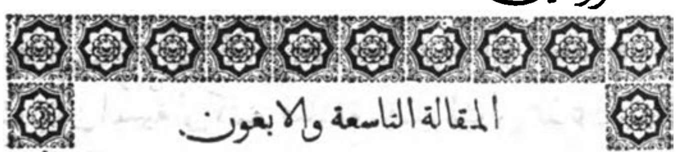
العظة الثامنة والاربعون

في ذم الغضب · ومدح الوداعة

سبيلنا ان نتعلم مما قد قيل الوداعة والدعة * لانهُ قد قال ،، تعلموا مني فاني وديع ومتواضع في قلبي * " ولنحسم عنا كل مرارة * وان ترفع علينا مترفع · ينبغي ان نصير نحن متذللين * ولا ننتصر لذواتنا فنقتل انفسنا * لان الغضب هو وحشٌ ووحش حادٌ حارٌ فينبغي ان نرقيهُ برقيات من الكتب الالهية ونقول ،، انت تراب ورماد * " (تكوين ص ٣ ع ١٩) فما المنفعة في ان يتكبر التراب والرماد : ،، وان سرعة غضبه سقطة لهُ * " (سيراخ ص ١ ع ٩ ايضًا ص ١ ع ٢٢) ،، وان الانسان الغضوب

ليس شكلهُ حسناً*" (امثال عز ١١ ع ٢٥ ا) لانهُ ليس يوجد اقبح من وجه غضوب* ولا يكون اوحش من صورته* فان كان وجه الغضوب بهذه الصورة قبيحاً . فاولى بنفسه . والبق ان تكون وحشة مستقبحة* وكما ان الحماة اذا حركت تكون منها نتانة كثيرة . فكذلك نفسنا اذا ارتجت من الغضب فيتكون فيها نتن جزيل* الا انهُ لعل قائلاً يقول . انني لست احمل المسبة من اعداي* فاقول لهُ . ولمَ ذلك : لان المسبة ان كانت صادقة . فسبيلك ان تلذع ذاتك قبل ذاك* وان تعتدّ لهُ من توبيخاته لياك منةً عليك* وان كانت الشتيمة كاذبة . فاضحك عليها* قال يا فقيرا اضحك . قال يامسكيناً قهقه . قال يا ازرياً جنسهُ ويا فاقداً فهمهُ . تحصر من اجل ذاك القائل* لان . من قال لاخيه يا احمق يكون مستوجباً النار جهنم*" واذا شتمت انت انساناً . فتفطن في العقوبة التي تعاقب بها . فلست ما تفني فقط غضباً . لكنك ستهمل ايضاً دموعاً* لان ليس يغتاظ احدنا على من كان محموماً* ولا على من كان ملتهباً بنار فارسية . لكنهُ يرحم جميع الذين هذه الحال حالهم . ويبكي عليهم* فالنفس المغتاظة هذه الحال حالها . ولكن ان شئت ان تنتصر من شاتمك . فاصمت عنهُ . وقد ضربتهُ ضربة قاتلة وان نظمت شتيمة الى شتيمة . فقد اضرمت نار الخصومة * ولعلك تقول الا ان الحاضرين يذمون ضعفي . اذا سكتُّ . فاقول لك ما يذمون ضعفك . لكنهم يستعجبون فليسفك . واذا شتمت . فبئس ما صنعت . لانك اذا حزنت . فستضطر الحاضرين ان يظنوا ان ما قيل فيك صادقاً* لان الغني لمَ اذا سمع انهُ فقير هو يضحك : لانهُ ما قد عرف لهُ فقراً . فلن احبهنا ان نضحك على الشتايم . فسنبرح برهاناً عظيماً على اننا لسنا نعرف ما قيل فينا* ولمعنى آخر . الى متى نرتاع من توبيخات الناس : الى متى نستحقر سيدنا العام سوددهُ . وتستمرّ في اللحم : لان متى وجد فبكم محك وحسد وانشقاقات . اللحم لحميين انتم : فينبغي ان نصير روحانيين . ونلجم هذا الوحش الرديء* فالغيظ ليس بينهُ وبين الجنون فرق : لكنهُ شيطان وقتي هو* والبق ما يقال . ان السخوط اصعب حالاً من المشيطن* لان المتشيطن يتمتع بمسامحة . والسخوط موهل لعقوبة جزيلة عديدها* اذ قد دفع ذاتهُ طوعاً الى هاوية هلاكه . وهو قبل جهنم المأمولة يدىء ما دام ههنا طائفة حوادث تهجم الى افكاره نفسه في كلفة ليلهِ . وفي طول نهاره مقاساً . وقلقاً مسلوباً احتمالهُ* فلكيما نستخلص ذواتنا من التعاذيب في هذه الدنيا الحاضرة ومن العقوبة في الآخرة المستانفة . ينبغي ان نخرج داء

الغضب منا اذا اوضحنا كل وداعةٍ ودعة . لكي نجد ههنا في نفسنا راحةً . وفي مُلك السموات . الذي فليتفق لنا الحصول فيهِ . بنعمة ربنا يسوع المسيح . الذي به ومعهُ لابيه المجد مع الروح القدس . الان ودايمًا الى اباد الدهور امين *



المقالة التاسعة والاربعون

في قولهِ (٩) واذ قال هذه الاقوال اقام في الجليل (١٠) فلما صعد اخوته حينيذٍ صعد هو ايضًا الى العيد ليس في حالٍ ظاهرٍ لكن في حالٍ مستورٍ *

الافعال التي دبرها المسيح تدبيرًا انسانيًا . دبَّرها الى هذا الغرض وحدهُ * لكي يحقق بها اشتماله لحمًا * لكنهُ دبرها ليؤدبنا للفضيلة * لانهُ لوكان عمل اعمالهُ كلها عمل الاله . من اين كان يمكننا ان نعرف ما ينبغي ان نعملهُ . ان سقطنا في عارض انساني ؛ مثلما اقول لما حصل في بلدة اليهود القاتلين بعينها . وعبر في الحين فيما بينهم . وقبض مهضتهم . لوكان عمل هذا العمل دايمًا . ونحن فليس يمكنا ان نعمل هذا العمل . فاذا سقطنا فيما بين اعداينا او في نايبة . ومن اين كان نعرف كيف ينبغي ان نستعمل ما نعملهُ ؛ وهل يجب ان نموت في الحين ؛ او ينبغي ان ندبر تدبيرًا . حتى نفسخ الحجة علينا ؛ ونحن الذين ما نقتدر ان نعبر فيما بين اعداينا . من اين نعرف ما ينبغي ان نعملهُ ؛ فلهذا السبب نتعلم منهُ هذه الاصناف . لانهُ قال . ” فلما قال يسوع هذه الاقوال ثبت في الجليل * ولما طلع اخوتهُ . حينيذٍ هو طلع الى العيد * ليس في حالٍ ظاهرٍ . لكن في حالٍ مستور * ” فلفظة قوله لما طلع اخوتهُ كان مظهر انهُ ما شاء ان يطلع مع اوليك * ولهذا الغرض ثبت في الجليل . وما جعل ذاته واضحًا * اذ اجتهد اوليك لنحو من الانحاء ان يوضح ذاتهُ * فان قلت . فمن كان متكلمًا دايمًا بمجاهرة . ما غرضهُ ان يعمل هذا العمل . كانهُ في حالٍ مستور ؛ اجبتك . ما قال انهُ طلع مستترًا . لكنهُ قال . طلع كانهُ في حالٍ مستتر * لانهُ ارتاى هذا الراي على ما ذكرت . ليعلمنا ان ندبّر الاحوال * وخلوًا من هذا الغرض . فما كان خطرًا متساويًا . ان يحصل فيما بينهم . وهم مستعرون الغضب حادّون الغيظ . وان يحصل بعد ذلك في وسطهم . اذا انحلّ عيدهم * (١١) ” وان اليهود طلبوهُ * وقالوا اين هو ذاك * ” فمحامدهم لعروسه التي احكموها في اعيادهم حسنة عند ولومهم الى مهالك القتل دايمًا * ومن

هذه اجتهدوا ان يصطادوهُ *وقد قالوا هذا القول * في مكان غير هذا .. اظننتم انهُ ليس يجي في العيد : " وقالوا ۰ اين هو ذاك : " فمن بغضهم اياهُ الكثير وعداوتهم ۰ ما ارادوا ان يسموهُ باسمهِ * فاستحياوهم لعمري في العيد كثير ۰ وتورعهم عظيم * لانهم اجتهدوا ان يصطادوهُ من العيد* (١٢) " وكان فيما بين الجموع تذمر كثير من اجلهِ* " وانا اظن انهم احتد غيظهم من المكان الذي حدثت فيهِ الآية * واستمالهم ذلك كثيرًا الى ان يتذمروا عليهِ ۰ والى ان يرتاعوا منهُ* وما اغتاظوا على هذا النحو من اجل الآية السالف كونها ۰ مثل ارتياعهم الأ يجترح ايضًا آية هذا المحل مثلها * وتساروا من اجلهِ وجعلوهُ عن كراهيةٍ منهم ظاهرًا * " فبعضهم قالوا انهُ صالح هو * وبعضهم قالوا انهُ يضلّ الشعب * " فذاك الراي الاول على حسب ظني ۰ هو راي الناس الكثيرين * وهذا الراي الثاني ۰ هو رآي الروساء والكهنة * لان لفظة قولهم لا ۰ ولكنهُ يضل الشعب ۰ يدل على هذا المعنى * وانا اخاطب احدهم ۰ قُل لي ۰ ماذا عمل ۰ فاضلّ الجمع : هل خُيل لهم انهُ اجترح ايات : ولعمري ان الخبرة قد اوضحت ضدّ ما قالوهُ * (١٣) " وما تكلم متكلم من اجلهِ بمجاهرةٍ. لاجل خيفتهم من اليهود * أرايت في كل مكان عزم روسائهم منفسدًا ۰ والمروسين معافين في حكمهم ۰ وليسوا مالكين شجاعة واجبة * وهذا مناسب للجماعة خصوصًا * (١٤) .. وفي انتصاف العيد طلع يسوع وعلّم * " فتاخرهُ عن التعليم صيرهم اشدّ اصغاء * لان الذين طلبوهُ في الايام الاولة ابصروهُ على غفلةٍ حاضرًا * فالذين قالوا انهُ صالح ۰ والذين قالوا انهُ خبيث ۰ توقعوا ان يجيوا اليهِ عند تكلمه * فاوليك حتى يستفيدوا فايدة ويستعجبوهُ * وهولاء حتى يتناولوهُ ويقبضوا عليهِ * فقول اوليك انهُ يضلّ الجمع ۰ انما قالوهُ من تلقاء تعليمهِ اراء دنية ۰ او ما فهموا ما قالهُ لهم * وقول هولاء انهُ صالح ۰ انما قالوهُ من تلقاء اياتهِ * فلما ارخى غضبهم ۰ حضر بعد ذلك حتى يسمعوا مايخاطبهم بهِ بفراغٍ وتفهم * ولا يسدّ غيظهم اذ انهم ايضًا ۰ ولعمري ان البشير ما ذكر لنا ما علمهم اياه * وقال هذا القول فقط ۰ انهُ كان لفظًا عجيبًا * وذكر انهُ ارضاهم ۰ واحال تذمرهم * لان الاقوال التي قالها كانت هذه القوة الجزيلة قوتها عظيمة لان الذين قالوا انهُ يضل الشعب ۰ لما استحال تذمرهم استعجبوهُ وقالوا ۰ كيف قد عرف كتبنا ۰ وما تعلمها : " أرايت استعجابهم اياهُ ههنا ممتليًا خبثًا : لان البشير ما ذكر انهم استعجبوا تعليمه ۰ او انهم اقتبلوا ما خاطبهم بهِ ۰ لكنهُ قال انهم جنحوا الى انذهالٍ آخر * وتحيروا

وقالوا " من اين قد عرف هذه الاقوال : " وقد كان واجباً ان يعرفوا ويستيقنوا من حديثهم هذه . انهُ ما كان فيهِ قولاً انسانياً * الاَّ انهم اذ ما ارادوا ان يكشفوا هذا المعنى . لكنهم اثروا ان يثبتوا عند استجابهم اياهُ فقط * اسمع ما قالهُ هو (١٦) " قال تعليمي ليس هو لي * " فما هو يجاوبهم ايضاً على نحو ظنهم * معتاداً اياهم الى ابيهِ . موثراً ان يطبق افواههم من هنالك * (١٧) " ان كان احد يريد ان يعمل مشيته . ذاك يعرف من اجل تعليمي . هل هو من الله . او انا اتكلم بهِ من ذاتي * " فان سالت . وما معنى ما قد قالهُ : اجبتك . انهُ قال . انتزعوا ارتيابكم واغتياظكم وحسدكم وبغضكم الناشي منكم لي باطلاً . وليس مانع يمنعكم ان تعرفوا ان الفاظي هي بالحقيقة الفاظ الله * لانكم الان قد اظلكم هذه الاسقام . وقد افسدت حكمكم القويم اذا لم فيكم * فاذا ما انتزعتم هذه الادواء . فما تقبلون ايضاً هذا الراي * الاَّ انهُ ما قال لهم هذا القول . لانهُ لذعهم لذعاً شديداً * وقد ذكر لهم هذه الاقوال كلها ذكراً مستوراً بقولهِ " من يعمل مشيته يعرف من اجل تعليمي . هل هو من الله . او انا من ذاتي اتكلم بهِ " ومعنى ذلك هو . ان كنت انا اتكلم كلاماً غريباً مستغربة وضديا لان لفظة من ذاتي . حاصلة في هذا المعنى دايماً . لانني لست اتكلم كلاماً منحرفاً عن الاراء المصابة عندهُ * لكن الاقوال كلها التي يريدها ابي . هذه اريدها انا * اي ان اراد مريد ان يعمل مشيتي . يعرفه من اجل تعليمي * فان قلت . وما معنى ان اراد مريد ان يعمل مشيته : اجبتك . ان كان احدكم عاشقاً العيشة في الفضيلة . سيعرف قوة الاقوال التي قالها * ان اراد مريد ان يصغى الى النبوات : سيعرف هل فيها وفي معناها اتكلم . ام لا : ولعلك تقول . فكيف يكون التعليم لهُ وليس لهُ : لانهُ ما قال هذا التعليم ليس هولي . لكنهُ لما ذكر اولاً انهُ هولهُ ومناسباً لهُ استثنى بعد ذلك بقولهِ انهُ ليس لي * فكيف يمكن ان يوجد قول واحد بعينهِ لهُ وليس لهُ : فنقول لك . انهُ لهُ * لانهُ ما قالهُ متعلماً اياهُ * وليس هولهُ . لان تعليمه كان تعليم ابيهِ * ولعل معترضاً يقول . فكيف قال " املاك ابيه كلها هي واملاكي . املاكهُ * " (يوحنا ص ١٧ ع ١٠) ويعتمدهُ فيقول . لانها ان كانت هي املاك لابيك . فلهذا السبب ليس هو لك . فذاك القول كذب * لان لهذا المعنى قد وجب لك فنقول لهُ الا ان لفظة هولي . يبين بياناً شافياً . ان التعليم يوجد لهُ ولابيهِ واحداً * كانهُ قال هذا القول تعليمي ليس يحوي لفظاً مخالفاً . كانهُ موجود لاخر . لان الاقنوم ان كان آخر لكنني على هذا النحو

اتكلم . وازل تكلّمًا وعملاً يبلغان في تمثيلهما الي الاّ يظنهما ظانٌ . انهما تكلم وعمل غير تكلم ابي وعمله .
لكنهما الكلام والعمل الذي تكلم به ابي . وعملهُ باعيانهما . ثم اورد قياسًا آخر يحجز معاندته . اذ احضر
الى وسط كلامهِ قولاً انسانيًا . واتّمهما في العادة . وهو قولهُ (١٨) « مَن يشاء ان يثبت تعليمًا
يناسبهُ . فليس يرتاد ذلك لغرضٍ آخر الاّ يستثمر شرفًا له . فان كنت انا لست اشاء ان استثمر
تشريفًا . فلم اشاء ان اثبت تعليمًا منسوبًا اليَّ . مَن يتكلم من ذاته . ومعنى ذلك هو مَن يتكلم كلامًا
يخصهُ متميزًا له . فلهذا الغرض يتكلم ليثبت شرفًا له . فان كنت انا ابتغي مجد مرسلي . فلم اشاء ان اعلّم
تعليمًا آخر . ارايت ان علةً من العلل كانت لاجلها قال تلك الاقوال . ومن اجلها قال . انهُ ليس
يعمل من ذاته عملاً . لكي يصدقوا انهُ ليس يرتاح الى شرف . ولا الى حب رياسة . ولهذا السبب
اذ قال اقوالاً ذليلة . وقال انا ابتغي تشريف ابي . فانما يقول ذلك في كل مكان . مريدًا ان يحقق
عندهم انهُ ما يعشق شرفًا . ولعمري ان لكلامهِ اقوالاً ذليلة عللاً كثيرة . هي الاّ يظن انهُ عديم ان
يكون مولودًا . الاّ يتوهموهُ ضدًّا لله . ليبين انهُ قد تسربل لحمًا . اغماض اقوالهِ عن سامعيهِ . ليعلّم
الناس ان يتواضعوا . ولا يقولوا عن ذواتهم وصفًا عظيمًا . ولكلامهِ الفاظًا رفيعة عالية علة واحدة
يجدها طالبها . وهي عظم طبيعته . لانهُ ان كان لما قال لهم انهُ قبل ابراهيم تشككوا . فما الذي ما
كان اصابهم . اذا سمعوا منهُ دايمًا الفاظًا عالية . (١٩) « اليس موسى اعطاكم الشريعة . وليس احد
منكم يعمل الشريعة . ما بالكم تلتمسون قتلي . » ولقايل ان يقول . وهذا القول اي نظام يتملك . وما
الشركة بينهُ وبين الاقوال التي قيلت قبلهُ . فنجيبهُ . قد اوردوا لهُ زللين . احدهما انهُ حلّ السبت .
والآخر انهُ دعى الله اباهُ . جاعلاً ذاتهُ عديلاً لله . فالبرهان على ان قولهُ هذا ما كان مناسبًا لظن
اوليك . لكنهُ كان مناسبًا لعزمهِ هو . فانهُ ما قال هذا القول كما قالهُ الكثيرون . لكنهُ قالهُ قولاً
منفردًا لهُ خاصًا بهِ . فواضح من تلك الجهة . طالما قال كثيرون من الناس ان الله ابٌ لهم .
كقول القايل « ان الهًا واحدًا خلقنا . وابًا واحدًا لجماعتنا . » (ملاخيا ص ٢ ع ١٠) ولكن
ليس من تلقاء هذا القول صار الشعب عديلاً لله . ومن هذه الجهة ما تشككوا اذ سمعوا هذا القول .
وكما انهم قالوا انهُ ليس هو من الله . وشفاهم في اكثر الاوقات . واحتج لهم عن حل السبت . فكذلك
هذا القول لو كان مناسبًا لتوهم اوليك . وما كان من عزمهِ . لكان قد تلافاهُ . لكنهُ ما قال قولاً هذا

معناهُ . لكنهُ قال ضد ذلك * واوضح باقوالهِ التالية هذا القول . انهُ عديلٌ لله هو . لان لفظة .. كما ان ابي ينهض الاموات ويحييهم . لكي يكرم الكل الابن . مثلما يكرمون اباهُ * والاعمال التي يعلمها ذاك . هذه يعلمها الابن على مشابهةٍ لهُ * " (يوحنا ص ٥ ع ٢١) هذه كلها مُبدِعة معادلتهُ اياهُ . وقد قال من اجل الشريعةِ .. لا تظنوا انني جيت انقض الشريعة او الانبياء * " (متى ص ٥ ع ١٧) فعلى هذه الجهة قد عرف ان يستخرج الظنون الخبيثة من سريرتهم * وظن المعادلة هنا ليس ما بطلهُ فقط . لكنهُ حققهُ * ولذلك لما قالوا في موضع آخر انك تجعل ذاتك الهاً . ما بطل ظنهم هذا . لكنهُ حققهُ * اذ قال .. لكيما تعلموا ان ابن الانسان يحوى سلطاناً ان يغفر الخطايا في الارض * قال للمخلع . احمل سريرك وامشِ * " (متى ص ٩ ع ٦) فثبت ذلك القول الاول . انهُ يجعل ذاتهُ عديلاً لله . موضحاً انهُ ليس هو ضداً لله * لكنهُ يقول الاقوال باعيانها . ويعلم التعاليم باعيانها . التي لابيهِ . فالان يثبت حل السبت * اذ قال .. اليس موسى اعطاكم الشريعة : وليس واحد منكم يحفظ الشريعة * كانهُ قال هذا القول . الشريعة قالت لا تقتل * وانتم تقتلون . وتشكونني كانني مخالف للشريعة * فان قلت . فلمَ قال وليس واحد منكم يحفظها : اجبتك . لانهم كلهم التمسوا قتلهُ * فقال ان كنت انا حللت الشريعة الا انني خلصت انساناً * وانتم تخالفون الشريعة في عملٍ منكرٍ * وفعلي انا وان كان مخالفةً . الا انهُ لخلاص * وليس واجباً ان تحكموا عليَّ انتم الذين تخالفون فرايضها العظيمة * لان فعلهم هو احالة الشريعة كلها * ثم يعاندهم على انهُ قد ناظرهم فيما سلف كثيراً * لكنهُ خاطبهم في ذلك الحين خطاباً اعلى محلاً . مناسباً لرتبتهِ * والان فهو يخاطبهم خطاباً اذلّ لفظاً * وان سالت فما رايهُ في ذلك : اجبتك . انهُ ما شاء ان يغايظهم مغايظة متصلة . وقد تمادوا الان في مساعي غيظهم . ونهضوا الى القتل . فلذلك يقمع غيظهم بهذين الصنفين بعزلهِ جراءتهم . اذ قال .. ما بالكم تلتمسون قتلي : " وبقولهِ بوداعةٍ . انني انسان خاطبتكم بالصدق * وبايضاحهِ ان القاتلين ليسوا موهلين ان يحكموا على غيرهم * وابصر انت تذلل سوال المسيح . ولفظ جواب اوليك الجسور * اذ قالوا (٢٠) .. تشتمل شيطاناً . مَن يلتمس قتلك : " هذا لفظ غيظ وغضب ونفس متوقحة بعد توبيخها . بلفظٍ عجيب مصدرة التقريع اليهِ على ما ظنوا فكانت حال هولاء حال اللصوص . اذا عوا اغنيا لاتهم . ثم ارتادوا ان يصيروا حكاماً . واعتمدوا ان يغتالوا عليهِ انهُ عديم ان يكون مصوناً

محترساً . ففعلوا ذلك بانكارهم الاغنيا ل عليهِ فاهمل ربنا توبيخ قولهم هذا . لكيلا يجعلهم اشدّ توقحًا .
ومارس الاحتجاج ايضاً عن حل السبت . منشياً لهم من الشريعة قياسات . وانظر كيف قال لفظاً
مستعجباً ان عصيتموني فليس ذلك مستعجباً . اذ كنتم قد عصيتم الشريعة . التي قد توهمتم انكم تسمعونها .
التي قد ظننتم ان موسى اعطاكم اياها*فليس مستغرباً ان كنتم ما قد اصغيتم الى اقوالي*لانهم لما قالوا
ان الله كلم موسى . وهذا فما نعرف من اين هو . بيَّن لهم انهم قد اوصلوا المسبة الي موسى*لان ذاك
اعطاهم الشريعة . وما قد سمعوها* (٢١) .. قد عملت عملاً واحداً . فاستعجبتموهُ* " لهذا السبب
لما وجب ان تحتجوا عني . قبلتم ذلك بمنزلة زلل* لان في كون الاية ليس يذكر اباهُ . لكنهُ يورد وجههُ
هو . اذ قال ،،قد عملت عملاً واحداً* " واراد ان يريهم ان الأ يعلها . كان حلاً للشريعة*وان قد
توجد افعال كثيرة احق بالتفضيل من الشريعة*فان موسى ارتضى ان يقتبل وصية تسود على
الشريعة متامرة عليها . وذلك ان الختانة اعلى تامراً من السبت وافضل * على انها ليست من
الشريعة . لكنها من الاباء * فانا قد عملت عملاً ارفع تامراً من الختانة وافضل*ثم ما ذكرْ وصية
ناموسية ،، ان الكهنة يدنسون السبت* " على ما ذكر لهم سالفا . لكنهُ ابكمهم من وصية اعظم في سموها*
ولفظة ،، استعجبتموهُ . " هي انكم ارتجفتم وقلقتم . لان الشريعة لوكان واجباً ان تكون ثابتة .. لما
كانت الختانة اعلى تامراً منها وافضل . وما قال انني عملت عملاً اعظم من الختانة لكنهُ ذكر ذلك
ذكراً خفياً بقولهِ (٢٣) ،، ان كان الانسان ياخذ الختان* " أرايت انهُ حينئذٍ يثبت الشريعة
اكثر اذا حلها : أرايت ان حل السبت هو حفظ للشريعة : من طريق انهُ لو لم يحل السبت .
لكان يلزم اضطراراً ان تحل الشريعة*فوجب من ذلك انني انا ثبتها*وما قال انكم حنقتم عليَّ .
لانني عملت عملاً اعظم من الختانة . لكنهُ ذكر ما فعلهُ فقط . وامرهم بالحكم فيهِ . ان كانت العافية
الكاملة الواصلة الى المخلع . ليست افضل من الختانة والزم ضرورة * وانما هي لياخذ الانسان
سمةً وعلامةً . وما تمم عملاً يودي الى عافية . وهي تحل الشريعة*فاستصعبتم انتم واغتظتم . ان
يتخلص انسان من مرض هذا المبلغ مبلغ تماديه (٢٤) ،، لاتحكموا على الوجه* " فان سالت .
وما معنى على الوجه : اجبتك . انهُ قال لاتكونوا اذًا تشرفون موسى تشريفًا اعظم . توردون القضية
من مرتبة وجوه الناس . لكن اوردوها من طبيعة الاشياء والاحوال*فان هذا هو معنى ان

تحكموا حكماً عدلاً * لان لاي سبب ما يشكو موسى احد منكم . ولِمَ ما خالفهُ مخالف . لما امر ان يحل السبت . من قبل وصية دخيلة على الشريعة من خارج . لكن ذاك ارتضى ان توجد وصيته اعلى نامراً من شريعته وافضل * وهذه الوصية ليست واردة من الشريعة . لكنها واردة من خارج * وهذا فهو شيء عجيب جداً . وانتم الذين لستم مشترعين الشريعة . تنتصرون للشريعة انتصاراً خارجاً عن المقدار * الا ان موسى موهل للتصديق اكثر منكم . الذي اوعز ان يحل الشريعة وصية ليست شرعية * وقوله " جعلت انساناً كلهُ * " يبين به ان الختانة هي عافية جزوية * وان سالت ما هي عافية الختانة . اجبتك . قال " نفس الانسان التي ما تختتن تستاصل * " (تكوين ص ١٧ ع ١٤) فانا انهضت ليس سقياً سقماً جزويّاً لكني انهضت منفسداً كلهُ *

العظة التاسعة والاربعون

في العدل * وان الظالم ليس يفيدهُ نفعاً ان يملك والدين مقسطين عدلين *

قد تحكموا اذاً على الوجه * فهذا القول ما قيل للكاتبين في ذلك الحين وحدهم . لكنهُ قد قيل معهم لنا ايضاً * حتى لا يفسد الحكم العدل بصنف من الاصناف * لكن نعمل كل ما يمكنا من اجل الحكم العدل * فان كان احدنا فقيراً . وان كان موسراً . الا نصغي الى وجوههما * لكن سبيلنا ان نفحص افعالهما واحوالهما * فقد قال " لا ترحمنّ في القضاء فقيراً * " فان قلت . وما معنى قوله هذا . اجبتك . انهُ قال ان اتفق ان يكون الظالم فقيراً . فلا تحننّ عليهِ . ولا تميلنّ معهُ * فان كان ليس يجب ان تنجذب الى فقير . فاولى واوجب علينا انهُ يجب ان لا تنجذب الى غني * هذه الاقوال اقولها ليس للذين يحكمون وحدهم لكني اقولها للناس المومنين كلهم * حتى لا يفسدوا بجهة من الجهات القضاء العدل * لكن يحفظوهُ كاملاً في كل مكان . لان " ربنا يحب العدل * " " ومن يحب الظلم يمقت نفسهُ * " (مزمور ١٠ ع ٦) فلا نمقتنّ نفوسنا . ولا نحبنّ ظلماً * لان كم هي فايدة الظلم يسيرة . وليست شياً . وتهلك اخيراً اسوء الهلاك بواراً * واولى ما نال انا ولاهنا نتمتع بهِ * لاننا اذا نعمنا بالظلم بفطنة خبيثة . افما هذا التنعم تعذيب وعقوبة * فلنحبنّ الحكم العدل * ولا نعبرنّ بجهة من الجهات هذه الشريعة * لان ما الذي يمكنا ان نستثمرهُ من هذا العمر الحاضر . ان لم ناخذ منهُ فضيلة

ونتصرف . ما الذي يعضدنا هنالك . أيعضدنا صداقة ومناسبة . او نعمة جاه فلان . وما معنى قولي نعمة جاه فلان . ولو ملكنا ابائنا نوحاً او ايوب او دانيال . فلن يفيدنا هذا نفعاً * اذا استثنينا اعمالنا الى المقابلة عليها * لكن الحاجة بنا ماسّة الى شيء واحدٍ وحدهُ . وهو فضيلة في نفسنا . فان هذه تقتدر ان تخلصنا وتستخلصنا من النار الابدية . وترسلنا الى مُلك السموات * التي فليكن لنا كلنا ان نحصل فيهِ بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي بهِ ومعهُ لابيهِ المجد مع الروح القدس * الان ودايمًا والى اباد الدهور كلها امين

المقالة الخمسون

في قولهِ (٢٥) فقال اناس من اهل اورشليم . اما هذا هو الذي يلتمسون قتله . (٢٦) وها هو يتكلم بمجاهرةٍ . وما يقولون لهُ شيًا . لعل قد عرف الروسا بتحقيق . ان هذا هو المسيح بالحقيقة * (٢٧) الّا ان هذا قد عرفنا من اين هو *

لم يوضع في الكتب الالهية قول على بسيط ذاتهِ . لانها قد قيلت بالروح القدس . فلهذا السبب ينبغي ان نفحص عنها بابلغ الاستقصاء * لاننا يمكننا ان نجد في لفظة واحدة معنىً كاملاً * كقولك اللفظ الذي هو الان موضوع لنا . القائل .. ان كثيرين من اهل اورشليم قالوا . أليس هذا هو الذي يلتمسون قتلهُ . وها هو يتكلم بمجاهرةٍ . وما يقولون لهُ شيًا * " فان سالت . فما الغرض في ذكر اهل اورشليم . اجبتك . ان البشير بيّن ان الذين استمتعوا بالايات العظيم محلها كثيرًا . اوليك كانوا احق الناس كلهم بالترثي لهم . للذين ابصروا للاهوته علامة عظيمة . عطفوا المطلوب كله الى حكم روسايهم المفسودين * انما توجد علامة عظيمة . ان يهدى على غفلةٍ . اناسًا مجانين قاتولين جاهلين طالبين ان يقتلوا ويضبطوا بايديهم . فمن عمل هذا العمل . مَن اخمد على هذه الجهة جنونًا كاملاً . الّا انهم مع ذلك بعد الايات التي هذا مقدارها . ابصر غباوتهم وجنونهم * " أليس هذا هو الذي يلتمسون قتلهُ . وما يقولون لهُ شيًا . " وما قالوا وما يقولون لهُ شيًا على بسيط ذات القول . لكنهم قالوا وما يقولون شيًا للمجاهرة . لانهُ اذ خاطبهم بمجاهرةٍ وبكافة الحرية . اغاظهم اشدّ الغيظ واكثره . الّا انهم ما عملوا شيًا . العلهم قد عرفوا بالحقيقة ان هذا هو المسيح * " وانا

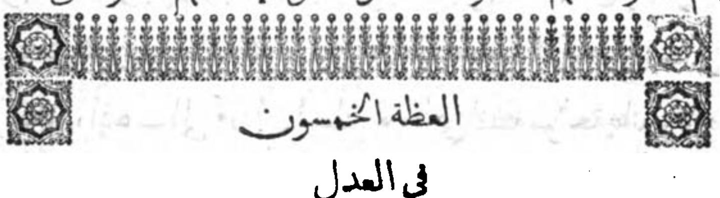
اسالهم فانتم ما رايكم فيه: اية قضية توردونها من اجله: ويناسبهم ان يقولوا قضية ضدية. ولهذا السبب قالوا .. الأ ان هذا قد عرفنا من اين هو* " فترحاً لخبثهم. وترحاً لتضادّ كلامهم* اذ لم يتبعوا قضية روسايهم. لكنهم ابرزوا قضية اخرى مفسودة موءهلة لغباوتهم* قالوا قد عرفنا هذا من اين هو* والمسيح اذا جاء. فليس يعرف عارف من اين هو* " مع ان روساءكم لما سيئلوا قالوا* .. انهُ من بيت لحم يولد* " وقد قال اقوام آخرون ايضاً .. نحن قد عرفنا ان الله قد كلم موسى. وهذا فما قد عرفنا من اين هو* " (يوحنا ص ٩ ع ٢٩) فقد قالوا قد عرفنا من اين هو. وما قد عرفنا من اين هو* ابصر ياسامعاً الفاظ سكارى* وقد قالوا هذا ايضاً .. هل من الجليل يجيء المسيح: او ما يجيء من بيت لحم الضيعة: " اعرفت قضية مجانين. قد عرفنا. وما قد عرفنا. من بيت لحم يجيء المسيح .. والمسيح اذا جاء فليس يعرف عارف من اين يجيء* " ما الذي يكون اوضح من هذا الحرب: لانهم نظروا الى غرض واحد فقط. هو الاَّ يقبلوا قولهُ* فان سالت عما اجابهم المسيح عن اقوالهم هذه* (٢٧) .. قال قد عرفتموني من اين انا* وما جئت من ذاتي. لكن مرسلي صادق هو* الذي ما قد عرفتموهُ انتم* " وقال ايضاً .. لو عرفتموني لعرفتم ابي* " فان قلت. فكيف قال انهم يعرفونهُ من اين هو. وقال ايضاً انهم ما يعرفونهُ. ولا يعرفون اباهُ: اجبتك ما تكلم كلاماً متضاداً* لا كان ذلك* لكنهُ تكلم كلاماً منتظماً لايقاً بهِ جداً* لانهُ يذكر معرفة اخرى. اذا قال ما عرفتموهُ* على نحو ما اذا قال الكتاب .. ان ابني عالي ابنان مفسدان فما عرفا الله* " (ملوك اول ص ٢ ع ١٢) وقال ايضاً .. واسرائيل ما عرفني* (اشعيا ص ١ ع ٣) على ما قال بولس .. يعترفون انهم يعرفون الله* الاَّ انهم باعمالهم ينكرونهُ* " (تيطوس ص ١ ع ١٦) فقد يوجد اذاً عارف ليس يعرف* فقد قال اذاً هذا القول. لو عرفتموني لعرفتم انني ابن الله انا* لان لفظة من اين. ما اعتمد بها ههنا المكان* وذلك واضح من اللفظ الذي يتلو هذا. وهو .. وما جئت من ذاتي. لكن مرسلي صادقٌ هو. الذي ما قد عرفتموهُ انتم* " فالجهل الذي ذكرهُ ههنا جهلوهُ باعمالهم* على ما ذكر بولس* .. يعترفون انهم يعرفون الله الاَّ انهم باعمالهم ينكرونه* " لان خطاهم ما كان من غباوة. لكنهُ كان من رذيلة. ومن عزم خبيث. واذ عرفوا هذا الشي. اراد وان يجهلوهُ* ولعلك تقول هذه الاقوال اي نظام لها: لانهُ كيف لما وبخهم تكلم اوليك باقوالهم: لان اوليك اذ قالوا هذا قد

عرفنا من اين هو . استثنى هو بقوله وقد عرفتموني * لان ما الذي قال اوليك : اننا ما قد عرفناه *
وهولاء قد قالوا هذا القول . اننا قد عرفناه من اين هو * ما حققوا لفظاً آخر . الأ انهُ من الارض .
وانهُ ابن النجار هو * وهو بقوله صاعدهم الى السماء . فقال قد عرفتم من اين انا * ومعنى ذلك هو لست
من ههنا من حيث توهمتم . لكنني من مكان مرسلي * لان قولهُ ما جئت من ذاتي . يذكر هذا
المعنى ذكراً غامضاً . انهم قد عرفوا ان الاب ارسلهُ . وان كانوا ما كشفوا ذلك . فقد وبخهم توبيخاً
مضعفاً * فالصنف الاول من توبيخهِ . ان الالفاظ التي قالوها على انفرادهم . اوردها الى وسط
كلامهِ هاتفاً بها . حتى يخجلهم * ثم كشف الالفاظ التي في سريرتهم * كانهُ قال لست انا من
المطروحين . ولا من الذين جاءوا على بسيط ذات مجيئهم * لكن مرسلي صادقٌ هو . الذي ما
قد عرفتموهُ انتم * فان قلت وما هو معنى مرسلي صادق هو : اجبتك . قال ان كان المرسِل صادقاً
هو * فواجب ان يوجد المرُسَل صادقاً . وعلى معنى آخر . قد اصلح هذا القول . اذ اقتنصهم من
اقوالهم * لانهم اذ قالوا اذا جاء المسيح فليس يعرف عارفٌ من اين هو . اراهم من هذه الجهة ذاته انهُ
هو المسيح * لان اوليك لما قالوا ليس يعرف عارف من اين هو . يعتمدون افصال حدِّ مكاني * ومن
هذه الجهة اراهم ذاتهُ . انهُ هو المسيح . لانهُ جاء من عند ابيهِ * وفي كل مكان . يشهد لذاتهِ وحدهُ
بمعرفتهِ اباهُ * اذ قال ليس الاب ابصرهُ باصرٌ . الأ الموجود من الاب . واقواله هذه اغاظتهم * لان
قولهُ انكم ما عرفتموهُ . وتوبيخهُ بانكم اذ عرفتم ذلك تتصنعون بانكم تجهلون . فيه كفاية ان يمضهم
ويلذعهم * (٣٠) .. فالتمسوا ان يمسكوهُ . فما القى احد منهم يدهُ عليهِ . لان وقتهُ ما كان بعد قد جاء * "
ارأيتهم مضبوطين ضبطاً قد عدم ان يرى * وغيظهم ملجماً : فان قلت فلاي غرض ما قال انهُ
ضبطهم ضبطاً قد عدم ان يرى . لكنهُ قال . وقتهُ ما كان بعد قد جاء : اجبتك . ان البشير اراد
ان يتكلم كلاماً اليق بالانسانية . واوفر تذللاً . حتى يتوهموهُ انساناً * لانهُ اذ قد تكلم في كل مكان اقوالاً
عالية . لاجل ذلك زرع هذه الالفاظ * لانهُ اذا قال انني منهُ انا . فليس يقول قول نبي متعلم . لكنهُ يقول
قول ناظر اليهِ . وموجود معهُ بالحقيقة * لانهُ قال .. قد عرفتهُ . لانني منهُ انا * " ارأيت كيف يصلح
في اعلى كلامهِ واسفلهِ قولهُ .. ما جيت من ذاتي * ومرسلي صادقٌ هو : " محارباً ذلك القول . وهو
الأ يُظن انهُ غريب من الله * وتأمل كم هو بح تذلل اقوالهِ : لانهُ قال وبعد ذلك قال كثيرون (٣١)

.. المسيح اذا جاء . لعله يعمل ايات اكثر من الايات التي عملها هذا : كم هي اياته : وانما كانت اياته .
ثلثاً * اية الخمر . واية المخلع . واية ابن الرجل الملكي * وما وصف لنا البشير اكثر * من هذه الجهة
يستبين واضحاً ما قد قلته دفعات كثيرة . ان البشيرين تجاوزوا اياته الكثيرة . وخاطبونا في ذكر
هذه الايات . التي لاجلها اثار روساء اليهود شرهم . فالتمسوا ان يضبطوه ويقتلوه * لان من هم الذين
ما ترتاح جماعة الناس الى رياستهم عليهم . ولا تقدر ان تضبط حسدهم الا الكهنة : لان الجماعة
الحاضرين قالوا .. المسيح اذا جاء لعله يعمل ايات اكثر من التي عملها هذا : مع ان ولا هذه الامانة
كانت معافاة . لكنها كانت امانة جماعة حقيرة * لان قولهم اذا جاء . ما كان قول موقنين جداً انه هو
المسيح * فاما هذا القول ينساغ ان يقال فيهم . واما يقال ان الجموع قالوه بمتابعة هواهم . من طريق
ان روساءهم اجتهدوا في اعلى كلامهم واسفله . ان يبينوا انه ليس هو المسيح * فلو اعتدينا ان هذا ليس
هو المسيح . أفهل ذاك يكون افضل من هذا : وهذا القول الذي اقوله دايماً . ان الذين هم اكثف
تمييزاً ليس يقتادهم الى الايمان . لا التعليم . ولا مفاوضة الجماعة . لكن الايات تستقيدهم * (٣٢) .. ثم
سمع الفريسيون الجمع متذمراً . فارسلوا غلمانهم ليقبضوا عليه * " ارايت ان حل السبت كان
اغتياظهم منه تظاهراً : وانما الذي مضهم اكثر مضضاً هذا كان . لانهم ما يتجه لهم ههنا ذنب يشكونه
منه . لا فيما قاله . ولا فيما فعله * وبسبب الجمع ارادوا ان يقبضوا عليه . وما اجترواهم على ذلك . اذ
توقوا التورط في الخطر . وارسلوا غلمانهم باذلين اياهم للمكروه * فترحاً لتمردهم ولجنونهم ! والبقي ما
يقال . تباً لغباوتهم * فطالما ارتادوا هم القبض عليه فما استطاعوا . ففوضوا ذلك الى غلمانهم * اذ
سكنوا غضبهم على بسيط ذات تسكينه * على انه قد خاطبهم عند البركة خطاباً كثيراً وما عملوا عملاً
هذه صفته . لكنهم التمسوا ذلك . الا انهم ما مارسوه * وههنا ما احتملوا اعتزام الجمع ان يتبادروا اليه *
واسمع ما خاطبهم به المسيح . (٣٣) .. انما انا معكم ايضاً مدة يسيرة * " مع اقتداره ان يجني سامعيه
ويريعهم . خاطبهم بالفاظ مملوة من تواضع العزم . كانه قال لهم . ما سبب اسراعكم الى قتلي
وطردي : تصبروا مدة يسيرة . ولست استجيز ان اضبط المسارعين ان يضبطوني * ثم ليلا يظن
ظان . ان قوله .. انما انا معكم مدة يسيرة * .. دال على موت مشاع عام للكل . لانهم قد ظنوا هذا
الظن * فلكيلا يظن ظان ذلك . ويتوهم انه ليس يفعل بعد وفاته فعلاً . استثنى بان قال " وحيث

اكون انا . ما تستطيعون انتم ان تجيئوا اليه ،، فلو كان توقع ان يلبث في موته . لما قدروا هم ان يذهبوا اليه * لاننا الى هنالك نذهب كلنا * فالجماعة الاوفر سذاجة . احتملوا اقواله هذه التي قالها . وارتاعت العصبة الاجسر من غيرها . وجهلت الجمع الواد التعليم ان يسارعوا الى استماعها . من طريق ان قد بقي له مدة يسيرة . وما يمكنهم الاستمتاع بهذا التعليم دايما * وما قال على بسيط ذات القول .. انما انا ههنا مدة يسيرة * " لكنه قال .. انما انا معكم مدة يسيرة * " ومعنى ذلك . هو وان طرد تموني وقتا يسيرا . فلست اكف واعظا اياكم . قايلا ما يوديكم الى خلاصكم . مدبرا ما يوافقكم . واذهب الى من ارسلني * فهذا القول قد كان فيه كفاية ان يريعهم . وان يلقيهم في جهاد . لانه يدل على تحصيلهم في الاحتياج اليه . لانه قال .. ستطلبوني وما تجدوني * " فان قلت واين طلبته اليهود . اجبتك . قد قال لوقا البشير ان نسوة ندبنه منتحبات عليه * وقد بكى من اجله على ما يوجبه القياس اناس آخرون كثيرون . وانتحبوا في ذلك الحين * ولما فتحت مدينتهم واستبيحت . قد تذكروا المسيح وعجايبه . والتمسوا مشاهرته * فهذه الاقوال كلها اوردها مريدا ان يجتذبهم . لان لفظة انه قد تبقى له وقت يسير . وانه سيكون بعد انصرافه عنهم ماثورا عندهم . وانهم ما يقدرون فيما بعد ان يجدوه . كلها فيها كفاية ان تستميلهم الى الاقتراب اليه . لان حضوره ان كان ليس مزمعا ان يوجد ماثورا عندهم . فما يظنون انه قد قال لهم قولا عظيما * وايضا لو استانف ان يوجد ماثورا . وكان ممكنا ان يوجد . لما ارجفهم ارجافا شديدا * وايضا فلو استانف ان يحضر عندهم زمانا طويلا لصاروا بهذه الصفة طريحين على ظهورهم . مهاين اهتمامهم به * فهو الان من ساير الجهات يستاقهم اليه ويريعهم . ولفظة ،، اذهب الى من ارسلني * ،، هي لفظة موضحة * انه ولا صنف من الضرر يتكون له من اغنيالهم عليه . وان تاله طوعا بايثاره * فقد سبق فقال لهم صنفين من سبوق تخبيره انه يذهب بعد مدة يسيرة . وانهم ما يجيئون الى عنده * وذلك فما كان قول تمييز فهم انساني ان يسبق فيصف وفاته * وابصر داود قايلا ،، يارب عرفني نهايتي * وعدد ايامي ما هو . لكي اعرف ما يعوزني * ،، وبجملة التحقيق فليس يوجد احد الناس عارفا هذا النسب . فمن هذا القول الواحد حقق القول الآخر * وعلى حسب ظني انا . ان هذا القول ايضا . قد استمد به الخدام استمدادا خفيا . واصدر كلامه اليهم . وبه استجذبهم * خصوصا اذ اوضح لهم ذاته . عارفا علة مجيهم اليه * كانه قال .

تصبروا قليلاً واذهب * (٣٥) „ فقال اليهود لانفسهم . الى اين يستانف هذا ان يذهب : "
ولعمري ان الذين اشتهوا ان يستريحوا منهُ وعملوا كل ما امكنهم حتى لا يبصروهُ . ما كان واجباً ان
يطلبوا هذا المطلوب * لكن الاليق بهم ان يقولوا اننا نسرّ بهذا . ومتى يكون انصرافه : لكنهم اثر
فيهم تاثير مما قالهُ . وطلبوا اذ توهموا في ذواتهم توهماً خالياً من الفهم الى اين يستانف ان ينطلق *
(٣٦) „ هل ينطلق الى شتات الاوثانيين * " وان سالت ما هو شتات الاوثانيين . اجبتك ان
اليهود بهذا الاسم كانوا يسمون الامم * لانهم كانوا متزرعين في كل مكانٍ شتاتاً . و يختلط بعضهم في
بعضٍ خلواً من احتشام * وهذا التعبير فقد قاسوهُ هم فيما بعد * لانهم هم صاروا متزرعين شتاتاً *
لان امتهم القديمة كلها كانت مجموعة في صقعٍ واحدٍ * وما كان يتجه ان يوجد يهودياً في مكانٍ آخر .
الا في بلد فلسطين وحده * فلهذا المعنى كانوا يسمون الاوثانيين شتاتاً * يعيّرون اوليك .
ويستعظمون في انفسهم * ولسايل ان يسال . وما معنى قولهِ „ المكان الذي اذهب انا اليهِ ما يمكنكم
انتم ان تجيئوا اليهِ : " فاجيبه لعمري انهم كلهم في ذلك الحين قد اختلطوا باوليك الاوثانيين .
وصارت اليهود في كل موضع من المسكونة * فلو كان دلّ بقولهِ على الاوثانيين . لما كان قال " المكان
الذي اذهب انا اليهِ . ما يمكنكم انتم ان تجيئوا اليه * " ولما قالوا هل يستانف ان يذهب الى شتات
الاوثانيين : وما قالوا ويفسدهم . لكنهم قالوا ويعلمهم * فعلى هذه الجهة كانوا قد نزحوا عن غيظهم
وصدقوا ما قيل لهم * فلو لا انهم صدقوها . لما كانوا ابتغوا في انفسهم ما هو معنى كلامه



العظة الخمسون

في العدل

الا ان هذه الاقوال قيلت لاوليك اليهود * فيشتملني خوف الا يتلك هذه الاقوال وقتاً يقال
فيهِ لنا . ان المكان الذي قد يوجد فيهِ ما يمكنا ان نذهب اليهِ . بسبب عيشتنا الممتلية خطايا * لانهُ
قد قال من اجل تلاميذه „ اشاء اينما اوجد انا ان يكون اوليك معي * " (يوحنا ص ١٧ ع ٢٤)
فاخشى الا يقول من اجلنا ضد هذا القول . انهُ اينما اكون انا ما يمكنكم ان تجيئوا . لاننا اذا عملنا اضداد
اوامره . كيف نستطيع ان نذهب الى هنالك : لان في عمرنا الحاضر متى ما عمل احد من الجند اعمالاً

ليست موهلة للملكوة . ليس يستطيع ان يبصر ملكه . لكن بعد ان تنتقض رياسته . يقاسي عقوبة واصلة الى غايتها * فاذا كنا نختلس ما ليس لنا . ونستكثر من القنيات . اذا كنا نظلم ونضرب . اذا كنا لا نعمل صدقة . ما نقدر ان نذهب الى هنالك * لكن يعرض لنا ما عرض للعذارى الجاهلات * لان المكان الذي كان فيه . ما امكنهم الدخول اليه * لكنهنّ انصرفنَ لما طُفيت مصابيحهنّ * ومعنى انطفايها هو لما باينتهنّ النعمة والموهبة * لان ذلك اللهيب الذي تتنبلهُ في الحين بنعمة الروح . اذا شينا سنصيرهُ اشدَّ نورًا * وان لم نشاء سنضيعهُ سريعًا * واذا طُفي ذلك اللهيب . فليس يكون في نفوسنا شيء آخر الاَّ ظلامًا * لانهُ كما ان المصباح اذا توقد . يكون ضياوهُ عظيمًا . فكذلك اذا انحل نوقده . ليس يكون فيه شيءٌ آخر الاَّ ظلامًا * ولهذا المعنى قال الرسول " الروح لا تطفوهُ * " وانما ينطفي . اذا لم يمتلك زيت رحمة * اذا صدمه من الريح اعصاف اشد هبوبًا * اذا حُصِر وضُيّق عليه . لانهُ على هذا المثال تحصر النار وتضعف . فالروح تضغطهُ هموم الدنيا وتضعفهُ . وتطفيه الشهوة الخبيثة * ومع ما قد ذكرناهُ . فليس شيءٌ على هذا النحو يطفي لهيب الروح . مثل ما تطفيه جفاوتنا . واختطافنا ما ليس لنا . وزوال انسانيتنا * لان الروح اذا كان (مع انهُ ليس يمتلك زيتًا) يُصَبُّ عليه ماء بارد . وهذا الماء هو الاستغنام . واستكثار القنية الذي يبرّد نفوسنا بحزن المظلومين . فكيف يقدر فيما بعد ان يتوقد * فسنذهب من هٰهنا حاملين رمادًا وغبارًا . ما لكين الدخان ثالبًا ايانا ثلبًا عظيمًا . باننا امتلكنا مصابيح فطفيناها * لان حيث يكون دخان . يوجد بلازم الضرورة نارٌ قد طفيت * لكن لا كان ان يسمع احدٌ منا ذلك الصوت .. لست اعرفكم * " لان من اين يوجد ان نسمع ذلك الصوت . الاَّ اذا راينا فقيرًا نجعل حالنا حال من لم يبصرهُ : اذا جهلنا نحن المسيح جايعًا مفتقرًا يجهلنا هو اذا احتجنا رحمة * وذلك على جهت الواجب * لان مَن يتغافل عمن كان مضغوطًا مغمومًا ولا يعطي مالهُ . فكيف يطلب ان ياخذ ما ليس لهُ : فلهذا السبب اتضرع اليكم . ان نعمل كل ما يمكننا ونحتيل به . حتى لا يعوزنا زيت الرحمة . ولا ينقص من عندنا . لكن نزيّن به مصابيحنا . وندخل الى الخدر مع ختننا * الذي فليتفق لنا كلنا الدخول اليه بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه * الذي به ومعهُ لابيه المجد مع الروح القدس * الان ودايمًا الى اباد الدهور كلها امين

المقالة الحادية والخمسون

(٣٧) وفي اليوم الاخير المعظم من العيد . وقف يسوع وصاح قائلاً . ان يعطش احدكم يجي الي ويشرب * (٣٨) من يؤمن بي كما ذكر الكتاب . يجري من جوفه انهار ماء الحيوة *

يجب على الذين يتقدمون الى انذاره . ويجيئون الى تصديقه . ان يضحوا عشق العطاش . وان يشعلوا في انفسهم الشهوة جزيلاً تقديرها * فانهم يقتدرون على هذه الاعجبية . ان يضبطوا ما يقال لهم بصيانة كثيرة * وبيان ذلك . العطاش متى تناولوا قدح ماء . يكرعونه بنشاط كثير * وحينئذٍ يريحون عطشهم * فبهذه الحال تكون حال الذين يسمعون الاقوال الالهية . ان استمدوها عطاشاً . فما يتعبون في وقت من الاوقات . حتى يرتشفوها . ولعمري انه قد بيّن اننا نحتاج ان نعطش ونجوع الى استماعها اذ قال ، مغبوطون الجياع والعطاش الى العدل * ، وقد قال ههنا ، من يعطش فليجي الي وليشرب * (متى ص ٥ ع ٦) فالذي يتوله معناه هذا هو لست الزم احداً . ولا اجذبه بالزام وغصب . لكن ان كان احدكم قد حوى نشاطاً كثيراً . من كان محترقاً بشوقه . فلهذا ادعوه انا . ولسائل ان يسائل . ولمَ بيّن المبشر انه صاح في اليوم الاخير الكبير . لان اليوم الاول كان كبيراً . واليوم الاخير من العيد كان ايضاً كبيراً . فجيبه . لان الايام التي فيما بينها كانوا يفنونها في التنعم خصوصاً * فان استخبر ايضاً . ولمَ خاطبهم في اليوم الاخير . اجبناه . لانهم كلهم فيه كانوا يلفون كلهم مجتمعين * لانه في اليوم الاول ما جاء . وقد ذكر العلة لاخوته * بل ولا قال في اليوم الثاني . ولا في اليوم الثالث منه قولاً هذا معناه . حتى لا يهملوا ما يقوله . اذا استانفوا ان يذهبوا الى التنعم * وفي اليوم الاخير حين انصرفوا الى منازلهم . اعطاهم زادات الى خلاصهم * وصاح مظهراً من جهة واحدة مباهرته * ومن جهة غيرها بسبب الجمع لانه كان غفيراً * ولما اوضح انه انما خاطبهم في وصف شرب معقول مستثنى بقوله ، من يؤمن بي على ما ذكر الكتاب تجري من جوفه انهار ماء الحياة * ، فالجوف ههنا يتوخى به القلب * على ما قيل في موضع آخر ، وشريعتك في وسط جوفي * ، (مزمور ٣٩ ع ١١) وان سالت واين ذكر الكتاب * ان انهار ماء حي تجري من جوفه . اجبتك . ما ذكر الكتاب ذلك بجهة من الجهات * فان قلت وما معنى قوله . اجبتك . قال من يؤمن بي على ما ذكر الكتاب .

فيجب ان ننقط ههنا نقطة فاصلت . ليكون تجري من جوفهِ انهار ماء حي . من اجابهِ وتحقيقهِ *لان كثيرين لما قالوا هذا هو المسيح . المسيح اذا جاء العله يجترح ايات اكثر من التي اجترحها هذا : اراهم انهُ يجب ان يمتلكوا عزماً متقوماً . ولا يومنوا بهِ على هذا النحو من تلقاء اياتهِ . مثلما يوءمنون بهِ من الكتب . فكثيرون قد ابصروهُ مجترحاً عجايبهُ *وما اقتبلوهُ على انهُ المسيح *بل استانفوا ان يقولوا . ان الكتب اليست تقول . ان المسيح من نسل داود يجي : وهذه الالفاظ ردّدوها في اعلى كلامهم واسفلهِ * فاراد ان يريهم انهُ ليس يهرب من البرهان بالكتب * فارسلهم ايضاً الى الكتب * لانهُ قال فوق هذا الكلام ،، فتشوا الكتب * " وقال ايضاً " يوجد مكتوب في الانبياء *ويكونون كلهم متعلمين من الله * " ،، وموسى يثلبكم " وقال ههنا . على ما ذكر الكتاب . ان انهاراً تجري من جوفهِ . مضمراً في قولهِ فيض النعمة الواسع الفاقد البخل *وهذا ذكرهُ في مكانٍ آخر . ودعاهُ عيناً من الماء فايضة لحياة دهرية *ومعنى هذا هو ان يجري نعمة كثيرة . وفي موضع آخر ذكر حياة دهرية * وههنا قال ماء حياة * فقولهُ حياً . يعني انهُ فاعل دايماً . لان نعمة الروح متى ما دخلت الى سريرتنا وتمكنت . تفور اكثر من كل عين ماء . وما تنقص . ولا تفرغ . ولا تقف *فقد اوضح اذاً خاصة ورودها الفاقدة ان تكون ناقصة . وسخية فعلها المحتجز وصفها معاً . ودعاها عيناً وانهاراً . وما ذكر نهراً واحداً . لكنهُ ذكر انهاراً مغتاصاً وصفها * واوضح هنالك بفيضها مدّها . وقد يعرف عارف ما ذكرهُ معرفة واضحة . ان تفطن في حكمة استيفان . وان تامل لسان بطرس . وسرعة خاطر بولس . كيف ما احتملهم شيء . ولا قاومهم . لا غضب جموع الناس . ولا اراجيف المغتصبين . ولا اغتيالات الشياطين . ولا ميتات في كل يوم . لكن صورتهم كانت صورة انهار مندفقة بجرية كثيرة ودوي جزيل . سحبوا على هذا المثال كل ما التقاهم ودهمهم * (٣٩) ،، وهذه قالها (زعم البشير) في ذكر الروح الذي استانف المومنون ان ياخذوهُ . لانهُ ما كان بعد قد ورد روح القدس * " فان قلت . كيف تنباء الانبياء . واجترحوا العجايب الجزيل عددها : اجبتك . ان الرسل ما اخرجوا الجن بروح . لكنهم اخرجوهم بالسلطان الذي اخذوهُ منهُ . على ما ذكر هو ،، ان كنت انا ببعلزبول اخرج الشياطين . فبنوكم بماذا يخرجونها : ،، (متى ص ١٢ ع ٢٧) هذا القول قالهُ موضحاً ان قبل صلبهِ ليس كلهم اخرجوا الشياطين بروح . لكنهم اخرجوهم بالسلطان الماخوذ منهُ *وحين

اعتزم ان يرسلهم . حينئذٍ قال لهم " خذوا روحاً قدوساً * " وايضاً " وافى اليهم روح القدس * "
وحينئذٍ اجترحوا الآيات * وحين ارسلهم ما قال انهُ اعطاهم روحاً قدوساً . لكنهُ قال انهُ اعطاهم
سلطاناً * اذ قال " نقّوا البرص . اخرجوا الشياطين . انهضوا امواتاً . قد اخذتم مجاناً . فاعطوا مجاناً * "
(متى ص ١٠ ع ٨) وفي ايام الانبياء فقد اعترف كل المومنين " ان قد كانت لهم عطية روح قدس * "
الاَّ ان هذه النعمة كانت متقبضة ومنتزحة عن الارض وناقصة . تاركة اصحابها منذ ذلك اليوم
الذي قيل فيهِ " يُترَك بيتكم خراباً * " (متى ص ٢٣ ع ٣٨) وقبل ذلك اليوم تسلم تناقصها هذا
ابتداءهُ * لان ما كان عندهم ايضاً نبي . ولا اظهرت النعمة لهم اوحيتها الالهية * فاذ انقبض روح القدس .
ثم استانف ان يتدفق تدفقاً واسعاً . صار بعد الصليب ابتداء هذه الاباحة . ليس باصناف واسعةً
فقط . لكن تكون بعد ابتدا المواهب اعظم قدراً * على نحو قوله " ما قد عرفتما لاسيء روح انتما * "
وقد قال الرسول ايضاً " ما قد اخذتم روح عبودية . لكنكم اخذتم روح البنوة بالوضع * " وذلك
ان القدماء قد امتلكوا روحاً . وما خوّلوهُ لاناس آخرين . الاَّ ان الرسل ملاءوا ربوات من الناس
روحاً . فلمَّا استانفوا ان ياخذوا هذه النعمة . وما كانت بعد قد دُفعت اليهم . لهذا السبب قال
البشير " لان روح القدس ما كان قد ورد بعد * " واذ كان ربنا كلامه في ذكر هذه النعمة .
قال البشير " لان ما كان بعد روحاً قدساً " اي قد اعُطي لان يسوع ما كان بعد قد مُجِّد * " فدعا
الصليب مجداً . لاننا اذ كنا اعداء وخاطيين . معوزين من موهبة الله . ممقوتين عند الله . وكانت
النعمة برهان الصلح . والموهبة ما تُعطى للاعداء . ولا للممقوتين . لكنها تُعطى للاصدقاء . وللذين قد
حسن ارضاوهم . وجب اولاً ان تقدم الضحية عنا . وان تنحل العداوة في لحمهِ * وان نصير اصدقاً
للاهنا واحبّاء . وبعد ذلك ناخذ موهبته * ولين كان هذا الحادث قد حدث في الموعد لابراهيم .
فالبق واوجب ان يحدث في النعمة * وهذا المعنى اذ اوضحهُ بولس قال " ولين كان الوارثون هم
من الشريعة . فقد بطل الايمان * لان الشريعة تختلق غبطاً * " (روميه ص ٤ ع ١٤) فالذي
يقولهُ معناهُ هذا هو . ان الله وعد ابراهيم ونسله ان يعطيه الارض * الاَّ ان اولاده كانوا قد
عدموا ان يكونوا موهلين للوعد . وما اقتدروا ان يرضوا الله من اتعابهم * فلهذا السبب ورد
الايمان والتصديق * وهما فعل سهل المأخذ . لكي نستجذب النعمة . ولا نفقد المواعيد * فقال

الرسول لهذا السبب هم من امانة وتصديق · ليكون ذلك بمنة * حتى يوجد الوعد محققاً . لهذا السبب بمنة * لانهم من اعراقهم ما اقتدروا ان يرثوهُ * فان قلت . فلمَ اذ قال على ما في الكتب . ما استثنى بالشهادة : اجبتك لان عزمهم كان مفسودًا * (٤٠) .. لان بعضهم قالوا هذا هو النبي * (٤١) وغير هولاء قالوا انهُ يضل الجمع * (٤٢) وآخرون قالوا ليس يجي المسيح من الجليل * لكنهُ يجيء من بيت لحم الضيعة * وغير هولاء قالوا .. المسيح اذا جاء ليس يعرف عارفٌ من اين هو * " وكان عزمهم مختلفاً . من طريق انهُ في جماعة مضطربة * لانهم ما اصغوا الى ما قيل لهم بابلغ استقصاء · ولا حتى يتعلموا * فلهذا السبب ما اجاب هولاء جوابًا * مع انهم كانوا يقولون .. أَلعل المسيح يجيء من الجليل : " ومدح ناثانايل اذ قال اشدّ من هذا القول والذع .. أَمن الناصرة يمكن ان يوجد شيء صالح : " وانزله بمنزلة اسرائلي صادق * لان هولاء هم الذين قالوا لنيقوديمس .. فتش وانظر · ان من الجليل ليس يقام نبي · " وما قالوا ما قالوهُ طالبين ان يتعلموا . لكنهم قالوهُ على بسيط ذات القول . ليجيلوا شرف المسيح * وناثانائل فكان عاشقاً للحق · عارفاً الاقوال العتيقة بابلغ استقصاء . فقال ما قالهُ * وهولاء فكانوا ناظرين الى غرض واحد فقط · هو ان يعكسوا انهُ المسيح هو * ولهذا ما اعلن هولهم ذلك · لان الذين يتكلمون اقوالاً مضادّة لانفسهم · فيقولون احياناً . المسيح ليس يعرف عارف من اين يجيء * ويزعمون احيانًا انهُ يجيء من بيت لحم * فبيّن واضح انهم اذا عرفوا كابروا * فليكن على رايهم انهم جهلوا المكان انهُ من بيت لحم . بسبب تربيته في الناصرة . على ان ولا هذا القول يجوز عفوًا . لانهُ ما ولد هنالك في الناصرة * فلو جهلوا جنسه انهُ من بيت داود وقبيلته . فكيف قالوا . اليس من نسل داود يجي المسيح : لكنهم ارتادوا ان يستروا هذا القول بذلك · اذ قالوا كلما قالوهُ بمكر * فلماذا لم يقتربوا اليه قايلين · اذ قد استحيينا اقوالك الاخرى كلها . وانت تامرنا ان تقبل منك على ما في الكتب . قُل لنا كيف يقول الكتاب · ان المسيح ينبغي ان يجي من بيت لحم . وانت فقد جئت من الجليل : الاَّ انهم ما قالوا اقوالاً من هذه الاقوال . لكنهم يتكلمون اقوالهم كلها بتخابث * لان الدليل على ذلك . انهم ما التمسوا . ولا ارادوا ان يعرفوا . فقد استثنى البشير في الحين يذكر (٤٤) .. ان اقواماً ارادوا ان يمسكوهُ . فما القى واحدٌ منهم يدهُ عليه * " لانهم لو لم يشتملهم شيء آخر . لقد كان هذا

بعينه فيه كفاية ان يقتادهم الى تخشع وتندم*لكنهم ما تخشعوا ولا تندموا على ما ذكر النبي ،، تحزبوا ولا تندموا ولا تخشعوا* " (مزمور ٣٤ ع ١٩) لان الخبث هذه السجية سجيته . ليس يشاء ان يجمع لاحد * اذ ينظر الى غرض واحد فقط*هو ان يقتل من يغتال عليه* لكن اسمع ما قال الكتاب ،، مَن يحتفر الى قريبه حفرة. سيتكردس اليها* " (امثال ص ٢٦ ع ٢٧) وهذا العارض فقد عرض حينئذٍ*لانهم هم ارتادوا قتلهُ على ان يخمدوا انذاره*فعرض خلاف ذلك. لان انذارهُ ازهر بنعمة الله . واحوالهم كلها خمدت وهلكت . وفقدوا اوطانهم . وحريتهم . واطمانيتهم. وديانتهم وعدموا سرَّاء ايامهم كلها*وصاروا عبيدًا ماسورين

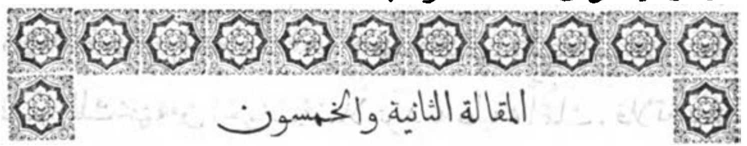
العظة الحادية والخمسون

في الأَّ نكافي شرًا بشرٍ

فاذ قد عرفنا هذه الاقوال كلها. فلا نغتال في وقتٍ من الاوقات على اناس آخرين * اذ نعلم يقينًا اننا انما نرهف السيف على انفسنا. وتضرب ذواتنا ضربةً اعمق غورًا*لكنك تقول قد غمَّكَ انسان . وتوثر ان تنتصر منهُ * لا تنتصر منهُ . فانك على هذه الجهة تقتدر ان تنتصر منهُ*فاذا انتصرت. فما قد انتصرت*ولا نظن ان القول الذي قلتهُ يحوز معنىً مستورًا*لكن اعتقدهُ قولاً صادقًا . ان قلت كيف ذلك : وباي حالٍ : اجبتك. لانك اذا لم تنتقم من غمَّكَ . فقد جعلت الله عدوًا لهُ* ومتى ما انتصرت منهُ . فليس يكون ذلك ايضًا*لان الرب يقول ،، لي الانتصار . وانا اكافي* " (روميه ص ١٢ ع ١٩) لاننا ان كنا نمتلك غلمانًا . فاذا عرضت بينهم منافرة وخصومة . ولم يفوضوا الينا العقوبة والمقابلة . لكنهم يفوضون ذلك الى انفسهم*فلو استجاروا بنا ربوات دفعات . فليس من شاننا اننا ما ننتصر لهم فقط . لكننا نغتاظ عليهم*ونقول لاحدهم . ياهاربًا ومضروبًا على خطائه. قد كان واجبًا ان تردَّ كلما عرض لك الينا*فاذ قد سبقت فانتقمت لذاتك. فلا تتعنت بشيءٍ*فالهنا الذي قد وصانا ان نفوض اليهِ هذه العوارض كلها . يليق بهِ اكثر ان يقول هذا القول . لان كيف ليس يكون شنعًا ان نطالب غلماننا بفلسفة وطاعة هذا مقدارها . ولا نفوض الى سيدنا . ما نريد غلماننا ان يفوضوهُ الينا*فهذه الاقوال اقولها بسبب عزمنا النشيط الى ان يعاقب بعضنا

بعضاً*لان من كان متفلسفاً بالحقيقة. ليس يحتاج ان يعمل هذا العمل*لكنهُ يسامح بالخطايا المجترمة اليهِ ويعفي عنها*وان كان ليس ياخذ تلك الجايزة العظيمة. فهو يحصل الصفح عوض هذه الجرايم التي صفح عنها*لان قُل لي. ان كنت تلوم من قد اخطى فلمَ تخطي انت وتتهور في الزلات باعيانها: أشتمك ذاك: فلا تشتمهُ عوض شتمه اياك* والاَّ فقد شتمت ذاتك*أضربك: فلا تضربهُ عوض ما ضربك*والاَّ فليس لك بجهة من الجهات فضلاً تزيد بهِ عليه* أغمَّكَ: فلا تغمهُ عوض ما احزنك* والاَّ فليس لك ربحاً. لكنك قد صرت عديلاً لهُ*فعلى هذا النحو تقتدر ان تخجلهُ. ان احتملتهُ بوداعة وتحوّب* وعلى هذه الجهة تستميلهُ الى الاستحياء منك* وعلى هذه الجهة تقطع اغتياظه* فليس يشفي احدنا شراً بشرٍ. لكنهُ بالعمل الصالح يشفي العمل الردي*فهذه المحامد عند الاوثانيين اقوام يتفلسفون بها*فسبيلنا ان نستخزي ان يكن عند الاوثانيين الفاقدين الفهم. فلسفة موجودة هذا مقدارها. ونحن نظهر ادنى منهم واقل احتمالاً*فكثيرون منهم قد ظُلموا. فاحتملوا* وكثيرون منهم قرّفوا ووُشي بهم. وما انتقموا ممن وشّى بهم* وأغتيل عليهم. فاحسنوا الى من اغتال عليهم* فخوف ليس يسيراً الاَّ يوجد عندنا اناس اعلا محلاً منهم في عيشتهم. فيصيروا العقوبة لنا اشدّ لذعاً* لان اذا كان الذين قد سلموا الروح القدس. وهم ينتظرون ملك السما. ويتفلسفون في وصف النعم السموية. ولا يرهبون جهنم. الذين قد اومروا ان يصيروا مليكة. الذين يتمتعون بالاسرار. لا يصلون الى الفضيلة بعينها. التي عند اوليك. اي رجاء نمتلكهُ: لاننا ان كنا قد يجب علينا ان تتجاوز اليهود. لانهُ قد قال ,, ان لم يفضل عدلكم اكثر من عدل الكتبة والفريسيين. فما تدخلون الى مُلك السما*" (متى ص ٥ ع ٢٠) فاولى بنا واليق ان نتجاوز الاوثانيين. ونزيد فضلنا عليهم* فان كان يجب علينا ان نفضل على الفريسيين. فالبق بنا واوجب ان نفضل على نقص المومنين* وان كنا لا نفوق على سيرة اوليك وتجاوزها. تيغلق دوننا ابواب الملكوت*فاذا ظهرنا اشرّ من الاوثانيين*فكيف يتفق لنا امتلاكها: ,, فلنقصينَّ عنا كل مرارةٍ وغيظٍ وغضبٍ*" (فيليبوسيوس ص ٢ ع ١) لان ينبغي لي انا ان اقول لكم اقوالاً هي هي بعينها* ويليق بكم انتم ان تستوثقوا منها*وذلك ان الاطباء طالما استعملوا دواء واحداً بعينهِ. ونحن ما نكف من الهتاف باقوالٍ هي هي باعيانها. ولا عن اذكاركم بها. معلمين اياكم ومتضرعين اليكم*لان رهط اشغال الدنيا جزيل مولد فينا نسياناً.

فنحتاج الى تعليم متصل متواتر. حتى نفيد ايضاحه باعمالنا . ولا نجتمع ههنا باطلاً . لكي يتفق لنا امتلاك النعم الصالحة المستانفة . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه. الذي به ومعه لابيهِ مع الروح القدس المجد . الان ودايمًا. والى اباد الدهور كلها امين *



المقالة الثانية والخمسون

في قولهِ (٤٥) ثم جاء الغلمان الى روساء الكهنة والفريسيين . فقال لهم اوليك . لِمَ ما احضرتموهُ :

فاجابهم الغلمان ما تكلم انسان في وقت من الاوقات . مثل هذا الانسان *

ليس شيءٌ ابين من الحق وضوحاً . ولا اوفر منهُ بساطةً . اذا لم نعمل نحن المنكر * كما اننا اذا عملنا المنكر . ليس يكون فعل اصعب من فعلنا * لان هاهم الفريسيين والكتبة الظانين على قياسهم انهم احكم من غيرهم . قد حضروا عند المسيح دايماً . وابصروا عجايبه . وقرأوا الكتب . وما افادهم ذلك نفعاً لكنهم . انضروا بهِ * وغلمانهم فما انساغ لهم ان يقولوا قولاً من هذه الاقوال . اصطيدوا حين اصطادتهم مخاطبة واحدة من المسيح سمعوها مع الجمع * وكانوا قد ذهبوا اليهِ . حتى يقبضوا عليهِ . فعادوا من عنده مربوطين باستعجابه * فليس يتجه لنا ان نمدح فهمهم فقط . لانهم ما احتاجوا الى ايات . لكن تعليمه وحده اقتنصهم * لانهم ما قالوا ما اجترح في وقتٍ من الاوقات انسان عجايب مثل هذا . لكنهم قالوا ما تكلم في وقتٍ من الاوقات انسان هذا الكلام * فليس ينبغي اذًا ان نستعجب فهمهم فقط . لكن سبيلنا مع ذلك ان نستعجب مجاهرتهم * لانهم قالوا هذه الاقوال للذين ارسلوهم للفرسيين المحاربين . الذين قد عملوا كل ما امكنهم من اجلهِ * لانهُ قال .. وجاء الغلمان فقال لهم الفريسيون . لِمَ ما احضرتموهُ : " ولعمري ان مجيئهم كان اعظم من مقامهم عنده بكثير . لانهم كانوا حينيذٍ قد تخلصوا من صرامتهم * الا انهم الان صاروا مشيدين بحكمة المسيح . واوضحوا مجاهرتهم اعظم ايضاحاً . وما قالوا ما استطعنا ان نحضرهُ بسبب الجمع * لانهم قد اصاخوا اليه كاصاختهم الي نبي * لكنهم قالو ما تكلم انسان في وقتٍ من الزمان هذا الكلام * علي انهم قد امكنهم ان يذكروا ذلك الاحتجاج . لكنهم اظهروا عزمهم القويم * لان قولهم هذا . ما كان قول مَن قد استعجب سيدنا فقط . لكنه كان قول ثالبين هولاء الفريسيين * لانهم ارسلوهم ليقبضوا على مَن كان يجب

عليهم ان يستمعوا منهُ ويطيعوهُ · على انهم ما سمعوا منهُ مفاوضة طويلة. لكن يسيرة * لان سريرتنا ان كانت خالية من المحاباة . فما نحتاج الى اقوال طويلة. لان الحق هذه السجية سجيته* فان سالت فما الذي قالهُ الفريسيون · وقدكان واجبًا عليهم ان يتخشعوا. فعملوا خلاف ذلك : اجبتك انهم عابوا فعلهم وشكوهم. اذ قالوا (٤٧) ,, لعلكم انتم قد خُدعتم : "فها هم يدكلزون لهم ايضاً. وما يخاطبونهم بابلغ المجاهرة لخيفتهم الأَّ ينفصلوا عنهم انفصالاً كاملاً *لكنهم يظهرون غضبهم · ويخاطبونهم باشفاق عليهم *لان قدكان واجبًا ان يسالوهم. فما الذي تكلم بهِ : وان يستعجبوا ما يقولهُ. فما عملوا هذا العمل. لانهم عرفوا ان كلامهُ كان قد اقتنصهم . اذ قايسوا هذه المقايسة من دلالةٍ خالية من الفهم جدًا* ولعل احدهم قد قال (٤٨) فلمَ ما آمن بهِ احدٌ من روسائنا : " فاجيبه . قُل لي او هذا تشكو من المسيح . وما تشتكي المسلوبين تصديقه : (٤٩) ,, لكن هذا الجمع زعموا امنوا بهِ. الذين ما يعرفون الشريعة وهم ملعونون* " لعمري ان هذا ثلب لكم عظيم* ان الجمع امنوا بهِ. وانتم انكرتموه * فاوليك قد فعلوا افعال الذين يعرفون الشريعة. فكيف يكونون ملعونين : ولعمري انكم انتم ملعونون . الذين ما حفظتم الشريعة. ليس اوليك الذين قد اطاعوا الشريعة* وقدكان واجبًا الاَّ يثلب المنكرون مَن قد انكروهُ* لان هذه ليست سجية منقومة* مع انكم انتم ما صدقتم الله · على ماذكر بولس ,, ماذا يكون ان كان اناس منهم قد زال تصديقهم : العل زوال تصديقهم يبطل صدق الله : لا كان ذلك* " (روميه ص٣ ع٣) وذلك ان الانبياء قد اشتكواهم دايمًا · اذ قالوا ,, اسمعوا ياروسا سدوم : وروساوك يعصونني * وقالوا ليس لكم ان تعرفوا حكمي ." (اشعياص ١ ع ١٠ ميخاص ٣ع ١) وفي كل مكان قد اوضعوا عليهم اشدَّ ايضاعًا* فما قولك : هل يشكو الله شاكي : لاجل هذا فاقول . لاكان ذلك* لان هذا الزلل منسوب الي اوليك الذين اخاطبهم . اي انسان آخر اجترح آية : حتى لايعرفوا الشريعة . ولا يطيعوها : فاذا قالوا العل واحدًا من الروسا آمن بهِ : وان الذين لن يعرفوا الشريعة امنوا بهِ. لذعهم نيقوديمس لذعاً لايقًا بهم · اذ قال هذا القول (٥١) ,, العل شريعتنا تحكم على انسان · ان لم يسمع منهُ اولاً* " لانهم اظهرهم لايعرفون الشريعة ولا يعملون فرايضها* لان الشريعة ان كانت ما تامر بقتل انسان ما يكون قضاتها قد سمعوا كلامهُ اولاً . وهولاء قد نهضوا الي القتل قبل استماع الكلام فهم مخالفوا الشريعة* وما قالوا ما آمن بهِ احد من الروسا . لهذا المعنى وصفهُ البشير انهُ كان واحدًا منهم موضحًا لنا ان روساء

منهم قد امنوا به* الأ انهم بعد ما كانوا قد اظهروا مجاهرتهم به . ولكنهم قد اختصوا بالمسيح* وانظر كيف يورد التوبيخ لهم باشفاقٍ* لانهُ ما قال انكم ترتادون قتله. وقد اوجبتم الحكم على بسيط ذات اجابه عليه كانه مضلّ. لكنهُ ما قال هذا القول. بل قال الطف من هذا القول. قاطعاً لنهضتهم المغتاص وصفها. الخالية من احتراس. القاتلة* ولهذا السبب عطف كلامهُ الى الشريعة اذ قال. ان لم نسمع منهُ بابلغ الاستقصاء. ونعرف ما عملهُ. فمن هذه الجهة لن تحتاج الشريعة الى استماع ساذج. لكنها تحتاج استماعها بليغاً لان هذا هو معنى ويعرف ما عملهُ ومايريد* ولمَ يُعلِّم وبحضرة مَن يتكلم. وهل ذلك لنقض مذهبهم. وحالهُ حال عدوٍ لهُ* فلما تحيروا لذلك قالوا. ولا واحد من رؤسائنا آمن به* وما اتصلوا بهِ لا بحرصٍ شديد. ولا بتمهلٍ بطيءٍ* ولقايلٍ ان يقول. اي نظام يحوى هذا. اذ قال اذا كانت شريعتنا ما توجب الحكم على احد الناس. ان يقولوا لهُ (٥٢).. هل انت من الجليل: " لان قد كان واجباً ان يوضحوا انهم ما ارسلوا يستدعونهُ خلواً من راي ميزوهُ صايباً. او يبينوا انهُ ليس يجب ان يخول احتجاجاً* فجاوبوهُ مجاوبة اشدّ غباوة واوفر غضباً* " اسال وانظر ان من الجليل ليس يُقام نبي* " فما الذي قال: هل قال انه نبي هو: قال ليس يجب ان يقتل قتلاً خالياً من حكم يوجبه* فتجيبهُ انما استثنوا هم بهذه الاقوال على جهة السبّ لهُ. انهُ ما يعرف قولاً مما في الكتاب. كانهم قالوا لهُ اذهب تعلّم. لان هذا معنى اسال واعرف* الأ ان المسيح لما اعادوا في اعلى كلامهم واسفله الجليل والنبي * اراح جميع سامعيهم من هذا التوهم الغريب. واوضح انهُ ليس هو واحداً من الانبياء. لكنهُ سيد العالم* فقال (الاصحاح الثامن)(١٢) " انا هو ضو العالم*" ليس ضوءاً الى الجليل. ولا الى فلسطين. ولا الى بلد اليهودية* ولكن اليهود قالوا لهُ (١٣).. انت تشهد لنفسك. فشهادتك ليست هي صادقة* " فترحاً لغباوتهم* قد ارسلهم في اعلا كلامه واسفله الى الكتب. وهم يقولون انت تشهد لنفسك* وما الذي تشهد بهِ. قال " انا ضو العالم* " فهل ما قالهُ عظيم. مع انه بالحقيقة عظيم: الأ انهُ ما اغاظهم كثيراً* لانهُ ماساوى الان ذاته بابيهِ. ولا ذكر انهُ ابنهُ. ولا قال انهُ الهٌ. لكنهُ قال الان انهُ ضوءٌ. فارادوا ان يعكسوا قولهُ هذا. على انهُ قولهُ هذا اعظم كثيراً من قولهِ " مَن يتبعني ليس يسلك في الظلام* " وانما يقول ضوءاً وظلاماً بمعنى معقول* وهو ان مَن يتبعني ليس يثبت في ضلالة * وههنا يستجذب نيقوديمس ويقتادهُ اليهِ. من طريق انهُ مجاهر مجاهرة

شديدة. ويمدح الغلمان الذين أرسلوا اليهِ. اذ جاهروا هذه المجاهرة* لان صياحهُ انما هو صياح مريد ان يدع هذه المجاهرة· حتى يسمع اوليك. ويعتمدهم مع ذلك اعتمادًا خفيًا. اذ شكوا عبيدهم في الخفية في ظلامهم وفي خدعهم* الاَّ انهم لم يقهروا ضوءهُ* ويذكر نيقوديمس بتلك الالفاظ التي ذكرها لهُ فيما سلف. وهي .. ان كل عامل اعمالاً ردية من شانه ان يمقت النفس. وليس يجيء الي النور. لكيلا تستبين اعمالهُ*" (يوحنا ص ٣ ع ٢٠) لانهم لما قالوا ان ولا واحد من روسائنا آمن بهِ. لهذا السبب قال ان مَن يعمل اعمالاً ردية ليس يجيء الي الضوء· موضحًا ان ليس من ضعف النور ما يحبون الله· لكن اوليك من عزمهم المتوسي ليس يجيون اليهِ* (١٤) " فاجابوهُ وقالوا لهُ. انت تشهد لنفسك* فقال هو· انا وان كنت اشهد لنفسي. فشهادتي صادقة هي* لانني اعرف من اين جيت. والى اين انطلق· وانتم فما قد عرفتم من اين جئت* " فهذا المعنى قد قدمت ذكرهُ· ان هولاء قدموا هذا القول. كما اصدروا ما قالوهُ سالفًا. الاَّ ان المسيح عكس قولهم هذا. وبيَّنَ انهُ قد قال تلك الاقوال كانها طعن عليهم وعلى توهمهم. اذ توهموهُ انسانًا ساذجًا. فقال " وان اشهد انا لنفسي· فشهادتي صادقة هي* لانني اعرف من اين جيت* " فان سالت ما معنى قولهِ هذا: اجبتك· انهُ قال انني من الله· وانا اله· وابن الله* والاله فهو شاهد لذاتهِ· موهل لتصديقه. وانتم فما قد عرفتموهُ. فانتم مريدون (زعم) العزم الشرير. واذ قد عرفتموني تتعللون. لانكم ما تعرفوني* وتتكلمون كل ما تقولونهُ من تمييز انساني· مريدين ان لا تفهموا شيا اكثر من الشي الظاهر* (١٥) .. انتم قد حكمتم على جهة اللحم* " كما انكم تعيشون معاشًا رديًا على حدو عيشة اللحم* وعلى هذا المعنى معنى قولهِ " تحكمون على جهة اللحم* " اي تحكمون حكمًا رديًا ظالمًا " وانا فلست ادين احدًا (١٦) وان احكم فحكمي عادلٌ هو* " فالذي يقولهُ معناهُ هذا هو. قد حكمتم حكمًا ظالمًا* فان قلت. فان كنا نحكم حكمًا جايرًا. فلمَ لا تشكونا: لمَ لا تعذبنا: ولمَ لا توجب الحكم علينا: اجبتكم. لانني ما جيت لهذا الغرض* لان هذا هو معنى " لست احكم ولا على واحدٍ منكم. وان احكم انا فحكمي عادلٌ وهو صادقٌ* " والاَّ فلو شيت ان احكم. فانتم تكونون من المحكوم عليهم* وهذه الاقوال اقولها ليس حاكمًا عليكم. وليس لهذا الغرض قلتُ لست اقولها حاكمًا عليكم. كانني لست واثقًا بقضائي. لانني لو حكمت عليكم. لقتلتكم* لانني لو حكمت. لحكمت عليكم حكمًا عادلاً* لكن الان ليس هو وقت قضاء* وقد وصف

المعنى في القضاء المستانف وصفاً غامضاً بقوله ،، لست انا وحدي . لكنني انا وابي الذي ارسلني * "
فقد ذكر ههنا ذكرًا خفيًا . انهُ ليس هو وحدهُ يمضي القضاء عليهم . لكن ابوهُ ايضاً معهُ يوجب الحكم
عليهم * ثم ستر هذا القول . وساق الكلام الى شهادته (١٧) ،، وقد كُتب في شريعتكم . ان شهادة
انسانين صادقة هي * " فما يقولهُ ههنا اصحاب بدع هواهم في ديننا : ان فهمنا ما قيل على هذه الجهة
فهماً على بسيط ذاته . فما الذي يمتلك اكثر من الناس : لان هذا المعنى حدَّ هذا الحد على الناس .
اذ ليس يوجد واحد منهم على انفراده موهلاً لتصديقهِ * فان حد هذا الحد على اله . فكيف يحوى
هذا الحد احتجاجاً : فكيف قيل اذاً شهادة اثنين : هل اذ هما اثنان : او اذ هما انسانان : لهذا
السبب قيل اثنان : فان كان لانهما اثنان . فلمَ ما الجاء الى يوحنا : ولمَ ما قال انا اشهد لنفسي .
ويوحنا يشهد لي : ولمَ ما الجاء الى ملاك : ولمَ ما الجاء الى الانبيا : لانهُ قد كان وجد شهادات اخرى جزيلاً
عددها * الاَّ انهُ ما ان يبيِّن لهذا وحدهُ . ان شهادة اثنين صادقة هي . لكنهُ يشاء ان يبيِّن انهما من
جوهر واحد بعينهِ * (١٩) ،، فقالوا لهُ مَن هو ابوك : فقال ما قد عرفتموني . ولا قد عرفتم ابي * ،،
لانهم لما عرفوا وقالوا كلهم ما عرفوا . وقالوا اقوال مختبرين اياهُ . فما اهَّلهم لجواب * ولهذا الغرض
يقول فيما بعد كل ما يقول افصح قولاً . مستمدًا الشهادة بمجاهرة كثيرة للاقوال التابعة . من اياتهِ . ومن
تعليمهِ . عند وجود صلبه قريباً . لانهُ قال ،، قد عرفت من اين جئت . ،، فهذا القول ما لذعهم كثيرًا .
والقول الذي استثنى بهِ ،، والموضع الذي اذهب انا اليهِ . ما يمكنكم ان تجيئوا اليه . " اراعهم كثيرًا
من طريق انهُ ما استانف ان يبقى في الموت * فان قلت . فلمَ ما قال قد انني الهٌ . لكنهُ قال قد
عرفت من اين جئت : اجبتك . انهُ يخلط دايماً الفاظه الذليلة باقوالهِ العالية . ويحجب هذه بتلك .
لانهُ اذ قال . انني انا اشهد لنفسي . وبيَّن ذلك . افضى الى قول اذلّ منهُ * كانهُ قال . قد عرفت
مَن ارسلني . والى مَن انطلق * لانهم على هذه الجهة ما حازوا قولاً يقولونه جواباً . لما سمعوا ان الاب
ارسله . واليهِ ينطلق . لانهم ما قالوا انهُ قد قال كذباً . انهُ من هنالك جاء . والى هنالك ينطلق . الى عند
ابيهِ الصادق * فقال انتم ما قد عرفتم الله . ولهذا السبب حكمتم على نحو اللحم * لان الذين قد سمعوا
دلايل وتوبيخات جزيلاً تقديرها . يقولون ايضاً ليس هو صادقاً * قد احتسبتم موسى موهلاً للتصديق
فيما قالهُ في وصف آخرين . وفيما قالهُ في وصف ذاتهِ . وما احتسبتم المسيح موهلاً للتصديق ايضاً *

وهذا هو القضاء على نحو حكم اللحم * فانا لست احكم ولا على واحدٍ منكم * ولعمري انهُ قد قال ان ابي ليس يحكم ولا على واحدٍ . (يوحنا ص ٥ ع ٢٢) فكيف قد قال ههنا . وان حكمت فحكمي عادل هو . انني لست وحدي : فاقول انهُ يتكلم ايضاً نحو ظن اوليك * ومعنى ذلك . هو ان قضاي هو قضاء ابي * لان ابي اذا حكم . فليس يحكم على نحوٍ آخر . الاَّ على نحو ما احكم انا * واذا حكمت انا . فلست احكم على نحوٍ آخر . الاَّ على نحو ما يحكم ابي * فان سالت . فلمَ ذكر انهُ ليس وحدهُ : اجبتك . لانهم ما ظنوا ان الابن يوجد موهلاً للتصديق . لولا انهُ استصحب شهادة ابيهِ * ولمعنىً آخر . انهُ ما ثبَّت ما قيل وحدهُ . لان الناس اذا شهد منهم اثنان على فعلٍ غريب منهما . توجد شهادتهما صادقة * لان هذا هو معناهُ . اذا شهد اثنان . فان استانف واحد ان يشهد لنفسهِ . فليس هو ايضاً اثنين * أَرائت انهُ قال هذا القول . ليس لاجل غرضٍ آخر . الاَّ لكي يوضح ذاتهُ جوهرهُ جوهر ابيهِ : ويبيّن بذاتهِ انهُ ليس محتاجاً الى شهادةٍ من جهةٍ اخرى . ويوضح انهُ ليس يحوى شياً ادنى من ابيهِ : وابصر تامرهُ اذ قال . انا هو الشاهد لنفسي . ويشهد لي ابي الذي ارسلني * فلو كان من جوهرٍ ادنى . لما كان وضع هذا القول * ثم لكيلا تظن الان انهُ يستصحب لفظ الاثنين بسبب العدد . انظر الى سلطانهِ ليس يحوى صنفاً متخالفاً . فقد يشهد انسان اذا كان موهلاً للتصديق في ذاتهِ . ليس اذا احتاج الى شهادة غيرهِ لهُ . ويكون لهُ في شهادتهِ في شيءٍ غريب منهُ * واذا احتاج في شيءٍ يخصهُ الى شهادة غيرهِ . ليس هو موءهلاً للتصديق * وههنا في كل ما قيل هو بخلاف ذلك * لانهُ شاهد في معنى يناسبهُ . ويشهد لهُ غيرهُ . وقد ذكر عن ذاتهِ انهُ موءهل للتصديق . موضحاً من ساير الجهات تامرهُ وسلطانهُ * لان لاي غرض لما قال .. لست وحدي . لكنني انا والاب مرسلي . وشهادة انسانين صادقة هي . ما سكت : لكنهُ استثنى بقوله .. انا هو الشاهد لنفسي : فمن البيّن انهُ قال هذا موضحاً تامرهُ وسلطانهُ * وفي الاول وضع ذاتهُ اذ قال .. انا هو الذي اشهد لنفسي * " فاراهم ههنا معادلته اباهُ * وانهم ما يستفيدون نفعاً من قولهم انهم يعرفون الله اباهُ ولم يعرفوهُ هو * وقال ان ثبوتهم على ان لا يريدوا ان يعرفوهُ هو . يوجد علة ذلك . فيقول ان ليس ممكناً ان يعرفوهُ خلواً من ابيهِ * لكي ولو على هذه الطريقة يستجذبهم الى معرفتهِ * لانهم اذا اهملوهُ والتمسوا دايماً ان يعرفوا اباهُ . قال ما يمكنكم ان تعرفوا ابي خلواً مني * فمن هذه الجهة الذين يجدفون على الابن . فليس يجدفون

عليهِ وحدهُ. لكنهم يجدفون مع ذلك على والدهِ ايضاً



العظة الثانية والخمسون

في ان المسيحي يحتاج ان يمتلك عيشة مكينة في الفضيلة

فينبغي لنا نحن ان نهرب من هذه العزايم. ونمجد الابن*على انهُ لولا انهُ كان من طبيعة ابيهِ بعينها. لما كان قال هذا القول*لانهُ لوكان علّم فقط. وكانت طبيعته طبيعة اخرى. لكان ممكناً ان يجهل انهُ يعرف اباهُ*وما كان هو ايضاً عارفاً على كل حال انهُ يعرف اباهُ*لان من ليس عرف انساناً. فقد عرف ملاكاً*فان قلت نعم. لان مَن قد عرف الخليقة. فقد عرف الهها*فاقول لك. انهُ ولا بجهةٍ من الجهات قد عرفهُ* لان يوجد كثيرون يعرفون الخليقة. والبق ما يُقال ان الناس كلهم قد عرفوا الخليقة*والبق ما يقال انهم يبصرونها. وما يعرفون الهها. فلنمجدن اذاً ابن الله. ليس بهذا التمجيد الكاين بالكلام فقط. بل بالتمجيد بالكاين باعمالنا*لان التمجيد الصاير بالكلام ليس هو شياً. اذا كان خلوًا من ذاك الكاين بالاعمال*فقد قال الرسول .. ها انت تسمى يهودياً. وتستريح على الشريعة. وتفاخر بالله. فيامَن تُعلِّم غيرك. آما تُعلِّم نفسك: ويامفاخر بالشريعة. اتهين الله بمخالفتك شريعته: " فانظر ان لانكون نحن مفاخرين بتقوّم امانتنا. فنهين الله باننا ما نرى عيشتنا ملايمة لامانتنا. ونجعلهُ يُفترى عليهِ. لان المسيحي يُراد منهُ ان يوجد معلماً للمسكونة. وخميرتها. وضوءها. وملحها*فان سالت وما هو الضوء ومعناهُ ههنا: اجبتك هو عيشة لامعة لن تحوى صنفاً مُظلماً*والضوء ليس نافعاً لذاتهِ. ولا الملح لينفع ذاتهُ. ولا الخمير. لكن هذه الاصناف تستبين نافعةً لغيرها*فعلى هذه الجهة لسنا نطالب بان ننفع ذواتنا فقط. لكن نطالب بان نوصل المنفعة الى آخرين غيرنا*لان الملح اذ لم يملح فليس هو ملحاً. ويستبين صنفاً آخر*لاننا اذا احكمنا نحن الصلاح. سيكون على كل حال اناس آخرون يحكمونه ايضاً*وما دمنا نحن ما نحكمهُ. فما تقدر ان ننفع آخرين*فلا يكوننَّ عندنا فعل مايق ولا رخو*لان اشياء الدنيا هذه الخاصة خاصتها. وهموم الدنيا هذه السحية سحيتها*لهذا السبب دُعيت العذارى مايقات* لانهنَّ اشتغلنَ في اشغال الدنيا المايقة. وجمعنَ ههنا حيث وجب ان لايخزنَّ شياً*فخيفة عظيمة ان يصيبنا مصابهنَّ بعينهِ*وخوف

جزيل ان ننطلق نحن لابسين ثياباً وسخة الى المكان الذي يشتمل كل الذين فيه ثياباً نيرة ظاهراً حسنها*لان ليس يكون شيء اوسخ من الخطية . ولا انجس منها * ولهذا السبب اذ ترجم النبي طبيعتها . هتف .. ان جراحاتي قد نتنت وتعفنت * " وان شئت ان تعرف نتانة الخطية . فتفطن فيها بعد كونها . اذا تخلصت من شهوتها * اذا لم تلذعك ايضاً نارها . فتبصر حينيذٍ ما هي الخطية* تفطن في الغضب . اذا كنت في هدوٍ منهُ*تفطن في استكثار القنية . اذا صرت خارج سقمهِ . لان ليس فعل اقبح ولا ادنس من الخطف والاستغنام *هذه الاقوال ينبغي ان نذكرها لكم ذكراً متصلاً . ليس مريدين ان نوذيكم . لكن موثرين ان تستفيدوا فايدة عظيمة عجيبة*لان مَن لم يحكم الصلاح من استماعهِ دفعةً واحدة . لعلهُ يحكمهُ من استماعهِ مرةً ثانية* ومَن تغافل دفعةً ثانية . يتلافى توانيه اذا استمع دفعةً ثالثة*فليكن لنا كلنا ان نتخلص من الافعال الخبيثة كلها . وان نتملك طيب المسيح*لان لهُ المجد مع ابيهِ والروح القدس . الان ودايماً . والى اباد الدهور امين

المقالة الثالثة والخمسون

في قولهِ (٢٠) هذه الالفاظ قالها يسوع في خزانة الهيكل*اذ علم في الهيكل . وما ضبطهُ ضابط * لان وقتهُ ما كان بعد قد حان

ترحاً لغباوة اليهود . قد طلبوهُ قبل فصحهم . ثم تسلموهُ فيما بينهم* ودفعات كثيرة قد ارتادوا ان يقبضوا عليهِ بذواتهم وباخرين غيرهم . وما امكنهم ذلك . ولا ذهلوا على هذه الجهة من قدرتهِ*لكنهم جمحوا الى رذيلتهم . وما انتزحوا عنها * والدليل على انهم دايماً قد ارتادوا ان يقبضوا عليهِ . فقد اوضحهُ البشير . وقال .. هذه الالفاظ قالها يسوع في خزانة الهيكل . لما علَّم في الهيكل . وما ضبطهُ ضابطٌ * " فخاطبهم في الهيكل . وفي ترتيب معلمٍ * وقد كان في ذلك كفاية ان ينهضهم اكثر من كل شيء*وخاطبهم في هذه الاقوال التي بها مضَّهم . واشتكوهُ انهُ يصيّر ذاتهُ عديلاً لابيهِ*لان قولهُ شهادة انسانين صادقة هي . يبيّن هذا المعنى*الا انهُ مع ذلك قد خاطبهم بهذه الالفاظ في الهيكل . (زعم) وفي ترتيب معلم . وما ضبطهُ ضابط*لان وقتهُ ما كان بعد قد حضر*ومعنى ذلك هو انهُ ما كان بعد قد حان وقت ملايم يشاء ان يُصلب فيهِ*فمن هذه الجهة كان صلبهُ حينيذٍ ليس فعلاً

لقوة اوليك. لكن كان فعلاً لسياسته*لانهم هم قد ارادوا ذلك قديماً. الاّ انهم ما قدروا* ولا اقتدروا حينيذٍ على ذلك. لو لم يطلق هو ذلك* (٢١) .. فقال لهم ايضاً يسوع انا اذهب وستطلبونني* " فان قلت. وما غرضه في ان يقول هذه الاقوال متصلاً : اجبتك. مزعزاً بقولهِ نفوسهم ومريعها* لان ابصر مقدار الخوف الذي حصله هذا القول فيهم * لانهم ارادوا ان يقتلوهُ ليستريحوا منهُ. فالتمسوا ان يعرفوا الى اين يذهب*فعلى هذه الجهة تخيلوا من قولهِ هذا اوهاماً عظيمة *وشاء ان يعرّفهم معنىً آخر. ان صلبه ليس هو من اقتسار اوليك*لان من فوق تقدم رسمه. وبهذه الاقوال تقدم فمثل انبعاثهُ* (٢٢) .. فقالوا هل يقتل نفسه : " فقال هو مزيلاً توهمهم. وموضحاً ان فعلهم خطية هو* (٢٣) ..انتم من الذين اسفل انتم .. فالذي يقولهُ هذا هو معناهُ. ليس مستعجباً ان تخطر هذه الاوهام وامثالها لاناس لحميين. ليسوا مفتكرين افتكاراً روحانياً. ولكنني انا لست اعمل عملاً هذه صفته* .. لانني من فوق انا * انتم من هذا العالم انتم * " فقد ذكر ههنا ايضاً الافكار والاوهام العالمية اللحمية* فمن هذه الجهة استبان ان قولهُ لست انا من هذا العالم. ليس هو انهُ لم ياخذ لحماً. لكنهُ دالٌّ على انهُ منتزح من خبث اوليك*لانهُ قد قال ان تلاميذي ليسوا من العالم. الاّ ان اوليك مع هذا قد امتلكوا لحماً*مثلما اذ قال بولس لستم في لحمٍ* (روميه ص ٨ ع ٩) ما قال انهم خالون من اجسام . فكذلك اذ قال ربنا ان تلاميذه ليسوا من العالم * ليس يقول قولاً آخر. الاّ انهُ يشهد لهم بالفلسفة* (٢٤) .. قد قلت لكم. ان لم تصدقوا انني انا هو. ستموتون بخطاياكم*" لانهُ ان كان لهذا الغرض جاء ليحمل خطية العالم. وليس يمكن انتزاعها على نحوٍ آخر. الاّ بجميم المعمودية* (تامل قوله وليس يمكن انتزاعها الخ) فمن لازم الضرورة ان ينصرف من هذه الدنيا مَن لم يومن بهِ مشتملاً الانسان القديم*لان مَن ليس يشاء ان يميت ذاتهُ بالايمان بربنا ويدفنها. فانهُ عند موتهِ بذاتهِ وذهوبهِ الى هناكِ. سيقاسي عقوبات خطاياهُ الاولى. ولهذا المعنى قال .. ومَن لم يومن فقد اوجب الحكم عليهِ فيما سلف*" (يوحنا ص ٣ ع ١٨) اذ ينصرف من ههنا ليس مطالباً بانهُ لم يوءمن فقط. لكنهُ سينطلق حاوياً خطاياهُ الاولى* (٢٥) ..فقالوا لهُ انتَ مَن انتَ : " فتبّاً لغباوتهم ! بعد زمان هذا مقدارهُ. وبعد آياتهِ وتعليمهِ. استخبروهُ انت مَن انت. ماذا قال لهم المسيح : .. قال لهم انني اقول لكم ايضاً. ما قلتهُ في ابتداء خطابي* " فالذي يقولهُ معناهُ هذا هو.

انتم قد عدمتم ان تكونوا موءهلين لاستماع الاقوال المقولة مني · ليس لان ما تعرفوا مَن هو انا فقط · لانكم انتم تتكلمون كل ما تقولونهُ مختبرين اياي * وما تصغون الى قولٍ من الاقوال البادية مني · فقد كان يمكنني الان ان اوبخ عزايمكم هذه كلها * لان هذا هو معنى قولهِ ،، انني اقول لكم ايضاً ما قلتهُ في ابتداء خطابي * " (٢٦) ،، قد يتجه لي اقوال كثيرة اقولها · واحكم عليكم بها · ولا اوبخكم فقط · بل اعاقبكم * الا ان مرسلي الذي هو ابي ما يريد هذه الارادة * ،، لاني ما جيت احكم على العالم · لكنني جيت اخلص العالم * لان الله ما ارسل ابنهُ زعم ليحكمَ على العالم · لكنهُ ارسلهُ ليخلص العالم * " (يوحنا ص ٣ ع ١٧) فان كان لهذا الغرض ارسلني · وهو غرض صالح صادق · فعلى جهة الواجب لست احكم الان ولا على احد الناس * لكنني اخاطبكم بهذه الاقوال التي تودي الى الخلاص * لا التي توصل الى توبيخكم * ويقول هذه الاقوال · ليلا يظنوا انهُ اذا سمع هذه الاقوال الجزيلى تقديرها · فمن ضعفهِ لم يبالغ في توبيخهم وتقريعهم * او يتوهموا انهُ ما قد عرف اوهام سريرتهم ومغاوي هزيهم * (٢٧) ،، وما عرفوا انهُ يذكر اباهُ * " فترحاً لغباوتهم ! هو ما انفك مخاطباً اياهم في ذكر ابيهِ · وما عرفوا ذلك * ثم اذ كان قد اجترح ايات كثيرة وعلّمهم كثيراً وما استجذبهم اليهِ · فهو اذاً يخاطبهم الان في ذكر صليبهِ قائلاً · (٢٨) ،، اذا رفعتم ابن الانسان · ستعرفون حينيذٍ انني انا هو * ولست اتكلم من ذاتي * (٢٩) ،، وان مرسلي هو معي * وما قد تركني ابي وحدي * " فيبيّن انهُ على جهة الواجب قال ،، انني اقول لكم · ما قلتهُ في ابتداء خطابي ايضاً * " فعلى هذه الجهة ما اصغوا الى ما قيل لهم * قال ،، اذا رفعتم ابن الانسان * " الستم انتم توقعتم حينيذٍ اكثر من كل فايدة ان تستريحوا مني · وان تقتلوني : وانا اقول لكم · انكم حينيذٍ تعرفون ابين معرفة اني انا هو · بسبب اياتي · وانبعاثي · وفتح مدينتكم · واشتمال الاسر عليكم * لان هذه العوارض كلها · فيها كفاية ان تبيّن قدرتهُ * وما قال حينيذٍ تعرفون مَن انا · لانهُ قال اذا رايتم انني لم يعرض لي من الموت ضرر · ستعرفون حينيذٍ انني انا هو المسيح ابن الله · الحامل البرايا كلها وسايقها · ولست مضاداً لله * فلهذا المعنى استثنى بقولهِ ،، ومن ذاتي لست اتكلم ولا بلفظٍ واحدٍ * " فتعرفون حينيذٍ الصنفين كليهما · القدرة التي لي · والفتي مع ابي * لان لفظت ومن ذاتي لست اتكلم ولا لفظاً واحداً · تدلّ على خاصة جوهرهِ الفاقد التخالف * ويبيّن انهُ ليس يتكلم لفظاً خارجاً عن هواجس فهم ابيهِ * فزعم اذا خبتم

من دياناتكم . اذ لا يسمح ان تخدموا ابي على رسمكم قبل ذلك . حينئذٍ تعرفون انهُ يعمل بكم هذه الاعمال منتصرًا لي . مغتاظًا على الذين ما سمعوا قولي* كانهُ قال . لو كنت انا معاندًا لله مغتربًا منهُ . لما كان سيّر عليكم سخطًا هذا المبلغ كثرته* وهذا الانتقام قد ذكرهُ اشعيا وقال .. ساعطي الخبثاء بدلاً من دفنهِ* " (اشعيا ص ٥٣ ع ٩) وداود قد قال .. حينئذٍ يكلمهم في سخطهِ* " (مزمور ٥ ع ٢ وقد قال هو .. ها بيتكم يهمل مقفرًا* " (متى ص ٢٣ ع ٣٨) وامثالهُ تدل على هذا المعنى بعينهِ* ما الذي يعمل صاحب ذلك الكرم باولئك الفلاحين : لانهم اشرار ليهلكهم اشرّ هلاكًا* ارايت انهُ انما يقول هذا القول في كل مكان . بسبب انهم ما صدقوهُ بعد : فان قلت فان كان هو يهلكهم . كما انهُ اهلكهم* لانهُ قال .. جيبوا الى ههنا الذين ما ارادوني املك عليهم . واذبحوهم* " (متى ص ٢١ ع ٤٠) فلِمَ ما قال ان الحادث عليهم عملٌ لهُ . لكنهُ قال عمل ابيهِ : اجبتك . انما تكلم بذلك نحو ضعفهم . ومكرمًا مع ذلك والدهُ* ولهذا المعنى ما قال لاتركنَّ بيتكم مقفرًا . لكنهُ قال سيُترك* لانهُ وضع هذا الفعل خاليًا من وجهٍ ينسب اليهِ* وبقولهِ .. كم دفعة اردت ان اجمع اولادكم . وما شيتم* " ثم استثنى بقولهِ .. ان بيتكم سيُترك مقفرًا* " يبيّن انهُ هو يبدع اقفار بيتهم* كأنهُ قال . اذ قد احسن اليكم . وانعم عليكم . وما شيتم ان تعرفوني* اذا عوقبتم ستعرفون مَن انا . وان ابي معي* لانهم لكيلا يظنوا قولهُ .. مرسلي " يوجد نقصًا لهُ . قال .. هو معي* " لان لفظة مرسلي . مناسبة لتدبيرهِ . ولفظة هو معي . مناسبة للاهوتهِ* .. وما تركني وحدي* لانني انا اعمل كل حين الاعمال المرضية لهُ* " فقد حطّ كلامهُ ايضًا الى اذلّ اللفظ* اذ ناصب ذلك القول مناصبة متصلة الذي قالوهُ . انهُ ليس هو ابن الله . وانهُ ليس يحفظ السبت* فنحو هذا القول قال " انني انا اعمل كل حين الاعمال المرضية لهُ* " موضحًا ان حله السبت مرضي لابيهِ . وقد قال هذا القول عند صليبهِ " اتظنون انني لستُ اقدر ان اسال ابي : " على انهُ لما تكلم فقط . وقال " مَن تطلبون : " القاهم طريحين على ظهورهم . فلو قلت ياسيدي . فما رايك في انك ما تقول . اتظنون انني لستُ اقدر ان اجاحكم : اذ قد اريت هذا الاقتدار بالفعل : لاجاب : انما قلت هذا متحدرًا مع ضعفهم . لانهُ قد اجتهد اجتهادًا كثيرًا . حتى يبيّن انهُ ليس يعمل عملاً ضدًا لابيهِ* فعلى هذه الجهة يتكلم ههنا كلامًا اوفر تواضعًا . فكما قال .. ما قد تركني وحدي . " فكذلك

قال .. انني اعمل كل حين الاعمال المرضية لهُ . " (٣٠) .. فاذ تكلم هذه الاقوال . آمن بهِ اناس كثيرون . " لما احدر كلامه الى اللفظ الذليل . حينئذٍ آمن بهِ كثيرون * او تسال ايضاً لمَ يتكلم كلاماً ذليلاً : على ان البشير قد ذكر هذا المعنى ذكراً واضحاً بما اضمرهُ في قولهِ . انهُ .. لما تكلم هذه الاقوال . آمن بهِ كثيرون * " فقارب ان يكون قد قال هاتفاً . ياسامعي لا ترتجف باقوالي هذه . اذا سمعت لفظاً ذليلاً . فان الذين بعد تعليم جزيل تقديرهُ ما ايقنوا بعد انهُ من الاب الازلي هو . سمعوا على جهة الواجب الفاظاً ذليلة . لكي يتيقنوا ويصدقوا * وهذا القول هو اعتذار عن الاقوال التي تستانف ان يقولها بلفظ ذليل . ولعمري انهم آمنوا بهِ . ولكن ليس على ما يجب . لكنهم آمنوا على بسيط ذات الايمان . وعلى ما اتفق . لما استلذوا تلذذاً اقوالهُ . واستراحوا اليها * لان الدليل على انهم ما حازوا ايماناً بهِ تاماً . قد اوضحهُ البشير من اقوالهم فيما بعد . التي بها شتموهُ ايضاً * وبيّن ان هولاء هم اوليك بقولهِ (٣١) .. ان يسوع قال لليهود الذين آمنوا بهِ . ان ثبتم انتم في القول الذي لي . " موضحاً بذلك انهم ما اقتبلوا تعليمهُ بعد . لكنهم انما اصغوا فقط الى ما قالهُ * فلذلك قال لهم قولاً الدع من غيرهِ * لانهُ قال هنالك على بسيط ذات القول .. تطلبونني * " (يوحنا ص٧ ع ٣٤) والان قد زادهم قولاً اعظم مضضاً .. انكم ستموتون في خطاياكم * " (يوحنا ص٨ ع ٢١) وبيّن كيف ذلك .. انكم ما تقدرون ان تجيئوا هنالك مستغيثين بي * هذه الاقوال التي اقولها في العالم * " فبهذه الاقوال اوضح انهُ خارج فيما بعد الى الام * واذا ما عرفوا بعد ذلك انهُ قد ذكر لهم اباهُ فيما سلف . يخاطبهم الان في ذكره ايضاً . وقد وضع البشير علة تذلل الفاظه *

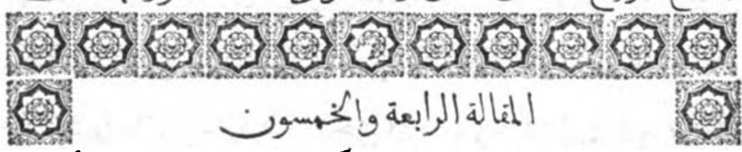
العظة الثالثة والخمسون

في انهُ يجب علينا ان نتفرغ للكنيسة ولقراءة الكتب فعلى هذه الجهة يقتدر الخاطي ان يقبل الى ما هو افضل *

فان شئنا ان نتصفح الكتب على هذا الحال بابلغ استقصاء . ولا نقراها على بسيط ذات قراءتها . فسيمكننا الوصول الى خلاصنا * وان ثابتناها كل حين . فسنعرف تقوّم اراء ديننا . وعيشةً بليغاً

تهذبها* ولوكنت قاسياً جداً عاصياً مسترخياً . ولوكنت لم تربح في الاوقات الاخرى ربحاً . فستستثمر
هذا الوقت وتستفيد منفعةً من المنافع * وان كانت ليست تبلغ في تقديرها الى مثال المنفعة . التي
يستمدها من يمتلك حسًا . لكنك مع ذلك تستفيد نفعاً* ان يكن احدنا عند اجتيازهِ بعطار . وجلوسهِ
عند دكاكين العطارين . يتعطر كارها من الطيب* فاولى بهِ واليق ان يتعطر . اذا مضى الى كنيسة
الله . من عطرية الاقوال الالهية* وكما ان البطالة يتولد منها بطالة . فكذلك يتولد من العمل
النشاط * ولوكنت ممتليًا من اعمالٍ ردية جزيل عددها . ولوكنت نجسًا . فلا تهرب من المقام
ههنا* فان قلت . وما فايدتي : انني اسمع ولستُ اعمل* اقول لك . ان فايدتك ليست يسيرة* اذ
تحتسب ذاتك شقياً . وهذا الخوف ليس خالياً من منفعة . وهذا الارتياع ليس مساوياً وقته .
اذا تحسرت فقط . لانك تسمع وما تعمل . سيفضي في وقتٍ من الاوقات الى ان تعمل على كل
حال * لان من يخاطب الله . ويسمعه مخاطباً اياهُ . ليس يحصل الاً يربح ربحاً * لاننا نتورع ونغسل
ايدينا . اذا شئنا ان نمسك مصحفاً * أرايت كم تورعاً قبل القراءة يشتملنا : فاذا تصفحناهُ بمبالغة . فسوف
نستثمر المنفعة كثيرة* لان لو لم نحصل نفسنا في تورع وتحوُّب . لما كنا غسلنا ايدينا* وان كانت المراة
حاسرة حينيذٍ من قناعها . تتوشح في الحين بوشاحها . موضحة بيان تورعها الباطن * والرجل ان
كان مشتملاً عمامتهُ . يعرّي حينيذٍ هامتهُ* أرايت كيف الشكل الظاهر يكون تدبرًا بالورع بالباطن :
ثم جلست للاستماع . ربما تحسرت وذممت عيشتك الحاضرة* فسبيلنا يا اخوتي واحبتي ان نصغى
الى الكتب * وان لم نصغَ الى كتاب آخر . فلتكن الاناجيل محروصاً عندنا على استماعها . ونحتضنها
بايدينا* فاننا معما نفتح احدها . نجد اسم المسيح ونبصرهُ راتباً في المصحف . ونسمع البشير في الحين
قايلاً "كان مولد المسيح على هذه الجهة . لما خُطِبَت مريم امهُ ليوسف . صودفت حاوية في بطنها
من الروح القدس* " ومَن يسمع يشتهي في الحين البتولية* ويستعجب مولد ربنا . ويتخلص من
الارض ويباينها* وهذه ليست هي صغاراً . اذا رايت البتول موَهلة للروح . والملاك يخاطبها* وهذه
الفوايد تنالها من القراءة في اعلا المصحف* فان لبثت تتبع الماضي فيهِ بالتالي الى آخرهِ . سترفض
في الحين املاك الدنيا كلها . وتفرقهُ على الاحوال التي ههنا باسرها * فان كنت موسرًا . فما تحتسب
يسارك شيئاً . اذ سمعت ان تلك السعيدة كانت مخطوبة لنجار . وفي بيت ذليل . فصارت اماً لسيدك*

وان كنت فقيرًا . فما تستخزي من فقرك . اذا عرفت ان مبدع الدنيا ما استخزى في بيت حقير . ولا تجل * فهذه الافعال اذا تنهمتها . فما تختطف ما ليس لك . ولا تستكثر من القنيات . ولا تستلب ما يوجد لرفيقك * لكيلا تكون عاشقًا للفقر . اكثر من الغنى . وتعرض عن الثروة واليسر * واذا صار هذا العزم عزمك . ستنفي عنك الافعال الردية كلها * واذا رايت ربنا ايضًا طريحًا في مذود . فما تجتهد ان تضع على ابنك زينة ذهبية * ولا تعمل لامراتك سريرًا مصفحًا بفضة . هذه المحامد اذا اجتهدت فيها . فما تخترع صنوفًا من الاستغناء والخطف * ويتجه لك ان تستفيد فوايد اخرى كثيرة . ليس يتجه لنا الان ان نصفها صنفًا صنفًا * ويعرفها الذين قد حصلت لهم خبرة بها * فلذلك اسالكم ان تستقنوا مصاحف . وان تضبطوا مع المصاحف معانيها . وتكتبوها في قرايحكم * لان اليهود اذا ما اصغوا الى المعاني . أومروا ان يعلقوا الكتب في ايديهم . ونحن فما سبيلنا ان نضعها في ايدينا . ولا في منزلنا . لكننا نحتاج ان نرسمها في قلبنا * لاننا على هذه الجهة نطهر عيشتنا الحاضرة . ويتفق لنا امتلاك النعم الصالحة المستانفة . التي فليتفق لنا كلنا امتلاكها . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس . الان ودايمًا والى اباد الدهور كلها امين *



المقالة الرابعة والخمسون

في قوله (٣١) فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به . ان ثبتم انتم في كلامي . فانتم بالحقيقة تلاميذي (٣٢) وتعرفون الحق . ويعتقكم الحق *

ان افعالنا يا احبايي تحتاج الى صبر كثير * والصبر يتكون اذا ارست اراء الدين اصولها في قعر نفوسنا * وكما ان شجرة البلوط اذا نفذت اصولها الى حضون الارض اسفل وتكاثفت اغصانها تكاثفًا بليغًا . ليس يقتدر ان يقتلعها ريح من الارياح او يصدمها * فكذلك نفسنا المسمرة بخوف الله . ليس يقتدر احد الناس ان يقلبها ويحيلها * لان التسمر هو اكثر من ارساء العروق في الارض * وهذا التسمر فقد ابتهل النبي فيه اذ قال .. سمّر لحماي في خوفك * " (مزمور ١١٨ ع ١٢٠) فعلى هذا الحال والمثال * سمّر انت قلبك بخوف الله . كانك تسمّره بمسمار مجن فيه . وضمه * وكما ان هولاء المسمّرين بخوف الله يصعب اقتناصهم . فكذلك اضدادهم يتيسر اصطيادهم . ويسهل انقباضهم *

وهذا العارض قد عرض لليهود حينئذٍ. سمعوا وامنوا . وانقلب رأيهم ايضًا وزاغوا* فاذ شاء المسيح ان يغيص ايمانهم الى القعر. حتى لا يوجد ظاهر الاصول فوق الارض . حفر نفسهم باقوال الذع من غيرها* لان الذين امنوا كان يجب ان يوبخوا فيحتملوا * فان سالت فالذين قد اصطيدوا في الحين . كيف يعمل بهم هذا العمل : اجبتك . وصاهم اولاً ،، ان ثبتم انتم في كلامي . فانتم بالحقيقة تلاميذي . والحق يعتقكم* ،، فقارب ان يكون قد قال لهم . انا معتزم ان ابطكم بطًا عميقًا . لكن لا تتزعزعوا* واولى ما يقال . انهُ قمع في اقواله هذه صلف سريرتهم* فان سالت . قل لي ممَّا ذا يعتقهم : اجبتك . من خطاياهم* واشنع ما قال لهُ اوليك المتعظمون ! (٣٢) ،، نحن نسل ابراهيم . وما تعبدنا في وقتٍ من الاوقات لاحد الناس * ،، فقد انهبط في الحين تمييزهم* وهذا المصاب صابهم من تلهفهم الى حظوظ الدنيا* قال لهم ،، ان ثبتم في كلامي * ،، فكان قولهُ قول موضح ما في قلبهم . عارف انهم قد امنوا . الا انهم ما ثبتوا . موعدًا اوليك الذين يصيرون تلاميذهُ وعدًا عظيمًا* لان اقوامًا من تلاميذهِ اذ انصرفوا عنهُ سالفًا . اعتمدهم اعتمادًا خفيًا* فقال ،، ان ثبتم * ،، اذ كان اوليك قد سمعوا وامنوا . وانصرفوا اذ لم يثبتوا* ،، لان كثيرين من تلاميذهِ ذهبوا الى ورايهم . وما مشوا معهُ ايضًا بمجاهرةٍ* ،، (يوحنا ص ٦ ع ٦٦) وقال ،، وتعرفون الحق ،، الذي انا هو . لانني انا هو الحق* لان الفرايض اليهودية كلها انما كانت رسمًا . وانما تعرفون الحق مني . ويعتقكم من خطاياكم* فكذلك قال لهولاء ،، يعتقكم الحق* ،، وما قال استخلصكم من العبودية . لكنهُ فوَّض اليهم ان يعرفوا هذا المعنى . الا ان اوليك قالوا ،، نسل ابراهيم نحن . وما تعبدنا في وقتٍ من اوقاتنا لاحد الناس * ،، على انهُ كان واجبًا ان يغتاظوا من قولهِ الاول . وهو تعرفون الحق* وان يقولوا فما رايك : الان لسنا نعرف الحق : فهل شريعتنا ومعرفتنا كذب : الا انهم ما همَّهم ولا صنفٍ من هذه الاقوال * لكنهم توجعوا لاحوال الدنيا . وتوهموا ان هذه الاحوال عبودية . لان قد يوجد الان اناس كثيرون يخجلون من هذه العبودية . وما يخجلون من استملاك الخطية اياهم* ويختارون ان يدعوا دفعاتٍ جزيلاً عددها عبيدًا لخطيتهم . وذلك عندهم افضل من ان يدعوا دفعةً واحدة عبيدًا لانسان يشتملهم . فاوليك اليهود هذه السجية سجيتها . فما عرفوا عبودية اخرى . وقالوا أتسمي الذين من جنس ابراهيم عبيدًا . وهم الشريف جنسهم . الذين ليس واجبًا لهذا الحسب ان تدعوهم عبيدًا : لاننا ما تعبدنا في وقتٍ من

اوقاتنا لاحد الناس * لان مفاخر اليهود هذه صفتها. نحن نسل ابراهيم. واسرائيليون نحن. فما يذكرون بجهة من الجهات محامد قد احكموها. ولهذا المعنى قد هتف يوحنا اليهم قايلاً ,, لا ترتاوا ان تقولوا. اننا نملك ابراهيم اباً * ” (متى ص ٣ ع ٩) فان قلت . فلمَ ما وبخهم المسيح : لان في اوقات كثيرة قد استُعبدوا وخدموا المصريين. واهل بابل. واقواماً غير هولاء كثيرين * اجبتك . لان الاقوال التي قالها. ما كانت تعتمد تفضيلاً لهُ. لكنها كانت تقصد خلاصهم والاحسان اليهم * وانما سارع الى هذا الغرض * والاَّ فقد كان ذكر عبوديتهم اربعماية سنة . وقد كان ذكر السبعين سنة . وقد كان وصف ما جرى عليهم من العبودية في ايام قضاتهم . التي كان مداها دفعةً عشرين سنة . ومرةً سنتين . وحيناً سبع سنين * وكان قد اذكرهم انهم ولا في وقتٍ من اوقاتهم عطلوا من الخدمة لغيرهم * الاَّ انهُ ما حرص ان يبيّن هذا . انهم قد صاروا عبيداً الى اناس * لكنهُ اثر ان يبيّن انهم كانوا عبيداً لخطيتهم * وهذه عبودية اصعب العبوديات . التي يقتدر ان يستخلصهم منها الله وحدهُ * لان الصفح عن الخطايا ليس هو لاحد غيره * وهذا فقد اعترفوا هم بهِ * واذ كانوا قد اعترفوا ان هذا الصفح هو عمل الله . اقتادهم الى هذا * (٣٤) وقال ,, كل مَن يعمل الخطية . فهو عبد الخطية * ” يريهم انهُ انما يخاطبهم في ذكر هذا العتق من هذه العبودية * (٣٥) ,, والعبد ليس يبقى في البيت . والابن فسيبقى الى الدهر * ” فهو ينقض بسكون افعالهم بالشريعة . ذاكراً لهم الازمنة الاولى ذكراً خفياً * لان لكيلا يبادروا فيقولوا قد حوينا الذبايح التي امرنا موسى بها . فتلك الضحايا تقتدر ان تستخلصنا من خطيتنا . فلهذا السبب استثنى بهذا القول * والاَّ فاي نظام تحويه الالفاظ التي قالها : ,, لان الناس كلهم اخطأوا وعدموا مجد الله . وانما تتحقق لهم العدل بنعمتهِ مجاناً * ” (روميه ص ٣ ع ٢٣) والكهنة باعيانهم * ولهذا المعنى قال بولس في ذكر الكاهن ,, انهُ يجب عليه (زعم) انهُ يتدم قرباناً عن ذاتهِ . كما يقرب عن شعبهِ * اذ هو يشتملهُ الضعف ايضاً * ” (عبرانيين ص ٥ ع ٣) وهذا يستبين بقولهِ ,, والعبد ليس يبقى في البيت * ” وههنا قد اوضح معادلتهُ اباهُ * وابان الفضل فيما بين العبد والحر * لان هذا المثال يريد هذا المعنى . الذي هو ” ان العبد ليس يحوى سلطاناً * لان هذا هو معنى قولهِ ,, ليس يبقى في البيت * ” فان قلت . فلمَ ذكر بيتاً . اذ خاطبهم في ذكر خطاياهم : اجبتك . يريهم انهُ كما ان السيد في بيتهِ متسلط . فكذلك هو متسلط وسيد البرايا

كلها * وقوله ،، ان العبد ليس يبقى * ،، هذا هو معناهُ . انهُ ليس يملك سلطاناً ان يهب شيأً * من طريق انهُ ليس هو سيد البيت * والابن هو سيد البيت * لان هذا هو معنى قوله ،، يبقى الى الدهر * " من نقل لفظ الاحوال الانسانية الى معناه * حتى لا يقولوا انت مَن انت : قال . البرايا كلها هي لي * لانني ابنٌ الله . وفي بيت ابي ابقى * فقد سمى سلطانهُ بيتاً . لانهُ في مكانٍ آخر يسمي رياسة ابيه بيتاً * اذ قال ،، في بيت ابي منازل كثيرة موجودة * " (يوحنا ص ١٤ ع ٢) لان كلامهُ اذ هو في ذكر حرية وعبودية . استعمل على جهة الواجب نقل اللفظ الى معناهُ هذا * قايلاً ان اوليك ما ملكوا سلطاناً ان يصفحوا * فقال (٣٦) ،، ان حرركم الابن . " أعرفت معادلتهُ اباهُ في جوهره : وكيف قد بيَّن انهُ مالك لذاته السلطان بعينه الذي لابيه : فان حرركم الابن . فليس يعاندهُ معاند * لكنكم تمتلكون الحُرية حقيقية * ،، لان اذا كان مَن يحقق العدل لكم الآن . فمَن يوجب الحكم عليكم : " فقد ابان ذاته ههنا تقباً من خطية * وذكر الحرية الواصلة الى ا... ذكراً مستوراً * لان هذه الحرية اناس يعطونها . وتلك الحرية الله وحدهُ يعطيها * وبهذا القول يحقق عندهم الا يخجلوا من هذه العبودية . بل يجب ان يستخزوا من العبودية للخطية * واذ شاء ان يريهم ان يدفعهم تلك العبودية ما كانوا عبيداً . والبق ما يُقال . انهُ قد اوضح انهم قد كانوا عبيداً . بقوله ،، تكونون احراراً بالحقيقة * " لان هذا هو قول موضح . ان هذه الحرية ليست صادقة * ثم حتى لا يقولوا اننا ما نملك خطية . لان قد كان لايقاً ان يقولوا هذا القول * انظر كيف خاطبهم في هذه الجناية * لانهُ اهل ان يوبخ كافة عيشتهم . وساق الى وسط كلامه هذا الفعل الحاصل في ايديهم . الذي ارتادوا ان يفعلوهُ * (٤٧) فقال ،، قد عرفت انكم نسل ابراهيم . الا انكم تريدون قتلي * " فاخرجهم بسكون قليلاً قليلاً من تلك المجانسة * وعلمهم ان لا يفتخروا بهذا الافتخار عظيماً * لان كما ان الحرية والعبودية هما من اعمالنا . فكذلك المجانسة هي من افعالنا * وما قال في الحين لستم من ابراهيم . لان قاتلي الناس ليسوا من ابراهيم ذي العدل * لكنهُ تجاوز ذلك الان وقال ،، قد عرفت انكم نسل ابراهيم * ،، لكن المطلوب ليس هو هذا * ويستعمل مخاطبتهُ فيما بعد اوضح بياناً . لانهُ قد انساغ لهُ في اكثر الاوقات ان يراعي هذا الغرض . انهُ اذا استانف ان يعمل عملاً عظيماً . يستعمل المجاهرة بعد افتعاله اكثر * مثلما اطبقت افواههم الشهادة لهُ من اعماله * ،، الا انكم تريدون قتلي * " فان قال قايل . فماذا عليهم ان التمسوا ذلك على جهة الواجب :

نجيبهُ . الاَّ ان ليس هذا هو غرضهم * ولذلك وضع علة ذلك . فقال .. لان كلامي ليس يدخل
فيكم * " فان قلت فكيف قال البشير انهم آمنوا بهِ ; اجبتك . الاَّ انهم على ما ذكرت انتقلوا
ايضاً * ولهذا السبب لذعهم لذعاً شديدًا * لانكم ان فاخرتم بمناسبة ذلك الفاضل . فقد وجب عليكم
ان تظهروا طريقته * وما قال وما سمعتم كلامي . لكنهُ قال .. لان كلامي ليس يدخل فيكم * " موضحاً
اعتقاد اراء دينهِ العالي * على انهُ ما كان واجباً ان يقتلوهُ لاجل هذا . لكن الاولى بهم كان ان يكرموهُ
ويخدموهُ حتى يتعلموا ذلك * ولو كان قال لهُ احدهم . وماذا يكون ان كنت تتكلم هذه الاقوال
من ذاتك ; لاجابهُ . انهُ لهذا الغرض استثنى بقولهِ . (٣٨) .. انا ما رايتهُ عند ابي اتكلم بهِ * وانتم ما
سمعتموهُ من ابيكم تعملونهُ * " قال كذا انني من الفاظي ومن الحق اظهر ابي . وكذلك انتم من افعالكم
تظهرون اباكم * لانني لست امثالك عند ابي جوهرهُ بعينهِ فقط . لكني امثالك مع ذلك حقهُ بعينهِ *
(٣٩) .. فقالوا له نحن نملك ابراهيم اباناً * فقال لهم يسوع . لو ملكتم ابراهيم اباً لكم . لعملتم اعمال ابراهيم *
(٤٠) .. فالآن تريدون قتلي * " فههنا يردد في الفاظهِ نيتهم القاتلة ترديدًا متصلاً . ويذكر ابراهيم .
ويعمل هذا العمل . مريدًا ان يزيغهم عن هذه المجانسة . وان ينتزع مفاخرتهم الزايدة . ويحقق عندهم
ان لا يجعلوا في ذلك الفاضل امال خلاصهم . ولا في مجانستهم اياهُ الطبيعية . لكن في مجانسته في
اختيارهِ ونيتهِ * لان هذا الرأي كان الذي منعهم عن الاقتراب الى المسيح . وهو ظنهم ان تلك
المجانسة فيها كفاية لهم لخلاصهم * وان سالت . واياما حق يعني ; اجبتك . انهُ معادلته اباهُ * لان لاجل
هذا طلب اليهود ان يقتلوهُ * وقال " تطلبون ان تقتلوني . لانني خاطبتكم بالحق الذي سمعتهُ من
ابي * " فبيّن ان هذه الاقوال ليست هي اضدادًا لابيهِ . ولجأ اليهِ ايضاً . (٤١) " وقالوا لهُ نحن
ما ولدنا من زناء * وانما نملك اباً واحدًا . وهو الله * " وانا اخاطبهم . ماذا تقولون انتم قد ملكتم اباً
واحدًا هو الله . وتشكون المسيح . عندما قال هذا القول : أرأيت انهُ قال ان الله هو ابوهُ قولاً
خاصاً بهِ ; لانهُ لما اخرجهم من مجانسة ابراهيم . وما ملكوا احتجاجاً يقولونهُ . اجترءوا على قول
اعظم محلاً . اذ حاضروا الى الله * الاَّ انهُ يخرجهم من هذه الكرامة بقولهِ . (٤٢) " لو كان الله
اباكم . لاحببتموني * لانني انا من الله خرجت وجئت * وما جئت من ذاتي . لكن ذلك
ارسلني * " (٤٣) " فلمَ ما عرفتم كلامي ; لانكم ما تقدرون ان تسمعوا قولي * (٤٤) انتم من ابيكم

المحال انتم . وتريدون ان تعملوا شهوات ابيكم* ذاك منذ القديم كان هو قتال الناس . وما ثبت في الحق * واذا تكلم الكذب . انما يتكلم مما هو خاصٌ بهِ* " فقد اخرجهم من مجانسة ابراهيم . ولما تجاسروا على اعظم منها . حينئذٍ اورد الضربة عليهم* اذ قال انهم ليسوا ما هم من ابراهيم فقط . لكنهم من ابليس المحال هم* فاورد عليهم القطع عديلاً لوقاحتهم* وما اهملهُ خالياً من شاهد . لكنهُ اخترعهُ في توبيخاتهِ* لانهُ قال ان القتل هو من رذيلة ذلك المحال* وما قال انكم تعملون اعمالهُ على بسيط ذات القول . لكنهُ قال تعملون شهواتهِ* موضحاً ان ذلك المحال وهولاء يخترعون قتلاً شديداً . وان حسدهم كان علة ذلك* لان المحال ما وجد ذنباً لآدم يشكوهُ منه . لكنهُ قتلهُ لما حسدهُ* فقد ذكر هذا المعنى ههنا ذكراً خفياً . فقال ,, ما ثبت في الحق * " ومعنى ذلك هو انهُ ما ثبت في طريقة متقومة* لانهم ما ثلبوهُ ثلباً متصلاً بانهُ ليس هو من الله . قال ان هذا الثلب من هنالك هو* لان ذاك المحال ولد الكذب اولاً . بقولهِ ,, في اي يوم تاكلان تتفتح اعينكما* " فهو استعمل هذا الكذب اولاً . لان الناس يستعملون الكذب لا كأنهُ خاصٌ لهم . وهذا المحال فيستعملهُ على انهُ خاصٌ بهِ* (٤٥) ,, فانا لانني اقول صدقاً ما تصدقونني * " واي نظام هذا . اذا ما تشكون مني منكراً . وتريدون ان تقتلوني : لانكم اذ انتم اعداء الحق لهذا السبب تطردونني* فلو لم يكن طردكم اياي لهذا السبب . لذكرتم زللي* لانهُ لهذا السبب استثنى بقولهِ (٤٦) ,, مَن منكم يوبخني على خطية* " ثم قال اوليك نحن ما ولدنا من زنا . على ان كثيرين منهم ولدوا من زناء* لانهم اخترعوا مغالطات ليست واجبة . الا انهُ ما وبخ قولهم هذا . لكنهُ انتصب مقابل ذلك القول* لانهُ لما اوضح انهم ليسوا من الله . لكنهم من ابليس المحال من هذه الافعال كلها* لان القتل شيطاني . والكذب شيطاني . وقد علمتم انتم هذين كليهما . بيَّن ان الحب هو علامة انهُ موجود من الله* فلمَ ما قد عرفتم كلامي : لانهم لما تحيروا دايماً . اذ قالوا ما هو معنى انهُ قال ,, الى حيث انطلق انا . انتم ما تقدرون ان تجيئوا* " لهذا المعنى قال . ما قد عرفتم كلامي* لانكم ما قد ملكتم قول الله* وهذا المصاب يصيبكم . لاجل جموح تمييزكم الى الاوهام الارضية . ولان اقوالي لعظم الاقوال كثيراً* فان قلت فماذا عليهم ان كانوا ما استطاعوا ان يعرفوها : اجبتك . لفظة ما تقدرون هي ههنا لفظة ما تريدون* لانكم علمتم ذواتكم ان تكونوا ذليلين* لانكم ما تتصورون معنىً عظيماً* لانهم اذ قالوا انهم يطردونهُ . كانهم

قد اشتملهم غيرة من اجل الله . لهذا السبب يرتاد في كل موضع من كلامهِ ان يبيّن ان طردهم اياهُ هو فعل المافقين الله . مضادٌ لهم اياهُ * فاذ قد عرفوا الله . قالوا نملك ابًا واحدًا هو الله * يحملون من هذه الاقوال من الكرامة ليس من فضايل احكموها . فليس من ايثاركم الاّ تومنوا بي . يوجد ايضًا دليلاً على انني غريب . لكنهُ دليل على انكم لم تعرفوا الله . وهو علامة زوال ايمانكم * وعلة ذلك . انكم تريدون ان تكذبوا . وتعملوا اعمال ابليس المحال . وهذا العمل يجعل نفسكم حقيرة * على ما ذكر بولس .. ان اذ يكون فيكم محك وحسد . الستم لحميين انتم : " (قرنثية اولى ص ٣ع ٣) لان لمَ ما تستطيعون : لانكم تريدون ان تعملوا شهوات ابيكم وتجد اجتهدتم فيها وما حكتم . أرأيت ان قولهُ ما تستطيعون . انما يريد بهِ ما تريدون : لان ابراهيم ما عمل هذا العمل . وإن سالته . وما هي اعمال ابراهيم : لاجابك . الخلق الانيس . الوديع . الخاضع . القبول * فانتم قد حصلتم بخلاف ذلك * صرتم جناة قاسيين * ولقايل ان يقول . فمن اين شبس لهم ان يلتجوا الى الله : فيجيبهُ انهُ اظهرهم قد عدموا ان يوجدوا موهلين لابراهيم . فاذ ارتابوا ان يهربوا من هذا التعيير . صعدوا الى نسبة اعظم قدرًا * لانهم لما عيرهم بالقتل . اخترعوا مثل حجة . انهم يتصرون لله * فقالوا هذا القول * فابان هو . ان هذا العزم بعينهِ هو عزم المضادين لله . ولفظة انهُ خرج من الله : اظهر انهُ موجود من هنالك * فقال خرجت . يذكر وجودهُ وورودهُ الينا ذكرًا مستورًا . واذ كان واجبًا عندهم ان يقولوا . انك تقول اقوالاً غريبة باطلة * اذ زعمت انك من الله جيت * قال لهم على جهة الواجب لكم ما سمعتم اقوالي . لانكم انتم من ابليس المحال * لان لم تقبلوني : ما الذنب الذي يجب لكم ان تشتكوهُ مني : فان كان هذا ليس الذي ذكرت . فلمَ ما تصدقوني : فعلى هذه الجهة اظهرهم من تلقاء كذبهم وقتلهم . موجودين من ابليس المحال * وبيّن انهم غرباء من ابراهيم ومن الله * من مقتهم مَن لم يظلمهم ظلمًا . من تلقاء انهم ما سمعوا اقواله * واوضح في الملا خطاياهم واستقله انهُ لم يكن ضدًا لله * وانهم ليس لهذا السبب ما آمنوا بهِ . لكن لانهم كانوا مفترسين من الله * لان مَن لم يعمل خطية . القايل عن ذاتهِ انهُ جاء من الله . وانهُ هو ارسلهُ . الناطق بالحق . اذا تكلم الحق على هذا المثال الذي انتهى بهِ . الى ان

استدعاهم كلهم الى توبيخهِ . لم يومنوا بهِ * فمن اوضح

البيان ان الذين ما آمنوا بهِ كانوا لحميين

العظة الرابعة والخمسون

في انهُ ينبغي لنا ان نختطف ليس الاشياء العالمية · لكن مُلك السموات *

ان الخطايا من شانها وفي طباعها ان تجعل نفسنا ذليلة * ولهذا السبب قال بولس .. اذ قد صرتم في استماعكم بطيئين * " (عبرانيين ص ٥ ع ١١) لان احدنا اذا لم يقدر ان يستحقر الاشياء التي في الارض · فكيف يتفلسف في وقتٍ من اوقاتهِ في وصف النعم التي في السموات : فلذلك اسالكم ان نعمل كلما يمكننا · حتى تتقوم عيشتنا · حتى تتنقى سريرتنا · حتى لا يصير عمل نجس مغتالاً لنا · لانهُ قد قال انيروا لانفسكم نورا لمعرفة · ولا تزرعوا على الشوك * لان مَن لم يعرف ان الاستغنام واستكثار القنية فعل ردي : متى يعرف اعظم من ذلك : ومن ليس يبتعد من مثل هذه الرزايل · فمتى يتمسك بتلك الفضايل : فالاختلاس عمل جيد * لكن لا اختلاس الاشياء الهالكة · لكن اختلاس مُلك السموات * لانهُ قد قال .. ان المقتسرين يختطفونهُ * " (متى ص ١١ ع ١٢) فليس يتفق لنا امتلاكه بتضجيع · لكن انما يتجه لنا تحصيلهُ بحرصٍ شديد * فان سالت مَن هم الذين يقتسرونه : اجبتك · هم الذين يوردون تكليفاً كثيراً * لان الطريق ضيقة * ونحتاج الى نفس شجاعة جليدة * فالذين يختلسون يريدون ان يسبقوا كل اصحابهم · ولا ينظرون الى شيء * لا الى مذمة · ولا الى قرف وسعاية · ولا الى عقوبة * لكنهم يتمسكون بفعلٍ واحد وحدهُ · بان يستلبوا ما يرتادون اختلاسه · ويتجاوزون جميع الذين قدامهم * فلنختطفن اذاً مُلك السموات * لان الاختطاف ههنا ليس يوجد زللاً · لكنهُ يفيد مديحاً * واذا لم نختطفهُ · فذلك زلل * وايسارنا ههنا · فليس يصير من خسارة غيرنا * فلنجتهدنَّ ان نختطفهُ * وان اذانا غضبنا · وان ازعجتنا شهوتنا · فلنكلفنَّ طبيعتنا ونقتسرها * ونصير الطف استيناساً واوفر رفقاً * فلنتعبنَّ يسيراً · لنستريح دايماً * لا تختطفنَّ ذهباً * لكن اختطف ايساراً يوضع الذهب طينا وحماة * فقل لي · لو وُضع لديك رصاص وذهب · ايما كنت تخطف : اليس من اوضح البيان · انك كنت تخطف الذهب : ثم حيث يُعاقَب الخاطف · تكرّم الصنف الاعظم المخطوف · وحيث يكرّم المختلِس · تدفع الصنف الاعظم : لان لو كان الاختطافان يفيدان تعذيباً · افما كنت تجيء الى هذا الصنف باوفر حرصك : فليس يوجد ههنا فعل هذه الصفة صفتهُ ·

لكنهُ فعل مطوّب* فان قلت فكيف ينساغ لي اختطاف مُلك السموات : اجبتك . اطرح ما يوجد في يديك* لانك ما دمت تمسك بهِ . ما يمكنك ان تختلس ذلك المُلك* لان تفطن لي في رجلٍ يمتلك يديه مملوتين فضة . هل يمكنهُ ما دام ضابطًا تلك الفضة . ان يسلب بهما ذهبًا . ان لم يطرح الفضة . ويصير محلولاً من التمسك بها : لان الخاطف ينبغي ان يكون متشمرًا . حتى لا ينضبط* لان قوات من الجن ضدية توجد الان محاضرةً ورانا . ليستلبونا* لكن ينبغي لنا ان نهرب منهم محاضرين* ولا نسحب من خارجنا ولاعبيًا واحدًا ولا زالاً . فلنقطع حبالهم . ولنصر عراة من اشيا الدنيا واحوالها* ما حاجتنا الى الثياب من القز : الى متى نعيد التماس هذا الضحك : الى متى ندفن الذهب : وقد اردت ان آنف عن تكريري هذه الاقوال دايمًا . الا انكم ما تتركوني* اذ تصدرون لي دايمًا اسباب الكلام وموضوعاتهِ* لكن فلنبتعد الان من هذه الاسباب* لنعلم في طريقنا اناسًا آخرين* ليتفق لنا امتلاك النعم الصالحة التي وعدناها* بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفهُ* الذي بهِ ومعهُ لابيهِ المجد مع الروح القدس . الان ودايمًا* والى اباد الدهور كلها امين*

المقالة الخامسة والخمسون

في قولهِ (٤٨) فاجابهُ اليهود . افليس على جهة الواجب تقول انك سامري انت . وتشتمل شيطانًا : (٤٩) اجاب يسوع وقال . انا لست اشتمل شيطانًا . لكنني اكرم الاب*

ان الرذيلة لوقاحة عاتية* واذا وجب ان تغوص وتستتر . حينيذٍ تتشمر اكثر* وهذا العارض فقد عرض لليهود . لان واجبًا كان عليهم ان يتخشعوا لما قيل لهم ويتندموا . مستعجبين مباهرة القايل ونظام اقوالهُ* لكنهم شتموهُ ودعوهُ سامريًا . وسموهُ متشيطنًا* وقالوا .. اليس على جهة الصواب قلنا انك سامري انت* وتشتمل شيطانًا : " لانهُ اذ قال لهم قولاً عاليًا . يظن قولهُ جنونًا عند الزابل حسبهم جدًا* على ان البشير ما قال بجهةٍ من الجهات فيما سلف انهم سموهُ سامريًا . لكن من هذا القول دفعاتٍ شتى . قالوا تشتمل شيطانًا* مع ان مَن يشتمل شيطانًا : أَمن يكرم الله : ام من يشتم مكرمهُ : فقال لهم المسيح عنصر الوداعة والدعة .. انا لست اشتمل شيطانًا . لكنني اكرّم مرسلي* " لان بحيث يجب ان يعلمهم وينتزع صلفهم الجزيل . ويعلمهم ان لا يفتخروا بابراهيم افتخارًا عظيمًا . كان

كلامهُ باشد مجاهرة * وحيث شتموهُ ووجب ان يحتملهم . استعمل في خطابه وداعة كثيرة * لانهم
حين قالوا انا قد امتلكنا الله ابًا وابراهيم . لذعهم في كلامه لذعًا شديدًا * وحين دعوهُ متشيطنًا .
استعمل كلامهُ متذللاً متخافضًا * يعلمنا ان ننتصر لما يصل الى الله * وان نتغافل عمّا يصل الينا * وقال .
(٥٠) .. انا لست اطلب الشرف الذي لي * " فبقوله هذه الاقوال . اراهم (زعم) انه ليس واجبًا
لكم الموجودين قاتلين الناس . ان تسمّوا الله اباكم * فمن هذه الجهة قالت هذه الاقوال . بالتكريم
الواصل الى الله * ولاجله اسمع منكم هذه المسبات * ومن اجله تسبونني * الا انني ليس يحصل
لي من مسبتكم هذه ولا صنف من الهم * لانكم قد اوجبتم عليكم عند الله الذي لاجله اسمع الان هذه
الاقوال . عقوبات شتايكم * .. انا لست اطلب الشرف الذي لي * " ولهذا السبب اهل ان اعاقبكم .
وانعطف الى وعظكم وتنبيهكم * واشير عليكم ان تعملوا هذه الاعمال التي منها ليس من شانكم لن
تنفلتوا من العقوبة فقط . لكنكم مع ذلك يتفق لكم امتلاك الحيوة الدهرية * (٥١) .. حقًا حقًا
اقول لكم . ان يحفظ احدكم قولي . فليس يعاين موتًا الى الدهر * " فههنا ليس يذكر الامانة
فقط . ولكن يذكر معها العيشة النقية * وقد قال فوق هذا الموضع . يمتلك حيوة دهرية * وقال
ههنا . انهُ ما يبصر موتًا * ويذكر مع ذلك ذكرًا خفيًا . انهم ما يقتدرون ان يعملوا به شيأً * لانهُ
ان كان مَن يحفظ قولهُ ليس يموت . فالبتي واوجب الا يموت هو * فلما عرفوا هم هذا القول . قالوا
(٥٢) .. الان قد عرفنا انك تشتمل شيطانًا * لابراهيم قد مات . والانبياء قد ماتوا * " ومعنى ذلك
هو . ان الذين قد سمعوا قول الله قد ماتوا . فالذين يسمعون قولك ما يموتون : (٥٣) .. ألعلّك
انت اعظم من ابراهيم ابينا : " ترحا للشرف الفارغ ها هم ايضًا يتجبّون الى مجانسته . على انهُ قد
كان لائقًا ان يقولوا . ألعلّك انت اعظم من الله : او لعلّ الذين يسمعون قولك اعظم من ابراهيم :
الا انهم ما قالوا هذا القول * اذ كانوا قد ظنوا انهُ ادنى محلاً من ابراهيم * ففي الاول قد اظهرهم قاتلي
الناس . واخرجهم بهذه السجية من مجانسة ابراهيم * فلما ليثوا يحتالون بحيلة اخرى . اراهم انهم يتعبون
اتعابًا قد زال انتفاعهم بها * وما خاطبهم في ذكر الموت خطابًا . ولا كشف لهم . ولا ذكر لهم اي موت
يعني * الا انهُ حقق عاجلاً انهُ افضل من ابراهيم هو . ليستميلهم بهذا اللفظ اليه * كانهُ قال . وان
كنت انا ادنى محلاً منهُ . فما قد وجب عليّ ان اموت * وما قد ظلمتكم ظلمًا * فاذا كنت اقول

صدقاً . ولست امتلك ولا خطية واحدة . وانا مُرسَلٌ من الله . وافضل من ابراهيم . فكيف اذا اردتم قتلي . ما تكونون قد جنيتم . وقد تعبتم تعباً قد زال الانتفاع بهِ : فاوليك قالوا الان علمنا انك تشتمل شيطاناً * الا ان السامرية ما قالت هذا القول * لانها ما قالت تشتمل شيطاناً . لكنها قالت هذا القول فقط ،، ألعلَّكَ انت اعظم من يعقوب ابينا : " (يوحنا ص ٤ ع ١٢) ولعمري ان هولاء كانوا شتومين متحرّين . وتلك ارادت ان تعرف مَن هو * فلذلك تحيَّرَتْ . واجابتهُ بتحفظٍ واجبٍ . ودعتهُ ربًا . لان مَن وَعَدَهَا باعظم من مطلوبها بكثير . وكان موهلاً لتصديقهِ . ما وجب ان تشتمهُ * لكنهُ استوجب عندها ان تستعجبهُ * وهولاء قسموهُ متشيطناً * فتلك الاقوال كانت اقوال السامرية . لما تحيَّرَتْ واشتبهَ عليها حالهُ * وهذه كانت اقوال الكفار الملتوين . فقالوا ألعلَّكَ انت اعظم من ابراهيم ابينا : فمن هذه الجهة بجعلهُ قولهم هذا عند سامعهِ . انهُ اعظم من ابراهيم * فاذا رايتموهُ خارجاً من قبرهِ . اقررتم انهُ اعظم منهُ هو * فلذلك قال اذا رفعتموني ستعرفون حينئذٍ اني انا هو * وانظر الى فهمهِ السامي ! افصلهم اولاً من مجانسة ابراهيم . واوضح ذاتهُ انهُ اعظم منهُ . لكي من كثرة سموهِ . يبصرونهُ عظيماً اعظم من الانبياء . لانهُ اذ كانوا يدعونهُ دايماً نبياً لاجل اقوالهم هذه . قال ،، كلامي ليس يدخل فيكم * " فهنالك قال انهُ يقيم الموتى . وههنا قال ،، ان مَن يوءمن بي ليس يبصر موتاً الى الدهر * " (يوحنا ص ٥ ع ٢١) وهذا كان اعظم بكثير من ان لا يسمح ان ينضبط في الموت * ولذلك تمرَّ غيظهم عليهِ تمراً شديداً . فقالوا " مَن تجعل ذاتك : " وهذا فقالوهُ على سبيل السبّ لهُ . انت تهب لذاتك هذه المنزلة * فاجاب المسيح نحو قولهم هذا (٥٤) ،، ان كنت انا اشرف ذاتي . فتشريفي ليس هو شياً * " فما الذي يقولهُ ههنا اصحاب بدع هواهم في الدين : قد سمع ،، ألعلَّكَ انت اعظم من ابراهيم ابينا : " وما وثق بهم ان يقول لهم نعم * لكنهُ يجعل كلامهُ محتجباً * فان استخبرونا . فهل تشريفهُ ليس هو شياً : تقول لهم . عند اوليك ليس هو شياً * لانهُ كما قال شهادتي ليس هي صادقة عند ظن اوليك . فكذلك قال ههنا . تشريفي ذاتي ليس هو شياً عند ظن اوليك ،، وقد يوجد مَن يمجدني * " فان قلت . ولمَ ما قال ابي الذي ارسلني يمجدني : اجبتك . كانهُ قال فهو الذي قد قلتم انتم انهُ الهكم هو . وما قد عرفتموهُ * لانهُ شاء ان يريهم انهم ليسوا ما عرفوا فقط . لكنهم مع ذلك ما قد عرفوا الههم ،، وانا اعرفهُ * " فيجب من ذلك . ان ليس قولهُ انا

اعرفهُ هو تفخيم ومفاخرة لكن قولهُ انهُ ما يعرفهُ هو كذب *فانتم اذ قلتم انكم تعرفونهُ. فقد كذبتم *فكما انكم
انتم اذا قلتم انكم تعرفونهُ فقد كذبتم. فكذلك اذا قلت انا انني لست اعرفهُ فقد كذبت* ,,ان كنت امجد
انا ذاتي'' لانهم لما قالوا مَن تجعل ذاتك: قال. ان كنت انا اخترع التشريف لي. فتشريفي ليس شياً*
فكما انني انا اعرف ذاتي معرفة بليغة. فكذلك انتم تجهلون ابي *فكما انهُ لما ذكرَ ابراهيم. ما بطل المطلوب
كلهُ. لكنهُ قال ,,قد عرفت انكم نسل ابراهيم*'' لكي يجعل ثلبهم اعظم لذعًا. فكذلك ههنا. ما حذف
المعنى كلهُ. لكنهُ قال. الذي قد قلتم انتم *فاذ خوّل مفاخرتهم باقوالهم فسحة. جعل زللهم اعظم تاثيرًا*
فان قلتم (زعم) كيف ما قد عرفناهُ: اجبتكم لانكم قد شتمتم مَن قال وعمل كل عملهِ من اجلهِ حتى يشرفهُ.
مع ان ذاك ارسلهُ. لكن هذا القول قد عدم ان يكون مشهودًا لهُ: الاَّ ان القول الذي يتلوهُ يتقنهُ. وهو
(٥٥)'' وانا احفظ قولهُ.'' فلو كانوا امتلكوا ههنا قولاً. لكان قد امكنهم ان يطعنوا عليهِ. لان لفظة ارسال
الاب اياهُ كانت برهانًا عظيمًا* (٥٦),,ابراهيم ابوكم ابتهج ليبصر يومي. فعرَفهُ وفرح*'' فقد اظهرهم
متغربين من ذلك. وان كان ذاك فرح لهذه الاشياء توجع هولاء لها*فعلى حسب ظني. ان اليوم الذي
ذكرهُ ههنا. كان يوم صلبهِ. الذي تقدم فرسمهُ في تقريب الكبش. وفي تقديم اسحق*فقال لهُ اوليك.
(٥٧),,ما وصلت بعد الى اربعين سنة. وقد رايت ابراهيم:'' فعلى هذا النحو يوجد المسيح قريبًا من
اربعين سنة فقال لهم (٥٨),,انا موجود قبل ان يكون ابراهيم:'' (٥٩),,فتناولوا حجارة ليطرحوها
عليهِ*'' أرأيت كيف اتقن لفظةً. انهُ اعظم من ابراهيم: لان مَن فرح ليبصر يومه. وجعل ذلك محروصًا
عليهِ عندهُ. فمن اوضح البيان انهُ قد فرح ليبصر الاحسان الكاين. على انهُ اعظم منهُ* لانهم لما دعوهُ ابن
النجار. وما تخيلوا فيهِ وهمًا اكثر من ذلك. صاعدهم قليلاً قليلاً الى معنًى عالٍ رفيع*وحين سمعوا منهُ انكم
ما قد عرفتم الله ما توجعوا لذلك. ولما سمعوا انا موجود قبل ان يكون ابراهيم. تمر غيظهم عليهِ ورجموهُ*
من طريق انهُ جعل شرف حسبهم ذليلاً*قال '' فعرف يومي وفرح*'' فقد بيَّن انهُ ما يجي الى التالم
كارهًا. ان كان يمدح المسرور بصليبهِ. لان هذا الصليب كان خلاص المسكونة. فرموهُ هم بحجارة*فعلى
هذا المثال كانوا متسومين للقتل. وبذواتهم كانوا يعملون هذه الاعمال وما يستفحصون وهمًا*فان قلت.
ولِمَ ما قال انا كنت قبل ان يكون ابراهيم: لكنهُ قال انا موجود قبل ان يكون ذاك: اجبتك. كما ان
اباهُ يستعمل لفظة انا موجود. فكذلك استعملها هو*لان هذه اللفظة دالة على الحال الدايمة. مخلصة من

كل زمان. ولهذا السبب ظنت عندهم هذه اللفظة انها توجد تجديفاً * فان كانوا ما احتملوا مقايسته ذاته بابراهيم. على انها قد كانت صغيرة. فلو كان عادل ذاته دايماً بابيه. هل كانوا كفوا عن رجمه. ثم هرب ايضاً هرباً انسانياً واستخفى * واذ استودع عندهم تعليماً كافياً جزيلاً. وتمم اقواله. خرج من الهيكل وانصرف الى شفاء الاعمى. محققاً باعماله انه قبل ابراهيم * ولعل قايلاً يقول. فلمَ ما حلل قوتهم. لانهم على هذه الجهة كانوا قد آمنوا به * فنقول له. انه شفى مخلعاً وما آمنوا به. وقد اجترح ايات آخرى جزيلاً عددها. وفي حين تالمه بعينه. القاهم طريحين على ظهورهم. واظلم ابصارهم. وما آمنوا به. فكيف كانوا يومنون. لو اكن حلل قوتهم. لان ليس شيء اشر من نفس مكابرة عديمة ان يكون متندمة * لو ابصرت ايات. او رأت جرايح. تبقى حاوية وقاحتها بعينها * وبيان ذلك ان فرعون اذ اقتبل ضربات جزيلاً عددها كان يرتدع. اذا عوقب فقط * ولبث هذا الحال حاله الى اليوم الاخير من ايامه. مضطهداً الذين اطلقهم * فلهذا المعنى قال بولس في اعلا كلامه واسفله.. لا تغشين احدكم خدعة خطيته *" (عبرانيين ص٣ ع ٨) وكما ان اركان جسدنا وعمده اذا ماتت. ما تمتلك فيما بعد ولا حساً واحداً. فكذلك نفسنا اذا انضبطت بامراض عزم كثيرة * تموت عن السعي الى الفضيلة. فلو قدمت لها مهما قدمت ما تحس به حساً. لكنك ان هولت عليها بعقوبة. او توعدتها بمهما كان من المخاوف * تلبث عادمت ان تتوجع او تتخشع *

العظة الخامسة والخمسون

في ذم الحسد وانه يجب علينا ان نفرح مع الذين يكرمهم الله. وان نتوجع مع الذين يقاسون المكروه. ولو كان الله يعاقبهم به.

فلذلك اتضرع اليكم ان نعمل كل ما يمكننا. ما دمنا نمتلك امال خلاصنا. وما دمنا نقتدر ان نرجع * وذلك ان الذين قد عدموا ان يكونوا متوجعين متندمين. حالهم حال مدبري السفن الموئسين من خلاصهم. الذين يدفعون سفينتهم الى اعصاف الرياح. وما يصدرون من انفسهم حيلة يحتالون بها * فكذلك هولاء يعملون فيما بعد * لان الحاسد انما ينظر الى شيء واحد فقط. الى ان يتم شهواته. ويصير متمكناً في هذا الداء وحده. ولو استانف ان يُعاقب * ولو شارف ان يقتل. فهذه الحال حال الفاسق ومحب القنيات * فان كان غصب امراض هوانا هذا المقدار مقداره. فاولى واليق ان يكون اغتصاب الفضيلة هذا المبلغ الجزيل مبلغه * ولين كنا نتهاون بموتنا. لاجل تلك الرذيلة. فاليق بنا كثيراً ان

نتهاون به لاجل الفضيلة* ولين كان اوليك يستحقرون انفسهم. فاولى بنا واليق. اننا نحتاج ان نعمل هذا العمل لاجل خلاصنا * لان ما هو الاحتجاج الذي يكون لنا . اذا كان الهالكون يجتهدون هذا الاجتهاد من اجل كلامهم. ولا نظهر نحن من اجل خلاصنا حرصاً جزيلاً على هذا النحو تقديرهُ. لكننا نلبث دايماً ذايبين بحسدنا ; لان ليس داء اشرّ من داء الحسد . من شانهِ لكي يهلك غيرهُ . يهلك ذاتهُ معهُ *عين الحاسد تذوب بالحزن . يعيش بموتٍ دايم . يحتسب كل الناس الذين ماظلموهُ ظلماً اعداءهُ * يتوجع لان الله يكرم * يفرح بكلما يفرح ابليس المحال بهِ * فلان قد أُكرم عند الناس ; الاّ ان هذه ليست كرامة . فلا تحسدهُ *لكنهُ عند الله قد أُكرم ; فماثلهُ . وصِر شبيهاً بهِ * لكنك ما تريد ; فما رايك في ان تهلك ذاتك ; ماغرضك في ان تطرح ما هو لك ; اما تقدر ان تصير عديلاً لذاك . ولا تستمد عزماً جيداً ; فما بالك تتخذ عزماً ردياً ; قد كان واجباً ان تفرح معهُ . لكي ان كنت ما تستطيع ان تشارك اتعابهُ . تربح من سرورك معهُ * لان عزمنا واختيارنا يكفينا في جهاتٍ كثيرة في اختراعهِ لنا حظاً صالحاً عظيماً * فقد قال حزقيال ,, لهذا السبب عوقب اهل مواب . بسبب شماتتهم لبني اسرايل . (حزقيال ص ٢٥ ع ١٢) واستخلص اناسٌ غيرهم . لانهم تحسرّوا للبلايا ونوايب اناسٍ آخرين * فان يكن توجد تسلية نافعة للذين يتحسرون لآفات اناسٍ آخرين ومصايبهم . فاليق واوجب ان يوجد للذين يلتذون ويُسَرُّون بكرامات اناسٍ آخرين تسلية نفيسة * فقد شكي اهل مواب لانهم شمتوا بالاسرايليين . على ان الله عاقب بني اسرايل * الاّ انهُ ليس يشاء اذا عاقب هو قوماً . ان نشمت نحن بالذين عوقبوا . لانهُ هولاء يشاء ان يعاقبهم * فان كان يجب علينا ان نتوجع للذين عوقبوا . فاليق بنا واوجب ان لا نحسد الذين قد أُكرموا * فعلى هذه الجهة هلك قورح . وايضاً داثان وشيعتهما . اذ صيّروا الذين حسدوهم ابهى حالاً . ودفعوا ذواتهم الى العقوبة * لان الحسد وحشٌ نافثٌ سمّاً . وحش نجس . ورذيلة اختيارنا لن تمتلك عفواً . رذيلة عديمة الاعتذار . علة الافعال الردية كلها وامها * فلذلك ينبغي لنا ان نقتلع اصلهُ ونستاصلهُ . لكي نخلص من النوايب الردية الحاضرة * ويتفق لنا امتلاك النعم الصالحة المأمولة المستانفة * بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي بهِ ومعهُ لابيهِ المجد مع الروح القدس . الان ودايماً . والى اباد الدهور امين *

تم الجزء الثاني ويتلوهُ الجزء الثالث

المقالة السادسة والخمسون

الاصحاح التاسع في قوله (١) وفي اجتياز يسوع ابصر انسانًا ضريرًا منذ مولده * (٢) فساله تلاميذهُ وقالوا . يامعلم مَن اخطى هذا . ام والداه . حتى ولد ضريرًا :

وعند اجتياز يسوع ابصر انسانًا ضريرًا منذ مولدهِ * لم يزل متعطفًا علينا جدًا . مهتمًا بخلاصنا . مريدًا ان يسد افواه الابريا من الحفاظ والموالاة . وما يتخلف عن فعل من الافعال التي نودينا اليه * فان لم يوجد مَن يصغى اليهِ * وهذا الفعل منهُ اذ عرفهُ النبي قال .. لكي يتحقق عدالك في اقوالك . وتقهر في حكومتك * " (مزمور ٥٠ ع ٥) لهذا السبب اذ ما قبلوا ههنا اللفظ العالي من اقواله . لكنهم سموهُ متشيطنًا . وراموا ان يقتلوهُ . خرج من الهيكل . فشفى ضريرًا * مسليًا بابتعادهِ عنهم غضبهم . مليّنًا باصطناع هذه الآية عزمهم القاسي الجافي . محققًا اقوالهُ التي قالها * واجترح آيةً لم تكن حقيرة * لكنهُ اجترحها حينيذٍ بديعة اولى * لان قد قال قايلٌ منهم .. منذ الدهر ما سمع ان احدًا فتح عيني مولود ضريرًا * " لان قد فتح احد لعلهُ عيني اعمى . وما فتح احد عيني مولودٍ ضريرًا مكفوفًا * والدليل على انهُ خرج من الهيكل وجاء باستعدادٍ الى عمل هذه الآية . فواضح من تلك الجهة * لانهُ هو ابصر الاعمى : ليس الاعمى تقدم الى حضرتهِ * وعلى هذا النحو ابصر باسراعٍ * على نحو ما خوّل التلاميذ حسًا منهُ . افضوا بهِ الى السوال * لانهم لما ابصروهُ مصغيًا اليهِ بحرصٍ واسراع . استخبروهُ قايلين .. مَن اخطى هذا . ام والداهُ : " فسوالهم ذو غلطٍ * لانهُ كيف اخطى قبل ان يولد : وكيف اذ اخطى والداه عوقب هو : فان قلت . من اين افضوا الى هذا السوال : اجبتك لما شفى المخلع قبل هذا . قال لهُ .. ابصر . قد صرت مصححًا . فلا تخطين ايضًا * " (يوحنا ص ٥ ع ١٤) فهولاء اذ اخطروا ببالهم . ان ذلك تخلع جسمهُ لاجل خطاياهُ . فقالوا . فلنعتقد ان ذاك بسبب خطاياهُ تخلع جسمهُ . فما الذي يقولهُ في حال هذا : افهذا اخطى : الّا ان هذا القول ليس يتجه ان يقال . لانهُ من مولدهِ هو اعمى * افوالداه اخطيا : لكن ولا هذا القول ينساغ ان يقال . لان ابنًا ليس يتكبد عقوبةً من اجل ابيهِ * فكما اننا اذا راينا صبيًا مضنوكًا بوجع نقول . ما الذي يقولهُ قايلٌ من جهة هذا : وما نسال ما الذي عملهُ هذا الصبي : لكننا نتحير في حالهِ * فكذلك

تلاميذ ربنا . ما قالوا هذا القول سايلين هذا السوال . لكنهم سالوه حايرين * فقال لهم المسيح .
(٣) «ما اخطى هذا . ولا والداه * " هذا القول قاله ليس مبرِّيًا اياهم من الخطايا * لانه ما قال على بسيط
ذات القول . ما اخطى هذا . ولا والداه . لكنه استثنى بقوله لكي يولد مكفوفًا . لكي يمجَّد ابن الله * لان
هذا لعمري قد اخطى ووالداه . الّا ان عماه (زعم) ليس هو من الجهة * فقال هذه الاقوال ليس
مظهرًا هذا القول . ان هذا ما عمي على هذه الجهة . واناس آخرون عموا من تلقاء هذه الاسباب
لاجل خطايا والديهم * لان ليس يجوز ان يُعاقب احدٌ اذا اخطى آخر . والّا فان سلّمنا هذا الحكم .
فسيُسلَّم ذاك الوهم انهُ اخطى قبل كونه * فكما انهُ لما قال ما اخطى هذا ولا والداه . ليس يقول
هذا القول . انهُ قد يجوز ان يخطي منذ مولده وان يُعذَّب * فكذلك لما قال ولا والداهُ . ما قال
هذا القول . انهُ قد يجوز ان يعذب لاجل والديه * لانهُ بلسان حزقيال قد ازال هذا التوهم .
اذ قال .. حيٌّ انا يقول الرب . ان يكن هذا المثل القائل . الاباء آكلوا الحصرم . واسنان
اولادهم ضرست * (حزقيال ص ١٨ ع ٢) وقد قال موسى . ليس يموت ابٌ عن ابنه * " (تثنية
ص ٢٤ ع ١٦) وقال في ذكر ملكٍ وَصَفَهُ ,, انهُ لهذا السبب ما عمل هذا العمل اذ حفظ
شريعة موسى * (ملوك ثاني ص ١٤ ع ٦) فان قال قائل . فكيف قيل هو الذي يصدر خطايا
الوالدين الى اولادهم . الى جيلٍ ثالث ورابع : نقول لهُ ذلك القول . ان هذه القضية ليست
كلية . لكنها انما قيلت في اناس من الذين خرجوا من مصر * فالذي يقوله معناهُ هذا هو . اذ كانوا
لما خرجوا من مصر . فصاروا بعد ايات وعجايب ابصروها . اشرَّ من والديهم واجدادهم . الذين
ما شاهدوا صنفاً من هذه العجايب . سيقاسون (زعم) تلك النوايب باعيانها . التي قاساها اوليك .
اذ قد تجاسروا على هذه الاعمال باعيانها * والدليل على ان هذا القول في ذكر اوليك قيل . اذا
تصفح متصفح القول في هذا الموضع سيعرف ذلك ابلغ معرفة * ولقايل ان يقول . فلم وُلد اعمى :
فنقول لهُ . لكي يظهر مجد الله * وها قد عرض هٰهنا شك آخر ايضاً . ان كان خلواً من تعذيب هذا
الاعمى لم يكن ممكناً ان يظهر مجد الله . فقد استبان كثيراً انهُ ما قال هذا القول انهُ ليس ممكناً ان
يظهر . لانهُ قد قال ممكن ان يظهر . لكنهُ انما قيل لكي يظهر في هذا * ولعلك تقول . فما رايك : فهل
ظلمٌ ظُلِمَ لاجل مجد الله . فاقول لك . قل لي . ايما ظلم ظُلم . ان كان ما شاء بجهة من الجهات ان

يستخرجه الى الوجود : وانا اقول . انهُ قد احسن اليهِ من تلقاء عماه * لانهُ قد اعاد بصر الحافظه الباطنة * لان ما المنفعة التي حصلت لليهود من عيونهم : لانهم حازوا تعذيباً اعظم * اذ عميوا في معاينتهم . وما الضرر الذي حصل لهذا من عمايته لانهُ ما ابصر : وكما ان الافات التي في هذه الدنيا الحاضرة ليست افات . كذالك ولا الحظوظ الصالحة في هذه الدنيا حظوظ صالحة * لكن الخطية وحدها هي الآفة الردية * والعمى ليس هو نايبة ردية * لان المستخرج الى الوجود ما ليس موجوداً يمتلك سلطاناً ان يتركهُ على هذا الحال * ولقد قال قايلون ان عقد هذا الفعل ليس هو واصفاً للعلة والسبب . لكنهُ مناسبٌ لنفوذ الفعل الى غايتهِ * (حاشية * يعني بهِ حرف التعليل الذي هو اللام) مثال ذلك على نحو ما اذا قال .. لانصاف جيت انا الى هذا العالم . لكيما يبصر الذين لا يبصرون * والباصرون يصيرون عمياناً * " (يوحنا ص ٩ ع ٣٩ مع انهُ ما جاء الى العالم لهذا الغرض . لكي يصير الباصرون عمياناً * وايضاً قد قال بولس .. لان المعرفة من الله هي ظاهرة فيهم . ليكونوا فاقدي الاحتجاج * " روميه ص ١ ع ١٩) على انهُ ليس هذا الغرض اظهر ذلك لهم . لكي يعدموا الاعتذار * لكنهُ انما اظهرلهم ذلك ليتفق لهم امتلاك اعتذار * وقد قال في موضع آخر .. ان الشريعة دخلت . لتكثر الهفوة * " (روميه ص ٥ ع ٢٠) على ان الشريعة ما دخلت لهذا المعنى . لكنها انما دخلت لكي تمنع الخطية بها * أرأيت في كل مكان ان عقد الفعل (ابيبرنيا) انما هو موجود من نفوذ الفعل الى غايتهِ : لان مثل بناء منزل حاذق . ابتنى بعضهُ * وترك بعضهُ عديماً للتمام . حتى يخجع عند منكري ابتنائهِ بالباقي من البناء عن جملتهِ * فكذلك فعل الهنا . الصق جسمنا بمنزلة بيت متخلخل وتممهُ . اذ شفى اليد اليابسة منهُ . وشدد الاعضاء المتخلعة . وقوَّم العرجان . ونقى البرصان . وانهض السقمى وصحح الارجل العاطلة . ودعا الموتى من الموت . وفتح العيون المتغمضة . وجعل العاهات كلها الموجودة في الضعف المناسب طبيعتنا . ليست موجودة * ثم اذ تلافاها . بيَّن قدرتهُ * فاذ قال لي ليظهر مجد الله . قال هذا القول من اجل ذاتهِ . ليس من اجل ابيهِ * لان مجد ابيهِ ظاهر * لانهم لما سمعوا ان الله ابدع الانسان اذ اخذ تراباً من الارض . لهذا السبب خلق هو على هذه الجهة * لانهُ لو كان قال انني انا هو الذي اخذت تراباً من الارض وخلقت الانسان . قد كان يظن عند سامعيهِ انهُ مضادٌ للصدق * فاذ جعل هذا القول بفعلهِ مبيناً واضحاً . فليس يجتهد ايضاً من اجل

تحقيقه* فلهذا الغرض اخذ هو ترابا وعجنه بريقه . وعلى هذا الحال اظهر مجده المستور* ولعري ان استشعاره مبدعا للخليقة . ليس مجدا يسيرا* لان من هذا الاستشعار انتظمت العزايم الاخر الصايبة . وتحقق من الجزء الكل *لان التصديق الاعظم حققه الفعل الادنى* لان الانسان اكرم من الخليقة كلها قدرا . والعين اكرم الاعضاء التي فينا محلا* ولهذا السبب خلق عينيه ليس على بسيط ذات ابداعها . لكنه خلقهما بذلك الحال* لان العين وان كانت عضوا صغيرا في عظمه . الا ان الضرورة داعية اليها النهم ضرورة من جسدنا كله* وهذا المعنى قد اوضحه بولس وقال . "ان قال سمعنا لست اوجد عينا . فلست موجودا من الجسد : فليس من هذا القول ليس هو من الجسد* " (قرنثية اولى ص ١٢ ع ١٦) لان الاعضاء كلها التي فينا هي برهان لحكمة الهنا* والعين اوجب واليق ان تكون برهانا لحكمته* هذه العين تدبر جسدنا كله . وهي تزين وجهنا . وهي تخترع الحسن لجسمنا كله . وهي سراج لاعضائنا كلها* وما هي الشمس في المسكونة . هذا هو العين في جسدنا* اذا طفيت الشمس فقد اهلكت البرايا كلها وارجفتها . وان طفيت عينا احدنا . فرجلاه قد زال الانتفاع بهما . وعطلت يداه ونفسه . لان معرفته تباد وتهلك . اذا عميت عيناه* لاننا بهما عرفنا الله* .. لان خواصه الفاقدة ان تكون ملحوظة . من ابداع الدنيا تبصر في مصنوعاته . اذا تفطنا فيها* " (رومية ص ١ ع ٢٠) فعينانا اذا ليست سراجا لجسمنا وحده . لكنها مع ذلك سراج لنفسنا قبل جسمنا* ولهذا مكثت كفي صقع ملكه . اذا حصلت لها المحلة العلية . وجلست فوق الحواس الاخرى . هذه العين خلقها ربنا* ثم حتى لا نظن انه يحتاج اذا ابدع الى مادة* ولنعلم انه ولا في الابتدا احتاج الى التراب* لان من استخرج الجواهر الاعظم من غيرها . ولم تكن موجودة . فاليق به واولى ابدع هذه العين خلوا من مادة . ولتعرف انه عمل هذا العمل ليس لاجل حاجته اليه . لكنه عمل معرفا بذاته انه هو الخالق في الابتداء* (٦) .. قال للاعمى لما لطخ عينيه بالطين . (٧) اذهب اغتسل* " لكي تعرف . انني لست احتاج الى الطين في ابداعي العينين . لكن ليستبين فيه مجدي* لان الدليل على انه في ذكر ذاته قال هذا . يبين من انه اذ قال ليظهر مجد الله . استثنى بقوله (٤) .. ينبغي لي ان اعمل اعمال مرسلي* " ومعنى هذا هو . ينبغي لي ان اظهر ذاتي . واعمل الايات المقتدرة ان تظهرني . عاملا الاعمال باعيانها التي لابي* ليس عاملا نظير اعماله . بل عامل الاعمال

باعيانها التي لابي * وهذا فهو اعظم من الاتفاق معهُ وزوال التخالف . الذي يُقال على الذين ما يتباعدون ولا حينًا يسيرًا * لان مَن يُعاند نظرهُ فيما بعد . اذ ابصرهُ مقتدرًا على الافعال باعيانها التي لابيهِ * لانهُ ما خلق عيني الضرير فقط . ولا فتحهما . لكنهُ وهب لهُ ان يبصر بهما . وذلك فهو دليلٌ على صحة النفس فيهِ * لان نفسنا اذا لم تكن فاعلة . ولو كانت عيننا صحيحة . لما ابصرت في وقتٍ من الاوقات شيأ . فيجب من ذلك انهُ وهب لهُ فعل نفسهِ . وخوّلهُ عينيهِ حاوية كافة افعالها . مالكة اورادها . واعصابها . وعروقها . ودمها . والاصناف الأُخر كلها . التي منها تركب جسمنا لنا * ‹‹ قال يجب عليَّ ان اعمل ما دام يوجد نهار ›› فان قلت . وما الذي ترتابهِ هذه الالفاظ : واي نظام تحويهِ : اجبتك . تحوي نظامًا كثيرًا . لان القول الذي قد قالهُ معناهُ هذا هو . ما دام يوجد نهار . ما دام يتساغ للناس ان يومنوا بي . ما دام هذا العمر ثابتًا . ينبغي لي ان اعمل ‹‹ فسيجي ليلٌ * ›› وهو الزمان المستانف حين ليس يمكن احد ان يعمل * ومعنى ذلك هو . حين ما توجد امانة ايضًا . ولا التقلب . ولا توبة . والدليل على انهُ يدعو الامانة بهِ فعلاً . فواضح من قولهِ لهُ ‹‹ ماذا نعمل لكي نعمل اعمال الله : فقال لهم هذا هو عمل الله . ان تومنوا ‹‹ بمن ارسلهُ الله * ›› ولعلك تقول . وهذا العمل كيف ليس يمكن احدٌ ان يعملهُ : اجبتك . لان ليس يوجد حينيذٍ امانة . لكنهم يطيعون طايعين وكارهين . لان حتى لا يقول قايلٌ انهُ يعمل اعمالهُ كلها مهتمًا بهم . ههنا فقط يتملكون سلطانًا ان يومنوا . وما يقتدرون ايضًا هناك ان يستثمروا شيأ . ولهذا الغرض ما عمل ما عملهُ لما تقدم الضرير الى حضرتهِ * ولعمري ان الدليل على انهُ كان موهلاً للشفا . وانهُ لو ابصر لامَنَ وتقدم الى حضرتهِ . ولو سمع من احد الناس حاضرًا لما كان صحح على هذه الجهة . فواضح فيما بعد . من شجاعتهِ . من امانتهِ بعينها * لان قد كان واجبًا ان يفتكر ويقول . ما هو هذا الفعل : عمل طينًا وطلى بهِ عيني . وقال لي اذهب واغتسل * فما كان قادرًا ان يشفيني ويرسلني بعد ذلك الى سلوان : فقد اغتسلت هنالك دفعاتٍ شتى مع اناسٍ آخرين كثيرين . وما تمتعت بحظٍ صالح * لو كان هذا قد ملك اقتدارًا على شفاي . لكان قد شفاني حاضرًا لديهِ * وهذا القول قد قالهُ نعمان لليشع . لان نعمان اومران يمضي يستحم في الاردن . فما صدّق انهُ يبرا . (ملوك رابع ص ٥ ع ١١) مع ان الوصف الذايع عن اليشع كان جزيلاً تقديرهُ * الا ان هذا الاعمى ما زال تصديقهُ . ولا راد سيدنا . ولا

الحاجة الى اهتمامك : ذاك يجمع كافة الحوايج وينشي المنزل لك * وليس هذا وحده هو المستعجب منهُ . لكن العجب من ذلك . انهُ يبنيه على هذا النحو الذي يبلغ فيهِ الى ان يوجد مرضياً لك . والذي ما يقال يوجد فايقاً على ان يكون مرضياً لك . وازيد حسناً مما يزيد * لانهُ صانع فاضل حاذق مهمّها يوافقك جدّاً * وان كنت فقيراً . وتشاء ان تبني لك منزلاً هذه صفتهُ . فليس يصدر اليك حسد . ولا يتولد عليك بحلٍّ بهِ * لان ما يبصرهُ احد من العارفين ان يحسدوا . لكن الملايكة العارفين ان يفرحوا بنعمك الصالحة يبصرونه * وليس يقتدر احدٌ ان يزيغ حدهُ . ولا يستطيع احد من السقى بهذه الاسقام ان يسكن حولهُ * هنالك تمتلك القديسين جيرانك . الذين يعادلون بطرس وبولس والانبيا والشهدا . ووسط الملايكة . ورؤسا الملايكة * فلاجل هذه الفوايد كلها يجب علينا ان نفرغ للفقرا كل ما يوجد لنا * ليتفق لنا امتلاك تلك النعم * التي فليتفق لنا كلنا امتلاكها * بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفهُ . الذي بهِ ومعهُ لابيهِ مع الروح القدس المجد الى اباد الدهور امين

المقالة السابعة والخمسون

في قولهِ (٦) اذ قال يسوع هذه الاقوال . بصق على الارض . وصنع طيناً من ريقهِ . ولطخ الطين على عيني الاعمى * وقال (٧) امضِ اغتسل في بركة سلوان *

الذين يعتزمون ان يستثمروا نفعاً من الاقوال المقروة . فما ينبغي لهم ان يتجاوزوا لفظة يسيرة من الالفاظ التي تُقال . لان لهذا السبب اومرنا ان نتصفح الكتب * اذ اقوال كثيرة ولا سيما التي قد قيلت الان . نظن انها سهلت المآخذ . الا انها تحوى معناها كثيراً . مخزوناً في قعرها * لان ابصر اللفظ الحاضر ما هو معناهُ * لان البشير قال .. واذ قال يسوع هذه الاقوال . بصق على الطين * وان سالت ما هي هذه الاقوال : اجيبك . هي قوله .. لكي يظهر مجد الله . وانهُ ينبغي لي ان اعمل اعمال مرسلي * " لان البشير ما اذكرنا بالالفاظ التي قيلت على بسيط ذات الاذكار . واستثنى البشير بانهُ بصق . لكنهُ انما ذكرنا بها . موضّحاً انهُ حقق كلامهُ بافعالهِ . وان سالت . فلم ما استعمل ماء في الطين الذي اصلحهُ . لكنهُ استعمل ريقهُ : اجيبك . لانهُ اعتزم ان يرسلهُ الى سلوان . فلكيلا ينسب الشفاء الى الينبوع . لكن لكي تعرف ان القوة البارزة من فمهِ . هي التي ابدعت عينيهِ

الغفيره وفتحهما . بصق على الارض * وهذا المعنى لما دلَّ عليهِ البشير قال ,, وعمل طيناً من بصاقهِ * ,, ثم لكيلا يتوهم الابداع يوجد الى الارض . آمرهُ ان يغسل عينيهِ . فان قلت . فلمَ ما عمل هذا العمل في الحين . لكنهُ ارسلهُ الى سلوان : لتجيبك لتُعرف امانة الاعمى * لكي تصمت مكابرة اليهود * لان واجباً كان ببصرة كل من التقاهُ ذاهباً الى العين . مشتملاً الطين ملطوخاً على عينيهِ * لان بمعجزة العجيبة استمال كل مَن ابصرهُ الى معاينتهِ مَن الذين كانوا يعرفونهُ والذين كانوا يجهلونهُ . واصغوا اليهِ اصغاء مليغاً * لان اذ لم يكن متيسراً . ان يعرفوا اعمى قد عاد بصيراً . جعل اناساً كثيرين اولاً ان يصيروا بطول الطريق الى العين . شهوداً ومعاينين بليغين الاستقصاء لمعجز المنظر . حتى اذا صاروا اوفر اصغاء اليهِ . لايمكنهم ايضاً ان يقولوا هذا هو . هذا ليس هو * ومع هذه الاغراض ارتاد ان يصلح ذلك الغرض . انهُ ليس هو مغترباً من الشريعة ومن العهد العتيق * لذ ارسلهُ الى سلوان * لانهُ ما كان يمكنهم بعد ذلك لمن يظنوا ذاك الظن . فيقولوا لعل سلوان تستمد شرف الشفاء * لان اناساً كثيرين قد اغتسلوا فيها في اوقات كثيرة وغسلوا عيونهم هنالك . فما استمتع احد منهم بهذا الشفاء * لان هنالك كانت قدرة المسيح العاملة كافة العجايب * ولهذا المعني زادنا البشير ترجمتها * لانهُ لما ذكر سلوان . اضاف الى قولهِ ,, التي هي المرسلة . ,, لتعلم ان المسيح ابراهُ هناك . على ما ذكر بولس ,, انهم شربوا من صخرة روحانية تابعة . والصخرة فكانت المسيح * ,, (قرنثية اولى ص ١٠ ع ٤) فكما ان المسيح كان صخرة روحانية . فكذلك كانت سلوان روحانية * وعلى ما يلوح لظني . ان مسارعة حضور مائها يصف لنا سرًّا يعجز التكلم بهِ وصفاً خفياً . وهو خاصة ظهورهِ لنا الفاقدة انتظارها . المتجاوزة كل امل * لكن ابصر عزم الاعمى الطايع في كل ما عرض لهُ * لانهُ ما قال . ان كان الطين والبصاق هو الذي يخولني عيني . فما حاجتي الى عين سلوان : ما الحاجة الى الطين : ولمَ لطخهُ : ولِمَ امرني ان اغسلهُ : الَّا انهُ ما افتكر بفكرٍ من هذه الافكار . لكنهُ استعد الى فعل واحد هو وحدهُ . ان يقبل من امرهِ كل ما يامرهِ بهِ . وما شكك في صنفٍ من الاصناف الحادثة * فان قال قايل . فكيف ابصر حين اطرح الطين : فليس يسمع منا الَّا . اننا لسنا نعرف الحال في ذلك * وما استعجابك ان كنا ما نعرف ذلك : لان ولا البشير عرف ذلك . ولا المشفي بعينهِ . لكنهُ قد عرف ابصارهُ الكاين . وما اقتدر ان يعرف ما الحال في ذلك * وهذا فقد قال لهُ لما سُئل ,, انهُ وضع على عيني طيناً . وغسلتهُ

وها انا ابصر* " وما انساغ لهُ ان يقول كيف يكون هذا العجب. ولو كانوا سالوهُ دفعاتٍ شتى* وقد
قال البشير (٨) .. ان جيران الضرير والذين كانوا قد ابصروهُ مكديًا . قالوا . أليس هذا هو
الذي كان جالسًا ومكديًا : (٩) وقال اخرون هذا هو* " لان معجز بروءِ الكاين . اقتادهم الى
انكارهِ* على ان قد دُبّر في حال بروئهِ . افعالاً جزيلاً تقديرها . ليلاً ينكروا شفاءهُ فقد قال قايلون
.. اما هو هذا الجالس كان مكديًا : " فيا للعجب من تعطف الهنا . الى اين انحدر . اذ ابراها لمكديين
بودهِ الخالص الجزيل . مبكمًا اليهود في هذه الجهة* لانهُ قد اهل لهذه العناية . ليس الابهاء في
احوالهم . ولا للظاهر شرفهم . ولا للروساء . لكنهُ اهلها للكديين وللخاملين الحظ* لانهُ انما جاء لخلاص
الناس كلهم* وما حدث في بروء المخلع . هو حدث في شفاء هذا الضرير . لان ذاك المخلع ما عرف مَن
هو الذي شفاهُ . ولا هذا الاعمى عرفهُ . وحدث هذا . بسبب انصراف المسيح . لان يسوع كان دايمًا
اذا شفى . انصرف . لكيما ينتزع من اياتهِ كل توهم* لان الذين ما عرفوهُ مَن هو . كيف كانوا يتحمدون
اليهِ . ويصلحون ظن غيرهم فيما يعملهُ : ولعمري ان هذا الضرير ما كان من الجوالين لكنهُ كان من
الجالسين عند ابواب الهيكل . فلما ارتابوا كلهم في حالهِ . قال .. انا هو* " فما استخزى من عماهِ
الاول . ولا خشي غضب الجمع . ولا استعفى من اظهار ذاتهِ . لينادى بالمحسن اليهِ* (١٠) .. فقالوا لهُ
كيف انفتحت عيناك : (١١) قال لهم انسان يُسمّى يسوع* " وانا اقول . ماذا يقول : ايعمل
انسانٌ هذه الاعمال وامثالها : ولكنهُ ما عرَف من اجلهِ بعد وصفًا عظيمًا* .. عمل طينًا ولطخ بهِ
عيني* " وابصرهُ كيف هو صادق . ما قال من اين صنع* لانهُ لم يقُل الذي ما عرفهُ . لانهُ ما
عرف انهُ بصق على الارض* لان قولهُ انهُ لطخ عيني . انما عرفهُ بجسهِ بهِ وبلمسهِ* .. وقال لي اذهب .
اغتسل في عين سلوان* " وهذا القول سمعهُ شهد لهُ بهِ* وانما عرف نغمتهُ من مخاطبتهِ تلاميذهُ*
واذ قال هذه الاقوال كلها . وتسلّم الشهادة بالافعال . ما امكنهُ ان يصف حال ابصارهِ* ولئن كان
يحتاج في الافعال المحسوسة الملموسة الى امانةٍ . فاليق واوجب ان يحتاج في الافعال الفاقدة ان
تكون ملحوظة الى امانة وتصديق* (١٢) .. فقالوا لهُ واين هو ذاك : فقال لستُ اعرف* " فقالوا
اين هو ذاك . رافعين اصواتهم عليهِ* وابصر اجتناب المسيح المباهاة والتخيم ! كيف ما حضر عند
الذين شفاهم* لانهُ ما ارتاد ان يستثمر شرفًا . ولا يقتاد رهطًا* ولا اثر ان يتظاهر . وانظر الى الاعمى

كيف يجاوب اجوبته كلها بايثار الصدق · ارادوا ان يصادفوا المسيح · ليقتادوه الى كهنتهم * واذ لم يتفق لهم وجوده · اقتادوا الاعمى الى الفريسيين · من طريق انهم يسالونه ابلغ السوال واوكده * ولهذا السبب بيّن البشير المعنى · فقال ،، انه كان سبتاً * " ليوضح عزمهم الخبيث · والعلة التي لاجلها التمسوه * كانهم قد وجدوا عليه نكتة · وقد اقتدروا ان يثلبوا عجيبته بالمخالفة المظنونة انها خلاف الشريعة * وهذا بيّنٌ من انهم معاً ابصروا · ما قالوا قولاً آخر سوى ،، كيف فتح عينيك : " وانظر كيف قالوا · لانهم ما قالوا كيف ابصرت : لكنهم قالوا كيف فتح عينيك : مخوّلين اياه سبباً لثلبه اياه على عمله * فخاطبهم هو كمن يخاطب سامعيه باوجز الخطاب * لانه ما ذكر لهم اسم ربنا · ولا قال انه قال لي ،، اذهب اغتسل * " بل في الحين قال · (١٥) ،، وضع على عيني طيناً · وغسلته · وهنذا ابصر * ،، من طريق ان تجنيهم عليه كان فيما سلف كثيراً * اذ قال اوليك · انظروا آية اعمال يعملها يسوع · يلطخ طيناً في يوم السبت * وتامل انت كيف ما ارتجف الاعمى * لانه لو كان سُيِّل بحضرة اوليك · فقال خلواً من خطر · لما كان قوله الحق مستعظماً على هذه الجهة * لكن المستعجب منه الان : هو انه حصل في خوف اكثر تاثيراً · فلم ينكر ولم يقل اقوالاً مضادة لاقواله الاولى * ولعمري ان الفرسيين والناس الاخرين ساقوا الضرير على ان يكون جاحداً شافيه · فاصابهم مالم يريدوه · بخلاف املهم * وعرفوا عجيبة سيدنا ابلغ معرفة * وهذا المصاب قد صابهم في كل موضع من اياته * وسنبين هذا اوضح بياناً في الاقوال التي نتلو هذه * الا ان اقواماً من الفريسيين ليس كلهم · لكن الاكثرين فيهم تحيروا · وقالوا (١٦) ،، هذا الانسان ليس هو من الله · لانه ليس يحفظ السبت * وقال آخرون كيف يمكن انساناً خاطياً · ان يخترع ايات هذا المحل محلها : " أرايت انهم من اياته انقادوا : لان الذين ارسلوا قبل هذا ليحضروه · اسمع ما قد قالوه الان * وان كانوا لم يقولوا هذا القول كلهم · لانهم كانوا روساء قد كردسهم حبهم التشريف الى زوال التصديق * ومع ذلك فقد آمن به كثيرون من الروساء * ،، الا انهم ما اعترفوا به * " وشعبهم الجزيل فكان يتيسر الاهوان به · من طريق انه ما يستكمل في مجمعهم فعلاً عظيماً * واما روساهم فكانوا معظمين عندهم كثيراً * فكانت مجاهرتهم بالايمان اصعب الاشياء عليهم * لان بعضهم ضبطهم عن ذلك حبهم الرياسة * وبعضهم امسكتهم جبانتهم وخيفتهم من الكثيرين * ولهذا قال لهم ،، كيف يمكنكم ان تومنوا · مع استمدادكم

التشريف من الناس ؛ " فهولاء اذاً التمسوا ان يقتلوهُ على جهة الظلم . قالوا انهم من الله * وشافي العميان ليس ممكناً ان يوجد من الله . بسبب انهُ ليس يحفظ السبت * فعاند هذه الاقوال هولاء بقولهم .. ان خاطياً ليس يستطيع ان يعمل ايات هذا المحل الجليل محلها * " واوليك صمتوا عن العجيبة الكاينة صمتاً يناسب مكرهم . واحضروا الى الوسط الفعل المظنون انهُ معصية * لانهم ما قالوا انهُ ما لك تبرّي في السبت ؛ لكنهم قالوا ما يحفظ السبت * وهولاء ايضاً قالوا قولاً ضعيفاً * لان واجباً كان ان يثبتوا كيف ليس يحل السبت * فهم يتايدون من اياته فقط . وذلك بواجب * لانهم توهموهُ ايضا يوجد انسانا . والاّ فلو لم يكن هذا ظنهم فيه . لكان قد انساغ لهم ان يحتجوا على جهةٍ اخرى . بانهُ كان رباً للسبت . وانهُ هو خلق السبت * الاّ انهم ما كانوا بعد قد امتلكوا هذا العزم * ولا اجترى واحد منهم ان يقول ما ارتاهُ فيه قولاً ظاهراً . ولا يورد ذلك في قضية جاذمة . لكن في مساترة وارتياب * فمنهم مَن فعل ذلك . لاجل عزمهِ المسلوب ان يكون مجاهراً * ومنهم مَن فعلهُ حباً للرياسة .. وصار فيهم انشقاق * " وهذا الانشقاق ابتدا في الشعب اولاً . ثم حدث اخيراً في روسايهم * .. فاوليك قالوا انهُ صالح هو * وآخرون قالوا لا * لكنهُ يخدع الشعب * " أرايتَ كيف صاروا الروساء اعدم من الكثيرين فهماً . لما تحزبوا اخيراً ؛ ولكنهم بعد تحزبهم ايضاً . ما اظهروا عزماً جليداً . لما ابصروا الفريسيين ثابتين على حالهم * فلو انهم كانوا تحزّبوا تحزّباً ما . لكانوا قد عرفوا الحق سريعاً * لانهُ قد يوجد انفصال محمود * ولذلك قال هو .. ما جيتُ القي على الارض سلامتاً لكن سيفاً * " (متى ص ١٠ ع ٣٤)

العظة السابعة والخمسون

في انهُ يجب علينا ان نهرب من الاشرار الفاقدين اصطلاحهم . ولا نشكك احداً *

لان قد يوجد ايتلاف جيد . ويوجد انفصال محمود * وبيان ذلك . ان الذين ابتنوا البرج ايتلفوا على فعلٍ ضارٍ لانفسهم * وهم باعيانهم ايضاً تفرقوا مع ذلك كارهين * الاّ انهُ تفرّق لما يوافقهم * وقورح ورهطهُ ايتلفوا ايتلافاً ردياً * ولذلك تحزّبوا تحزباً جيداً * ويودس ايتلف باليهود ايتلافاً ردياً * ويوجد انفصال على جهة الصواب * ويوجد ايتلاف على جهةٍ ضارّة * ولهذا السبب قال متى .. ان

فتنتك عينك فقورها*وان فتنتك رجلك فاقطعها * " (متى ص ٥ ع ٢٩) فان كان يجب علينا
ان ننفصل من عضونا. اذا كان انتظامهُ بنا انتظامًا رديًا *فمن هذه الجهة ليست الالفة في كل موضع
جيدة .كما ان ولا المقاطعة (ايدياستاسيس) في كل موضع نافعة *هذه الاقوال لنهرب من الخبثاء.
ونسعى وراء الاخيار *ولئن كنا نقطع من اعضائنا العضو المتعفن المسلوب شفاؤهُ لخيفتنا ان لا يستمد
منهُ باقي جسمنا فسادهُ بعينهِ . وانما نعمل هذا العمل . لا مستحقرين ذلك العضو . لكننا نعملهُ مريدين
ان نحفظ باقي جسمنا * فاليق واوجب ان نعمل هذا العمل اضطرارًا . في قطع المنتظمين بنا في
الرذيلة عنا *لاننا ان كنا نقتدر ان نتلافى اوليك ونصلحهم . ولا نضر ذواتنا . فيجب علينا ان نعمل
كل ما يوصلنا الى ذلك *فان لبث اوليك عادمين ان يصطلحوا. او ضروننا نحن يلزمنا اضطرارًا
ان نقطعهم ونرميهم *فانهم طال ما رجعوا على هذه الحال اكثر ربحًا * ولهذا السبب يوصينا بولس هذه
التوصية اذ يقول .. انتزعوا الخبيث منكم باعيانكم * " وقال .. لكي يستاصل من بينكم مَن عمل هذا
العمل * " (قرنثيه اولى ص ٥ ع ٢ ١٣) لان مقارنة الخبثا ومخالطتهم ردية ضارة * وليس بعجيب على
جهة المقايسة ان يتشبث الوباء. ويفسد الجرب افسادًا سريعًا. الذين يطيلون مقامهم مع المضنوكين
بسقمهما . مثل ما تفسد رذيلة الرجال الخبثاء افسادًا سريعًا . الذين يدوم مقامهم مع السقمى بها *
لان .. الاخلاق الصالحة . تفسدها الاحاديث الردية * " (قرنثيه اولى ص ١٥ ع ٣٣) وقد قال
النبي ايضًا .. اخرجوا من بينهم . وانفرزوا منهم * " (ارميا ص ١٥ ع ٦) فلا يستقنينَّ احدنا
صديقًا رديًا * لاننا ان كنا اذا امتلكنا بنين ارديا نشهرهم ونطردهم . وما نحتشم طبيعتنا . ولا نستحي
من شرايعها . ولا نهاب اضطرارها. فاليق واوجب انهُ يجب علينا . ان نهرب من اصدقائنا ومعارفنا
اذا كانوا اشرارًا خبثاء * لاننا وان لم نستمد منهم صنفًا من المضرة . فما نستطيع ان ننفلت من الظن
الخبيث بنا. لان الذين خارج محلتنا ليس من شانهم ان يستبحثوا عن عيشتنا . لكنهم يحكمون علينا
من المؤتلفين بنا *هذه الوصايا اوصي بها النساء والعذارى *فلنعملنَّ كل ما يمكننا . حتى لا نفتن قريبنا
الذي طبيعتهُ طبيعتنا * لان عيشتنا اذا كانت متقومة جدًا . وافادت اناسا آخرين شكًا وفتونًا .
فقد اهلكت كافة مقصودها *فان قلت . وكيف يتساغ ان يفتن العيشة المتقومة احد : اجبتك اذا
كوّنت فيها مخالطة الذين ليسوا متقومين ظنًا خبيثًا * لاننا ما دمنا ناتلف في الخبثاء الاشرار

واثقين بانفسنا. فسنفتن اناساً آخرين . وان لم ننتظر نحن ضرراً * هذه الاقوال اقولها للرجال والنساء وللعذارى * واهلهم ان يعرفوا بفطنتهم معرفة بليغة . كم بلايا ردية يتولد من هذه الجهة . لانني لست اتوهم توهماً خبيثاً * ولعسى ولا واحد غيري من الاكليين في الفضل يتوهم ذلك * ولكن الاخ الاوفر سذاجة ينضر بكمالك * ويجب عليك ان نعتني بضعفه ، وبمرض عزمه * وان كان هذا الاخ ليس ينضر . لكن الاوثاني ينضر * وبولس فقد اوعز الينا . ان نجتنب ان نوجد معثرين للاوثانيين واليهود ولكنيسة الله * " (روميه ص ١٢ ع ١٧) انا لست اتوهم توهماً خبيثاً من اجل البتول . لانني احب البتولية * والحب فليس يفتكر في التوهم الردي * انا لم اذل عاشقاً جداً لهذه الطريقة . ولست اقتدر ان افتكر فيها افتكاراً شنعاً * فكيف نحقق هذا العزم عند الذين خارج محلتنا . لاننا يجب علينا ان نعتني باوليك * فاننا على هذه الجهة نسوس احوالنا . لكيلا يساغ لاحد من الغير المومنين ان يجد علينا مضرةً واجبة * لان كما ان الذين قد اظهروا عيشةً منقومة يمجدون الله . فكذلك الذين قد اوضحوا عيشة مقاومة لتلك ردية . يجعلون الذين يعرفونهم ان يجدفوا عليه * لكن لا كان ان يوجد عندنا اناس هذه طريقتهم . بل فلتشرق على هذا المثال اعمالنا * حتى يمجد ابونا الذي في السموات * ولنستمتع منهُ بمجده . الذي فليتفق لنا كلنا امتلاكهُ . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي به ، ومعهُ لابيه المجد مع الروح القدس * الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الثامنة والخمسون

في قوله (١٧) فقالوا للاعمى ايضاً . انت ماذا تقول من اجله . لانهُ فتح عينيك . فقال . اقول انا انهُ نبي هو * (١٨) فما صدقت اليهود *

ما ينبغي لنا ان تتلو الكتب على بسيط ذاتها . ولا على جهة زايغة عن مقصودنا . لكن سبيلنا ان نتلوها بكافة الاستقصاء * حتى لا نتعرقل باستحواذ الجهل علينا * لان على جهة الواجب يتحير احدنا الان ههنا . كيف قالت اليهود . هذا ليس هو من الله . لانهُ ليس يحفظ السبت . وقد قالوا الان للاعمى . انت ما الذي تقول من اجله . لانهُ فتح عينيك . وما قالوا انت ماذا تقول من اجله . لانهُ قد نقض السبت . لكنهم قد وضعوا لفظ احتجاجهم بدلاً من وشاية به * فما الذي يتساغ في هذا المعنى

ان يقال : تقول ليس هولاء هم القايلين هذا ليس هو من الله . لكن هولاء الذين انشقوا منهم .
وقالوا - ليس يقتدر انسان خاطي ان يجترح ايات هذا المحل محلها * لانهم لايثارهم ان يطبقوا افواههم
المنكرة . ليلا يظنوا انهم يجحدون المسيح . . فاقتادوا الى وسطهم من قد استمد خبرة بقدرته وسالوه :
وابصر حكمة الفقير * لانه تكلم كلاما ابلغ فهما من هولاء كلهم * فقال اولا ،، انه نبي هو * " وما المزاعمة
لحكم اليهود الملتوين المرادين . القايلين كيف يمكن ان يوجد هذا من الله . وليس يحفظ السبت *
الحكمة قال نبي هو * ،، وما صدقوا انه كان اعمى وابصر . الى ان صوتوا بوالديه * " وتامل بحكم
خسوفيه يتعاطون ان يستروا العجيبة ويبطلوها * الا ان طبيعة الحق بعينها التي تظن عند الناس
ان يغتالوا بها عليها . بها تصير اقوى تاكيدًا . وبها تلمع بالحيل التي تستتر * لان لولا هذه الحوادث
حينئذ . لما كانت العجيبة قد عرض لها التوهم عند الكثيرين * وصاروا الان كقوم مسارعين ان
يجعلوا صدق العجيبة عاريًا * على هذه الجهة عملوا كل ما عملوه * وما كانوا عملوا ذلك على جهة اخرى .
لو كانوا عملوا من اجل المسيح كل ما عملوه * لانهم ارتادوا بقصدهم هذا ان يلقوه في الشك * اذ قالوا
،، كيف فتح عينيك : ،، ومعنى هذا هو : هل بسحر بليغ فتحهما : لانهم في مكان آخر اذ لم يتجه لهم
حيلة يحتالون بها . ارتادوا ان يبكتوا حال الشفاء . فقالوا ،، ليس يخرج الشياطين . الا
ببعلزبول * ،، (متى ص ١٢ ع ٢٤) وههنا اذ لم يملكوا قولا يقولونه ايضًا لجاوا الى الوقت * وقالوا
انه ينقض السبت * وقالوا ايضًا ،، انه خاطي هو * ،، مع انه قد سالكم بابلغ الاستقصاء قليلاً ،، من
منكم يبكتني على خطية : ،، فما تكلم احد منهم ولا قال انك تجدف . اذ تقول عن ذاتك انك بريء من
ان تكون خاطيًا * على انهم لو كان انساغ لهم قول يقولونه . لما كانوا صمتوا . لان الذين لاجل
استماعهم منه انه موجود قبل ابرهيم . رجموه بالحجارة . وقالوا انه ليس هو من الله * وهم الذين كانوا
قتلوا الناس بجموع ذواتهم بانهم من الله . والعامل هذه الاعمال النفيسة . لما شفى ضريرًا . قالوا ليس هو
من الله * لانه ليس يحفظ السبت . لو كانوا قد اتجه لهم عليه ظل زلة . ما كانوا الغوه ولا تجاوزوه . فان
كان لاجل هذا سموه خاطيًا . لاجل ظنهم انه يحل السبت . فقد استبان هذا السبب للمرتبين منهم
باطلاً * اذ لاموا ضيق نفسهم وكثرة بلادتهم * فلما انعقلوا . اذ استحوذ عليهم جهلهم من كل جهة . افضوا
بعد ذلك الى ظن آخر اكثر وقاحة واجزل جفاوة . وهو ما قيل عنهم . انهم ،، ما صدقوا انه كان

اعمى * وانظر كيف اشتكوا ربنا. انه ليس يحفظ السبت الأعلى ماهذا اشنيان. انهم انما اشتكوه. من طريق انهم قد صدقوا انه قد فتح عينيه. وكيف تصدر عند الشعب الكثير. واشنبان حاله عند جيرانه الذين عرفوه ولكن على ما قلت. ان كنتم في كل مكان سقط لذاته. بالحيل التي طلق بها انكشف الحق * واستبان الحق ابهى حسناً * وهذا فقد حدث الان * لان حتى لا يقول قليل. ان جيرانه والذين ابصروه. ما قالوا قولاً بليغاً في استقصاء وصفه. لكنهم شهروه سابقوا الى الوسط والديه. الذين بهما صيروا على كرامة منهم العجيبة الكاينة تستبين صادقة * لانهما قد عرفاه ولد اكثر من جميع الحاضرين * لانهم اذ ما امكنهم أن يزيلوه. لكنهم ابصروه مشيداً بالمحسن اليه بكافة المجاهرة. املوا وتوقعوا انهم من والديه ينكروا العجيبة * وابصر الى رداءة سوالهم. لانه قال انهم اقاموهما في الوسط. حتى يلقوهما في جهالة * واوردوا سوالهم اليهما بمنازعة كثيرة وبغضب. قايلين (١٩) " أهذا هو ابنكما ". وما قالوا الذي كان في وقت من الاوقات اعمى. لكنهم قالوا الذي قد قلتما انه ولد اعمى. فكان قولهم قول مخترعين الشر لانفسهم. ومتهمين على المسيح * وانا اخاطبهم ايها الانجاس الدنسون في كافة اوهامكم. ومن هو الاب الذي اختار ان يكذب على ابنه بهذه الاقوال وامثالها: فقاربوا ان يقولوا الذي جعلتماه انتما ضريراً. وبنيتما قولكما هذا عنه في كل مكان. كيف يبصر الان: فترحا لغباوتهم * اذ قالوا هذه الحيلة حيلتكما * لانهم ارتادوا ان يقتادوهما الى الانكار بهذين القولين * بقولهم الذي قد قلتما انه ولد وبقولهم. كيف يبصر الان. فاذ سالوهما ثلث سوالات. ان كان ابنهما. وان كان اعمى. وكيف ابصر. اعترفا بالسوالين وحدهما. وما ذكرا السوال الثالث * وفعلهما هذا فصار من اجل الحق. حتى لا يعترف به معترف آخر. الا المشفي الذي كان موهلاً لتصديقه بان كيف تحمد اليه والداه اللذان لاجل خيفتهما من اليهود. قد صمتا عن صنف من الاصناف التي عرفاها له * لانهما قالا. (٢٠) " نحن قد عرفنا ان هذا هو ابننا. وقد علمنا انه ولد اعمى * (٢١) فاما كيف يبصر الان. او من فتح عينيه. ما عرفنا ذلك. هو اذاً بالغ قامة. وهو يتكلم بالجواب عن ذاته * " فقد جعلاه موهلاً لتصديقه * اذ استعفيا على هذه الجهة * كانهما قالا ليس هو صبياً. ولا فاقداً ان يكون كاملاً. لكنه فيه كفاية ان يشهد لنفسه * (٢٢) " وهذه الاقوال قالاها. لاجل خيفتهما من اليهود * " فابصر البشير كيف يسوق الى وسط كلامه ايضاً

ظنهم وعزمهم * وهذه الاقوال اقولها بسبب ذلك القول الذي قلته فيما سلف. لما قالوا انهُ يجعل ذاتهُ عديلاً لله * لان لو كان ذلك القول عن عزم اليهود . ولم يكن من حكم المسيح . لقد كان استثنى وقال . انهُ كان عزماً يهودياً * فلما ارسلهم الى المشفى ابواهُ . صوتوا بهِ ايضاً دفعة ثانية * وما قالوا لهُ قولاً ظاهرياً خالياً من الخجل . اجحد ان المسيح ابراك * وارتادوا ان يخترعوا هذا الجحود بشكل تورع وخوف * لانهم قالوا لهُ (٢٤) ,, اعطِ لله مجداً * " لان قولهم لوالديهِ اجحدا انهُ ابنكما . وانكما ولدتماهُ ضريراً . استشعروا انهُ يوجد مفضوحاً عليهِ جداً * وقولهم لهُ ايضاً هذا القول . كان وقاحة ظاهرة * فلذلك هذا القول ما قالوهُ . واحتالوا بهِ على جهةٍ اخرى . وقالوا لهُ ,, اعطِ لله مجداً * " اعترف ان هذا ما عمل شيئاً . نحن قد عرفنا ان هذا انسان خاطي هو * وانا اخاطبهم . كيف ما وبختموهُ . اذ قال ,, مَن منكم يوبخني على خطية ; " (يوحنا ص ٨ ع ٤٦) من اين عرفتم انهُ خاطي هو : فلما قالوا لهُ اعطِ مجداً لله . ولم يقل هو قولاً . اذ التقاهُ المسيح مدحهُ وما شكاهُ . ولا قال لهُ . لمَ ما اعطيت لله مجداً : لكنهُ قال ,, اتؤمن بابن الله ; " لتعلم ان هذا هو اعطاء المجد لله * فلو لم يكن عديلاً لابيهِ . لما كان هذا الايمان مجداً * لكن . اذ مَن يكرم الابن . هذا هو مَن يكرم اباهُ * على جهة الواجب لم ينتهر الاعمى * فالى حين املوا ان يستميلوا والديهِ الى الجحود . ما قالوا لهُ قولاً * فلما راوا وعرفوا انهُ ما قد تكون لهم من هذه الجهة شي . انعطفوا اليهِ ايضاً . اذ قالوا ان هذا خاطي هو * (٢٥) ,, فاجاب هو وقال . ان كان خاطياً هو لستُ اعرف . وانما اعرف شيئاً واحداً . انني كنتُ اعمى . وانا الان ابصر * " فهل خشي منهم الاعمى : معاذ الله * فان قلتَ فكيف القائل انهُ نبيٌ هو . يقول ان كان خاطياً هو لست اعرف : اجبتك . ما كان هذا العزم عزمه . ولا كان محققاً هذا القول عن ذاته * لكنهُ انما قال مريداً ان يستخلصهُ من ملاماتهم . من شهادة فعلهِ . ليس من قولهِ هو * ويجعل احتجاجه عنهُ موهلاً لتصديقهِ . اذا تحققت الشهادة عليهم من احسانهِ * لانهُ ان كان بعد اقوالٍ كثيرة . اذ قالوا لو لم يكن هذا عابداً الله . لما كان اقتدر ان يخترح ايات هذا المحل محلها . اغتاظوا اغتياظاً تناهوا فيهِ . الى ان قالوا لهُ . انت كلك في الخطية ولدت . افتعلمنا انت : فلو كان قال لهم من ابتداء خطابهِ هذا القول . ما الذي ما كانوا قد عملوهُ : وما الذي ما كانوا ما قالوهُ : قال لن كان خاطياً لستُ اعرف . كانهُ قال لستُ اقول الان من اجلهِ قولاً . ولا احقق

الان حكمًا . لكنني اعرف ذاك الراي معرفة واضحة . وقد مكنته في نفسي . انهُ لوكان خاطيًا . لما كان اجترح ايات هذا محلها* لهذا الغرض جعل ذاته بريًا من ان يكون متهمًا . وصيَّر شهادته ناجية من المحاباة . من طريق انهُ ليس متحمدًا اليهِ ايضًا * لكنهُ شاهدٌ لهُ من فعلهِ* فاذ لم يمكنهم ان يحيلوا العجيبة الكاينة. ولا ان يبطلوها . اقبلوا ايضًا يستبحثون الاستبحاث الاول عن حال الشفاء. وصورتهم صورة كلاب . تستبحث من كل جهة عن صيدٍ مقصود استبحاثًا بليغًا . وتحاضر حينًا الى هذه الناحية وحينًا الى تلك* واقبلوا الى اقوالهم الاولى* حتى باتصال سوالهم . يجعلوا ذواتهم واهين القوة* فقالوا . (٢٦) .. ما الذي عمل بك . كيف فتح عينيك : " فقهرهم هو وسطهم . وما خاطبهم فيما بعد محتشمًا * لان الى حين كان الحادث بحتاج استبحاثًا وتكشيفًا . اباحهم البرهان * اذ خاطبهم بهِ متهيبًا * فلما استظهر عليهم . وقهرهم فيما بعد قهرًا بهيًا . جاهرهم فيما بعد مذلاً . وقال (٢٧) .. قد قلتُ لكم دفعة . وما سمعتم . ماذا تريدون ان تسمعوا ايضًا : " أَعرفتَ مجاهرة مكدي . لرجال فريسيين خابرين الكتب * فالصدق في هذه الصورة قوي* والكذب بهذه الصفة ضعيف* لان الصدق من شانهِ اذا تسلم الرجال المقاربين يظهرهم ابهياء . والكذب ولوكان مع اناس ابهياء اظهرهم ضعفاء * فالذي يقولهُ معناهُ هذا هو . انتم ما تصغون الى ما اقولهُ . فلذلك لستُ اقول لكم قولاً ايضًا . ولا اجاوبكم* اذ تسالوني سوالاً متصلاً باطلاً . وما تريدون ان تسمعوا لتعرفوا . لكن لتنكتوا ما يقال لكم * " العلكم انتم قد شيتم ان تصيروا تلاميذهُ : " فقد رتب هو الان ذاتهُ في صف تلاميذه * لان قولهُ العلكم انتم ايضًا قد شيتم ان تصيروا تلاميذهُ . قول موضح ذاك انهُ هو تلميذ لهُ * ثم جز بهم ولذعهم لذعًا كثيرًا * لانهُ لما عرف ان هذا القول قد مضهم جدًا . خاطبهم بهذا الخطاب . مريدًا ان يمضهم بافراط لذعهِ* وهذا فكان عزم نفس مجاهرة متريشة . معرضة عن جنونهم . مظهرة رتبتهُ عظيمة . بالاقوال التي جاهر بها جدًا . موضحة اياهُ لما شتمهُ اوليك مستهينًا وهو فيما شتم . لكن القول الذي اصدروهُ اليهِ بمنزلة مسبة . ذاك القول اختلسهُ هو . وانزلهُ منزلة كرامة . اذ (٢٨) " قالوا لهُ انت تلميذ ذاك . نحن تلاميذ موسى نحن * " الاَّ ان قولكم هذا ليس يحوي احتجاجًا * لانكم لستم تلاميذ موسى . ولا تلاميذ هذا * لانكم لو كنتم تلاميذ موسى . لصرتم تلاميذ هذا * فلهذا السبب قال لهم المسيح منذ اعلى خطابهِ .. لو صدقتم موسى . لصدقتموني* لان ذاك في

ذكري كتب * " (يوحنا ص ٥ ع ٤٦) فاذ التجاوا الى هذه الاقوال . وهي (٢٩) ،، نحن قد
عرفنا ان الله كلّم موسى * ،، ولو سالتهم ومَن قائل ذلك لكم : مَن الذي اخبركم به : لقالوا تسلمناهُ
من اجدادنا * فاقول لهم . افما محقق هذا باياته . انهُ من الله جاء . وانهُ يخاطبكم بالاقوال التي من
العلو : هو احق بان يكون موهلاً للتصديق . اكثر من ابايكم واجدادكم * وما قالوا سمعنا نحن ان
الله كلّم موسى . لكنهم قالوا اننا قد عرفنا . فاقول لهم ايها اليهود . انتم قد حققتم ما وصف لكم من
السماع به . كانكم قد عرفتموهُ * واستشعرتم ما تسلمتموهُ من بصركم اليه ادنى من السمع . على ان
ذلك ما عرفتموهُ . لكنكم قد ابصرتموهُ * فقال لهم الاعمى . (٣٠) ،، ان في هذا القول يوجد الخبر
المستغرب . انكم انتم ما عرفتموهُ من اين هو . وهو يعمل ايات هذا محلها * ،، وان انسانًا ليس موجودًا
عندكم من المشرفين . ولا من الظاهرة نباهتهم . ولا من المعظمين . يقتدر ان يجترح ايات هذا
المحل الجليل محلها * فهذا واضح من ساير الجهات * ان هذا لم يزل الهًا . ليس محتاجًا من المعونة الانسانية
ولا صنفًا * (٣١) ،، وقد عرفنا ان الله ليس يستجيب من الخاطيين . لكن اذا كان واحد عابد لله
عامل مشيتهُ . يستجيب منه * " ولعمري انهُ ههنا ما استخلصهُ من الخطايا فقط . لكنهُ اوضحهُ مرضيًا
لله جدًا . عاملاً اعماله كلها * لان اوليك اذ دعوا زواتهم عابدين الله . زاد في هذا القول ،، ويعمل
مشيتهُ ،، لانهُ قال ليس يكفي هذا . وهو ان يعرف الله * ثم رفع محل الاية الكاينة . اذ قال (٣٢)
،، منذ الدهر ما سمع ان احدًا فتح عيني مولود اعمى * " فاذ اقررتم ان الله ما يستجيب من الخطاة .
فهذا قد عمل عجيبة هذا المحل الجليل محلها . ما عملها ولا انسان واحد من الناس * فواضح بيّن ان
فضيلتهُ قد قهرت الافعال كلها . وقدرته هي اعظم وافضل من ان تناسب انسانًا * فقال لهُ
اوليك (٣٤) ،، انت كلك في الخطايا ولدت . افتعلمنا انت : " لانهم الى حين املوا انهُ يجحد فعل
ربنا . استشعروا انهُ موهلٌ لتصديقه . ودعوهُ دفعةً ودفعتين * فلو لم تظنوهُ موهلاً للتصديق : فلمَ
استدعيتموهُ وسالتموهُ سوالاً ثانيًا : فلما نطق بالحق . ولم يسمع من احد . لما وجب ان يستعجبوا .
حينيذٍ حكموا عليه بهذا * فان سالت . وما معنى قولهم انت كلك في الخطايا ولدت : اجبتك انهم
ههنا يعيرون عماهُ تعبيرًا شديدًا * كانهم قالوا انت من سنك الاول في الخطايا انت . موضحين انهُ
لهذا السبب صار اعمى * وهذا ليس بحوى احتجاجًا * في هذا الموضع عزاهُ المسيح : وقال ،، بانصافي

جئت انا الى العالم لكي يبصر الذين ما يبصرون . والباصرون يصيرون عميانا . " (يوحنا ص ٩ ع ٣٩) .. انت كلك في الخطايا ولدت . افتعلمنا انت : لان ما الذي قال هذا الانسان : العلة ذكرا ايا يناسبه : انما قد ابرز حكما مشاعا . لذ قال .. قد عرفنا ان الله ليس يستجيب من الخطاة : او ما قد اورد الى وسط كلامه الاقوال التي قاتموها انتم : .. واخرجوه الى خارج * "

العظة الثامنة والخمسون

في انه ينبغي لنا ان نصغي الى الكتب بابلغ اهتمامنا . لنوبخ الذين يضادونا * وفي انه يجب علينا ان نبتعد من المعاينات المستقبحة *

اعرفت نذير الصدق . كيف ما صار الفقر تمويقا للفلسفة : ارايته كيف شهد بما سمعه من مباديه وبما قاساه باقوال وافعال : فهذه الاخبار انما كتبت . لكي نماثلها نحن * لانه ان كان المكدي الاعمى الذي ما ابصر ربنا . اوضح مجاهرة هذا تقديرها في الحين . قبل استدعا المسيح اياه اذ انتصب مقابل جمع كامل قاتول . متشيطن مصروع . ومريد ان يحكم على المسيح من قول ذاك . وما خضع ولا انصرف . لكنه ابكمهم بكافة المجاهرة واختار ان يلقى خارج مجمعهم . اكثر من اسلام الصدق فكم اليق بنا واوجب علينا نحن العايشين في الامانة مدا زمان جزيل تقديره . الناظرين باماتتنا الى عجايب جزيل تقديرها . الذين قد احسن الينا اعظم مما احسن الى ذلك الضرير . الذي قد فتح ايضا الحاظنا الباطنة . الناظرين الى اسرار قد فاتها ان يباح بها . الذين قد دعينا الى كرامة . هذا المبلغ مبلغها . ان نحتاج لن نوضح من اجلها كل مجاهرة . مقابل الذين يحاولون ان يلوموا النصارى . ويقولوا علينا ذما ونبكمهم . ولا نسامحهم على بسيط ذات المسامحة : وهذا انما تقدر ان نعله . اذا استفدنا مجاهرة . واصغينا الى الكتب * ولا نسمعها سماعا منحرفا عن الواجب . لان احدكم ان دخل الى ههنا بابلغ حرصه . وان لم نقرا في بيته . ويصغي الى ما يقرا ههنا . يكفيه علما واحدا . لان يثبته في خبرة جزيلة * ودراية كثيرة * لاننا لسنا نقراء الان الكتب وتتلو غدا كتبا غيرها . لكننا نقراء دايما كتبا هي هي بعينها وكل حين * لكن الكثيرين مع ذلك حالهم حال شقية يبلغ تمثيلها . انهم بعد قراءة جزيل تقديرها . لا يعرفون اسماء المصاحف . وما يخجلون . وما يرتاعون ان يدخلوا الى مجلس

مماح شريف . دخولاً منحرفاً عن الغرض * الا ان اهل المدينة ان دعاهم عوّاد او راقص او واحد من الذين في محلة اللعب . يتبادرون اليهِ كلهم بحرص ومسارعة . ويعرفون لهُ منة دعوته . ويفنون من يوم كامل نصفهُ . ناظرين الى ذلك وحدهُ * واذا خاطبنا الله بانبيائهِ ورسلهِ . نتثاءب ونتمطى ونحك روسنا * ففي الحرّ نتوهم القسب كثيراً . ونتوجه الى السوق * وفي الشتاء يصير المطر والطين تعويقاً لنا وبعد الطريق . ونجلس في بيوتنا * وفي جلبات الخيل ليس يحجز المطر عنها سقف موضوع . اذا انهطل امطار غزيرة . وصفقت الرياح بالمطر وجوه الحاضرين . ويقف اكثركم باهتين . متهاونين بالمطر والطين * وببعد الطريق . لن يضبطهم ضابط في منازلهم . ولا يمنعهم مانع عن المضي الى هنالك * وهذا المكان تجلله سقوفهُ . ويوجد فيهِ سخونة عظيمة . فيتباطون وما يتبادرون اليهِ . والتعب ههنا هو في فايدة نفسنا * فاين تكون هذه الافعال (قُل لي) محتملة . فلهذا السبب يوجدون في تلك الالعاب احذق من كل الناس واخبر . وفي العلوم اللازمة الضرورية . اعمى من الصبيان واعدم تعلّماً * وان دعاك داعٍ رايضاً او راقصاً . قلت انك قد شتمت . وتعمل كل ما يمكنك . حتى تزيل هذا العار عنك * وان اجتذبك الى معاينة فعلها . ما تصفر عنهُ منحرفاً . والصناعة التي تهرب من اسمايها . تسعى اليها بكافة حرصك * والصناعة التي يجب عليك ان تستغني اسمها وفعلها . وهي توجد وتدعى مسيحياً . ما قد عرفت ما هو فعلها * فما الذي يكون اشرّ من عدم الشريعة هنا . هذه الاقوال قد كنت اشاء ان اقولها لكم دايماً . واخشى ان تستثقلوني استثقالاً باطلاً . ويكون كلامي خلواً من فايدة * لانني ارى ليس احداثاً فقط . لكن شيوخاً ايضاً . ثابتين في الافعال التي اخجل انا منها كثيراً . اذا رايت رجلاً محتشماً من التقاء شيبته مخزياً شيبته منسحباً الى اللعب انسحاب صبي * لان ما يوجد اشرّ من هذا الضحك . ماذا يكون اقبح من هذا العمل . فالصبي يعلّمهُ ابوهُ ان يفتضح * فان قلتم ان هذه الاقوال تمضكم . فانا اريد هذا ان انتشلكم من سقمكم باقوالي . لكي تخلصوا من الفضيحة بافعالكم * لان قد يوجد اناسٌ ابرد عزماً من هولاء . ليس يخجلون مما قلناهُ . لكنهم ينسحبون بعيداً ابعد من وصف حالهم * لانك ان سالت احدهم مَن هو عاموص وعبوديا . لوكم عدد الانبياء والرسل . ليس يمكنهُ ان يفتح فمهُ * وينظم احتجاجاً ابلغ اقناعاً في وصف الخيل ورايضيها والمغالطين والخطباء * وبعد هذه كلها يقولون . وما هو الضرر . وما الخسران الذي ينالنا . فلاجل

هذا القول اتحسر وتضيق روحي * لانكم ما قد عرفتم ان فعلكم هذا خسارة . ولا قد حسبتم بافعالكم الردية * اعطاك الله تأجيل عمر لترضيه فيهِ . فافنيته انت جزافاً باطلاً . ولا في عمل واحد نافع * وتستبحث ايضاً ما هي خسارتي : وان انفقت فضة يسيرة على بسيط ذات انفاقها . تسمي فعلك خسارة * فاذا افنيت ايامك عمرك كاملةً في الفضايح الشيطانية . انما تحتسب انك قد عملت عملاً شنعاً : وقد كان واجباً ان تفني حياتك كلها في الصلوات والطلبات وانت قد افنيت عمرك باطلاً في زعقات وارتجافات . واقوال . مستقبحة . وخصومة . وطرب قد فاتهُ وقتهُ . واعمال حادثة من الحيل . وفي بلية ردية عليك * وتسال بعد هذه الشناعات كلها . ما هي خسارتك : وما تعلم انك تحتاج ان تتغافل عن كل شي . وذلك انفع لك . من ان تغفل عن وقت * لانك اذا انفقت ذهباً . تقتدر ايضاً ان تستغنيه * وان ضيعت وقتاً . فباوفر صعوبت بحجه لك ان تستعيده * لان قد خزن لنا وقتٌ يسيرٌ في هذا العمر * فاذا لم نستعملهُ في واجب استعماله . فما الاحتجاج الذي تقولهُ . اذا ذهبنا الى هنالك : لان قل لي ان امرت واحداً من ابنايك ان يتعلم صناعةً . فلبث هو في منزلك كل حين . او اقام في مكان آخر . انما يستعفي منهُ معلمهُ : انما يقول لك شرطت عليَّ شرطاً في كتاب وحددت لي زماناً . فان كان ابنك ما قد اقام عندي هذا الزمان المحدود . لكنهُ قد افناهُ في مكان آخر . فكيف اقفه لك تلميذاً لي حاذقاً في صناعتي : هذه الاقوال تقال لنا . بلازم الاضطرار . فيقول الله لنا . قد خولتكم زماناً لتتعلموا صناعة الورع والتقوى هذه النفيسة . فلمَ افنيتم هذا الزمان باطلاً خاوياً : ما بالكم ما ذهبتم الى عند المعلم ذهوباً متصلاً . ولا اصغيتم الى الاقوال التي كان يقولها لكم : والدليل على ان التورع والتقوى هو صناعة . اسمع ما قالهُ النبي يوضحه بهِ .. يا اولاد تعالوا اسمعوني . فاعلمكم خوف الرب * "(مزمور ٣٣ ع ١١) وقال ايضاً .. مغبوط الانسان الذي تود به يارب . وتعليه من شريعتك * "(مزمور ٩٣ ع ١٢) فاذا افنيت هذا الزمان باطلاً . فاي احتجاج تتكلم : فان قلت . ولم خزن لنا في هذهِ الدنيا زماناً يسيراً : اجبتك . نرحاً لزوال حسننا وحفاظنا . ومن لاجل ما يجب عليك ان تشكر عليهِ كثيراً . لانه حسم عنك اتعابك . وقطع اعراقك . وصيَّر لك الراحة طويلة عذبة ان تكون ميتة . انستصعب هذا وتشكوهُ : الاَّ انني لست اعرف كيف . اسهبت القول ههنا وجعلتهُ طويلاً * فلهذا السبب يلزمنا اضطرارا ان نوخره

ونقصرهُ*لان هذا ايضاً من شقوتنا*لان الكلام ان صار ههنا طويلاً تتضجر كلنا منهُ. وهنالك يبتدى
الملعاب من نصف النهار. وينصرف الحاضرون هنالك بمشاعل وسرج*ولكن حتى لا نشكوكم
دايماً. نسالكم الان ونتوسل اليكم. ان تسدوا هذه المنّة الينا والى انفسكم. وان تباينوا الرذايل الآخر
كلها. ونمكن ذواتنا في هذه المحامد. فاننا نربح منكم الفرح والسرور والتجمل بكم. واستمداد المكافاة
على هذه الافعال. والثواب كله. فانتم تستثمرونه*فلانكم كنتم قبل هذا الوقت متسمرين في النظر
الى الراقصة على جهة الجنون. نسالكم لاجل خوف الله. ونتوسل اليكم. أفصلوا ذواتكم من هذا
المرض. وانفكوا من عقالاته. وبادروا الى الله. فما تستمدون الثواب هنالك فقط. لكنكم تستمدون
هنا ايضاً اللذة الخالصة. لان الفضيلة هذه خاصتها. مع الاكلّة هنالك. تجعل عيشتنا ههنا لذيذة*
فلنطيعنّ ما قد قيل لنا*لينفق لنا امتلاك النعم التي ههنا والتي هنالك. بنعمة ربنا يسوع المسيح
ونعطفهُ. الذي بهِ ومعهُ لابيهِ المجد مع الروح القدس. الى اباد الدهور امين *

المقالة التاسعة والخمسون

في قولهِ (٣٥) واخرجوهُ الى خارج*وسمع يسوع انهم قد اخرجوهُ الى خارج*فاذ وجدهُ قال لهُ.
اتومن بابن الله: (٣٦) فاجاب ذاك وقال لهُ. ومَن هو ياسيدي. حتى اومن بهِ:

الذين يقاسون لاجل الحق والاقرار بالمسيح نايبة مستصعبة ويُشتمون. اوليك هم المكرمون كثيراً*
وعلى نحو ما ان مَن يهلك من اجل المسيح امواله. هذا هو الذي يجدها حقاً* ومن يمقت نفسهُ.
هو الذي يحبها حباً شديداً* فعلى نحو ذلك مَن يُشتم من اجلهِ. ذاك هو المكرم. كثيراً* وهذا
الحادث فقد حدث للاعمى. اخرجهُ اليهود من الهيكل. فصادفه سيد الهيكل* تخلص من المجمع
المنفسد. فاتفق لهُ وجود العين المستخلصة واهانهُ الذين اهانوا المسيح. فكرمهُ سيد الملايكة*فجوايز
الحق هذا المحل محلها* فعلى هذا النحو. ان اهملنا نحن اموالنا. سنجد نحن دالة هنالك*ان اعطينا
ههنا للمضغوطين الحزينين. سنتنيح في السموات*ان شتمنا لاجل المسيح الهنا. سنكرم ههنا وهنالك*
.. فلما اخرجوهُ من الهيكل وجدهُ يسوع * " فبيّن البشير ان ربنا لهذا الغرض جاء يخاطبهُ *
وانظر باية جوايز كافاهُ بها من النعم الصالحة * لانهُ جعل ذاتهُ معروفاً عندهُ * وقد كان فيما سلف

جاهلاً بهِ*وانتخبهُ ليكون في صف تلاميذه* وتامل انت كيف يصف البشير استقصاء الخطاب* لانهُ اذ قال لهُ .. أتومن انت بابن الله . قال ياسيدي . ومَن هو : " لانهُ ما كان بعد قد عرفهُ* على انهُ قد استمد الشفاء منه*لانهُ كان ضريراً . قبل ان يجي الى المحسن اليهِ* وبعد بروهِ احاط بهِ اوليك الكلاب نابحين عليهِ* فكان فعلهُ فعل منشي جهادٍ يقتبل مجاهدًا . متعوبًا اتعابا كثيرة متكللاً *فقال لهُ .. اتومن انت بابن الله : " فان قلت .وما غرضهُ بهذا القول . بعد معاندة لليهود جزيل تقديرها . بعد اقوال قالها هذا تقديرها . يسالهُ ان كان يومن : اجبتك . ما سالهُ جاهلاً ايمانهُ بهِ . لكنهُ سالهُ مريدًا ان يعرّفهُ ذاتهُ . واراهُ انهُ قد اكرم ايمانهُ كثيرًا* كانهُ قال لهُ . شتمني جمع جزيل تقديرهُ*لكنني ليس لي ولا هم واحد باقوالهم . وانما كان اهتمامي بغرض واحد . بان تومن انت *لان واحدًا يعمل مشية الله . اكثر وافضل من كثيرين متخاوزين شريعتهُ* .. اتومن انت بابن الله : " فمن طريق انهُ حاضر . مقتبل ما يقولهُ . سالهُ هذا السوال*فثبتهُ اولاً في الارتياح اليهِ* لانهُ ما قال لهُ في الحين آمن . لكنهُ خاطبهُ على سبيل السوال*فقال لهُ ذاك .. ومَن هو ياسيدي . حتى اومن بهِ : " فهذا القول قول نفس تايقة مبتغية اياهُ جدًا* فكان جاهلاً بمن قد ناظر من اجلهِ باقوال جزيل تقديرها . لكي نعرف ايثارهُ الصدق . لانهُ ما كان بعد ابصرهُ* (٣٧) .. فقال لهُ قد ابصرتهُ . والمتكلم معك هو ذاك* " فما قال لهُ انا هو . لكنهُ خاطبهُ خطابًا اوسط . على جهة اجتناب المجاهرة*فقولهُ قد رايتهُ . كان قولاً غامضًا ايضًا*فلذلك استثنى بلفظٍ ابين منهُ .. والمتكلم معك هو ذاك* (٣٨) .. فقال انا اومن ياسيدي . وسجد لهُ في الحين * " وما قال لهُ انا الذي شفيتك . وقلت لك انطلق اغتسل في بركة سلوان . لكنهُ صمت عن تلك كلها*وقال .. اتومن انت بابن الله : " ثم اذ اظهر حبهُ الكثير اياهُ . سجد لهُ في الحين*وهذا العمل انما عملهُ اناس يسير عددهم من الذين شفاهم . مثل ذلك الابرص ومَن كان غيرهُ . فبسجودهِ لهُ اظهر قدرتهُ الالهية * لان لئلا يظن ظانٌ . ان ما قال لهُ يوجد لفظًا فقط . اضاف الى قولهِ فعل سجودهِ*وبعد سجودهِ (٣٩) قال المسيح .. بانصاف جيت انا الى العالم . ليبصر الذين ما يبصرون . ويصير الذين يبصرون عميانًا * " وهذا المعنى قد ذكرهُ بولس . فقال .. ماذا نقول : ان الامم التي لم تسعَ وراء العدل . ادركت عدلاً . هو العدل الذي من امانتهم بيسوع * واسرايل اذ سعى وراء شريعة العدل . ما

وصلوا الى شريعة العدل * " فبقوله . بالعصافي جيت انا الى العالم . " جعل ذلك الاعمى اشد تمكيناً في الايمان به . وانهض التابعين الذين كانوا وراه * وذلك ان فريسيين اتبعوه * ولفظة بالعصا في معناها لعقوبة اعظم انفعاً جيت انا * وبين ان الذين حكموا عليه . اوليك هم المحكوم عليهم * والذين اوجبوا عليه الحكم على انه خاطي . اوليك هم الذين يوجب الحكم عليهم * وهنا يذكر ابصارين وعماين . الابصار المحسوسة والمعقولة . والعمى العقلي والحسي * (٤٠) . فقال اناس من الذين كانوا يتبعونه . العلنا نحن عميان نحن . " على نحو ما قالوا في غير هذا الموضع . ما تعبدنا الى احد الناس في وقت من اوقاتنا . وما ولدنا من زناه . هكذا قالوا الان متلهفين الى الحظوظ المحسوسة فقط . مستفزين من هذا العمى الحسي * ثم اوضح لهم ان الافضل ان يوجدوا عميانًا . ولا يكونوا باصرين * (٤١) . فقال لو كنتم عميانًا . لما لحقكم من ذلك خطية * " فلما ظنوا مصاب العمى يوجد حال خزي . رد هذا الظن الى رووسهم . اذ قال ان هذا كان قد اورد العقوبة لكم اوفر راحة . قاطعاً في كل مكان من تعليمه الاوهام الانسانية . مستقيدًا اياهم الى همة عظيمة عجيبة * . فالان قد قلتم انكم تبصرون * " فكما قال هنالك .. الذي قلتم انتم انه كان الهكم . " فكذلك قال ههنا .. فالان قد قلتم انكم تبصرون * " لان قوله تبصرون . ليس يوجد على ما توهموه ههنا مديحاً عظيماً . وانما يبين انه يورد لهم تعذيباً * وسلى الاعمى منذ مولده من اجل عماه الاول . ثم خاطبهم في معنى عماهم . لان حتى لا يقولوا . لسنا من اجل عماه عمانا لم تقترب اليك . لكننا انما نهرب منك من طريق انك مضل . ونرجع عنك . يجعل كلامه كله في هذا المعنى * لان البشير ما ذكر على بسيط ذات الفكر . ان اناساً من الفريسيين الذين كانوا معه سمعوا اقواله هذه . وقالوا ولعلنا نحن عميان نحن . لكنه انما قاله لينكر ان هولاء كانوا اوليك الذين ابتعدوا عنه فيما سلف . ثم رموه بالحجارة . لان اناساً كانوا يتبعونه في المدينة . وينتقلون الى ضد الواجب ايسر انتقالاً * فان قلت . فمن اين انخرع انه ليس هو مضلاً بل راعٍ : اجبتك . انه وضع سمات الراعي . والمضل . والمفسد كلها . وخولهم ان يستفحصوا من هذه السمات . حقيقة الافعال والاشياء * واوضح اولاً من هو المضل ومن السارق . اذ سمى كلاً منهما من الكتب . وقال هذا القول . الاصحاح العاشر (١) حقاً حقاً اقول لكم . من ليس يدخل الى حظيرة الغنم في بابها . لكنه يتسلق من ناحية اخرى .

فذاك سارق ولص هو * " فابصر مثالا منه اللص * فلولا انه لص ما دخل من غير الباب بل يدخل في الكتب * لان هذا هو معنى الباب * فهنا يذكر الذين قبل مجيئه ذكرا غامضا * والذين سيفرعون بعد مجيئه معاندين المسيح . والمسيحيين الكاذبين . ويهوذا . وتيوداس وغيرهم هذا الحال حالهم . وعلى جهة الواجب دعا الكتب بابا * لانها توصلنا الى الله . وتجعلنا عارفين بالهنا . وهي تصيرنا غنما . وهي تحفظنا . وما تترك الذياب لن تدخل الينا * لانها بصوتها هكذا تغلق المدخل دون ذوي بدع هواهم في الدين . وتصيرنا في كل ما نريده في صيانة من خداعهم . وما تهملنا ان نخدع * وان لم تتيقظ لها . فما نكون عند اعدائنا مفسرا لها طلانا لاننا بالكتب نعرف الرعاة . والذين ليسوا رعاة كلهم * ما نحتاج الى تصيرنا الغنم احبتك . معناه من ليس يدخل الى الغنم والى الفطنة بها . لان من ليس يستعمل الكتب لكنه يتسلق من جهة اخرى * ومعنى ذلك هو يقطع لذاته طريقا اخرى ليست شرعية فذلك سارق هو * ارادته في هذه الجهة هو موافق لابيه . الذي اورد الكتبة الى وسط التلاميذ ولهذا النسب قال لليهود . فتشوا الكتب " (يوحنا ص ٥ : ٣٩) واقتادكم الى وسط تلاميذ موسى . ودعاه شاهدا ولانبياء كلهم . لانه قال جميع الذين يستمعون من الانبياء يجيئون اليّ * وقال لهم لو صدقتم موسى لصدقتموني * " فقد وضع ههنا هذا القول بعينه على جهة نقل لفظها الى معناه الا انه يتسلق من ناحية اخرى . اومى الى الكتبة ايماء غامضا * لانهم علموا من تعاليم الناس وصايا وفرائض وخالفوا شريعته * وهذا فقد عيرهم هو به . وقال انه ليس احد منكم يعمل الشريعة " وعلى جهة الصواب قال انه يتسلق . ليس يدخل * ومعنى هذا هو سارق قدام لص لم يبدأ ان يظهر افعاله عاملا كل ما يعمله على جهة التورط في الخطر اعرفت كيف صور اللص * فتأمل منه الراعي كيف وصفها وقال (٢) " من يدخل من الباب ذلك هو راعي الغنم * (٣) ولهذا يفتح البواب والغنم تسمع صوته ويسمي غنمه باسمائها . (٤) واذا اخرجها يمشي قدامها * " فقد وضع سمات الراعي والمفسد * فينبغي ان نعرف ايضا كيف يضم فيهما ما يليق بها . قال (٣) " ولهذا يفتح البواب " فقد انتقل من نقل اللفظ الى معناه * حتى يجعل كلامه ابرز وضوحا . ولو شئت ان تصنع هذا المثل على ما يناسب لفظه . فليس مانع يمنع ان تفهم موسى ههنا بوابا . لان ذاك الفاضل اوتمن على اقوال

الله * والغنم تسمع نغمته · ويدعو غنمه باسمائها * لانهم لما دعوه في اعلى خطابه واسفله مضلاً · وحققوا ذلك من عدم ايمانهم قايلين .. من آمن به من الرؤساء · " اوضح لهم انه ما يجب ان يدعى من تلقاء كفرهم وزوال تصديقهم مفسدًا ومضلاً · لكن يجب ان يدعوا هم مفسدين ومضلين من تلقاء انهم لم يصغوا اليه · ومن جهة انحرافهم عن ترتيب غنمه ومساقها * لان الراعي ان كان يوجد له ان يدخل في الباب الشرعي · وقد دخل هو فيه * فالذين لحقوه كلهم يقتدرون ان يوجدوا غنمًا له * والذين انفصلوا عنه · فما قد ثلبوا راعيهم · لكنهم قد اخرجوا ذواتهم من مجانسة غنمه * وان قال اذا امعن في كلامه عن ذاته انه هو الباب ايضًا · فما سبيلنا ان نرتجف * لانه يدعو ذاته راعيًا ونعجة * ويذيع اقسام سياسته بلفظ مختلف * لانه اذا ولجنا الى عند ابيه · يدعو ذاته بابًا * واذا اهتم بنا يدعو ذاته راعيًا * لان حتى لا تظن هذا يوجد فعلاً له فقط · وهو تقديمه ايانا الى ابيه · يدعو ذاته راعيًا * .. وغنمه تسمع صوته · ويدعو غنمه · ويخرجها · ويمشي هو قدامها * " على ان الرعاة يعملون خلاف ذلك · ماشين ورائها · لكنه هو يبين انه يرشد جميع تابعيه الى الحق * ويعمل بخلاف اوليك الرعاة * كما انه حين ارسل غنمه · ما ارسلها خارج الذياب * فهذه الرعاية ابدع واعجب من الرعاة الذين عندنا كثيرًا * ويلوح لظني انه يقول هذا القول في ذكر الاعمى قولاً خفيًا * لانه اخرجه حين دعاه من اليهود · وسمع نغمته وعرفها * (٥) " وما تتبع غريبًا · لانها لن تعرف صوت الغريب * " فاما تكلم ههنا في وصف توداس ويهوذا * لانه قال انهما شتتا ساير الذين صدقوهما * واما يتوخى المسيحين الكذابين * الذين اعتزموا فيما بعد ان يطغوا الناس * لكيلا يدعوه واحدًا من اوليك · افضل ذاته من اوليك باقصال كثيرة * فوضع فصلاً اولاً تعليمه من الكتب * لانه هو بالكتب اقتادهم اليه * واوليك الذين ادعوا انهم اياه · استجربوا الذين اتبعوهم ليس من هذه الجهة * وجعل فصلاً ثانيًا هو طاعة الغنم اياه * لان غنمه كلهم صدقوه · ليس اذ كان حيًا فقط · لكنهم صدقوه مع ذلك بعد وفاته ايضًا * وتباع اوليك تركوهم في الحين * ويتجه لنا ان نذكر مع هذين فصلاً ثالثًا ليس صغيرًا * بان اوليك عملوا كل ما عملوه بعصيان وتمرد · بمنزلة مغتصبين رياسة * وهو فجعل بهذه الصورة انه · منتزحًا عن هذا التوهم فيه · انتزاحًا بلغ فيه الى انهم لما ارتادوا ان يجعلوه ملكهم هرب * واذ سالوه ان كان يجوز ان نعطي الضريبة (اي الجزية) لقيصر · اوعز بدفعها اليه *

ولم تزل جاذبة للقوميين * ومع هذه فهو جاء من اجل خلاص غنمه . ليحرزوا حياة . ويتملكوا افضل منها * واولئك فخسروا الحياة الحاضرة * واولئك قد دفعوا للذين صدقوا قولهم . وهربوا * وهو ثبت على هذا المثال وقوفاً جليداً . افضى فيه الى ان بذل نفسه * واولئك فقاسوا ما قاسوه كارهين مضطرين هاربين * وهو فاصطبر على جميع ما ناله طائعاً مختاراً * (٦) " هذا المثل قاله لهم يسوع . واولئك فما عرفوا الاقوال التي قالها لهم * وان قلت فلم خاطبهم خطاباً غامضاً قد قصد ان يكون واضحاً : اجبتك لانه اراد ان يصيرهم اكثر اصغاء الى المقال * فلما اصلح هذا الغرض حل بعد ذلك اغماض كلامه اذ قال هذا القول . (٨) " انا هو الباب ان دخل داخل بي فسيدخل ويخرج . ويجد رعياً * " كقولك يكون في حياطة وراحة فسيحة * (ويذكر هنا للغنم رعياً وطمأنينة وارتعاء وسلطاناً وتامراً) ومعنى ذلك . هو ان يبقى داخلاً . ولا يبعده عنها احد * وهذا الحادث فقد حدث للرسل وحصل لهم . الذين دخلوا وخرجوا بتمهل واطمانية . وحالهم حال صابرين متامرين على المسكونة كلها * وما استطاع احد ان يخرجهم * (٩) " وجميع الذين جاءوا هم سراق ولصوص * ولكن الغنم ما سمعت منهم * " فما قال هذا القول ههنا من اجل الانبياء . على ما ذكر مبتدعوا بدع هوام في ديننا . لان جميع الذين صدقوا المسيح . سمعوا من اولئك الانبياء . وبهم آمنوا به * لكنه انما يقول ذلك في ذكر ثوداس ويهوذا والمفتنين الآخرين * والمعنى غير ذلك . ان لفظة الا ان الغنم ما سمعت منهم قالها مادحاً * لانه ما يستبين لي جهة من الجهات مادحاً الذين خالفوا الانبياء . لكنه يستبين بخلاف ذلك يدعوهم اردياء . ويثلبهم ثلباً شديداً * فمن هذه الجهة يستبين الان . ان لفظة ما سمعوا منهم انما قيلت في وصف اولئك المفتنين . ان غنمه ما سمعت منهم * (١٠) " السارق ليس يجيء . الا لكي يسرق ويذبح ويهلك * " وهذا فقد حدث . وكان في ذلك الحين : لما ذبحوا كلهم وهلكوا " انا جئت . ليملكوا حياة * ويتملكوا الزيد منها * " فان قلت قل لي . وما الذي يكون ازيد من الحياة فضلاً : اجبتك . ملكوت السموات ولكنه ما يقول هذا القول بعد . لكنه يردد اسم الحياة الذي كان اعرف الاشياء عندهم * (١١) " انا هو الراعي الجيد " ههنا يتكلم في وصف تألمه موضحاً انه انما يصير من اجل خلاص العالم . وانه ليس ينال الآلام كارهاً . ثم يذكر ايضاً سمة الراعي والاجير " لان الراعي يبذل نفسه * (١٢) والاجير الذي ليس

هو الراعي * الذي ليست الغنم غنمه · يبصر الذيب جائيًا · فيترك الغنم ويهرب · فيجي الذيب فيختطفها * ،، ههنا يظهر ذاته على هذا النحو مقتدرًا متملكًا مثل ابيهِ * ان كان هو راعيًا · والغنم هي غنمهُ * ارايتهُ كيف يتكلم في امثالهِ بحيث يحتجب كلامهُ · ولا يتيح سامعيهُ نكتةً ظاهرةً · فان سالت عما يعملهُ الاجير: اجابك · انهُ يبصر الذيب موافيًا فيترك الغنم · ويجي الذيب فيختطفها * فهذا العمل عملهُ اولئك · وهو عمل ضدهُ * لانهُ حين قبضوا عليهِ · قال ،، اتركوا هولاء يذهبوا * ليتم قول النبي · ان ولا واحد هلك منهم * ،، (يوحنا ص ١٨ ع ٨) وقد يتساغ لنا ههنا ان نتوهم ذيبًا معقولاً * لانهُ ما ترك ذاك الذيب العقلي * عند ذهوبه ان يختطف غنمه · وهذا فليس هو ذيبًا فقط · لكنهُ يوجد ايضًا اسدًا * لان قد قال ،، عدونا المحال يطوف حولنا زايرًا كزير الاسد * ،، (بطرس اولى ص ٥ ع ٨) وهذا يوجد ايضًا حيةً وتنينًا ،، لانكم تدوسون فوق الحيات والعقارب * ،، (لوقا ص ١٠ ع ١٩)

العظة التاسعة والخمسون

في ذم حب القنيات والاموال * وفي ان حفظ وصايا المسيح خلاص هو

فلهذا السبب اسالكم · ان نلبث راعين عند راعينا * وسنلبث عندهُ اذا سمعنا صوتهُ * اذا اطعنا قولهُ * اذا لم نلحق غريبًا * وان سالت وما هو قولهُ : اجبتك · هو ،، مغبوطون المساكين بالروح * ،، مغبوطون الانقياء في قلوبهم ،، مغبوطون الرحومون ،، (متى ص ٥ ع ٣) اذا عملنا هذه المحامد * سنلبث عند راعينا · وليس يقدر الذيب ان يحصل داخلنا * لكنهُ ان جاء الينا · فانما يجعل مجيهُ هذا الحادث رديًا لهُ * لاننا نمتلك راعيًا يحبنا هذا الحب الشديد · الذي اوصلهُ الى ان يبذل نفسهُ عنا * فاذا كان راعينا مقتدرًا ان يحبنا هذا الحب · فما الذي يمنعنا عن التخلص : ليس مانع يمنعنا * ان لم نبتعد نحن عنهُ * وان سالت كيف نبتعد عنهُ : اقول لك · اسمعهُ قايلاً ،، ما تقدرون ان تعبدوا ربين · لله والغضب المال * ،، (متى ص ٦ ع ٢٤) فان تعبدنا لهُ · فانحصل تحت اغتصاب ذاك وتمردهِ * وذلك ان شهوة المال اشد مرارة من كل غصبٍ * ما تحوى من اللذة صنفًا · لكنها تشتمل هموما · وحسدًا · واغتيالات · ومقتًا · ومثالب · وعوايق للفضيلة جزيل عددها · وونية · وفسقًا · واستغنامًا · وسكرًا * فهذه تصير الاحرار عبيدًا · اشرّ من الذين قد أبتيعوا بالفضة * فنكون عبيدًا

ليس لاناس. لكن لداء عزمٍ اصعب امراض هوانا واسقام نفسنا* فمن هذه الحال حالهُ يجتري على كثيرمن الافعال. التي ليست مرضية لله. ولا للناس. خايفًا الّا يسلبهُ سالبٌ سيادتهُ هذه* فترحا للعبودية المستمرة. وللقدرة الشيطانية. لان هذا الداء هو اصعب الامراض كلها كثيرًا* اننا مضبوطون في بلايا ردية. هذا مبلغ نكايتها. فنستلذها ونوثر سلسلتها. واننا قاطنون سجنًا مملوًا ظلامًا. فما نشاء ان نخرج الى الضوء. لكننا نحزم البلايا على ذواتنا. ونتلذذ بسقمنا* فمن هذه الجهة ما نقتدر ان نتخلص منها* لكن حالنا اصعب حال من العاملين في حفر المعادن. الذين يصطبرون على الاتعاب والشقاء. ما يستمتعون بثمرات اتعابهم. واشرّ احوالنا كلها انهُ متى ارتاد مرتادان يستخلصنا من هذا السبي المستمرّ ما نوثر ذلك. لكننا نستصعبهُ* ونغتاظ منهُ. وحالنا في ذلك ليست افضل من حال المصروعين. بل هي اشد شقوةً من اوليك كلهم كثيرًا. وبهذا المقدار هي اشد شقاء من حال اوليك. بمقدار اننا ما نشاء ان نتخلص من جنوننا. أَلعلّك ايها الانسان لهذا الغرض أُخرجت الى هذا العالم: أَلعسى لهذا السبب صرت انسانًا. لكي تعمل المعادن وتجمع ذهبًا: ليس لهذا الغرض خلقك الله بصورتهِ. لكن لكي ترضيه* ايتفق لك امتلاك نعمهُ المستانفة. لكيما تجول مع ملايكتهِ* فما غرضك في ان تخرج ذاتك من هذه المجانسة الشريف حسبها. وتهور ذاتك الى الهوان الواصل الى غايتهِ. والى دناءة الحسب: مَن حلّ معك امخاض طلق هي هي باعيانها (اعني امخاض طلق روحانية) اخوك ينفسد بجوعهِ. وانت تنفزر من وفور شبعك. اخوك يجول بجسمهِ عاريًا. وانت تصلح لك ثيابًا على ثياب. اذ تحجز هذه اللبوس للدود* فكم كان افضل لك ان تلبس اجسام الفقرا. هذه الثياب: لانها على هذه الجهة تبقى ناجية من ان ياكلها السوس. وتتخلص من كافة الاهتمام. وتفيدك الحياة المستانفة* لانك ان كنت ما تشاء ان تصير هذه الثياب ماكلاً للدود. فاعطيها للمساكين. فان اوليك هم العارفون ان ينفضوا هذه الثياب نفضًا جيدًا* وبيان ذلك ان جسد المسيح اوفر كرامةً من الصندوق واوثق حياطةً. لانهُ ما يحفظ الثياب فقط. ولا يصونها عادمت ان تصير ماكولة. لكنهُ يصيرها ابهى حسنًا* وربما أُخذ الصندوق مع الثياب. فابدع لك خسارة واصلة الى غايتها* وتسليمها الى الفقرا يصونها* لن يقدر الموت بعد ان يفسدها* لاننا ما نحتاج ههنا الى ابواب وسكرات ولا الى غلمان يسهرون.

ولا الى حالة هذه صفتها و بيان * ذلك ان الاشيا المخزونة في السموات مخلصة من كل اغتيال . باقية على ما يليق بها محفوظة . لان ذلك المكان قد عدم ان يسلكه كل مكروه * فهذه الاقوال ما نخالف نحن دايمًا ان نقولها ولا تقبلونها انتم اذا سمعتموها * والسبب في ذلك انكم انفس حقيرة متلهفة الى الارض . منسحبة على البطحاء . ولكن لا كان ان نلومكم كلكم على رذيلة يدل تمثيلها على الكل لكم قد انستم استعلامًا يغتاص شقاوتها . ولين كان الذين قد سكروا بايسارهم . يسدون مقابل الاقوال التي قيلت بسمعهم . الا ان العايشين بالفقر فيكنهم ان ينظروا الى ما قد قلناه . فان قلت وما غرض هذه الاقوال التي تعضد الفقراء : لانهم ليس يوجد عندهم ذهب . ولا ثياب تحرزان تقديرها * اجبتك . لكنهم قد يوجد عندهم خبز وماء بارد . او كلتان . ولهم رجلان حتى يفتقدوا المرضى . ولسان . وكلام حتى يسلوا به المطروح في مرضه . وبيت وسقف . حتى يجعلوا الغرب في اغتذايهم * لاننا ما نطالب الفقرا بوزنات من الذهب مثلها كذا وكذا . لكن هذه انما تستنجز من المتموسرين * وان كان احدنا فقيرًا . يقصد ابواب لناس آخرين . فليس يستخزي ان ياخذ منه فلسًا لانه يقول انه قد اخذ منه اعظم من الذين خولوه عطايا كثيرة * كم اناس من الموجودين الان غنّوا ان يكونوا موجودين في ذلك الوقت الذي فيه كان المسيح يطوف ارض بلد اليهود لحمه حتى يبصروه ويقاربوه في الاغتذا معه * وها نحن الان يمكننا هذا الحظ ونجده . ويسوغ لنا اكثر ان ندعوه الى الاكل معنا . وننال كل منه بفايدة اعظم قدرًا * لان كثيرين من الذين كانوا معه في ذلك الحين . هلكوا مثل ما هلك يهوذا واخرون كان عزمهم عزمه * وكل احد ممن يدعونه الان الى منزله يسويدعونه مايدة وسقفًا . يستمعون تبريك عظيم * لانه قال . تعالوا يا مباركي ابي . رثوا الملك المعد لكم منذ انشاء العالم . لانني جعت فاطعمتموني . عطشت فسقيتموني . كنت غريبًا فاويتموني . مرضت فافتقدتموني . كنت في الحبس فجيتم الي * (متى ص ٢٥ ع ٣٤) فلكي نسمع نحن هذه الاقوال . فلنلبس العريان . ولناوي الغريب . ولنطعم الجايع . ولنسقي العطشان . ولنفتقد المريض . ولنبصر الذي يكون في الحبس . ولنستمتع بدالة ونستمد اغتفار خطايانا . ولنساهم في تلك النعم الصالحة الفايقة على وصفنا وعقلنا . التي فليكن لنا كلنا ان نملكها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي به ومعه لابيه مع الروح القدس . المجد الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الستون

في قوله (١٤) انا هو الراعي الجيد. واعرف الغنم التي لي. وتعرفني غنمي* (١٥) على نحو ما يعرفني ابي. اعرف انا ابي* وابذل نفسي عن غنمي*

يا احبائي لان التصدر في الكنيسة لعظيم المحل* جسيم القدر. محتاج الى فلسفة كثيرة. وشجاعة جزيلة تقديرها مثل التي ذكرها المسيح. حتى يبذل نفسه عن غنمه. حتى لا يهملها في وقت من الاوقات مغترة عارية: لكي يتصب مقابل الذيب باوفر شهامة. لان بهذا الفصل يتميز الراعي من الاجير. لان الاجير يراقب في كل مكان خلاصه. متوانيا عن الغنم* والراعي يلتمس في كل مكان خلاص غنمه متغافلا عن تخليص ذاته من المكروه. لانه لما وصف سمات الراعي. وضع لغنمه مفسدين* احدهما السارق الذابح الخاطف. والآخر الذي ليس يعمل صنفا من هذه الاصناف. واذا جاء المهلكون هؤلاء ليس يردهم ولا يمنعهم* فتلك الاوصاف يعتمد بولس وامثاله اعتمادا خفيا* وبهذه الاقوال يشهر معلمي اليهود الذين ما احموا ولا اهتموا بالغنم التي اوتمنوا عليها* وهذا الفعل حزقيال النبي اذ شكاه منهم منذ اعلى الزمان. قال.. يا رعاة اسرايل. العل الرعاة يرعون ذواتهم: اوليس الرعاة يرعون غنمهم:" (حزقيال ص ٣٤ ع ٢) الا ان اولئك معلمي اليهود فعلوا ضد ذلك* وهو صورة عظيمة لرذيلتهم. وعلة للرذايل الاخرى كلها* لان لهذا السبب قال.. انهم ما ارجعوا الضال. ولا التمسوا الضايع. ولا عصبوا المتهشم. ولا ابرأوا المرضى*" اذ كانوا قد رعوا ذاتهم وما رعوا غنمهم* وهذا المعنى قد ابانه بولس بلفظ غير هذا. اذ قال.. لان سائر الذين عندهم يطلبون ما يوثرونه هم. ليس ما يوثره يسوع المسيح*" (فيلبوسيوس ٢ ع ٢١) وقال ايضا.. لا يلتمس احدنا الفوايد لذاته. لكن فليلتمس الفوايد لقريبه*" (قرنثيه اولى ص ١٠ ع ٢٤) الا ان المسيح ميز ذاته من الفريقين كليهما. فميزها من اولئك الواردين للفساد بقوله.. جيتهم لتكون حياة. ويملكوا اكثر منها." وافصلها من هؤلاء المتغافلين عن الغنم التي اختطفتها الذياب. لانه جعلها ملكته ببذل نفسه عنها. حتى لا تموت غنمه* لانهم اذ ارادوا ان يقتلوه. ما ازاغ تعليمه عنهم ولا اسلم الذين آمنوا به. لكنه ثبت واختار ان يموت من اجل هذا الغرض فقال هو لعلى خطابه

".. انا هو الراعي الجيد * " ثم اذ كان القول الذي قاله خايبًا من شاهدٍ له . اما قوله " ابذل نفسي عنها ." فتسلم البرهان بتحقيقهِ ليس بعد مدةٍ طويلة . واما قوله " ليمتلكوا حياة . ويملكوا اكثر منها ." فاذ كان انما يكون في الدهر المستانف . قد استانف ان يحصل لنا بعد انصرافنا عمّا ههنا . تامّل ما فعله اذ حقق احدهما من الآخر . فمن بذلهِ نفسهُ . حقق انهُ قد اعطاها حياةً * " وهذا المعنى فقد ذكرهُ بولس فقال " ولئن كنا قد صالحنا الله بموت ابنهِ . بعد ان كنا اعداءهُ . فاليق بنا واوجب ان نتخلص . اذ قد صالحنا * " (روميه ص ٥ ع ١٠) وقال ايضًا في موضع آخر " الذي ما شفق على ابنهِ . لكنهُ اسلمهُ من اجلنا كلنا . فكيف لا يهب لنا معهُ خيراته كلها ; " (روميه ص ٨ ع ٣٢) ولكن لعلك تقول . فلمَ لم يشتكوا الان بما ذكروهُ لهُ فيما سلف " انت تشهد لنفسك . فشهادتك ليست هي صادقة ; " فاجيبك . لانهُ قد ابكمهم دفعاتٍ شتّى . فصارت مجاهرته اياهم من تلقاء اياته اكثر فعلاً * ثم اذ كان قد قال فوق هذا الموضع " ان غنمهُ تسمع صوتهُ وتلحقهُ ، " فلكيلا يقول قايل . فما قولهُ للذين لم يؤمنوا بهِ ; اسمع ما استثنى بهِ فقال " واعرف التي لي . وتعرفني غنمي * " وهذا فقد اوضحهُ بولس . فقال " ما ابعد الله الشعب الذي لهُ . الذي تقدم فعرفهُ * " وقد قال موسى " قد عرف ربنا الموجودين له * " (روميه ص ١١ ع ١) كانهُ قال . انما اعني اولئك الذين " سبق فعرفهم * " (تيموثاس ثانيه ص ٢ ع ١٩) ثم لكيلا تظن مقدار المعرفة متساويًا . اسمع كيف يتلافى هذا الظن بما استثنى بهِ . قال " اعرف الغنم التي لي . وتعرفني غنمي * " لكن معرفتي ومعرفتها ليست متساوية * ولو سُئل واين تكون المعرفة متساوية ; لاجاب . لابي ولي * لانهُ قال ههنا " على نحو ما يعرفني ابي . اعرف انا ابي * " والاّ فلو لم يعتمد اصلاح هذا المعنى لم استثنى بهذا اللفظ ; لانهُ اذ قد رتب ذاتهُ في جهاتٍ كثيرة في رتبة الكثيرين . فلكيلا يظن ظانٌ انهُ قد عرف على هذا النحو كنحو ما قد عرف انسانٌ . استثنى بان قال " على نحو ما يعرفني ابي . اعرف انا ابي " فعلى هذا المثال اعرفهُ معرفة بليغة . كما يعرفني هو معرفة شافية * فلهذا السبب قال " ليس يعرف الابن احدٌ الاّ ابوهُ . ولا يعرف الاب عارفٌ الاّ ابنهُ * " فقد ذكر معرفة متميزة هذه الصفة صفتها . ليس يمكن في تمثيلها ان يملكها مالك آخر فهو يقول هذا القول " انا ابذل نفسي ; " (لوقا ص ١٠ ع ٢٢) قولاً متصلاً . موضحًا انهُ ليس مضلاً * اذ كان للرسول حين شاء ان يوضح ذاتهُ موجودًا

معلّماً خالصاً . وابرز كلامهُ معانداً الرسل الكذبة . (وهذه اللفظة باللغة اليونانيه سينيسنيسي) ثبتْ ذاتهُ من شدايدهِ وتورطهِ في الاخطار والميتات . قايلاً ،، في مواقع الضرب بالسياط ثبتُّ ازيد ثباتاً . في الميتات حصلت دفعاتٍ كثيرة * " (قرنثيه ثانيه ص ١١ ع ٢٣) لان قولهُ . انني نور انا لم ازل حياة . يظن عند الزايل فهمهم انهُ يوجد من صلف . وقولهُ انني اشاء ان اموت . ما قد حوى صنفاً من حسد * ولهذا السبب لم يقولوا لهُ . انت تشهد لنفسك . شهادتك ليس هي صادقة . لان هذا القول يبين اهتماماً كثيراً * اذ شاء ان يبذل ذاتهُ عن الذين رجموهُ بالحجارة * ولهذا المعنى اورد الكلام في استدعاء الام في اوفق وقتٍ لهُ * (١٦) لانهُ قال ،، وانا امتلك غنماً اخر . ليست من هذه الصيرة * فتلك ينبغي لي ان اقتادها * " فها لفظة ينبغي لي موضوعة ايضاً . ليس هي لفظة ضرورة . لكنها دالة على ما سيكون على ساير الحالات . كانهُ قال ما بالكم تستعجبون ان كان هولاء القوم يستانفون ان يتبعوني : وان كانت غنمي تسمع صوتي : لانكم اذا رايتم غنماً اخر تابعة اياي سامعةً صوتي . ستذهلون حينيذٍ ذهولاً عظيماً * فان كان يقول انها ليس هي من هذه الصيرة . فلا ترتجف . فان الفصل انما هو في الشريعة فقط . على ما ذكر بولس ،، لا الختانة تقتدر على شيءٍ . ولا الغلفة * ،، (قرنثيه اولى ص ٧ ع ١٩) وتلك ينبغي ان اقتادها * فقد بين ان الفريقين كليهما مشتتين مختلطين . لا يستقنيان رعاةً يرعون * لا اوليك . ولا هولاء * اذ الراعي الجيد ما كان بعد قد جاء * ثم تقدم فذكر اختلاطهما المستانف كونهُ . وانهما سيكونان رعية واحدة * وهذا المعنى بعينهِ . فقد اوضحهُ بولس . فقال ،، لكي يبني الفريقين في ذاتهِ . انساناً واحداً جديداً * " (افسس ص ٢ ع ١٥) (١٧) ،، لهذا السبب يحبني ابي . لانني انا ابذل نفسي . لكي اخذها ايضاً * " وما الذي يكون اوفر تواضعاً من هذا اللفظ : ان كان سيدنا لاجلنا يستانف ان يحب . لانهُ يموت عنا . فما رايك قل لي . ما كان محبوباً في الزمان السالف . لكن اباهُ الان ابتدي ان يحبهُ . ونحن صرنا اسباباً لحبهِ : ارايت كيف يستعمل مقاربة وجنوح الينا : فان قلت . وما الذي يريد ان يصلحهُ ههنا : اجيبك . لما ذكروا انهُ غريب من الاب ومضلّ . وانهُ قد جاء لفسادٍ واهلاك . يقول ان كان ما قد اقنعكم فعل آخر . قد حقق هذا الفعل لكم . انني احبكم . وذلك ان ابي قد احكم هذا الحب . كالمحبي * ولهذا يحبني . لانني اموت عنكم * ومع هذا فيريد ان يصلح ذاك الغرض . انهُ ليس

يجي الى التالم كارهًا*لانهُ ان كان جاء كرهًا . فكيف كان ما فعلهُ مبدعًا لحبهِ ايانا . ان هذا الفعل ماثور عند ابيهِ . يريدهُ باكثارٍ : وان كان يتكلم هذه الاقوال على نحو ما يتكلم انسان . فلا تستعجب ذلك : فاننا دفعاتٍ شتى قد وصفنا العلة في هذه الاقوال . واعادة ذكرها ايضًا . وتكرير اقوال هي هي باعيانها . هو فضلة بفعل مستثقل* ,,انا ابذل نفسي . لكي اخذها ايضًا* (١٨) وليس يستلبها احد مني *انا ابذلها من ذاتي *وامتلك سلطانًا ان ابذل نفسي . واحوي سلطانًا ان اخذها* ,, لانهم اذ كانوا دفعاتٍ كثيرة قد تشاوروا ان يقتلوهُ . قال انني اذ لم اشاء انا . فتعبكم في ذلك يوجد عديمًا ان يكون نافعًا لكم . ومن الحادث الاول . اصلح الحادث الثاني* ومن موتهِ ابدع انبعاثهُ* لان هذا هو العجب البديع . انهما كليهما حدثا حدوثًا جديدًا . يفوقان على العادة المشاعة* فينبغي ان نصغى اصغاء بليغًا الى ما قبل* قال ,, امتلك سلطانًا . ان ابذل نفسي* ,, فان قلت ومَن هو الذي ليس يمتلك سلطانًا ان يبذل نفسهُ : لان ممكنًا لكل احدٍ منا اذا شاء ان يقتل ذاتهُ* اجبتك . الاَّ انهُ ما قال هذا القول . لكنهُ انما قال . امتلك سلطانًا ان ابذلها على هذا النحو من القتل الواصل اليَّ . الاَّ يقتدر احدٌ ان يعمل هذا العمل* اذا كنت انا كارهًا ذلك . وهذا الفعل فليس ينساغ للناس* لاننا نحن لسنا نمتلك سلطانًا ان نبذل نفسنا على جهةٍ اخرى . الاَّ اذا قتلنا ذواتنا* واذا تكردسنا لدى اناس مغتالين متملكين ان يقتلونا . لسنا نمتلك ايضًا سلطانًا لبذل انفسنا . والاَّ نبذلها* لكن اوليك يقتلوننا . ونحن كارهون ذلك* وفيه هو . لن يجري الحال على هذا المجرى . لكنهُ هو كان متملكًا الاَّ يبذل نفسهُ* اذ كان اناس آخرون مغالين عليهِ* فلما قال ان ليس يستلبها احد مني . استثنى حينيذٍ بقولهِ . امتلك سلطانًا ان ابذلها* ومعنى هذا . هو انا وحدي اوجد مالكًا ان ابذل نفسي . وهذا الفعل ليس يوجد لكم* وبيان ذلك ان اناسًا آخرين كثيرين . يوجدون متملكين ان ياخذوا نفسنا منا . لكنهُ ما قال هذا القول في مبداء خطابهِ في حين نعلمه* لان كلامهُ ما استانف ان يوجد موهلاً لتصديقه حينيذٍ . لكنهُ قال هذا القول حين تسلَّم من افعاله الشهادة الحقيقية ولعمري انهُ طال ما اغتالوا عليهِ . وما قدروا ان يضبطوهُ . لانهُ قد خرج عن ايديهم دفعاتٍ جزيل عددها* فقال في ذلك الحين ليس يسلبها احدٌ مني* فان كان هذا صادقًا . سيتبعه ذلك القول . وهو انهُ يجي الى التالم طايعًا* واذا كان هذا صادقًا . فقد تصحح ذلك القول . انهُ متى

ما شاء ياخذها . يقدر على ذلك ايضاً * وليس كان ايثاره ان يموت . اعظم من ان يكون مناسباً
للانسان * فلا ترتابن فيما بعد في ذلك . انهُ هو وحدهُ يوجد مالكاً ان يسرّح نفسه * فقد اوضح من
سلطانه هذا بعينهِ . انهُ هو مالكٌ ان ياخذها * ارايت كيف من الحادث الاول . اصلح الحادث
الثاني : ومن موته اوضح انبعاثه عديماً ان يكون مشكوكاً فيهِ : " هذه الوصية اخذتها من ابي * " ولئن
سالتهُ وايما هي هذه الوصية : اجابك . هي ان يموت عن العالم * فهل صبر الى ان يسمع الوصية اولاً .
بعد ذلك اختارها . واحتاج الى ان يعرفها : ومَن من المالكين عقلهم يقول هذا القول لكن على نحو
ما قال فوق هذا الموضع . لهذا السبب يحبني ابي . فاوضح بذلك نهضتهُ الطوعية . وازال عنهُ
ظن اليهود المضادّ فكذلك اذ قال ههنا . انهُ قد اخذ من ابيهِ وصيةً . فليس يبيّن معنى آخر . الاّ
ان ابي مرتاي هذا الراي الذي اعملهُ انا * لكي اذا قتلوهُ . لا يظنوا انهُ قُتل على ان اباهُ اهملهُ واسلمهُ .
ولا يعيّروهُ بالاقوال التي بها عيّروه " قد استخلص آخرين اما يقدر ان يخلّص ذاتهُ : وان كنت
انت ابن الله . فانحدر من الصليب * " على انهُ لهذا الغرض ما انحدر . اذ هو ابن الله * ثم حتى
لا اذا سمعت انهُ اخذ وصيةً من ابيهِ * تظن ان ما احكمهُ يوجد غريباً منهُ . سبق فقال " الراعي
الجيد يبذل نفسه عن غنمهِ * " فبهذه الاقوال اظهر ان الغنم موجودة لهُ . وان كل ما فعلهُ كان
احكامه لهُ وانهُ ليس محتاجاً الى وصية * لانهُ ان كان احتاج الى وصية . فكيف قال " من ذاتي ابذل
نفسي : " لان مَن يبذل نفسهُ من ذاته . ليس يحتاج الى وصية * وقد ذكر العلّة التي لاجلها يعمل
هذا العمل : وهي وجودهُ راعياً . وراعياً جيدًا * والراعي الجيد ليس يحتاج الى غيره ينهضهُ الى هذا
الفعل * ولئن كان هذا الحادث في الناس . فاولى بهِ واليق ان يكون في الاله * ولهذا قال بولس .
" الذي اخلى ذاتهُ * " (فيلبيسيوس ص ٢ ع ٨) فالوصية ما تريد بوضعها معنى آخر ههنا . الاّ ان تظهر
ائتلافه بابيهِ * ولئن كان قد قال قولاً ذليلاً لائقاً بالانسان . فانما فعلهُ ذلك هو من ضعف
سامعيه * (١٩) فحدث فيما بين اليهود انشقاق * (٢٠) فبعضهم قالوا انهُ يشتمل شيطاناً ويُصرَع .
فلماذا تسمعون قولهُ : (٢١) وقال بعضهم ان هذه الالفاظ ليس هي اقوال متشيطن . لعل
شيطاناً يقتدر ان يفتح عيون العميان * " ولعمري ان هذه الاقوال التي قيلت لما كانت اعظم قدراً
من ان تناسب انساناً : ولم تكن من عادة مشاعة . دعوهُ متشيطناً * وقد لقبوه بهذا اللقب ايضاً

دفعات * لانهم قالوا له فيما سلف انت تشتمل شيطاناً . من يبتغي ان يقتلك : (يوحنا ص ٧ ع ٢٠)
وقالوا ايضاً : أليس على جهة الصواب . انك سامري انت . وتشتمل شيطاناً : (يوحنا ص ٨ ع ٤٨)
وقد قالوا هنا انه يشتمل شيطاناً ويصرع . ما غرضكم في ان تسمعوا قوله . والحق ما يقال انهم قد لفبوه
بهذا دفعة رابعة لكنه قد سمعه منهم دفعات كثيرة * لان قولهم السنا على جهة الصواب نقول انك
تشتمل شيطاناً . هو دلالة ليس على انه قيل دفعة ثانية وثالثة . لكنه دلالة على انهم قد قالوه دفعات
كثيرة * والذين قالوا هذه الاقوال ليست اقوال متشيطن . الَعلّ شيطاناً يقتدر ان يفتح اعين
العميان : فاذ لم يمكنهم ان يصمتوا هم من اقواله جعلوا البرهان فيما بعد من اعماله * ولعمري ان ذلك
ابين كثيراً * لان الفاظه ليست هي الفاظ متشيطن * فان كنتم ما تقبلون من اقواله . فانعطفوا الى
تهذيبه من اعماله * وان كانت اعماله ليست هي اعمال متشيطن . وهي اعظم من ان تناسب انساناً *
فمن البيّن الواضح ان الاقوال والافعال هي من مقدرة الهية . اعرفت قياساً شرطياً : والبرهان
على انها كانت اعظم من ان تناسب انساناً . فواضح من انه لم يشتمل شيطاناً * والدليل على انه لم
يشتمل شيطاناً . فقد استبان من الايات التي اجترحها * الا ان المسيح ما اجابهم عن اقوالهم هذه جواباً .
لانه فيما سلف قد اجابهم وقال : انا لست اشتمل شيطاناً * والان فما قال هذا القول * لانه لما
حوّلهم برهاناً باعماله . صمت فيما بعد * لانهم ما كانوا مؤهلين لجواب الذين سموه متشيطناً من اجل
هذه الاقوال والافعال . التي كان واجباً عليهم ان يستعجبوه لاجلها . ويحتسبوه الهاً * وما الحاجة فيما
بعد الى التوبيخات منه . اذا كان بعضهم يعاند بعضاً . واحدهم يوبخ الاخر : فلهذا السبب صمت .
واحتمل مسالبهم كلها بلوعة وداعة . ليس لهذا الغرض فقط . لكن ليعلمنا كافة دعته وطول اناته *

العظة السبعون

في انه ما ينبغي لنا ان نضحك ونتنعم . لكنما يجب علينا ان ننوح دائماً على خطايانا * وفي افتقاد الذين
في السجون . وفي اصطناع الجميل بالاخيار والاشرار

فسبيلنا ان نشابه سيدنا * فانه ما صمت فقط . لكنه لما وقفوا به ايضاً وسالوه : اجابهم واراهم افعاله
خاليةً عن المدعاة مجنوناً مصروعاً * الناس قد احسن اليهم ربوات احساناته . وما دعوه بذلك دفعة

ود فعتين . لكن مرات كثيرة . ليس مستعجبًا انهُ ما انتقم منهم فقط . لكنهُ مع ذلك ما كف عن احسانه اليهم * وما معنى قولي انهُ ما انفك محسنًا اليهم . وقد بذل نفسهُ عنهم : وفي حين صلبه خاطب اباه من اجلهم : فينبغي لنا نحن ان نماثل افعالهِ هذه * لان هذا هو موجود تلميذ المسيح . ان يوجد وديعًا ورعًا محبوبًا * فان سالت فمن اين يتكون فينا هذه الوداعة : اجبتك . تتكون اذا تفكرنا في خطايانا تفكرًا متصلًا . اذا نحنا . اذا بكينا . لان نفسنا مستصحبة وجعًا هذا تقديرهُ . ما تستجيز ان تحتد وتغتاظ * لان حيث يكون النوح . فممتنع ان يوجد غيظ . وبحيث يوجد الغم . فالغيظ كلهُ قد زال وغاب * وحيث يوجد تطحن سريرتنا . فليس يوجد منازعة ولا خصومة . لان سريرتنا اذا ضربها النوح بسياطهِ . فما تمتلك فراغًا لنهوض الى منافرة . لكنها تتحسر تحسرًا مرًا . وتبكي اشدَّ البكاء مرارةً * وقد عرفت ان كثيرين منكم . اذا سمعوا اقوالنا هذه . يضحكون . الّا انني انا لست اكف نائحًا على الضاحكين . لان زماننا الحاضر زمان نوح . وعويل . ونحيب . لاننا نخطي خطايا كثيرة باقوالنا وبافعالنا * والذين يجترمون هذه الجرايم وامثالها . تنتظرهم جهنم . ونهرٌ يغلي بعجيج نارهِ . وخيبوبة من الملكوت هي اصعب العقوبات كلها * فاذا كانت هذه الافازيع قد هول بها علينا . قل لي . أتضحك انت وتتنعم . ويكون سيدك مغتاظًا عليك . متوعدًا اياك : وقد وقفت وانبًا . وما ترتاع لئلا تضرم بهذا الفعل الاتون لنفسك اضطرامًا شديدًا : اما تسمع ما يهتف بهِ كل يوم . رايتموني جايعًا . فما اطعمتموني : ظاميًا . فما سقيتموني . انطلقوا الى النار المعدّة لابليس المحال ولرسلهِ * " (متى ص ٢٥ ع ٤١) فهذه الاقوال يتوعدنا بها كل يوم * ولعل احدكم يقول . فقد اطعمتهُ * .. فاقول لهُ . متى : وكم يومًا اطعمتهُ : أعشرة ايام : وعشرين يومًا : الّا انهُ ما يريد هذا الوقت الذي هذا مقدارهُ فقط . لكنهُ يريد منك ان تعمل هذا العمل ما دمت مقيمًا في الارض * اذ اوليك العذارى قد كنَّ امتلكنَّ ذيتًا . الّا انهُ ما اجزاهنَّ لخلاصهنَّ * لانهنَّ قد اوقدنَ مصابيحهنَّ . لكنهنَّ انحجزنَ من الخدر * وذلك على جهة الواجب جدًا . لانهنَّ سبقنَ فخمدنَ قبل موافاة ختنهنَّ * فلهذا السبب نحتاج الى زيت كثير غزير من زيت التعطف على الناس * واسمع ما قالهُ النبي .. ارحمني يا الهي على حدو عظم رحمتك * " (مزمور ٥٠ ع ١) فيجب اذًا علينا نحن ان نرحم رفقاءنا في طبيعتنا على هذا النحو . على نحو جسامة الرحمة التي عندنا * لاننا على نحو ما نكون للذين يواخوننا في العبودية .

على نحوه ومثاله يتفق لنا مجازاة سيدنا* وان سالت . وايما هو عظم الرحمة : اجبتك اذا اعطينا ليس مما يفضل عنا . لكن اذا اعطينا من اعوازنا وضيقة حالنا . فان لم نعطي ولا مما يفضل عنا . فما الرجاء الذي يكون لنا : من ان يكون التخلص لنا من تلك البلايا والشدايد : الى اين نقدر ان نهرب ونصادف خلاصاً . ولئن كانت اوليك العذارى بعد اعراق جزيل تقديرها مفرط عظمها . ما ملكن ولا سلوة واحدة من جهة من الجهات . فمن يعتني بنا . اذا سمعنا اقوال القاضي بعينه تلك الرهيبة التي يقولها لنا معيرًا .. انكم رايتموني جايعاً . فما اطعمتموني . لانكم اذ ما فعلتم بواحد من هولاء المحنورين معروفاً . ولابي عملتم . " فهذه الاقوال اقولها ليس في وصف التلاميذ . ولا من اجل الموثرين عيشة الرهبان . لكنني اقولها لاجل كل انسان موءمن * لان مَن هذا الحال حالهُ لو كان عبدًا . لو كان من المكدين في السوق ويومن بالله . بواجب عدل ان نمتعهُ بكل حب واحسان . فان تغافلنا عمَّن هذا الحال حالهُ عاريًا او جايعا . فسنسمع هذه الاقوال * وذلك على جهة الواجب جدًا * لان ما هو الذي قد استماحهُ منا ثقيلاً علينا . او مستصعبًا : ما الذي يلتمس منا ليس هو من الافعال الاسهل مراماً المتيسرة علينا : لانهُ ما قال كنتُ مريضاً فما اقمتموني . لكنهُ قال ما افتقدتموني * ولا قال كنت في الحبس وما اخرجتموني . لكنهُ قال فما جيتم اليَّ * فبمقدار ما هي اوامرهُ خفيفة . بمقدار ذلك يكون التعذيب للذين يخالفونها اعظم ايلاماً . لان ماذا يكون قل لي . اخف تعباً من مشينا ودخولنا الى الحبس : ماذا يكون الذ منهُ : لانك اذا رايت اقواماً معتقلين مقيدين . واقواماً ضاوين قشبين . وقوماً قد طالت شعورهم ملتحفين بخلقا . وقوماً قد افسدهم جوعهم واضناهم . يتبادرون كتبادر الكلاب الى رجلي من يحضر عندهم . ونرى اخرين جنوبهم مفتحة . وغير هولاء قد عادوا الان من السوق مكتوفين . وقد كدوا وتجدوا طول نهارهم . وما قد جمعوا قوتهم الضروري . الذي لابُدَّ منهُ . وفي المساء يطالبونهم المشرفون عليهم بتلك الخدمة الخبيثة الجافية * ولو كنتَ حجرًا من الحجارة : ستصير على كل حال اكثر تعطفاً وحنوًا * ولو كنت عايشاً المعاش الرطب الراخي . ستكون على ساير الحالات اكثر فلسفة . متاملاً احوال الناس في مصاييب غيرك * لانك ستتخذ على كل حال افتكارًا في ذلك اليوم الرهيب . وفي العقوبات الملونة صنوفها . فهذه الافكار اذا رددتها في قلبك وافتكرت فيها . ستخرج على ساير الحالات الغضب :

واللذة والعشق لاحوال الدنيا* وتجعل نفسك اسكن هدواً من كل شيء * ونتفلسف في ذكر مجلس القضاء ذلك الرهيب * متفكراً انه ان كان عند الناس عناية جزيل تدبيرها . وترتيباً . وخوفاً . وتهويلات . فاولى والبق ان يكون ذلك عند الله * لان ،، ليس يوجد سلطان الا من الله * " (روميه ص ٣ ع ٢) والمعطي الروساء ان يرتبوا هذه الترتيبات فاولى به هو والبق ان يعلمها * لان لو لم يكن هذا الخوف . لهلكت البرايا كلها * مع ان عقوبات جزيل تدبيرها راتبة . وقد يوجد كثيرون راغبين في الرذيلة جانحين اليها * فلذا تفلسفت في هذه الاشياء . ستكون في الصدقة اوفر نشاطاً . وتستثمر اللذة كثيرة . اعظم من التي يستثمرها المنحدرون من مشهد اللعب بكثير . لان الفاحشين من هنالك يتلهبون . اذ تحرقهم شهوتهم * لانهم اذا ابصروا تلك النسا متطايرات في محلة اللعب . وتجرحوا من هنالك جراحات جزيلاً عددها . تكون حالهم ليست افضل من حال بحر متموج * اذ تنتصب لدى الحاظهم تمثال وجوههن . واشكالهن . والفاظهن . ومشيهن . وافعالهن كلها . وتخاطر فيهم * والخارجون من هذا المكان . ما يعرض لهم عارض هذه صفته . لكنهم يستثمرون الهدو وزوال الارتجاف كثيراً . لان التخشع المكون من النظر الى المعتقلين المقيدين . يخمد تلك النار كلها * ولو التقتك امرأة زانية فاسقة خارجاً من عند المحبوسين . فما تعمل بك عملاً مكروهاً . لانك على نحو ما قد حصلت خالياً من الغش على هذا النحو ما تقتنص بشباكه وجهها * اذ يكون لدى عينيك بدل وجه الفاسقة . خوف المداينة راتباً حينيذ لدى الحاظك . ولهذا السبب قال من قد مارس كل نوع من النعيم ،، فعل صالح ان ينطلق الى بيت النوح افضل من ان يذهب الى بيت الضحك * " (الجامعة ص ٧ ع ٢) فنظهر هنا الفلسفة الجزيل في الفضل تدبيرها . ونسمع هنالك الاقوال المؤهلة لتطويبات جزيل عددها * ولا نضجع في عمل هذه الفايدة كايدة . وفي تجارة جزيل نفعها . لاننا ان لم نقدر ان نقدم طعاماً للمسكين : ولا نعطيه فضة يستعين بها . لكننا نستمكن ان نسليه بكلامنا . وننهض نفسه المطروحة . ونفيدة بالافعال غير هذه كثيرة * ونخاطب الذين يسعفونهم بما يزيد نشاطهم . ونجعل الذين يمارسون خدمة اكثر رفقاً به * فنستفيد على كل حال . اما فايدة صغيرة . واما فايدة عظيمة . فان قلت . ليس يوجد في الحبس رجالاً محمودين . ولا نافعين . ولا وديعين . وانما يوجد فيه قاتلوا الناس . ونابشوا القبور . وبطاطوا الاكياس . وزناة .

وفاسقون . ومملوون اعمالاً منكرة ولربما في هذه الجهة مسيماً ضرورياً للقيام هناك . لاننا ما اومرنا انه يجب علينا ان نرحم الناس الصالحين . وان نعاقب لكثيرين الشريرين . لكننا انما اوعز الينا ان نوضح هذا التعطف والتحنن للناس كلهم . لانه قال « صيروا مشابهين لاباكم الذي في السموات . الذي يشرق شمسهُ على الاشرار والاخيار . ويمطر على مقسطين وظالمين ». (متى ص ٥ ع ٤٥) فلا تشجبن اذاً للغرباء ثلباً مستمراً . ولا تكونن قاضياً صارماً بل كن حاكماً معرفقاً . لاننا نحن وان لم نكن فاسقين . ولا للقبور نابشين . ولا بطاطين الاكياس . الا اننا قد اشتملنا جرايم اخرى موهلة للعقوبة جزيلة اصنافها . لاننا طالما دعينا اخانا احمق . وذلك يسبب لنا جهنم . وقد ابصرنا نساء باعين فاسقة . وذلك فقد اوجب علينا فسقاً كاملاً . واصعب افعالنا كلها . اننا ما نساهم اسرار القربان بعزمٍ موهلٍ لها . وذلك يجعلنا مطالبين بالتهاون بجسد المسيح ودمه . لا تكونن اذاً متصفحين مستمرين لافعال غيرنا . لكن ينبغي لنا ان نتفطن في اعمالنا نحن . فعلى هذه الجهة نكف عن جسارتنا هذه . وعن خلونا من الانسانية . وقد يساغ لنا خلواً من هذه الاقوال . ان تقول ذلك القول . اننا نصادف هنالك رجالاً وديعين . معادلين المدينة كلها . اذ كان ذلك السجن الذي فيه كان يوسف . قد حوى اشراراً كثيرين . الا ان ذلك الصديق اهتم بهم كلهم . وكان هو مع الناس الاخرين مكشوماً كائناً من كان . لانهُ كان عديلاً لمصر كلها . فسكن في ذلك الحبس . وما عرفهُ احد من الموجودين داخله . والان فقد يوجد في السجن على ما يليق كثيرون صالحين ووديعين . وان كانوا ليسوا واضحين عند جميع الذين يبصرونهم . واهتمامك في الذين هذه الحال حالهم . يفيدك المكافاة عن اجتهادك في التحنن على جماعتهم . وان لم يكن هنالك احدٌ هذه السجية سجيتهُ . فجزاؤك ههنا جزيلة . لان سيدك ما خاطب اناساً صديقين فقط . ورفض النجسين . لكنهُ اقتبل المرأة الكنعانية بودةٍ جزيلة . وخاطب السامرية النجسة الدنسة . واقتبل ايضاً زانية اخرى من اجلها عيرهُ اليهود وابراها . واستجاز ان تبلّ رجليهِ دموع امراة نجسة . يعلمنا ان نتقدم مع الحاصلين في الخطايا . لان هذا الفعل يستبين تعطفاً كثيراً . فماذا تقول ان الحبس يسكنهُ لصوص ونباشوا القبور . فقل لي هل القاطنون في المدينة هم اصحاب عدل كلهم : او ليس الكثيرون منهم اشرّ من هولاء يتلصصون بوقاحة اكثر تلصصاً : لان اناساً منهم وان كانوا ما يمارسون فعلاً آخر . فهم يعتمدون

العدو والظلام . ويعملون هذه الاعمال مستترين مواقواماً يخفون وجه نتيجة الحيال * ويعملون الاعمال المنكرة براس حاسر . فيوجدون عاصين خاطفين متغطرسين * لان مستصعباً ان يوجد انسان نقياً من الظلم . ولئن كنا ما نختلس ذهباً . ولا نختطف مسافة ارض مبلغها كذا وكذا . لكنا مع ذلك نعمل هذا العمل بعينه بخدعة مستورة وبسرقة . وبتنقيصات حقوق تقتدر عليها * لاننا اذا كنا في المعاملات وحين نحتاج ان نبتاع او نبيع شيئاً نماحك ونغاصب لنعطي صاحبه انقص من قيمته ونعمل كل ما يمكننا من اجل هذا الاستغنام . اليس فعلنا هذا لصوصية : وما هو سرقة وتغطرس * لان لا تقل لي . انني لست اسلب منزلاً ولا مملوكاً * لان الظلم ليس يحكم عليه على مقدار الاشياء المسلوبة . لكن انما يحكم علينا بحسب اختيار السارقين وعزمهم * وبيان ذلك ان الفعل الظالم والفعل العدل يتلكان في الاشياء العظيمة . وفي الاشياء اليسيرة قوة واحدة بعينها . وانا اسمي بطالع الاكياس ان يط احدهم كيساً واخذ ذهباً . وان ابتاع شيئاً من احد السوقيين واستغنم من قيمته التي يسواها شيئاً . فهاذان الفعلان متساويان * واسمي ناقب الحيطان ليس من ينقب حايطاً فقط ويستلب شيئاً من الاشياء التي داخله . لكنني ادعو ايضاً من يفسد القضاء العدل ويسلب غريبه شيئاً ناقب الحيطان * فلا نغفلن اذاً عن جرايمنا ونصير قضاة على غيرنا . ولا نستفحص خبثاً في حين التعطف على الناس . لكن سبيلنا ان نتفطن ونتفهم كيف كانت حالنا قديماً . ونصير في وقت من اوقاتنا انيسين متعطفين * وان سالت . فكيف كانت حالنا فيما سلف : فاسمع بولس قايلاً جواب ذلك : لانه قال " قد كنا نحن في وقت من اوقاتنا عصاة فاقدي الفهم ضالين . متعبدين لشهوات ولذات متلونة . مبغوضين . يمقت بعضنا بعضاً * " (تيطس ص ٣ ع ٣) وقال ايضاً " قد كنا اولاد غيظ * " (افسس ص ٢ ع ٣) الآن الهنا لما ابصرنا بصورة مضبوطين في سجن مربوطين بسلاسل صعبة اصعب واشد من السلاسل المعمولة من الحديد كثيراً ما استنكف منا . لكنه جاء واشرف على جنسنا . واخرج منه الموهلين لعقوبات جزيلة نقديرها . واقتادهم الى ملكه . وصيرهم انواراً من السماء . لكي نعمل اعماله هذه باعيانها بحسب طاقتنا * لانه قال لتلاميذه " ان كنت انا ربكم ومعلمكم غسلت ارجلكم . فيجب عليكم انتم ان يغسل بعضكم لرجل بعض * لانني انما اعطيتكم مثالاً لكي تعملوا انتم على حدو ما عملت انا * " (يوحنا ص ١٣ ع ١٤) فلما كتب هذه الشريعة لغسل الارجل

فيعطيه لكنه لغاد كتبها في افعاله الاخر كلها التي ازالها * أفالساكن في السجن هو قاتل للناس * الا
التأفض لا تضجر اذا عملنا العمل الصالح . افالقاطن فيه هو نابش القبور فاسق . لكن فلترحمن
البشر ذيلته . لكن مصيبته * فطال ما وجد هنالك (على ما ذكرت) واحدٌ عديلاً لرجال جزيل
عددهم * فان غضبت غضبًا فصلاً الى المتقلين . فما تخيب من الصيد الذي هذا محله * وكما ان
ابراهيم عند ما كان يضيف المقاربين . اتفق له في وقت من اوقاته ان اضاف مليكة . فكذلك
سيتفق لنا نحن ان نجد رجالاً عظماء المحل . اذا جعلنا هذا العمل عملنا * وان احتجنا ان تقول قولاً
مستعجبا . ليس من يقتبل رجلاً عظيمًا محله موهلاً على هذا النحو من التمثيل لمدائح . مثل ما
يستوجبها من يقتبل انسانًا حقيرًا شقيًا * لان ذلك الفاضل يملك عيشته . سببًا ليس يسيرًا
لاستمداده ما يستحسنه * والانسان المطرح الذي يستحاره كل من يراه . انما يملك مبنىً واحدًا . وهو
رحمة الصانع الفعل المستحسن به * فمن هذه الجهة قد استبان كثيرًا . ان هذا الفعل هو تعطف
على الناس نقي خالص * ومن يخدم الانسان العجيب الظاهر شرفه ويسعفه . طال ما عمل هذا
العمل لاظهار الناس * ومن يضيف الانسان المطرح المرفوض ويكرمه . فانما يعمل هذا العمل لاجل
وصية الله وحدها * ولذلك آمرنا اذا عملنا وليمة ان ندعو عرجاننا وعميانا وذوي عاهات * واذا
اصطنعنا صدقة فقد اوعز الينا ان نرحم اناسًا حقيرين ادنياء المحل * لانه قال " اذ قد فعلتم باحد
هولاء الحقيرين احسانًا ففي فعلتموه " (متى ص ٢٥ ع ٤٠) فاذ قد عرفنا اذًا الكنز المخزون
هنالك في الحبس . فلندخلن اليه دخولاً متصلاً . ولنتجر ونعطف الى هنالك مساعي حرصنا .
لا الى الملاعب * وان لم تملك شيئًا تقدمه لهم . فاورد لهم التعزية من اقوالك * لان الله يكافي ليس
الغاذي هنالك فقط . لكنه يجازي ايضًا الداخل الى عندهم * لانك اذا دخلت وانهضت نفسًا
مرتعدة خائفة اذا سليتها واعنتها . ووعدتها ان تنتصر لها . وصيّرتها ان تتفلسف . فلن تلحظ
الثواب من هذه الجهة يسيرًا * ولعمري انك اذا قلت هذه الاقوال وامثالها من خارج سيضحك
منها كثيرون . اذ قد فسخهم تنعمهم الكثير * الا ان الحاصلين في المصائب اذ تميزهم فيهم متقبضون
يصغون بتحوبهم كثيرًا الى ما يقال لهم ويجد حوجهم ويصيرون افضل مما كانوا * وبولس لما خاطب الجميع
طال ما ضحك عليه اليهود * الا ان المتقلين استمعوه بهدو كثير * لان ليس عارضًا لمن على هذا النحو من

تمثيله. بجعل نفسنا ملايمة للفلسفة . مثل المصيبة والمحنة والضغطة الراتبة * هذه كلها اذا تفهمناها . فينبغي ان نعمل بالذين في داخل الحبس ما يمكننا من الاعمال الصالحة * ونمزج بهم ذواتنا باتصال بما امكننا ذلك ان يكون متصلاً * ونفني هنالك مساعينا في السوق واشغالنا الفاقدة وقتها. لكيما نربح اوليك. ونسر ذواتنا . ونجعل الهنا ان يمجّد بنا * فيتفق لنا امتلاك نعمه الصالحة الدهرية . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي به ومعهُ لابيهِ مع الروح القدس . المجد الى اباد الدهور امين .

المقالة الحادية والستون

(٢٢) وصار التجديدات في اورشليم . وكان شتاء * (٢٣) ومشي يسوع في الهيكل في رواق سليمان * (٢٤) فاحاط اليهود بهِ . وقالوا لهُ . الى متى تجاذب نفسنا : *

كل فضيلةٍ عمل جيد * وافضل كثيراً الحلم والوداعة * هذه الغريزة تظهرنا اناساً * هذه تفصلنا من الوحوش * هذه تجعلنا ان نمادي الملايكة * ولهذا المعنى افنى المسيح في وصف هذه الفضيلة اقوالاً كثيرة بمداومةٍ متصلة . اذ اوعز الينا ان نوجد ودعاء اخياراً * وما افنى في نعتها اقوالاً فقط . لكنهُ مع ذلك علمناها بافعالهِ . لما لطم حيناً فاحتمل * واذ شتم حيناً واغتيل عليهِ . اشرف ايضاً على الذين اغتالوا عليهِ وراءهم * لان الذين دعوهُ متشيطناً وسامرياً . وارتادوا في اكثر الاوقات ان يقتلوهُ . ورجموهُ . هولاء احاطوا بهِ واستخبروهُ .. ان كنت انت هو المسيح : " وما دفعهم على هذه الحال . بعد اغتيالاتهم الجزيل عددها المتلونة اصنافها . لكنهُ اجابهم بحلمهِ ووداعتهِ * واوجب ما نعملهُ ان نتصفح القول كلهُ من اعلاهُ اضطراراً * قال .. صارت التجديدات في اورشليم . وكان شتاء * " فهذا العيد كان عظيماً عاماً لمحفل جزيل * لانهم لما عادوا من اسرهم الطويل مداهُ في بلد بابل . عيدوا هذا اليوم الذي فيهِ بُني هيكلهم تعييداً باجتهاد كثير * في هذا اليوم حضر المسيح في العيد * لانهُ آلَ فيما بعد ببلد اليهودية الماماً متصلاً * وكان تالمهُ قريباً عند الابواب * فاطاف اليهود بهِ . وقالوا لهُ . الى متى تجاذب نفسنا : ان كنتَ انت هو المسيح . فقل لنا مجاهرة * وما قال لهم ماذا تطلبون مني : قد دعيتموني في اوقاتكم متشيطناً مصروعاً سامرياً . وتوهمتموني ضدّ الله ومضلاً * وقد قلتم لي فيما سلف .. انت تشهد لنفسك . فشهادتك ليست هي صادقة . " فكيف

تستخبروني ، وترتادون ان تعرفون مني . وقد اقصيتم شهادتي : لكنهُ ما قال لهم لفظًا من هذه الالفاظ*على انهُ قد عرف عزمهم الذي بهِ استخبروهُ * وقد كان عزمهم خبيثًا*لان احاطتهم بهِ . وقولهم لهُ .. الى متى تجاذب نفسنا . " قد يظن ظانٌ انهُ من شوقهم وإيثارهم معرفة ذلك . الا ان سريرتهم التي بها استخبروه كانت شريرة مقصودة مستبطنة غشًا*واذ كانت اعماله ما اقتبلت تجنيًا . ولانكية . لاح لهم ان يتحصوا اقوالهُ . ويحثوا عنها بغرض آخر*او على ما قيل ، انهم اوردوا عليهِ مسايلهم دايمًا ، مريدين ان يمسكوهُ من اقواله . اذ لم يقتدروا ان يشتكوا صنفًا من اعماله . فاشتاقوا ان يجدوا لهُ عيبًا من الفاظه . ولهذا الغرض قالوا لهُ .. قُل لنا * " على انهُ قد قال في اكثر الاوقات*لانهُ قد قال للسامرية .. انا هو المخاطب لكِ * " (يوحنا ص ٤ ع ٢٦) وقد قال للاعمى " قد رايتهُ والمتكلم معك ذاك هو* " (يوحنا ص ٩ ع ٣٧) وقد قال لاوليك وان كان لم يقل هذا القول . لكنهُ قد قال لهم (انا المسيح) بالفاظ اخر*على انهم لو كانوا ما كيفن عقلاً . وارتادوا ان يستخبروهُ بعزم متقوم . لكانوا فيما بعد قد اعترفوا بهِ بتلك الاقوال * لانهُ هو باعماله قد اظهر هذا المطلوب دفعاتٍ شتى * فتامل الان عزمهم المتوسط الموثر الغلبة* لانهُ اذ خاطب الجمع وعلمهم باقوال . قالوا لهُ .. ما الاية التي تريناها : واذ خولهم البراهين بافعاله . قالوا لهُ " ان كنتَ انت هو المسيح . فقُل لنا بمجاهرة* " واذ اعمالهُ هاتفة يطلبون اقوالهُ* واذا كانت اقوالهُ تعلمهم . يلجاؤن الى اعماله . متصبين في العزم المضادّ دايمًا* لان الدليل على انهم ما سالوهُ لاجل إيثارهم ان يعرفوا ذلك . فقد اوضحهُ غاية فعلهم* لان الذي استشعروا انهُ بهذه الصورة موهل للتصديق . حتى انهم اقتبلوهُ شاهدًا لنفسهِ . لما تكلم فيما بعد الفاظًا يسيرة . في الحين رجموهُ بالحجارة . فمن هذه الجهة كان احتدامهم اياهُ وسوالهم بخبث وخب*لان حال سوالهم قد كان مملوًا مقتًا* لانهم قالوا .. قُل لنا بمجاهرة*ان كنت انت المسيح * " على انهُ قد قال اقوالهُ كلها بمجاهرة . لما حضر في الاعياد في بلدهم دايمًا . وما قال قولاً مستورًا*لكنهم لهذا الغرض قدموا الفاظ دكلتهم . اذ قالوا .. لماذا تجاذب نفسنا : " لكيما اذا اشتكوهُ يجدوا لهُ عيبًا ايضًا* والدليل على انهم في كل مكان لاجل هذا الغرض كانوا يسالونه . ليس ليعرفوا . لكن ليتصفحوا ما يقولهُ*ليس في هذا المكان فقط . لكن في مكان آخر . وفي جهاتٍ أخر . فهو واضح بيّن .

لانهم حين تقدموا الى حضرته . سالوهُ " ان كان يجوز لنا ان نعطي قيصر الضريبة . ام لا . " (متى ص ٢٢ ع ١٧) وحين خاطبوهُ في طلاق المراة . وحين استخبروهُ من اجل تلك المراة . التي ذكروا انها قارنت سبعة رجال . اصطيدوا اذ اوردوا عليه مسائلهم . ليس من ايثار التعلم . لكن من عزم ماثق . الا انهُ هنالك وبخهم . اذ قال " ما بالكم تمتحنونني يامراءيين : " موضحًا لهم . انهُ قد عرف ضمايرهم (اي اوهامهم) الفاقدة التكلم بها . وهنا لم يقل لهم قولاً هذا معناهُ . يعلمنا الانوع الذين يغتا لون علينا على ساير اقوالهم . لكن يحتمل بوداعة . ويحلم لايق بالدعة كل ما يقولونه . لان من كثرة غباوتهم كان ان يلتمسوا الشهادت من اقوالهِ . اذ اشادت بهِ اعماله . واسمع كيف يجيبهم . ويجمع في ذلك غرضين . ويخاطبهم مع ذلك خطابًا غامضًا . انهم يطلبون هذه المطالب بزيادة في البحث باطلة . ليس حتى يتعلموا . ويبين لهم انهُ قد ابدى باعمالهِ صوتًا ابين وضوحًا من صوته باقوالهِ . لانهُ قال (٢٥) " قد قلتُ لكم دفعات كثيرة . وما صدقتموني . الاعمال التي اعملها انا باسم ابي . هي التي تشهد لي . " وهذا القول فالفاقدون النوم اكثر من غيرهم . قد قالوهُ دايمًا بعضهم لبعض . " ان ليس يقدر انسان خاطي . ان يجترح ايات هذا المحل محلها . " وايضًا " ليس يمكن شيطان ان يفتح عيون العميان . " " وليس يستطيع احد ان يعمل ايات هذه صفتها . ان لم يكن الله معهُ . " واذا ابصروا اياته التي عملها قالوا " لعل هذا هو المسيح . " وغير هولاء قالوا " اذا جاء المسيح . هل يعمل ايات اكثر من التي قد عمل هذا : " وهولاء باعيانهم ارادوا من هذه الجهة ان يصدقوهُ . فقالوا " ما الاية التي تريناها . لكيما نبصرها ونصدقك : " ولما تعلموا الذين لم يوقنوا بهِ باعماله الجزيل تقديرها . وتظاهروا حينيذٍ بانهم يقبلون منهُ بلفظٍ ساذج . وبخ خبثهم بقولهِ " ان كنتم ما قد صدقتم اعمالي . فكيف تصدقون اقوالي : " فيجب من ذلك ان سوالهم فضلة زايدة . لكنهُ قال (٢٦) " قد قلتُ لكم . وما صدقتموني . لانكم ما انتم من غنمي . " " لانني انا قد تممت الافعال التي من ذاتي كلها التي يجب ان يعملها مَن كان راعيًا . فان كنتم ما لحقتموني . فليس ذلك لانني لستُ انا راعيًا . لكن لانكم لستم غنمًا لي . لانهُ قال . (٢٧) " ان غنمي تسمع صوتي . وتتبعني . (٢٨) " واعطيها حياةً دهرية . وما تهلك الى الدهر . وليس يقتدر احد ان يختلسها من يدي . (٢٩) لان ابي الذي اعطانيها هو اعظم من الكل . ولن يقتدر احد ان يختلسها من

يد ابي * (٣٠) انا وابي واحد نحن " فتامل كيف يامرهم باتباعه في استنقاله اعناتهم . فقال انتم ما قد سمعتموني . لانكم ما انتم غنم * فالذين يتبعونني . اوليك من رعيتي هم . فهذه الاقوال قالها لكيما يرتادوا ان يصيروا غنماً * ثم اذ قال ووصف الذين يتفق لهم تحصيل ذلك . انما اعتمد ان يحرض هولاء . لكي ينهضهم ويحصلهم في شهوة ذلك * فان قلت . فما رايك فيجوز ان تقول له ان كان ليس يختطفها احد لاجل مقدرة ابيك . انما تقتدر انت على صيانتها . لكنك ضعيف عن حفظها : اجبتك . ليس يجوز بجهة من الجهات ان يقال هذا القول . فلكي تعلم ان لفظة ابي الذي اعطانيها . انما قيلت لاجل اوليك . لكيلا يدعوه ايضاً ضد الله * لما قال ليس يقتدر احد ان يختطفها من يدي . اظهر حين امعن في كلامه . ان يده ويد ابيه توجد واحدة * لان لو لم يكن هذا الغرض غرضه . لقد كان لايقاً ان يقول . ان الاب الذي اعطانيها هو اعظم من الكل وليس يقدر احد ان يختلسها من يدي * لكنه ما قال هذا القول . بل انما قال ليس يقدر احد ان يختلسها من يد ابي * ثم لكيلا تتوهم انه هو يوجد ضعيفاً . ولاجل مقدرة ابيه توجد الغنم في صيانته . استثنى بقوله ,, انا وابي واحد نحن . " كانه قال لست لهذا المعنى قلت . ان لاجل ابي ليس يختطفها احد . كانني انا ضعيف عن حفظ غنمي . لانني انا وابي واحد في القدرة * لان الكلام ههنا في القدرة * فان كانت المقدرة لهما واحدة بعينها . فواضح بين ان جوهرهما واحد بعينه * لان اليهود لما عملوا بتتميم اعمالاً جزيلاً عددها اذ اغتالوا عليها واخرجوها خارج مجمعهم . قال لهم . ان جميع الحيل التي احتالوا بها باطلة فارغة . لان الغنم في يد ابي * على ما يقول النبي ,, في يدي قد صورت اسوارك * " (اشعيا ص ٤٩ ع ١٦) ثم اوضح ان اليد هي واحدة * فقال انما توجد حيناً له . وحيناً لابيه * واذا سمعت يداً . فلا تتوهمن توهماً محسوساً . لكن استشعرها القدرة والسلطان . فان يكن لهذا السبب ما اختطفها احد منه لان اباه قواه وايده . ففضلة زايدة يكون قوله الذي يتلو هذا . وهو ,, انا وابي واحد نحن * " لانه ان كان ادون منه . فهذه اللفظة من جراة جزيلة * لانها ما قد اوضحت فعلاً آخر . الا مساواة قدرته * وهذا المعنى فاذ عرفه اليهود . رجموه بالحجارة * ولكنه ولا على هذا الحال نقض هذا الراي والاعتقاد * على ان اوليك لو كانوا توهموا توهماً ردياً . لوجب ان يتلافى توهمهم ويقول . لما قد عملتم هذا العمل : هذه الاقوال اقولها انا لست اشهد ان

لي ولابي قدرة متساوية * فالان يعمل كل ما يعمله بخلاف ذلك . ويثبت هذا الراي ويضمه . ويعمل هذه الاعمال . واوليك متنمرين * لانه ليس بجخ عن الاقوال التي قالها كانها قد قيلت بخلاف الصواب . لكنه يزجر اوليك . على انهم ما قد امتلكوا الراي الواجب من اجله * لانهم اذ قالوا (٣٣) ،، اننا ما نرميك بالحجارة من اجل عمل جيد . لكننا انما نرجمك لاجل تجديفك * لانك موجود انسانا . فتصيّر ذاتك المًا * ،، اسمع ماذا قال لهم . (٣٥) ،، ان كان الكتاب قد دعا الهة اوليك . الذين صار قول الله اليهم . (٣٦) فكيف قد قلتم انني اجدف . لانني قلت انا هو ابن الله ،، فالذي يقوله هذا هو معناهُ . ان كان الذين بمنة تسلموا هذا اللقب . مايشكون اذا دعوا ذواتهم الهة . فالمالك هذا اللقب بالطبع . فكيف يكون عدلاً واجباً ان ينهى عن ذلك . الأ انهُ ما قال هذا القول . واخيرًا اصلحهُ * فحط كلامه اولاً ونطاطا فيه . وقال ،، الذي قدّسهُ ابوهُ وارسلهُ * ،، واذ تلافى غضبهم . حينيذٍ اورد القضية واضحة * لانهُ حتى يقبلوا كلامه عاجلاً . خاطبهم خطاباً اوفر تواضعاً . وصاعدهُ فيما بعد الى اعلى منزلة واعظمها . اذ قال هذا القول . (٣٧) ،، ان لم اعمل اعمال ابي . فلا تصدقوني . (٣٨) فان عملتها . فان كنتم ما تصدقونني . فصدقوا اعمالي ،، ارايت كيف يصلح هذا المعنى الذي ذكرتهُ . انهُ ليس هو في صنفٍ من الاصناف ادنى منهُ . لكنهُ في كل مكانٍ عديلهُ . لان اذ كان جوهرهُ ممتنعاً ان يُرى . يخولنا من اعماله بيان مساواته وذاتيته . وبرهان زوال مباينته اباهُ في مقدرته . وان سالتهُ . قل لنا ما نصدقهُ ونوقن به . اجابك ،، صدّقوا انني في ابي . وابي فيّ * ،، لانني لستُ انا معنىً آخر . الأ ما هو ابي عند ثبوتي ابناً * وابي فليس هو معنى آخر . الأ ما هو انا عند ثبوته اباً * ان يعرفني عارف يعرف ابي . وان يعرف ابي . فقد عرف ابنهُ . فان كانت افعال القدرة ادلى . فقد كذبت اصناف المعرفة . لاننا لا سبيل لنا ان نعرف معنى آخر بمعنى غيره ولا جوهرًا . ولا قدرةً * (٣٩) ،، فارتادوا ان يضبطوهُ . فخرج عن يديهم * (٤٠) ،، وانطلق الى جايز الاردن . الى المكان الذي كان يوحنا يعمد فيه فيما سلف * (٤١) واناس كثيرون جاءوا اليه وقالوا . ان يوحنا ما عمل ولا آيةً واحدة . وكل ما قالهُ يوحنا في وصفهِ . هو صادق * ،، لعمري انهُ متى ما تكلم كلاماً مستعظماً عالياً . من عادته ان ينصرف سريعاً مرخياً غيظهم * حتى بابتعاده عنهم يُسكّن داء حنقهم . ويوصلهُ الى غايته * وهذا العمل فقد عملهُ في ذلك الوقت * وان

سالت فلمَ وصف لنا البشير المكان : اجبتك . لكي تعلم انهُ لهذا الغرض مضى الى هنالك . مذكرًا اياهم بالافعال الحادثة هنالك . وباقاويل يوحنا وشهادته * فلما جاؤا الى هناك . في الحين ذكروا يوحنا ولهذا السبب قالوا .. ان يوحنا ما عمل ولا آية واحدة * " والا فاي نظام كان . لاضافتهم هنا الى كلامهم * ولكن اذ المكان استفادهم الى ذكر يوحنا الصابغ . وافضوا الى ذكر شهادته * وانظر اليهم كيف يوردون قياسات خالية من ارتياب بها فقالوا .. يوحنا ما اجترح ولا آية واحدة . " وهذا فقد اجترح آيات * فمن هذه الجهة اذا يستبين سمو حالته وعظمه * ان كانوا صدقوا ان ذاك ما اجترح ولا آية واحدة . فاولى والبق ان نصدق قول هذا * ثم اذ كان يوحنا الذي شهد لهذا . فلئلا يكون معنى انهُ لم يجترح آية يجترع ظنا . انهُ قد عدم ان يكون موهلاً لتحقيق شهادته . استثنى الجميع بقوله ان كان ما عمل آية . لكنه مع ذلك قد حقق اقوالهُ من اجل هذا كلها علاه اوجعوا اذ هنا اليس موهلا من ذاك موهلاً للتصديق . لكن يوحنا من الايات التي اجترحها هنا موهلا لتصديقه (٤٢:١٠) * وكثيرون آمنوا بهِ * " لان الاصناف التي استجذبتهم اليهِ كانت كثيرة . لانهم تذكروا الالفاظ التي قالها اذ دعاهُ ، الاقوى منه * " ونورًا وحياة وحقا . وبقية اقواله كلها . والصوت الذي قُرّب له من العلو * وللروح الذي ظهر بصورة حمامة وازاله حينئذ لجميع الحاضرين . ومع هذه البرهان من عجايبه الذي ابصروه . فحققوه بعد ذلك * لانهم قالوا ان كان واجبا ان يصدّق يوحنا فالبق واوجب ان يصدّق هذا * وان كان يجب تصديق ذاك خلوا من آية اجترحها . فواجب ان يُصدّق هذا مع شهادة ذاك . اذ يمتلك البرهان من اعماله . ان انصت ما نبههم به مقامهم في المكان وتخلصهم من الناس الخبثاء : فلهذا المعنى اخرجهم اخراجا متصلاً . واستتارهم عن مخالطة اوليك وهذا الفعل بيّن * انهُ قد عمله في الحقيقة اذ اصلح عوام اليهود في البرية بعيدا من اهل مصر وقتلهم في ساير الاحوال وهذبهم

العظة الحادية والستون

في ان هدو الصمت ملايم للفضيلة * وفي فضيلة المراة الواحدة لرجلها *

وهذا الفعل يوصينا ان نعمله * اذ آمرنا ان نهرب من الاسواق . ومن الاراجيف والجلبات .

ولئن نصلي في خزايننا بهدوٍ وصمتٍ *لان المتخلص من كثرة الارتجاف . يسبح برياح ساكنة *والنفس الموجودة خارج الاشغال . هي جالسة في مينى *ولذلك ينبغي ان تكون النساء اوفر فلسفة من رجالهن *اذ كن اكثر اوقاتهن متشمرات في الاهتمام بمنازلهن *فعلى هذه الجهة صار يعقوب خالياً من التصنع . اذ سكن بيته . وكان حراً من الاراجيف التي في وسط الدنيا *لان الكتاب ما وضع له هذا الاسم على بسيط ذات وضعه . اذ قال ،، انه سكن بيته . " (تكوين ص ٢٥ ع ٢٧) ولعلكِ تقولين . والارتجاف في المنزل كثير *فاقول لكِ . لانكِ انتِ تريدين ذلك . وتنهضين على ذاتك رهطاً من المهمات *لان الرجل منصرف في اوساط الاسواق . ومجالس القضاء . يضطرب حوله الاراجيف التي من خارج كانها منصبة عليه من امواج البحر *والمراة جالسة في بيتها كانها في مكتب تعليم الفلسفة . جامعة عقلها الى ذاتها . متمكنة من الاصغاء الى الصلوات والقراءة والى الفلسفة الاخرى *ومثلما ان الذين يسكنون البراري ليسوا يملكون عارضاً موذياً . فكذلك المراة توجد كل حين داخل منزلها . فتقدر ان تتمتع بسكون دايم *فان حدثت في وقتٍ من الاوقات ضرورة تحوجها الى الخروج . فليس هنالك حينيذٍ للاراجيف سبب *لانها اما تخرج لشوقها الى الحضور ههنا . واما تخرج اذا احتاجت ان تتلافى بالحمام جسمها *فهذان الخروجان ضروريان للنساء *واكثر زمانها تجلس داخل منزلها . ويمكن لها ان تتفلسف . وان تطفي ارتجاف رجلها . اذا اقتبلته مرتجفاً . وتقوّم خلقه . وتحسم عنه الاصناف الزايدة الوحشية من افكاره . وترسله ايضاً على هذه الحال . وقد اطرح ما كان استمده من السوق . حاملاً معه ما قد تعلمه من منزله من العزايم الجيدة *لان ليس صنفاً اقوى من امراة ورعة فهيمة في تقويم رجلها وابداع عارة نفسه في العزايم التي يريدها *لانه ليس يجنح الى اصدقايه . ولا الى معلميه . ولا الى الروساء . مثلما يجنح الى قرينته . اذا عاتبته واشارت عليه *لان عذلها وتوصيتها يحويان لذة عنده . لاجل حبه التي تشير عليه *وقد يتساغ لي ان اذكر رجالاً كثيرين صعبة اخلاقهم عاصين . تلينوا على هذه الجهة وانثنوا *لان المراة شريكة لرجلها في مايدته . وفراشه . وابداعه بنينه . وفي احاديث ينطق بها . وفي اسرار يغتاص عليه التكلم بها : وفي مداخل احواله ومخارجها . وفي اصناف كثيرة غير هذه اكثر منها . مدفوعة اليه في مهماته كلها . مؤتلفة به هذا الايتلاف . على ما

يجب ان يأتلف الجسم برأسه. فاذا اتفق ان تكون فهمة مهتمة. فستفوق وتقهر كل اهل بلدها في اهتمامها بقرينها* ولهذا السبب اوصيكم ان تجعلوا هذا الغرض فعلاً* وان تشيروا بما يجب* فكما تملك القوة المودية الى الفضيلة كثيرة. فكذلك تحوي القوة الموردة الى الرذيلة جزيلة* لان هذه المرأة اهلكت ابيشالوم. هذه اهلكت حمنون. هذه شارفت ان تهلك ايوب. هذه اختلست داليلى. هذه سلبت امة بجملتها* لان دبوره ويهوديت اظهرنا فضايل رجال قواد. ونساء غير هولاء جزيل عددهن احكمن هذه المحامد. فلذلك قال بولس.. ما قد عرفت يا امراة. ان كنت تخلصين رجلك .. (قرنثيه اولى ص ٧ ع ١٦) وفي تلك الازمان. قد عرفنا برسيدة ومريم وبرسكيلة قد مارسن اتعاب الرسل. فيلزمنا اضطرارًا ان نشابههن. وان نقوم قرينتنا ليس بالفاظنا فقط. لكن بافعالنا* وان سالت. كيف اعلم قريني بافعالي: اجبتك. اذا راك لست موجودة شريرة. ولا كثيرة النفقة ومحبة للزينة. ولا مستنجزة ارتفاعات من الاموال زايدة. لكن تكونين مكتفية بما يوجد لك. حينيذ يجمع اليك اذا اشرت عليه. واذا تفلسفت بالفاظك. وعملت اضداد ذلك بافعالك. سيلوم كثرة هذيانك. واذا منحتيه مع الفاظك التعليم من اعمالك. حينيذ يقتبلك. وتقتنين له القبول منك اكثر* كقولك اذا لم تطلبين ذهبًا. ولا لولوًا. ولا جواهر. ولا كثرة قيمة الثياب* لكنك تطلبين عوض هذه تورعًا. عفافًا. ونصحًا. وتحصلين هذه في ذاتك. وتستنجزينها منه. لان ان وجب لن تعلي شيًا لاسترضاء رجلك. فينبغي ان تزيني نفسك* وما يجب ان تزيني جسمك وتفسديه* لان ليس يصيره وضع الذهب عليه معشوقًا ماثورًا عند رجلك. مثلما يجعلك العفاف والنصح الى قرينك* وايثار الموت عنه ماثور عنده* فهذه المحامد اكثر من غيرها تستبني الرجال* لان تلك الزينة اذا حضرت لديه ورغبت فيها امراته. اوصلت امواله الى ضيقة. واكسبته نفقة. لكنها تفيد ضد ذلك كله* وتلك الزينة ايضًا يجعلها اعتيادها لن نشبع منها. وزينة نفسنا تزهر في كل يوم. ويضرم لهيب حبها اعظم اضرامًا* فمن هذه الجهة ان شيت ان ترضي رجلك. فزيني نفسك بالعفاف. وبالورع. وبالاعتناء بمنزلك* هذه المحامد تنضبط كثيرًا. وما تكف في وقت من الزمان* هذه الزينة ما تنقضها شيخوخة. ولا يهلكها مرض. لان زينة الجسم وحسنه. قد حلله زمان طويل. وابلاه المرض. واذا اتته عوارض غير هذه

اكثر منها * ومحاسن نفسنا هي اعلى من العوارض كلها * وذاك الحسن يحوي حسدًا . ويضرم غيرة رديئة * وهذا الحسن ليس يحوي حسدًا * وهذا الحسن فهو نقي من مرض . متخلص من كل شرف فارغ * فعلى هذه الحال تكون الهموم التي في منازلنا اسهل مراسًا * ويكون دخل مستغلنا بايسر مرام اذا كان الذهب ليس موضوعًا على جسدك . ولا رابطًا يديك . لكن ينفذ في الحوائج الضرورية كمثل ان يصرف في طعام الغلمان . وفي الاهتمام اللازم في البنين . وفي اسباب اخرى تدعو الحاجة اليها فاذا لم تكن هذه احوالنا سيفترق وجهنا . ويضيق قلبنا * وما هي فائدة تلك الجواهر منفعة لنا اذا كان قلبنا مغمومًا . فليس يترك حسن وجهنا العجيب ان يظهر لانكم قد عرفتم وانتم . ان ابصر الصفة المرأة لا يحوي حسنًا من كافة النساء . ليس يمكنه ان يفرح بها في نفس متوجعة * لان المعلوم ان من يسر ويطرب سبيله ان يفرح اولاً ويبتهج * واذا جمع الذهب كله لزينة جسم المرأة . وكانت في مدة ضيقة . فلن يوجد لقرينها من السرور ولا صغير * فقد وجب من ذلك ان نبتنا ان نرضي رجالنا فينبغي ان نجعلهم في لذة وفرح * وانما نصيرهم في لذة . اذا خلعنا زينتنا . واصناف زينتنا . لان هذه الاصناف كلها في حين التمريض بعينه نظن انها تفيد طربًا . وبعد ذلك تضمر في الزمان الذي كانت السماء بهذه الصورة حسنة . والشمس بهذه الصفة بهية . ما يساع لك ان تتكري شيئًا حسنًا لجسمنا * وما نستحسنها على هذا المثال . لاجل اعتيادنا اياها . فكيف نستحسن جسمًا انسانيًا مزينًا . فنعد الاقوال امام اموالها المفيدة اياها . كن ان تتزين التزين اللائق . الذي لوعز به بولس . ولا بالذهب ولا باللولو وجواهر ثمينة . او بملابس جليلة قيمتها . لكن يتزين بزينة لائقة بنسوة واعدات بالعبادة بالاعمال الصالحة (تيموثاوس الاولى ص ٢ ع ٩) لكنك تريدين ان تسترضي الناس الذين خارجًا وان يعد حولك فهذا الشوق . يبين كثيرًا انه ليس شوق المرأة عفيفة . ولكن ان شئت ان ترى الذين لن تبتلي هولاء عشاقًا بهذه الصفة ما دمت عفيفة . لان ذاك الحسن ليس يمدحه الا متواضع وانما يمدحه فساق شبقون * والتي ما تأمل . ولا هولاء يمدحونه . لكنهم يلومونها لما شغفوا لان التفريط الذي في المرأة يحول وجوههم عنها * وحسن نفسنا فاولئك وهولاء وكافة العلمانيين يقبلونه . من جهة انهم ما يستفيدون منه تاثيرًا رديًا . لكنهم يستفيدون منه تعليم العفة والفلسفة . ويكون مديحه من الناس جزيلاً . وثوابه عند الله عظيمًا * فلنطلب هذا الحسن * لكي نعيش معهما

بطمأنية * ويتفق لنا امتلاك النعم الصالحة المستانفة. التي فليتفق لنا كلنا امتلاكها . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي له المجد الى اباد الدهور كلها * امين

المقالة الثانية والستون

(الاصحاح الحادي عشر) (١) كان واحد مريضاً لعاذر من بيت عنيا ضيعة مريم ومرتا اختها *

(٢) وكانت مريم التي دهنت ربنا بدهن مطيب

ان كثيرين من الناس اذا ابصروا اقواماً من الذين يرضون الله . يقاسون نايبة قادحة . كقولك اما يسقطون في مرض شديد . اما في فقر . اما في عارض غير ذلك هذا مثاله . يتشككون ويرتابون * اذ ليسوا عارفين مقاساة ذلك . وهذه العوارض . انما هي مناسبة للمحبوبين عند الله اكثر الحب جداً * لان لعاذر كان محبوباً عند المسيح فمرض * وهذا المرض فقد ذكره الذين ارسلوا اليه .. انظر ان من تحبه مريض * " قال .. كان واحد لعاذر مريضاً من بيت عنيا * " فما قال البشير على بسيط ذات القول . ولا على ما اتفق من اين كان لعاذر . لكنه ذكر ذلك لاجل علة سوف يصفها بعد ذلك . فينبغي الان ان نمارس ما اعتمدناه . فسيعرفنا حال اختيه تعريفاً نافعاً . لانه قال " هذه كانت مريم التي دهنت ربنا دهناً مطيباً * " ههنا يرتاب مرتابون . كيف استجاز المسيح ان يعمل به امراة هذا العمل : فاولاً يلزمنا اضطراراً ان نعرف ذاك المعنى . ان ليس هذه كانت الزانية المذكورة في بشارة متى : ولا الموصوفة في بشارة لوقا . لان هذه اخرى . لان تلكما كانتا امراتين زانيتين مملوءتين اعمالاً ردية كثيرة . وهذه فكانت شريفة مكينة في الفضيلة * لانها اجتهدت في ضيافة المسيح . فقد ابان البشير اختيه احباء المسيح . فسمح مع ذلك ان يموت لعاذر * فان قلت . فلمَ ما تركتا اخاهما مريضاً : (وهذا الفعل قد فعله رئيس المائة والرئيس الملكي) وذهبتا اليه . لكنهما ارسلتا اليه : اجبتك : لانهما وثقتا بود المسيح كثيراً . وامتلاكتا اختصاصاً به كثيراً : وكانتا امراتين ضعيفتين مضبوطتين بنوحهما * ولعمري انهما قد اظهرتا بعد ذلك . انهما ما فعلتا هذا الفعل على سبيل التهاون * والدليل على ان ما كانت هذه تلك . فقد استبان واضحاً * ولكن ان استخبرت . فلمَ اقتبل المسيح تلك الزانية : اجبتك . ليحل رذيلتها . ليوضح تعطفه . لتعلم ان ليس يوجد مرض قاهراً صلاحه *

فلا تنظر الى هذا فقط انهُ اقتبلها. لكن تامل ذاك الفعل كيف انتقلت* فان قلت فلمَ اذكرنا البشير موضحاً في هذا الخبر. ان هذه احبت يسوع. وقال قولاً متصلاً انهُ احب لعاذر واختيه: اجبتك. يعلمنا الاَّ نستصعب ان عَرَضَ مرض للرجال المكينين في فضيلتهم المحبوبين عند الله. (٣) ,,انظر فان مَن تحبه مريض* ,, ارادتا ان تستجذبا المسيح الى الرحمة* لانهما بعد كانتا تصغيان اليهِ. كمن يصغى الى انسان* وذلك واضحٌ من قولهما ,,لوكنت ههنا ما كان مات اخونا*" وما قالتا انظر لعاذر مريض. بل انظر مَن تحبهُ مريضاً* (٤) ,, فقال المسيح هذا المرض ليس هو موديًا الى موته* لكنهُ من اجل مجد الله. ليتمجد ابن الله به*" فانظر كيف قد ذكر لهُ ولابيهِ ايضًا المجد واحدًا* لانهُ اذ قال لاجل مجد الله. استثنى بقولهِ. ليتمجد بهِ ابن الله. هذا المرض ليس هو موديًا الى موته* لانهُ اذ استانف ان يمكث هنالك يومين ارسل عاجلاً يخبرها بهذا القول. الذي بهِ يتجه لنا ان نستعجب اختيه* لانهما سمعتا ان هذا المرض ليس موديًا الى موته. وابصرتاهُ ميتًا. وما تشككتا* اذ صار الفعل بخلاف القول* لكنهما تقدمتا اليهِ وما استشعرتاهُ كاذبًا* ولفظة لكي ههنا. ليست لفظة علةٍ. لكنها لفظة تقود الفعل الى غايتهِ* لان المرض عرض من جهةٍ اخرى. فاستعملهُ لتمجيد الله* (٦) ,, واذ قال هذه الاقوال. لبث يومين*" فان قلت. ولِمَ اقام يومين: اجبتك. ليعدم نسمته ويُدفن* لكيلا يتجه لاحد الناس ان يقول انهُ ما كان بعد قد قضى اَجلَهُ فاقامهُ. وان العارض لهُ كان (كاروُس) اي سباتًا. وانهُ كان (ايكليسيس) اي سكتةً. او انهُ كان (كتاغوجي) اي غشي عليهِ. وما كان موتًا* فلهذا السبب لبث يومين. حتى يُقال انهُ (اوزي) اي نتن* (٧) ,, ثم قال لتلاميذهِ. فلننطلق الى بلد اليهودية*" ولقايل ان يقول. فما غرضه انهُ ولابجهةٍ من الجهات تقدم فقال رايه في ذهوبهِ. وتقدم فذكر ذلك ههنا: فنجيبه. لان تلاميذه ارتاعوا كثيرًا* فلذلك تقدم فذكر عزمهُ. ليلا يزعجهم بغتةً* فقالوا لهُ (٨) ,, الان كان اليهود يطلبون رجمك. وتمضي ايضًا الى هنالك:" لانهم خشوا عليهِ* وارتياعهم كلهُ كان من اجل انفسهم* لانهم ما كانوا بعد كاملين* ولذلك قال توما وهو مضطرب ,, لنمضي ونحن لنموت معهُ*" لانهُ كان اضعف عزمًا من التلاميذ الآخرين. واعدمهم ايمانًا* وتامل كيف جسَّرهم يسوع فقال. (٩) ,, اليس النهار اثني عشر ساعةً:" فاما يكون عنى هذا المعنى. ان من ليس عارفًا لذاتهِ فعلاً خبيثًا. ليس يمارس عارضًا

مستصعباً * ومن كان عاملاً اعمالاً صالحة يمارس نوائب مكروهة * فمن هذه الجهة ما يجب ان ترتاعوا .
فاننا ما عملنا عملاً يستوجب موتاً * واما يكون عني ان الناظر الى هذه الدنيا يكون في صيانة . فان كان
من ينظر الى ضوء هذه الدنيا يكون في حياطة . فاولى واليق بمن يكون معي ان يكون في صيانة * ان لم
يبعد ذاته عني * فاذ جسرهم في هذه الاقوال . ذكر العلة انها ضرورية . تدعوه الى الانطلاق الى
هنالك * واراهم انهم ليس يستانفون المضي الى اورشليم . لكن الى بيت عنيا * (١١) .. وقال قد رقد
لعازر . فلمضي لكي انبهه * " ومعنى هذا هو لست امضي مخاطباً باقوال هي هي باعيانها ايضاً . وتجاسر
ان تهجم على اليهود . لكنني انطلق ايقظ صديقنا * (١٢) .. فقالوا يارب ان كان قد رقد فقد
تخلص * " فهذا القول قالوه . مريدين ان يقطعوا وروده الى هنالك * فقالوا تقول انه قد نام . فما ينبغي
ان يستعجل في المضي اليه * على انه هو لهذا الغرض قال .. ان صديقنا قد رقد . " ليوضح حضوره
هنالك ضرورياً * فاذ كانت حالهم حال الاوفرين كسلاً . (١٤) .. قال حينئذ قد مات * " لان
قوله فيما سلف قاله مريداً ان يبين اجتنابه المباهاة . فاذ ما عرفوا غرضه . قال قد مات * (١٥)
.. وانا مسرور لاجلكم * " فان استخبرت . وما معنى لاجلكم : لاجيبك . لانه تقدم فقال . وما كان
حاضراً بجسمه هنالك . فمتى ما اقمته . فليس يكون في استنهاضه ولا صنف من التهمة * أرأيته
تلاميذه كيف حالهم بعد . حال عديمة ان تكون تامة . وما عرفوا قدرته على ما يجب : فهذا العمل
علته المخاوف الحادثة في اثناء ذلك . لما ازعجت نفوسهم وارجفتها * ولما قال قد رقد . قال امضي
وايقظه * وحين قال قد مات . ما اضاف الى ذلك اذهب حتى اقيمه * لانه ما شاء ان يتقدم فيقول
بالفاظه . ما استانف ان يحققه بافعاله * يعلمنا في كل مكان العزم المجتنب التشريف * وانه ما يجب
ان نعد وعداً على بسيط ذاته * ولئن كان قد عمل هذا العمل برئيس المائة لما استدعاه . لانه قال
.. انا اجي واشفيه * " (متى ص ٨ ع ٧) فانما عمل ذلك . ليظهر امانة الفاضل * وان قال قايل .
اين توهم تلاميذه نوم لعازر . وما عرفوا من هذا القول انه موت : اجبناه . توهموا ذلك من قوله
امضي لايقظه * ولعمري من الغباوة كان ان اعتزم ان يسير مسافة خمسة عشر غلوة ليوقظه *
ولكننا نقول ذلك القول . انهم توهموا قوله هذا يوجد قولاً قد اضمر فيه قولاً . معناه نظير اقوال
كثيرة خاطبهم بها . وكلهم لعمري ارتاعوا من موافاة اليهود . الا ان توما اكثر منهم * ولذلك قال

(١٦) "فلنذهب نحن نموت معه" وقد قال قايلون انه اشتهى ان يموت وليس ذلك صادقا لان قوله من جبانةٍ كان . الا انه ما انتهر لانه احتمل ضعفه ايضاً . وصار بعد ذلك اقوى منهم كلهم بغتاص القناصة لان هذا هو الفعل المستعجب . ان من كان قبل صلبه رملية الصورة ضعيفاً . نبصره بعد الصليب وبعد تصديقه بالقيامة . اوفر حرارة منهم كلهم لان مقدرة المسيح هذا المبلغ مبلغها لان من لم يجسر ان يمضي مع المسيح الى بيت عنيا هذا اذ ما ابصر المسيح سعى لاحضاره وحده الى المسكونة . وتصرف فيما بين جموعها القاتلين المرتادين قتله . ولئن كانت بيت عنيا مسافتها من الجليل خمسة عشر غلوة . وهي ميلان فكيف لبيت لعازر اربعة ايام : فنقول ان ربنا مكث يومين وقبل اليومين في اليوم الذي فيه قضى اجله جاء ناع . واصفاً موته . وجاء في اليوم الرابع بعينه الى بيت عنيا فلهذا السبب لما دعي الى المجي توقف . وما جاء مدعواً في خلوة لئلا تتهم منهم ما جرى ولا الاختان المحبوبتان اقبلتا اليه لكنهما ارسلتا اقواماً آخرين (١٨) " وكانت بيت عنيا مسافة خمسة عشر غلوة فمن هذه الجهة استبان له ان كثيرين ما يليق جاؤا من اورشليم واستثنى في الحين . (١٩) " بان يهوداً كثيرين جاؤا لكي يعزوهما" فكيف كانوا يعزونهما . وقد كان المسيح يحبهما . وقد كانوا رسموا ان اعترف معترف انه المسيح يكون خارج مجمعهم : فنقول انهم كانوا يعزونهما اما لضرورة مصابهما . واما انهم احتشموهما لموضع انهما كانتا اشرف حسباً من غيرهما . واما يكون هولاء الذين جاؤا ما كانوا خبثاء لان كثيرين منهم آمنوا به . هذه الاقوال قالها البشير محققاً ان لعازر قد مات فان قلت فما كان غرضها في انها ما استدعت اختها وخرجت الى استقبال المسيح : قلت انها ارادت ان تخاطبه على انفرادها . وتخبره بالحادثة عليها فلما استقادها ربنا الى آمالٍ صالحة . حينئذٍ ذهبت ودعت مريم والتفته ونوحها صارخ عليها ارايت كيف كان الود مستقراً : هذه هي التي قال في وصفها " ان مريم اختارت الحصة الصالحة" (لوقا ص ١٠ ع ٤٢) فان قلت فكيف استبانت هذه احر عزمة : اجيبك ليست هذه احر عزماً لان تلك ما سمعت . اذ هذه كانت اضعف عزماً لانها لما سمعت اقوالاً هذا معناها قالت ايضاً " قد نتن " لانه ذو اربعة ايام هو" وتلك على انها ما سمعت قولاً هذه حكايته ما قالت قولاً لكنها صدقت قايلة " ياسيدي لو كنت ههنا لما كان مات اخونا" ارايتم فلسفة النسوة

وان كان عزمهما ضعيفًا : لانهما معما ابصرتا المسيح . ما تهورتا في الحين الى جلبات العويل ولا الى فجايع التدب* ولا الى تواجد النوح* وذلك قد يعرض لنا نحن . اذا راينا اقوامًا من معارفنا داخلين الى عندنا في حال نوحنا* لكنهما في الحال استعجبتا معلمهما . لانهما امنتا بالمسيح . لكن ليس على ما يجب . لانهما بعد ما كانتا عرفتا لا انهُ الهٌ . ولا انهُ يجترح هذه الايات بقدرتهِ ونامرهِ* الذين عرفهما اياهما* لانهما جهلتا شرفهُ ذاك السامي بقولهما . (٢١) ،، لو كنت هينا . لما كان مات اخونا* ،، وجهلتا اقتداره بقولهما . (٢٢) ،، مهما تستمنح الله اياهُ يعطيك* ،، فخاطبتاهُ كمن يخاطب مكينًا في الفضيلة . موفقًا فيما يطلبهُ* فلن سالت* كيف تلافى المسيح عزمهما : اجبتك قال . (٢٣) ،، سيقوم اخوكِ* ،، فعكس عاجلاً ذاك القول والقلبة . وهو مهما تستمنحيه* لانهُ ما قال انا استمنحيه . لكنهُ قال ،، سيقوم اخوكِ* ،، لان قولهُ لها يا امراة . انتظرين ايضاً الى اسفل : لستُ احتاج الى معونةٍ اخرى . كل الايات من ذاتي اعملها* قد كان قولاً مستثقلاً جدًا . يشكك الامراة* وقولهُ ،، سيقوم اخوكِ . ،، كان قول جاعلٍ كلامهُ اوسط* وذكر هذه المعاني التي قلتها باقوالهِ التالية هذا القول ذكرًا غامضًا . لانها لما قالت (٢٤) ،، قد عرفت انهُ سيقوم في اليوم الاخير. ،، اراها مقدرتهُ ونامرهُ . واوضحها ايضاحًا بينًا . بقولهِ . (٢٥) ،، انا هو القيامة والحياة* ،، موضحًا انهُ ليس محتاجًا الى معونةٍ اخرى . ان كان هو الحياة* فان كان محتاجاً الى معونةٍ اخرى . كيف يكون هو القيامة والحياة : فما قال هذا القول مبينًا . لكنهُ ذكرهُ ذكرًا غامضًا* فاذ قالت تلك مهما تستمنح الله . قال هو ،، كل مَن يومن بي . وان يمت يحيى* ،، موضحًا انهُ هو معطى النعم الصالحة . ومنهُ يجب التماسها . (٢٦) ،، وكل مَن كان حيًا ويومن بي . فلا يموت الى الابد* ،، انظر كيف يصاعد عقلها* لان ما كان هذا مطلوبه فقط* ان يقيم لعازر . لكنهُ وجب عندهُ ان تعرف هي والحاضرين تلك القيامة . ولهذا السبب يتفلسف بالفاظهِ . قبل انهاضهِ للعازر* فان يكن هو بعينهِ القيامة والحياة . فليس ينحبس في مكان . لكنهُ من عادتهِ ان يشفي حاضرًا في كل مكان . لانهما لو كانتا قالتا كما قال رئيس المائة ،، قل بكلمةٍ فيشفى غلامي . ،، لكان قد فعل ذلك* فلما دعتاهُ الى عندهما وجاء سالتاهُ* لاجل هذا انحدر معهما . حتى ينهضهما من ذلك التذلل* فلما جاء الى المكان منحدرًا معهما . اراهما على هذه الجهة انهُ يقتدر ان يشفي غايبًا* ولهذا الحال تباطى* لان النعمة ما استبانت في الحين

معطاة · لو لم يتقدم التوسل * ومن ايرن عرفت المراة القيامة المستانفة · الاَّ من انها سمعت المسيح قايلاً اقوالاً كثيرة في ذكر القيامة : الاَّ انها مع ذلك اشتهت ان تبصرها في ذلك الوقت * فانظر اليها ايضًا متصرفةً اسفل * لانها اذ سمعت انا هو القيامة والحياة · ما قالت لهُ انهضهُ · لكنها قالت (٢٧) .. انا اومن انك انت هو المسيح ابن الله * " فقال لها المسيح · (٢٥) .. كل مَن يومن بي · وان يمُت يحيى · يعني هذا الموت · (٢٦) .. وكل مَن كان حيًا ويومن بي · ليس يموت * " يعني ليس يموت ذلك الموت · فان كنت انا هو القيامة · فلا ترتجفي ان مات اخوكِ * فان هذا الموت ليس هو موتًا * الاَّ انهُ عزاها عاجلاً في العارض لها · ونظم لها امالاً صالحة * وبقولهِ سيقوم · وبقولهِ انا هو القيامة · وبقولهِ اذا قام · وان مات ايضًا · فليس يصيبهُ مكروه * فمن هذه الجهة ليس يجب ان ترتاعي من الموت * فالذي يقولهُ هذا هو معناهُ · ان لاهذا مات · ولا انتم تموتون * " اتومنين بهذا وتصدقينهُ : فقالت تلك · اوقن واصدق انك انت هو المسيح ابن الله · الوارد الى العالم * " وعلى حسب ظني · ان المراة ما فهمت ما قالهُ لها · لكنها عرفت وايقنت انهُ عظيم · وما تاملت المقصود كلهُ * ولهذا السبب سُيِلت عن معنىً · فاجابت عن معنىً غيرهِ * الاَّ انها على كل حال قد ربحت تلك الفايدة · وهي نفضها النوح * لان قوة اقوال المسيح هذه خاصتها · ولهذا السبب سبقت تلك وتبعتها هذه * لان الحب للعلم ما اطلق ان تحس بالمصاب الحاضر جدًا * فيجب من ذلك ان عزم المراتين مع النعمة كان فيلسوفًا *

العظة الثانية والستون

في ان النوح على الاموات باسراف قد عدم الاعتدال هو مناسب للذين ينكرون القيامة * وفي انهُ يجب علينا ان نعطي من اجل الاموات صدقات · وتقدم قرابين وقداسات لاغير من غير نواح ❁

الاَّ ان هذا السقم الان مع الافعال الردية الاخرى يتشبث بالنساء * فيجعلنَ في عويلهنَّ تظاهرًا · وفي تواجدهنَّ وندبهنَّ · وينهشنَ سواعدهنَّ · ينتفنَ شعورهنَّ · يجعلنَ على وجناتهنَّ خدوشًا · ويكشفنَ سواعدهنَّ * فبعضهنَّ يفعلنَّ ذلك من نوحهنَّ * وبعضهنَّ يعملنهُ من تظاهرهنَّ ومباهاتهنَّ * وبعضهنَّ يفعلنهُ من تلقاء افراطهنَّ في الشبق في وسط السوق * ماذا تعملين يامرات : اتعرّين ذاتك

انحج تعرية في وسط السوق · وانت عضو المسيح : تنتفين شعرك في وسط السوق · والرجال حاضرون · وتنهضين صنوفاً من الندب والعويل مستصعبة · وتقفزين · وتصفين حولك دارة · وتخترعين صورة نسوة زانيات · وما تحسبين انك تصادمين الملك : فمن كم جنون هذه الافعال متولدة : انما تضحك الاوثانيون علينا : انما يظنون ان فرايضنا لفظاً كاذباً يمثل الصدق : لانهم يقولون ما توجد عندهم قيامة * لكن اعتقادات النصارى هزؤ ولهو · وخديعة وحيلة * والنساء اللواتي عندهن يعولن هذا العويل الشديد · كأنّ ليس واحد موجوداً فيما بعد * انما تصيحين الى الالفاظ المسطورة في الكتب : هل تلك كلها مخترعة * فهولاء النسوة يوضحن ذلك · لانهن لو صدّقن ان المتوفي ما استكمل عمرهُ · لكنهُ نُقل الى حياة افضل من هذه · لما تواجدن عليه · كأنهُ ليس موجوداً ايضاً · ولما كنّ اضرمن عليه نار الحزن هكذا · ولا كنّ ابدين اصواتاً هذا تاثيرها مملوة كفراً وزوال تصديق · لستُ ابصرك ايضاً · ولا اتسلمك ايضاً * هذه كلها عند النصارى لفظ كاذب يمثل الصدق * لانهم ان كانوا على هذا النحو ينكرون هامة الامال الصالحة · فاولى بهم واليق ان ينكروا المواعيد الاخرى الشريفة التي عندهم * فاليونانيون ليسوا يتاثون على مثالهن * لان كثيرين عندهم تفلسفوا * وقد سُمِعَتْ امراة منهم عن ابنها انهُ سقط في الحرب ميتاً * فسالت في الحين · احوال المدينة كيف تحوى سياستها : وفيلسوف آخر كان لابساً اكليلاً · فاذ سمع ان ابنهُ من اجل وطنه سقط ميتاً نزع الاكليل * واستخبر مَن من الاثنين سقط · ابنهُ ام وطنهُ : فاذ عرف ان الواقع ابنه · وضع الاكليل في الحين على راسه * وكثيرون منهم دفعوا ابناءهم وبناتهم الى ذبحهم · لاكرامهم للشياطين · والنسوة الشجاعات منهم كنّ يوصين بنيهم · اما يسلم ترسهُ من الحرب · واما يُحمَل فيه اليها ميتاً · فلاجل هذه الافعال اخجل مستخزياً · ان اناساً وثنيين يتفلسفون بهذه الافعال وامثالها · ونحن نفتضح * الذين ما عرفوا في ذكر القيامة قولاً · يفعلون افعال الذين قد عرفوا ذلك * والعارفون وصف القيامة · يعملون اعمال الذين يجهلونها * وما ليس يعملونهُ لاجل الله · طالما عملوهُ لاجل استحيايهم من الناس * لان الموسرات من النساء · ما يحللن ضفايرهن · ولا يعرين سواعدهن * وهذا من جناية واصلة الى غايتها · ليس بسبب انهن ما يكشفن سواعدهن · لكن لموضع انهن يعملن ذلك · ليس لتورع وتوقي · لكن لاجل ظنهن ان ذلك يخزيهن * ثم يكون الاستحياء يضبط التورع ·

وما يضبطهُ خوف الله. وكيف ما تكون هذه الافعال موهلة لثلب واصل الى غايته: لان الفعل الذي تفعلهُ الموسرات بسبب ايسارهنَّ. ينبغي ان يعملنهُ من اجل خوف الله النسوة الفقيرات * فالان هنَّ يعملنَ خلاف ذلك * لان الموسرات يتفلسفنَ. لاجل الشرف الفارغ * وهولاء الفقيرات يتفضحنَ. بسبب صغر نفوسهنَّ * فما الذي يكون اشرَّ من هذا زوال الاعتدال: اننا نعمل اعمالنا كلها لاجل الناس. كلنا نفعلها لاجل الاشياء التي ههنا. ونتكلم الفاظاً مملوة زوال التمييز وضحكاً كثيراً. فربنا قد قال ,, مغبوطون النايحون *'' (متى ص ٥ ع ٤) يعتمد بقوله النايحين على خطاياهم * وليس ينوح احدنا ذلك النوح. ولا يهتم بنفسه الهالكة * وهذا النوح ما اوعز الينا ان ننوحهُ. ونحن ننوحهُ * ولعلَّك تقول. افتجوز ان يوجد انسان فلا يدمع: فاجيبك. اَلعَلّي انا امنع هذا البكاء: لست امنع التوجع * لكنني امنع هذا الافتضاح * لسعد وحشياً. ولا قلسياً * قد عرفتُ ان طبيعتنا تنوح. وتطلب عادتها وخطاها الحادث كل يوم: وما يجوز ان لا نغتم * وهذا العارض فقد اوضحه المسيح * لانه دَمَّعَ على لعازر * فاعمل انت هذا العمل. دَمِّعْ. لكن بسكون وبشكل محمود. وبخوف الله * اذا دمعت على هذا النحو. فما تعمل هذا العمل على انك منكر للقيامة. لكن على انك لست محتملاً للفراق * اذ من عادتنا ان ندمّع. اذا انصرف الغايبون عنا في السفر * الا اننا لسنا نعمل ذلك على اننا موئيسون منهم * فدمّع انت على هذه الصورة. كانك تشيّع غايباً في سفر * هذه الاقوال اقولها لا مشترعاً اياها. لكنني اقولها متحدراً * فان كان الميت خاطياً. وقد صادم الله بخطايا كثيرة. فيجب ان تبكي عليهِ. واوجب ما تقول. انك ما ينبغي لك ان تبكي فقط. فان بكاك هذا ليس نافعاً ذاك. لكن سبيلك ان تعمل الاعمال. التي تقتدر ان تفيدهُ تعزية وسلوى. وهي ان تعطي عنهُ صدقات. وتقدم قداسات * (في تقديم الصدقات والقرابين عن الراقدين) وينبغي لك مع ذلك ان تفرح. انهُ قد انحسمت عنهُ افعال رذيلته * وان كان الميت عادلاً. فيجب ان تبتهج ايضاً. لان فضايلهُ مخزونة في صيانة. ولانهُ قد تخلص من غامض المستانف ان يعرض لهُ * وان كان حدثاً. فينبغي ان تفرح لهُ. لانهُ استخلص سريعاً من البلايا والافات التي في وسط الدنيا * وان كان شيخاً يجب ان تُسَرَّ لهُ. فان الحظ الذي نظن انهُ ماثور. هذا قد تسلَّمهُ بشبع منهُ. وذهب فلم تهملين ان تفتكري هذه الافكار. وتتواجدي لعبداتك. كانكِ تكرمين الميت * وهذا الاكرام هو

اهانة واصلة الى غايتها*لان التكريم للذي قد استكمل عمرهُ . ليس هو عويلاً وشهيقاً . لكنهُ تسابيح وترنيمات وعيشة فاضلة*لان ذاك لما انصرف صار مع الملائكة . ولو لم يتفق لهُ احد الناس يشيع جثتهُ* والمنفسد بذنوبه ولو حاز اهل المدينة مشيعين اياهُ . فليس يستثمر من ذلك نفعاً*اتشاء ان تكرم المنصرف عاهنا . اكرمهُ على جهةٍ اخرى . اذا عملت عنهُ صدقات . لان ما منفعتهُ من شهيقات العويل الكثيرة . فانا قد سمعت فعلاً آخر مستصعباً*ان نسوةً كثيرات يستجذبن بتواجدهن ونوحهن عشاقاً*اذ يستصعن الذوائبهن باستعراض نديهن شعوف محبهن الرجال . فعرجاً لهمتهن الشيطانية . وتباً لفكرتهن المحالية*الى متى نكون نحن ارضاً ورماداً . حتى متى نكون دماً ولحماً . فلنرفع الحاظنا الى السماوات . ولنتفهمن الغرض الروحاني*كيف تقتدر ان نزجر الاوثانيين . وكيف نتسلى . اذا عملنا هذه الاعمال وامثالها . كيف نخاطبهم في وصف القيامة . كيف نكلمهم في وصف الفلسفة الاخرى . كيف نعيش نحن عيشاً بطمأنينة وثقة . لان الغم يبرز الموت*اذ يظلم بصيرة نفسنا الباصرة . وما يفرج لها ان تبصر صنفاً من الاصناف الواجبة*ولهذا السبب حصلت مضرتنا جزيلة*لاننا على تلك الجهة نصادم الها . وما ننفع ذواتنا . ولا الماضي من هذه الدنيا*وعلى هذا النحو نرضي الها . ونوقر عند الناس*لاننا متى لم نتكردس الى الغم نحن . فستزول بقية اكتئابنا سريعاً* واذا تضجرنا اهملنا فنصير مدفوعين الى الغم*واذا شكرنا . فما نغتم*فان قلت . وكيف يمكن ان لا يغتم من فقد ابنهُ . او امراتهُ . اجبتك . لست اقول ان لا يغتم . لكنني اقول ان لا نغتم اغتماماً فاقداً لا عيد اليه . لاننا اذا تفطنا ان الله سلبنا ولدنا . وايقننا اننا امتلكنا ابناً ورجلاً ميتاً . سنستمد تعزيةً كثيرة باسراع . لان التضجر هو مناسب للطالبين مطلوباً اعظم من طبيعتهم*انما ولدت انساناً مايتاً . فما معنى التياعك . لانهُ حدث حادث مناسب لطبيعتك . هل تتجع لانك اذا اكلت تغتذي . هل تلتمس ان تعيش خلواً من طعام . فخذ في الموت هذا المأخذ*واذا كنت كونت مايتاً . لا تطلبن الان زوال الموت*فهذا الايعاز قد اوعد به دفعةً*فلا تتجع . ولا تنتحب . لكن احتمل ما قد اشيع عاماً لكل الناس . بل توجع من اجل ما اجترمتهُ من الخطايا . لان هذا نوحٌ جيدٌ*هذا النوح من فلسفة عظيمة*فينبغي لنا ان ننوح هذا النوح بمداومة*ليتفق لنا امتلاك السرور هنا لك . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفهُ . الذي به ومعه لابيه المجد . الى اباد الدهور كلها امين . *

المقالة الثالثة والستون

في قولهِ (٣٠) وما كان بعد قد دخل يسوع الى الضيعة لكنهُ كان في المكان الذي فيهِ لقيتهُ مرثا* (٣١) وان اليهود الذين كانوا معها في البيت *

ان الفلسفة بحيق صالحة عظيمة *وذكرتُ فلسفة التي هي عندنا*لان علوم الذين خارج علتنا هي الفاظ كذب بمثل الصدق *والفاظ كذبهم التي تمثل الحق ما تحوى فلسفة*لان العلوم التي عند اوليك كلها انما تصير لاجل التشريف*فالفلسفة اذاً بحية صالحة عظيمة . من شانها ان تقضينا جهة واجبات المكافاة . لان مَن قد اذدرى الاموال . فقد استثمر من هذه الجهة الفايدة النافعة . لتخلصهُ من المهمات الزايدة الفاقدة المنفعة . ومَن قد توطى شرف الدنيا . فقد استمد من هذه الجهة ثوابهُ*اذ ليس يوجد عبداً لشيء من الاشياء . لكنهُ قد حصل حراً . الحرية التي هي على الحقيقة حرية ومشتهي النعم السماوية . فقد حصّل المكافاة . اذ ليس يستشعر الاشياء الحاضرة انها شيء . وقد مسك الغركلهُ بايسر مرام*فما هذه المراة لما تفلسفت . استمدت الثواب من هذه الجهة*لانها اذ كان الحاضرون لتعزيتها جلوساً عندها . وهي باكية منتحبة . ما تصبرت لمجيء المعلم الى عندها ولا رافعت مرتبتها . ولا ضبطها نوحها*لان النايحات على امواتهن . يشتملن هذا السقم مع شنوتهن الاخرى . ويوثرنَ التفضيل والتكريم لدى الحاضرين عندهنَّ الّا ان هذه الفاضلة *ما عرض لها من هذه العوارض*لكنها نهضت في الحين . واستقبلتهُ*وما كان يسوع قد دخل بعد الى الضيعة . لانهُ مشَى ابطاء مشياً . ليلا يُظن انهُ يطرح ذاتهُ في اجتراح الاية*لكن يسالهُ اوليك فيها*فاما يكون البشير اراد ان يذكر هذا ذكراً غامضاً . واما تكون المراة حاضرت بسارعة . حتى تبادر تستقبلهُ جاءتا وجاءت ليس هي وحدها . لكنها استصحبت معها جميع اليهود الحاضرين عندها . على جهة تلبيس فهماً جيداً . ولهذا قالت الغرض اختها لما مقصودها سراً . حتى لا ترجف الجمع الحاضر عندهما ولا ذكرت لما العلة . لانهم كانوا كثيرين . فكانوا قد انصرفوا*فالان لحقوها كلهم . على انها منتحبة باكية وبهولاء ايضاً تحقق ان لعازر كان قد مات* (٣٢) .. وجثت على قدميهِ* " فهذه احرّ شوقاً من اختها*لانها ما خجلت من الجمع . ولا من الظن الذي امتلكهُ اوليك من اجلهِ* لان قد كان فيهم

كثيرون من اعدايهِ الذين قالوا .. أما يمكن هذا الذى فتح عيني الاعمى. أن يجعل هذا الاّ يموت : " لكنها عند حضور المعلم. اقصت عنها الاوهام الانسانية كلها . وتمكنت في عزم واحد وحدهُ. في اكرامها المعلم * .. وقالت ياسيدي. لوكنت هنا. لما كان مات اخونا * " الاّ ان المسيح ما قال لها شياً. ولا قال لها هذه الاقوال. التي قالها لاختها * لان جمعاً كثيراً كان حاضراً * وما كان وقت تلك الاقوال * لكنهُ تحدر وتنازل. اذ كشف طبيعتهُ الانسانية. وما اراد ان يتخيلوا فيه شياً اكثر * لان العجيبة لما كانت عظيمة منزلتها. المنزلة التي نوضح انهُ اجترحها دفعاتٍ يسيرة. واعتزم ان يربح بها فوايد عظيمة * فلكيلا يعملها خلواً من اوليك. فيشككَ الجمع * وما يستفيدون من جسامتها فايدة * استجذب بمقاربته وتحدرهِ شهوداً كثيرين * لكيلا يضيّع الفريسة * فاراهم عاجلاً طبيعته الانسانية. انهُ دمّع . وانهملت عبراتهِ * لانّ النوح من شانهِ ان يرجف * ثم زجر ايضاً العارض. لان لفظة انتهر روحهُ. التي هي انهُ قاسى انهمال دموعهِ. وسال على هذه الحال (٣٤) .. اين وضعتموهُ : " حتى لا يصير سوالهُ بعويل وشهيق. فان سالتَ. ولِمَ سال اين وضعتموهُ : اجبتك. انهُ ما اراد هو ان يبادر. لكنهُ شاء ان يعرف من اوليك كل ما جرى. وان يسالوهُ ان يعمل العجيبة. حتى يستخلص الآية من كل تهمة * .. فقالوا لهُ جيء فابصرهُ (٣٥) فدمّع يسوع * " لانهُ ما كان قد اراهم بعد علامة القيامة . ولا جاء على هذه الجهة على ان يقيمهُ. لكنهُ جاء على انهُ مهمل دموعهُ. والبرهان على انهم ظنوهُ ذاهباً معهم ذهوب منتحب عليهِ. ليس ذهوب منهض اياهُ. اسمع ما قالوهُ. اذ بعضهم قالوا (٣٦) " ابصروا كيف كان يحبهُ * وقال غير هولاء (٣٧) اما امكن هذا الذي صيّر عيني الاعمى ان تنفتحا . ان يُصيّر هذا لا يموت : " لانهم ولا في المصايب انتزحوا عن خبثهم * على ان الآية التي اعتزم ان يعملها . كانت اعجب الايات كثيراً * لان طردهُ الموت بعد ورودهِ الى الانسان وضبطهِ اياهُ . هو اعظم من تبطيلهِ فعلهُ عند مجيئهِ بكثير . فمن الافعال التي وجب عليهم ان يستعجبوا مقدرتهُ منها ثلبوهُ * فقد اعترفوا انهُ فتح عيني الاعمى . وقد كان واجباً ان يستعجبوهُ. لاجل ذلك * فمن هذا الفعل استهجنوا ذلك * كأن ذاك ليس كايناً * فما اظهرهم مفسودين بهذا القول وحدهُ. لكن ومن انهم سبقوا بثا لبهم اياهُ. وما كان قد جاء الى القبر. ولا اظهر آية القيامة . وما تصبروا الى غاية فعلهِ * ارايتَ كيف كان حكمهم مفسوداً : .. ثم جاء الى القبر.

واتتهر ايضاً تاثير البكاء* " فان قلت. فما راى البشير في اجتهاده ان يقول في هذا على قوله واستثناه
انه دمع. وانهُ زجر تاثير البكاء : اجبتك. لكي تعرف انهُ قد اشتمل بالحقيقة طبيعتنا *لانهُ لما تكلم من
اجله اقوالاً عظيمة اكثر من البشيرين الآخرين. يتكلم ههنا في الافعال الجسمانية اذلّ تكلماً بكثير.
لانهُ ما تكلم في ذكر موته كلاماً هذا معناهُ. مثل تكلم في ذلك باقي البشيرين* ولا ذكر انهُ جاهد.
لكنهُ قال بخلاف ذلك* لانهُ القى الذين جاءوا اليهِ على ظهورهم* فما نقصهُ هنالك تممهُ ههنا بنوحه
على لعازر* لانهُ لما تكلم في ذكر موتهِ قال .. انا امتلك سلطاناً. ان ابذل نفسي* " وما تكلم هنا الا
لفظاً ذليلاً. ولهذا السبب قال في تالمهِ. انهُ يمتلك الفعل الانساني كثيراً. موضحاً من هذا
صدق تدبيرهِ* لان متى البشير اوضح صدق تدبيرهِ من جهادهِ ورعدتهِ. ومن عرقهِ* وهذا حقق
ذلك من نوحهِ على لعازر* وما كان ذلك. لولا ان النوح ضبط طبيعتنا التي لهُ دفعةً. وتلبيته
ولعمري انهُ ما قال لاوليك قولاً بسبب زيغانهم عن الواجب* لان ما حاجتهُ ان يبكتهم باقوالهِ.
وهم متوقعون في ذلك الحين ان ينهكوا بافعالهِ* وقد كان ذلك عديماً لن يكون مستثقلاً. وفيه
كفاية ان يخجلهم اكثر تخجيلاً* (٣٩) " وقال ارفعوا الحجر* " ولقايل ان يقول. وما غرضهُ في
انهُ ما دعاهُ غايباً عن قبرهِ. واحضرهُ بحضرتهِ: وما رايه في انهُ ما صيّرهُ ان يقوم والحجر موضوع على
قبرهِ: فنجيبهُ. انهُ كان قادراً على ذلك من حرّك بصوتهِ جسماً ميتاً. واناله نفسهُ بعد ان كان قد
انفسد: وقد اقتدر اكثر. والبق لن يحرّك بصوتهِ بعينهِ حجراً* ومن بصوتهِ صيّر من كان مربوطاً
مشدوداً ان يمشي. فاللبق بهِ واولى انهُ قد كان حرّك حجراً. وعمل هذا العمل غايباً عن القبر فان
قلت: فما بالهُ ما فعل ذلك: اجبتك. لكي يجعل اوليك شهوداً لعجيبتهِ* لكيلا يقولوا هذا القول
الذي قالوهُ في الاعمى. هذا هو. ليس هو هذا. لان ايديهم ومجيهم الى القبر شهدت بان ذاك هو*
لان اوليك لو كان انهضهُ على تلك الحال. لكانوا لما قد ظنوهُ خيالاً. ولما كانوا توهموا انهُ آخر
بدل آخر* فالان مجيهم الى القبر. ورفعهم الحجر. وخروج الميت مضبوطاً باكفانهِ. وايعازه اليهم
ان يحلوهُ. وهو مشدود. ونظر اصدقايه اليهِ الذين حملوهُ الى قبرهِ. وقد حضروا قيامتهُ ونزعهم
اياهُ من ثيابهِ. وان اختيه لم تنقبضا عن ان تقولا هذا القول .. انهُ قد نتن لانهُ ذو اربعة ايام
هو* " هذه كلها فيها كفاية. ان تطبق افواه المكابرين. اذ قد صاروا شهوداً لاية استنهاضهِ* فلهذا

السبب اوعز اليهم ان يرفعوا الحجر عن القبر. موضحاً انهُ يقيمهُ * ولهذا الغرض سال اين وضعتموهُ. حتى لاينساغ للذين قالوا لهُ جيء وابصر واقتادوهُ الى القبر. ان يقولوا انهُ اقام آخر. حتى يشهد قولهم وايديهم * فقولهم القايل اجيء وابصر. وايديهم التي رفعت الحجر. وحلّت اقماط اكفانهِ. وبصرهم وسمعهم اذ سمع صوت ربنا. وبصرهم اذ رآهُ خارجاً. ومشمّهم اذ حصل نتانتهُ. لانها قالت قد نتن. لانهُ ذو اربعة ايام. فعلى جهة الواجب قالوا ان المراة ما عرفت شيًا مما قالهُ المسيح. وهو.. وان مات يحيى * " وابصر ما قالتهُ هينا. على ان فعل قيامتهِ عندها ممتنع. بسبب مداء الوقت * لان مستغرباً كان ان يقوم منتناً منفسداً ذا اربعة ايام * ولعمري قد قال لتلاميذهِ.. لكي يتمجد ابن الله." معنياً عن ذاتهِ * وقال للامراة.. تنظرين مجد الله." في وصف ابيهِ. أرايت ان ضعف سامعيهِ كان علةً لفصل الاقوال التي قالها. وقارب ان يكون زاجراً اياها. على انها مسلوبة ذكر ما قيل لها. وما شاء ان يزعج الناظرين اليهِ عاجلاً. فلذلك قال لها.. أَما قد قلتُ لكِ. انكِ ان امنتِ ترين مجد الله." (٤٠) *

العظة الثالثة والستون

في فضل الامانة. وفي ان رسل ربنا قهروا الفلاسفة الذين خارج محلتنا. وان امانة خالية من اعمال ما تتم شيًا * وفي ذم الزناء والفسق *

ان الامانة لفعل صالح عظيم. وهو عظيم من جهة انهُ علة.. لفوايد صالحة كثيرة * حتى ان الناس يمكنهم ان يعملوا اعمال الهنا باسمهِ. لانهُ قال.. ان انتم. قلتم لهذا الجبل انتقل فينتقل *" (متى ص ١٧ ع ٢) وايضاً.. مَن يومن بي يعمل باسمي اياتٍ اعظم من اياتي *" (يوحنا ص ١٤ ع ١٢) وان سالت وما هي الايات الاعظم من اياتهِ. اجبتك ان ظل بطرس صيَّر ميتاً ان يقوم. لان على هذه الجهة اذ يعت مقدرة المسيح. لان ما كان مستعجباً على هذا النحو من التمثيل ان يخرج العجائب اذ كان حياً في جسمهِ. مثل اقتدار آخرين ان يعملوا باسمهِ من بعد موتهِ اعظم من اياتهِ. لان هذا كان برهاناً لقيامتهِ الفاقدة الارتياب بها. فهذا لو لم يظهر. لما كان على هذه الجهة صدِّق * لانهم كان انساغ لهم ان يقولوا ذلك القول. ان ذلك كان خيالاً * فمن يبطر من اسمهِ السذاج فقط. ايات تكون اعظم من الايات

التي صلرت لما كان هو معهم في لحمهِ . ليس بنكرها ان لم يكن فاقدًا حسنةً جدًا * فالامانة اذًا فعل
صالح عظيم . اذا تكوّنت من سريرةٍ حارّة . ومن نفسٍ مستحرّة . ومن مودّة كثيرة * هذه الامانة
تصيّرنا فلاسفة * هذه تستر حقارتنا . وتستر حقارة انسانيتنا . ونترك افكارنا اسفل . ونتفلسف في
النعم التي في السموات * وما ليس تقتدر فلسفة الناس ان تجدهُ . لكنها تزلق منحرفة عنهُ . هذا تمسكهُ
الامانة وتُعلّمهُ * فسبيلنا ان نتشبث في هذه الامانة . ولا نسحب ذواتنا في افكارنا * لان قل لي . لم
امكن اليونانيون ان يجدوا شيئًا : انّما قد عرفوا الحكمة التي خارج محلتنا كلها : فكيف ما الحكيم
بهروا اناسًا صيادين . وخميين . عادمين فهمهم وعلمهم : لان اولئك علوا كل ما علوهُ بافكارهم
فلهذا السبب هؤلاء الرسل قهروا وغلبوا افلاطون . وفيثاغورس . وغيرهما . وجميع اولئك الضالّين
والذين حصلوا علم التنجيم . وعلم التقدير . وعلم الهندسة . وعلم الحساب * وجمعوا كل ادب وعلم
طرحهم هؤلاء الصيادون كطرح الغبار . وصاروا بهذا المقدار افضل منهم * بمقدار ما ان الفلاسفة
بالحقيقة . افضل من الحمقى في طبعتهم . ومن الموسوسين . لان هؤلاء الرسل قالوا في الحين على
نفسنا توجد غير مائتة * وما قالوا ذلك فقط . لكنهم حققوهُ * واولئك الفلاسفة فقبل هذا ما عرفوا
في وقت من اوقاتهم ان نفسنا موجودة * فلما اوجدوها وافصلوها من جسمنا . عرض لهم هذا العارض
بعينهِ * لان فيهم مَن قال انها جسم . ومنهم مَن ذكر انها مركبة . ومنهم مَن قال انها تنحل مع انحلال
جسمنا * واختلفوا ايضًا في ذكر السماء * فقال بعضهم انها ذات نفس واله * الا ان الصيادين
قالوا . ان السماء عمل الله وصناعتهُ * وحققوا ذلك عند مَن قبل قولهم * ولكن استعمال اليونانيين
افكارهم ليس فعلاً مستحيًا * الا ان للمظنونين انهم مؤمنون . اذا وجدناهم نفسانيين . يوجد ذلك
مفحوصًا عليهِ * ولهذا السبب ضلّ هؤلاء وانخدعوا . فمنهم مَن قال انهم يعرفون الله . مثلما يعرف
هو ذاته * وهذا قول واحد من اولائك اجترى ان يقولهُ * ومنهم مَن قال ما يقتدر ان الله يلد
خاليًا من الم . ولم يُطلقوا لهُ ان يملك خاصة اكثر من خاصة الكثيرين * وبعضهم قالوا ان السر
التوبة لن تفيد نفعًا . ولا النيرة المتقومة نحو سيرة عليهم منفعة * الا ان وقتنا ليس وقتًا للطعن
في هذه الاقوال * لعمري ان البرهان على ان ليس بنفسنا امانة متقومة . اذا كان عيشتنا وفضيلتنا
فالمسيح وبولس تلميذهُ يقولان في تفخيمه لفظًا لا كثيرة . فقد قال . ليس كل قائل لي يا رب يا رب

يدخل الى ملكوت السموات* " (متى ص ٧ ع ٢٥) وسيقول لي كثيرون في ذلك اليوم. الستا باسمك يارب تنبأنا: فاقول لهم لست اعرفكم. ابعدوا عني يافعلة الاثم* وقال ايضاً " لا تفرحوا لان الشياطين تطيعكم* " (لوقا ص ١٠ ع ١٧) لان الذين ما يتحفظون لانفسهم. سيزلقون الى الخبث الشر ذلق. ولو امتلكوا املة قوية* وبولس اذ راسل العبرانيين كتب قائلاً " اسعوا وراء السلامة والقداسة. اللتين خلواً منهما ليس يعاين احدٌ الرب* " فالقداسة يعني بها العفة. حتى يكتفي كلٌّ بامراته. ولا يصغى الى امراة غيرها. لان ممتنعاً ان يتخلص من ليس يكتفي بامراته. ولكنهُ يهلك بلازم الضرورة على كل حال. ولو امتلك فضايل قد احكمها جزيلاً عددها* لان مع الزنا ممتنع ان يدخل فاعله الى ملكوت السماء* والبقي ما يهلك. ان هذا الفعل ليس زناه. لكنهُ فسقٌ. لانه كما ان الامراة المربوطة برجلها. اذا اضطجعت مع رجل غيره. فقد فسقت* فكذلك الرجل المربوط بامراة. اذا امتلك اخرى. فقد فسق* ومن هذا الحال حالهُ ليس يرث ملك السماء. لكنهُ يسقط في جهنم* لان في وصف الذين هذه طريقتهم. قال الله " ان دودهم ليس يموت. ونارهم ما تطفى* " (مرقص ص ٩ ع ٤٤) لان العايش مع امراته الحاوي تعزية جزيلاً تدبيرها. ليس يملك صنفاً من عذر. اذا شتم ذاتهُ. وخالط اخرى* لان هذا الفعل جهلٌ وتنكه. لان ان كان الكثيرون يبتعدون من الامراة. اذا كان الوقت وقت صوم. واذا كان وقت صلاة. فمن ليس يكتفي بامراته. ليس يتحورد الى منزله اخرى. كم يجمع من النار على ذاته: ولين كان من يخليها. لاسبيل لهُ ان يمضي الى اخرى. (لان هذا هو فسق*) فمن يستورد امراة اخرى. وامراتهُ موجودة في منزله. كم يفعل عملاً منكراً: فلا يسعنَّ احدكم ان يبعث هذا السم في نفسه. لكن ينتقصهُ من اصله* فانهُ ليس يضر امراتهُ على هذا النحو. مثلما يضر ذاتهُ* (لان من هذا الفعل فعلهُ هو بهذه الصورة نجس*) اذ هذا الخطاء هكذا هو ثقيل جداً خالٍ من الاعتذار والعفو* لان المراة ان فارقت عابد الاوثان. وخليك لايشاه ان يفارقها. يعاقبها الله* واذا فارقت الزاني. فليس يعاقبها ما رايتم بكم من المقدار هذا الفعل شكراً: لان بولس يقول " اذا كانت الامراة مومنة تملك رجلاً غير مومن. ويرتضي هو ان يسكن معها. فلا تفارقهُ* " (كورنثيه اولى ص ٧ ع ١٢) وما قال في ذكر الزانية هذا القول. لكنهُ قال " ان خلَّى احدكم امراتهُ من غير جناية زناء. يصيرها ان تفسق* " (متى ص ٥ ع ٣٢) لان

التي صارت لما كان هو معهم في لحمهِ. ليس ينكرها ان لم يكن فاقدًا حسّهُ جدًا * فالامانة اذًا عمل
صالح عظيم. اذا تكوّنت من سيرة حارّة. ومن نفس مستحرّة. ومن مودّة كثيرة فمنه الا
تصيرنا فلاسفة وهذه تستر حقارتنا. وتستر حقارة انسانيتنا. وتترك افكارنا اسفل. وتتفلسف في
النجم التي في السموات عوما ليس تقتدر فلسفة الناس ان تجدهُ. لكنها تزلق منحرفة عنهُ. هذا تمكنه
الامانة وتعلّمهُ فسبيلنا ان نتشبث في هذه الامانة. ولا نسحب ذواتنا في افكارنا * لان قل لي. لمَ
امكن اليونانيون ان يجدوا شيئًا: امّا قد عرفوا الحكمة التي خارج جملتنا كلها: فكيف ما الحكيم
يقهروا اناسًا صيادين. وخيبين. عادمين فهمهم وعلمهم: لان اوليك علوا كل ما علوهُ بالمنتبه
فلهذا السبب هولاء الرسل قهروا وغلبوا افلاطون. وبيثاغورس. ونظيرهما. وجميع اوليك الفلاسفين
والذين حصلوا علم التنجيم. وعلم التقدير. وعلم الهندسة. وعلم الحساب * وجمعوا كل ادب وعلم
طرحهم هولاء الصيادون كطرح الغبار. وصاروا بهذا المقدار افضل منهم * بمقدار ما ان الفلاسفة
بالحقيقة. افضل من الحمقى في طبعتهم. ومن الموسوسين. لان هولاء الرسل قالوا في الحين عن
نفسنا توجد غير مائتة * وما قالوا ذلك فقط. لكنهم حققوهُ * واوليك الفلاسفة فقبل هذا ما عرفوا
في وقت من اوقاتهم ان نفسنا موجودة * فلما اوجدوها وافصلوها من جسمنا. عرض لهم هذا العارض
بعينهِ * لان فيهم مَن قال انها جسمٌ. ومنهم مَن ذكر انها مركبة. ومنهم مَن قال انها تنحل مع انحلال
جسمنا * واختلفوا ايضًا في ذكر السماء * فقال بعضهم انها ذات نفس والهٌ * الا ان الصيادين
قالوا. ان السماء عمل الله وصناعته * وحققوا ذلك عند مَن قبل قولهم * ولكن استعمال اليونانيين
افكارهم ليس فعلاً مستحيًا * الا ان للمظنونين انهم مومنون. اذا وجدناهم نفسانيين. يوجد ذلك
مضحوكًا عليهِ * ولهذا السبب ضلّ هولاء وانخدعوا. فمنهم مَن قال انهم يعرفون الله. مثلما يعرف
هو ذاته * وهذا قول واحد من اوليك اجترى ان يقولهُ * ومنهم مَن قال ما يقتدر ان الله يلد الا
خاليًا من الم. ولم يطلقوا لهُ ان يجعلك خاصة اكثر من خاصة الكثيرين * وبعضهم قالوا ان السيرة
القويمة لن تفيد نفعًا. ولا السيرة المتقومة تجري عليهم منفعة * الا ان وقتنا ليس وقتًا للطعن في
هذه الاقوال * لعمري ان البرهان على ان ليس ينفعنا امانة متقومة. اذا كان عيشتنا فاسدة
فالمسيح وبولس تلميذهُ يقولان في تحقيقه اقوالاً كثيرة. فقد قال. ليس كل قائل لي يارب يارب

يدخل الى ملكوت السموات* "(متى ص ٧ ع ٢٥) وسيقول لي كثيرون في ذلك اليوم. السّاً باسمك يارب تنبأنا: فاقول لهم لست اعرفكم. ابعدوا عني يافعلة الاثم* وقال ايضاً "لا تفرحوا لان الشياطين تطيعكم* "(لوقا ص ١٠ ع ١٧) لان الذين ما يتحفظون لانفسهم. سيزلقون الى الخبث الشهوذاني. ولو امتلكوا امانة قوية* وبولس اذ راسل العبرانيين كتب قائلاً "اسعوا وراء السلامة والقداسة. اللتين خلواً منهما ليس يعاين احدٌ الرب* " فالقداسة يعني بها العفة. حتى يكتفي كلٌ بامراته. ولا يصغى الى امراة غيرها. لان ممتنعاً ان يتخلص مَن ليس يكتفي بامراته ولكنهُ سيهلك بلازم الضرورة على كل حال. ولو امتلك فضايل قد احكمها جزيلاً عددها* لان مع الزنا ممتنع ان يدخل فاعله الى ملكوت السماء* والبقي ما يقال. ان هذا الفعل ليس زناه. لكنهُ فسقٌ. لانهُ كما ان الامراة المربوطة برجلها. اذا اضجعت مع رجلٍ غيره. فقد فسقت* فكذلك الرجل المربوط بامراة. اذا امتلك اخرى. فقد فسق* ومن هذا الحال حاله ليس يرث ملك السماء. لكنهُ يسقط في جهنم* لان في وصف الذين هذه طريقتهم. قال الله "ان دودهم ليس يموت. ونارهم ما تطفى* " (مرقص ص ٩ ع ٤٤) لان العايش مع امراته الحاوي تعزية جزيلاً تقديرها. ليس يتملك صنفاً من عفو. اذا شتم ذاته. وخالط اخرى* لان هذا الفعل جهلٌ وتفكه. لان ان كان الكثيرون يبتعدون من الامراة. اذا كان الوقت وقت صوم. واذا كان وقت صلاة. فمن ليس يكتفي بامراته. ليس يستورد الى منزله اخرى. كم يجمع من النار على ذاته؛ ولين كان من يخليها. لا سبيل له ان يصغي الى اخرى. (لان هذا هو فسق.) فمن يستورد امراة اخرى. وامراته موجودة في منزله. كم يفعل عملاً منكراً: فلا يسمعن احدكم ان يتبع هذا السم في نفسه. لكن يقتلعه من اصله* فانهُ ليس يضر امراته على هذا النحو. مثلما يضر ذاته* (لان من هذا الفعل فعلة هو بهذه الصورة نجس*) اذ هذا الخطاء هكذا هو ثقيل جداً خالٍ من الاعتذار والعفو* لان المراة ان فارقت عابد الاوثان. فذلك لا يشاء ان يفارقها. يعاقبها الله* واذا فارقت الزاني. فليس يعاقبها. وارأيتم بكم من المقدار هذا الفعل شكراً: لان بولس يقول "اذا كانت الامراة مؤمنة تملك رجلاً غير مؤمنٍ. ويرتضي هو ان يسكن معها. فلا تفارقه* " (١كرنثيه اولى ص ٧ ع ١٢) وما قال في ذكر الزانية هذا القول. لكنهُ قال "ان خلّى احدكم امراته من غير جناية زناه. يصيرها ان تفسق* " (متى ص ٥ ع ٣٢) لان

المخالطة تجعلها جسماً واحداً * فهي تجعل المقترن بالزانية جسماً واحداً . كيف يقبل المواساة الموجودة عضو المسيح : كيف يأتلف عضو زانية : وابصر افراط ذلك . ان التي تساكن الكافر ليست هي نجسة * لانهُ قال "قد تقدس الرجل الغير المومن بالامراة المومنة *" وما قال في ذكر الزانية هذا القول * لكنهُ قال "أآخذ اعضاء المسيح واجعلها اعضاء زانية :" لان هنالك تبقى القداسة . اذا سكن ذلك الكافر معها : وما تنتزح * وههنا تنصرف القداسة وتزول * لان الزنا صعب منكر مجتلب عقوبةً لا تموت * ويستجذب الينا ههنا بلايا وآفات جزيلاً عددها * لان من هذا الحال حالهُ . يضطر ان يعيش عيشًا شقيًا رديًا . ويكون حالهُ ليست افضل من حال المعاقبين * اذ يولج ذاتهُ الى بيت غريب بخيفة ورعدة كثيرة . ويتهم في كل مكانٍ من العبيد والاحرار * لانهم قد عرفوا فعلهُ * فلهذا السبب انصرع البكم . ان تتخلصوا من هذا السقم * فان لم تريدوا ذلك . فلا تسلكوا غوامض الهيكل الجليلة * لان الغنم الممتلية جربًا الموعبة سقمًا . ليس ينبغي ان تساق في قطيع الغنم المعافاة . لكن يجب ان تطرد من الرعية . الى ان تطرح سقمها * لاننا اعضاء المسيح فلا نصيرنَّ اعضاء زانية * هذا الموضع ليس هو ماخوذ زناء . لكنه كنيسة * فان كنت تحوي اعضاء زانية . فلا تقفن في الكنيسة * لكيلا تهين المكان المقدس * لان لو لم يكن جهنم . ولو لم يكن تعذيب لهذا العمل المنكر . كيف كنت بعد مواثيق التزويج . ومصابيح العرس . بعد المفرش العدل . وبعد ابداع البنين * بعد الشركة لزوجتك . تستجيز ان تزداد اخرى : فكيف ما تخجل . ولا تستحي : والذين بعد وفاة نسايهم يخالطون بسنة التزويج نسوة اخرات . يلومهم اكثر الناس . وان فعلهم ليس بحوى خطية . وانت امراتك بعد حيَّة تستورد اخرى : فكم هذه الافعال شبقًا واهتياجاً : في وصف هولاء وامثالهم قال الله "دودهم ليس يموت ونارهم لا تطفى *" ارهب الوعيد . خف التعذيب . ولن توجد ههنا لذة بهذا المقدار . بمقدار العقوبة التي هنالك . لكن لا كان ان يصير احدكم غريمًا لوجوب تلك العقوبة عليهِ . لكي اذا احكمتم القداسة والعفة تعاينوا المسيح . ويتفق لكم امتلاك تلك النعم الصالحة الموعود بها * التي فليتفق لنا كلنا امتلاكها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي لهُ مع ابيهِ والروح القدس . المجد الى اباد الدهور امين *

المقالة الرابعة والستون

في قوله (٤١) ثم رفع يسوع عينيه الى فوق وقال . اشكرك لانك استمعتني . (٤٢) وانا قد عرفت انك تستمع مني كل حين *لكنني انما قلت هذا بسبب الجمع الحاضر *

ما قد قلته دفعات كثيرة . اقوله الان * ان الهنا ليس ينظر على هذه الجهة الى رتبته مثلما ينظر الى خلاصنا * ولا يتامل كيف يتكلم كلاماً عظيماً . لكنه يراصد كيف يمكنه ان يستجذبنا اليه . ولهذا السبب اقواله العالية العظيمة قليلة . وهذه مستورة * واقواله الذليلة كثيرة متدفقة * لانه لما افاد بها اكثر يثبت فيها * وليس ينطق بهذه في كلامه . حتى لا يضر الكائنين فيما بعد * ولا يصمت عنها . حتى لا يشكك الموجودين في ذلك الحين * لان الذين قد وصلوا الى التمييز التام . يمكنهم من رأي واحد عالٍ ان يتاملوا المقصود كله * والذين كانوا في ذلك الحين ذليلين . لو لم يسمعوا هذه الاقوال دفعات شتّى . لما كانوا انضبطوا من هذه الجهة * ولا بعد اقوال هذا مبلغها ثبتوا . لكنهم رجموه . وطردوه . وارتادوا ان يقتلوه * ودعوه مجدفاً . لما صيّر ذاته عديلاً لله * فقالوا احياناً انه يفتري . لانه قال .. قد غفرت لك خطاياك * " ودعوه ايضاً متشيطناً . لما قال .. ان من يسمع اقواله يوجد افضل من الموت * ولما قال .. انا في ابي . وابي فيّ . " اهملوه * وتشككوا . حين قال .. انه قد انحدر من السماء * " لانهم ان كانوا ما احتملوا هذه الاقوال التي قيلت فرادى . مرات يسيرة * فلو كان انشاء كلامه في اقاويله كلها عالية على هذا المثال . فهل كانوا اصغوا اليه . ولما قال .. على حدّ ما وصاني ابي على هذا النحو اتكلم " .. وانا من ذاتي لست اتكلم قولاً . " حينئذٍ صدقوه * وقال البشير .. ان كثيرين حينئذٍ آمنوا به * " وبيّن ذلك . انهم آمنوا حين تكلم هذه الاقوال * فان كان عند تكلمه اقوالاً ذليلة ابدع لهم امانة به . وعند تكلمه اقوالاً عالية طردوه . فكيف ليس يكون من غباوة واصلة الى غايتها . الاّ ينظر الى علة اقواله الذليلة . وانها انما قيلت بسبب سامعيها . اذ كان في مكان آخر لما شاء ان يتكلم كلاماً عظيماً . صمت عنه . واستثنى بهذه العلة . وقال .. لكيلا يتشككوا الق بلوعك في البحر * " وهذا قد عمله ههنا . لانه بعد ان قال .. وانا قد عرفت انك تستمعني كل حين .. استثنى بقوله .. انني انما قلت هذا بسبب الجمع الحاضر . لكي يومنوا * " فهل الالفاظ

الفاظنا ؛ هل هي حدث انساني : لانهم اذا كانوا من اعماله ما قبلوا منه . لانهم يرتابون باقواله
العالية . وهو يقول لهذا الغرض اتكلم اقوالاً ذليلة حتى لا يشككوا . فمن يتوهم ايضاً اقواله الحقيرة
انها من طبيعته . ولا يستشعر انها من مقاربته اياهم وتحدره : وفي مكان آخر لما اصدر اليه صوتاً
من العلو . قال .. ليس لاجلي صار هذا الصوت . لكنه انما صار لاجلكم " (يوحنا ص ١٢ ع ٣٠)
على انه قد يجوز للعالي ويساغ له . ان يقول عن ذاته اقوالاً كثيرة ذليلة . وما يجوز ان يتكلم عن
ذاته الذليل قولاً عظيماً عالياً . لان قوله الذليل كان من مقاربته وتحدره . وبتلك صنف
المتعلين علة له . ان يقتادهم به الى تذلل العزم . وانه موضوع في لحم . وان يعلم سامعيه الا يتكلموا
عن ذواتهم كلاماً عظيماً . والا يظنوه ضداً لله . والا ينكروا انه قد جاء من عند الله . ولا يتوهموا انه
يحل السبت . ويحسد سامعيه . وقوله بمداومة في العتيقة .. الرب الملك هو رب واحد " واما الموجود
ذليلاً . ليس بتلك ولا علة واحدة ان يقول في وصف ذاته قولاً عالياً . لا بحجة واضحة . ولا بحجة غير
واضحة . الا ان يكون ذلك نطقاً فقط . والحاداً . وجراءة قد فاتها العفو عنها . فان سال سائل لم
يتكلم اقوالاً ذليلة . وهو موجود من ذلك الجوهر القديم ان يوصف والعظيم محله : نجيبه . لاجل
الاصناف التي ذكرناها . وحتى لا يظنوه غير مولود . لان بولس يستبين انه قد خشي وقال هذا مثله
ولذلك قال .. خلواً من الذي اخضع له البرايا كلها " (قورنثيه اولى ص ١٥ ع ٢٧) لان هذا
الوهم بحسب الحادا . ان كان ادنى من والده . ومن جوهر آخر . وظن انه عديل له . انما كان قد
عمل كل ما امكنه . حتى لا يظن به هذا الظن : فالان قد عمل بخلاف ذلك . اذ قال .. ان لم اعمل
اعمال مرسلي . فلا تصدقوني " وبقوله .. انا في ابي . وابي فيّ " يذكر لنا معادلته لابيه ذكراً جامعاً
وقد كان واجباً ان يقض هذا القول بلسان كثير . لو كان ادنى منه . ولا يقول بجهة من
الجهات .. انني في ابي . وابي فيّ . وانا واحد نحن " او ان الناظر اليّ . فقد ابصر ابي . ولان كلامه
كان في وصف القدرة . قال .. انا وابي واحد نحن " (يوحنا ص ١٠ ع ٣٠) ولما كان كلامه في
ذكر السلطان . قال .. مثلما ان الاب يقيم الاموات ويحييهم . فكذلك ابنه يحيي للذي يشاء " (
(يوحنا ص ٥ ع ٢١) وهذا فما كان ممكناً ان يعمله الموجود من جوهر آخر . وان كان ممكناً . فما
كان واجباً ان يقول هذا . لكيلا يتوهموا جوهرهما يوجد واحداً هو هو بعينه . لانه ان كان لهذا

يتوهموا انهُ هو ضدّ لله . طالما تكلم اقوالاً ليست لايقة به . فارلى والبق حينئذٍ وقولهُ .. لكي يكرموا الابن مثلما يكرمون لابة *" وقولة ايضا .. الاعمال التي يعملها ذاك . انا اعملها بمساواة له . وقولهُ عن ذاته . انهُ . . قبلة وحيوة وضوء للعالم . "كانت اقوال معادلي لوالده . عارف التوهم الذي كان اوليك قد اشتملوهُ * ولعمري انه الان يقول اقوالاً جزيلاً مقدارها . ويحتج انهُ ليس يحل الشريعة الا ان اعتقاد مساواته لابيه . ليس من شانه انهُ ما يتقصه فقط . لكنهُ مع ذلك يثبته * واذ قالوا .. انك تجدف . لانك تجعل ذاتك الها . " ثبت ذلك من معادلته لابيه * وما معنى قولي ان كان الابن قد عمل هذا العمل : اذ كان ابوهُ الذي لم يشتمل لحمًا قد عمل هذا العمل * لانهُ هو قد استجاز ان يقول عن ذاته اقوالاً كثيرة ذليلة . بسبب خلاص سامعيه * لان قولهُ .. يا ادم اين انت ؟ " (تكوين ص ٣ ع ٩) وقوله . لكي اعلم ان كانوا على حدو صراخهم يعملون * " (ايضا ص ١٨ ع ٢١) وقوله " الان قد عرفت انك تخاف الله * " (تكوين ص ٢٢ ع ١٢) وقوله . ان كانوا اذا يسمعون * " (حزقيال ص ٢ ع ١١) وقوله " الا ان كانوا يفهمون * " (تثنية ص ٥ ع ٢٩) ومن يعطي قلب هذا الشعب ان يوجد على هذا المثال : " وقولهُ له " يا رب ليس يوجد شبيه لك في الالهة * " (مزمور ٨٥ ع ١٧) واقوال كثيرة غير هذه مماثلها في العتيقة . ان اتخبها تغضب مجدها غير موهلة لرتبة الله * وقد قيل في خبر اخاب " من يطغي لي اخاب . " (الايام ص ١٨ ع ١٩) وتقديه دايما ان يضع ذاته في المقايسة بالهة اليونانيين * وهذه كلها عديمة ان تكون موهلة لله . لكنها على معنى آخر تكون موهلة لهُ . لانه يوجد بهذه الصورة متعطفًا على الناس * حتى انهُ لاجل خلاصنا يتغافل عن اللايقة برتبته * لان كونهُ هذا بعينه انسانًا قد عدم ان يكون موهلاً لهُ . واخذهُ صورة عبد . وتكلمه اقوالاً ذليلة . واصطباره على افعال ذليلة . ان نظر ناظر الى تلك الرتبة الجليلة . فهي قد عدمت ان تكون موهلة لهُ الا انها توجد موهلة لهُ . ان افتكر مفتكرٌ في جسامة تعطفه على الناس المتميز وصفها * وقد يوجد علة اخرى لتذلل الفاظه * وهي قد عرفوا اباهُ واستعبوهُ . وما عرفوهُ هو * فلهذا السبب يلجاء اليه دفعات متصلة من جهة ما هو معترف به . على انهُ هو ليس بعد موهلاً للتصديق . ليس بسبب حقارته . لكن لاجل غباوة سامعيه وضعفهم . ولهذا الغرض يصلي ويقول " يا ابي اشكر لك . لانك استمعتني * " لانهُ ان يحيي مَن يشاء . ومثلما يحيي الاب مثل ذلك يحيي هو . فلمَ يتوسّل : لكن الوقت

دعانا الى الدخول في هذا الموضع* " فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعًا فيه* فرفع يسوع عينيه الى فوق: وقال ,, يا ابي اشكر لك · لانك استمعتني *فانا قد عرفت انك تستمعني كل حين* لكنني انما قلت هذا القول . بسبب هذا الجمع الحاضر. ليصدقوا انك ارسلتني * " فينبغي ان نسال الاراتيكي: أَمِن صلاته اخذ معونةً . واقام الميت : فكيف اجترح اياته الاخرى خلوًا من صلاة: اذ قال ,, لك اقول ايها الشيطان اخرج منهُ * واشاء فاطهر* وانهض احمل سريرك* وقد اغضيتُ لك خطاياك* وقال للبحر اصمت واسكن* " (مرقص ص ٩ ع ٢٥ مرقص ص ١ ع ٤١ يوحنا ص ٥ ع ٩ يوحنا ص ١ ع ٤١ متى ص ٩ ع ٢ مرقص ص ٤ ع ٣٩) وماذا يتملك اكثر من رسله. ان كان هو يجترح اياته من صلاة . والبق ما يُقال . ان ولا اوليك اجترحوا بصلاة* لكنهم في اكثر اوقاتهم . قد اجترحوا ايات خلوًا من صلاة . لما سموا يسوع فقط * فان يكن اسمهُ قد امتلك قوةً هذا المبلغ الجزيل مبلغها . فلو احتاج هو الى صلاة . لما كان اسمهُ اقتدر على شي* وحين ابدع الانسان كلهُ الى اية صلاة احتاج : أَمّا معادلتهُ اباهُ هنالك كثيرة : لانهُ قال ,, فلنخلقنَّ انسانًا* " وما الذي يكون اضعف منهُ . ان احتاج الى صلاة : فلننظرنَّ ماهي صلاته* قال ,, يا ابي اشكر لك . لانك استمعتني* " ومَن الذي ابتهل في وقتٍ من الاوقات هذا الابتهال . قبل ان يقول شيًا : قال اشكر لك . فقد اوضح انهُ ليس يحتاج الى صلاة* لانهُ انما قال : انك تعمل كل ما اريدهُ انا* وليس حالهُ حال فاقد اقتداره . لكن حالهُ حال مالكٍ عزمًا واحدًا لهُ ولابيه* فان قلت . لِمَ اتخذ شكل صلاة : قلت لك . لاتسمع الجواب مني . لكن منهُ* القايل ,, لاجل الجمع الحاضر . وليصدقوا انك ارسلتني* " وما قال ليصدقوا انني انقص منك انا . وانني محتاج الى معونة من فوق . وانني خلوًا من صلاة لست اقدر اعمل اية . لكنهُ قال ,, ليعلموا انك ارسلتني* " لان الصلاة تدل على هذه الاصناف كلها . اذا اعتقدناها صلاة على بسيط ذاتها* وما قال ليعرفوا انك ارسلتني : الضعيف العارف عبوديتي . الذي لستُ اعمل من ذاتي شيًا* لكنهُ اهمل هذه الاقوال كلها* لكيلا يتوهم فيه ضعف منها . ووضع العلة الصادقة لصلاته . لكيلا يظنوني ضدًا لله . لكيلا يقولوا ليس هو من الله . لكي اريهم عملي كاينا بحسب عزمك* فقارب ان يكون قايلاً : انني لو كنت ضد الله . لما كان اطلق ما يكون* ولفظة ,, انك تستمعني " تقال على الاحبّاء . وعلى المتساوين ,, انا

قد عرفت انك تستمعني كل حين * " ومعنى ذلك هو لافتعال مرادي . ولسبت احتاج الى
صلاة * لكن لكي احقق بها . ان لي ولك ارادة واحدة * فان قلت . فما هي صلاته : اجبتك لاجل
الضعفاء الاحقرين عزمًا من غيرهم * (٤٢) " واذ قال هذه الالفاظ . صاح بصوتٍ عظيم * " لانهُ
ما قال باسم ابي هلمَّ الى خارج . ولمَ ما قال يا ابي انهضهُ : لكنهُ اهمل هذه الاقوال كلها . لما اتخذ شكل
مُصلي . واظهر بافعاله تأمرهُ * لان هذا كان من حكمته ان يبيّن بالفاظه مقاربتهُ وتحدرهُ . ويوضح
بافعاله سلطانهُ . لانهم اذ ما امتلكوا وهمًا آخر يشكون به المسيح . الا انهُ ليس هو من الله . وعلى هذه
الجهة يطفي كل مَن يقبل منهُ * فلاجل هذا الوهم اوضح هذا بعينه بافراط . وبيّن هذا النحو الذي
طالبه به ضعف اوليك . ولعمري انه قد كان ممكنًا ان يبيّن على جهة اخرى اتفاقهُ في رتبته : الا ان
الجمع ما قدر ان يصعد صعودًا هذا المقدار مقداره * " وقال يا لعازر هلمّ الى خارج * " فهو ذا هو
القول الذي قالهُ " سيجي وقتٌ حين يسمع الاموات صوت ابن الله . والذين يسمعونه يحيون * "
لان حتى لا يظن انهُ اخذ الفعل من غيره . عرّفك هذا من اول تعليمه . وبرهنهُ بافعاله واظهرهُ .
وما قال قمْ . لكنهُ قال " هلمَّ الى خارج * " مخاطبًا المتوفي كمن يخاطب حيًا * ما الذي يكون عديلاً
الى هذا السلطان : فان كان لم يعمل هذا العمل بقدرته . فما الذي يملكهُ اكثر رسوليه الذين قالا
" ما بالكم تنظرون الينا كاننا بقدرتنا ويتهذب ديننا صيرناهُ ان يمشي * " (ابركسيس ص ٣
ع ١٢) لانهُ ان كان لم يعمل الايات بقدرته . ولم يستثني بهذا القول الذي قالهُ الرسولان بطرس
ويوحنا . فيكونان قد تفلسفا اكثر منهُ . بدفعهما الشرف . وقد قال بولس وبرنابا ايضًا " ما بالكم
تنظرون الينا كاننا فعلنا هذا بقدرتنا . ونحن انسانان نشابهكم في امراض هواكم * " ثم لما كان رسلهُ
ما عملوا من ذاتهم آية . قالوا هذه الاقوال * حتى يحققوا هذا . فلما كان هو حاويًا ظنًا هذا معناهُ من
اجل ذاته : فما كان قد ازال عنهُ هذا الظن . لو كان لم يجترح الايات بتأمره وسلطانه . فمن كان
يقول هذا القول : لكنهُ قال ضدهُ " لاجل الجمع الحاضر . لكي يصدقوا . " كانهُ قال . لو كانوا
صدقوا انك انت ارسلتني لما كان بي حاجة الى الصلاة * لان الابتهال ان كان لم يكن عديمًا ان
يكون موهلاً لهُ . فلمَ نُسبت علة الابتهال الى اوليك : ولماذا لم يقل . ليصدقوا انني لست انا عديلاً
لك : لان قد كان واجبًا ان يجي هذا القول من توهم * لكنهُ حين استيقنوا انهُ يحل الشريعة . وضع

هذه اللفظة بعينها. ولم يقل لاوليك قولاً. فقال „ لا تظنوا انني جيئتُ احلّ الشريعة** " (متى ص ٥ ع ١٧) وهمنا ثبّتَ توهمهم* وبالجملة ما الذي احوجهُ الى دوران جزيل تقديرهُ. والى الفاظ معانيها خفية. وقد كان يجزيه ان يقول لست عديلاً لهُ. ويتخلص : فان قلت أنهما قد قال „ انني لست اعمل مشيئتي : " اجبتك. وهذا القول قالهُ بمعنى مستور. معتمدًا بهِ ضعف اوليك* ومن تلك العلة بعينها. التي منها كانت الصلاة* ومعنى لانك استمعتني. ان ليس عندك عزم ضدًا لي* وكما ان لفظة لانك استمعتني. ليس هي لفظة موضحة هذا المعنى انهُ ما اقتدر* (فان كان هذا معناها فلم تكن زوال قوة فقط. لكنها تكون غباوة. ان كان قبل ان يصلي ما عرف ان الله يستانف ان ينجح الى مطلوبهِ* فان كان ما عرف ذلك. فكيف قال لتلاميذهِ. انا امضي لايقظهُ. وما قال امضي ابتهل الى ابي ليوقظهُ :) فكما ان هذه اللفظة ليست من ضعفهِ. لكنها لفظة مَن عزمهُ عزمُ ابيهِ. فكذلك لفظة قد عرفت انك تستمعني كل حين. فاما يتجه لنا ان تقول هذا القول. واما تقول انها قيلت نحو ظن اوليك* فان كان ما جهل ما فعلهُ. ولا ضعف عنهُ. فبيّن واضح انهُ لهذا الغرض تكلم اقوالاً ذليلة. حتى ولو من سموّهِ توقن وتضطر ان تعترف. انها ليست من رتبته. لكنها من مقاربتهِ وتحدرهِ* فاذا قال قايل. ما معنى انك استمعتني : اجبناهُ. انما قال ذلك نحو ضعف سامعيهِ. ولعساهُ يقول لنا. لا. ولكنهُ قال ذلك. ليظهر سموّ منزلتهِ : فنقول لهُ. لعمري ان هذا القول ليس يظهر سموّ منزلتهِ. لكنهُ يذلله جدًا. ويوجب انهُ ليس يمتلك اكثر من الانسان اقتدارًا* لان الابتهال ليس مناسبًا لله. ولا لقرينهِ في العرش. أرائتَ انهُ ما افضى الى هذا الفعل بجهةٍ من الجهات لغرضٍ آخر. الاَّ لاجل زوال تصديق اوليك : وابصر فعلهُ شاهدًا لهُ بتامرهِ وسلطانهِ* فخرج الميت مقموطًا* ثم لكيلا يظن ان الفعل بوجد خيالاً. لان خروجهُ مقموطًا ليس هو عجيبًا ادنى من عجيبة قيامتهِ. اوعز اليهم ان يحلّوهُ* لكي اذا لامسوهُ. وقاربوهُ. يعرفوا بالحقيقة انهُ ذاك هو* وقال (٤٤) „ اتركوهُ يذهب* " اعرفت عزمهُ الخالي من التفخم : وما اتبعهُ. ولا اقتادهُ. ولا اوعز ان يمشي معهُ. حتى يريهم اياهُ. فلما صار هذا [illegible] استعجبهُ اقوامٌ منهم* ومضى اناسٌ منهم وصفوهُ للفريسيين* وانظر ماذا فعلوا. وقد [illegible] قيامتهُ* الاَّ انهم ارتادوا ان يقتلوا مَن اقام ميتًا* ترحًا لغباو[illegible]

[illegible]

اجسام آخرين* (٤٧) ،، وقالوا ماذا نعمل : لان هذا الانسان يجترح ايات كثيرة* " فهم يدعونهُ
انسانًا . وقد استمدوا للاهوتهِ* برهانًا هذا المقدار مقدارهُ* ماذا نعمل : قد وجب عليكم ان تؤمنوا.
وتسترضوهُ وتسجدوا لهُ . ولا تتوهموهُ ايضًا انسانًا* (٤٨) ،، وان تركناهُ على هذا الحال . سيجيء اهل
رومية . فياخذون امتنا ومدينتنا* " وان سالت وما هو القول الذي يريدون ان يقولوهُ :
اجيبك . يريدون فيما بعد ان يهزؤوا الشعب . كانهم قد شارفوا ان يتورطوا في الخطر بتهمة عصيانهِ*
كانهم قالوا اذا ابصروا اهل رومية مرجفًا للشعوب . ويتوهمون فينا العصيان عليهم . ويهدمون
مدينتنا* وانا اسال احدهم . قُل لي . ولِمَ ذلك : ارتاهُ علَّمَ عصيانًا : أفما اوعز باعطاء الجزية لقيصر :
أفما اردتم ان تصيروهُ ملِكًا فهرب : او ما استعمل عيشة حقيرة خالية من المباهاة . ولم يمتلك منزلاً . ولا
شيأً غيرهُ من الاملاك وامثالها : فهذه الاقوال قالوها ليس متوقعين كونها . لكنهم قالوها حاسدين .
فخرجت الى الفعل ولم يتوقعوها* واستحوذت اهل رومية على امتهم ومدينتهم لما قتلوهُ* لان الفعال
الصايرة منهُ كانت ابعد من كل توهم مذموم* لان مَن ابرى السقما . وعلَّم عيشة فاضلة . واوعز
بالخضوع للروساء . ما انشاء عصيانًا . لكنهُ نقض العصيان وازالهُ* الاَّ ان المعارض منهم قال .
اننا نحدس على ذلك من المفتنين الاولين* فنجيبه . ولكن اوليك المفتنين علّموا عصيانًا* وهذا
فعل ضدَّ ذلك* أرايتَ ان الاقوال التي قالوها كانت مراياة : لان ما الذي اظهرهُ من فعل هذا
حالهُ : هل استصحب اصحابًا لابسين سلاحًا : ام قيدت قدامهُ مركبات : أفما كان متوجهًا الى
البراري : ولكن ليلا ينصوب رايهم لن يذكروا الداء الذي لهم . قالوا انهُ يورد الخطر على المدينة
كلها . وانهُ يغتال عليها اغتيالاً عامًا . فوصل القول اليهم في محنهم الاخيرة* فهذه الاشياء ما صارت
لكم عللاً لاسركم . لكن اضدادها صارت اسبابًا لكم لهذا السبي . وللصاير الى بابل . وللحادث على عصر
انتيوخس فيما بعد . وما تمَّ ذلك عليكم بالذين وُجِدوا فيكم مرضيين . لكن انما عرض لكم ذلك بالذين
وُجِدوا فيكم ظالمين . ولله مغيظين* فهذا الفعل جعلكم مدفوعين الى الاسر* الاَّ ان الحسد ليس
يبصر ولا شيأ . لكنهُ يُعمي نفسنا* أفلم يُعلِّم ان نكون وديعين : أفما علَّم الملطومين الاَّ يلطموا لاطمهم
بدلاً من لطمهِ اياهم : اما علَّم المظلومين ان يحتملوا ظلمهم : أفما اوعز ان نظهر نشاطًا اعظم عند
[illegible] نشاط آخرين في افتعال الصالحات : فهذه الاقوال قُل لي . اقوال

هذه اللفظة بعينها · ولم يقل لاوليك قولاً · فقال "لا تظنوا انني جئت احلّ الشريعة** "(متى ص ٥ ع ١٧) وههنا ثبّت توهمهم* وبالجملة ما الذي احوجهُ الى دوران جزيل تقديرهُ· والى الفاظ معانيها خفية · وقد كان يجزيه ان يقول لست عديلاً لهُ · ويتخلص : فان قلت انهما قد قال " انني لست اعمل مشيئتي : " اجبتك · وهذا القول قالهُ بمعنى مستور· معتمداً بهِ ضعف اوليك* ومن تلك العلة بعينها · التي منها كانت الصلاة* ومعنى لانك استمعتني · ان ليس عندك عزم ضداً لي* وكما ان لفظة لانك استمعتني · ليس هي لفظة موضحة هذا المعنى انهُ ما اقتدر* (فان كان هذا معناها فلم تكن زوال قوة فقط · لكنها تكون غباوة · ان كان قبل ان يصلي ما عرف ان الله يستانف لئن يجح الى مطلوبهِ* فان كان ما عرف ذلك · فكيف قال لتلاميذهِ . انا امضي لايقظهُ · وما قال امضي ابتهل الى ابي ليوقظهُ :) فكما ان هذه اللفظة ليست من ضعفهِ . لكنها لفظة مَن عزمهُ عزم ابيهِ . فكذلك لفظة قد عرفت انك تستمعني كل حين . فاما يتجه لنا ان نقول هذا القول · واما نقول انها قيلت نحو ظن اوليك* فان كان ما جهل ما فعلهُ · ولا ضعف عنهُ . فبيّن واضح انهُ لهذا الغرض تكلم اقوالاً ذليلةً · حتى ولو من سموهِ توقن وتضطر ان تعترف ، انها ليست من رتبتهِ . لكنها من مقاربتهِ وتحدرهِ* فاذا قال قايل . ما معنى انك استمعتني : اجبناهُ . انما قال ذلك نحو ضعف سامعيهِ . ولعساهُ يقول لنا . لا · ولكنهُ قال ذلك . ليظهر سموّ منزلتهِ : فنقول لهُ . لعمري ان هذا القول ليس يظهر سموّ منزلتهِ . لكنهُ يذلله جداً . ويوجب انهُ ليس يمتلك اكثر من الانسان اقتداراً لان الابتهال ليس مناسباً لله . ولا لقرينهِ في العرش . أرايتَ انهُ ما افضى الى هذا الفعل بجهة من الجهات لغرضٍ آخر . الاّ لاجل زوال تصديق اوليك : وابصر فعلهُ شاهداً لهُ بتلمرهِ وسلطانهِ فخرج الميت مقموطاً* ثم لكيلا يظن ان الفعل بوجد خيالاً · لان خروجهُ مقموطاً ليس هو عجيباً ادنى من عجيبة قيامتهِ . اوعز اليهم ان يحلّوهُ* لكي اذا لامسوهُ · وقاربوهُ · يعرفوا بالحقيقة انهُ ذاك هو* وقال (٤٤) " اتركوهُ يذهب* " اعرفت عزمهُ الخالي من التنغم : وما اتبعهُ · ولا اقتادهُ . ولا اوعز ان يمشي معهُ . حتى يريهم اياهُ . فلما صار هذا العجب استعجبهُ اقوامٌ منهم* ومضى اناسٌ منهم وصفوهُ للفريسيين* وانظر ماذا فعلوا . وقد كان واجباً ان يندهلوا · ويستعجبوا قيامتهُ* الاّ انهم ارتادوا ان يقتلوا مَن اقام ميتاً* ترحاً لغباوتهم* اذ ظنوا ان يدفعوا الى الموت مَن قهر الموت في

اجسام آخرين* (٤٧) ،، وقالوا ماذا نعمل : لان هذا الانسان يجترح ايات كثيرة* " فهم يدعونهُ انسانًا . وقد استمدوا للاهوته* برهانًا هذا المقدار مقدارهُ* ماذا نعمل : قد وجب عليكم ان تؤمنوا . وتسترضوهُ وتسجدوا لهُ . ولا تتوهموهُ ايضًا انسانًا* (٤٨) ،، وان تركناهُ على هذا الحال . سيجيء اهل رومية . فياخذون امتنا ومدينتنا* " وان سالت وما هو القول الذي يريدون ان يقولوهُ : اجبتك . يريدون فيما بعد ان يهزؤوا الشعب . كانهم قد شارفوا ان يتورطوا في الخطر بتهمة عصيانهِ* كانهم قالوا اذا ابصروا اهل رومية مرجفًا للشعوب . ويتوهمون فينا العصيان عليهم . ويهدمون مدينتنا* وانا اسال احدهم . قُل لي . ولِمَ ذلك : ارتاهُ علَّمَ عصيانًا : أفما اوعز باعطاء الجزية لقيصر : افما اردتم ان تصيروهُ ملكًا فهرب : او ما استعمل عيشة حقيرة خالية من المباهاة . ولم يتملك منزلًا . ولا شيًا غيرهُ من الاملاك وامثالها : فهذه الاقوال قالوها ليس متوقعين كونها . لكنهم قالوها حاسدين . فخرجت الى الفعل ولم يتوقعوها* واستحوذت اهل رومية على امتهم ومدينتهم لما قتلوهُ* لان الفعال الصايرة منهُ كانت ابعد من كل توهم مذموم* لان مَن ابرى السقما . وعلَّم عيشة فاضلة . واوعز بالخضوع للرؤساء . ما انشاء عصيانًا . لكنهُ نقض العصيان وازالهُ* الّا ان المعارض منهم قال . اننا نحدس على ذلك من المفتنين الاولين* فجيبه . ولكن اوليك المفتنين علّموا عصيانًا* وهذا فعل ضد ذلك* ارايت ان الاقوال التي قالوها كانت مراياة : لان ما الذي اظهرهُ من فعل هذا حالهُ : هل استصحب اصحابًا لابسين سلاحًا : ام قيدت قدامهُ مركبات : افما كان متوجهًا الى البراري : ولكن ليلا ينصوب رايهم لن ينكروا الداء الذي لهم . قالوا انهُ يورد الخطر على المدينة كلها . وانهُ يغتال عليها اغتيالًا عامًا . فوصل القول اليهم في محنهم الاخيرة* فهذه الاشياء ما صارت لكم عللًا لاسركم . لكن اضدادها صارت اسبابًا لكم لهذا السبي . وللصاير الى بابل . وللحادث على عصر انتيوخس فيما بعد . وما تمَّ ذلك عليكم بالذين وُجِدوا فيكم مرضيين . لكن انما عرض لكم ذلك بالذين وُجِدوا فيكم ظالمين . ولله مغيظين* فهذا الفعل جعلكم مدفوعين الى الاسر* الّا ان الحسد ليس يبصر ولا شيًا . لكنهُ يُعمي نفسنا* افلم يُعلِم ان نكون وديعين : افما علَّم الملطومين الّا يلطموا لاطمهم بدلًا من لطمه اياهم : اما علَّم المظلومين ان يحتملوا ظلمهم : افما اوعز ان نظهر نشاطًا اعظم عند مقاساتنا المكروه : اكثر من نشاط آخرين في افتعال الصالحات : فهذه الاقوال قُل لي . اقوال

الفاظنا : هل هي خصوص انسان . لانهم اذا كانوا من اعماله ما قبلوا منه : لانهم يرتابون في اقواله العالية . وهو يقول لهذا الغرض اتكلم اقوالاً ذليلة حتى لا يشككوا . فمن يتوهم ايضاً اقواله الحقيرة انها من طبيعته . ولا يستشعر انها من مقاربته اياهم وتحدره : وفي مكان آخر لما أصدر اليه صوتاً من العلو . قال ". ليس لاجلي صار هذا الصوت . لكنه انما صار لاجلكم" (يوحنا ص ١٢ ع ١٣) على انه قد يجوز للعالي ويساغ له . ان يقول عن ذاته اقوالاً كثيرة ذليلة * وما يجوز ان يتكلم عن ذاته الذليل قولاً عظيماً عالياً * لان قوله الذليل كان من مقاربته وتحدره . وبتلك صنف المتعلمين علة له . ان يتلاهم به الى تذلل العزم . وانه موضوع في لحم . وان يعلم سامعيه الا يتكلموا عن ذواتهم كلاماً عظيماً . والا يظنوه ضداً لله . والا ينكروا انه قد جاء من عند الله . ولا يتوهموا انه يحل السبت . وجسد سامعيه وقوله بمداومة في العتيقة "الرب الملك هو رب واحد" واما الموجود ذليلاً . ليس بتلك ولا علة واحدة ان يقول في وصف ذاته قولاً عالياً . لا بحجة واضحة . ولا بحجة غير واضحة الا ان يكون ذلك نمطاً فقط . والحاداً . وبراءة قد فاتها الصوعنها . فان سال سائل لم تكلم اقوالاً ذليلة . وهو موجود من ذلك الجوهر القديم ان يوصف والعظيم محله : نجيبه . لاجل الاصناف التي ذكرناها . وحتى لا يظنوه غير مولود * لان بولس يستبين انه قد خشي وهنا . هذا موضعه ولذلك قال " خلواً من الذي اخضع له البرايا كلها * " (قرنثيه اولى ص ١٥ ع ٢٧) لان الوهم بحسب الحاد . ان كان ادنى من والده . ومن جوهر آخر . وظن انه عديل له * انما كان على كل ما امكنه . حتى لا يظن به هذا الظن : فالان قد عمل بخلاف ذلك * اذ قال " ان لم اعمل اعمال مرسلي . فلا تصدقوني * " وبقوله " انا في ابي . وابي فيّ " يذكر لنا معادلته لابيه ذكراً خاصاً وقد كان واجباً ان ينقض هذا القول بصراع كثير . لو كان ادنى منه * ولا يقول بجهة من الجهات " انني في ابي . وابي فيّ . وانا واحد نحن " او ان الناظر اليّ . فقد ابصر ابي . ولان كان في وصف القدرة . قال " انا وابي واحد نحن * " (يوحنا ص ١٠ ع ٣٠) ولما كان كلامه ذكر السلطان . قال " مثلما ان الاب يقيم الاموات ويحييهم . فكذلك ابنه يحيي للذي يشاء * " (يوحنا ص ٥ ع ٢١) وهذا فما كان ممكناً ان يعمله الموجود من جوهر آخر * وان كان ممكناً ما كان واجباً ان يقول هذا * لكيلا يتوهموا جوهرهما يوجد واحداً هو هو بعينه * لانه ان كان

يتوهموا انهُ هو ضد لله . طالما تكلم اقوالاً ليست لايقة بهِ . فارلى والبق حينيذٍ وقولهُ .. لكي يكرموا الابن مثلما يكرمون اباهُ *" وقولهُ ايضاً .. الاعمال التي يعملها ذاك . انا اعملها بمساواةٍ لهُ . وقولهُ عن ذاتهِ انهُ .. قيامة وحيوة وضوء للعالم . "كانت اقوالَ معادلٍ لوالدهِ . عارف التوهم الذي كان اوليك قد استعملوهُ * ولعمري انه الان يقول اقوالاً جزيلاً مقدارها . ويحتج انهُ ليس يحل الشريعة الا ان اعتقاد مساواته لابيهِ . ليس من شانهِ انهُ ما ينقضهُ فقط . لكنهُ مع ذلك يثبتهُ * واذ قالوا .. انك تجدف . لانك تجعل ذاتك الهًا . " ثبت ذلك من معادلته لابيهِ * وما معنى قولي ان كان الابن قد عمل هذا العمل : اذ كان الهوء الذي لم يشتمل لحمًا قد عمل هذا العمل * لانهُ هو قد اختار ان يقول عن ذاته اقوالاً كثيرة ذليلة . بسبب خلاص سامعيهِ * لان قولهُ .. يا ادم اين انت ؟ " (تكوين ص ٣ ع ٩) وقولهُ .. لكي اعلم ان كانوا على حدو صراخهم يعملون * " (ايضاً ص ١٨ ع ٢١) وقوله " الان قد عرفتُ انك تخاف الله * " (تكوين ص ٢٢ ع ١٢) وقولهُ " ان كانوا اذًا يسمعون * " (حزقيال ص ٢ ع ١١) وقولهُ " اذًا ان كانوا يفهمون * " (تثنية ص ٥ ع ٢٩) ومن يعطي قلب هذا الشعب ان يوجد على هذا المثال : " وقولهم لهُ " يا رب ليس يوجد شبيه لك في الالهة * " (مزمور ٨٥ ع ١٧) واقوال كثيرة غير هذه تماثلها في العتيقة . ان اتخبها تتغيب تجدها غير موهلة لرتبة الله * وقد قيل في خبر اخاب " من يطغي لي اخاب : " (الايام ص ١٨ ع ١٩) وتمديه دايمًا ان يضع ذاتهُ في المقايسة بالمة البوابين * وهذه كلها عديمة ان تكون موهلة لله . لكنها على معنى آخر تكون موهلة لهُ . لانه يوجد بهذه الصورة متعطفًا على الناس * حتى انهُ لاجل خلاصنا يتغافل عن اللايقة برتبتهِ لان كونهُ هذا بعينهِ انسانًا قد عدم ان يكون موهلاً لهُ . واخذهُ صورة عبدٍ . وتكلمه اقوالاً ذليلة . واصطباره على افعال ذليلة . ان نظر ناظرٌ الى تلك الرتبة الجليلة . فهي قد عدمت ان تكون موهلة لهُ الا انها توجد موهلة لهُ . ان افتكر مفتكرٌ في جسامة تعطفه على الناس العجز وصفها * وقد يوجد علة اخرى لتذلل الفاظهِ وهي قد عرفوا اباهُ واستعجبوهُ . وما عرفوهُ هو * فلهذا السبب يلجاء اليه دفعات متصلة من جهة ما هو معترف بهِ . على انهُ هو ليس بعد موهلاً للتصديق . ليس بسبب حقارته . لكن لاجل غباوة سامعيه وضعفهم . ولهذا الغرض يصلي ويقول " يا ابي اشكر لك . لانك استمعتني * " لانهُ ان يحيي مَن يشاء . ومثلما يحيي الاب مثل ذلك يحيي هو . فلمَ يتوسل : لكن الوقت

دعانا الى الدخول في هذا الموضع* ،، فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً فيه* فرفع يسوع عينيه الى فوق : وقال ،، يا ابي اشكر لك . لانك استمعتني *فانا قد عرفت انك تستمعني كل حين* لكنني انما قلت هذا القول . بسبب هذا الجمع الحاضر . ليصدقوا انك ارسلتني* ،، فينبغي ان نسال الاراتيكي : أمن صلاته اخذ معونة . واقام الميت : فكيف اجترح اياته الاخرى خلواً من صلاة : اذ قال ،، لك اقول ايها الشيطان . اخرج منهُ * واشاء فاطهر* وانهض احمل سريرك* وقد اغضيتُ لك خطاياك* وقال للبحر اصمت واسكن* ،، (مرقص ص ٩ ع ٢٥ مرقص ص ١ ع ٤١ يوحنا ص ٥ ع ٩ يوحنا ص ١ ع ٤١ متى ص ٩ ع ٢ مرقص ص ٤ ع ٣٩) وماذا يمتلك اكثر من رسله . ان كان هو يجترح اياته من صلاة . والبق ما يُقال . ان ولا اوليك اجترحوا بصلاة* لكنهم في اكثر اوقاتهم . قد اجترحوا ايات خلواً من صلاة . لما سموا يسوع فقط * فان يكن اسمهُ قد امتلك قوةً هذا المبلغ الجزيل مبلغها . فلو احتاج هو الى صلاة . لما كان اسمهُ اقتدر على شيء* وحين ابدع الانسان كلهُ الى اية صلاة احتاج : أَمَا معادلته اباهُ هنالك كثيرة : لانهُ قال ،، فلنخلقنَّ انساناً* ،، وما الذي يكون اضعف منهُ . ان احتاج الى صلاة : فلننظرنَّ ما هي صلاته* قال ،، يا ابي اشكر لك . لانك استمعتني* ،، ومَن الذي ابتهل في وقت من الاوقات هذا الابتهال . قبل ان يقول شيأ : قال اشكر لك . فقد اوضح انهُ ليس يحتاج الى صلاة* لانهُ انما قال . انك تعمل كل ما اريدهُ انا* وليس حالهُ حال فاقد اقتداره . لكن حالهُ حال مالك عزماً واحداً لهُ ولابيه* فان قلت . لِمَ اتخذ شكل صلاة : قلت لك . لا تسمع الجواب مني . لكن منهُ* القايل ،، لاجل الجمع الحاضر . وليصدقوا انك ارسلتني* ،، وما قال ليصدقوا انني انقص منك انا . وانني محتاج الى معونة من فوق . وانني خلواً من صلاة لست اقدر اعمل اية . لكنهُ قال ،، ليعلموا انك ارسلتني* ،، لان الصلاة تدل على هذه الاصناف كلها . اذا اعتقدناها صلاة على بسيط ذاتها* وما قال ليعرفوا انك ارسلتني . الضعيف العارف عبوديتي . الذي لستُ اعمل من ذاتي شيأ* لكنهُ اهمل هذه الاقوال كلها* لكيلا يتوهم فيه ضعف منها . ووضع العلة الصادقة لصلاته . لكيلا يظنونني ضداً لله . لكيلا يقولوا ليس هو من الله . لكي اريهم عملي كاينا بحسب عزمك* فقارب ان يكون قايلاً : انني لو كنت ضد الله . لما كان اطلق ما يكون* ولفظة ،، انك تستمعني ، ،، تقال على الاحباء . وعلى المتساوين ،، انا

قد عرفت انك تسمعني كل حين* " ومعنى ذلك هو لافتعال مرادي. ولست احتاج الى صلاة* لكني لكي احقق بها. ان لي ولك ارادة واحدة* فان قلت. فما هي صلاته: اجبتك لاجل الضعفاء الاحقرين عزمًا من غيرهم* (٤٢) " واذ قال هذه الالفاظ. صاح بصوت عظيم* " لانه ما قال باسم ابي هلمّ الى خارج. ولمَ ما قال يا ابي انهضه: لكنه اهمل هذه الاقوال كلها. لما اتخذ شكل مُصلي. واظهر بافعاله تأمرهُ* لان هذا كان من حكمته ان يبيّن بالفاظه مقاربتهُ وتحدرهُ. ويوضح بافعاله سلطانهُ. لانهم اذ ما امتلكوا وهمًا آخر يشكون به المسيح. الا انهُ ليس هو من الله. وعلى هذه الجهة يطفي كل مَن يقبل منه* فلاجل هذا الوهم اوضح هذا بعينه بافراط. وبيّن هذا النحو الذي طالبه به ضعف اوليك. ولعمري انهُ قد كان ممكنًا ان يبيّن على جهة اخرى اتفاقهُ في رتبته: الا ان الجمع ما قدر ان يصعد صعودًا هذا المقدار مقداره* " وقال يا لعازر هلمّ الى خارج* " فهوذا هو القول الذي قالهُ " سيجيء وقتٌ حين يسمع الاموات صوت ابن الله. والذين يسمعونه يحيون* " لان حتى لا يظن انه اخذ الفعل من غيره. عرّفك هذا من اول تعليمه. وبرهنهُ بافعاله واظهرهُ. وما قال قم: لكنهُ قال " هلمّ الى خارج* " مخاطبًا المتوفي كمن يخاطب حيًا* ما الذي يكون عديلاً الى هذا السلطان: فان كان لم يعمل هذا العمل بقدرته. فما الذي يملكهُ اكثر رسوليه الذين قالا " ما بالكم تنظرون الينا كاننا بقدرتنا وبتهذب ديننا. صيرناهُ ان يمشي* " (ابركسيس ص ٣ ع ١٢) لانهُ ان كان لم يعمل الايات بقدرته. ولم يستثني بهذا القول الذي قالهُ الرسولان بطرس ويوحنا. فيكونان قد تفلسفا اكثر منهُ. يدفعهما الشرف. وقد قال بولس وبرنابا ايضًا " ما بالكم تنظرون الينا كاننا فعلنا هذا بقدرتنا. ونحن انسانان نشابهكم في امراض هواكم* " ثم لما كان رسلهُ ما عملوا من ذاتهم آيةً. قالوا هذه الاقوال* حتى يحققوا هذا. فلما كان هو حاويًا ظنًا هذا معناهُ من اجل ذاته: فما كان قد ازال عنهُ هذا الظن. لو كان لم يجترح الايات بتامره وسلطانه. فمن كان يقول هذا القول: لكنهُ قال ضدهُ " لاجل الجمع الحاضر. لكي يصدقوا. " كأنهُ قال. لو كانوا صدقوا انك انت ارسلتني لما كان بي حاجة الى الصلاة* لان الابتهال ان كان لم يكن عديمًا ان يكون موهلاً لهُ. فلمَ نُسبت علة الابتهال الى اوليك: ولماذا لم يقل. ليصدقوا انني لست انا عديلاً لك: لان قد كان واجبًا ان يجي هذا القول من توهمهم* لكنهُ حين استيقنوا انهُ يحل الشريعة. وضع

هذه اللفظة بعينها · ولم يقل لاوليك قولاً · فقال ،، لا تظنوا انني جيتُ احلّ الشريعة** ،، (متى ص ٥ ع ١٧) وههنا ثبّتَ توهمهم * وبالجملة ما الذي احوجهُ الى دوران جزيل تقديرهُ · والى الفاظ معانيها خفية · وقد كان يجزيه ان يقول لست عديلاً لهُ · ويتخلص : فان قلت انّما قد قال ،، انني لست اعمل مشيتي : ،، اجبتك · وهذا القول قالهُ بمعنى مستور · معتمدًا بهِ ضعف اوليك * ومن تلك العلة بعينها · التي منها كانت الصلاة * ومعنى لانك استمعتني · ان ليس عندك عزم ضدًا لي * وكما ان لفظة لانك استمعتني · ليس هي لفظة موضحة هذا المعنى انهُ ما اقتدر * (فان كان هذا معناها فلم تكن زوال قوة فقط · لكنها تكون غباوة · ان كان قبل ان يصلي ما عرف ان الله يستانف ان ينجح الى مطلوبهِ * فان كان ما عرف ذلك · فكيف قال لتلاميذهِ · انا امضي لايقظهُ · وما قال امضي ابتهل الى ابي ليوقظهُ :) فكما ان هذه اللفظة ليست من ضعفهِ · لكنها لفظة مَن عزمهُ عزم ابيه · فكذلك لفظة قد عرفت انك تستمعني كل حين · فاما ينجه لنا ان تقول هذا القول · واما تقول انها قيلت نحو ظن اوليك * فان كان ما جهل ما فعلهُ · ولا ضعف عنهُ · فبيّن واضح انهُ لهذا الغرض تكلم اقوالاً ذليلة · حتى ولو من سموهِ توقن وتضطر ان تعترف · انها ليست من رتبتهِ · لكنها من مقاربتهِ وتحدرهِ * فاذا قال قايل · ما معنى انك استمعتني : اجبناهُ · انما قال ذلك نحو ضعف سامعيهِ · ولعساهُ يقول لنا · لا · ولكنهُ قال ذلك · ليظهر سموّ منزلتهِ : فنقول لهُ · لعمري ان هذا القول ليس يظهر سموّ منزلتهِ · لكنهُ يذلله جدًا · ويوجب انهُ ليس يمتلك اكثر من الانسان اقتدارًا * لان الابتهال ليس مناسبًا لله · ولا لقرينه في العرش · ارايتَ انهُ ما افضى الى هذا الفعل بجهة من الجهات لغرض آخر · الاّ لاجل زوال تصديق اوليك : وابصر فعلهُ شاهدًا لهُ بتامرهِ وسلطانهِ * فخرج الميت مقموطًا * ثم لكيلا يظن ان الفعل يوجد خيالاً · لان خروجهُ مقموطًا ليس هو عجيبًا ادنى من عجيبة قيامتهِ · اوعز اليهم ان يحلّوهُ * لكي اذا لامسوهُ · وقاربوهُ · يعرفوا بالحقيقة انهُ ذاك هو * وقال (٤٤) ،، اتركوهُ يذهب * ،، اعرفت عزمهُ الخالي من التفخم : وما اتبعهُ · ولا اقتادهُ · ولا اوعز ان يمشي معهُ · حتى يريهم اياهُ · فلما صار هذا العجب استعجبهُ اقوامٌ منهم * ومضى اناسٌ منهم وصفوهُ للفريسيين * وانظر ماذا فعلوا · وقد كان واجبًا ان ينذهلوا · ويستعجبوا قيامتهُ * الاّ انهم ارتادوا ان يقتلوا مَن اقام ميتًا * ترحمًا لغباوتهم * اذ ظنوا ان يدفعوا الى الموت مَن قهر الموت في

اجسام آخرين * (٤٧) ،، وقالوا ماذا نعمل : لان هذا الانسان يجترح ايات كثيرة * " فهم يدعونهُ انسانًا . وقد استمدوا للاهوته * برهانًا هذا المقدار مقدارهُ * ماذا نعمل : قد وجب عليكم ان تؤمنوا . وتسترضوهُ وتسجدوا لهُ . ولاتتوهموهُ ايضًا انسانًا * (٤٨) ،، وان تركناهُ على هذا الحال . سيجيء اهل رومية . فياخذون امتنا ومدينتنا * " وان سالت وما هو القول الذي يريدون ان يقولوهُ : اجبتك . يريدون فيما بعد ان يهزئوا الشعب . كانهم قد شارفوا ان يتورطوا في الخطر بتهمة عصيانهِ * كانهم قالوا اذا ابصروا اهل رومية مرجفًا للشعوب . ويتوهمون فينا العصيان عليهم . ويهدمون مدينتنا * وانا اسال احدهم . قُل لي . ولِمَ ذلك : ارتاهُ علَّمَ عصيانًا : اَفما اوعز باعطاء الجزية لقيصر : اَفما اردتم ان تصيروهُ مَلِكًا فهرب : او ما استعمل عيشة حقيرة خالية من المباهاة . ولم يتملك منزلًا . ولا شيأ غيرهُ من الاملاك وامثالها : فهذه الاقوال قالوها ليس متوقعين كونها . لكنهم قالوها حاسدين . فخرجت الى الفعل ولم يتوقعوها * واستحوذت اهل رومية على امتهم ومدينتهم لما قتلوهُ * لان الفعال الصايرة منهُ كانت ابعد من كل توهم مذموم * لان مَن ابرى السقما . وعلَّم عيشة فاضلة . واوعز بالخضوع للرؤساء . ما انشاء عصيانًا . لكنهُ نقض العصيان وازالهُ * الا ان المعارض منهم قال . اننا نحدس على ذلك من المفتنين الاولين * فنجيبه . ولكن اوليك المفتنين علَّموا عصيانًا * وهذا فعل ضدَّ ذلك * اَرايتَ ان الاقوال التي قالوها كانت مراياة : لان ما الذي اظهرهُ من فعل هذا حالهُ : هل استصحب اصحابًا لابسين سلاحًا : ام تبددت قدامهُ مركبات : اَفما كان متوجهًا الى البراري : ولكن ليلا ينصوب رايهم لئن يذكروا الداء الذي لهم . قالوا انهُ يورد الخطر على المدينة كلها . وانهُ يغتال عليها اغتيالًا عامًا . فوصل القول اليهم في محنتهم الاخيرة * فهذه الاشياء ما صارت لكم عللًا لاسركم . لكن اضدادها صارت اسبابًا لكم لهذا السبي . وللصاير الى بابل . وللحادث على عصر انتيوخس فيما بعد . وما تمَّ ذلك عليكم بالذين وُجِدوا فيكم مرضيين . لكن انما عرض لكم ذلك بالذين وُجِدوا فيكم ظالمين . ولله مغيظين * فهذا الفعل جعلكم مدفوعين الى الاسر * الا ان الحسد ليس يبصر ولا شيأ . لكنهُ يُعمي نفسنا * اَفلم يُعلِّم ان تكون ودعين : اَفما علَّم الملطومين الا يلطموا لاطمهم بدلًا من لطمه اياهم : اما علَّم المظلومين ان يحتملوا ظلمهم : اَفما اوعز ان نظهر نشاطًا اعظم عند مقاساتنا المكروه : اكثر من نشاط آخرين في افتعال الصالحات : فهذه الاقوال قُل لي . اقوال

مُن ينشي عصياننا : او ليست اقوال ناقض العصيان ومزيله :

العظة الرابعة والستون

في الحسد * وفي استكثار القنية *

الأ ان الحسد على ما قلتُ صعبٌ رديٌ مملوٌ مرآة * هذا الحسد ملاء المسكونة بلايا وآفات جزيلاً عددها * من هذا السقم تمتلي مجالس القضاء * من داء الحسد يتكوّن القتل وعشق الاموال وحب الرياسة . والشرف الفارغ * من هذه الجهة تحاصر طرقنا . ويمتلك البحر لصوصهُ * من جهة الجهة تصير في المسكونة صنوف القتل * من هذا الجهة نحارب جنسنا . ومانبصرهُ رديًا منكرًا * فمن هذا الحسد انتقل الى كنايسنا . وهذا اطلى الزمان قد اخترع افات مستعصية جزيلاً عددها * من الحسد ولد سقم حب الفضة . وصيّر احوالنا كلها فوق واسفل . وافسد الحكم والعدل * بطلت الهدية تعمي الحاظ الحكماء . " (سيراخ ص ٢٠ ع ٢٩) ونحطف الطعن والتوبيخ . كما يعطف اللجام فم الفرس * هذا الداء يجعلنا عبيدًا بدل احرار * في اجنابه هذا الداء نتخاطب كل يوم ويتكوّن لنا حال اكار . ونصير اشرّ من الوحوش * فنختطف اليتامى . نعري الارامل . نظلم الفقراء ويتكوّن لنا ويلٌ على ويلٍ * " ويلي قد ضلع الورع من ارضنا * " (مزمور ١١٩ ع ٥) وقد انسلغ لنا فيما بعد ان ننوح * وهذا القول يجب ان نقولهُ كل يوم . فما قد نمنا في صلواتنا شيًا . ولا استكملنا في مشوراتنا وعظاتنا غرضًا * فما قد بقي لنا الا ان نبكي * وهذا العمل قد عملهُ المسيح لما عاتب الذين في اورشليم باقوال كثيرة * واذ ما استفاد منها ربحًا . دمّع على مصلبيهم * هذا العمل قد عملهُ الانبياء فهذا العمل ينبغي لنا نحن الان ان نعمله * لان وقتنا الان وقت عويل وعبرات وشهيق * فقد ... ان تقول الان في اوفق وقت . " ادعوا النايحات والنوادب . وارسلوا الى الحكيمات * " (ارميا ص ٩ ع ١٦) ولينكلن عندنا . فلعلنا على هذه الجهة يمكننا ان نستخرج سقم الذين يبنون المنازل البهية والذين يتملكون من الخطف حقولاً . وننوح عليهم في اوفق وقت * لكن ما عدونا انتم ايها الظالمون والمجدولي يا من قد عريتم . نوحوا واحدروا دموعًا * لكن نوحوا ليس على ذواتكم . بل سبيلنا ان ننوح على اولئك الظالمين . فما ظلمونا . لكنهم انما اهلكوا ذواتهم * فانتم قد ملكتم ملكوت السموات بدلاً

المظالم الذي عرض لكم . واوليك يستحقون جهنم عوض ربحهم * فلهذا السبب افضل لنا ان نظلم ولا نظلم . وينبغي ان تنتحب عليهم . ليس الانتحاب المشاع العام . لكن النوح الذي من الكتب الالهية . الذي انتحب به الانبياء * فنندبهم مع اشعيا النبي قايلين " الويل للذين يقرنون منزلاً الى منزلٍ . ويدنون حقلاً الى حقلٍ . لكي يستلبوا شيًا من قريبهم * العلكم قد سكنتم الارض وحدكم . (اشعياص ٥ ع ٨) فمنازلكم عظيمة حسنة . وليس يوجد الساكنون فيها * وننوح مع ناحوم النبي . ونقول " الويل لمن يبتني منزلهُ ويبالغ في علوّهِ * " واليق بنا ان نندبهم تابعين المسيح القايل " الويل لكم ايها الموسرون . لانكم قد استوفيتم عزاكم * " (لوقا ص ٦ ع ٢٤) ينبغي ان ننتحب ولا نكف عن البكاء * وان لم يكن مستقبحًا فلنتواجد لهم . ونقول ما قالهُ النبي " لا تبكوا على الميت * " لكن ابكوا على الخاطف المستكثر من القنيات المحب الفضة العادم ان يشبع * ولم ننوح على اموات انواحًا ليس يصل منها اليهم نفع ، فينبغي ان ننتحب على هولاء انتحابًا يوجد لهم منهُ تغيير وانتقال * لكن اذا نحنا نحن . لعل اوليك يضحكون * وهذا موهل لصنوف النوح . انهم يضحكون على الافعال التي يجب ان ينوحوا عليها * لانهم ان كانوا قد أثّر فيهم تاثيرٌ من نوحنا . فقد وجب ان نكف عن انتحابنا . من طريق جنوحهم الى اصطلاحهم * واذا كانت حالهم حال مَن فقد حسهُ . فسبيلنا ان نثبت نحن باكين . ليس على الموسرين على بسيط ذات ايسارهم . لكن على المحبي الفضة * على المستكثرين من القنيات * على الخاطفين * الايسار ليس رديًا * (اذا استعملناهُ فيما يجب . اذا افنيناهُ في المحتاجين *) ولكن الاستكثار ردي * ويسبب عذابات لا تموت * فينبغي ان ننوح * لعلهم يكون لهم اصطلاح في وقتٍ من الاوقات * وان كان الذين سقطوا في هذه العادة ما يباينونها . لكنَّ غيرهم ما يتكردسون في هذه الهوتة المستصعبة . لكنهم يحترسون منها * فما يكن لاوليك لن ينعتقوا من سقمهم . والّا يتكردس اليهِ ولا واحداً آخر من الناس * ليتفق لنا كلنا عامة ان نمتلك المنعم الصالحة الموعود . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفهِ . الذي لهُ المجد مع ابيهِ وروح القدس . الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الخامسة والستون

في قولهِ (٤٩) فقال لهم قيافا . واحد منهم كان رئس كهنة تلك السنة . انتم ما قد عرفتم ولا شيًا .

(٥٠) ولا قد افتكرتم ان موافقاً لكم . ان يموت انسان واحد عن الشعب . ولا تهلك امتنا كلها* .. انتشبت أممٌ في الفساد الذي صنعوهُ * في الفخ الذي اخفوهُ اصطيدت ارجلهم* " (مزمور ٩ ع ١٦) هذا الحادث حدث على اليهود* لانهم هم قالوا نقتل يسوع . لكيلا يوافي اهل رومية . فياخذوا أمّتهم ومدينتهم* فلما قتلوهُ نابتهم هذه النوايب* والاعمال التي عملوها كمنفلتين منها . هذه ما انفلتوا منها اذ عملوها . لكن ذاك لما قُتل هو في سمواتهِ . وهم لما قتلوهُ ورثوا جهنم* على انهم تصفحوا هذه الحوادث . لكنهم ارتادوا (زعم) من ذلك اليوم ان يقتلوهُ* لانهم قالوا ان اهل رومية سيوافون وياخذون امتنا* فقال قيافا واحد منهم كان رئيس كهنة تلك السنة موجودًا اشدَّ وقاحة من باقيهم . انتم ما قد عرفتم ولا شيًا . فما ارتاب اوليك فيهِ . وانزلوهُ في منزلة رأسٍ يتصفحونهُ* لانهم قالوا ماذا نعمل : هتف بهِ هذا باوفر وقاحة . وبجفاوة . وبراس حاسر* لانهُ قال . انتم ما قد عرفتم ولا شيًا . ولا قد ميزتم ان موافقاً لكم ان يموت انسانٌ واحدٌ . ولا تهلك امتنا كلها* (٥١) فهذا القول ما قالهُ من ذاتهِ . لكنهُ تنبأ بهِ * اذ كان رئيس كهنة* أرأيت كيف هي قوة سلطان الرياسة الكهنوتية لانهُ لما أُهّل بالجملة لرياسة الكهنوت . على انهُ قد كان خايبًا من ان يكون موهلاً لها . تنبأ* ليس عارفًا ما قالهُ . وانما استعملت النعمة فمهُ فقط . وما لامست قلبهُ الدنس* واخرون كثيرون قد قالوا اشياء يستانف كونها . وكانوا قد خابوا من ان يكونوا اهلاً لذلك . وهم بختنصر . وفرعون وبلعام* وعلة اقوالهم كلها واضحة* فالذي يقولهُ هذا هو معناهُ . اجلسوا انتم . فانما قد اصغيتم الى حالنا باوفر الكسل . وما قد عرفتم ان تتهاونوا بخلاص انسان واحد من اجل العام* فانظر كم هي قوة الروح : اذ اقتدرت ان تستخرج من سريرة خبيثة . الفاظًا مملوة نبوة عجيبة* والبشير يُسمي الامم هنا اولاد الله . من تلقاء البنوة بالوضع المؤتنف كونها لهم* مثلما قال هو" وانا امتلك غنمًا اخر* " (يوحنا ص ١٠ ع ١٦) اذ دعاها هو من جهة الحظ المستانف لها* فان سالت . وما معنى انهُ كان رئيس كهنة تلك السنة : اجبتك . انهم مع الرسوم الاخر التي افسدوها . افسدوا هذا الرسم ايضًا لان رئيس الكهنة منهم ما كان يكهن طول زمان حياتهِ . لكنهُ كان يكهن عامًا واحدًا* ومن هذا الرسم صارت الرياسات الكهنوتية تُباع . الّا ان الروح قد كان ايضًا على هذه الجهة حاضرًا* فلما رفعوا ايديهم على المسيح . اهمل الروح حينيذٍ وتركهم . وانتقل الى رسل ربنا* وهذا المعنى فقد اوضحهُ ستر الهيكل

بتمزقه. وصوت المسيح القايل ،، ها هو بيتكم يترك لكم خرابًا* "(متى ص ٢٣ ع ٣٨) ويوسيبوس الناشي بعد زمان يسير قال ،، ان الملايكة الثابتين عندهم ايضًا تركوهم* وان كان اوليك ما ارادوا ان ينتقلوا عنهم* " لان الى حين كان الكرم باقيًا تكونت الافعال كلها* فلما قتلوا الوارث. ما بقي لهم شي ايضًا. لكنهم هلكوا. واخذ الله من اليهود موهبته. كما يوخذ ثوب بهي من صبي عديم ان يكون نافعًا. وخولها لعبيده من الامم. الخالص عزمهم. وترك اوليك متفرين منها عارين* وهذا فما كان فعلاً يسيرًا. ان يتنبا العدو بهذه الحوادث* فهذا الفعل قد اقتدر ان يجتذب الآخرين* لانه خرج خروجًا مضادًا لنيته واختياره* لانه اذا مات يخلص الذين امنوا به لذلك. من العقوبة المستانفة* فان سالت وما معنى لكي يجمع: اجبتك. لانه صير الذين كانوا قريبًا. والذين كانوا بعيدًا. جسمًا واحدًا* فالجالس في رومية يعتقد الهنديين انهم عضو لذاته* فماذا يكون عديلاً لهذا الجمع والمقارنة: والمسيح راسهم كلهم* (٥٣) ،، ومنذ ذلك اليوم تقرر الراي عند اليهود ان يقتلوه* " ولعمري انهم قد التمسوا ذلك فيما سلف* لان البشير قد قال ،، لهذا السبب التمس اليهود ان يقتلوه* " (يوحنا ص ٥ ع ١٨) ولعمري وما غرضكم في انكم قد طلبتم ان تقتلوني: الا انهم في ذلك الحين التمسوا قتله. والان فثبتوا عزمهم على ذلك. واستعملوا القتل على انه فعل* (٥٤) ،، ولم يسلك ايضًا يسوع في بلد اليهودية بمجاهرة* " (يوحنا ص ١٩ ع ٧) ها هوذا ايضًا يصون ذاته صونًا انسانيًا. ويفعل هذه الافعال بمداومة* وقد ذكرنا العلة التي لاجلها ذهب وانصرف دفعات كثيرة* واقام الان في افرائا قريبًا من البرية. ولبث هنالك مع تلاميذه. وكيف ما ظن ظان لان تلاميذه قد ارتجفوا. اذ ابصروه مصونًا بفعل انساني. وما لحقهم في ذلك الوقت احد: لان العيد اذ كان قريبًا. تبادر كل الذين هناك الى اورشليم* وهم حين كان الذين هنالك يسرون ويعيدون. حينيذٍ استتروا هم* حينيذٍ حصلوا في الاخطار* الا انهم مع ذلك صبروا وثبتوا* لانهم قد استتروا في الجليل حين كان الفصح. وحين كان عيد نصب المظلات* وايضًا بعد ذلك لما كان العيد. في هربهم وفي استتارهم. اظهروا هم وحدهم دون الآخرين ودهم الى معلمهم وثبوتهم معه* فمن هذه الجهة قال لوقا. انه قال ،، انا قد ثبتم معي في المحن* " هذه الاقوال قالها. موضحًا ان معونته ايدتهم* (٥٥) ،، وكثيرون من ذلك البلد. صعدوا ليطهروا ذواتهم* ولعمري (٥٧) ان روساء

الكهنة وصّوا توصيةً ان يقبضوا عليهِ* " وانا اخاطبهم . ان تطهركم لعجيب جنبة متدنسة بالقتل :
بسريرة خالطة الناس . بايادي مخضوبة بالدم* (١٠ ٥٦) .. وقالوا تظنون ليس يجي في العيد : ..
فاغتالوا عليه في الفصح . وصيّروا اوان العيد . اوان القتل والذبح * وما معنى قولهم هذا :
لابُدَّ لهُ من لن يقع ههنا في ايدينا . اذا دعاهُ وقتهُ * فترجاً لا لحادهم* حين وجب ان يكون تورعهم
اكثر . وان يطلقوا الماخوذين في جنايات واصلة الى غايتها . حينيذٍ ارتاد والن يقتلوا مَن لم
يظلمهم ظلماً * على انهم عملوا فيما سلف هذا العمل . فليس مستعجباً انهُ ما تنفعهم ذلك نفعا فقط .
لكن العجب من ذلك لنهم صاروا مضحوكاً عليهم * ولهذا السبب لما وقع في ايديهم وقوعاً متصلاً .
انفلت ناجياً * ولما ارادوا ان يقتلوهُ . ضبطهم عن ذلك . وصيّرهم ان يتحيروا من تخلصه . مريدًا
ان يخشعهم ببرهان مقدرته * ولكي اذا قبضوا عليهِ . يعرفوا ان الحادث عليهِ انما كان ليس من
اقتدارهم وقوتهم . لكنهُ انما كان من اطلاقهِ هو ذلك * لانهم ولا في ذلك الحين استطاعوا ان يقبضوا
عليهِ . وقد كانت بيت عنيا مع ذلك قريبة منهم * وعندما قبضوا عليهِ . القاهم طريحين على ظهورهم *

(الاصحاح الثاني عشر) (١) .. وقبل ستة ايام من الفصح . جاء الى بيت عنيا حيث كان لعازر *
(٢) وكانت مرتا تخدمه . ولعازر كان ياكل معهُ * " وهذا فكان دلالة على قيامته الخالصة من
الارتياب ان يعيش وياكل بعد ايام كثيرة * فمن هذه الجهة استبان واضحاً ان الوليمة كانت في بيتها
من طريق ان الذين احبوا يسوع وهو احبهم . اقتبلوهُ عندهم * وقد قال قايلون ان الوليمة صارت في
بيت غريب . الا ان مريم ما خدمتهُ . لانها كانت تلميذة . وهذه ههنا اشدّ روحانية من اختها ايضاً . لانها
ما خدمت بمنزلة مدعوة . ولا جعلت خدمتها مشاعة . لكنها اصدرت اكرامها اليهِ وحدهُ * وما دنت
منهُ مثلما يُدنى من انسانٍ . لكنها اقتربت كمقتربة من الهٍ . لانها لهذا السبب دفقت عليهِ الناردين
المطيَّب ونشّفته في ضفاير راسها * فما كانت هذه افعال معتقدة فيهِ مثل ذلك الظن الذي اعتقد
فيهِ الكثيرون * الا ان يودس انتهرها بشكلٍ كانهُ شكل تورع * الا ان المسيح قال (٧) .. لقد عملت
عملاً محمودًا . لتحنيطي * " ولقايل ان يقول . وما رايهُ في انهُ ما زجر تلميذهُ بحضرة المراة . ولا قال هذا
القول الذي ذكرهُ البشير . انهُ بسبب سرقته انتهر الامراة : فنجيبهُ . انهُ شاء ان يستميله بالكثير من طول
اناته عليهِ . لان الدليل على انهُ قد عرف انهُ كان دافعهُ . فواضح من انهُ قد وبخهُ من اعلى ...

حصوله معه * اذ قال دفعات . ليس كلكم تومنون * وواحد منكم محال هو * " فقد اوضح انه عرفه دافعا * وما وبخه توبيخا ظاهرا . لكنه امهله مريدا ان يستعيده اليه * فان قلت فكيف قال بشير آخر . ان تلاميذه كلهم قالوا هذا القول ، اجبتك . قد قالوه كلهم . الا ان باقي التلاميذ . ما قالوه بهذا العزم بعينه * فان بحث باحث وقال ما رأيه في انه فوّض الى لص بالحقيقة صندوق المساكين . وصيّره مدبرا له . وقد كان محبا للفضة ، قلنا له ذاك القول . ان الحجة في ذلك القول التي يفوتنا التكلم بها . قد عرفها الله . وان وجب ان نقول نحن في ذلك قولا على جهة الحدس على ذلك * قلنا ليقطع كل حجة له * لانه ما اتجه له ان يقول انه انما عمل هذا العمل بسبب عشق الاموال ، (لانه قد امتلك من الصندوق تعزية كافية لشهوته .) لكنه انما عمل الذي عمله . لاجل خبثه الكثير * الذي شاء المسيح ان يضبطه . فاستعمل له تحذرا كثيرا وتنازلا * ولذلك ما شكى انه سارق . مع انه قد عرف ذلك * فسدّ شهوته الخبيثة . وانتزع احتجاجه كله * وقال .. اتركوها . فانها انما عملت هذا . ليوم تحنيطي وتكفيني * " فاذكر الدافع ايضا لما ذكر تحنيطه وتكفينه * الا ان التوبيخ ما وصل اليه . ولا عركه كلامه ، وقد كان فيه كفاية ان يحصله في الرحمة له * كأنه قال له هذا القول . استثقل انا عندك ، تثقيل عليك ؛ لكن تصبّر قليلا . واذهب * لانه قد اصلح هذا المعنى في قوله . (٨) .. وما قد ملكتموني انا كل حين * " الا ان ولا قولا من هذه الاقوال . احنى ذلك الوحش المصروع * على انه قد قال وفعل اكثر من هذه بكثير . وغسل رجليه في تلك الليلة بعينها . وخوّله مايدته وملحه . التي من شانها ان تضبط نفوس اللصوص . وخاطبه بالفاظ اخر فيها كفاية ان تلين الحجر * وهذه الاقوال فما قالها قبل زمان كثير . لكنه قالها في ذلك اليوم بعينه . ليلا يلقيه طول الزمان في نسيانها * لكنه وقف مقابلها كلها *

العظة الخامسة والستون

في حب الفضة * ولم سمّي عبادة اصنام * ومن اين يتكون حب الفضة *

لان حب الفضة ردي مذموم . يعمي الحاظنا . ويصم اذاننا . ويصيّرنا اشرّ من الوحوش . وما يسمح لنا ان نفهم . لا معرفة . ولا صداقة . ولا شركة . ولا خلاص نفسنا * لكنه يبعدنا من هذه

الاصناف كلها في دفعةٍ واحدة. ويحصل الذين قد اقتنصهم عبيداً لهُ. وحالهُ حال مغتصب ردي* والمستصعَب من هذه العبودية المستمرّة بهذه الصفة. انها تحقق للمستعبدين امتلاكها المنّة عليهم* وبمقدار ما يتعبدون لهذا الداء اكثر تعبداً. بمقدار ذلك يزيدون اصناف التلذاذهم بذلك. وبهذا الالتذاذ يصير هذا الداء مسلوباً بروحهِ. وبهِ يصير هذا الوحش عسيراً انصيادهُ* هذا الداء صيّر جيازي ابرصَ بدلاً من تلميذٍ ونبي* هذا الداء اهلك حنانيا وامرأتهُ. هذا الداء صيّر يودس دافعاً. هذا الداء افسد روساء اليهود. اذ اخذوا الهدايا وصاروا شركاء السارقين* هذا الداء استورد حروباً جزيلاً عددها. وملأَ الطرقات دماً. والمدن شهيقاً وعويلاً* هذا الداء صيّر ولايم ان تصير نجسة. وجعل موايد ان تكون دنسة. وملأ اطعمة من تجاوز الشريعة* ولهذا السبب سمّاهُ بولس عبادة اصنام* الّا انهُ ولا على هذه الجهة اراعهم* فان قلت. ولِمَ سمّاهُ عبادة اصنام: اجبتك. لان كثيرين يمتلكون اموالاً. وما يجتريون ان يستعملوها. لكنهم يوقفونها لابنائهم. ويجهزونها الى اولاد ابنائهم ناحية من ان يلمسوها. وما يتجاسرون ان يلمسوها. كانها اوقاف مفروزة* وان اضطروا في وقتٍ من الاوقات الى ممارستها. فعلوا ذلك. وعزمهم فيهِ عزم مَن يمارس عملاً ظالماً* وعلى معنىً آخر. بمنزلة صنم حجري. كذلك يأتمن على ذهبهِ ابواباً وسكرات. جاعلاً الصندوق عوض الهيكل. ويخزن فيهِ الات من الفضة* افتقول انك ما تسجد للذهب مثلما يسجد ذاك للصنم: الّا انك تظهر كل خدمةٍ من اجلهِ* وذاك ايضاً يتخلى بالتذاذٍ عن عينيهِ وعن نفسهِ: اكثر من ان يتخلص من صنمهِ* وهذا العمل عملهُ الذين يحبون الذهب* ولعلّ احدهم يقول. لكنني لست اسجد للذهب. ولا ذاك يسجد للصنم* فاقول لهُ. الّا انهُ يسجد للشيطان الساكن في الصنم. وكذلك انت. وان كنتَ ما تسجد للذهب. لكنك تسجد للشيطان الواثب على نفسك من وجهِ الذهب وشهوتهِ* لان شهوة حب الفضة اشرّ من الشيطان* وكثيرون من الناس يطيعونها ويخضعون لها. اكثر ما يخضع آخرون لاصنامهم* لان اوليك عابدي الاصنام يخالفون فرايض كثيرة من فرايضها. وههنا فمحبو الفضة يقبلون كل ما يامرهم بهِ هذا الداء. ويخضعون لما يقول لهم ان يعملوه* وان سالتَ عما يقولهُ لهم: اجبتك. يقول كُن محارباً عدواً لكل الناس. اجهل طبيعتك. استحقر الهك. اذبح لي ذاتك* فيقبل منهُ هذه الاوامر كلها* واوليك يذبحون الى اصنامهم بقراً وغنماً* وحب الفضة يقول اذبح لي

نفسك . فيقبل منه* أرأيت أية محاريب يملكها . وأية ضحايا يقبلها : فالمستكثرون من القنيات . ما يرثون مُلك الله* وما يرتاعون على هذه الجهة* على ان هذه الشهوة اضعف الشهوات كلها* لانها ليست غريزية . ولا طبيعية* والا فقد كانت وضعت فينا منذ القديم* فالان الذهب ما كان منذ اعلى الزمان* ولا حمل احد القدماء ذهباً* لكن ان شيتم . فانا اقول من اين دخل علينا هذا الداء الردي* لما حسد كلٌّ منا مَن تقدَّمهُ وشابهُ . اطالوا هذا السقم . واستنهض السابق اليه . مَن لم يشاء الى ايثاره* لانهم ابصروا دوراً بهية . وكثرة حقول . وقطعان عبيد . واواني فضة . ولبساً من الثياب جزيلاً . عملوا كل ما يمكنهم . حتي يفوقوا ويزيدوا عليهم* فمن هذه الجهة يصير الاولون عللاً للثانين* واوليك يصيرون عللاً للذين بعدهم* لانهم لو ارادوا ان يرتدعوا لما كانوا يصيرون معلمين لغيرهم* واولى ما يقال انهم ليس يوجد لهم اعتذار . لان اناساً آخرين يوجدون متهاونين بالاموال* فان قلت ومَن هو الذى يزدري بها : اجيبك . ان هذا هو الردي . ان من كثرة الرذيلة يُظَنّ ان قهر هذا العارض ممتنع . وليس يصدق ان احداً قد احكم ذلك* والا فقد كنت اقول . كثيرون الذين قد استحقروها في المدن . والذين في الجبال* وما الفايدة من ذلك : لانكم ما تصيرون من هولاء افضل سيرة* فليس الكلام عندنا في هذا الوجه على جهةٍ اخرى . حتى تفرغوا ما يوجد الان لكم* وقد كنتُ اشاء ذلك* ولكن اذا كان هذا الحمل اعظم منكم . لستُ الزمكم به* لكنني اوصيكم ان لا تشتهوا ما ليس لكم* وان تواسوا الفقراء مما يوجد لكم* فاننا نجد كثيرين هذه الحال حالهم . مكتفين بمالهم . مهتمين بانفسهم . عايشين من اتعابهم العدلة* فلمَ ما نشابههم ونماثلهم : فلنتفطن في الذين كانوا قبلنا . أمّا قد بقيت املاكهم خافظةً اسماءهم فقط : هذا الحمام لفلان . وهذه الضيعة مع هذه الدار لفلان* ألسنا مما نبصرها نتحسّر . متاملين كم تعب قاساهُ صاحبها : كم اختلاسات خطفها : وما نستبين بجهةٍ من الجهات* لكن آخرين يتنعمون باملاكه . ما نوقع انهم يملكونها* ولعلهم كانوا اعداءهُ . وهو يقابل مقابلة عدلة في غايتها* وهذه النهايات تنتظرنا* لاننا سنموت على كل حال* وستتكبد بلازم الضرورة هذه النهاية بعينها* قُل لي كم غيظ احتملوهُ : كم نفقة انفقوها : كم موونات كثيرة ثقيلة لزمتهم : وما فايدتهم سوى عقوبات مسلوبة موتها . والا يتفق لهم صنف من تعزية . وان يلومهم كل مَن يعرفهم ليس في حياتهم فقط . لكن بعد انصرافهم من الدنيا ايضاً*

وماذا نعمل اذا راينا تماثيل الكثيرين موضوعة في بيوتهم . افما نتعجب اكثر . بالحقيقة لقد قال النبي قولاً صادقاً . لكن باطلاً يرتجف كل انسان حي * " (مزمور ٣٨ ع٦) لان الاجتهاد في هذه الاشغال وما ناسبها . هي بالحقيقة ارتجاف وانزعاج وقلق زايد * الا ان هذا الارتجاف ليس يوجد في المنازل الدهرية . ولا في تلك المساكن * لان ههنا طالما تعب آخر وتمتع غيره . وهنالك يكون كل منا مالكاً اتعابه * ويستلم مكافاة جزيلة اضعافها * فلنسارع كلنا الى تلك القنية . فينبغي ان نعمل لنا هنالك منازل لذواتنا لكي نستريح فيها * بنعمة يسوع المسيح ربنا . الذي معهُ لابيهِ المجد مع الروح القدس . الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة السادسة والستون

في قولهِ (٩) ثم علم جمع عظيم من اليهود انهُ هنالك فجاوا ليس لاجل يسوع فقط لكن لكي يبصروا لعازر . الذي اقامهُ من بين الاموات *

كما ان الثروة من عادتها ان ترفع اعناق الذين لا يتيقظون لانفسهم . فكذلك الرياسة تفعل هذا الفعل ايضاً * لان تلك الثروة تقتاد الى الاستكثار من القنية . وهذه الرياسة تسوقنا الى التجبر * وانظر الى الجموع من اليهود المروسين اصحاء الراي معافين * وروساوهم مفسودين * لان الدليل على ان هولاء قد صدقوهُ . فقد ذكرهُ البشيرون ذكراً متصلاً . ان كثيرين من جمعهم صدقوهُ . وكثيرين من روسايهم انكروهُ * " (يوحنا ص ٧ ع ٤٨) وهم قالوا (ليس الجمع) . ألعل واحداً من الروسا صدقهُ . ما خلا هذه الجماعة التي ما تعرف الشريعة . وهم ملعونون * فالذين آمنوا بهِ دعوهم ملاعين . ودعوا ذواتهم الذين انكروهُ فهمين * وكثيرون ههنا لما عاينوا العجيبة آمنوا * الا ان الروساء ما اجزتهم اعمالهم الردية فقط . لكنهم ارتادوا ان يقتلوا لعازر ايضاً . فليكن ايثارهم ان يقتلوا المسيح . لانهُ حل السبت . ولانهُ صير ذاتهُ عديلاً لابيهِ . ويسبب اهل رومية الذين ذكروهم * ولعازر ما الذي اساغ لهم ان يشكوهُ منهُ . لما ارتادوا ان يقتلوهُ . افهل ذلك انهُ وصل اليهِ افضل الاماني حسناً . ارايت كيف اختيارهم قاتلاً . على انهُ قد اجترح ايات كثيرة . الا انها ما ثمرتهم هذا التثمر * افما قد شفى المخلع . وشفى الاعمى . لان هذه العجيبة كانت في طبيعتها

العجب من تلك العجايب . وصارت بعد عجايب كثيرة * وقد كان مستعجباً ان يبصر ميتاً ذا اربعة ايام
ماشياً شكلاً * فاحتالو لعزي حسنة . لانهم ما ارادوا للعيد ما احكموه من فضايلهم . بل شوهوا الموسم
بصنوف القتل التي اخلطوه بها * ولمعنى غير ذلك . انهم هنالك ظنوا انهم يشتكون حل السبت .
وعجزوا به الجموع * فههنا انما الحجة لم صنف يذموته به . اصدروا نهضتهم على المشفى * وههنا لما
انساغ لم ان يقولوا انه مضاد لابيه . لان صلاته اطبقت افواههم * فلما بطل ما شكوه منه وازاله
وكانت الاية بهية . نهضوا الى قتله * فمن هذه الجهة قد كانوا عملوا هذا العمل عندما اشفى
الاعمى . لولا انهم ما انساغ لم ان يشتكوا السبت * ولمعنى آخر . ان ذلك الاعمى كان خامل
الحسب . فاخرجوه من الهيكل * وهذا لعازر فكان شريف الحل . وذلك واضح من مجي كثيرين منهم
لتعزية اخنيه . وصارت العجيبة وجميع الحاضرين يبصرونها باجراح عجيب كثيراً * ولهذا السبب
تقاطروا كلهم ناظرين اليها * وهذا لدعهم ومضهم . وهو كونها في اوان العيد . وقد اهملوه كلهم .
وتبادروا الى بيت عنيا * وارتادوا ان يقتلوه . وما ظنوا انهم يجتريون على منكر * فبهذه الصفة كانوا
قاتلين * ولهذا الغرض عندما ابتدات الشريعة * تبتدي من هذا .. لا تقتل * ،، والنبي في هذا الذلل
شكا منهم . فقال .. ان ايديهم مملوة دماً * ،، (اشعيا ص ١ ع ١٥) فان سالت فكيف اذ لم يسلك في
بلد اليهودية مجاهرة . وانصرف الى البرية . يجي ايضاً مجاهرة : اجبتك . لما اخمد غضبهم بانصرافه .
حضر عندهم وقد استقر اضطرابهم * ولمعنى آخر . ان الجماعة التي تقدمت والتي تبعت كانت فيها
كفاية ان تلقيهم في جهاد * لان ما اجتذبتهم هكذا جريحة . مثلما اجتذبتهم آية قيامة لعازر . وقد
قال مبشر آخر انهم ،، فرشوا وبسطوا ثيابهم لقدميه . وان المدينة كلها تزعزعت . اذ دخل اليها
بكرامة جزيل تقديرها * (لوقا ص ١٩ ع ١٦) وعمل هذا العمل ممثلاً النبوة التي مثلت ذلك . متمماً
النبوة التي تمت به * وهذا الفعل بعينه كان لاحديهما مبدا . وللاخرى كمالاً * فكان كمالاً للنبوة
القائلة ،، افرحي فان ملكك ياتي اليك وديعاً * ،، (متى ص ٢١ ع ٥) وكان ابتداء . اذ تقدم
بجلوسه على حمار . فرسم فعلاً مستانفاً . هو ان جنس الامم النجس . استانف ان يجعله تحت
طاعته . ولقايل ان يقول . فكيف يقول الاخرون انه ارسل تليذين . وقال لهما حلا الاتان
والجحش . (مرقص ص ١١ ع ٥) وهذا المبشر فما قال قولاً هذه حكايته . لكنه قال . وجد

حمارًا وجلس فوقه: اجبتهُ · قد كان لائقًا ان يكون القولان كلاهما · وبعد ان حل الاتان التلميذان. بقولهما وجدها وجلس عليها* «وفرشوا سعف النخل واغصان الزيتون وثيابهم موضعين انهم قد تحققوا فيه ظنًا مستعظمًا. اعظم من ظنهم في نبي* وقالوا (١٣) «هو مبارك الوارد باسم الرب*» أرأيت ان هذا ختنهم ختنًا كثيرًا· وهو تحقق الحاضرين كلهم انهُ ليس هو ضد الله: وهذا افصل الجمع افصالاً كثيرًا. وهو قوله «انهُ قد جاء من عند ابيهِ*» فان قلت وما معنى (١٥) «افرحي فرحًا كثيرًا يا ابنة صهيون»: اجبتك. لما كانت ملوكهم كلهم كانوا في اكثر احوالهم ظالمين مستغنمين. قد دفعوهم الى اعدائهم. واستعبدوا جماعتهم. وجعلوهم تحت جنايةٍ عند محاربيهم* قال. ثق. فان هذا ليست هذه سجيته. لكنهُ وديعٌ حليم* ويستبين ذلك من الاتان* لانهُ ما دخل الى المدينة يقتاد جيشًا. لكنهُ قد حوى اتانًا فقط. (١٦) «وهذا المعنى (زعم) ان تلاميذهُ ما عرفوهُ. انهُ كان مكتوبًا عليهِ* أرأيتَ انهم قد جهلوا اكثر النبوات عليهِ. اذ ما كشفها هو لهم: لانهُ حين قال «حلّوا هذا الهيكل. فانا اقيمهُ في ثلثة ايام» (متى ص ١٧ ع ٢٢) ما عرف ذلك تلاميذهُ* وبشيرٌ آخر قال. ان قولهُ كان مستورًا عنهم. وما عرفوا انهُ يجب لهُ ان يقوم من بين الاموات* الا ان هذا على جهة الواجب اخفي عنهم* (لذلك قال بشير آخر. انهم اذ سمعوا ذلك كل وقت انجعوا. وحصلوا في اكتياب* وهذا فكان من اجل انهم ما فهموا القول في ذكر قيامته*) فهذا على جهة الواجب أُخفي عنهم. من جهة ما انهُ اعظم من ان يتيسر لامثالهم* فان قلت. فلمَ ما كشف لهم معنى الاتان: اجبتك. لان هذا ايضًا قد كان عظيمًا بالنظر الى فلسفة البشير كيف ما خجل من اشهار غباوتهم الاولى* ولعمري انهم قد عرفوا ان ذلك مكتوب الا انهم ما عرفوا انهُ مكتوب عليهِ. لانهُ قد كان شككهم ان كان ملكًا. ويستنكف ان يقاسي هذه النوايب وامثالها ويدفع على هذا الحال* ولمعنى آخر. انهم ما كانوا في الحين قد وسعوا معرفة المملكة التي ذكرها لهم* لان بشيرًا آخر قد قال. انهم توهموا انهُ يخاطبهم في ذكر هذه المملكة* (١٧) «وشهد الجمع انهُ اقام لعازر*» (متى ص ٢٠ ع ٣٥) لانهُ قال انهم ما كانوا قد انتقلوا بغتةً وهم جميعهم تقديرهم. لولا انهم صدقوا آية قيامتهِ* (١٩) «الا ان الفريسيين قالوا فيما بينهم. ارايتم انكم ما انتفعتم ولا نفعًا: ابصروا العالم يذهب وراءهُ*» واظن ان هذا القول هو مناسب للعارفين المصدقين

الأّ انهم ما يمكنهم ان يجاهروا. ثم ضبطوهم من خروجهِ الى غايتهِ. كأنهم يرتادون افعالاً يغتاص عليهم اكمالها * والعالم ههنا اعتمدوا بهِ الجمع * لان من عادة الكتاب ان يدعو الخليقة عالماً. والعايشين في خبثهم. فقد ذكر المعنى الواحد اذ قال. الذي ابرز عالمهُ واستخرجهُ بعددٍ * (اشعيا ص ٤٠ ع ٢٦) وذكر المعنى الآخر اذ قال "العالم ليس يمقتكم. ويمقتني انا * " (يوحنا ص ٧ ع ٧) وسبيلنا ان نعرف هذه المعاني معرفة بليغة. لكيلا يخوّل مبدعي بدعهم في ديننا من دلالة الاسماء نكتةً علينا *

(٢٠) " وكان هنالك اناس من اليونانيين. قد صعدوا ليسجدوا في العيد * " كانوا في العيد قد صاروا فيما بعد قريباً من ان يكونوا مستجيرين بدين اليهود * فعندما انبث ذكر ربنا قالوا " نريد ان نبصر يسوع * " ففوض ذلك فيلبس الى اندراوس الموجود في التتلمذ قبلهُ. وشاركهُ في الراي. الأّ ان ولا هذا تامّر على رأيهِ على بسيط ذات التامّر * لانهُ سمع " لا تذهبوا في طريق الامم * " فلهذا السبب دفع ذلك الى معلمه مشتركاً مع فيلبس. لانهما كليهما قالا لهُ * فقال هو (٢٣) " قد جاء الوقت. لكي يتمجد ابن الانسان * (٢٤) فالحبة من الحنطة اذا سقطت في الارض. ان لم تمت. فهي وحدها تبقى * " فان سالت. وما هو معنى قد جاء الوقت: اجبتك. قد قال " لا تذهبوا في طريق الامم * " قاطعاً من اليهود كل احتجاج. لمكابرتهم وضبطهم. فاذ لبث هولاء عاصين. واراد اوليك ان يتقربوا منهُ * قال قد حان وقت مجيئنا الى التالم. اذ قد كملت النبوات كلها * لاننا ان ونينا في ان نثابت تلاقي هولاء عند معصيتهم ايانا. وضجعنا في تقديم اوليك الينا. المريدين ان يتقربوا منا. تكون هذه افعالاً ليست موهلة لاهتمامي * واذ اعتزم ان يطلق فيما بعد تلاميذهُ. ان يذهبوا بعد صلبهِ الى الامم. حين ابصرهم متبادرين اليهِ. قال قد حان الوقت ان اجيء الى الصليب * وما اطلقهم فيما سلف ان يذهبوا اليهم * ليكون ذلك لشهادة على اليهود * لانهم الى حين صادموهُ بافعالهم. الى ان صلبوهُ. ما قال " انطلقوا تلمذوا الامم كلها * لكنهُ قال لهم لا تذهبوا في طريق الامم * " (متى ص ٢٨ ع ١٩ متى ص ١٠ ع ٥) وقال " ما أُرسلتُ الأّ الى الاغنام التي ضلّت من بيت اسرايل * وليس محموداً ان ناخذ خبز البنين ونعطيه للكلاب * " (متى ص ١٥ ع ٢٤ متى ص ١٥ ع ٢٦) فلما مقتوهُ. ومقتوهُ هذا المقت الذي وصلوا فيهِ الى ان قتلوهُ. كان فضلة زايدة ان يثابت اوليك وهم يصادمونهُ * لانهم استعفوا منهُ ونفروا قايلين " ما نستمي ملكاً ما خلا قيصر * "

(يوحنا ص ١٩ ع ١٥) حينيذٍ تركهم * اذ كانوا هم تركوهُ * ولهذا السبب قال .. كم دفعة اردتُ ان اجمع اولادكم . وما شيتم * " (متى ص ٢٣ ع ٣٧) فان قلت وما معنى قولهِ الحبة من الحنطة ان لم تمت . اذا سقطت في الارض: اجبتك . انهُ يتكلم في ذكر صليبهِ * لان لكيلا يرتجف تلاميذهُ . اذا افتكروا انهُ حين تقدم الى حضرتهِ اليونانيون حينيذٍ قتل . قال ان هذا الحادث بعينهِ اكثر من غيرهِ يصيرهم ان يستدنوا اليَّ . وينمي الانذار الذي يناسبني * ثم اذ لم يحقق ذلك عندهم على هذا النحو من اقوالهِ . احتال ان يبينه من ممارسة الاعمال بما ذكرهُ . ان من شان هذا الحادث ان يحدث في الحنطة . انها اذا ماتت تجيب ثمراً اكثر . فان كان هذا الحادث يحدث في البزور . فاليق واوجب ان يتكون فيَّ * الا ان تلاميذهُ ما عرفوا الاقوال التي قالها * ولذلك ذكر البشير هذا المعنى ذكراً متصلاً مخبراً عن هربهم بعد ذلك * وبولس عندما تكلم في ذكر القيامة قد ذكر هذا القول *

العظة السادسة والستون

في ان جسمنا يقام * واننا نحتاج للكمال الى اراء قوية . وعيشة حميدة * والى معرفة اقوال مبدعي بدع هوام في ديننا والاوثانيين * وانهُ ما يجب ان يناظرهم في الاعتقادات من ليس يعرف الكتب *

فالذين ينكرون قيامتنا اي اعتذارٍ يملكونه . اذا كنا كل يوم نتدرب بفعلها في البزور . وفي الغروس . وفي كوننا : لانهُ ينبغي في الاول ان ينفسد البزر . وبعد ذلك يجب ان يتكون كونهُ * وبجملة الايقان اذا عمل الله عملاً . ليس بنا حاجة الى افكار تتصفحهُ . كيف خلقنا مما لم يكن موجوداً : هذه الاقوال اقولها للمسيحيين القايلين انهم يطيعون الكتب . وانا اقول قولاً غير هذا في الافكار الانسانية . ان اناساً مقيمون في رذيلتهم . واناساً ثابتون في فضيلتهم * الا ان كثيرين من المقيمين في رذيلتهم . قد بلغوا الى شيخوخة واصلة الى غايتها . يفيض عليهم حسن حالهم واقبالهم * وكثيرين من الثابتين في فضيلتهم . يصابرون اضاد حال اوليك * فمتى يستوفي كل واحدٍ من الفريقين ما هو موهلٌ لهُ : وفي اي زمان : ولعل معارضنا يقول . نعم الا ان اجسامنا ليس يوجد لها قيامة * فاقول لهُ . انما قد سمعتَ بولس القايل .. يجب لهذا البالي ان يلبس زوال بلاهُ : " (قرنثيه اولى ص ١٥ ع ٥٣) وما قال هذا القول من اجل نفسنا . لان نفسنا ما تبلى * والقيامة انما تقال على الواقع * وانما وقع جسدنا *

فلمَ كما تشاء ان يوجد لجسمك قيامة . افليس ذلك ممكنًا عند الله . الّا ان هذا القول يقال من غباوة واصلة الى غايتها * أفتقول ان قيامة جسمنا ليست لايقة . فاقول لك . ولمَ ليست لايقة . فجسمنا البالي قد شارك وجعًا وموتًا . فينبغي ان يساهم اكلته * فلوكان ما يليق به ذلك . لما كان كُوِّن منذ ابتداء الزمان . ولا كان وبنا اخذ لحمًا * والدليل على انهُ اخذ لحمنا واقامهُ . اسمع ما قالهُ في ايضاح ذلك .. اولج اصابعك وانظر . فان روحًا ليس يمتلك عظامًا وعصبًا * " (يوحنا ص ٢٠ ع ٢٧) ولمَ اقام لعازر . ان كان الافضل ان يقيمهُ خلوًا من جسد . فلمَ عمل هذا العمل في ترتيب اياته واحسانه . وما غرضهُ بجملة معتمدهِ في انهُ اعطاهُ طعامًا . فلا يطغينكم مبدعوا بدع هواهم في ديننا * فان قيامتنا موجودة . ومداينتنا موجودة . وانما يبطل القيامة والمداينة . الذين ما يريدون ان يفتشوا جوابًا عن الاعمال التي عملوها * لانهُ ينبغي ان توجد قيامتنا على هذا المثال . على مثال ما كانت قيامة المسيح * لان ذلك مقدمتنا . وبكر من الاموات * وان كانت القيامة هي هذا المعنى على رايكم . تطهير نفسنا . وتخلصها من الخطايا . والمسيح فما اخطى . فكيف قام . وكيف تخلصنا نحن من اللعنة . ان كان هو قد اخطى . وكيف قال سيجي .. رئيس هذا العالم . وليس يمتلك فيَّ ولا شيًا . " (يوحنا ص ١٤ ع ٣٠) لان هذه الاقوال موضحة خاصتهُ الفاقدة ان تكون خاطية . فعلى رايهم لما لم يقم . ولما اخطى قبل قيامته . لكي يقوم * لكنهُ قد قام . وما اجترم خطية * فقد قام اذًا بجسمهِ . وهذه الاراء الخبيثة ليست هي معنى آخر . الّا اولاد الشرف الفارغ * فلنهربنّ من هذا السقم * فانهُ قد قال .. ان الاحاديث الردية . تفسد الاخلاق الصالحة * " هذه ليست هي اراء الرسل القديسين * فالذي ابدع هذه الاراء هو مركيون وواليقنبوس * فلنهربنّ يا احبائي منها . فليست لنا منفعة من عيشة نقية . اذا كانت اراؤنا في الدين مفسودة . كما اننا لا منفعة لنا من ضد ذلك . اي من اراء معافاة في الدين . اذا كانت عيشتنا مفسودة . هذه الاراء الاوثانيون ولدوها * هذه الاوهام اوليك اتموها . لما تسلموها من الفلاسفة الذين خارج محلتنا * اذ قالوا ان الهيولى عديمة ان تكون مكوّنة . وذكروا اقوالًا كثيرة هذا معناها * فكما انهم قالوا ليس يكون مبدع . اذ لم تكن مادة عديمة ان توجد مكوّنة موضوعة لهُ . وكذلك جحدوا قيامتنا * لكن ما ينبغي ان نصغي اليهم * واذ قد عرفنا قدرة الله المكافية لكل ما تريدهُ . فلا نصغين اليهم * هذه الاقوال لكم اقولها * لاننا نحن

نستعفي من محاربتنا اياهم *لكن العاري الخالي من السلاح. ولو وقع فيما بين ضعفاء. ولو كان أقوى منهم. يتيسر عليهم اصطيادهُ *لانكم لو اصغيتم الى الكتب. وارهفتم انفسكم كل يوم. لما كنت اوصيتكم ان تهربوا من انشاء الحرب لاوليك *لكنني اشير عليكم ان تعاركوهم *لان الحق قوي *فاذ ما تعرفون الكتب وتستعملونها على ما يجب. اخشى من معاركتكم اياهم. الأ يتناولوكم مسلوبين الاسلحة. فيصرعوكم *لان ليس يوجد اضعف من اوليك المقفرين معونة الروح. وان كانوا يستعملون الحكمة التي من خارج. فما ينبغي ان نستعجب ذلك. لكن سبيلنا ان نضحك عليهم *لانهم يستعملون المعلمين الحماقى *لان معلميهم ما امكنهم ان يجدوا قولاً معافى. لا في الله. ولا في الخليقة *لكن الاقوال التي تعرفها العجوز والارملة عندنا. ما عرفها بعد بيثاغورس. لكنهُ قال. ان نفسهُ تصير سمكةً. وكليباً ونباتاً لاطياً *فقل لي. اينبغي ان يصغى احدٌ الى هولاء: فكيف يحوى هذا احتجاجاً: فاوليك الفلاسفة هم كبار في جثتهم يربون ضفاير جياداً. ويتوشحون بطيلساناتهم. والفلسفة كانت عندهم واصلة الى هذه الاشياء *فان ابصرت ما داخلهم. وجدتهُ رماداً وغباراً. ولا قولاً معافى *لكن حلقهم قبر مفتوح حاوٍ كل نجاسةٍ. مملوءٌ مدةً. واوهامهم كلها من الدود. فاولهم قال. ان الماء هو الله *والذي بعد ذاك قال ان النار هي الله *وآخر قال ان الهواء هو الله *وانهبطوا الى الاجسام *قل لي أنستعجب هولاء الذين ما اخذوا افكاراً في الهٍ خايب من جسم: وان كانوا اتخذوا ذلك في وقت من الاوقات اخيراً. انما اخذوهُ بعد ايتلافهم باصحابنا في مصر *ولكن لكي لا نستورد لكم ارقاماً جزيلاً. نجزم قولنا ههنا. لاننا ان بدأنا ان نصف اراء اوليك. وما قالوهُ في الله. وما اعتقدوهُ في الهيولى. وما ذكروهُ في نفسنا. وما قالوهُ في الاجسام. سينبع ذلك ضحكٌ عظيمٌ *وما يحتاجون الى الثلب منا. لانهم هم قد شقّوا بعضهم بعضاً *والذي كتب المقالة في الهيولى طعناً علينا. قد نقض ذاتهُ *فلهذا السبب لكي لا نشغلكم في شغلٍ باطل. وننشر لكم هذياناً من الاقوال وتعريجاً *نهمل هذه المطاغي. ونقول ذاك القول. ان تلازموا استماع الكتب الالهية ولا تحاربوا بكلامكم الذي ليس واجباً *وهذا بولس يوصي بهِ الى تلميذهِ تيموثاوس. على انهُ قد كان مملوّاً حكمة كثيرة. ملتمساً القوة من اياته *فينبغي ان نقبل من ذلك الفاضل. ونهمل الهذيانات. ونتثبت بالاعمال التي نحمد بها التودّد الى الاخوة. وحب الضيافة. ونهتم في الصدقة اهتماماً جزيلاً *ليتفق لنا ان نلاقي الله

الصالحة الموعود بها. بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه. الذي له المجد. الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة السابعة والستون

في قوله (٢٥) مَن يحب نفسهُ يهلكها. ومَن يمقت نفسهُ في هذا العالم يحفظها لحياةٍ ابدية* (٢٦) ان يخدمني احدكم. فليتبعني *

ان عمرنا الحاضر حلو. ومملوءٌ لذةً كثيرة* الا انهُ ليس هو بهذه الصورة عند الناس كلهم. لكنهُ بهذه الصفة عند المستمرين فيهِ. فان ابصر احدنا الى السماء. ورأى الاصناف الحسنة التي هنالك. سيزدري هذا العالم سريعًا. وليس يهتم بهِ اهتمامًا* اذ حسن اجسامنا من شانهِ ان يستعجب. ما دام ليس يظهر آخر ابهى منهُ حسنًا* فاذا استبان الافضل منه في الحسن. يزدري الحسن الاول* فمتى ما شئنا نحن ان ننظر الى ذلك الحسن. وان نتفرس في حسن بهاءِ المملكة التي هنالك. فينبغي لنا ان نحل ذواتنا باسراع من العقالات الحاضرة والرباطات* لان رباطًا شديدًا هو التأسف والاشفاق على الاشياء الحاضرة* والمسيح يصاعدنا الى هذا الموضع. واسمع ما قالهُ.. "مَن يحب نفسهُ يهلكها. ومَن يمقت نفسهُ في هذا العالم. يحفظها لحياة دهرية* مَن يخدمني. فليتبعني* وحيث اوجد انا. هنالك يوجد خادمي* " فهذه الالفاظ التي قد قيلت. نظن انها تشابهُ قولاً غامضًا معناهُ* لكنها ليست هي كذلك. لكنها ممتلية حكمةً كثيرة* فان سالتَ. وكيف مَن يحب نفسهُ يهلكها: اجبتك. مَن يعمل شهواتها الشنعة. مَن يسامحها خارج الواجب. ذاك هو الذي يحبها. فيهلكها* ولهذا السبب يوصينا احد الناس فيقول.. "لا تسلكنَّ في شهوات نفسك* لانهُ على هذه الجهة يهلكها* " (سيراخ ص ١٨ ع ٣٠) لانهُ يحجزها عن الطريق المودية الى الفضيلة* كما ان الفعل المضادُ لهذا. وهو مَن يمقت نفسهُ في هذه الدنيا. يخلصها* فان قلت. وما معنى. ومَن يمقت نفسهُ: اجبتك. هو مَن ليس يخضع لها. ولا يطيعها. اذا امرتهُ في الافعال الضارة* وما قال مَن ليس يخضع لها. لكنهُ قال ومَن يمقتها* لاننا كما اننا ما نحتمل ان نسمع صوت الذين نمقتهم. ولا نبصر وجوههم بالتذاذ. فكذلك يجب علينا ان نرجع عن نفسنا ارتجاعًا شديدًا. اذا امرتنا باضداد الاوامر المأثورة عند الله* لانهُ اذ اعتزم ان يخاطبهم في ذكر موتهِ هو. وابصرهم مكتئبين متسكعين في الغم.

صنع جدًا مفرطًا بقوله . ما معنى قولي ان لم تحتملوا موتي بجلادة : فانكم ان لم تموتوا انتم باعيانكم . فلن
تكون لكم فايدة . وانظر كيف يتلافى كلامه * فقد كان لعمري مستثقلاً جدًا مستصعبًا ان يسمع انسان
يحب نفسه . انه يجب عليه ان يموت * وما معنى ذكري الحادث القديم . اذا كنا قد نجد الان
كثيرين . يصطبرون بالعذاب على مقاساة كل مكروه . بسبب التمتع بعمرنا الحاضر على انهم موقنون
بالحظوظ المستانفة . ومتى ما ابصروا ابنية . وصناعات . وخيلاً . يدمعون قايلين . كم اعمال قد
عملها الانسان . ويصير غبارًا : فبهذه الصورة شهوة الحياة الحاضرة كثيرة * فهذه للطاغي والمرابطات [illegible]
حلها السيد المسيح . وقال .. من يبغض نفسه في هذه الدنيا . يحفظها الحياة دهرية * " والعلة لماذا [illegible]
انه قال لاوليك هذا القول واعطا [illegible] لخوفهم . اسمع من اقواله التالية ليفصحه .. من يخدمني [illegible]
فليتبعني * " وانما قال هذا في ذكر الموت . مطالبًا اياهم ان يصحبوه باعمالهم . لان من يخدم [illegible]
عليه على كل حال ان يتبع المخدوم . وتامل متى خاطبهم في هذه الاقوال . لما [illegible]
[illegible] حين اطمانوا * حين ظنوا انهم في حياطة . بسبب تكريم كثيرين اياهم [illegible]
[illegible] ان ينهضوا [illegible] .. وليحمل صليبه . وليتبعني * " ومعنى ذلك [illegible]
[illegible] للشدايد الخطر للموت للسفر عما هنا . ثم اذ قال اوامر مستثقلة . وضع جايزتها * فان [illegible]
[illegible] هذه المجازية [illegible] ان يتبعه . وان يوجد اينما كان هو . موضحًا ان موته [illegible]
لانه قال .. اينما اوجد انا [illegible] يكون خادمي .. " واين هو المسيح . في السموات * فالى هنا [illegible]
[illegible] قبل قيامتنا بنفسنا وعقلنا .. ان يخدمني احدكم يكرمه ابي * " فان قلت فلم ما قال [illegible]
[illegible] اذ ما كانوا بعد قد امتلكوا الظن الواجب من اجله . لكن الظن الاعظم كان لهم [illegible]
اجل ابيه . لان الذين ما عرفوا انه يجب ان يقوم كيف كانوا قد تخيلوا فيه اوهامًا عظيمة * [illegible]
المعنى قال لابني زبدى .. ليس مفوضًا الي ان اعطي هذا لكما . لكن ذلك للذين اعده ابي لهم * "
(مرقص ص ١٠ ع ٤٠) على انه هو القاضي الذي يحكم * وقد ثبت ههنا الخاصة [illegible]
بهذه الصورة يقبلكم ابي بصورة خدام لابنه الخالص * (٢٧) .. فالان نفسي مرتجفة * وماذا اقول
يا ابي خلصني من هذه الساعة * على ان هذا القول ليس هو قول مضطر ان يجي الى الموت [illegible]
قد يستميون كثيرًا انه قول موعز بالمجي الى الموت * لان حتى لا يقولوا انه هو موجود خارج [illegible]

الانسانية . يتفلسف في الموت بايسر مرام . ويوصينا بعزم خالص من خطر * وقد اوضح انهُ مع انهُ مجاهد . الا انهُ ليس يستعفي من ذلك بسبب الغرض النافع * فهذه اقوال تدبيرية . وليست اقوال لاهوتية فلهذا المعنى قال .. الان نفسي مرتجفة * " (والان فان لم يكن هذا هو معناه . فاي نظام يحويه القول الذي قيل : وقولهُ .. يا ابي خلصني من هذه الساعة : ") ويرتجف هذا الارتجاف الواصل الى ان يلتمس ان يتخلص . ان كان ممكناً ان ينفلت * فهذه استقام ضعف طبيعته الانسانية * لكنهُ قال ليس يتجه لي ما اقولهُ . عند التاسي التخلص * .. لانني لهذا الغرض جيئت الى هذه الساعة * " كانهُ قال . ولو ارتجفنا . ولو قلقنا . فما نهرب من الموت * اذ انا الان مضطرب * ولست اقول هذا القول حتى اهرب منهُ . لانهُ يجب عليَّ ان احتمل ما يوافيني * لست اقول خلصني من هذه الساعة . لكنني اقول . (٢٨) .. يا ابي مجّد اسمك على ان الارتجاف يضطر ان اقول هذا القول المضاد .. يا ابي مجّد اسمك * " ومعنى ذلك هو اورد الان الى الصليب ما بين الانسانية كثيراً . والطبيعة التي ما تشاء ان نموت . لكننا نتمسك بهذه الحياة الحاضرة * موضحاً انهُ ما كان خارج الالام الانسانية * لان كما ان الجوع ليس هو زللاً . ولا النوم . فكذلك ولا الارتياح الى الحياة الحاضرة زللاً . والمسيح اشتمل جسماً نقياً من الخطايا . ليس جسماً متخلصاً من الضرورات الطبيعية . والا فما كان اذاً جسماً * فبهذه الافعال علّمنا شياً آخر * وان سالتَ واياها هو : اجبتك . حتى متى ما تمسكنا في جهادٍ وجبانة . لا نطفر على هذا الحال من العوارض الراتبة * وقولهُ .. يا ابي مجّد اسمك .. " ابان بذلك انهُ من اجل الحق يموت * اذ سمّى فعلهُ مجداً واصلاً الى الله * وهذا فقد عرض * بعد صلبهِ اعتزم ان يسترد المسكونة . وان يعرفنا اسم الله . وان نرضيه * وعلى انهُ ما عرّفنا اسم الاب فقط . لكنهُ عرفنا اسم الابن ايضاً . الا انهُ مع ذلك الغى هذا وصمتَ عنهُ " فوافاهُ صوتٌ من السموات . قد مجّدتهُ . وسامجّدهُ ايضاً * " فان سالتَ واين مجّدهُ : اجبتك قد مجدته في الازمان الكائنة قبل هذه . وسامجّدهُ بعد الصليب * فقال المسيح (٣٠) .. ليس لاجلي صار هذا الصوت . لكن لاجلكم * فتوهّمَ اولئك انهُ رعدٌ . او ان ملاكاً كلّمهُ * .. وان سالتَ . ومن اين توهموا هذا التوهم : العسى لم يكن الصوت جهيراً واضح الدلالة : لكنهُ هف عليهم بسارتهِ * من جهة انهم كانوا كثيفين لحميين وانين * وفيهم مَن تمسك بهنيفهِ . وفيهم مَن عرف ان الصوت كان يلبغ

المفصلة* الّا انهم ما عرفوا على ماذا يدل* فان قلت . ولمَ قال المسيح " ما صار هذا الصوت لاجلي . لكن لاجلكم : " اجبتك . قالهُ معانداً ذلك القول الذي قالوهُ دايماً . انهُ ليس هو من الله* لان المجَّد الذي قد مجَّدهُ الله . كيف ليس هو من الله . الذي لاجلهِ يُمجَّد اسمهُ : لان لهذا السبب . أصدر اليهِ الصوتُ* ولذلك قال هو " ما صار هذا الصوت لاجلي " لكنهُ صار لاجلكم* " فما صار لاعرف انا منهُ شياً كنتُ جاهلاً بهِ . لانني عارف خفيات ابي كلها* لكنهُ انما صار لاجلكم* لانهُ لما قالوا ان ملاكاً كلمهُ . او رعدة كانت . وما اصغوا اليهِ . قال انه لاجلكم صار* حتى ولو على هذه الجهة ينادهم الى ان يسالوهُ : ما هو الذي قيل : الّا انهم كانوا باهتين مدهوشين خلفا تخبروهُ وقد سمعوا انهُ لهم قرَّب* لان الصوت على جهة الواجب لن يظن عند مَن لم يعرف انه لهُ قد قيل . انهُ واضح الدلالة* لاجلكم صار هذا الصوت* ارايت ان الاقوال الذليلة لاجلهم صارت . ليس من اجل ان الابن محتاج الى معونةٍ : (٣١) " الان يوجد لهذا العالم قضاء* الان يزج رئيس هذا العالم الى اسفل* " ان قلتَ . فهذا القول اي مساقٍ يسوق الى لفظة . قد مجدته وساُمجدهُ : اجبتك . انهُ يحوي نظاماً كثيراً ملايماً جداً* لانهُ لما قال ساُمجدهُ . بيَّن معنى المجد وان سالت ما هو معنى المجد : اجبتك . انهُ قال " ان ذاك يزج الى اسفل* " ولسايلٍ ان يسال وما هو الان يوجد لهذا العالم قضاء : اجبناهُ . كانهُ قال . سيكون مجلس قضاء وانتصار* فان قلت كيف : وباي حال : اجبتك . قتلَ رئيسُ العالم الانسانَ الاولَ . اذ اخذهُ غريماً بجناية خطية (لان بالخطية دخل الموت) فهذا لزلل ما وجدهُ فيَّ* لمَ وثبَ اليَّ . ودفعني الى الموت : لمَ اودع في نفس يودس نهضتهُ . حتى يقتلني : لا تقل لي الان يا سامعي . ان الله دبَّر هذا* (لان هذا التدبير ليس هو للمحتال . لكنهُ لحكمة الله*) فلنستفحص عزم ذلك المحال الخبيث : كيف يحاكم العالم بي كفي مكان مجلس قضاء راتب : فيقال لهُ . فليكن جايزاً لك . انك قتلتَ الناس كلهم . لاجل انك وجدتهم غرماء للخطية . فلمَ قتلتَ المسيح : أليس واضحاً بيّناً انك قتلتهُ قتلاً ظالماً : فبهِ اذاً ينتصر العالم كلهُ منك* ولكي يكون قولنا اوضح بياناً . ساجعلهُ بمثالٍ أمثلهُ واضحاً ظاهراً* فليكن واحد عاصياً غاصباً . قد اوقع جميع الذين وقعوا عندهُ في بلايا وصنوفٍ من الضنك جزيل عددها* فهذا الغاصب ان عارك ملكاً . او ابنَ ملكٍ . فقتل الملك او ابنهُ ظلماً . فموت ذلك

الملك يقتدر ان ينتصر لاوليك الآخرين * وليكن واحدٌ من الناس يطالبُ الغرماء . وليضربهم وليطرحهم في السجن * ثم من عتوهِ وتجبرهِ . فليسحب الى ذلك السجن بعينهِ . ويجبر الى ذلك من ليس غريمًا لهُ بشيء * فهذا المتجبر سيَدِي طايلة المساوي التي اصدرها الى اوليك الآخرين * لان ذاك المظلوم سيقتلهُ * فهذا الحادث حدث في ورود الابن الازلي * لان ابليس المحال بالافعال التي اجترى بها على المسيح . طولب بطائلة المكاره والافات التي اصدرها الينا * والدليل على ان هذا المعنى اعتمد اعتمادًا خفيًا . اسمع ما قالهُ في ايضاحهِ ،، الان رئيس هذا العالم سيزجّ الى اسفل . بموتي انا * (٣٢) ،، وانا اذا رُفعتُ . ساجذب الكل اليّ * " ومعنى ذلك هو . واجذب الذين يومنون من الام * ولكيلا يقول قايل . وكيف يزج الى اسفل . ان كان قد قهرك : قال لم يقهرني * لان كيف يقهر المجتذب الآخرين : وما ذكر القيامة . لكنهُ ذكر ما هو اعظم من القيامة * فقال ،، ساجذب الكل الى ذاتي * " لانهُ لو كان قال ساقوم واقيم . ما كان بعد واضحًا انهم يصدقونهُ . او قال انهم سيصدقونني * فقد تبرهن القولان كلاهما * لانهُ قد قام * لانهُ لو كان لبث ميتًا . وكان انسانًا ساذجًا . لما كان آمنَ بهِ احدٌ من الناس * ،، ساجذب الكل اليّ * " ولعلك تقول . فكيف قال ان ابي يجتذب : اجيبك . لان الابن اذا اجتذب . فقد اجتذب ابوهُ * فقال ساجذب الكل * من طريق ان المغتصب قد امسك الكل * ولن يقتدروا من ذواتهم ان يقتربوا اليّ وحدهم * ولا يمكنهم ان ينفلتوا من يد ذاك الذي تشبث بهم * وقد دعى هذا الفعل في مكانٍ آخر . اختطافًا * فقال ،، ليس يقدر احدٌ ان يختطف اواني القوي . ان لم يربط القوي اولاً . وبعد ذاك يختطف اوانيه . " (متى ص ١٢ ع ٢٩) هذه الاقوال قالها مبينًا قوته الغاضبة * فما دعاهُ هنالك اختطافًا . سماهُ ههنا اجتذابًا *

العظة السابعة والستون

في الصدقة

فاذ قد عرفنا هذه الاقوال . فلننهض ولنمجد الهنا . ليس باماتتنا فقط . لكن بعيشتنا ايضًا * والاّ فليس يكون ذلك تمجيدًا . لكنهُ يكون تجديفًا * لان ليس يجدف على هذا المثال اليوناني النجس على

الله . مثلما يجدف على المسيح المفسود الطريقة * فلذلك اسالكم ان نعمل كلما يمكننا . لكي نجد الهنا *
لانهُ قال .. ويلٌ لذلك العبد الذي بهِ يفترى على اسم الههِ * ،، فاذا كان الويل لهُ . فسيتبعهُ في
الحين كل عقوبة وتعذيب * ومغبوط مَن يُمجَّدُ بهِ اسم الههِ * لايكونن حالنا حال السالكين في
الظلام * لكن فلنهربنَّ من الخطايا كلها * واكثر هربنا فليكن من الخطايا النافذة الى ضررٍ مشتركٍ *
اذ الله في هذه الخطايا اكثر من غيرها يفترى عليه * لان اي عفوٍ نمتلكهُ . اذا كنا قد اوعزا الينا ان
نعطي اناسًا آخرين . فنختلس ما لغيرنا : ما هو امل الخلاص الذي يكون لنا : ان كنتَ لم تطعم
جايعًا تعاقَب . فان عرّيتَ لابسًا ، فاي عفوٍ تنالهُ : هذه الاقوال لسنا نكف ان نقولها لكم
بمداومة * فلعل الذين ما يسمعونها اليوم ، يسمعونها غدًا . والذين ما يصغون اليها غدًا . يقبلونها في
اليوم الذي يتلوهُ * وان يكن اناس حالهم حال عاصين . الّا ان مجالس قضاتنا يكون خاليًا من
تعذيب لنا * لاننا قد تممنا عملنا * فليكن لنا الّا نستخزي نحن في الاقوال التي نقولها * والّا تخجلوا انتم منها *
لكي نقتدر كلنا الان نقف لدى منبر المسيح ربنا بدالةٍ * ليمكننا نحن ان نفتخر بكم * وان تمتلكوا بهذه تسلية من
سياتكم . بيسوع المسيح ربنا * الذي لهُ ومع ابيهِ والروح القدس المجد الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة التاسعة والستون

في قولهِ (٣٤) فاجابهُ الجمع نحن قد سمعنا من الشريعة . ان المسيح يبقى الى الدهر * فكيف تقول
انت انهُ يجب ان يُرفع ابن الانسان : مَن هو هذا ابن الانسان :

ان الضلالة لمدروكة وضعيفة . ولو دُهِنَت من خارجها بالوانٍ جزيل عددها * وكما ان الذين يبيضون
ما كان متخللاً من الحيطان . ليسوا يقتدرون ان يصلحوها بتبييضهم اياها . فكذلك الكاذبون
ينكشف حالهم بايسر مرام . ويتوبخون * وهذا العارض فقد عرض ههنا لليهود * لان المسيح لما قال
،، اذا رُفِعت من الارض . ساجذب الكل اليَّ * قالوا لهُ . نحن قد سمعنا من الشريعة . ان المسيح
يبقى الى الدهر * فكيف تقول انت انهُ يجب ان يُرفع ابن الانسان : مَن هو هذا ابن الانسان : فهل
عرفوا ان المسيح هو واحد عديم ان يكون ميتًا . ويحوى حياة لن تمتلك غاية : انما عرفوا اذًا ذاك القول
الذي قالهُ : لان في جهاتٍ كثيرة من الكتب . قد وُضع تالمهُ وقيامتهُ * لان اشعيا قد وَضعَ هذه

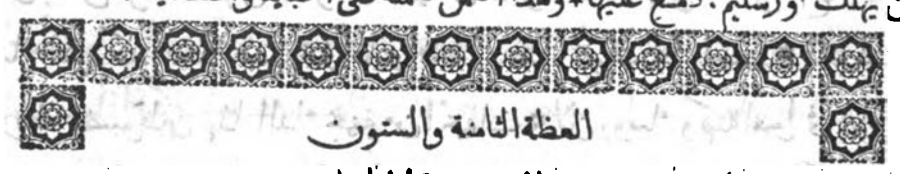
الاقوال معًا اذ قال ,, سيق كنعجةٍ الى ذبحها* ,, (اشعيا ص ٥٣ ع ٧) وما يتلو ذلك كله* وداود قال في المزمور الثاني . وينظم هذين الصنفين كليهما في جهاتٍ مختلفة بمعانٍ كثيرة * ويعقوب رئيس الآباء لما قال ,, اضطجع فنام كاسدٍ . استثنى بقوله ,, وكشبل اسدٍ فمن ينهضه : ,, (تكوين ص ٤٩ ع ٩ اعداد ص ٢٤ ع ٩) بيّن تألمهُ وقيامته معًا * الآن هولاء ظنوا انهم يبكمونهُ . ويبينون انهُ ليس هو مسيحًا * فمن هذه الجهة يعترفون . ان المسيح يبقى الى الدهر * وابصر كيف كلامهم باوفر المكر . لانهم ما قالوا انما نحن سمعنا . ان المسيح ليس يقاسي الآلام . ولا يُصلَب . لكنهم قالوا انهُ يبقى الى الدهر * على ان هذا القول الذي قيل . ما كان مضادًا * لان الالم ما صار منعًا لزوال الموت * فمن هذه الجهة يجبُ لنا ان ننظر . انهم قد فطنوا بظنون كثيرة من الشكوك . واخترعوا الشر طليعين * لانهُ لما سبق فتكلم فوق هذا الموضع في ذكر الموت . اذ سمعوا يجب ان يُرفع . توهموا هذا التوهم هنا * ثم قالوا ,, مَن هو هذا ابن الانسان : ,, وهذا القول قالوهُ باوفر المكر * كانهم قالوا لا تظن اننا نقول هذا القول من اجلك . وتتوهم اننا نضادّك لاجل معاداة . لاننا ها نحن ما نعرف من اجل مَن تقول . ويوجب مع ذلك قولك * الآن المسيح اطبق افواههم . واراهم ان تألمهُ ليس منعًا لبقائهِ الى الدهر * (٣٥) ,, وقال ايضًا . الضوء يوجد معكم زمانًا يسيرًا * ,, موضحًا ان موتهُ هو نقلة * لان ضوء الشمس ليس يبطل . لكنهُ يتوارى قليلاً . ثم يظهر * ,, فاسلكوا ما دمتم قد ملكتم الضوء * ,, فهل يعتمد الحياة الحاضرة كلها . ام يعني الزمان الذي قبل صليبهِ * فعلى حسب ظني انهُ يعنيهما كليهما * لان لاجل تعطفهِ الفايق ان يباح بهِ . آمنَ بهِ بعد صليبهِ اناس كثيرون * فقال هذه الاقوال يستحثهم الى الايمان بهِ * وهذا فقد عملهُ فوق هذا الموضع . اذ قال هذا القول ,, انما انا معكم ايضًا زمانًا يسيرًا * ,, (يوحنا ص ٧ ع ٣٣) ,, فمَن يمشي في الظلام . ما قد عرف اين يذهب * ,, فكم اعمال عملها اليهود الآن . وما عرفوا ما عملوهُ * لكنهم كسالك في الظلام كذلك يسلكون * لانهم ظنوا انهم سايرون في الطريق المقومة . وهم يمشون في الطريق المضادة . يحفظون سبوتًا . ويصونون الشريعة . ويحترسون من الاطعمة . وما يعرفون اين يمشون * فلهذا السبب قال (٣٦) ,, امشوا في الضوء . لتكونوا بني الضوء * ,, ومعنى ذلك . ليكونوا بنين لي . على ان البشير قد قال في مبادي قوله ,, انهم قد ولدوا ليس من دماء ولا من مشية لحم . لكن من الله * ,, (يوحنا ص ١ ع ١٣) ومعنى ذلك . انهم من الاب

ولدوا * وهمنا يقول . انهُ هو يلدهم * لتعرف ان فعلاً واحداً للاب ولابنهِ. هذه الاقوال قالها يسوع وذهب فاستتر عنهم. فان سالت وما غرضهُ في ان يستتر الان . لانهم ما حملوا عليه حجارة . ولا جدفوا تجديفاً هذه صفته . نظير ما فعلوا فيما سلف . فلمَ استتر . اجبتك . لما غاص في قلبهم . ابصرهُ متفرّاً بالغضب فيهم . وان كانوا ما قالوا قولاً . ابصرهُ عالياً قاتولاً . فما توقف حتى يخرج الى الفعل . لكنهُ استتر مسلياً حسدهم * وابصر البشير كيف اعتمدهم اعتماداً خفياً . ويذكر هذا المعنى ذكراً غامضاً * اذ استثنى في الحين (٣٧) .. وبعد ان اجترح ايات هذا المقدار الجزيل مقدارها . ما آمنوا بهِ * " وان سالت واياها هي الايات الجزيل تقديرها : اجبتك . هي التي الغاها البشير وكف عن ذكرها * وهذا واضح من اقوالهِ فيما بعد * لانهُ لما توارى واهملهم . وعاد خاطبهم على هذا النحو بمجاهرةٍ . قائلاً .. مَن يومن بي . فليس يومن بي . لكنهُ يومن بمرسلي * " (يوحنا ص ١٢ ع ٤٤) وانظر بما يعملهُ . ابتدى من الفاظ ذليلة مقبوضة . ولجاه الى ابيهِ * ثم صاعد كلامهُ ايضاً * واذا ابصرهم متمرين كالوحوش يتوارى عنهم . ثم يحضر عندهم ايضاً * ومن اقوالهِ وافعالهِ الذليلة . يورد النظر اليهم ايضاً * فان قلت واين فعل هذا : اجبتك واين تجدهُ لم يفعل ذلك : وانظر ما الذي قالهُ في ابتداء كلامهِ .. على ما اسمع اقضي * " (يوحنا ص ٥ ع ٣٠) ثم قال اعلى من هذا القول .. كما ان الاب ينهض الاموات ويحييهم . فكذلك يحيي ابنهُ مَن يشاء * " (يوحنا ص ٥ ع ٢١) ثم ينصرف ايضاً * ثم يحضر في الجليل . ويقول * اعملوا ليس الطعام الهالك * " (يوحنا ص ٦ ع ٢٧) واذ قال عن ذاتهِ اقوالاً عظيمة . انهُ انحدر من السماء . وانهُ يعطي حياة دهرية . ينصرف ايضاً وفي عيد نصب المظلات ايضاً وقف بهم . وعمل هذا العمل بعينهِ * وقد يبصرهُ باصرٌ ملوناً على النحو تعليمهُ دائماً . بحضورهِ . بانتزاحهِ . باقوالهِ الذليلة . بالفاظهِ العالية * وهذا العمل قد عمله ههنا . اذ اجترح اياتهِ التي هذا المقدار مقدارها . زعم .. انهم ما آمنوا بهِ . (٣٨) لكي يتم قول اشعيا الذي قالهُ يارب مَن صدق سماعنا : ولمن انكشف ساعد ربنا : " وقال ايضاً (٣٩) .. ما استطاعوا ان يومنوا . لان اشعيا قال ايضاً . ستسمعون سماعاً وما تفهمونه * (٤١) هذه الاقوال قالها اشعيا حين ابصر مجدهُ . وتكلم من اجلهِ * " فها لفظة انهُ . ولفظة قال . ليستا من ذكر العلة . لكنهما من النفوذ الى الغاية * لانهم ليسوا اذ قال اشعيا ما امنوا . لكنهم اذ ما اعتزموا ان يومنوا . ما امنوا

لاجل هذا المعنى قال اشعيا * فما المعنى في ذلك : أَفما يقول البشير هذا القول . ان عدم ايمانهم
موجود من النبوة . لا كون النبوة من عدم ايمانهم : واذ امعن في كلامه . وضع هذا القول بعينه
اشد لذعًا . اذ قال هذا القول . لهذا السبب ما اقتدروا ان يومنوا . لان اشعيا قال . ففي هذه
الجهة يريد ان يبين بالفاظٍ كثيرة غرض الكتاب البري من الكذب . وان الالفاظ التي تنبا بها .
ما خرجت على جهةٍ اخرى . لكنها خرجت على ما ذكرها * لان حتى لا يقول قائل . فلمَ جاء
المسيح : أَفما عرف انهم ما استانفوا ان يصغوا اليه : اورد الانبياء قد عرفوا هذا المعنى . فيقال لهُ .
انهُ قد جاء . لكيلا يتلكوا حجة من اجل خطيتهم . لان الاقوال التي تقدم النبي فقالها . على انها
ستكون على كل حالٍ * لانها لوكانت ما استانفت ان تكون على كل حالٍ . لما كان تقدم فذكرها .
فقد استانفت ان تكون على كل حال . ان كان اوليك قد عدموا الشفاء * ولئن كان قد وضع لفظة .
ما اقتدروا ان يومنوا . فانما وضعها بدلاً من لفظة ما ارادوا ان يومنوا . ولا تستعجب ذلك . لانهُ قد
قال في موضع آخر « مَن يقتدر ان يسع . فليسع * » (متى ص ١٩ ع ١٢) فعلى هذه الجهة من
عادته ان يسمي اختيارنا اقتدارًا في جهات كثيرة * وقال ايضًا « ما يقدر العالم ان يمقتكم . وهو
يمقتني * » (يوحنا ص ٧ ع ٧) وهذا المعنى قد يبصرهُ باصرٌ محفوظًا في العادة المشاعة المشتركة .
على نحو ما اذا قال قائل . لستُ اقدر ان احب فلانًا * فانما يسمي شدة ارادته اقتدارًا * وايضًا ليس
يقتدر فلان ان يصير خيِّرًا * والنبي قد قال « ان ابدل الحبشي جلدهُ . والنمر بلقتهُ . فسيقتدر
هذا الشعب ان يعمل الحسنات . اذ تعلَّم السيات * » (ارميا ص ١٣ ع ٢٣) أَفما يقول هذا
القول . ان عمل الفضيلة ممتنع عليهم : لكنهُ انما قال انهم ما يريدونهُ . فلذلك ما يقتدرون على
افتعالهِ . والقول الذي يتولهُ البشير ههنا . هذا هو . ان ممتنعًا كان ان يكذب النبي * وليس
لاجل هذا كان ممتنعًا عليهم ان يومنوا * لان ممكنًا كان اذا امنوا هم . ان يبقى النبي صادقًا * لان ما
كان تقدم النبي فقال . لوكانوا استانفوا ان يومنوا * فان قلت فما معني قولهِ : اجبتك . انهُ لما قال
هذا القول ان الكتاب يحوي خواصًا هذا معناها . ويجب ان يطلق لشرايعهِ تزكيتها * « هذه
الاقوال قالها اشعيا . حين ابصر مجدهُ * » (ابركسيس ص ٢٨ ع ٢٥) فان سالت . مجد مَن
ابصر : اجبتك . مجد الاب . ولعلك تقول . فكيف يقول يوحنا عن مجد الابن : وبولس يقول

عن مجد الروح : فاجيبك . لم يكن حالم حال من يجمعون الاقانيم . لكنهم قالوا هذا القول . موضعين رتبة واحدة موجودة بها * وبيان ذلك . ان اوصاف الاب . هي اوصاف ابنه . واوصاف الابن . هي اوصاف الروح * على انهُ قد قال اقوالاً كثيرة بمليكه . وليس يقول قائل . على نحو ما قال الملاك . لكنهُ انما يقول . قال الله * لان الاقوال التي يقولها الله بمليكه . هي اقوال الله * وليست ايضاً اقوال الله بمليكه * فههنا قال ان هذه الالفاظ الفاظ الروح هي * وتكلم من اجله * وان سالت . وماذا تكلم : اجبتك .. قال رايتُ الرب جالساً على كرسي عالٍ * " (اشعيا ص ٦ ع ١) وما يتلو ذلك وذكر ههنا مجداً . يعني به ذلك النظر . والدخان . واستماعه اسرار مسلوبة التكلم بها . ونظره الى السارافيم . والى البرق الطافر من الكرسي . الذي ما يتجهُ لقوات الملكة ان تحدق اليه . وتكلم من اجله . وماذا تكلم : انهُ سمع صوتاً " من ارسل : ومن ينطلق : فقلت هنذا . فارسلني . فقال ستسمعون سماعاً . وما تفهمونه * وتبصرون بصراً . وما تبصرون * (٤٠) لانه اعمى عيونهم وقسى قلبهم . حتى لا يبصروا بعيونهم . ويفهموا بقلوبهم * " (اشعيا ص ٦ ع ٨ و ٩) وها مطلبٌ آخر ايضاً . لكن ليس هو مستبهماً . اذا اصغينا اصغاء متقوماً * وبيان ذلك . كما ان الشمس من شانها ان تصدع ابصار المرضى . ليس من طبيعتها * فكذلك يعرض للذين ما يصغون الى اقوال الله * ومثل ذلك يصيب الذين يعاندون اقوال الله ولا يصغون اليها * هكذا قيل في ذكر فرعون انهُ قسى قلبهُ * فهذه خاصة الكتاب * " ولفظة دفعهم الى عقل قد عدم توفيقهُ . ولفظة اباحهم للالام * " (روميه ص ١ ع ٢٨) ومعنى ذلك . هو انهُ اطلقهم واهملهم * لانهُ ليس يورد ههنا فاعلاً . لكنه يرينا ان هذه الحوادث حادثة من خبث اناس آخرين * لاننا اذا اهملنا الله وتخلى عنا . ندفع الى ابليس الحال . تقاسي شدايد جزيلاً عددها * فلما اراع سامعه . قال قسى ودفع . والدليل على انه ليس من شانه فقط الا يدفعنا ولا يهملنا . لكنه ولا يتخلى عنا . ان لم نشاء نحن ذلك . اسمع ما قاله في ايضاحه . " اليست خطاياكم افصلت فيما بيني وبينكم : " (اشعيا ص ٥٩ ع ٢) وقال ايضاً " الذين يبعدون ذواتهم منك يهلكون * " (مزمور ٧٣ ع ٢٧) وهوشع قال " انسيت شريعة الهك . فانسيتك انا * " (هوشع ص ٤ ع ٦) وقال هو في انا جيله " كم مرة اردت ان اجمع اولادكم فما اردتم * " (لوقا ص ١٣ ع ٣٤) وقد قال اشعيا ايضاً .. جيت وما كان انسان . ودعوت

وما كان من يطيع * " (اشعيا ص ٤٠ ع ٢) هذه الاقوال قالها. يرينا انه مبتدئون تخليتنا. وصابرون علينا الى الاكمال * لان الله ليس يشاء فقط الا بهلنا. ولا يعذبنا. لكنه من عادته اذا اعذبنا. ليس يعاقبنا مريدًا * لانه قال. " لست اشاء موت الخاطي * " (حزقيال ص ١٨ ع ٢٣) والمسيح اذ اعتزم ان يهلك اورشليم. دمع عليها * وهذا العمل نعمله على احبابنا واصدقائنا *



العظة الثامنة والستون

في الحب وودّ المواخاة

فاذ قد عرفنا هذه الاقوال. فلنعمل كل ما يمكننا. حتى لا نبتعد من الهنا * لكن نتشبث بالاهتمام باخوتنا من صميم نفسنا. وبالحب لهم * ولا نقطع اعضاءنا. وذلك هو فعل الجاهلين الزايغة بصائرهم * لكن بمقدار ما نبصرهم مضنوكين مضرورين تتلافاهم اكثر. ونصلح شانهم * لاننا طالما ابصرنا في اجسامنا امراضًا عسرة الانفلات خايبة من الشفاء. وما نكف عن وضع الادوية عليها. لان ماذا يكون اشر من الثرس: او من تشنج اليدين: فهل نقطع اعضاءنا: لا نقطعها بجهة من الجهات. لكننا نعمل كل ما يمكننا. حتى تتمتع بصنف من تسلية للوجع. اذا ما تقتدر ان نزيل المرض * فلنعمل هذا العمل باخوتنا. اذا مرضوا امراضًا خايبة الشفاء * فلنلبث نداويهم ونتلافاهم * وليحمل بعضنا اثقال بعض * فاننا على هذه الجهة تتم شريعة المسيح * وبتفق لنا امتلاك النعم الصالحة الموعود بها. بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه. الذي له المجد مع ابيه مع الروح القدس. الى اباد الدهور كلها * امين *

المقالة التاسعة والستون

في قوله (٤٢) ومع ذلك فكثيرون من الروساء آمنوا به * لكنهم لاجل الفريسيين ما اعترفوا به * لئلا يصيروا مدحوضين من مجمعهم. (٤٣) لانهم احبوا شرف الناس. اكثر من شرف الله *

يلزمنا ان نهرب اضطرارًا من كافة امراض الهوى المفسدة نفسنا. ونهرب اكثر باجتهاد كثير من تلك التي يتولد منها خطايا كثيرة * على نحو ما اقول. ان حب الفضة هو على انفراده مرض ردي * ويصير بمقدار كثير اردى واصعب * لانه قرمية الافعال الردية كلها وامها. والشرف الفارغ

هذه السجية سجيته * لان ها هولاء قد تميزوا من الامانة . لموضع عشقهم التشريف * لانهُ قال .. ان كثيرين من الروساء آمنوا بهِ * ولاجل اليهود ما اعترفوا بهِ * ليلا يصيروا مدحوضين من مجمعهم * " وهذا فقد قال لهم في اعلى كلامه .. كيف تقدرون ان تومنوا . اذا استمديتم الشرف بعضكم من بعض . وما تلتمسون الشرف الذي من الله وحدهُ . " (يوحنا ص ٥ ع ٤٤) فما كانوا اذًا روساء . لكنهم كانوا عبيدًا عبودية في غايتها * الأ ان هذا الخوف انحل اخيرًا * لاننا لسنا نبصرهم بحضرة رسلهِ مضبوطين بهذا الداء بجهةٍ من الجهات * لان روساء وكهنة امنوا في ايام الرسل * لان نعمة الروح لما وردت . صيرتهم كلهم اصلب من حجر الماس * واذ هذا الداء كان الذي منعهم ان يومنوا حينيذٍ . اسمع ماذا قال . (٤٤) .. مَن يومن بي . فليس يومن بي . لكنهُ يومن بمرسلي * " كانهُ قال . ما ارتياعكم ان تومنوا بي : فامانتكم الى الله تصل بي * مثلما ان انكاركم اياي . واصل اليهِ * وانظر كيف بكافة اقوالهِ . يبيّن زوال تباين جوهرهِ * وما قال مَن يصدقني . ليلا يقول قايل . انهُ من اجل اقوالهِ خاطبهم * وذلك قد كان ممكنًا ان يُقال على الناس * لان مَن يصدق رسلهُ . ليس يصدقهم هم . لكنهُ يصدق الله * لكن لكي تعلم . انهُ انما قال من اجل الامانة بجوهرهِ . ما قال مَن يصدق اقوالي . لكنهُ قال مَن يومن بي * فان قلت . فلمَ ما قال بجهة من الجهات هذا على جهة العكس . مَن يومن بابي ليس يومن بابي . لكنه انما يومن بي : اجبتك . لانهم قد قالوا . ها نحن نومن بالاب . وما نومن بك * لان حالهُ كانت عندهم حالاً اضعف من ابيهِ * ولما خاطب تلاميذهُ . قال هذا القول .. آمنوا بالله . وقد امنتم بي * " (يوحنا ص ١٤ ع ١) فلما ابصر هولاء اضعف عزمًا عن استماع هذه الالفاظ وامثالها . اقتادهم بجهةٍ اخرى . موضحًا لهم انهم ما ينساغ لهم ان يصدقوا اباهُ . اذ لم يومنوا بهِ * ولكيلا تتوهم ان هذا القول قيل كما يقال على انسان . استثنى بان قال . (٤٥) .. مَن يبصرني . انما يبصر مرسلي * " ولعلك تقول . فما رأيك : هل الله جسم : فاقول لك . ليس هو بجهة من الجهات جسمًا * فالبصر ههنا انما يريد بهِ بصر العقل * وفي هذه الجهة يبيّن ان جوهرهُ جوهر ابيهِ * فان قلت . وما هو مَن يومن بي : فاجبتك على ما يقول قايل . مَن ياخذ من النهر ماء . فليس ياخذ ماء النهر . لكنهُ انما ياخذ ماء العين اصل النهر * واولى ما يُقال . ان هذا المثل هو اضعف الامثلة لمقصودنا * (٤٦) .. انا ضوء جيئت للعالم * " لان اذ ابوهُ بهذا الاسم يُدعى في كل

موضع في العهد العتيق وفي الجديد . استعمل هو هذا الاسم * ولهذا السبب يسميه بولس ،، شعاعاً .،،
(عبرانيين ص ١ ع ٣) اذ عرف ذلك من هذه الجهة * وقد بيين ههنا مناسبتهُ لابيهِ كثيرة . وان
ليس بينهما فرق . ان كانت الامانة بهِ ليس هي بهِ . لكنهُ قد قال انها امانة بابيهِ * ودعا ذاتهُ نوراً .
بسبب استخلاصهِ مَن يومن بهِ من الضلالة . واذا لتهِ الظلام المعقول * (٤٧) ،، فان لم يسمعني
احد . فلستُ اقضي عليهِ * لانني ما جيت لاقضي على العالم . لكنني جيتُ لاخلص العالم * " لان
حتى لا يظنوا انهُ انما يجاوز بضعفهِ عن الذين تهاونوا بهِ . لهذا السبب قال ،، ما جيتُ لاقضي على
العالم * " ثم لكيلا يصيروا بهذه الهمة اشد ونية . اذا عرفوا ان مَن يومن بهِ يتخلص . ومَن ينكرهُ
يُعاقَب * انظر كيف نصب لهم مجلس قضاء مخوفاً * (٤٨) لانهُ قال ،، مَن يجحدني . وما يقبل
اقوالي . قد حاز مَن يقضي عليهِ * " فان قال قايل لهُ . ان كان الاب ليس يحكم على احدٍ . وانت
فما جيت لتحكم على العالم . فمن يقضي عليهِ : اجابهُ . القول الذي قلتهُ . ذاك يقضي عليهِ * لانهم
لما قالوا انهُ ليس هو من الله . قال هذا القول * لان الاقوال التي قلتها الان . ستقف في محل
ثالب موبخة اياهم . قاطعة جميع احتجاجاتهم * ،، والكلام الذي قلتهُ * " وان سالتَ واي كلامٍ يعني :
اجابك . (٤٩) ،، انني ما تكلمتُ من ذاتي * ان الاب مرسلي . ذاك اعطاني وصيةً بما اقول . وبما
اتكلم بهِ * " وما ناسب هذه الاقوال وما شابهها * فان قلتَ . فهل هذه الاقوال لاجلهم قيلت على
هذه الجهة . لكيلا يتلكوا من الاعذار ولا حجة واحدة : اجبتك . فان لم يكن هذا الغرض كان
غرضهُ . فما الذي يتلكهُ اكثر من اشعيا : لان ذاك قد قال هذا القول بعينهِ ،، الرب اعطاني
لسان ادبٍ . ان اعرف متى ينبغي ان اقول قولاً .،، (اشعيا ص ٥٠ ع ٤) وما الذي يملكهُ اكثر من
ارميا : لان ذاك حين ارسل بث الكلام فيهِ * وما الذي يحويهِ اكثر من حزقيال : ،، لان هذا لما
اكل راس المدرج تكلم بعد ذلك . " (حزقيال ص ٣ ع ١) ولمعنى آخر . سيوجد الذين
يستانفون ان يسمعوا ما قالهُ . موجودين لهُ عللاً للمعرفة * لانهُ ان كان حين ارسل حينئذٍ اخذ وصيةً
بما يقولهُ . وما عرف ذلك قبل ارسالهِ . فما الذي يكون اضعف من هذه الالفاظ . ان قبلها قابل على
هذه الجهة . ولم يتامل سبب تنللها : الآن بولس قد قال . انهُ هو والمتتلمذين لهُ . يعرفون ما هي
ارادة الله الصالحة المرضية الكاملة * والابن الازلي ما قد عرفها . الى ان اخذ وصيةً : وكيف تحوى

هذه الاقوال احتجاجاً : أرأيتَ انهُ لهذا الغرض ساق الاقوال التي قالها الى افراط تذللها . ليجذب
اوليك . ويطبق افواه الكائنين فيما بعد : لهذا السبب يتكلم الفاظاً انسانية . حتى يضطرهم . ولو على
هذه الجهة . ان يهربوا من حقارة ما يقوله . اذا عرفوا ان الالفاظ التي يقولها على هذا النحو ليست
مناسبة لطبيعته . لكنها مناسبة لضعف سامعيه * (٥٠) .. وقد عرفتُ ان وصيته هي حياة دهرية *
فالاقوال التي اقولها على نحو ما اوصاني ابي . كذلك أتكلم بها * .. أرأيتَ غرض الفاظهِ الذليل :
لان مَن قد تسلَّم وصيةً . ليس هو متامراً على ذاتهِ * على انهُ قد قال .. كما ان الاب يقيم الاموات
ويحييهم . فكذلك الابن يحيي الذي يشاء . ثم يمتلك سلطاناً ان يحيي مَن يشاء . وليس يمتلك سلطاناً
ان يقول ما يشاء : فان سالتَ . وما معنى ما قالهُ : اجبتك . انما قال هذا القول . لان فطنتنا لن
يمتلك طبيعة ان يقول ابي اقوالاً اخرى . وان اقول انا غيرها * .. وقد عرفتُ ان وصيته هي حياة
دهرية " يعتمد اوليك الذين دعوهُ مضلاً . وانهُ انما جاء لافسادهم * واذ قال .. انا لستُ احكم . "
انما قال . لستُ انا علةً لهلاك الذين هذه الحال حالهم . لكنهم هم علة لهلاكهم * لانهُ بهذه الاقوال
قارب ان يشهد عليهم اذ اعتزم ان ينتزح عنهم . ولا يخاطبهم ايضاً . انني انا اذ خاطبتكم . ما تكلمت
كلاماً كانهُ خاصٌ بي . لكنني خاطبتكم باقوالي كلها على انها من ابي * ولهذا الغرض حصر خطابه ايضاً
في الفاظ ذليلة . لكي يقول انني الى انقضاء خطابي . اصدرت اليهم هذا القول اخيراً .. انني على
نحو ما اوصاني ابي كذلك انكلم * " فلو كنت ضدَّ الله . لكنت قد تكلمت ضدَّ هذا * لانني كنت لست
اقول قولاً من الاقوال المأثورة عند الله . حتى اثبت التشريف لذاتي * فالان بهذا المقدار
صاعدت الى ابي اقوالي كلها . حتى لستُ اقول ان قولاً منها خاصٌ بي * فلمَ ما تصدقونني : القائل
اني قد اخذت وصيةً . المبطل على هذا النحو تبطيلاً شديداً ظن معاندتكم الخبيث * لان كما الذين
قد تسلموا وصيةً . ممتنع عليهم ان يعلموا عملاً آخر . او يقولوا قولاً آخر . سوى الاقوال والافعال
التي يريدها مُرسِلوهم . ما داموا يحفظون وصيتهم ولا ينقضونها . فكذلك ليس ممكناً ان اعمل عملاً
آخر او اقول قولاً آخر . الا ما يريدهُ ابي * لان ما اعملهُ انا ذاك هو يعملهُ * " لان ابي معي هو . وما تركني
وحدي * " (يوحنا ص ٨ ع ٢٩) أرأيتَ كيف في كل مكان قد اوضح ذاته مؤتلفاً بوالدهِ . وان ليس
بينهما فرق : لانه اذ قال .. ما جيت من ذاتي . " ليس يقول هذا القول منتزعاً السلطان عنه . لكن

انما يقوله مزيلاً عنهُ الخاصة الغريبة الضدية* ولين كان الناس متامرين على ذواتهم. فاولى واوجب ان يكون الابن الوحيد متامراً على ذاته* والبرهان على ان هذا صدق. اسمع بولس ما يقوله في ايضاحه " انهُ اخلى ذاته* وانهُ اسلمه من اجلنا* " (فيلبيوسيوس ص ٢ ع ٧) لكن ما قلتهُ اعيدهُ الان. ان الشرف الفارغ رديٌ ضارٌ* لان هذا الداء جعل اوليك الا يومنوا ايمانًا بالمسيح. ويجعل آخرين ان يومنوا ايمانًا قد عدم ان يكون صابيًا* وما قيل من اجل اوليك بسبب التعطف عليهم. اجتذبه هولاء الى الخادم*

العظة التاسعة والستون

في الشرف الفارغ* وفي النسوة المزينات* وفي الصدقة وفضايلها*

فلنهربنّ من هذا الوحش بكافة اقوالنا وافعالنا* فانه متلوّن الفنون كثيراً. يوزع سمّهُ في كل مكان. في الاموال. وفي التنعم. وفي حسن اجسامنا* ولهذا السبب نتجاوز الحاجة في كل مكان* لاجل هذا الداء يتكون الاستكثار في الثياب. ورهط العبيد الجزيل عددهُ* لاجل هذا الداء نتهاون في كل مكان بالاجتزاء بالحاجة. في منازلنا. وفي ثيابنا. وفي مايدتنا. ونستظهر الاستكثار علينا* أتشاء ان تستمتع بتشريف: اعمل صدقة. فحينيذٍ تمدحك الملايكة* حينيذٍ يقبلك الله* وانتِ ايتها الامراة ان عيبكِ الان قد وقف ووصل الى الصاغة والنساجين. وانتِ تحاضرين مسلوبة ان تكوني متكللة* وطالما اقتبلت لعنةً. اذا زينتِ ذاتكِ* واذا لم نضعي على جسمكِ صنوف الزينة هذه. لكنكِ تفرغينها في بطون الفقراء. سيكون التصفيق حولكِ جزيلاً من كل جهةٍ* والمدح لكِ عظيماً* حينيذٍ تملكينها. اذا اعطيتيها لاخرين* فما دمتِ تملكينها وحدكِ. فلست تملكينها* لان بيتكِ ذخيرة قد عدمت ان تكون ثقة* وايادي الفقراء ذخيرة ثابتة حقيقة* ماغرضكِ في ان تزيني جسمكِ. وتتواني في نفسكِ مشتملة نجاسة: ما بالكِ ما تخولين نفسكِ عنايةً هذا تقديرها. بمقدار ما تخولين جسمكِ: على ان عنايتكِ بنفسكِ قد كان يجب ان يكون اكثر* لكن قد وجب عليكِ ان تخولي نفسكِ. ولو عديل العناية التي تخولينها لجسمكِ. قولي لي لو خيّرك مخيّرٌ. ماذا تريدين: ان يكون جسمكِ بهيًا صحيحًا معافىً غالبًا للزينة. وان تلبسي ثيابًا دنية: ام ان تملكي جسمكِ مسقومًا

نحاساً مملوّاً من الاوجاع . وان تلبسي ثياباً مذهبة . وتتزيني بها : اما كنت تختارين اكثر وافضل ان تملكي الحسن في طبيعة جسدك . اكثر من ان تحوزي الحسن في لبوس الثياب : ثم تختارين بحسنك هذا الحظ وتختارين ضدّه لنفسك : اذ تملكينها مشوهة منتنة سوداء . وتظنين انك تستثمرين من زينة الذهب فايدة . وكم غباوة هي هذه الافعال : اعطفي هذه الزينة الى باطنك . وضعي هذه الخاتم والقلايد على نفسك * لان القلايد الموضوعة على جسمك . ليس من شانها ان تنفعهُ . لا في صحته : ولا في تحسينه * لانها ما تجعل الجسم الاسود ابيض * ولا تصير الاشوه الوحش حسناً وبهياً * وان وضعتيها على نفسك تجعلها باسراع بدلاً من السواد بيضاء * وعوض وحشية مستكرهة منتنة حسنة رايقة الصورة * وليس هذا القول قولي لكنهُ قول ربنا بعينه . القايل هذا القول .. وان تكن خطاياكم كلون البسر . لا بيضنها كالثلج * " (اشعيا ص ١ ع ١٨) .. واعطوا صدقة . فتكون الاشياء كلها لكم نقية * " (لوقا ص ١١ ع ٤٠) فاذا كانت هذه الحال حالك . فما تفيدين ذاتك الحظ المحمود . لكنك تفيدينهُ لرجالك ايضاً * لانهُ اذا ابصرك قد اطرحت هذه الزينة . ليس يقتني ضرورة الى النفقة كثيرة . ولا يتملكها اذا ابتعد من الاستكثار كله . ويكون سريع الجنوح الى الصدقة . وتقتدرين انت ان تشيري عليه بمجاهرة . بما يجب ويليق * فالان قد انتزعت هذا السلطان كلهُ . لان باي فم تخاطبينهُ بهذه الاقوال : باية الحاظ تنظرين اليه . اذا طالبت زوجك بصدقة . وقد افنيت اكثر ما يملكهُ في لبوس جسدك : وانما تقتدرين حينيذٍ ان تخاطبيه في باب الصدقة بمجاهرة اذا استطرحت الزينة من الذهب * وان لم تصلي الى مرادك . فقد تممت مقصودك كلهُ * واولى ما يقال ان ممتنعاً الا ترجي ذاك . اذا خاطبتيه باعمالك * .. لانك ما عرفت يا امراة . ان كنت تخلصين رجالك * " (قرنثيه اولى ص ٧ ع ١٦) فكما انك الان تعطين جواباً عن ذاتك وعن ذاك . فكذلك ان تعريت من هذا الخيال كله . تملكين الاكليل مضعفاً . لابسة اكليلك مع رجالك .

متنعمة في تلك الدهور الفاقدة اضمحلالها . واستمتعين بالنعم

الصالحة الدهرية . التي فلينفق لنا كلنا امتلاكها *

بنعمة ربنا يسوع المسيح . الذي لهُ المجد

الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة السبعون

في قولهِ (الاصحاح الثالث عشر) (١) قبل عيد الفصح . اذ عرف يسوع انهُ قد حان وقتهُ لكي ينتقل من هذا العالم الى ابيهِ . وكان قد احب اولياءهُ الذين في العالم * والى الغاية احبهم *

قد قال بولس .. صيروا مماثلين اياي . مثل ما ماثلتُ انا المسيح " (قرنثيه اولى ص ١١ ع ١) لان لهذا السبب اخذ لحماً من عجينتنا . ليعلمنا بهِ الفضيلة * لانهُ قال .. في مشابهة لحم الخطية . ومن اجل الخطية . اوجب الحكم على الخطية في لحمهِ * " (روميه ص ٨ ع ٣) وهو قال .. تعلموا مني . فاني وديع انا . ومتواضع في قلبي * " (متى ص ١١ ع ٢٩) وهذه المحامد علمناها ليس بالفاظهِ فقط . لكنهُ علمناها بافعالهِ ايضاً * لانهم قد دعوهُ سامريا . ومتشيطناً . ومضلاً . وحذفوا عليهِ حجارة * وحيناً ارسل اليهِ الفريسيون خدامهم . ليقتلوهُ * واحياناً اصدروا اليهِ مغتالين آخرين * وطالما شتموهُ هم * وفعلوا هذه الافعال . وما حازوا منهُ شيئاً يشكونهُ بهِ . لكنهم كانوا مغمورين باحسانهِ اليهم دائماً * الاَّ انهُ مع ذلك بعد هذه الافعال الجزيل تقديرها . ما انتزح عن احسانهِ اليهم باقوالهِ وافعالهِ * ولما لطمهُ عبد من عبيدهِ . قال .. ان كنتُ تكلمتُ كلاماً رديا . فاشهد بالفعل الرديء * وان كنت قد قلتُ قولاً صايباً . فما بالك تضربني : " ولكن تلك الافعال . وصلت منهُ الى الاعداء المغتالين عليهِ * فينبغي الان ان ننظر ما الذي يعملهُ الان بتلاميذهِ * واليق ما يقال . ينبغي الان ان نبصر ما يعملهُ الان بالمغتال عليهِ . الذي قد كان واجباً ان يمقتهُ اكثر منهم كلهم * لانهُ كان تلميذهُ . وساهم موايدهُ . ومماحنهُ . وعاين عجايبهُ . واُهِّلَ لمواهب جزيل تقديرها . فعمل بهِ اصعب الاعمال واشرّها * لعمري انهُ ما رجمهُ بحجارةٍ . ولا شتمهُ . لكنهُ دفعهُ الى اليهود واسلمهُ * فانظر كيف يتقبل الشقي هذا باحتمالٍ . اذ غسل رجليهِ . لانهُ شاء بهذا الفعل . ان يضبطهُ عن خبثهِ ذلك الجزيل * على انهُ قد كان لهُ لو شاء ان يجففهُ . كما جفف التينة * وان يفسخهُ . مثل ما فسخ الصخور * وان يشقهُ . على نحو ما شق ستر الهيكل * الاَّ انهُ ما شاء ان يستعطفهُ بالزام واضطرار * لكنهُ شاء ان يستميلهُ باختيارهِ عن اغتيالهِ * فلهذا السبب غسل رجليهِ * فما استحى من هذا الفعل ذلك الشقي المنكود حظهُ . لانهُ قال .. قبل عيد الفصح . اذ عرف يسوع انهُ قد حان وقتهُ * " فلما عرف ذلك حينئذٍ

لكن لما عمل ما عمله . اذ عرف قديماً "لكي يتقل*" فالبشير بصوت عظيم يسمي موته انتقالاً .
فقال . اذ اعتزم ان يتركهم . اظهر حبه اياهم اشد فعلاً * لان لفظة احبهم . والى الغاية احبهم . هذا
المعنى معناها فالبقي المحب كثيراً صنفاً من الاصناف كان واجباً ان يعمله * فان قلت . ولم ما عمل
هذا العمل منذ ابتدائه ابتلافه بهم : اجبتك . وضع لهم اخيراً الافعال التي هي اعظم قدراً . حتى
يزيدنا اختصاصه بهم . ويتقدم فيجعل فيهم تعزية كثيرة . للشدائد العتيدة ان توافيهم . ودعاهم
اولياءه على معنى المناسبة والاختصاص * اذ كان قد يسمي آخرين اولياءه . على جهة ابداعه اياهم
على نحو ما انه قال "واولياؤه ما اقتبلوه*" (يوحنا ص ١ ع ١١) وان سالت ما معنى قوله
"الذين في الدنيا :" اجبتك لما كان اولياؤه الذين استكملوا اعمارهم ابرهيم . واسحق . ويعقوب
وامثالهم * الا ان اولئك ما كانوا في ذلك الحين في الدنيا * ارايت انه هو اله العهد العتيق والجديد
والقائل ان يقول . وما معنى انه "احبهم الى الغاية :" اجبناه . انه لبث محباً اياهم حباً دائماً
وقال هذا هو الدليل على حبه الكثير * على انه قد ذكر معنى آخر في جهات كثيرة . انه يمنع
نفسه عن احبته * وما كان ذلك قد صار بعد * فان سالت . ولم عمل هذا العمل : اجبتك . لان
كان العجب افعاله بمقدار كثير . حين استبان عند جميع الذين عاينوه ابهى محلاً . لما اعتزم ان
ينصرف عنهم . خلف لهم تسلية ليست يسيرة * لانهم اذ لستانفوا ان يتجعوا اتجاعاً شديداً . استورد
لهم بهذه الافعال . تعزية موازية اغتمامهم * (٢) " واذ صار عشاء . لما دخل المحال في قلب يهوذا
لكي يدفعه * " هذا القول اورده البشير متذهلاً . ان غسل رجليه * هذا الذي ارتاد فيما سلف ان
يسلمه . واوضح خبثه كثيراً * لانه ما ضبطته شركة المائدة . التي من شانها اكثر من كل شيء ان
تضبط الخبث * ولا امسكه عن عزمه ثبوت حلمه الى اليوم الاخير بجملته * (٣) " اذ علم ان الآب
قد دفع اليه كل شيء . وانه من الله خرج والى الله ينطلق * " فاما يكون قد اعتمد هذا المعنى . انه
الجزيل بهذا المقدار فضله . المعظم محله . الوارد من الله . المنطلق اليه . الضابط البرايا كلها . عمل
هذا العمل * وما استنكف على هذه الجهة . ان يقتبل فعلاً هذا مبلغه * ولفظة دفع اليه . على حسب
ظني . يدعو ههنا خلاص المومنين دفعاً اليه * لانه اذ قال "كل الاشياء قد سلمها ابي الي ." (متى
ص ١١ ع ٢٧) انما يعني هذا الدفع والتحويل * على ماذكر في موضع آخر "الك كانوا . ودفعتهم

الي ٭ " (يوحنا ص ١٧ ع ٦) وقال ايضاً " ليس يقدر احدكم ان يجي الي ٭ ان لم يجذبه ابي ٭ وانه ان لم يكن معطى له من السماء ٭ " (يوحنا ص ٦ ع ٤٤ ٭ يوحنا ص ٣ ع ٢٧) واما يكون قد قصد هذا المعنى ٭ انه ما ازمع ان ينتقص محله ٭ من هذا الفعل ٭ اذ خرج من الله ٭ وهو منطلق الى الله ٭ وما لك البرايا كلها ٭ فاذا صنعت دفعاً وتسليماً فلا تتوهمنّ توهماً انسانياً ٭ فانه انما يبيّن لكرامة ابنه وايلائه به ٭ لان كان ابنه دفع اليه ٭ فكذلك هو دفع الى ابيه ٭ ويبيّن ذلك بولس ٭ اذ قال " اذ دفع المملكة الى الله ابيه ٭ " (قرنثيه اولى ص ١٥ ع ٢٤) فقد قال هذا القول ههنا اقرب الى الانسانية ٭ موضحاً اهتمامه بهم كثيراً ٭ مظهراً الحب الذي احبهم المعجز وصفه ٭ لانه اهتم بهم اهتماماً لائقاً بالمختصين به ٭ اذ علّمهم تواضع العزم ٭ ام الاعمال الصالحة ٭ التي ذكرانها هي ابتداء الفضيلة وكمالها ٭ ولن سالت ٭ لِمَ استثنى بقوله ٭ من الله خرج والى الله ينطلق ٭ اجبتك ٭ انه عمل اعمالاً موهلة للوارد من هنالك الذاهب الى هنالك ٭ اذ توطا الصلف كله ٭ (٤) " وقام من العشاء ووضع ثيابه ٭ " وابصر كيف بيّن الطريقة المتذللة ٭ ليس يغسل اقدامهم فقط ٭ لكنه اوضحها بنحية اخرى ٭ لانه ما قام قبل اتكائهم ٭ لكنه حينئذٍ نهض بعد اتكائهم كلهم ٭ ثم ما غسل اقدامهم ٭ على بسيطة ذلك غسلها ٭ لكنه غسلها بعد ان وضع ثيابه وما وقف عند هذا الحد ٭ لكنه يأتزر بازار ٭ وما اكتفى بهذا ٭ لكنه هو ملا المغسل ٭ وما اوعبه على بسيطة ذات ابعابه ٭ ولا امر آخر ان يملاه ٭ لكن هو عمل اعمال الغسل هذه كلها ٭ يربنا بهذه الافعال كلها ٭ انه ما يجب ان نعمل هذه الامثال وامثالها كاننا متعجلون ٭ اذا عملنا عملاً محموداً ٭ لكن نعملها بكافة نشاطنا ٭ وعلى ما يلوح لظني ٭ انه غسل قدمي دافعه اولاً ٭ لانه قال (٥) " وابتدا يغسل ٭ " وبعد ذلك (٦) جاء الى بطرس ٭ وحين جاء اليه قال له ذاك ٭ انت تغسل رجلي ٭ " بهاتين اليدين اللتين بهما فتحت العيون ٭ ونقيت البرصان وانهضت امواتا ٭ فهذا القول يحوسه ايضاحاً كثيراً ٭ ولذلك ما نضرع اليه بلفظ اكثر من قوله " انت تغسل قدمي ٭ " لان هذه اللفظة كانت كافية على انفرادها ان توضح كافة هذا القول ٭ وقد يطلب احد الناس على جهة الواجب ٭ كيف ما منعه ٭ ولا واحد من التلاميذ الآخرين ٭ سوى بطرس وحده ٭ وذلك ما كان من وقح يسير ٭ وتوقير قليل ٭ فان سالت ٭ وما علة ذلك ٭ اجبتك على ما يلوح لظني ٭ انه غسل قدمي الدافع اولاً ٭ ثم جاء الى بطرس ٭ وعلم التلاميذ الآخرين بذلك ٭

لان الدليل على انه قد غسل قبل رجلي بطرس رجلي آخر. فواضح من قول البشير: "وحين جاء الى بطرس*" الا ان البشير ليس هو ثلاثًا بجاهر بالقلب شديدًا. لان قوله: "وابتداء بغسل" [illegible] قول ذاكر هذا المعنى ذكرًا غامضًا. ولئن كان بطرس اولاً. لكن الدافع كان على ما يليق [illegible] فانكى فوق بطرس. لان من جهة اخرى قد استبان عتوه وخالفه التجهير لا [illegible] السكرجة. ولما وبخ لم يتخشع. الا ان بطرس للازجر دفعة واحدة فيما سلف. على انه انما قال [illegible] الاقول منها خلاص [illegible]. وانقبض هذا الانقباض الذي اوصله الى ان يجتهد ويرتعد. ويسال آخوان يستخبره* وهذا الدافع اذ وبخ توبيخًا متصلاً. ما شعر ولا حس* (٦) فلما جاء الى بطرس. قال له ذلك: "يا سيدي انت تغسل رجلي" (٧) فقال له: "ما اعلمه انا انت ما تعرفه الان. وستعرفه فيما بعد*" ومعنى ذلك هو الفائدة الجزيل مقدارها من هذا الفعل [illegible] التعليم. وكيف هي كافية ان تقتادكم الى كافة تبلل العزم. ستعرفها بعد ذلك* فمنعه بطرس [illegible] وقال (٨) "ما تغسل رجلي الى الدهر*" وانا اقول. ماذا تعمل يا بطرس: اما تذكر [illegible] الاولى التي قلتها: "حاشاك يا سيدي ان يصيبك هذا" وسمعت: "اذهب الى ورائي يا شيطان" [illegible] افما ترتدع على هذه الجهة: لكنك شديد التهجم ايضًا. ولمتق به ان يجيبني نعم. لان هذا [illegible] مملوء انذهالاً* فاذ كان انما عمل هذا من حب عظيم. استحوذ عليه الحب بعينه ليهما. فلو [illegible] زجره هنالك زجرًا شديدًا. وقال له: "انما انت شك لي." فكذلك قال له ههنا: "وان لم اغسلك. فما لك معي حظًا*" الا ان الحار شوقه المتوقد حبه. (٩) قال: "يا سيدي لا تغسل رجلي فقط لكن اغسل منهما يدي وراسي*" فكان شديد الاسراع في استعفائه من غسل قدميه. واشد اسراعًا من ذلك في استماحه بغسلهما* والصنفان كلاهما كانا من خلوص حبه* فان قلت فلم ما قال لم. لاجل اي غرض يعمل هذا العمل. لكنه رسم وعيدًا: احبك. لان ذاك [illegible] كان اطاع* لانه لو كان قال. اتركني اغسل قدميك. لانني لهذا الفعل استمهلكم [illegible] عزمكم. لقد كان وعده دفعات كثيرة انه يعمل هذا العمل. من اجل الا يغسل سيده قدميه* الا [illegible] قال له ما اراعه وارعده اكثر من كل مريع* وهو ان ينفصل منه* لان هذا الفاضل هو الذي سال ربنا سوالاً متصلاً. اين يذهب* ولذلك قال: "انني ابذل نفسي من اجلك*" (يوحنا ص ١٣ [illegible]

ع ٥) لانهُ ان كان لما سمع انك ما عرفت ما اعمله انا . وستعرفهُ فيما بعد . فما انتزح على هذه الجهة. فاولى به واليق انهُ ما كان انتزح عن رائهِ. ولو كان عرف قصدهُ * لان لهذا المعنى قال له ،، ستعرف ذلك فيما بعد * ،، لعله انهُ ان في ذلك الحين يعاندهُ ايضاً ويقاومهُ * وما قال عرفني قصدك . حتى انتركك تغسل رجلي * لكنهُ قال قولاً اشدّ عناداً بمقدار كثير * وما استجاز ان يعرف ذلك . لكنه قاوم قليلاً . ربما تغسل قدمي الى الدهر * ،، فلما توعّدهُ في الحين ارخى صلابة عزمه * فان قلت وما معنى قوله ،، ستعرف ذلك فيما بعد * ،، اجيبك . معناهُ . اذا اخرجت باسمي شياطين . اذا ابصرتني ماخوذاً الى السماء . اذا عرفت من الروح القدس انني جالس من عن ميامن ابي . حينئذٍ تعرف ما فعلته الان * فلما قال بطرس ،، لا تغسل ياسيدي رجلي فقط . لكن اغسل معهما يديّ وراسي . (١٠) قال له ان من قد استحم ليس يحتاج الا الى ان يغسل رجليه فقط * لانهُ هو نقي كلهُ وانتم فيما سلف انقياء انتم * من اجل القول الذي قلته لكم * ولكن ليس كلكم * (١١) لانهُ كان عارفاً بالذي يسلمهُ * ،، وانا استخبرهُ . فان كانوا كلهم انقياء هم . فلمَ تغسل ارجلهم : فسيجيبني انما فعل ذلك . ليعلمنا ان نتذلل ونتواضع * ولهذا الغرض ما جاء الى جزءٍ آخر من جسمنا . لكنهُ جاء الى العضو الذي يظن انه اوفر هواناً من الاعضاء الاخر * ،، ومن قد استحم . ،، يعني به المتنظف * ولعلك تقول وانهُ هولاء التلاميذ كانوا انقياء * على انهم ما كانوا بعد متخلصين من الخطايا . ولا كانوا قد اهلوا للروح القدس . اذ كانت الخطية بعد مستظهرة . واللعنة باقية . وصك ذنوبنا باقياً . والضحية فما كانت بعد قد قدمت . فكيف قال انهم موجودون انقياء : فاجيبك . لكيلا يظن بسبب هذه الاصناف انهم انقياء . من جهة ما هم متخلصون من الخطايا . استثنى بقوله ،، وانتم انقياء لاجل القول الذي قلته لكم * ،، ومعنى ذلك هو بهذا القول قد حصلتم انقياء الان * لانكم قد اقتبلتم النور واستخلصتم من الضلالة اليهودية * لان النبي قد قال ،، استحموا صيروا انقياء . انزعوا الخبث من نفوسكم * ،، (اشعياء ١ ع ١٦) حتى ان من هذه الحال حالهُ قد استحم . وهو نقي * لانهم لما اطرحوا من نفسهم كل خبث . وائتلفوا به بسريرة خالصة من المكر . فلذلك قال لهم على حد قول النبي . من قد استحم فهو نقي * لانهُ قد ذكر هنالك حميماً ليس بالماء اليهودي . لكنهُ انما اعتمد تنظيف الابداع *

العظة السبعون

في العدل . وفي الصدقة على الارامل والمحتاجين *

فلنصيرنَّ نحن انقياءً . ولنتعلمنَّ ان نعمل عملاً محمودًا . وان سالت ما هو العمل الحميد . اجبتك . قد قال ،، احكموا لليتيم . وحققوا العدل للارملة * وهلموا نتناظر * '' (اشعياص ١ ع ٢٣) فذكر الارامل واليتامى جزيلاً في الكتب * الا ان ذكره المحمدة ليس هو عندنا شيًا * على انهُ سبيلك ان تتفطن في الجايزة ما اعظم قدرها . وهي قولهُ ،، وان تكن خطايا كم كلون البسر . لابيضنها كالثلج * وان كانت بلون القرمز لابيضنها كالصوف * '' (اشعياص ١ ع ١٨) وبيان ذلك ان الارملة خايبة من ان يكون لها منجد * ولهذا السبب يجعل الاجتهاد في مراعاتها كثيرًا * لان مطلقًا لهنَّ ان يمارسنَ تزويجًا ثانيًا * ولاجل خيفتهنَّ من الله . يصطبرنَ على المصاعب الناشية من الترمل * فسبيلنا كلنا ان نمدَّ اليهنَّ ايدي معونتنا . النساء منا والرجال . حتى لا تقاسي شدايد الترمل . وان قاسيناها نخزن عندكم سببًا . لجودكم علينا كثيرًا * ولعمري ان قوة دموع الارملة ليست يسيرة . لكنها تقتدر ان تفتح السماء بعينها * فلا نستهزي بهنَّ . ولا نجعلنَّ مصابهنَّ اشدَّ مضضًا . لكن سبيلنا نعينهنَّ بكل حال * فسنحصل الى انفسنا حياطة كثيرة في دهرنا الحاضر . وفي الدهر المستانف * لانهنَّ ليس يعضدننا ههنا فقط . لكنهنَّ هناك ايضًا ينجدننا . ويحسمنَ عنا باحساننا اليهنَّ اكثر خطايانا ويصيّرننا ان نقف بدالةٍ لدى موقف مسيحنا الذي فلينفق لنا كلنا ان نمتلك بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذي لهُ المجد الى اباد الدهور كلها امين

المقالة الحادية والسبعون

في قولهِ (١٢) وتناول ثيابهُ * واذ اتكى ايضًا قال لهم . فهل عرفتم ما فعلتهُ بكم : *

ان داءً صعبًا يا احبايَ مستصعبًا . ان نصل الى قعر الافعال الردية * لان نفسنا تصير فيما بعد عسيرًا اصطلاحها * فلهذا السبب نحتاج ان نعمل كلما يمكننا . حتى لا نقتنص بابتداء الخطاء * لان ثبوتنا الان الاَّ نسقط . ايسر مرامًا من ان نعيد عمارة ذواتنا بعد سقوطنا في الخطاء * وانظر الى يودس

لما كردس ذاته. بكم معونة استمتع. وما انتهض على هذه الجهة : قال له ربنا " ان واحدًا منكم محال * " قال لهم " لستم كلكم تصدقونني * " قال " انني لستُ اقول من اجل جماعتكم * " " وانني انا اعرف الذين اخترتهم * " فما شعر ولا يقول من هذه الاقوال * فلما غسل ارجلهم. واخذ ثيابهُ واتكى. قال (١٣) " اعرفتم ما فعلتهُ بكم : " فليس خطابهُ الى بطرس فقط. لكنهُ يخاطب جماعتهم * " انتم تدعونني ربكم ومعلمكم. وقد قلتم قولاً صائبًا * لانني انا * " . انتم تدعونني " يعضد حكمهم * ثم لكيلا تظن الالفاظ موجودة لحمد اوليك اليهِ استثنى بقوله " انني انا * " لان اصدار القول منهم بجعلهُ في الحين مستثقلاً * واصداره عن اوليك وتحقيقهُ هو اياهُ . يجعلهُ خائبًا ان يكون متهمًا * فقال " لانني انا * " أرأيتَ انهُ اذا خاطب تلاميذهُ. كيف يخاطبهم كاشفًا لهم ما يناسبه : وكما قال " لا تسموا معلمًا في الارض * فان معلمكم هو واحد. " كذلك قال " لا تسموا ابًا في الارض * " ولفظة واحد وواحد. ما قيلت في ذكر ابيهِ وحدهُ . لكنها قيلت في ذكرهِ هو ايضًا * لانهُ ان كان قال هذا القول مخرجاً ذاتهُ من هذه المناسبة. فكيف قال ههنا " لتكونوا بني النور : " وايضًا ان كان دعى اباهُ وحدهُ معلمًا. فكيف قال ههنا " لانني انا : " وقال " واحد هو معلمكم المسيح * " وقال (١٤) " ان كنت انا ربكم ومعلمكم غسلتُ ارجلكم. فيجب عليكم انتم ان يغسل بعضكم ارجل بعضٍ * (١٥) لانني انما خولتكم هذا الفعل مثالاً * لكي على حدو ما عملتُ انا بكم. على حدو ذلك تعملون انتم * " على ان ليس فعلهُ وفعلنا هو فعل واحد بعينهِ * لانهُ هو معلمنا وربنا. ونحن نواخي في العبودية احدنا صاحبهُ . فان قلتَ فما معنى على حدو ذلك تعملون انتم : اجبتك تعملون هذا العمل بهذا الحرص بعينهِ. ولهذا السبب اخذ الامثلة من الافعال العظيمة لنعمل ولو الادنى منها لان معلمي الكتابة يكتبون للصبيان سطور الكتابة بحسن كثير * لكي ولو صاروا ان يصلوا الى ادنى المماثلة لها. فاين الذين يرفضون الذين يواخونهم في العبودية : اين الذين يطالبون بكراماتهم : الرب قد غسل رجلي دافعهِ سالب الهيكل السارق . وجعلهُ في اوان اسلامهِ اياهُ وزوال برزهِ معهُ. مشاركًا لمائدتهِ * أتفتخر انت افتخارًا عظيمًا . وترفع حاجبيك : قد قال لنا ان يغسل احدنا رجلي آخر فقد اوجب اذًا ان نغسل ارجل عبيدنا * وماذا نفعلهُ مستعظمًا ان غسلنا ارجل عبيدنا : وبيان ذلك . الحرُّ ههنا والعبد انما الفصل هو لاسميهما. وهنالك هو حقيقة الافعال * لان ذاك

كان في طبيعته ربًا · ونحن في طبيعتنا عبيدهُ · وما استعنى الان من هذا * فالان فعل محبوب لنا ان لم نستعمل الاحرار كالعبيد . كالمماليك الذين نبتاعهم بالفضة * وما معنى قولنا هنالك الفصل هو حقيقة الافعال : اذ قد تسلمنا امثلة لاحتمال هذا تقديرهُ · ونحن لسنا مشابهين ولا مثالاً صغيرًا منها · لكننا قد وقفنا في ضدها وخلافها · ونترفع ترفعًا يتجاوز مقدارنا · وما تقضي ديننا * لان الهنا قد صيَّرنا غرماء * فهو ابتدى · وصيَّرنا غرماء بقسمٍ ادنى اقسام فعله * لانهُ هو كان ربًا · ونحن نعمل هذا العمل بالذين يقاربوننا في العبودية · ان عملناهُ * وهذا فقد ذكرهُ ذكرًا غامضًا . بقوله .. ان كنتُ انا ربكم ومعلمكم فعلى حدو ذلك تعملون انتم * " لان قد كان لايقًا ان يقول · فاولى واليق بكم العبيد ان تعملوا مثلما عملتُ انا * لكنهُ ترك هذه لفطنة سامعيهِ * وان سالت فما غرضهُ في انهُ عمل الان هذا العمل : اجبنك . انهم توقعوا فيما بعد ان يستمتعوا بتكريمه . بعضهم باكثر التكريم · وبعضهم بادنائهِ · فلكيلا يترفع بعضهم على بعض . ويقولون هذه الاقوال التي قالوها قبل هذا الوقت .. مَن هو الاعظم فينا : " ولا يغتاظوا بعضهم على بعض . تقض معالي ترفعهم كلهم * اذ قال · ولو كنت عظيم المحل جدًا . يجب عليك الأ تترفع على اخيك عظيمًا * وما ذكر المقدار الاعظم * ان كنت انا غسلت رجلي دافعي . فما الذي تعملونه مستعظمًا . اذا غسل بعضكم ارجل بعض : لكنهُ بافعاله قد اوضح هذا المعنى · واهلهُ في تمييز الذين ابصروهُ * ولهذا الغرض قال .. مَن يعمل ويعلِّم . هذا يدعى عظيمًا * " فهذا هو معنى ويعلِّم * ان يعمل ذلك بافعاله * لان اي صلفٍ ليس ينقضهُ هذا الفعل : ايما تعظم وتجبر ليس يستفرغه هذا العمل : الجالس على الكاروبيم . غسل رجلي دافعه * وانت يا انسان · ارض ورماد وغبار وتراب . أتعلي ذاتك وتترفع ترفعًا عظيمًا : فلكم جهنم لست تكون موهلاً : لانك ان كنت تشتهي بالحقيقة ترفعًا عظيمًا . فهلمَّ اريك انا طريقًا . ما قد عرفت ما هي * لان مَن يصغى الى الاشياء الحاضرة كانها املاك عظيمة . فهذا هو ذو نفس حقيرة * فمن هذه الجهة ما يكون تواضع عزم الأ من عظم نفسنا * ولا يكون تبذخ وترفع الأ من صغر نفسنا * على نحو ما ان الصبيان الصغار يبهتون الى الاصناف الحقيرة من الاشياء . الى الاكُر والى البكيرات والى الكعاب ثابتين اليها · وما يتندرون ان يفتكروا افتكارًا في الاشياء العظيمة * على نحو ذلك يكون القياس هينا . مَن يكون متفلسفًا ليس يحتسب الاشياء الحاضرة شيًا ، ولا يختار ان يتمسك بها . ولا ياخذها من غيره * ومَن

لبست هذه الحال حالهُ. بخضع لاضداد ماذكرناهُ * اذ يكون باهتًا الى العناكب والافياء والمنامات · والى الاشياء الاضعف من هذه* (١٦) ,, الحق اقول لكم. ليس يوجد عبد اعظم من مولاه * ولا رسول اعظم ممن ارسلهُ* (١٧) ان عرفتم هذه الاقوال. ستكونون مغبوطين اذ عملتموها* (١٨) ولستُ اقول هذا من اجلكم كلكم. لكن ليتم الكتاب · ان مَن ياكل الخبز معي. رفع عليَّ عقبهُ* " وهذا فقد قالهُ فوق هذا الموضع. ويقولهُ ههنا مجملاً · لانهُ ان كان ليس يوجد عبد اعظم من مولاه. ولا رسول اعظم من مرسلهِ. وقد تكونت هذه الافعال مني. فاولى بها واليق ان تكون منكم * ثم ليلا يقول قائل ما رائك في ان تقول هذه الاقوال. لاننا الان ما نعرفها : استثنى بهذا اللفظ بعينهِ * انه ما قالها كمن يقولها للذين ما يعرفونها. لكنهُ انما قالها ليظهر الاقوال التي قالها بافعالهِ * لان معرفتها توجد للناس كلهم * وافتعالها ليس هو للناس كلهم * لان لهذا الغرض قال ,, ستكونون مغبوطين. اذا عملتموها* " كانهُ قال لهذا الغرض بعينهِ. اقولها لكم بمداومة. على انكم قد عرفتموها. لكي ادرجكم الى افتعالها * اذ اليهود قد عرفوها. لكنهم ليس هم مغبوطين. لانهم ما يعلوها* ولستُ اقول هذا من اجلكم كلكم * يا للعجب من وفور احتماله* لانهُ ما يوبخ فيما بعد دافعهُ· لكنهُ يستر فعلهُ. فاسحًا لهُ مكان توبة * ويوبخه. وليس يوبخه. اذ قال هذا القول ,, مَن ياكل الخبز معي. رفع عليَّ عقبهُ* " وعلى ما يلوح لظني. ان معنى ,, ليس هو اعظم من مولاه. " في هذا الحادث قيل* لكي متى ما وصل الى احدنا مكروه من عبيدهِ. او من اناس احقر منزلةٍ منهُ لا يتشكك. اذا نظر الى مثال يودس. الذي استمتع بنعم صالحة جزيل عددها. فكافى المحسن اليهِ باضدادها* لذلك استثنى بقولهِ ,, مَن ياكل الخبز معي. " واهمل الاحسانات الاخر كلها. ووضع الذي كان فيهِ كفاية اكثر من كل شيءٍ. ان يمسكهُ عن نهضتهِ ويخجلهُ. وقد كان زعم مغتذيًا مني. مساهمًا مايدة مني فهذه الاقوال قالها. يعلمهم ان يحسنوا الى الذين يعملون بهم مكروهًا. وان لبثوا لا يبرأون* وبقولهِ ,, لستُ اقول هذا من اجلكم كلكم. " لكيلا يوصل الخوف الى كثيرين. افصلهُ بقولهِ هذا القول ,, الذي ياكل الخبز معي * " لان لفظة ,, ليس من اجلكم كلكم. " ما تثبت كلامهُ على واحدٍ على كل حالٍ *ولذلك استثنى بقولهِ ,, الذي ياكل الخبز معي * " مورياً ذلك الشقي انهُ ليس جاهلاً بانهُ سيقبض عليهِ. لكنهُ قد عرف ذلك معرفة بليغة* وهذا القول بعينهِ اكثر من الاقوال كلها ·

فقد كان فيه كفاية ان يضبطه عن نهضته * وما قال من يأكل الخبز معي يسلمني . لكنه قال انه رفع عليَّ عقبه * مريدًا ان يبين عزيزة اغنياله الغاشة المستنبطة الدخل المستورة *



العظة الحادية والسبعون

في ذم الحقد * وفي ان المتقدمين الى الفضيلة هم حجة علينا اذا لم نسلك بما يجب *

فهذه انما كتبت . لكيلا نضطغن حقدًا على ظالمينا * لكن نعذلهم ونبكي عليهم * لان موهلين للنوح والعويل ليس الذين يقاسون مكروهًا . بل الذين يعملون عملاً رديًا منكرًا * لانهم يظلمون ذواتهم اعني المنفطرس . والواشي . والمقترف فعلاً آخر رديًا . يظلمون ذواتهم اعظم صنوف الظلم * وينفعوننا نحن اعظم المنافع . اذا لم ننتصر لذواتنا * على نحو ما اقول . اختلس فلان ما يوجد لك . اذا شكرت انت الله من اجل الظلم الواصل اليك ومجدته . ستستثمر بذلك الشكر صنوفًا من الثواب جزيلاً عددها . على حدو ما قد جمع ذاك لنفسه نارًا يتناص وصف عظمها * فان قال قائل . فما قولك في ان كنت لا اقدر ان انتقم ممن ظلمني . اذا وجدت اضعف منه : نقول له ذاك القول . انك تقتدر ان تنتصر منه . بان قد تستصعب ما فعله بك . بان تنتحب باكيًا منه . لان هذه الافعال في سلطاننا . بان تدعو على من احزنك . بان تلعنه لعنات جزيلاً عددها . بان تثلبه وتذمه بحضرة كل من يحضر عندك * فان كنت ما قد فعلت هذه الافعال . فستاخذ ثواب من لم ينتقم * لان يبقى واضحًا ان ذاك لو لم يكن مقتدرًا على ذلك الفعل . لما كان فعله * لان المظلوم يستعمل اذا كان صغير النفس السلاح الذي يتفق له * فينتقم من ظالمه بلعنانه اياه . بمثالبه . باغتياله عليه * فهذه الافعال لا تفعلها انت فقط . لكن ادع له مع ذلك وصلِّ * فان لم تفعل هذه الافعال . لكنك تدعو له وتصلي عليه . فقد صرت شبيهًا بالملك * لانه قد قال .. ادعوا للذين يعنتونكم . وصلوا عليهم * لكي تصيروا مماثلين اباكم الذي في السموات * " (متى ص ٥ ع ٤٤) ارايت كيف تستفيدون اعظم الفوايد من اذية آخرين ايانا : فليس يسر الله فعلاً نفعله . مثلما يسره ان لا نكافي فعلاً رديًا بدلاً من فعل رديٍ ينالنا * وما معنى قولي ان لا نتابل فعلاً رديًا عوض فعل رديٍ . وقد اوعز الينا . ان نقابل باضداد هذه . باحسانات بصلوات : ولهذا الغرض كافى المسيح من استزم ان يسلمه

باضداد افعاله كلها*فغسل رجليه. عذّله سراً. قرّعهُ باشفاقٍ. تلافاهُ. أناله مائدتهُ وقبّلهُ* وما صار بهذا الرفق افضل مما كان . بل لبث هو عاملاً اعمالهُ*لكن هات نعلمك من عبيدهِ. ومن جماعة الذين في العهد العتيق. لتعرف أننا ما نمتلك ولا حجة واحدة من اعتذار. اذا اضعنا الحقد* اتريدون ان أصف موسى. ام نصاعد كلامنا الى الذين كانوا في زمانهم اعلى منهُ : لان بمقدار ما تستبين الامثلة اقدم زمانًا. بقدر ذلك نتشهر نحن اكثر*فان سالت فما الحجة في ان الفضيلة كانت حينئذٍ اضعف مراساً : اجبتك. لان اوليك القدماء ما امتلكوا حينئذٍ وصايا بلفظٍ مكتوب. ولا كانت لهم امثلة لطرايق محمودة. لكن طبيعتهم على انفرادها جاهدت عاريةً. واضطرّت ان تسبح في كل موضع خائبة من سلاح * ولهذا السبب لما مدح الله نوحاً. ما دعاهُ تاماً على بسيط ذات التمام. لكنهُ اضاف الى ذلك في جيلهِ* ومعنى هذا . هو انهُ كان تاماً في ذلك الزمان. الذي فيهِ كانت الموانع كثيرة *والاَّ فقد اشرق فضل آخرين بعدهُ. الاَّ انهُ ما حوى حظّاً ادنى منهم*لانهُ كان تاماً في زمانهِ وسنيهِ* ومَن نجدهُ قبل موسى طويل الاناة يوسف السعيد الجليد. الذي اشرق فضلهُ بعفافهِ*وما اشرق ادنى من ذلك في طول اناتهِ. لانهُ أُبيع وما ظلم احدًا. لكنهُ خدم الذين باعوهُ. وتعبد لهم. واظهر افعال العبيد كلها*اوردوا عليهِ ذماً خبيثاً. وما انتقم منهم. على انهُ قد كان مالكاً اباهُ معه*لكنهُ مضى حاملاً لهم الى البرية اطعمةً . وما وجدهم . فما تضجر . ولا رجع . على انهُ قد امتلك حجةً. لو كان شاء ان يرجع*لكنه لبث حافظًا لاوليك الوحوش الجفاة القاسين ضمير اخٍ صالحٍ *ثم لما سكن السجن . وسُيِل عن علة اسرهِ. ما قال من اجلهم قولاً خبيثاً*لكنه قال . ما عملتُ منكرًا. وسُرقتُ سرقًا من ارض العبرانيين. وبعد ذلك صار متلمرًا عليهم. وقام لهم بالطعام. واستخلصهم من بلايا جزيل عددها. لاننا ان استغفنا . فما تقتدر رذيلة قريبنا ان تخرجنا من الفضيلة التي لنا*الاَّ ان اوليك ما كانت هذه السجية سجيتهم. لكنهم عرّوهُ وارتادوا ان يقتلوهُ وعيروا منامهُ. على انهم قد استمتعوا بالطعام الذي حمله لهم * واجتهدوا ان يخرجوهُ من حياتهِ. ومن حريتهِ. وجلسوا هم ياكلون. وتغافلوا عن اخيهم طريحًا في الجب عاريًا * ما الذي حدث اشرّ من هذه الوحشة: من كم من قاتلي الناس ما كان اوليك اشرّ عزماً. وبعد ذلك شالوهُ من الجب. واسلموهُ الى ميتاتٍ جزيل عددها *اذ باعوهُ لاناس عجم . اخلاقهم وحشية . معتزمين ان ينطلقوا الى عند

عجم * الا انهُ لما صار ملكاً . ليس مستعجباً انهُ اطلقهم من التعذيب فقط . لكن اعجب من ذلك انهُ استخلصهم من الخطية التي وصل اليهِ من التمكن من مقابلتهم عليها * اذ دعى الحوادث التي نالته . تدبيراً لله . ليس خبثاً لاوليك * والاحسانات التي وصلهم بها . ما اسداها اليهم مضطغناً حقداً عليهم * والاقوال الجافية التي خاطبهم بها . ما قالها حاقداً عليهم . بل متظاهراً بها من اجل اخيهِ بنيامين * لانه بعد ذلك لما ابصرهم متضرعين . اطرح التظاهر وولول . وقبلهم كانهم قد احسنوا الاحسانات العظيمة . وهم الذين قتلوهُ قديماً * واحدرهم كلهم الى مصر . وكافاهم باحسانات جزيل عددها * فما الاعتذار الذي نملكه نحن . الذين بعد الشريعة والنعمة ونمو فلسفة هذا مبلغها . لم نشابه من كان قبل النعمة والشريعة : مَن يستنقذنا من العقوبة : لان ليس يوجد داءٌ رديٌ . اردى من الحقد * ولا يكون اصعب منهُ تاثيراً * وهذا اوضحه مَن كان غريماً بقناطير وربوات عددها * ثم ما طولب بها . وبعد ذلك طولب بها ايضاً * فما طولب بها لاجل تعطف الله عليهِ . وطولب بها بسبب خبثهِ وباطغانهِ الحقد على نظيرهِ في العبودية * فاذ عرفنا هذه الحوادث كلها . فلنصفح لرفقائنا الخطايا التي اجترموها الينا . ونكافيهم باضاد افعالهم . ليتفق لنا امتلاك التعطف علينا من المنا * بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه * الذي لهُ المجد والعز * الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الثانية والسبعون

في قولهِ (٢٠) الحق الحق اقول لكم . مَن يقبل واحداً اذا ارسلهُ يقبلني . ومن يقبلني يقبل مرسلي *

ان مكافاة اسعاف عبيد الله وارضائهم لعظيمة * وقد قضانا من هذه الجهة ثمراتها * لانهُ قال .. مَن يقبلكم . يقبلني * ومَن يقبلني . يقبل مرسلي * " فما الحظ الذي يكون عديلاً لاقتبال المسيح وابيهِ : فان قلتَ واي ايتلاف لهذا القول . مع الاقوال التي قيلت فيما سلف : وما المناسبة التي يناسب بها قولهُ .. مَن يقبلكم يقبلني . لقولهِ ان علمتم هذه ستكونون مغبوطين : " قلنا لك . قد يجب لنا ان نبصر الايتلاف اللايق بينهما جزيلاً * لانهم لما توقعوا ان يخرجوا الى الدنيا . وان يقاسوا شدايد كثيرة . عزَّاهم بصنفين من العزاء * بصنفٍ واحدٍ منهُ . وبصنف آخر من آخرين * لانهُ قال ان تفلسفتم . تملكوني في ذكركم كل حين . واشتملتم كافة النوائب التي قاسيتها . والافعال التي

افتعلتها . احتملتم الشدايد بايسر مرام * وما تحتملونها بهذا الصنف وحدهُ . لكن باستمتاعكم ايضاً من جميع الذين تحضرون عندهم باسعافٍ كثير . واسترضاء جزيل : فالصنف الاول اوضحهُ لهم . اذ قال .. اذا علمتموها . ستكونون مغبوطين * وبيَّنَ لهم الصنف الثاني . بقولهِ .. مَن يقبلكم يقبلني * " لانه فتح لهم بيوت جميع الذين الموثا بهم . حتى يتملكوا تعزيةً مضعفة من فلسفة اخلاقهم هم . ومن نشاط الذين يسعفونهم ويرضونهم * ثم لما رتب هذه الاصناف من جهة انهم متوقعون ان يجولوا المسكونة كلها . وافتكر ان دافعهُ معدوم هذين الصنفين كليهما . ليس يتمتع ولا بصنفٍ واحدٍ منهما . الاَّ بالصبر في الاتعاب . ولا باسعاف المقبلين اياهم . ارتجف ايضاً * وهذا فقد دل عليهِ البشير موضحاً انهُ بسبب ذلك الدافع ارتجف لانهُ قال انهُ قال هذه الاقوال . (٢١) وارتجف بروحهِ : وشهد وقال . واحد منكم يسلمني * فاطاف الخوف ايضاً بجماعتهم . بانهُ ما قال اسم دافعهِ * على ان اوليك ما عرفوا في ذواتهم وهماً خبيثاً . فاحتسبوا قضية المسيح اصدق من افكارهم * ولذلك (٢٢) .. ابصر بعضهم الى بعض * " فبتثبيتهِ الفعل كلهُ على واحدٍ . حسم الخوف عنهم * وباستثنائهِ بان واحداً منكم ازعجهم كلهم * ولعمري ان الآخرين نظر بعضهم الى بعض * الاَّ ان بطرس الحارَّ العزم في كل مكان (٢٤) .. اوحى الى يوحنا * " لانهُ لما انتهر فيما سلف . لما اراد ان يغسل رجليهِ منعهُ . وصودف في كل مكان منتهضاً من وفور شوقهِ . الاَّ انهُ مشكوٌّ * لهذا السبب حصل مرتاعاً * فما صمت ولا تكلم * لكنه التمس ان يعرف ذلك بوساطة يوحنا * ولعمري ان ذاك المعنى موهل التحير منهُ * وهو ما السبب اذ كانوا كلهم مرتعدين قد استحوذ الجهاد عليهم . والهامة مرتاعاً . كان يوحنا حالهُ حال متنعم . قد اتكى في حضن يسوع . وما اتكى فقط . لكنه استلقى على صدرهِ : وليس هذا المعنى فقط موهلاً لالتماسهِ . لكن ما يتلوهُ ايضاً . وذلك هو ايضاً قوله من اجل ذاتهِ .. الذي احبه يسوع * " لان لماذا لم يقُل آخر منهم هذا القول من اجلهِ : على ان التلاميذ الآخرين قد احبهم يسوع * الاَّ ان هذا أُحِبَّ اكثر من الآخرين * ولئن كان ما قال واحد منهم آخر هذا القول من اجلهِ . لكنه هو قالهُ من اجل ذاتهِ . فليس ذلك مستحيياً * فقد عمل بولس هذا الفعل . اذ دعاهُ الوقت الى ذلك * فقال هذا القول .. اعرف انساناً قبل اربعة عشر سنةً * " (قرنثيه ثانيه ص ١٢ ع ٢) على انهُ قد ذكر عن ذاتهِ مدايح اخرى ليست يسيرة * اوهل يظن عندك ان استماعهُ ربنا .

المختفي. فاهمل في الحين شباكه واباه. ولحقه. بوجد فعلاً صغيراً : واخذه اباه مع بطرس فقط الى الجبل. وفي موضع آخر لما دخل الى المنزل اخذه معه * وهو فقد وصف مديحًا جزيلاً عظمه الى بطرس * وما كتم ما خاطبه به المسيح . اذ قال " يابطرس اتحبني اكثر من هولاء : " واظهره في كل مكان حارّ الشوق اليه مخلص الودّ له * ولما قال هذا ما رأيك فيه : قال هذا القول من شوقه الكثير اليه * فان قلت فما الحجة في ان ولا واحد منهم آخر قال من اجله هذا القول : اجبتك انه ولا هو قال . لو لم يحصل في هذا الموضع * لانه لوكان لما قال ان بطرس اومى الى يوحنا ان يساله . وما استثنى بغير ذلك . لكان قد اخترع الشبهة في ذلك كثيرة. واضطرنا ان نلتمس العلة في ذلك * فلهذا السبب لما حلّ العلة وذكرها. اتكى في حضن يسوع * فان ظننت فعلاً يسيراً انه عرف ذلك . لما سمع انه اتكى . فقد خوّلهم معلمهم دالة جزيلاً مقدارها * فان ابتغيت ان تعرف علة ذلك . فمن الحب كان فعله * ولهذا السبب قال الذي احبه يسوع * واظن انه عمل هذا العمل . مريدًا ان يظهره غريبًا من الزلل * لهذا الغرض جاهر ووثق * والاّ فلمَ ما قال هذا القول في مكان آخر. الاّ حين اومى اليه الهامة : لان حتى لا تظن انه اومى اليه من جهة انه عظيم المحل . قال ان هذا صار لاجل حبه الكثير اياه * فان سالتَ . وما المعنى في انه استلقى على صدره : اجبتك . انه ما كان بعد قد ظن من اجله ولا ظنًا عظيماً * ولمعنىً آخر . انه سكّن بذلك اكتئابه * لان لايقًا بهم ان يوجد الوجه منهم في ذلك الحين مكتئبًا * ولئن كانوا قد ارتجفوا في نفوسهم * فاليق واوجب ان نبين الارتجاف في وجوههم * فلما عزاهم بخطابه وسواله اياه تطرق له . تيسرّ ان يستلقي على صدره * وتامل اجتنابه الترفع * لانه ما ذكر اسم ذاته . لكنه قال الذي احبه يسوع * وعلى نحو ما قال بولس " اعرف انسانًا قبل اربعة عشر سنة * " قال هو ايضًا * حينئذٍ وبخه يسوع اولاً . وما اعلنه حينئذٍ باسمه . بل بقوله . (٢٦) " هو الذي اغمس انا الخبز . واعطيه اياه * " فالحال لعمري مخجلٌ . انه ما احتشم مائدة مَن شاركه في الخبز * فلئن كان مساهمته المنن الاخرى ما استعطفته . فاقتباله الخبز منه بعينه . مَن هو ما كان قد استجذبه اليه واستماله : الاّ انه ما استمال ذاك الشقي * (٢٧) " ولهذا السبب دخل الشيطان حينئذٍ فيه * " ضاحكًا على وقاحته . لانه الى حين كان من صفهم . ما اجترئ ان يطفر اليه * لكنه من خارج كان يصادمه * فلما جعله

واضحا وافرزه. ظفر اليه فيما بعد بطمانينة * لان ما كان واجبا ان يضبط داخل حياطته. من قد لبث هذه الحال حالهُ عديما ان يصطلح * ولهذا المعنى اخرجهُ بعد ذلك * ولما انقطع حينيذٍ تناولهُ ذلك المحال * واهملهم وخرج ليلاً * (٢٧) "فقال لهُ يسوع. ياصاح ما تعملهُ. اعملهُ باسراع * (٢٨) فما عرف ذلك واحدٌ من المتكيين *" واعجباه. كم كان زوال حسه * كيف ما انعرك قلبه. ولا استخزى * لكنه اذ صار اشدّ وقاحةً مما كان. خرج * وقوله اعمله باسراع. ليس هو قول موعز بذلك. ولا مشير بهِ. لكنه قول معيّر. موضح انهُ هو قد شاء ان يصلحهُ ويتلافاهُ * فاذ لبث مسلوبا ان يكون مصطلحا. خلاهُ واهملهُ * وما عرف ذلك ولا واحدٌ من المتكيين * وقد يجد احد الناس ههنا شكّاً كثيراً. وهو ان كان تلاميذهُ لما سالوهُ. مَن هو الذي يسلّمك. قال هو الذي اغمس الخبز. وادفعهُ اليهِ. وما فطنوا بهِ على هذه الجهة. لانهُ قال هذا القول سرّاً. حتى لا يسمعه احدهم * لان يوحنا لهذا الغرض ساله. لما اتكى على صدرهِ * فقارب ان يكون سواله في اذنهِ. حتى لا يصير دافعه ظاهراً * والمسيح على هذا النحو اجابه. وما جعله في ذلك ظاهراً * الا انهُ قد قال لهُ قولاً اكثر تجريداً. ما تعملهُ. اعملهُ باسراع * واوليك ما فطنوا بما قالهُ لهُ * فقال هذا القول موريا ان اقوالهُ كانت صادقة التي قالها لليهود في ذكر موتهِ * لانهُ قد قال لاوليك .. انا امتلك سلطانا ان ابذل نفسي. وامتلك سلطانا ان اخذها * وليس ياخذها احدٌ مني * " (يوحنا ص ١٠ ع ١٨) فالى حين شاء وضبطها. ما اقتدر احد عليها. فلما اطلقها فيما بعد. صار الفعل حينيذٍ متيسراً * فهذه كلها ذكرها ذكراً مستوراً * وقال .. ما تعمله. اعمله باسراع * " وما جعلهُ في ذلك الحين ظاهراً * لان لعل تلاميذهُ كانوا قد فسخوهُ * ولعسى بطرس كان قد قتله * فلهذا السبب ما عرف ولا واحد من المتكيين ما قال لهُ * ولعل ولا يوحنا. ولا هذا عرف * لانهُ ما كان توهم ان تلميذهُ يبرز الى هذا المقدار الجزيل من تجاوز الشريعة * لانهم اذ كانوا منتزحين بعيدًا من الخبث الذي هذا تاثيرهُ. ما اتجه لهم ان يتوهموا هذه الافعال في غيرهم * واذ كان قد قال هذا القول بمداومةٍ "انني لستُ اقول من جماعتكم *" وما جزم ذلك بجهةٍ من الجهات ظنوهُ يقول ههنا عن آخر * (٣٠) " وحين خرج كان ليل * " وانا اسال البشير لِمَ يذكر لي الوقت : فسيجيبني لتعرف عتوهُ * ان ولا الوقت امسكهُ عن نهضتهِ * ولكنه ولا بهذا صيّرهُ واضحا * لانهم كان قد استحوذ عليهم خوف وجهاد وارتجفوا حينيذٍ ارتجافا عظيما *

ولهذا السبب ما عرفوا من الاقوال التي قبلت غلتها صادقة * لانهُ قال ،، انهم ظنوا . انه قال له هذه الاقوال . ليعطي الفقراء شيا * ،، لانه جعل اهتمامه بالمساكين كثيرًا * معلمًا ايانا ان نحرص في هذا الفعل حرصًا جزيلاً * (٢٩) لان هذا الشقي اشتمل الدرج . وما كان يُلقى فيهِ ،، على ان ما يستبين ولا واحد من الناس قدَّمَ لهُ اموالاً * لكنه قد قال . ان تلميذاهِ اطعمنهُ مما كان موجودًا لهنَّ * وهذا فما ذكرهُ بجهةٍ من الجهات ذكرًا غامضًا ولا ظاهرًا * فان سال سائل فمن اوعز الى تلاميذهِ الاَّ يحملوا مخلاة . ولا نحاسًا . ولا عصي . ولا شيًا في مناطقهم . كيف حمل درجًا : اجبناهُ لخدمة الفقراء * حتى نعرف ان الزاهد في القنيات جدًّا . المتصلب عند الدنيا . يحتاج ان يعتني بهذا الفعل اعتناءً كثيرًا * لانهُ قد عمل اعمالاً كثيرة . ودبر افعالاً جزيلة لتعليمنا * فتلاميذهُ ظنوا هذا الظن . انهُ ،، قال لهُ . ان يعطي الفقراء شيًا * ،، وماخبَّلهُ هذا الفعل * انه لم يشاء ان يشهرهُ الى اليوم الاخير من الايام التي لبث فيها معه * وهذا العمل فيجب علينا ان نعمله . ولا نشهر خطايا الموجودين معنا . ولو كانت حالهم حال مَن قد خاب من البرء * لان هذا الشقي لما جاء بعد ذلك ليدفعه الى اليهود . قبَّلهُ قبلةً . واقتبل منهُ فعلاً هذا مبلغ تاثيرهِ . وبرز الى ما هو اصعب من ذلك بمقدار كثير . الى الصلب بعينهِ . الى الموت ذي التعيير . واوضح هنالك ايضًا تعطفه هذا بعينهِ * وسمَّى الحادث هنا مجدًا * معلمًا ايانا ان ليس حادثًا بهذه الصفة مستقبحًا . وللتعيير موجبًا . ليس يجعل مَن يمارسهُ بهيًا . اذا كان يتكبدهُ بغرضٍ يرضي الله * وبعد ان خرج يودس الى تسليمهِ قال . (٣١) ،، الان قد مُجِّد ابن الانسان * ،، بهذه اللفظة انهض افكار تلاميذهِ بعد سقوطها * وحقق لهم ليس الاَّ يكتئبوا فقط . لكنه حقق لهم مع ذلك ان يفرحوا . ولهذا السبب انتهر بطرس فيما سلف * لان مجدًا عظيمًا ان يقهر الموت بحصولهِ في الموت * وهذا هو القول الذي قاله من اجل ذاتهِ ،، اذا ارتفعت عرفتم حينيذٍ انني انا هو * ،، (يوحنا ص ١٢ ع ٣٢) وقوله ايضًا ،، حلُّوا هذا الهيكل * ،، (يوحنا ص ٢ ع ١٩) وايضًا ،، فما يدفع لكم آية . سوى آية يونان * ،، (لوقا ص ١١ ع ٢٩) وكيف لا يكون مجدًا عظيمًا . اقتدارهُ بعد موتهِ على افعالٍ اعظم من التي اجترحها قبل موتهِ : لان لكيما يُصدَّق قيامتهُ . عمل تلاميذهُ اعظم من اعمالهِ * فلو انهُ ما كان حيًا . ولا كان الهًا . كيف عمل تلاميذهُ هولاء باسمهِ اعمالاً هذا مقدار عظمها : (٣٢) ،، والله يمجدهُ * ،، فان قلت . وما هو

سيمجده الله في ذاته : اجبتك . سيمجده بذاته ليس بآخر غيره * .. وفي الحين سيمجده * " اي مع صلبه * لانه قال ما يتمادى الى زمانٍ كثير . ولا ينتظر وقتًا طويلاً لقيامته . ولا يظهر حينئذٍ بهيًا . لكن في حين صلبه بعينه تظهر البدايع البهية النيرة . لان الشمس ارتجعت . الصخور تشققت . ستر الهيكل تمزق . اجسام كثيرة من القديسين الراقدين أُقيمت . وقبره حوى سمات خواتيمه . وحراس جلوس حوله . بعد وضع الحجر على جسده . قام جسده منه * واذ عبرت اربعون يومًا . والى تلاميذه عطية الروح * فانذروا به في الحين كلهم * فهذا هو سيمجده في ذاته * وفي الحين سيمجده . ليس بمليكة . ولا برؤساء ملكية . ولا بمقدرة اخرى . لكنه سيمجده بذاته * فان سالت وكيف مجده بذاته : اجبتك . ان عمل الاعمال كلها المودية الى مجد ابيه * على ان الابن عمل الاعمال كلها * ارأيت ان البدايع الكائنة منه يعليها الى ابيه : (٣٣) .. يا اولادي انما انا معكم ايضًا مدةً يسيرة * " ومثلما قلت لليهود .. ستطلبونني . وما تجدونني . والى اينما انطلق انا . ما تقدرون انتم ان تجيئوا . اقول لكم الان * " ابتدى فيما بعد بالاقوال الحازنة بعد العشاء . لان حين خرج يودس ما كان مساء . لكنه كان ليلاً . لانهم اذا ازمعوا بعد حين يسير . تلمّ ان بهم المصاعب . وجب ان يستودعهم اقواله كلها . حتى يستقنوها في حاسة ذكرهم * والبق ما يقال . ان الروح اذكرهم بها كلها * لان قد كان لايقًا بهم من جهة انهم قد سمعوا منه فيما سلف اقوالاً كثيرة . ان يتناسوها . اذا ازمعوا ان يصابروا محنًا هذا التاثير تاثيرها . لان الذين انهبطوا الى النوم . (على ما ذكر بشير آخر .) واستحوذ عليهم الاكتياب * (على ما قال هو لهم .. فلانني قلت لكم هذه الاقوال . قد ملأ الغم قلبكم * ..) (يوحنا ص ١٦ ع ٦) كيف كانوا قد تمسكوا بهذه الاقوال كلها تمسكًا بليغًا : فان قلت وما معنى قوله هذه الاقوال لهم : اجبتك . ما صارت لهم فايدة يسيرة عند معرفتهم مجد المسيح معرفة بليغة . اذا تذكروا بعد ذلك انهم كانوا سمعوا قديمًا من المسيح هذه الاقوال * فان قلت . فلمَ تقدم فطرح هذا القول في نفسهم . اذ قال .. انما انا معكم مدةً يسيرة ايضًا * " وقد يليق ان يقولوا له انك قد قلت هذه الاقوال لليهود على جهة الواجب . فلمَ تقولها لنا : افتسوقنا نحن مساواً عديلاً لاولئك الزايل حفاظهم : وما نظن ذلك بجهةٍ من الجهات * ولمَ قلتَ لنا نحو ما قلت لليهود : فيكون جوابهم قد اذكرتكم . انني ما قلتُ لكم الان هذه الاقوال من حضور الشدايد . لكنني قد تقدمت فعرفتُ هذه الحوادث منذ

اعلى الزمان * وانتم الذين سمعتم قولي شهود لي. انني قد قلتُ هذه الاقوال لليهود * ولذلك استثنى بقولهِ ياولاد . لكي اذا سمعوا مثلما قلتُ لليهود . لا يظنوا ان القول الذي قاله لهم . نظير ما قال لاوليك * كانه قال ما قلت هذه الاقوال لتلاميذي مطرحًا اياهم . لكنني قلتها مسليًا اياهم . لكيلا تدهمهم الشدايد . ويكونون قد عدموا انتظارها . فترجفهم * ،، الى اينما اذهب انا . ليس يمكنكم انتم ان تجيوا * ،، فاراهم ان موته هو نقلة فاضلة الى مكانٍ ليس قابلاً اجسامًا بالية * هذه الاقوال قالها منهضًا شوقهم اليهِ . جاعلاً اياهم اشدّ استحرارًا * لانكم قد عرفتم اننا متى ما رايْنا من الذين نحبهم حبًا شديدًا اقوامًا منصرفين . يستحرّ شوقنا اليهم اكثر استحرارًا * ومثل ذلك ينالنا اذا رايْناهم سائرين الى موضع لا يمكننا المضي اليهِ * فقال هذه الاقوال لاوليك مريعًا اياهم . وقال لهولاء مشعلاً شوقهم * فالمكان هو هذه الخاصة خاصتهُ . ليس يناسبه الأ يمكن اوليك فقط ان يصلوا اليهِ . لكن ولا نحن المحبوبين حبًا شديدًا . نقتدر ان نجي اليهِ * فهنا اوضح الرتبة التي لهُ * ،، واقول لكم الان * ،، فان سالتَ ولم ذكر الان : اجابك . انهُ قال لاوليك لمعنى آخر . واقول لكم لمعنى غيرهِ * وهذا هو انني ما قلت لكم مع اوليك * فان قلت اين طلبت اليهود واين طلبت تلاميذهُ : اجبتك ان تلامذهُ طلبوهُ حين هربوا * واليهود طلبوهُ حين قاسوا الشدايد المعضلة والمجاوزة كل وصف . لما فتحت مدينتهم . وتقاطر السخط المُسيَّر من الله من كل جهةٍ عليهم * فقال لاوليك حينيذٍ لاجل زوال تصديقهم * وقال ،، انني اقول لكم الان * ،، لكيلا تحصلوا في الشدايد . وتكونون قد عدمتم انتظارها * (٣٤) ،، وصيةً جديدةً اعطيكم * ،، لان اذ كان لايقًا ان يسقطوا في ارتجاف . اذا سمعوا هذه الحوادث . كانهم مزمعون ان يكونوا مقفرين . سلاهم . والبسهم حياطته . وهي المحبة . قرمة الافعال الصالحة كلها * كانهُ قال لهم . قد اتجعتم لذهابي من عندكم : الأ انكم ان احبَّ بعضكم بعضًا . ستكونون اقوى من الاشياء كلها * فان قلت وكيف ما قال لهم هذا القول : اجبتك لكنهُ قد نفعهم في قولٍ افضل من هذا * (٣٥) ،، في هذا الوجه يعرف الكل انكم انتم تلاميذ لي * ،، بهذا القول بيَّن لهم معًا ان صفهم ليس يخمد نورهُ . حين اعطاهم علامة التعريف بذلك * هذا القول قالهُ لهم . حين انفصل دافعهُ منهم * فان قلت فكيف دعا هذه وصيةً جديدةً . وهي موضوعة في العهد العتيق : اجبتك . انهُ هو صيرَّها جديدةً في غريزتها * واستثنى بقولهِ ،، مثلما احببتكم انا * ،، لانني ما قضيتكم دينًا لمحامد كانت لكم

احكمتموها. لكنني انا ابتدأت بهذا الحُبّ * فعلى هذا المثال يجب عليكم انتم . ان تحسنوا الى الذين يحبونكم حبا شديدًا . ولا تكونوا غرماء لهم بذلك. واهمل الذين يذكر لهم العجايب التي استانفوا ان يعملوها. وصوّرهم الحُبّ * وان سالت . وما غرضهُ في ذلك : اجيبك. لان هذا الحُبّ اكثر من كل فضيلة. هو الذي يوضح الناس قديسين * لانهُ هو سبب كل فضيلةٍ. وبهِ اكثر من كل فعلٍ نخلص كلنا * لان هذا الحُبّ هو زرع يوجد تلميذًا * على هذه الطريقة يمدحكم الناس كلهم. اذا ابصروكم متشابهين حبي * فان قلت. وما رأيك: فالعجائب ما تظهر هذا الحُبّ اظهارًا البق واوجب : اجيبك . ما تظهرهُ بجهةٍ من الجهات * لانهُ قال "كثيرون يقولون لي . ياربنا ألسنا باسمك اخرجنا شياطين : " وايضًا لما فرح تلاميذهُ بان الشياطين نطيعهم. قال لهم .. لا تفرحوا بان الشياطين تطيعكم. لكن افرحوا بان اسماءكم قد كُتبت في السموات * " (لوقا ص ١٠ ع ٢٠) على ان اجتراح العجائب اقتاد اهل المسكونة الى الايمان * اذ الحب كان قبل هذا * فان لم يكن الحب موجودًا. فليس يثبت اجتراح عجايب * فهذا الحُبّ صيّرهم في الحين جيادًا صالحين * وهو ان يوجد القلب والنفس لكلهم واحد * فمتى انفصل بعضهم من بعضٍ . فقد هلكت محامدهم كلها *

العظة الثانية والسبعون

في الحُبّ * وفي العيشة المكينة في الفضيلة . وما يشابهها *

فهذه الاقوال ما قالها لاوليك وحدهم . لكنهُ قالها لجميع الذين استانفوا ان يومنوا بهِ * اذ الان ليس يوجد فعل آخر يشكك اليونانيين. اكثر من ان لا يوجد لنا حُبّ * فان قلت وقد يشكون مما اننا ما يتكوّن منا ايات * اجيبك. لكن ليس عزمهم هذا العزم * فان قلت واين اظهر الرسل حبّهم : اجيبك . ابصر بطرس ويوحنا متفقين اتفاقًا قد عدم بهِ احدهما ان ينفصل عن صاحبه في صعودهما الى الهيكل * وابصر بولس حالهُ هذا الحال معهما * لانهم ان كانوا قد استقنوا الفضائل الاخر؛ فاولى بهم والبق ان يكونوا قد امتلكوا أُمّ الاعمال الصالحة * لان هذا الحب انما يفرع من نفس مكينة في فضيلتها * وانما يوجد الخبث نجف غرسة الحُبّ * لان اجتناب الشريعة اذا كثر ينشف حُبّ الكثيرين * واليونانيون فعلى تمثيل حالهم لن تقتادهم الايات. مثلما تقتادهم عيشتنا * فعلى تمثيل

الحقني. فاهمل في الحين شباكهُ واباهُ. ولحقهُ. بوجد فعلاً صغيراً: واخذهُ اياهُ مع بطرس فقط الى الجبل. وفي موضع آخر لما دخل الى المنزل اخذهُ معهُ * وهو فقد وصف مديحاً جزيلاً عظمهُ الى بطرس * وما كم ما خاطبهُ بهِ المسيح. اذ قال "يابطرس اتحبني اكثر من هولاء": "واظهرهُ في كل مكانٍ حارّ الشوق اليهِ مخلص الودّ لهُ * ولما قال هذا ما رأيك فيهِ: قال هذا القول من شوقهِ الكثير اليهِ * فان قلتَ فما الحجة في ان ولا واحد منهم آخر قال من اجلهِ هذا القول: اجبتك انهُ ولا هو قال. لو لم يحصل في هذا الموضع * لانهُ لو كان لما قال ان بطرس اومى الى يوحنا ان يساله. وما استثنى بغير ذلك. لكان قد اخترع الشبهة في ذلك كثيرة. واضطرنا ان نلتمس العلة في ذلك * فلهذا السبب لما حلّ العلة وذكرها. اتكى في حضن يسوع * فان ظننت فعلاً يسيراً انهُ عرف ذلك. لما سمع انهُ اتكى. فقد خوّلهم معلمهم دالة جزيلاً مقدارها * فان ابتغيت ان نعرف علة ذلك. فمن الحب كان فعلهُ * ولهذا السبب قال الذي احبهُ يسوع * واظن انهُ عمل هذا العمل. مريدًا ان يظهرهُ غريبًا من الزلل * لهذا الغرض جاهر ووثق * والّا فلمَ ما قال هذا القول في مكان آخر. الّا حين اومى اليهِ الهامة: لان حتى لا تظن انهُ اومى اليهِ من جهة انهُ عظيم المحل. قال ان هذا صار لاجل حبهِ الكثير اياهُ * فان سالتَ. وما المعنى في انهُ استلقى على صدرهِ: اجبتك. انهُ ما كان بعد قد ظن من اجلهِ ولا ظنًا عظيمًا * ولمعنىً آخر. انهُ سكّن بذلك اكتئابهُ * لانهُ لائقًا بهم ان يوجد الوجه منهم في ذلك الحين مكتئبًا * ولئن كانوا قد ارتجفوا في نفوسهم * فاليق واوجب ان نبين الارتجاف في وجوههم * فلما عزاهم بخطابهِ وسوالهِ اياهُ تطرق لهُ. تيسّر ان يستلقي على صدرهِ * وتامل اجتنابهُ الترفع * لانه ما ذكر اسم ذاتهِ. لكنهُ قال الذي احبهُ يسوع * وعلى نحو ما قال بولس "اعرف انسانًا قبل اربعة عشر سنةً * " قال هو ايضًا * حينئذٍ وبخهُ يسوع اولاً. وما اعلنهُ حينئذٍ باسمهِ. بل بقولهِ. (٢٦) "هو الذي اغمس انا الخبز. واعطيه اياهُ * " فالحال لعمري مخجلٌ. انهُ ما احتشم مائدة مَن شاركهُ في الخبز * فلئن كان مساهمتهُ المنن الاخرى ما استعطفتهُ. فاقتباله الخبز منهُ بعينهِ. مَن هو ما كان قد استجذبهُ اليهِ واستمالهُ: الّا انه ما استمال ذاك الشقي * (٢٧) "ولهذا السبب دخل الشيطان حينئذٍ فيهِ * " ضاحكًا على وقاحتهِ. لانهُ الى حين كان من صفهم. ما اجترى ان يطفر اليهِ * لكنهُ من خارج كان يصادمهُ * فلما جعلهُ

واضحًا وافرزهُ . ظفر اليهِ فيما بعد بطمانينة * لان ما كان واجبًا ان يضبط داخل حياطنه . من قد
ليث هذه الحال حالهُ عديمًا ان يصطلح * ولهذا المعنى اخرجهُ بعد ذلك * ولما انقطع حينئذٍ تناولهُ
ذلك المحال * واهملهم وخرج ليلاً * (٢٧) ,, فقال لهُ يسوع . ياصاح ما تعملهُ . اعملهُ باسراع * (٢٨) فما
عرف ذلك واحدٌ من المتكئين * " واعجباهُ . كم كان زوال حسهِ * كيف ما انعرك قلبه . ولا استخزى *
لكنه اذ صار اشدّ وقاحة مما كان . خرج * وقوله اعمله باسراع . ليس هو قول موعز بذلك . ولا مشير
بهِ . لكنه قول معير . موضح انهُ هو قد شاء ان يصلحهُ ويتلافاهُ * فاذ لبث مسلوبًا ان يكون مصطلحًا .
خلاهُ واهملهُ * وما عرف ذلك ولا واحدٌ من المتكئين * وقد يجد احد الناس ههنا شكًا كثيرًا . وهو
ان كان تلاميذهُ لما سالوهُ . من هو الذي يسلمك . قال هو الذي اغمس الخبز . وادفعهُ اليهِ . وما
فطنوا بهِ على هذه الجهة . لانهُ قال هذا القول سرًا . حتى لا يسمعه احدهم * لان يوحنا لهذا الغرض
ساله . لما اتكى على صدرهِ * فقارب ان يكون سوالهُ في اذنهِ . حتى لا يصير دافعه ظاهرًا * والمسيح
على هذا النحو اجابه . وما جعله في ذلك ظاهرًا * الاَّ انهُ قد قال لهُ قولاً اكثر تجريدًا . ما تعملهُ .
اعملهُ باسراع * واوليك ما فطنوا بما قالهُ لهُ * فقال هذا القول موريًا ان اقوالهُ كانت صادقة التي
قالها لليهود في ذكر موتهِ * لانهُ قد قال لاوليك .. انا امتلك سلطانًا ان ابذل نفسي . وامتلك
سلطانًا ان اخذها * وليس ياخذها احدٌ مني * " (يوحنا ص ١٠ ع ١٨) فالى حين شاء وضبطها .
ما اقتدر احد عليها . فلما اطلقها فيما بعد . صار الفعل حينئذٍ متيسرًا * فهذه كلها ذكرها ذكرًا مستورًا *
وقال .. ما تعمله . اعمله باسراع * " وما جعلهُ في ذلك الحين ظاهرًا * لان لعل تلاميذهُ كانوا قد
فسخوهُ * ولعسى بطرس كان قد قتله * فلهذا السبب ما عرف ولا واحد من المتكئين ما قال لهُ *
ولعل ولا يوحنا . ولا هذا عرف * لانهُ ما كان توهم ان تلميذهُ يبرز الى هذا المقدار الجزيل من تجاوز
الشريعة * لانهم اذ كانوا منتزحين بعيدًا من الخبث الذي هذا تاثيرهُ . ما اتجهَ لهم ان يتوهموا هذه
الافعال في غيرهم * واذ كان قد قال هذا القول بصرامة ,, انني لست اقول من جماعتكم * " وما جزم
ذلك بجهة من الجهات ظنوهُ يقول ههنا عن آخر * (٣٠) ,, وحين خرج كان ليل * " وانا اسال
البشير لمَ يذكر لي الوقت : فسيجيبني لتعرف عتوهُ * ان ولا الوقت امسكهُ عن نهضتهِ * ولكنه
ولا بهذا صيّرهُ واضحًا * لانهم كان قد استحوذ عليهم خوف وجهاد وارتجفوا حينئذٍ ارتجافًا عظيمًا *

ولهذا السبب ما عرفوا من الاقوال التي قيلت غلتها صادقة * لانهُ قال ،، انهم ظنوا . انه قال له هذه الاقوال . ليعطي الفقراء شيأ * " لانه جعل اهتمامه بالمساكين كثيرًا * معلّمًا ايانا ان نحرص في هذا الفعل حرصًا جزيلاً * (٢٩) لان هذا الشقي اشتمل الدرج . وماكان يُلقى فيهِ ،، على ان ما يستبين ولا واحد من الناس قدَّمَ لهُ اموالاً * لكنه قد قال . ان تلميذاته اطعمنهُ مما كان موجودًا لهنَّ * وهذا فما ذكرهُ بجهةٍ من الجهات ذكرًا غامضًا ولا ظاهرًا * فان سال سائل فمن اوعز الى تلاميذهِ الاّ يحملوا مخلاة . ولا نحاسًا . ولا عصي . ولا شيأً في مناطقهم . كيف حمل درجًا : اجبناهُ لخدمة الفقراء * حتى نعرف ان الزاهد في القنيات جدًا . المنصلب عند الدنيا . يحتاج ان يعتني بهذا الفعل اعتناءً كثيرًا * لانهُ قد عمل اعمالاً كثيرة . ودبر افعالاً جزيلة لتعليمنا * فتلاميذهُ ظنوا هذا الظن . انهُ ،، قال لهُ . ان يعطي الفقراء شيأ * " وماختَّلهُ هذا الفعل * انه لم يشاء ان يشهرهُ الى اليوم الاخير من الايام التي لبث فيها معه * وهذا العمل فيجب علينا ان نعمله . ولا نشهر خطايا الموجودين معنا . ولو كانت حالهم حال مَن قد خاب من البرء * لان هذا الشقي لما جاء بعد ذلك ليدفعه الى اليهود . قبَّلهُ قبلةً . واقتبل منهُ فعلاً هذا مبلغ تاثيرهِ . وبرز الى ما هو اصعب من ذلك بمقدار كثير . الى الصلب بعينهِ . الى الموت ذي التعيير . واوضح هنالك ايضًا تعطفه هذا بعينهِ * وسمّى الحادث ههنا مجدًا * معلّمًا ايانا ان ليس حادثًا بهذه الصفة مستقبحًا . وللتعيير موجبًا . ليس يجعل مَن يمارسهُ بهيًا . اذا كان يتكبدهُ بغرض يرضي الله * وبعد ان خرج يهوذا الى تسليمهِ قال . (٣١) ،، الان قد مُجِّد ابن الانسان * " بهذه اللفظة انهض افكار تلاميذهِ بعد سقوطها * وحقق لهم ليس الاّ يكتئبوا فقط . لكنه حقق لهم مع ذلك ان يفرحوا . ولهذا السبب انتهر بطرس فيما سلف * لان مجدًا عظيمًا ان يقهر الموت بحصولهِ في الموت * وهذا هو القول الذي قاله من اجل ذاتهِ ،، اذا ارتفعت عرفتم حينئذٍ انني انا هو * " (يوحنا ص ١٢ ع ٣٢) وقوله ايضًا ،، حلّوا هذا الهيكل * " (يوحنا ص ٢ ع ١٩) وايضًا ،، فما يدفع لكم آية . سوى آية يونان * " (لوقا ص ١١ ع ٢٩) وكيف لا يكون مجدًا عظيمًا . اقتدارهُ بعد موتهِ على افعالٍ اعظم من التي اجترحها قبل موتهِ : لان لكيما يُصدَّق قيامتهُ عمل تلاميذهُ اعظم من اعمالهِ * فلو انه ما كان حيًا . ولا كان الهًا . كيف عمل تلاميذهُ هؤلاءِ باسمهِ اعمالاً هذا مقدار عظمها : (٣٢) ،، والله يمجدهُ * " فان قلت . وما هو

سيمجدهُ الله في ذاتهِ : اجيبك . سيمجدهُ بذاتهِ ليس بآخر غيرهِ * .. وفي الحين سيمجدهُ * " اي مع صلبهِ * لانهُ قال ما يتمادى الى زمانٍ كثيرٍ . ولا ينتظر وقتاً طويلاً لقيامتهِ . ولا يظهر حينئذٍ بهياً . لكن في حين صلبهِ بعينهِ تظهر البدايع البهية المنيرة . لان الشمس ارتجعت . الصخور تشققت . ستر الهيكل تمزق . اجسام كثيرة من القديسين الراقدين أقيمت . وقبرهُ حوى سمات خواتيمهِ . وحراس جلوس حولهُ . بعد وضع الحجر على جسدهِ . قام جسدهُ منهُ * واذ عبرت اربعون يوماً . والى تلاميذهُ عطية الروح * فانذروا بهِ في الحين كلهم * فهذا هو سيمجدهُ في ذاتهِ * وفي الحين سيمجدهُ . ليس بملايكة . ولا برؤساء ملكية . ولا بمقدرة اخرى . لكنهُ سيمجدهُ بذاتهِ * فان سالت وكيف مجدهُ بذاتهِ : اجيبك . ان عمل الاعمال كلها المودية الى مجد ابيهِ * على ان الابن عمل الاعمال كلها * أرأيت ان البدايع الكائنة منهُ يعليها الى ابيهِ : (٣٣) .. يا اولادي انما انا معكم ايضاً مدةً يسيرة * " ومثلما قلت لليهود .. ستطلبونني . وما تجدونني . والى اينما انطلق انا . ما تقدرون انتم ان تجيئوا . اقول لكم الان * " ابتدى فيما بعد بالاقوال الحازنة بعد العشاء . لان حين خرج يودس ما كان مساءً . لكنهُ كان ليلاً . لانهم اذا ازمعوا بعد حين يسير تلمّ ان بهم المصاعب . وجب ان يستودعهم اقواله كلها . حتى يستقنوها في حاسة ذكرهم * والبق ما يقال . ان الروح اذكرهم بها كلها * لان قد كان لايقاً بهم من جهة انهم قد سمعوا منهُ فيما سلف اقوالاً كثيرة . ان يتناسوها . اذا ازمعوا ان يصابروا محناً هذا التاثير تاثيرها . لان الذين انهبطوا الى النوم . (على ما ذكر بشير آخر .) واستحوز عليهم الاكتياب * (على ما قال هو لهم .. فلانني قلت لكم هذه الاقوال . قد ملأ الغم قلبكم * ..) (يوحنا ص ١٦ ع ٦) كيف كانوا قد تمسكوا بهذه الاقوال كلها تمسكاً بليغاً : فان قلت وما معنى قوله هذه الاقوال لهم : اجيبك . ما صارت لهم فايدة يسيرة عند معرفتهم مجد المسيح معرفة بليغة . اذا تذكروا بعد ذلك انهم كانوا سمعوا قديماً من المسيح هذه الاقوال * فان قلت . فلمَ تقدم فطرح هذا القول في نفسهم . اذ قال .. انما انا معكم مدةً يسيرة ايضاً * " وقد يليق ان يقولوا لهُ انك قد قلت هذه الاقوال لليهود على جهة الواجب . فلمَ تقولها لنا : افتسوقنا نحن مساقاً عديلاً لاولئك الزايل حفاظهم : وما نظن ذلك بجهةٍ من الجهات * ولمَ قلتَ لنا نحو ما قلت لليهود : فيكون جوابهم قد اذكرتكم . انني ما قلتُ لكم الان هذه الاقوال من حضور الشدايد . لكنني قد تقدمتُ فعرفتُ هذه الحوادث منذ

اعلى الزمان * وانتم الذين سمعتم قولي شهود لي. انني قد قلتُ هذه الاقوال لليهود * ولذلك استثنى بقولهِ يا اولاد. لكي اذا سمعوا مثلما قلتُ لليهود. لايظنوا ان القول الذي قاله لهم. نظير ما قاله لاوليك * كانه قال ما قلت هذه الاقوال لتلاميذي مطرحاً اياهم. لكنني قلتها مسلياً اياهم. لكيلا ندهمهم الشدايد. ويكونون قد عدموا انتظارها. فتزعجهم * ،، الى اينما اذهب انا. ليس يمكنكم انتم ان تجيئوا * ،، فاراهم ان مونه هو نقلة فاضلة الى مكانٍ ليس قابلاً اجساماً بالية * هذه الاقوال قالها منهضاً شوقهم اليهِ. جاعلاً اياهم اشدّ استعراراً * لانكم قد عرفتم اننا متى ما رأينا من الذين نحبهم حباً شديداً اقواماً منصرفين. يستعرّ شوقنا اليهم اكثر استعراراً * ومثل ذلك ينالنا اذا رأيناهم سائرين الى موضع لايمكننا المضي اليهِ * فقال هذه الاقوال لاوليك مريعاً اياهم. وقال لهولاء مشعلاً شوقهم * فالمكان هو هذه الخاصة خاصتهُ. ليس يناسبهُ الاّ يمكن اوليك فقط ان يصلوا اليهِ. لكن ولا نحن المحبوبين حباً شديداً. تقتدر ان نجي اليهِ * فههنا اوضح الرتبة التي لهُ * ،، واقول لكم الان * ،، فان سالت ولم ذكر الان: اجابك. انهُ قال لاوليك لمعنى آخر. واقول لكم لمعنى غيرهِ * وهذا هو انني ما قلت لكم مع اوليك * فان قلت اين طلبت اليهود واين طلبت تلاميذهُ: اجبتك ان تلامذهُ طلبوهُ حين هربوا * واليهود طلبوهُ حين قاسوا الشدايد المعضلة والمجاوزة كل وصف. لما فتحت مدينتهم وتقاطر السخط المسيَّر من الله من كل جهةٍ عليهم * فقال لاوليك حينيذٍ لاجل زوال تصديقهم * وقال ،، انني اقول لكم الان * ،، لكيلا تحصلوا في الشدايد. وتكونون قد عدمتم انتظارها * (٣٤) ،، وصية جديدةً اعطيكم * ،، لان اذ كان لايقاً ان يسقطوا في ارتجاف. اذا سمعوا هذه الحوادث. كانهم مزمعون ان يكونوا متفرين. سلاهم. والبسهم حياطته. وهي المحبة. قرمة الافعال الصالحة كلها * كانهُ قال لهم. قد انجمتم لذهابي من عندكم: الاّ انكم ان احبّ بعضكم بعضاً. ستكونون اقوى من الاشياء كلها * فان قلت وكيف ما قال لهم هذا القول: اجبتك لكنهُ قد نفعهم في قولٍ افضل من هذا * (٣٥) ،، في هذا الوجه يعرف الكل انكم انتم تلاميذ لي * ،، بهذا القول بيّن لهم معاً ان صفهم ليس يخمد نورهُ. حين اعطاهم علامة التعريف بذلك * هذا القول قالهُ لهم. حين انفصل دافعهُ منهم * فان قلت فكيف دعا هذه وصيةً جديدةً. وهي موضوعة في العهد العتيق: اجبتك. انهُ هو صيّرها جديدةً في غريزتها * واستثنى بقولهِ ،، مثلما احببتكم انا * ،، لانني ما قضيتكم ديناً لمحامد كانت لكم

احكمتموها . لكنني انا ابتدأت بهذا الحبّ * فعلى هذا المثال يجب عليكم انتم . ان تحسنوا الى الذين يحبونكم حبًا شديدًا . ولا تكونوا غرماء لهم بذلك . واهمل الذين يذكر لهم العجايب التي استانفوا ان يعملوها . وصوّرهم الحبّ * وان سالت . وما غرضهُ في ذلك : اجبتك . لان هذا الحبّ اكثر من كل فضيلة . هو الذي يوضح الناس قديسين * لانهُ هو سبب كل فضيلةٍ . وبهِ اكثر من كل فعلٍ نخلص كلنا * لان هذا الحبّ هو زرع يوجد تلميذًا * على هذه الطريقة يدحكم الناس كلهم . اذا ابصروكم متشابهين حبي * فان قلت . وما رأيك : فالعجايب ما تظهر هذا الحبّ اظهارًا اليق واوجب : اجبتك . ما تظهرهُ بجهةٍ من الجهات * لانهُ قال " كثيرون يقولون لي . يا ربنا أَلسنا باسمك اخرجنا شياطين : " وايضًا لما فرح تلاميذهُ بان الشياطين نطيعهم . قال لهم .. لا تفرحوا بان الشياطين تطيعكم . لكن افرحوا بان اسماءكم قد كُتبت في السموات * " (لوقاص ١٠ ع ٢٠) على ان اجتراح العجايب اقتاد اهل المسكونة الى الايمان * اذ الحب كان قبل هذا * فان لم يكن الحب موجودًا . فليس يثبت اجتراح عجايب * فهذا الحبّ صيّرهم في الحين جيادًا صالحين * وهو ان يوجد القلب والنفس لكلهم واحد * فمتى انفصل بعضهم من بعضٍ . فقد هلكت محامدهم كلها *

العظة الثانية والسبعون

في الحبّ * وفي العيشة المكينة في الفضيلة . وما يشابهها *

فهذه الاقوال ما قالها لاوليك وحدهم . لكنهُ قالها لجميع الذين استانفوا ان يومنوا بهِ * اذ الان ليس يوجد فعل آخر يشكك اليونانيين . اكثر من ان لا يوجد لنا حبٌّ * فان قلت وقد يشكون منا اننا ما يتكوّن منا ايات * اجبتك . لكن ليس عزمهم هذا العزم * فان قلت واين اظهر الرسل حبّهم : اجبتك . ابصر بطرس ويوحنا متفقين اتفاقًا قد عدم بهِ احدهما ان ينفصل عن صاحبهِ في صعودهما الى الهيكل * وابصر بولس حالهُ هذا الحال معهما * لانهم ان كانوا قد استقنوا الفضائل الاخر : فاولى بهم واليق ان يكونوا قد امتلكوا أُمّ الاعمال الصالحة * لان هذا الحب انما يفرع من نفس مكينة في فضيلتها * وايثما يوجد الخبث تجف غرسة الحبّ * لان اجتناب الشريعة اذا كثر يقشب حبّ الكثيرين * واليونانيون فعلى تمثيل حالهم لن تقتادهم الايات . مثلما تقتادهم عيشتنا * فعلى تمثيل

حالها لن يجعلها جاعل موجودة. مثلما يجعلها الحب * لان اليونانيين طالما دعوا عاملي الامانات مضلين *
والعيشة النقية ليس ينساغ لهم ان يعيبوها * فحين لم تكن الدعوى الى الايمان قد انبثت بعد. كانت
الامانات على جهة الواجب مستجيبة * فالان سبيلنا ان نستعجب من عيشتنا. لان اليونانيين على
تثبل حالهم ليس يخجلهم شيء. مثلما تخجلهم فضيلتنا * ولا يشككهم شيء. مثلما تشككهم رذيلتنا * لانهم اذا
ابصروا من قد اوعز اليهم ان يحبوا اعداءهم. متغطرسا خاطفا ما ليس له. امرا باضداد افعاله.
مستعملا رفقته كوحوش. يقولون ان الاقوال التي يقولها هذيان * واذا راوه مرتعدا من الموت:
كيف يقبلون اقواله في زوال الموت: اذا ابصروه محبا للرياسة. متعبدا لاسقام هواه الاخرى.
يثبتون في اعتقاداتهم ابلغ ثباتا. وما يتصورون فينا وهما عظيما * لاننا نحن هم علل لثبوت اوليك في
ضلالتهم * لانهم قد استهجنوا قديما اراء الذين عندهم * وعلى شبه ذلك قد استعجبوا اراء ديننا * الا
ان عيشتنا المذمومة تمنعهم * لان التفلسف بالاقوال متيسر * لان الناس الكثيرين عندهم قد احكموا
ذلك * وانما يلتمسون اظهار التفلسف بالافعال * فان قلت. فليتفطنوا في الناس الافاضل القدماء
عندنا * اجبتك. انهم ما يصدقون ما تحكيه لهم عن اوليك * لكنهم يلتمسون تهذيب عيشة الاحياء
الان * لان احدهم يقول أرني امانتك باعمالك * اذا نهشنا املاكنا رفقائنا اكثر من الوحوش الناهشين.
يسموننا فساد المسكونة * بافعالنا هذه تضبط اليونانيون * وما تفسح لهم ان ينتقلوا الى ديننا * فمن هذه
الجهة نقابل نحن عن هذه الافعال مقابلة عدلة * ليس من اجل الاعمال التي قد عملناها فقط اسوء
عملا. لكن من اجل الافعال التي لاجلها يفترى على اسم الهنا * الى متى نكون متعبدين للاموال.
والنعيم. ولاسقام هوانا الاخرى: فلننتزح فيما بعد عن هذا الاستهلاك * اسمع ما قاله النبي في
وصف اقوام فاقدي الفهم "سبيلنا ان ناكل ونشرب. فاننا سنموت غدا *" (اشعيا ص ٢٢
ع ١٣) وليس ينساغ لنا ان نقول في وصف الحاضرين هذا القول * فعلى هذه الجهة يشتملون
الاكثرون منا باملاك الكل * فلهذا السبب قال النبي معيرا اياهم .. أالعلكم وحدكم تقطنون
الارض: " (اشعيا ص ٥ ع ٨) فلهذا السبب ارتاع الا يتكون منا فعل مستصعب منكر. فتستصعب
العقوبة من الله كثيرة * فلكيلا يتكون ذلك * ينبغي لنا ان نستصحب الفضيلة كلها * ليتفق لنا امتلاك
النعم الصالحة المستانفة. بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه. الذي به ومعه لابيه مع الروح القدس

المجد . الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الثالثة والسبعون

في قوله (٣٧) فقال سمعون بطرس الى اين تذهب يارب : اجابهُ يسوع ما تقدر الان ان تتبعني الى المكان الذي انا اذهب اليهِ . واخيرًا ستتبعني فيما بعد *

ان الحب العظيم اشدُّ من النار بعينها * ويصاعدنا الى السماء بعينها * وليس يوجد مانع يقدر ان يضبط نهضتهُ الشديدة * لان بطرس المستحرّ شوقهُ . لما سمع ،، الى اينما اذهب انا ما تقدرون انتم ان تجيئوا . " قال ،، يارب الى اين تذهب : " فقال هذا القول على تمثيل حالهِ . ليس مريدًا ان يعرف الى اين يمضي . مثلما كان مشتهيًا ان يتبعهُ : وما اجترى عاجلاً ان يقول ظاهرًا . انني اجيء معك . فقال ،، الى اين تذهب : " فاجابهُ المسيح ليس نحو اقوالهِ . لكنهُ اجابه نحو سريرتهِ * لانه التمس هذا الجواب * والدليل على انه اراد هذا المراد . فواضح باقوالهِ التي قالها المسيح لهُ * لانه قال لهُ ،، ما تقدر الان ان تتبعني الى الموضع الذي اذهب اليهِ انا * " ارايتَ انه انما اشتاق الى ان يتبعهُ : ولهذا السبب سال * فلما سمع انك ،، ستتبعني اخيرًا . " ما ضبط شوقهُ . ولا على هذه الجهة * على انهُ قد تسلَّم امالاً صالحة * لكنه اسرع هذا الاسراع . الذي اوصلهُ الى ان قال . (٣٨) ،، ما يمكنني الان ان اتبعك : نفسي ابذلها من اجلك * " لانه لما تقض عنه الخوف من تسليمهِ . واستبان موجودًا من الاحبّاء الخالصين . ساله هو بدالةٍ مجاهرةٍ فيما بعدُ . والتلاميذ الاخرون صامتون * وانا اخاطبهُ . ماذا تقول يابطرس : قد قال هو ما تقدر ان تتبعني ، افتقول انت انني اقدر ان اتبعك : ستعلم بالخبرة بعينها ان محبتك ليست هي شيًا . اذا لم تكن المعونة من العلو حاضرة معها * فمن هذه الجهة استبان واضحًا . ان تلك السقطة سَمَحَ بها ان تصيبه . مشفقًا عليهِ * لانه شاء ان يودبهُ في اقوالهِ الاولى * فاذ لبث في صلابة عزمهِ ما القاهُ هو . ولا دفعهُ الى جحودهِ . بل اهمله مقفرًا . حتى يعرف ضعفهُ * قال في الاول انه ينبغي لهُ ان يُسلَّم . فقال ،، حاشاك ما يكون هذا المصاب حالاً بك * " (متى ص ١٦ ع ٢٢) فانتهر وما تادب * الاّ انه ايضًا لما اراد المسيح ان يغسل رجليهِ قال ،، ما تعمل هذا العمل الى الدهر * ،، فلما سمع ايضًا ،، ما

تقتدر الان ان تتبعني . " قال " ولو جحدوك كلهم فانا لست اجحدك * " فاذ كان واجباً ان يخطف عنهُ نهجمهُ * لماذا ان يرادد سيدهُ . أدّبهُ فيما بعد الاّ يقاومهُ * وهذا المعنى قد ذكرهُ لوقا ذكراً غامضاً وقال انهُ قال لهُ " وانا قد طلبت من اجلك . لكيلا تفنى امانتك * " (لوقا ص ٢٢ ع ٣٢) ومعنى ذلك هو . ليلا تهلك الى الغاية * معلّماً اياهُ تواضع العزم بهذه الافعال كلها . موبخاً الطبيعة الانسانية انها ليست هي على انفرادها شيأً * لانهُ لما صيّرهُ حبهُ الكثير مرادداً . ردعه فيما بعد . لكيلا يصيبه هذا المصاب في افعاله بعد ذلك . اذا تقلد سياسة المسكونة * لكن حتى اذا تذكر ما اصابهُ يعرف ذاتهُ * انظر الى شدة سقطتهِ * لانهُ ما صابهُ هذا المصاب دفعة ودفعتين . لكنه تحير هذا التحير الذي اوصلهُ الى ان يقول في وقتٍ يسير ثلث دفعاتٍ لفظا الجحود * لكي تعلم انهُ على تثبيل حالهِ . ما احبّ مثلما أحِبّ * الاّ ان سيدنا مع ذلك قال لمن سقط هذا السقوط المنكر . اتحبني اكثر من هولاء : " فهذا الجحود تكوّن ليس من قشب حبهِ * لكنه تكوّن من تعرينهِ من المعونة التي من فوق * ولعمري انه اقتبل حبّ بطرس * الاّ انهُ قطع المراددة المتولدة منه * لانك ان كنت تحب . فيجب عليك ان تقبل من حبيبك وتخضع لهُ * قال ليس ممكناً لك وللذين معك ان يتبعوني الان فلمَ ترادد : اما تعرف ما هي مراددة الملك : واذ لم تشاء ان تعرف في هذا الوجه . انه ليس يمكن الاّ يكون ما اقولهُ : ستعرف ذلك في جحودك * لان على ان هذا الجحود قد استبان عندك وجودهُ حينئذٍ فيك . مسلوباً ان يكون مُصدَّقاً * لان هذا الجحود لعمري ما عرفته * الاّ ان معرفة المراددة ملكتها في نفسك * ولكن ما لم تتوقعه تكوّن فيك * " نفسي ابذلها من اجلك * " لانه لما سمع ان اعظم من هذا الحب لن يمتلك احدٌ . طفر في الحين اليهِ . اذ كان قد عدم الشبع منه . مريداً ان يصل الى غايتهِ * الاّ ان المسيح اراد ان لهُ ينساغ ان يَعِد بهذه الافعال بتامرٍ * وقال . (٣٩) " قبل ان يصيح الديك * " يعنى الان * لان مسافة الوقت ما كانت طويلة * لانه خاطبهم في النصف من الليل . وقد كان عبر الحرس الاول والثاني من الليل * (الاصحاح الرابع عشر) (١) " لا يرتجفنّ القلب منكم * " لان واجباً كان ان يرتجفوا عند استماعهم هذه الاقوال . ولئن كان الهامة المتفوق بهذه الصفة في حبهِ . جحدهُ قبل صياح الديك ثلث دفعاتٍ . فلايقاً كان بهم ان انتظاراً عظيماً وارتجافاً استحوذ عليهم . كان فيهِ كفاية ان يطحن نفوس الماشية ۞ واذ كانوا يفتكرون هذه الافكار . قد

كان لائقًا بهم ان يثبتهم * وانظر كيف عزّاهم بقوله .. لا يرتجفنّ القلب منكم * " اذ اوضح لهم بهذا اللفظ الاول قدرة لاهوته . لان الافكار التي حازوها في نفسهم . هذه عرفها واوردها الى وسط كلامه * .. آمنوا بالله . وآمنوا بي * " ومعنى هذا هو يجب ان تعبر هذه الشدايد كلها * لان الامانة بي وبوالدي . هي اقوى اقتدارًا من النوائب الواردة * وما تهمل صنفًا من المصاعب ان تستظهر عليكم * ثم قال (٢) .. في منزل ابي مساكن كثيرة * " على حدو ما سكّن بطرس حين كان حزينًا . بقوله .. ستتبعني فيما بعد . " على حدو ذلك بيّن لهولاء هذا الامل . لان حتى لا يظنوا ان لذلك وحده اعطى الوعد بذلك . قال .. في منزل ابي توجد مساكن كثيرة * ولولا ذلك لقلتُ لكم . امضي اعدّ لكم موضعًا * " ومعنى ذلك هو ان ذاك المكان الذي يقبل بطرس يقبلكم ايضًا * لان هنالك سعةً من المنازل كثيرة * وما يتساغ ان يقال انه يحتاج الى تسويم * لانهُ لما قال لهم . ما تقدرون الان ان تتبعوني . فليلا يتوهموا انهُ قد حسم الى الغاية اتباعهم اياهُ . استثنى بهذا القول * (٣) .. لكيما حيثما اوجد انا توجدون انتم هنالك * .. فقد حرصتُ من اجل هذا الحفظ حرصًا جزيلاً تقديرهُ * لانني قد كنت اسومهُ الان . لولا انني قد اعددتهُ لكم قديمًا * موضحًا انهُ ينبغي لهم ان يثقوا و يبقنوا بذلك . ويرتجونهُ جداً * ثم لكيلا يظنوهُ يخاطبهم خطاب مَن يسليهم ويلطف بهم . لكي يصدقوا ان خطابهُ هذا هو الحق بعينهِ . استثنى فقال . (٤) .. وقد عرفتم اين امضي . وقد عرفتم الطريق * " لانهُ اعطاهم برهانًا لهذه الاقوال . انها ما قيلت على بسيط ذاتها * هذا القول قالهُ . اذ كان قد عرف نفسهم طالبة فيما بعد ان تعرف هذا المطلوب * ولعمري ان بطرس قال ما قالهُ ليس ليعرف الى اين يمضي . لكنهُ قالهُ لكي يتبعهُ * فلما انتهر ذاك . والوعد الذي توهمهُ بطرس يوجد ممتنعًا . حققه ربنا ممكنًا * لان ظهورهُ ممتنعًا عندهُ . اقتادهُ الى اشتهاء ان يعرفه معرفة بليغة * فلهذا السبب قال .. وقد عرفتم الطريق * " لانهُ على نحو ما قال لبطرس ستجحدني . وما قال قد كان شيء ولا لفظة واحدة . واذ استخص ما في قلوبهم قال .. لا ترتجفوا . " فعلى نحو ذلك لما قال ههنا انكم قد عرفتم الطريق . اوضح بذلك الشهوة التي في سريرتهم . وخوفهم هو سببًا لسوالهم اياهُ * ولفظة اين تذهب : قالها بطرس من اخلاص ودّهِ . وقالها توما من جبانتهِ * (٥) .. يارب ما قد عرفنا اين تذهب * .. فقال ما قد عرفنا المكان . فكيف نعرف الطريق المودية الى ما

هنالك : وانظر باي تورعٍ يتكلم : لانهُ ما قال قُل لنا الموضع*لكنهُ قال. ما نعرف اين تذهب* لان هذا القول قد اوجعهم كلهم قديمًا *ولئن كانت اليهود لما سمعوا هذا القول تحيروا . على انهم كانوا موثرين ان يتخلصوا منهُ . فاوجب واليق بالذين ما ارادوا في وقتٍ من الاوقات ان يفارقوهُ . انهم ارادوا ان يعرفوا ذلك . الاَّ انهم خشوا ان يسالوهُ*ومع ذلك فقد سالوهُ من وفور شوقهم اليهِ وتلهفهم*فقال لهم الرب . (٦) "انا هو الطريق والحق والحياة*ليس يقتدر احد ان يجيء الى ابي الاَّ بي* " فان سالتَ فما غرضهُ اذ سالهُ بطرس اين يذهب . ما قال لهُ في الحين انا منطلق الى عند ابي . وانتم فما تقدرون الان ان تجيئوا اليهِ . لكنهُ اورد دورًا من اقوال جزيل تقديرها . ونظم مسائل واجوبة : لان على جهة الواجب ما قال ذلك لليهود . فلمَ ما قال لتلاميذه هولاء : فقد قال لهولاء ولليهود . انهُ من الله خرج والى الله يذهب*وقال هذا القول ابين مما قالهُ اولاً*لكنه على جهة الواجب ما قاله لليهود . لانه لو كان قال لهم انكم ما تستطيعون ان تجيئوا الى ابي . لكانوا في الحين استشعروا ذلك صلفًا* فاذ اخفى ذلك الان . القاهم في جهاد * فلمَ قال لتلاميذهِ هذا القول ولبطرس : قد عرف نشاطهُ كثيرًا . وانهُ لهذا السبب يكرر سوالهُ . ليستصحبهُ الى هنالك*اجبناك لما احكم ما ارادهُ باغماض كلامهِ وبكتمان قولهِ . كشفَ كلامهُ ايضًا* لانهُ لما قال الى اينما اذهب انا ما يمكنكم ان تجيئوا اليهِ . استثنى بقولهِ في بيت ابي توجد مساكن كثيرة*وليس احد يقدر ان يجيء الى ابي . الاَّ بي* هذا القول ما اراد ان يقولهُ لهم من ابتداء حصولهِ معهم . لكيلا يلقيهم في اكتئاب اكثر* فلما سكَّن هلعهم . حينئذٍ قال لهم* لان من نهيهِ بطرس قطع اكثر نشاطهم*لانهم حصلوا في خوف . الاَّ يسمعوا تلك الاقوال باعيانها . وانقبضوا اكثر* "انا هو الطريق * " ومعنى ذلك هو انكم بي تجيئون الى ابي * ولفظة "انا الحق والحياة ." لاني اكون هذين الصنفين على كل حال*لان ليس مني كذبًا * ومعنى انهُ حياة . ان ولا الموت بعينهِ يقتدر ان يمنعكم عن المجيء الى ابي*لانني ان كنت انا الطريق . فما تحتاجون مرشدًا * وان كنتُ انا الحق . فليست الاقوال التي قلتها كذبًا * وان كنت انا حياة . فلو متم فستحصل لكم النعم التي ذكرتها لكم * ولعمري ان معنى الطريق قد فهموهُ واعترفوا بهِ . الاَّ انهم قد جهلوا باقي اقوالهِ . وما اجتروا ان يذكروا لهُ ما جهلوهُ *الاَّ انهم استمدوا التعزية من الطريق كثيرة *لانهُ قال .

ان كنت انا اوجد مالكًا اقتبادكم الى ابي . فستجيئون الى هنالك على كل حالٍ * لان ليس بوجد طريق اخرى للمجيء اليهِ * لما قال ليس يستطيع احدكم ان يجيء اليَّ ان لم يجذبهُ ابي. قال ايضا. اذا رُفعت انا من الارض . اجذبت انا الكل الى عندي * وان ليس يقدر احد ان يجيء الى ابي . الاَّ بي * بيَّنَ في كل مكان انهُ معادل ذاته بوالدهِ * فان قلتَ . فكيف لما قال وقد عرفتم الى اين اذهب انا . وقد عرفتم الطريق . استثنى بقولهِ (٧) " لو عرفتموني . لعرفتم اذًا ابي * وقد عرفتموهُ الان . ورايتموهُ * اجنباك . ما قال هذا القول مضادًا ذلك الكلام * لانهم عرفوهُ على تمثيل حالهم ليس كما يجب ان يعرفوهُ * لانهم قد عرفوهُ الهًا . وما عرفوا بعد انهُ ابوهُ * لانهم عرفوهُ فيما بعد لما ورد اليهم الروح . فاخترع فيهم المعرفة كلها * فما يقولهُ هذا هو معناهُ . ان عرفتم جوهري ورتبتي . فقد عرفتم ايضا جوهر ابي ورتبته * " وستعرفونهُ الان . وقد رايتموهُ * " فالصنف الواحد من المعرفة مناسب للمستانف * والصنف الآخر مناسب الحاضر * ومعنى ذلك هو بي تبصرونه * وذكر بصرًا اعتمد بهِ المعرفة التي في السريرة * لان البرايا المحوظة يمكننا ان نبصرها . وان نجهلها * والاشياء المعروفة . ما يمكننا ان نعرفها . وان نجهلها * فلهذا السبب قال " وقد رايتموهُ * " على حدو ما قال الرسول " انهُ ظهر للمليكة * " على انهُ ما ظهر لهم جوهرهُ بعينهِ * الاَّ انه مع ذلك قد قال انهُ ظهر لهم . على حدو ما كان ممكنًا لاوليك ان يبصروهُ * موضحًا ان مَن قد ابصرهُ . فقد ابصر والدهُ * فابصروهُ ليس في جوهرهِ مجردًا . لكنهم ابصروهُ مشتملاً لحمهُ * لان من عادتهِ في مكانٍ آخر ان يسمي البصر معرفة * على نحو ما اذا قال " مغبوطون الانقياء في قلوبهم . فانهم يبصرون الله * " (متى ص ٥ ع ٨) فذكر انقياء ليس المتخلصين من الزنا . بل من الخطايا كلها * لان كل خطية نجترمها تحصل في نفسنا وسخًا

العظة الثالثة والسبعون

في الصدقة * وان الافضل الاَّ نرحم ولا نتصدق . اجود من ان نتصدق من ظلم * واننا يجب علينا ان نتحرف عن العمل الردي وبعد ذلك نعمل العمل الجيد * وان مشاركتنا اسرار القربان بايدي غير مغسولة تضجيع في التورع *

فينبغي ان نعمل كل ما يمكننا حتى نغسل وسخنا * فنغسلهُ اولاً حميم المعمودية * ونغسلهُ بعد ذلك طرق آخر كثيرة مختلفة اصنافها * لان الهنا لم يزل متعطفاً علينا * اعطانا بعد حميم المعمودية طرقاً للتخلص من اوساخنا مختلفة صنوفها . فاولها كلها هي طريقٌ بالصدقة * فقد قال " انما تنقض الخطايا بالصدقات . ومحامد الامانة * " (سيراخ ص ٣ ع ١٩) وانما اقول صدقة ليس التي تكون من ظلم * لان هذا الفعل ليس هو صدقة . لكنهُ قساوة وتبرير من الانسانية * لان ما المنفعة الكائنة من ان تعري آخر . وتكسو غيرهُ . فهذا الفعل سبيلهُ ان يبتدي من الرحمة * وهذا الظلم تبرية من الانسانية . لاننا لو اعطينا كافة الاشياء التي ناخذها من آخرين للمساكين . فلن يحصل لنا منها ربحٌ * وبيّنَ ما ذكرتهُ زكى الذي قال حينئذٍ لما استغفر الهنا " انهُ يعطي اربعة اضعاف ما استلبهُ من آخرين * " (لوقا ص ١٩ ع ٨) فنحن نخطف اشياء جزيلاً عددها . ونعطي الفقراء اشياء قليلة . ونظن اننا نجعل الله غافراً لنا . على اننا بذلك نغيظهُ اكثر * لان قُل لي . ان سحبت حماراً ميتاً مهترياً من طريق موصوفة بنتن جهاتها ومن الدروب . وجئت بهِ الى المذبح . اما كان جميع الحاضرين يرجمونك بالحجارة . من جهة صيرورتك عندهم دنساً ; فما احتجاجك اذا اعلمت لك ان الضحية من خطف وظلم . انجس من هذا الحمار المنتن * اي احتجاجٍ نتملكهُ ; فلنضع صنفاً من الاواني الجليلة يعمل من خطف . انما هذا الاناء انتن من حمارٍ ميت ; انشاء ان تعرف كم مبلغ نتن الخطية ; اسمع النبي القائل " قد نتنت جراحاتي . ونقيحت * " (مزمور ٣٧ ع ٥) فانت باقوالك تتوسل الى الله ان ينسى الاعمال الردية التي اقترفتها * وانت بالاعمال التي تعملها خاطفاً ما ليس لك . اذا وضعتَ خطيئتك على المذبح . تُصيّرها ان تذكر دائماً * فالان ليس هذا الفعل وحدهُ هو الخطاء . لكن الاصعب من هذا انك تدنس نفوس القديسين . فهذا المذبح هو حجرٌ ويُقدَّس * وتلك النفوس حاملةٌ المسيح بعينهِ كل حين * افتجترئ ان ترسل الى هنالك من نجاسة هذا تقديرها ; فان قلتَ لستُ اسعفهم بهذه الاموال بعينها . لكن باموال غيرها * اجبتك اقوالك هذه ضحكة وهذيان * اما علمتَ انهُ متى سقطَت نقطةٌ من الظلم في كثرة اموال جزيلة تدنسها كلها ; وكما ان احد الناس اذا طرح في عين ماء صافية زبلاً . فقد جعلها كلها نجسة . فكذلك التغطرس . اذا دخل في ثروتنا . فيجعلها كلها نقيح من نتانته . ثم نغسل ايدينا عند دخولنا الى الكنيسة . افما نغسل قلبنا ايضاً ; ألعل ايدينا تبدي

صوتًا : انما نفسنا تبرز الفاظها · والهنا اليها ينظر ويتاملها* فما نحتاج الى صنف من طهارة جسمنا · اذا كانت نفسنا مدنسة *لان ما منفعتك اذا غسلت يديك من خارج : وحويت يديك من داخل نجستين : لان الفعل المنكر الذي يعكس كافة احوالنا هذا هو · اننا نتوقى الزلات الصغار · ونتهاون بالخطايا الكبار* وبيان ذلك . ان ابتهالنا بايادي قد عدمت ان تكون مغسولة · انما هو تضجيع في التحفظ* وابتهالنا بسريرة غير مغسولة . ذلك هو الغاية من الاعمال الردية كلها * ولهذا المعنى قال لليهود المتشاغلين عن تنظيف النجاسات التي هذه صفتها .. اغسل قلبك من رذيلته* " (ارميا ص٤ ع١٤) الى متى تكون فيك افكار اتعابك : فينبغي ان تغتسل ليس بحماة . لكن بماء صافٍ . بصدقتنا ليس باستغنامنا . فتخلَّص اولاً من اختلاس ما هو ليس لك · وبعد ذلك اظهر صدقتك* ينبغي .. ان تنحرف عن كل عمل ردي · ونعمل العمل الصالح . " (مزمور ٣٦ ع٢٧) اقف يديك من الاستغنام والتغطرس . وبعد ذلك قدّمهما الى الصدقة *فمتى ما عرّينا المساكين بايدينا · ولو البسناهم ليس الاصناف المستفادة من تلك الوجوه المذمومة . ولا هكذا ننفلت من العقوبة*لان سبب استغفارنا يصير لكل ذنب سببًا * لان اجتناب الرحمة . افضل من ان نرحم على هذه الجهة . فان قايين قد كان افضل لهُ الاَّ يقدّم بوجهٍ من الوجوه قربانًا * فان كان مَن قدَّم ما كان دنيًا حقيرًا اغاظ الله . فمَن يعطيه شيًا ليس لهُ كيف ما يسخطهُ : كانهُ قال لك . انا اقول لك . لا تخطف ما ليس لك . افتكرمني انت ما قد اختلستهُ : ما ظنّك فيَّ : أتتوهم اني التذُّ بهذه القرابين : فسيقول لك .. لقد ظننتَ ظنًّا زايغًا عن شريعتي . انني اكون شبيهًا بك . ساوبخك واقيم خطاياك لدى وجهك * " (مزمور ٤٩ ع٢١) لكن لا كان لاحدٍ منا ان يسمع هذا الصوت *لكن اذا عملنا صدقاتٍ نقية . وامتلكنا مصابيحَ بهيَّة . ندخل على هذه الحال الى خدرهِ * بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفهِ . الذي لهُ المجد الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الرابعة والسبعون

في قولهِ (٨) فقال لهُ فيلبس . يارب أرنا الاب · ويكفينا * (٩) قال لهُ يسوع . يافيلبس انا معكم زمانًا هذا مبلغه · وما عرفتني : مَن ابصرني · فقد ابصر ابي*

لعمري ان النبي قد قال لليهود .. قد صار لك وجه ذانية * اذ قد توقحتِ مقابل جميع مَن خاطبكِ * " (ارميا ص٣ ع ٣) فعلى ما يليق بالقياس . ان ليس عدلاً ان تقال هذه الاقوال لتلك المدينة وحدها . لكن يليق بها ان تقال ايضاً للذين يعاندون الحق بوقاحاتهم * لان فيلبس لما قال للمسيح .. أرِنا اباك قال لهُ المسيح . يافيلبس انا معكم زماناً هذا مبلغهُ . وما عرفتني : " ومع هذا فقد يوجد اناس مع هذه الالفاظ . يفصلون الابن الازلي من والدهِ * على ان ايّة مقاربة تطلب اعظم من هذه : لان اناساً من هذه اللفظة يسقطون في سقم صابايوس * ولكننا نحن نهمل اولئك مع هولاء اهمال الذين تجاوزوا الشريعة بالسواء . وتامّل استقصاء الاقوال التي قيلت * " يافيلبس انا معكم زماناً هذا مبلغهُ . وما عرفتني : " لانهُ لو جاز ان يقول . فما المعنى : انت هو الاب الذي انا اطلبهُ : لاجابهُ لستُ انا الاب * ولهذا الغرض ما قال وما عرفتهُ . لكنهُ قال . وما عرفتني * ليس مظهراً بذلك معنى آخر . الاّ ان الابن ليس هو شيأً آخر . الاّ هذا الشيء الذي هو ابوهُ . اذا ثبت في وجودهِ ابنٌ * فان سالتَ . ومن اين افضى فيلبس الى هذا السوال : اجبتك قال المسيح .. لو عرفتموني . لعرفتم ابي * " (يوحنا ص ١٤ ع ٧) وقد قال هذا القول لليهود دفعاتٍ شتّى * فلما ساله بطرس دفعاتٍ كثيرة . واليهود ايضاً * مَن هو ابوك : وسالهُ توما * وما عرف ولا واحدٌ منهم جواباً واضحاً * لكنهم جهلوا ما قالهُ ايضاً * فلكيلا يتوهم فيلبس انهُ شبعان . وانه يزعجه بعد اليهود . سالهُ هو . اَرِنا اباك . واستثني بقولهِ . ويكفينا * ما نطلب اكثر من ذلك * على ان المسيح قد قال .. لو عرفتموني . لعرفتم ابي * " واوضح بذاته اباهُ * الاّ ان فيلبس عكس ترتيبهُ . وقال .. اَرِنا اباك * " كانه قد عرفهُ هو معرفة بليغة * ولكن المسيح ما احتمله . لكنهُ ثبتهُ في الطريق * اذ حقق عندهُ ان يعرف بهِ اباهُ * فهو لعمري اراد ان يبصرهُ بعيني جسمهِ هاتين * ولعلهُ سمع عن الانبياء . انهم ابصروا الله * الاّ ان تلك المناظر يافيلبس كانت مقاربة لهم وتحدر اليهم * ولهذا السبب قال المسيح .. الله ما ابصرهُ باصرٌ قط * " (يوحنا ص١ ع ١٨) وقال ايضاً .. كل مَن قد سمع من الله وعرف يجي اليَّ * " (يوحنا ص٦ ع ٤٠) .. وما سمعتم صوته . ولا ابصرتم صورتهُ * " (يوحنا ص ٥ ع ٣٧) وقد قال في العهد العتيق .. ليس يبصر احد وجهي ويحيى * " (خروج ص ٣٣ ع ٢٠) الاّ ان المسيح خاطبهُ على جهة الانتهار * يافيلبس انا معكم زماناً هذا مبلغه . وما عرفتني : وما قال . وما رايتني :

لكنه قال. وما عرفتني * ولعلهُ كان قد اجترى ان يقول لهُ. العلني اريد ان اعرفك: انما التمس الان ان ابصر اباك * أفتقول لي انت. وما عرفتني: فهذا القول اي نظام لهُ: فنجيبه نحن. انه يحوي نظاماً كثيراً * لانهُ اذ كان هو ما هو ابوهُ. ويبقى ابناً. فعلى جهة الواجب قد اراك في ذاته والدهُ * ثم اذ قسم الاقانيم قال .. مَن ابصرني فقد ابصر ابي * " فليلا يقول انهُ هو آب. وهو ابن * يجيبهُ انه لو كان هو الاب. لما كان قال .. مَن ابصرني فقد ابصر ابي * " فان قلت. فكيف ما قال لفيلبس. انما تسال عن اشياء ممتنعة ليست تناسب انساناً: لان هذا ممكن لي وحدي * اجبتك. لما قال ويكفينا. كانه عارف به. اراهُ انهُ ما قد رآهُ هو ايضاً * لانه قد كان عرف الاب. ان كان يقتدر ان يعرف الابن * ولذلك قال .. مَن ابصرني فقد ابصر ابي * " فالذي يقولهُ هذا هو معناهُ. انهُ ليس يوجد ممكناً ان يبصرني. ولا يقدر ان يبصر ابي. لان فيلبس انما طلب المعرفة بالبصر * ولما ظن انهُ قد ابصر الابن. اراد ان يبصر اباهُ على هذه الجهة. فبيَّن لهُ انهُ ولا قد ابصرهُ هو * فان قال قائل. انه قد دعى ههنا المعرفة بصراً * فلست اراددهُ. لانه قال. مَن عرفني فقد عرف ابي. الاَّ انه ما قال هذا القول. لكنه قال ما قالهُ مريداً ان يبيّن ان جوهرهُ جوهر ابيه. مَن قد عرف جوهري. فقد عرف جوهر ابي * ولقائل ان يقول وما هو هذا: فهل العارف الخليقة قد عرف الله: على اننا كلنا قد عرفنا الخليقة وابصرناها. وكلنا فما قد عرفنا الله * وبمعنىً آخر ينبغي ان نبصر ما يلتمس فيلبس ان يبصرهُ * هل قد التمس ان يبصر حكمة الاب: هل التمس ان يعرف صلاحهُ: لا ما التمس ذلك * لكنه التمس ان يعرف ما هو الله بعينه. اعني جوهرهُ بعينهِ * فنحو هذا السوال اجابهُ المسيح .. مَن ابصرني * " فمن قد ابصر الخليقة. ما قد عرف جوهر الله * قال مَن عرفني. فقد عرف ابي * فلو كان من جوهر آخر. لما كان قال هذه الاقوال * ولكي امارس كلاماً اكثف لفظاً. اذا جهل احدنا الذهب. فليس يقتدر ان يبصر في الفضة طبيعة الذهب * لان طبيعة اخرى ليس تستبين بطبيعة غيرها * فلهذا المعنى على جهة الصواب انتهرهُ. اذ قال .. انا معكم زماناً هذا مبلغهُ. وما عرفتني: " قد استمتعت بتعليم هذا المقدار الجزيل مقدارهُ * قد رائيتَ ايات بتامرٍ * والافعال التي كانت خواص لاهوتي التي يعلمها ابي وحدهُ. شاهدت خطايا محلولةً. واسرار بتجز التكلم بها مقودة الى وسط بيانها. وموتاً منصرفاً. وابداعاً متكوناً من ارضٍ. وما عرفتني: لانهُ اذ هو مشتمل لحمهُ. لهذا

السبب قال ،، وما عرفتني * " أعرفتَ ابي ; لا تطلبنّ ان تبصر اكثر من ذلك * لانك في ابي
ابصرتني * ان عرفتني . فلا تستفحص شيئًا * لانك فيّ قد عرفت ابي . (١٠) ،، أما تصدق انني انا في
ابي ; " ومعنى ذلك هو انني اظهر في ذلك الجوهر * الاقوال التي اقولها انا . لستُ اقولها من ذاتي
اعرفتَ افراط مقاربته . ووضع طبيعة واحدة للاهوت . وجوهر واحد ; فابي الثابت فيّ . هو يعمل
الاعمال . فان قلت كيف لما ابتدى من اقوال . جاء الى الافعال ; لان لايقًا كان ان يقول هو
يتكلم الاقوال . لكنهُ وضع ههنا صنفين من اجل تعليمه واياته * او يكون قال ذلك . اذ اقوالهُ كانت
افعالاً * فكيف هو يعمل ; على انهُ قد قال في موضع آخر . ان لم اعمل اعمال ابي . فلا تصدقوني ;
فكيف قال ههنا . ان اباهُ يعمل الاعمال ; اجبناك . انهُ موضح بذلك هذا المعنى بعينه . ان ليس
بين الاب وبينهُ فرق . فما يقولهُ هذا هو معناهُ . ليس معنى ذلك ان ابي عمل شيئًا على جهةٍ اخرى .
وعملت انا شيئًا على جهةٍ اخرى . وعملت انا شيئًا على جهةٍ غيرها * على انهُ في مكان آخر قد ذكر انهُ
يعمل هو وابوهُ . اذ قال ،، ابي الى الان يعمل . وانا اعمل * " موضحًا هنا لك زوال تخالف الاعمال *
وههنا ان فعلهما فعل واحد بعينه * ولئن كان تاليف القولين الظاهر يظهر تواضعًا . فلا تستعجب
ذلك * لانهُ قال في الاول . اما تصدق ; وبعد ذلك قال هذا القول . موضحًا انهُ شكّلَ الفاظهُ
على هذه الجهة . ليقتادهُ الى تصديقه * لانهُ غاص في قلوبهم * (١١) ،، صدِّقوا انني انا في ابي
وابي فيّ * " فواجب عليكم اذا سمعتم ابًا وابنًا . لا تطلبوا تثبيتًا آخر لمجانستهما في جوهرهما * فان
كان هذا ليس كافيًا عندكم لايضاح مساواتهما واتفاقهما في جوهرهما . فاعرفوا ذلك ولو من اعمالهما
ولفظة ،، مَن ابصرني . فقد ابصر ابي . " لو كانت قيلت من اجل اعمالهما . لما كان قال بعد ذلك
،، وان لم تصدقوا فمن اجل اعمالي صدقوني * ،، ثم اراهم انهُ ليس يقتدر على هذه الاعمال فقط . لكنه
يقتدر معها على اعمالٍ اعظم منها بمقدار كثير * ووضعها بافراطٍ في اعظامها * لانهُ ما قال ،، انني اقتدر
ان اعمل اعظم من هذه الاعمال . لكنهُ ذكر ما هو اعجب من ذلك بمقدار كثير . فقال . انهُ يقتدر ان
يخوّل آخرين ان يعملوا اعظم من هذه الاعمال . (١٢) ،، الحق الحق اقول لكم . ان مَن يومن بي
سيعمل الاعمال التي اعملها انا . وسيعمل اعظم منها * لانني انطلق الى عند ابي * " ومعنى ذلك هو لكم
يوجد ان تعملوا العجائب . لانني انا منطلق * ثم اذ استكمل ما ارتادهُ قولهُ . قال (١٣) ،، ما تسالوه

سالهم باسمي . ذلك اعمله . ليتمجد ابي فيَّ * " أرأيت كيف هو ايضاً يعمل هذا العمل . لانه قال اعمله لنا . وما قال لسائل ابي . لكنه قال ليتمجد ابي فيَّ * على انه قد قال في موضع غير هذا " الله يمجده في ذاته . " وقال ههنا . انه هو يمجد اباه . لان الابن الازلي اذا استبان مقتدراً على اعمال عظيمة يتمجد والده * فان قلت . ما معنى باسمي : اجبتك هو ما ذكره رسله * اذ قالوا " باسم يسوع المسيح . قم وامشِ * " لان الايات كلها التي اجترحوها هو فعلها * " وكانت يد الرب معهم (٤ : ١٤) " قال انا اعمله * " أرأيت نامره : هو عمل اعماله بآخرين . أفما يقتدر على الاعمال المفعولة به . لكنه يعملها مستمداً الفعل من ابيه . ومن يقول هذه الاقوال : فان سألت . فلم وضع هذا دفعة ثانية : اجبتك انما فعل ذلك محققاً كلامه . موضحاً ان الاقوال الاولى كانت اقوال تطاطؤ ومقاربة * ولفظة " انني منطلق الى ابي . " هذا هو معناها . لست اهلك . لكنني ثابت في رتبتي . وفي السموات اوجد * هذه الاقوال كلها قالها مسلياً اياهم . لانهم اذ كانوا لم يعرفوا الاقوال بعد في ذكر قيامته . قد كان واجباً ان يفتكروا افتكاراً محزناً * اذ اوعد آخرين انه يعطيهم هذه المواعيد وامثالها . متلافياً في كل مكان . واراهم انه يبقى دائماً * وليس يبقى فقط . لكنه سيريهم مع ذلك قدرته اعظم *

العظة الرابعة والسبعون

في ان الفضيلة هي ضحية روحانية * وان حب الفضة هو من الشرف الفارغ * وان شهواتنا هي ثلثة اصناف . اما طبيعية . واما اضطرارية . واما ليست واحدة منهما *

فلنتبع ربنا ونأخذ صليبه . وان لم يكن اضطهاد حاضراً * الا ان وقت موتنا الآخر حاضر * لان الرسول قد قال . " اميتوا اعضاءكم التي في الارض * " (كولوصايس ص ٣ ع ٥) فلنخمدنَّ شهوتنا . ولنقتلنَّ غضبنا . ولنميتنَّ حسدنا . فهذا الفعل هو ضحية حية * وهذه الضحية لن تنتهي الى رماد . ولا تنحل الى دخان . ولا تحتاج حطباً وناراً وسكيناً * لانها تملك الروح القدس ناراً وسكيناً * اذا استعملت هذه السكين . فاقطع من قلبك ما كان زائداً غريباً . وافتح من سمعك حاسته المتمضنة * لان اسقامنا وشهواتنا الخبيثة . من عادتها ان تسد مدخل القول * لان شهوة الاموال اذا تمكنت . فما تتركنا ان نسمع القول في الصدقة * والحسد اذا وافانا . يحجز عنا التعليم في الحب * واذا اشتملنا سقم آخر .

فينبغي ان نعمل كل ما يمكننا حتى نغسل وسخنا *فيغسلهُ اولاً حميم المعمودية * ويغسلهُ بعد ذلك طرق آخر كثيرة مختلفة اصنافها *لان الهنا لم يزل متعطفاً علينا *اعطانا بعد حميم المعمودية طرقاً للتخلص من اوساخنا مختلفة صنوفها. فاولها كلها هي طريقٌ بالصدقة *فقد قال " انا تنقض الخطايا بالصدقات. ومحامد الامانة* " (سيراخ ص ٣ ع ١٩) وانما اقول صدقة ليس التي تكون من ظلم* لان هذا الفعل ليس هو صدقة. لكنهُ قساوة وتبربر من الانسانية * لان ما المنفعة الكائنة من ان تعري آخر. وتكسو غيرهُ. فهذا الفعل سبيلهُ ان يبتدي من الرحمة* وهذا الظلم تبرية من الانسانية. لاننا لو اعطينا كافة الاشياء التي ناخذها من آخرين للمساكين. فلن يحصل لنا منها ربحٌ *وبيّنَ ما ذكرتهُ زكّى الذي قال حينئذٍ لما استغفر الهنا "انهُ يعطي اربعة اضعاف ما استلبهُ من آخرين* " (لوقا ص ١٩ ع ٨) فنحن نخطف لشياء جزيلاً عددها. ونعطي الفقراء اشياء قليلة. ونظن اننا نجعل الله غافراً لنا. على اننا بذلك نغيظهُ اكثر*لان قُل لي. ان سحبت حماراً ميتاً مهترياً من طريق موصوفة بثلث جهاتها ومن الدروب. وجيْتَ بهِ الى المذبح. لما كان جميع الحاضرين يرجمونك بالحجارة. من جهة صيرورتك عندهم دنساً ; فما احتجاجك اذا اعلنت لك ان الضحية من خطف وظلم. انجس من هذا الحمار المنتن *اي احتجاجٍ تمتلكهُ ; فلنضع صنفاً من الاواني الجليلة يعمل من خطف. انما هذا الاناء انتن من حمارٍ ميت ; انشاء ان تعرف كم مبالغ نتيج الخطية ; اسمع النبي القائل " قد نتنت جراحاتي. وتقيحت * " (مزمور ٣٧ ع ٥) فانت باقوالك تتوسل الى الله ان ينسى الاعمال الردية التي اقترفتها *وانت بالاعمال التي تعملها خاطفاً ما ليس لك. اذا وضعتَ خطيتك على المذبح. تُصيّرها ان تذكر دائماً *فالان ليس هذا الفعل وحدهُ هو الخطاء. لكن الاصعب من هذا انك تدنس نفوس القديسين. فهذا المذبح هو محجرٌ ويُقدّس * وتلك النفوس حاملةٌ المسيح بعينهِ كل حين * افتجتري ان ترسل الى هنالك من نجاسة هذا تقديرها ; فان قلتَ لستُ اسعفهم بهذه الاموال بعينها. لكن باموال غيرها *اجبتك اقوالك هذه ضحكة وهذيان* اما علمتَ انهُ متى سقطت نقطةٌ من الظلم في كثرة اموال جزيلة تدنسها كلها ; وكما ان احد الناس اذا طرح في عين ماء صافية زبلاً. فقد جعلها كلها نجسة. فكذلك التغطرس. اذا دخل في ثروتنا. فيجعلها كلها نتيجة من نتانته. ثم نغسل ايدينا عند دخولنا الى الكنيسة. افما نغسل قلبنا ايضاً ; ألعل ايدينا تبدي

صوتًا . انما نفسنا تبرز الفاظها . والهنا اليها ينظر ويتاملها * فما نحتاج الى صنف من طهارة جسمنا . اذا كانت نفسنا مدنسة * لان ما منفعتك اذا غسلت يديك من خارج . وحويت يديك من داخل نجستين . لان الفعل المنكر الذي يعكس كافة احوالنا هذا هو . اننا نتوقى الزلات الصغار . ونتهاون بالخطايا الكبار * وبيان ذلك . ان ابتهالنا بايادي قد عدمت ان تكون مغسولة . انما هو تضجيع في التحفظ * وابتهالنا بسريرة غير مغسولة . ذلك هو الغاية من الاعمال الردية كلها * ولهذا المعنى قال لليهود المتشاغلين عن تنظيف النجاسات التي هذه صفتها .. اغسل قلبك من رذيلته * " (ارميا ص ٤ ع ١٤) الى متى تكون فيك افكار اتعابك . فينبغي ان تغتسل ليس بحماة . لكن بماء صافٍ . بصدقتنا ليس باستغنامنا . فتخلّص اولاً من اختلاس ما هو ليس لك . وبعد ذلك اظهر صدقتك * ينبغي .. ان تنحرف عن كل عمل ردي . وتعمل العمل الصالح . " (مزمور ٣٦ ع ٢٧) اقفف يديك من الاستغنام والتغطرس . وبعد ذلك قدّمهما الى الصدقة * فمتى ما عرّينا المساكين بايدينا . ولو البسناهم ليس الاصناف المستفادة من تلك الوجوه المذمومة . ولا هكذا ننفلت من العقوبة * لان سبب استغفارنا يصير لكل ذنب سببًا * لان اجتناب الرحمة . افضل من ان نرحم على هذه الجهة . فان قايين قد كان افضل له الا يقدّم بوجهٍ من الوجوه قربانًا * فان كان مَن قدّم ما كان دنيًا حقيرًا اغاظ الله . فمَن يعطيه شيًا ليس له كيف ما يسخطه . كانه قال لك . انا اقول لك . لا تخطف ما ليس لك . افتكرّمني انت مما قد اختلسته . ما ظنّك فيّ . أتتوهم اني التذّ بهذه القرابين . فسيقول لك .. لقد ظننتَ ظنًّا زايغًا عن شريعتي . انني اكون شبيهًا بك . سأوبخك واقيم خطاياك لدى وجهك * " (مزمور ٤٩ ع ٢١) لكن لا كان لاحدٍ منا ان يسمع هذا الصوت * لكن اذا عملنا صدقات نقية . وامتلكنا مصابيحَ بهيّة . ندخل على هذه الحال الى خدره * بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي له المجد الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الرابعة والسبعون

في قوله (٨) فقال له فيلبس . يارب أرنا الاب . ويكفينا * (٩) قال له يسوع . يافيلبس انا معكم زمانًا هذا مبلغه . وما عرفتني . مَن ابصرني . فقد ابصر ابي *

لعمري ان النبي قد قال لليهود .. قد صار لك وجه ذانية * اذ قد توقحتِ مقابل جميع مَن خاطبكِ * " (ارميا ص٣ع٣) فعلى ما يليق بالقياس . ان ليس عدلاً ان تقال هذه الاقوال لتلك المدينة وحدها . لكن يليق بها ان تقال ايضاً للذين يعاندون الحق بوقاحاتهم * لان فيلبس لما قال للمسيح .. أرِنا اباك قال لهُ المسيح . يافيلبس انا معكم زماناً هذا مبلغهُ . وما عرفتني : " ومع هذا فقد يوجد اناس مع هذه الالفاظ . يفصلون الابن الازلي من والدهِ * على ان اية مقاربة نطلب اعظم من هذه : لان اناساً من هذه اللفظة يسقطون في سقم صابالبوس * ولكننا نحن نهمل اولئك مع هولاء اهمال الذين تجاوزوا الشريعة بالسواء . ونتامّل استقصاء الاقوال التي قيلت * " يافيلبس انا معكم زماناً هذا مبلغهُ . وما عرفتني : " لانهُ لو جاز ان يقول . فما المعنى : انت هو الاب الذي انا اطلبهُ : لاجابهُ لستُ انا الاب * ولهذا الغرض ما قال وما عرفتهُ . لكنهُ قال . وما عرفتني * ليس مظهرًا بذلك معنى آخر . الأ ان الابن ليس هو شياً آخر . الأ هذا الشيء الذي هو ابوهُ . اذا ثبت في وجودهِ ابنٌ * فان سالتَ . ومن اين افضى فيلبس الى هذا السوال : اجبتك قال المسيح .. لو عرفتموني . لعرفتم ابي * " (يوحنا ص١٤ع٧) وقد قال هذا القول لليهود دفعاتٍ شتّى * فلما ساله بطرس دفعاتٍ كثيرة . واليهود ايضاً * مَن هو ابوك : وسالهُ توما * وما عرف ولا واحدٌ منهم جواباً واضحاً * لكنهم جهلوا ما قالهُ ايضاً * فلكيلا يتوهم فيلبس انهُ شبعان . وانهُ يزعجه بعد اليهود . سالهُ هو . ارِنا اباك . واستثني بقولهِ . ويكفينا * ما نطلب اكثر من ذلك * على ان المسيح قد قال " لو عرفتموني . لعرفتم ابي * " واوضح بذاته اباهُ * الأ ان فيلبس عكس ترتيبهُ . وقال " ارنا اباك * " كانه قد عرفهُ هو معرفة بليغة * ولكن المسيح ما احتمله . لكنهُ ثبتهُ في الطريق * اذ حقق عندهُ ان يعرف بهِ اباهُ * فهو لعمري اراد ان يبصرهُ بعيني جسمهِ هاتين * ولعلهُ سمع عن الانبياء . انهم ابصروا الله * الأ ان تلك المناظر يافيلبس كانت مقاربة لهم وتحدر اليهم * ولهذا السبب قال المسيح " الله ما ابصرهُ باصرٌ قط * " (يوحنا ص١ع١٨) وقال ايضاً " كل مَن قد سمع من الله وعرف يجي اليّ * " (يوحنا ص٦ع٤٠) " وما سمعتم صوته . ولا ابصرتم صورته * " (يوحنا ص٥ع٣٧) وقد قال في العهد العتيق " ليس يبصر احد وجهي ويحيى * " (خروج ص٣٣ع٢٠) الأ ان المسيح خاطبهُ على جهة الانتهار * يافيلبس انا معكم زماناً هذا مبلغه . وما عرفتني : وما قال . وما رايتني .

لكنه قال · وما عرفتني * ولعله كان قد اجترى ان يقول له · العلني اريد ان اعرفك : انما التمس الان ان ابصر اباك * أفتقول لي انت · وما عرفتني : فهذا القول اي نظام له : فنجيبه نحن · انه يحوى نظاماً كثيراً * لانه اذ كان هو ما هو ابوهُ · ويبقى ابناً · فعلى جهة الواجب قد اراك في ذاته والده * ثم اذ قسم الاقانيم قال .. من ابصرني فقد ابصر ابي * " فليلا يقول انهُ هو آب · وهو ابن * يجيبهُ انه لو كان هو الاب . لما كان قال .. من ابصرني فقد ابصر ابي * " فان قلت · فكيف ما قال لفيلبس . انما تسال عن اشياء ممتنعة ليست تناسب انساناً : لان هذا ممكن لي وحدي * اجبنا ك . لما قال ويكفينا · كانه عارف به اراهُ انهُ ما قد رآهُ هو ايضاً * لانه قد كان عرف الاب · ان كان يقتدر ان يعرف الابن * ولذلك قال .. من ابصرني فقد ابصر ابي * " فالذي يقولهُ هذا هو معناهُ · انهُ ليس يوجد ممكناً ان يبصرني · ولا يقدر ان يبصر ابي · لان فيلبس انما طلب المعرفة بالبصر * ولما ظن انهُ قد ابصر الابن · اراد ان يبصر اباهُ على هذه الجهة · فبيّن لهُ انهُ ولا قد ابصرهُ هو * فان قال قائل · انه قد دعى ههنا المعرفة بصراً * فلست ارادهُ · لانه قال · من عرفني فقد عرف ابي · الا انه ما قال هذا القول · لكنه قال ما قالهُ مريداً ان يبين ان جوهرهُ جوهر ابيه · من قد عرف جوهري · فقد عرف جوهر ابي * ولقائل ان يقول وما هو هذا : فهل العارف الخليقة قد عرف الله : على اننا كلنا قد عرفنا الخليقة وابصرناها · وكلنا فما قد عرفنا الله * وبمعنى آخر ينبغي ان نبصر ما التمس فيلبس ان يبصرهُ * هل قد التمس ان يبصر حكمة الاب : هل التمس ان يعرف صلاحهُ : لا ما التمس ذلك * لكنه التمس ان يعرف ما هو الله بعينه · اعني جوهرهُ بعينه * فنحو هذا السوال اجابهُ المسيح .. من ابصرني * " فمن قد ابصر الخليقة · ما قد عرف جوهر الله * قال من عرفني · فقد عرف ابي * فلو كان من جوهر آخر · لما كان قال هذه الاقوال * ولكي امارس كلاماً اكثف لفظاً · اذا جهل احدنا الذهب · فليس يقتدر ان يبصر في الفضة طبيعة الذهب * لان طبيعة اخرى ليس تستبين بطبيعة غيرها * فلهذا المعنى على جهة الصواب انتهرهُ · اذ قال .. انا معكم زماناً هذا مبلغهُ · وما عرفتني : " قد استمتعت بتعليم هذا المقدار الجزيل مقدارهُ * قد رايت ايات بتامرٍ * والافعال التي كانت خواص لاهوتي التي يعملها ابي وحدهُ · شاهدت خطايا محلولةً · واسرار يعجز التكلم بها مقودة الى وسط بيانها · وموتاً منصرفاً · وابداعاً متكوناً من ارض · وما عرفتني : لانهُ اذ هو مشتمل لحمهُ · لهذا

السبب قال ،، وما عرفتني * " أعرفتَ ابي ؛ لا تطلبنَّ ان تبصر اكثر من ذلك * لانك في ابي ابصرتني * ان عرفتني . فلا تستفحص شيًا * لانك فيَّ قد عرفت ابي . (١٠) ،، أما تصدق انني انا في ابي ؛ " ومعنى ذلك هو انني اظهر في ذلك الجوهر * الاقوال التي اقولها انا . لستُ اقولها من ذاتي * اعرفتَ افراط مقاربته . ووضع طبيعة واحدة للاهوت . وجوهر واحد ؛ فابي الثابت فيَّ . هو يعمل الاعمال . فان قلت كيف لما ابتدي من اقوالٍ . جاء الى الافعال ؛ لان لايقًا كان ان يقول هو يتكلم الاقوال . لكنهُ وضع ههنا صنفين من اجل تعليمهِ وإيانهِ * او يكون قال ذلك . اذ اقوالهُ كلها افعالاً * فكيف هو يعمل ؛ على انهُ قد قال في موضع آخر . ان لم اعمل اعمال ابي . فلا تصدقوني ؛ فكيف قال ههنا . ان اباهُ يعمل الاعمال ؛ اجبناك . انهُ موضح بذلك هذا المعنى بعينهِ . ان ليس بين الاب وبينهُ فرق . فما يقولهُ هذا هو معناهُ . ليس معنى ذلك ان ابي عمل شيًا على جهةٍ اخرى . وعملت انا شيًا على جهةٍ اخرى . وعملت انا شيًا على جهةٍ غيرها * على انهُ في مكان آخر قد ذكر انهُ يعمل هو وابوهُ . اذ قال ،، ابي الى الان يعمل . وانا اعمل * " موضحًا هنالك زوال تخالف الاعمال * وههنا ان فعلهما فعل واحد بعينهِ * ولئن كان تاليف القولين الظاهر يظهر تواضعًا . فلا تستعجبن ذلك * لانهُ قال في الاول . أما تصدق ؛ وبعد ذلك قال هذا القول . موضحًا انهُ شكّلَ الفاظهُ على هذه الجهة . ليقتادهُ الى تصديقهِ * لانهُ غاص في قلوبهم * (١١) ،، صدّقوا انني انا في ابي وابي فيَّ * " فواجب عليكم اذا سمعتم ابًا وابنًا . لا تطلبوا تثبيتًا آخر لمجانستهما في جوهرهما * فان كان هذا ليس كافيًا عندكم لايضاح مساواتهما واتفاقهما في جوهرهما . فاعرفوا ذلك ولو من اعمالهما * ولفظة ،، مَن ابصرني . فقد ابصر ابي . " لو كانت قيلت من اجل اعمالهما . لما كان قال بعد ذلك ،، وان لم تصدقوا فمن اجل اعمالي صدقوني * ،، ثم اراهم انهُ ليس يقتدر على هذه الاعمال فقط . لكنه يقتدر معها على اعمالٍ اعظم منها بمقدار كثير * ووضعها بافراطٍ في اعظامها * لانهُ ما قال ، انني اقتدر ان اعمل اعظم من هذه الاعمال . لكنهُ ذكر ما هو اعجب من ذلك بمقدارٍ كثير . فقال . انه يقتدر ان يخوّل آخرين ان يعملوا اعظم من هذه الاعمال . (١٢) ،، الحق الحق اقول لكم . ان مَن يومن بي . سيعمل الاعمال التي اعملها انا . وسيعمل اعظم منها * لانني انطلق الى عند ابي * " ومعنى ذلك هو لكم يوجد ان تعملوا العجائب . لانني انا منطلق * ثم اذ استكمل ما ارتادهُ قولهُ . قال (١٣) ،، ما لم تسألوا

سالهم باسمي . ذاك اعمله . ليتمجد ابي بي * " الرأيت كيف هو ايضاً يعمل هذا العمل : لانه قال اعمله لنا . وما قال اسال ابي . لكنه قال ليتمجد ابي بي * على انه قد قال في موضع غير هذا " الله يمجده في ذاته . " وقال ههنا . انه هو يمجد اباه . لان الابن الازلي اذا استبان مقتدراً على اعمال عظيمة يتمجد والده * فان قلت . ما معنى باسمي : اجبتك هو ما ذكره رسله * اذ قالوا " باسم يسوع المسيح . قم وامش * " لان الايات كلها التي اجترحوها هو فعلها * " وكانت يد الرب معهم (١٤) " قال انا اعمله * " ارايت نامرة : هو عمل اعماله بآخرين . أفما يقتدر على الاعمال المفعولة به . لكنه يعملها مستمداً الفعل من ابيه : ومن يقول هذه الاقوال : فان سالت . فلمَ وضع هذا دفعة ثانية : اجبتك . انما فعل ذلك محققاً كلامه . موضحاً ان الاقوال الاولى كانت اقوال تطاطؤ ومقاربة * ولفظة " انني منطلق الى ابي . " هذا هو معناها . لستُ اهلك . لكنني ثابت في رتبتي . وفي السموات اوجد * هذه الاقوال كلها قالها مسلياً اياهم . لانهم اذ كانوا لم يعرفوا الاقوال بعد في ذكر قيامته . قد كان واجباً ان يفتكروا افتكاراً محزناً * اذ اوعدا آخرين انه يعطيهم هذه المواعيد وامثالها . فعلافاهم في كل مكان . واراهم انه يبقى بناء دائماً * وليس يبقى فقط . لكنه سيريهم مع ذلك قدرته اعظم *

المظة الرابعة والسبعون

في ان الفضيلة هي ضحية روحانية * وان حب الفضة هو من الشرف الفارغ * وان شهواتنا هي ثلثة اصناف . اما طبيعية . واما اضطرارية . واما ليست واحدة منهما *

فلنتبع ربنا ونأخذ صليبه . وان لم يكن اضطهاد حاضراً * الا ان وقت موتنا الآخر حاضر * لان الرسول قد قال " اميتوا اعضاكم التي في الارض * " (كولوصايس ص ٣ ع ٥) فلنخمدن شهوتنا . ولنقتلن غضبنا . ولنميتن حسدنا . فهذا الفعل هو ضحية حية * وهذه الضحية لن تنتهي الى رماد . ولا تنحل الى دخان . ولا تحتاج حطباً وناراً وسكيناً * لانها تملك الروح القدس ناراً وسكيناً * اذا استعملت هذه السكين . فاقطع من قلبك ما كان زائداً غريباً . واقتع من سمعك حاسته المتمضنة * لان استماعنا وشهواتنا الخبيثة . من عادتها ان تفسد مدخل القول * لان شهوة الاموال اذا تمكنت . فما تتركنا ان نسمع القول في الصدقة * والحسد اذا وافانا . يحجز عنا التعليم في الحب * واذا اشتملنا مقم آخر .

يجعل نفسنا ايضاً اوفر عجزاً في إفعالها كلها * فلنقتلنَّ اذاً شهواتنا الخبيثة * لانهُ قد يكفينا ان نشاء قتلها . وهي تخمد كلها * لان ما سبيلنا ان ننظر هذا النظر . ان عشق الاموال غاصب * لكن ينبغي ان نوقن ان اغتصابهُ ايانا انما هو من ونيننا * فكثيرون يقولون انهم ما يعرفون ان الفضة موجودة * لان هذه الشهوة ليست هي طبيعية * لان الشهوات الطبيعية . قد حصلت فينا منذ اعلى الزمان . ومن ابتداء كوننا * فاما الفضة والذهب فما صارا يعرفان . الاّ بعد زمان طويل * فان سالت فمن اين نشات هذه الشهوة ونمت : اجبتك من التشريف الفارغ . والونية الواصلة الى غايتها * لان الشهوات منها ما هي ضرورية . ومنها ما هي طبيعية . ومنها ما ليست ضرورية ولا طبيعية على نحو ما اقول . ان ما كانت من شانها ان تفسد الشخص الحي . اذا لم يتمها . فهذه هي شهوات طبيعية وضرورية * كقولك شهوة الاطعمة والاشربة وشهوة النوم * واما عشق الاجسام . فهو لعمري طبيعي . الاّ انه ليس ضرورياً . لان اناساً كثيرين قد قهروهُ . وما هلكوا * واما شهوة الاموال فليست طبيعية ولا ضرورية . لكنها شهوة ذائدة * ومتى ما شئنا فما تقبل مبداها * ومن هذه الجهة عند ما تكلم المسيح في ذكر البتولية . قال "مَن يقتدر ان يسعها . فليسعها * " (متى ص ١٩ ع ١٢) وما قال هذا القول في ذكر الاموال . لكنهُ قال " ان لم يزهد احدكم في كل ما يوجد لهُ . فليس يوجد موهلاً لي * " (لوقا ص ١٤ ع ٣٣) لان ما كان فعلاً سهلاً . وصّى بهِ جزماً * وما كان يتجاوز الكثيرين . ويفوق عليهم . فوضهُ الى اختيارهم * فما راينا في اننا نعدم نفوسنا كل احتجاج : ولعمري ان مَن قد انتصل داء اشد الادواء اغتصاباً . ليس يقابل مقابله كثيرة * ومَن يصطادهُ مرض ضعيف . فقد اعدم كل اعتذار * لان ماذا نقول لهُ . اذا قال لنا " رايتموني جائعاً . وما اطعمتموني : " اي اعتذار نمتلكهُ : سنورد لهُ على كل حالٍ فقرنا * ولكننا لسنا اشدّ فقراً من تلك الارملة . التي القت في خزانة الهيكل فلسين . وفاقت على جميع الاغنياء والموسرين . الذين قدموا هنالك قرابينهم * لان ليس يطلب الله كمية اعطائنا . لكنهُ يطلب مقدار عزمنا * وهذا فمن اهتمامه بنا واشفاقه علينا * فاذا استحيينا تعطفهُ علينا . فلنقرّب لهُ العطايا التي نقتدر عليها . لكيما اذ قد اتفق لنا في هذا العالم الحاضر امتلاك تعطفات الهنا الكثير علينا . نقتدر ان نستمتع في العالم المستانف بالنعم الصالحة التي وعدنا بها * بنعمة ربنا يسوع المسيح ونعطفهِ . الذي بهِ ومعهُ لابيهِ المجد . الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الخامسة والسبعون

في قوله (١٥) ان احببتموني. حفظتم وصاياي * (١٦) وانا اسال ابي . فيعطيكم معزيًا آخر لكي يثبت معكم الى الدهر. روح الحق ، (١٧) الذي ما يقتدر العالم ان ياخذهُ. لانه ما يبصرهُ *

نحتاج في كل مكانٍ الى افعالٍ واعمالٍ. ليس بتظاهر اقوالنا . لان الكلام والوعد يتيسران علينا في كل مكان * الا ان العمل ليس هو على شبه الكلام والوعد سهلاً متيسرًا * وان سالتني يا سامعي . ما غرضي في انني قلت هذه الاقوال : اجبتك . لان كثيرين يوجدون الان قائلين. انهم يخافون الله ويحبونهُ . ويظهرون باعمالهم اضداد اقوالهم * الا ان الهنا انما يطلب منا الحب لهُ نافعًا لنا * ولهذا السبب قال لتلاميذهِ " ان احببتموني حفظتم وصاياي * " لانهُ لما قال لهم " ان مهما تسالوهُ . انا اعملهُ . " فلكيلا يتوهموا ان سوالهم على بسيط ذاته يقتدر. استثنى بقولهِ " ان احببتموني . " حينئذٍ زعم اعمل مرادكم * واذ كان لايقًا بهم لما سمعوا انني انا منطلق الى عند ابي . ان يرتجفوا . قال لهم . ليس ارتجافكم الان هو انكم قد احببتموني . لكن قبولكم ما قلتهُ لكم وطاعتكم اياهُ. هو ايضاح انكم قد احببتموني " قد اعطيتكم وصيةً . ان يحب بعضكم بعضًا . " ليعمل بعضكم ببعضٍ هذا العمل . على حدو ما عملت انا بكم. هذا هو الحب ان تقبلوا هذه الاقوال . وتخضعوا لمن قد اشتقتم اليهِ " واسال ابي . فيعطيكم معزيًا آخر * " فكلامهُ ايضًا كلام جنوح ومقاربة . لانهم اذا ما كانوا بعد قد عرفوهُ . كان لايقًا بهم جدًا ان يلتمسوا ذلك الايتلاف بهِ . الفاظ حضورهِ المناسب لحمهِ . والا يقبلوا عند مغيبهِ عنهم . ولا صنفًا من تعزيةٍ * فلذلك قال " اسال ابي . فيعطيكم معزيًا آخر * " ومعنى ذلك هو آخر مثلي . فليخزَ السقا بسفر صابا ليوس والذين ليسوا يمتلكون في الروح الراي الواجب * لان المستعجب من الكلمة هذا هو . انهُ قطع بضربةٍ واحدة . بدع الهوى في الدين المتصبة بالسواء في غيها * لان بقولهِ آخر . بيّن فصل اقنومهِ * وبقولهِ معزيًا . بيّن مناسبة جوهرهِ * فان قلت . فلمَ قال اسال ابي : اجبتهُ . لانهُ لو كان قال انا ارسلهُ . لما كانوا صدقوهُ بشبه ذلك . فالان الغرض المحروص عليهِ هذا هو . حتى يصدقوهُ * لانهُ قد قال فيما بعد . انهُ هو يرسلهُ * اذ قال " خذوا روحًا قدوسًا * " وقال ههنا اسال ابي . حتى يجعل كلامهُ عندهم موهلاً لتصديقهِ * اذ

يوحنا قد قال من اجلهِ .. ان من امتلائهِ اخذنا نحن كلنا* " فما قد ملكه كيف ياخذهُ من غيرهِ:
وايضاً فقد قال الصابغ .. وهو يصبغكم بروح قدس ونار* " وما الذي ملكه اكثر من رسلهِ. ان
ازمع ان يسال اباهُ ، حتى يعطي آخرين: لاذا كان اراليك دفعات كثيرة يستبينون. انهم قد
فعلوا هذا الفعل خلواً من صلاة: وان كان يرسلهُ باستماحهِ من ابيهِ. كيف يطير هو من ذاتهِ:
وكيف يرسل من آخر. الروح الحاضر في كل مكان. القاسم المواهب خاصة بهِ. لكل احدٍ على
حدو ما يشاء. الناطق بتامرٍ. ميزوا الي بولس وبرنابا: " (ابركسيس ص ١٣ ع ٦) على ان الحاد مبتدئ
لله متدماً. الا انهُ مع ذلك دعاهما بتامرهِ الى عملهِ. ليس انهُ دعاهما الى عملٍ آخر. لكن لكي يبين
سلطانهُ* فان قلت. فما معنى اسال ابي: اجبتك. انهُ اوضح وقت ورودهِ* لانهُ حين طهرهم بذبيحتهِ.
حينئذٍ طار عليهم الروح* فان قلت فما بالهُ لما كان الرب حاضراً معهم ما جاء اليهم: اجبتك.
ما كانت الذبيحة بعد قد قُدِّمت* فلما حلت بعد ذلك الخطية. وارسلوا هم الى المصاعب
والاخطار. وعريوا للجهادات. وجب ان يوافيهم من يدهنهم* فان قلت. فلماذا ما جاء اليهم الروح
في الحين بعد انبعاث ربنا: اجبتك. ليتمكنوا في شهوة كثيرة لهُ. فيتقبلوهُ بمنة كثيرة* لانهم الى حين
كان المسيح معهم. ما كانوا في غم. فلما انصرف. عريوا. وحصلوا في خيفة كثيرة. وازمعوا ان
يتقبلوهُ بنشاط كثير .. ويثبت معكم* " يدل هذا على انهُ ولا بعد وفاتهم ينتزح عنهم. ولكيلا اذا
سمعوا معزياً. يتوهموا ايضاً شخصاً آخر في الجسم* ويتوقعوا ان يبصروهُ هم بالحاظهم. فنلافى ذلك.
وقال .. الذي العالم ليس يقتدر ان ياخذهُ* " لانهُ ما يبصرهُ* لانهُ ليس يكون معكم على هذا
المثال. مثلما كنت انا. لكنه يسكن في نفوسكم باعيانها* لان هذا هو معنى ويثبت معكم. ودعاهُ بروح
الحق." موضحاً في هذا الرسوم التي في الشريعة العتيقة. ليكون معكم* فان قلت وما معنى ليكون
معكم: اجبتك. هو ما قال. هو انني انا لوجد معكم* وبمعنى آخر يذكر معنى آخر غامضاً. انهُ ليس
تلحقهُ هذه الحوادث التي احتملتها انا. ولا يفارقكم* .. من ليس العالم يقدر ان ياخذهُ. لانهُ ليس
يبصرهُ* " فان سالتني. فقل لي. هو منظور للناس الآخرين: اجبتك. لا* لكنه ههنا ذكر معرفتهُ.
واستثنى بقولهِ .. ولا يعرفه* " لانهُ من عادتهِ ان يدعو المعرفة البليغة نظراً* لان البصر اذ الحق
حواسنا واوضحها. يبين بهِ دائماً المعرفة البليغة* والعالم ههنا يعني بهِ الخبثا. واذ عزاهم هذه التعزية

بانهُ يعطيهم موهبة منفردة لهم · انظر بكم اصناف رفع الكلام في وصفه. قال انهُ هو آخر مثلي · قال
انهُ ليس بخليكم . قال انهُ يجي اليكم وحدكم مثلما جيت انا . قال انهُ يثبت فيكم * لكنهُ ولا على هذه
الجهة انتزع اكتيابهم * لانهم كانوا يطلبونهُ ايضاً وايتلافهم به. فاذ تلافى اكتيابهم هذا . قال (١٨)
" لست اترككم يتامى . ساجي اليكم * " لا تخشوا (زعم) . فليس لهذا المعنى قلت انني ارسل معزياً
آخر . من جهة انني منتزح عنكم الى الغاية * وليس لهذا الغرض قلت انهُ يثبت معكم · على انني
لستُ ابصركم ايضاً . لانني وانا اجي اليكم * " لست اترككم يتامى * " لانهُ لما قال في ابتدا خطابه
يا اولادي · لهذا المعنى قال ههنا " لستُ اترككم يتامى . " لانهُ في الابتدا قال . انكم ستجيون الى
حيث انطلق * وان في منزل ابي مساكن كثيرة . وههنا اذ كان ذلك الزمان طويل المداء · اعطاهم
الروح * الّا انهم اذ كانوا ما قد عرفوا ما كان معنى ما قيل لهم . ما امتلكوا تعزية كافية . قال لهم
" لست اترككم يتامى ◎ " لانهم هذا المطلوب طلبوا اكثر من كل شي . الّا ان اذ لفظة ساجي اليكم
كانت لفظة موضحة وروده. فلكيلا يلتمسوا ايضاً هذا الورود بعينه. نظير وروده الاول · انظر كيف
ما قال لهم هذا واضحاً . لكنهُ قالهُ مستوراً . لانه اذ قال . (١٩) " ان بعد قليل ليس يبصرني
العالم . " استثني بقوله. " وانتم ستبصرونني . " كانه قال ساجي اليكم . ليس على شبه ذلك المجي .
مثلما جيت اولاً مونلفاً بكم كل يوم دائماً . ولكيلا يقولوا فكيف قلت لليهود . معذ الان ما تبصرونني ؛
حل مناقضتهم بقوله. اليكم وحدكم . اذ الروح هذا الحال حالهُ " لانني انا حي · وستحيون انتم * "
لان الصليب ليس يفصل بيننا الى الغاية . لكنهُ يخفيني مديدة يسيرة فقط * وعلى حسب ظني . انهُ
يدعو حياة . ليس الحياة الحاضرة فقط . لكن الحياة المستانفة ايضاً * (٢٠) " في ذلك اليوم تعرفون
انني انا في ابي . وابي فيّ . وانتم فيّ . وانا فيكم . " فمعنى ما قالهُ . انهُ في ابيه . في جوهره * وهو فيهم .
بايتلافه ومعونتهم من الله . فان قلت · قُل لي . كيف يحوى هذا القول مساغاً ؛ كيف يحوى القول
المتضادد . احتجاجاً ؛ لان الفرق عظيم جداً . يفوت ان يكون محبوراً بين المسيح وتلاميذه . اجبناك .
ان كانت توضع الفاظ هي هي باعيانها . فلا تستعجب من ذلك . فان الكتاب من عادته . ان
يستعمل في اوقات كثيرة . الفاظاً واحدة هي هي باعيانها في الله وفي الناس . ليس على مثال واحد *
اذ كنا قد نُدعى الهة وبني الله . واللفظة ما تحوى قوة واحدة بعينها * اذا وضعت على الله وعلينا .

والابن الازلي يدعى صورة الله ومجده . ونحن ندعى صورة الله ومجده . الا ان الفرق بيننا عظيم ، وقد قال بولس ،، انتم للمسيح . والمسيح لله * " وليس المسيح لله ونحن للمسيح على مثال واحد * فان قلت . وما هو ما قد قال : اجيبك . قال . اذا قمت . عرفتم انني لم انفصل عن ابي لكنني امتلك قدرته بعينها * وانني اوجد معكم بمداومة . اذا اذاعت الاعمال التي تعملونها المعونة الواصلة اليكم مني * اذا كانت الاعداء منقبضين . وانتم مجاهرين * اذا زالت الشدائد . وازهر انذاركم في كل يوم اذا خضع جميع الذين يومنون لراي ديني المتهذب . واطلقوا له التشريف * ،، مثلما ارسلني ابي ارسلكم انا * " ارايت لن كلامه هنا . ليس يحوي قوة واحدة بعينها : لاننا ان اقبلنا هذا القول على هذا النحو . فليس يكون الرسل منتزحين عن المسيح ولا منفصلين * فان قلت . فلم قال حينئذ تعرفون : اجيبك . لانهم حينئذ عرفوه قائمًا موجودًا معهم * حينئذ عرفوا الامانة البليغة * لان قدرة الروح كانت عظيمة . التي علمتهم العلوم النافعة كلها * (٢١) ،، من يستقني وصاياي ويحفظها . ذلك هو الذي يحبني . " لان ليس يكفينا ان نستقنيها فقط . لكننا نحتاج الى حفظ لها بليغ مستقصى * فان قلت . فلم يقول لهم هذا القول بعينه دفعات كثيرة : كقولك ان احببتموني احفظوا وصاياي * ومن كانت عنده وصاياي ويحفظها * فان سمع مني احدكم كلامي وحفظه . فذاك هو الذي قد احبني * ومن ليس يسمع اقوالي فليس يحبني * فعلى حسب ظني انه يعتمد اغتمامهم اعتمادًا خفيًا * لانه اذ تفلسف لهم في الموت باقوال كثيرة . اذ قال لهم ،، من يمقت نفسه في هذا العالم . يحفظها لحياة دهرية . " ،، وان لم ياخذ احدكم صليبه ويلحقني * فليس موهلاً لي * " واعتزم ان يقول اقوالاً اخر اكثر من هذه . معيرًا اياهم * فقال ان كنتم قد ظننتم . انكم من حبكم قد اثر الاغتمام فيكم . وقد كان لائقًا بكم من حبكم الا تغتموا الان * والدليل على انه يريد ان يصلح هذا الراي فيهم بين انه اذ امعن في هذا القول . خصر اجراء كلامه فيه * لانه قال ،، لو احببتموني لفرحتم . انني منطلق الى ابي * " فالان من حبائكم يوثر فيكم هذا التاثير * فاعتلان حال الناس على هذا المثال من الجزع عند ورود الموت فيهم . ليس هو حال ذاكرين وصاياه * لانكم يجب عليكم ان تنصلوا ان احببتموني بالحقيقة * لان كلامي قد وصاكم . الا تخشوا من الذين يقتلون جسمكم * فالقبين هذا الراي رايهم يحبهم لبي . وانا * (٢٢) ،، واظهر لهم ذاتي * " وبعد ذلك ،، قال يهوذا ليس الاسخريوطي

انك تظهر ذاتك لنا فيما يستانف : " ارائيت النفس منهم مملوة من الكآبة : لانها انحصرت وارتجفت * وتوهم اننا كما نبصر الاموات في نومنا . كذلك يتوقعون ان يبصروه * فلكيلا يتوهموا هذا الظن . اسمع ما قاله لهم . (٢٣) " انا وابي نوافي الى عنده . ونصنع عنده منزلاً * " فقارب ان يقول . مثلا ان ابي يظهر ذاته له . فكذلك اظهر له ذاتي * وما بيّن له ذلك بهذا المعنى فقط . لكن بقوله ايضاً " اننا نصنع عنده منزلاً * " فازال الظن الماجس لهم * وهذا فليس بوجد للتلامذ * فابصر انت هذا التلميذ مرتجفاً . لا يجترى ان يتكلم كلاماً واضحاً بما يشتهي ان يقوله . لانه ما قال . ويل لنا لانك تموت . وتعتزم ان تقف بنا الذين توفوا . لكنه ما قال هذا القول . بل قال ما رائك في انك تعتزم لن تظهر ذاتك لنا ليس للعالم : وقد يليق بالمعنى ان يقول . لانني اقتبلكم . لانكم انتم حفظتم وصيتي * لانهم لكيلا اذا ابصروه بعد ذلك . فيظنوه خيالاً . لهذا الغرض تقدم فقال هذه الاقوال * وليلا على ما ذكرت يظنوا انه يظهر لهم على هذه الحال . ذكر العلة . لاجل حفظ وصاياي * قال ان الروح على هذا المثال يستانف ان يظهر * ولين كانوا قد ايتلفوا به زماناً هذا مبلغه . وما احتملوا ذلك الجوهر الجليل بعد . واولى ما يقال انهم ولا فطنوا به * فما النسيب ما كان عرض لهم . لو كان ظهر لهم بهذه الصورة في الابتدا : فلهذا السبب اكل معهم . ليلا يظنوا فعله خيالاً * ولين كانوا لما ابصروه على المياة ظنوا هذا الظن . على ان ذاك الوجه بعينه ظهر لهم . وما انفصل عنهم قبل مدة كثيرة . فما الذي كانوا قد توهموا . لو كانوا ابصروه في الحين قائماً . وقد كانوا ابصروه مضبوطاً مقموطاً : لهذا المعنى قال لهم قولاً متصلاً انه يظهر لهم * ولم يظهر لهم . وكيف يظهر لهم * لكيلا يتوهموه خيالاً * (٢٤) " من ليس يحبني . ليس يحفظ اقوالي * والقول الذي سمعتموه ليس هو قولي . لكنه قول مرسلي * " فمن هذه الجهة من ليس يحفظ هذه الاقوال . ليس من شانه انه ما يحبني فقط . لكنه ولا يحب ابي ايضاً * ولين كانت هذه دلالة الحب . وهي استماع الوصايا * وهذه وصايا ابي * فمن سمعها فما قد احب الابن فقط . لكن قد احب معه اباه * فلو ساءلته . وكيف هذا القول قولك . وليس قولك : لاجابك هذا هو معناه . انني لست اتكلم لفظاً خارج ابي * ولا اقول قولاً آخر خاصاً بي . زايغاً عن الماثور عنده * (٢٥) " هذه الاقوال خاطبتكم بها . عند مقامي عندكم * " واذ كانت هذه الاقوال مسلوبة وضوحها . فبعضها ما فهموها . واكثرها ارتابوا بها * فلكيلا يرتجفوا ايضاً . ولا

يقولوا انا اوصاياكم فاحفظوا لراحتهم من ان تعلم كله * اذ قال . (٢٦) " والمعزي الذي يرسله الآب ابي باسمي ذاك يعلمكم * " لعل الاقوال التي قلتها الان مسلوبة وضوحها عندكم . الا ان ذاك هو معلم لهذه الاقوال واضح * ولفظة " يثبت عندكم " هي لفظة واصف وصفاً غامضاً . لانه هو منطلق . ثم لكيلا يغتموا قال . انه ما دام هو ثابتاً عندهم . ولم يجي الروح القدس ما يقدرون ان يعرفوا شيئاً عظيماً . ولا عالياً . هذه الاقوال قالها ممهداً اياهم . ان يحتملوا مفارقته باوفر جلادتهم من جهة قلتها علة لهم لنعمة صالحة عظيمة * ويدعوه معزياً بالحق نسبة الغموم التي استحوذت عليهم حين اذ كانوا عند استماعهم هذه الاقوال ارتجفوا . منصورين بانصرافه عنهم تقاطر المحن عليهم من الحروب . انظر كيف قصر عنهم ارتياعهم ايضاً بقوله (٢٧) " سلامتي اخلفها لكم * " فقال لمن قال . ما ذا سعة السلامة لتعلمكم لدي . ما الذي يضركم من ان يخالف العالم لان سلامتي ليست هذه الحال حالها لان السلامة التي من خارج . طالما تكونت بغرض رديء عديم النفع يوما ما نحو الذين يملكونها نفسه * وانا اعطيكم سلامة هذه خاصيتها تجعل بعضكم راجعين في السلامة مع بعض * وبذلك يصير لكم اقوى عزماً * لكنه اذ قال لهم ايضاً . اخلف لكم سلامتي . وهو قول منصرف عنهم فهو كفاية لمن يزعجهم . قال لهم ايضاً " لا يرتجفن القلب منكم . ولا يجزعن * " ارأيت انهم قد كانوا قالهم بعضه من خلوص ودهم . وبعضه من جملتهم * (٢٨) " قد سمعتم انني انا قلت لكم . انني امضي الى عند ابي . واجي اليكم * فلو احببتموني . لفرحتم * لانني اذهب الى عند ابي * لان ابي هو اعظم مني * " فان قلت . وهذا اي فرح استاتف ان يورد لهم . واية تعزية . ما هو معنى ما قد قاله اجبتك . ما كانوا بعد قد عرفوا الكلام في قيامته * ولا اي راي يجب ان يعتقدوه فيه * لان كيف يعرف ذلك الذين ما عرفوا الكلام . انه سيقوم . وظنوا ان الاب يوجد عظيماً * فقال لهم انكم قد خشيتم من اجلي . وانزلتموني منزلة من ليست فيه كفاية ان يعضد ذاته . وما قد ايقنتم انني ابصركم بعد صلبي ايضاً . لكنكم اذ قد سمعتم انني اذهب الى ابي . فقد وجب عليكم ان تفرحوا فيما بعد . بانني اذهب الى من هو اعظم * وهو مقتدر لمن يزيل الشدائد كلها * وانتم قد سمعتم انا قلت لكم * " فان قلت فلم وضع هذا القول . قلت لك على تمثيل عزمه قائل انني مطمئن جداً في الحوادث الحادثة . على انني قد تقدمت فذكرتها * ولست على هذه الحال خائفاً

(٣٩) ,, فهذا قد قلته لكم قبل ان يكون لكي اذا كان تصدقوا انني انا هو * ''كانه قال. العلكم عرفتم هذه الحوادث. لو لم اصفها انا: ولو لم اتق مطمئناً. لما كنت قلتها * اعرفت قوله. الموجود من انحطاطه ومقاربته: لانه اذا قال ,, اظننتم انني لست اقتدر استمنح ابي. فيقف حولي اثنى عشر موكبًا من مليكته: '' (متى ص ٢٦ ع ٥٣) وانما يقول ذلك نحو ظن سامعيه * لان ليس يقول قائل ذلك القول. ولو كان قد استحوذ عليه داء الصرع جدًا. انه هو ما اقتدر ان يعين ذاته. لكنه احتاج الى مليكة * لكنهم اذ امتلكوا من اجله رايًا اجلّه عندهم محل انسان. لهذا السبب ذكر اثنى عشر موكبًا من مليكة * على انه سالم على بسيط ذات السوال. فالقاهم الى ما ورائهم * فان قال قائل. ان اباه يوجد اعظم من جهة ما هو علة ابنه * فما نعاند قوله هذا * الا ان هذا القول ليس يصيّر الابن موجودًا من جوهر آخر * فالذي يقوله معناه هذا هو. ما دمت حاضرًا ههنا. فلايق بكم ان تظنوا اننا قد تورطنا في الخطر * واذا ذهبت الى هنالك. ايقنتم اننا في سلامة وحياطة نحن * لان ذاك ليس يقتدر احدٌ ان يقهره * هذه الاقوال كلها قالها نحو ضعف تلاميذه * لانه قد ذكر انه واثق. ولست اهتم بالموت * لان لهذا المعنى قال ,, هذه الاقوال قلتها لكم قبل كونها * '' وانتم ما قد امكنكم بعد ان تتقبلوا كلامي في وصفها * فمن ابي الذي قد سميتموه انه يوجد عظيمًا. اورد لكم التعزية * فاذ سلاهم. ذكر لهم ايضًا الحوادث الحازنة * (٣٠) ,, لست اتكلم معكم اقوالاً كثيرة. لان سيجيء رئيس هذا العالم. وليس يمتلك فيّ شيأ * '' فذكر رئيس العالم. يعني به ابليس المحال * وقد دعا الناس الخبثاء بهذا الاسم. لانه ليس يروس على سماء وارض. والا فقد كان اقلب البرايا وعكسها. وانما يروس على الذين قد اسلموا اليه ذواتهم * ولهذا السبب يدعى '' رئيس ظلام هذا الدهر * '' والظلام ههنا يعتمد به الرسول الاعمال الخبيثة * ولو انجه ان نساله. فما المعنى في هذا: هل ابليس المحال يقتلك: لاجابك. ليس يقتلني بجهة من الجهات. لانه ليس يحوي فيّ شيأ * ولو استخبرته. فكيف يقتلونك: لاجابك يتم هذا لهم. اذ كنت اريده * وليعلم العالم. انني احب ابي * كانه قال لست غريمًا للموت. ولا مديونًا له. وانما اصطبر عليه. لاجل حبي لابي * هذا القول قاله. ليتهض ايضًا النفس منهم. ويعرفون انه يجيء الى هذا الموت ليس كارهًا. لكن طايعًا * وانه مستحقر ابليس المحال * لانه ما كفاه ان يقول ,, انني انما انا معكم مدة يسيرة. '' لكنه يردد هذا

القول المحزن ترديداً متصلاً على جهة الواجب · ليصير هذا الفعل متيسراً قبولهُ عندهم. اذ ينظم فيه الامال الصالحة*ولهذا المعنى يقول احياناً · انطلق واجي*وانني اينما اوجد انا · توجدون انتم وما تقتدرون ان تتبعوني*وفيما بعد ستتبعوني*واذهب الى عند ابي*وابي هو اعظم مني* وقد قلتُ لكم ذلك قبل ان يكون* وانني اتالم بهذه الحوادث ليس من ضرورة. لكن لاجل حبي لابي* حتى يفهمهم ان العارض ليس مهلكاً · ولا يحوي ضرراً . ان كان الذي يحب جداً. والمحبوب يريد منهُ هذا المراد * لهذا السبب يخلط هذه الامال الصالحة بقولهِ* وذكر العوارض المحزنة ذكراً متصلاً · رايضاً تمييزهم* لان قولهُ يثبت عندكم · وان فراقي موافق لكم. كان قولاً مسلياً اياهم* لانهُ لاجل هذا الغرض · سبق فقال في وصف الروح اقوالاً كثيرة · انهُ يوجد فيكم*وان العالم ليس يمكنهُ ان ياخذهُ*وهو يذكركم باقوالي كلها*وانهُ روح الحق*وروح قدس* ومعزي* وان موافقاً لهم الا يكتئبوا اكتئاب الذين ليس موجوداً عندهم عاضدهم ومعينهم* فقال يوافقكم · موضحاً انهُ يصيرهم روحانيين*

العظة الخامسة والسبعون

في وصف الرسل بعد ورود قوة الروح القدس اليهم · وفي فضيلة ورذيلة الناس والمليكة*وان الغم بغرض يرضي الله صالح · والغم العالمي رديء*

فهذا التاثير قد رايناهُ كائناً . لان التلاميذ الذين كانوا مرتعدين مرتاعين · فتطافروا بعد ان اخذوا الروح · الى وسط المصاعب والاخطار · والى الحديد · والنار · والوحوش · واللجة*وتجردوا لكل عقوبة*والمسلوبون علم الكتب الاغبياء · خاطبوا الناس بمجاهرةٍ هذا مبلغها · حتى ادهشوا الذين سمعوهم*لان الروح صيّرهم من طين حديداً*وجعلهم طائرين · وتركهم لايستقطون لدى فزعة من الافازيع الانسانية*لان تلك النعمة هذه السجية سجيتها * وان وجدت اكتئاباً نقضتهُ* ان صادفت شهوة خبيثة اتلفتها*ان وجدت جبانة انتزعتها*وما تترك من يساهمها · ان يوجد فيما بعد انساناً · وتصيرهُ بصورة مَن قد انتقل الى السماء بعينها . ان يتصوّر الاشياء التي هنالك كلها* ولهذا السبب ليس يقول ان شياً من الاشياء الموجودة لهُ · انهُ يوجد خاصاً لهُ* .. لكنهُ يكون

منعكفًا على الصلوات بابتهاج قلبه وسذاجته * " (ابركسيس ص٤ ع ٣٢) فالروح القدس يحتاج الى هذه الفضيلة اكثر من كلها * .. لان ثمرة الروح فرح · سلامة · امانة · وداعة * " (غلاطيه ص ٥ ع ٢٢) ولعلك تقول · والروحانيون طالما اغتموا واكتأبوا زاجيبك · الا ان الغم هو الذ من السرور * والا فقد اغتمّ قايين · لكنهُ اغتم غم العالم * وبولس قد اغتم · الا لانهُ قد اغتم بغرض يرضي الله * لان كل ما كان روحانيًا يحوي فائدة عظيمة * كما ان كل ما كان عالميًا يتلك خسارة واصلة الى غايتها * فلنستجذبنَّ الينا نعمة الروح · التي قد فاتها ان تكون محاربة · بحفظنا وصايا ربنا * فلسنا نكون ادنى من الملئكة محلاً * لان اوليك اذ هم خائبون من اجسام · فليست هذه الحال حالهم * لانهم لوكانت هذه حالهم · لما صار ولا واحد من الخائبين من اجسام خبيثًا * لكن الاختيار في كل مكانٍ علة الافعال كلها * ولهذا السبب صودف في الخائبين من اجسام اقوامٌ اشرُّ من الناس واعدمهم قياسًا * ويوجد في المالكين اجسامًا اقوامٌ افضل من الملئكة الخائبين من اجسام · فالصديقون كلهم ذووا العدل قد سكنوا الارض وامتلكوا اجسامًا · واحكموا ما احكموهُ من فضايلهم * لانهم كانوا بمنزلة سكانٍ سكنوا الارض : وكانوا غرباء فيها * وسكنوا السماء · على انها مدينتهم * ولا تقولنَّ انني مشتملٌ لحمًا · وليس يمكنني ان اقهر الاعراق عن الفضيلة * لاتثلبنَّ خالقك * لانهُ ان كان اشتمالنا لحمًا يجعل الفضيلة ممتنعة علينا · فليس الزلل لنا * والدليل على ان اشتمالنا لحمًا · ليس يجعل الفضيلة ممتنعة علينا · فقد اوضحهُ صف القديسين * لان بولص ما منعتهُ طبيعة لحمهِ · ان يصير بهذه الصورة التي صارها * ولا منعت بطرس طبيعة لحمهِ ان يتسلَّم مفاتيح السموات * واخنوخ فقد لبس لحمًا · فنُقل وما صودف * وكذلك ايليا خطف بجسمهِ · وابرهيم مع اسحق ويعقوب ابنهِ · امتلكوا الجسم · واشرق فضلهم * ويوسف بجسمهِ صارع تلك الامراة الفاسقة · وما معنى ذكري لحمًا · لانك لو وضعت عليك مع لحمك سلسلةً · ما ضرَّ بك ضررًا * وان بولس قد قال .. ان كنت انا مربوطًا · الا ان كلام الله ليس يرتبط * " (تيموثاوس ثانيه ص ٢ ع ٩) وما معنى قولي عقالات وسلاسل · اضف الى ذلك حبسًا وقفلاً · فما يصير على هذه الجهة تعويقًا للفضيلة · فعلى هذا الحال استودع بولس سرَّ الامانة عند السجان * لان رباط نفسنا ليس هو حديدًا · لكن رباطها الخيانة · وشهوة الاموال · واسقام هواها الجزيل عددها · هذه تربطها · وان كان جسمنا

محلولاً مطلقاً . ولعلك تقول . فهذه امراض الهوى من جسمنا تتولد * فاجيبك هذه الاقوال مدافعة وحجة كاذبة * لان ادواء هوانا لو تولدت من جسمنا . لصابر الناس كلهم تاثيرها كما ان التعب . والنوم . والجوع . والعطش . لاسبيل لنا ان ننفلت منها . اذ هي من طبيعتنا * وكذلك اسقام هوانا هذه . لو كانت هذه الحال حالها . لما تركت واحداً من الناس يوجد خارج اغتصابها * فان كان كثيرون انفلتوا منها . فواضح بيّن ان هذه المناقص وامثالها . هي متولدة من نفسنا . اذا توانت فيما يجب عليها * فلنقطعن هذه الونية * ولا نثلبنّ جسمنا . لكن فلنجعلهُ خاضعاً لنفسنا . حتى اذا امتلكناهُ سريع الانعطاف . يتفق لنا امتلاك الخيرات الدهرية . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفهِ الذي لهُ المجد . الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة السادسة والسبعون

في قولهِ (٣١) انهضوا ننصرف من هنا * (الاصحاح الخامس عشر) (١) انا هو الكرمة الصادقة . وانتم اغصانها . وابي هو فلاحها *

ان الاقفار من المعلم يخصهُ ان يجعل نفسنا جبانة عديمة الشجاعة . كما ان تعلمها الاراء السموية . يصيرها عظيمة عالية * لانها اذا كانت لاتستمتع ولا باهتمام واحد بما يصلحها . توجد جبانة . ليس بذات طبيعتها . لكن بذات اختيارها * لانني اذا ابصرت مَن كان في وقتٍ من اوقاتهِ شجاعاً . قد صار الان جزوعاً جباناً * لستِ اقول ان الداء يوجد لطبيعتهِ . لان خواص طبيعتنا . قد عدمت ان توجد متنقلة . واذا رائت ايضاً مَن كان الان جباناً . قد صار على غفلةٍ شجاعاً * اقضي ايضاً هذه القضية بعينها . وانسب الفعل كلهُ لاختيارنا * لان تلاميذ ربنا قد كانوا جزوعين جبناء جداً قبل ان يتعلموا ما يحتاجون اليهِ . وقبل ان يوهلوا لموهبة الروح . فصاروا بعد ذلك اوفر جسارة من السباع * فبطرس ما احتمل تهويل صبيةٍ . عُلِّق منكساً على راسهِ . بعد ان ضُرِب بالسياط . ومارس من الاخطار صنوفاً كثيرة . وما صمت لكنهُ كان كمَن قاسى ما قاساهُ في نومهِ كذلك جاهر * لكن ما كانت هذه الحال حالهُ قبل صليب ربنا يسوع * لهذا السبب قال المسيح .. انهضوا ننصرف من هنا * " فان سالت . لِمَ قال هذا القول : أَما عرف الوقت الذي ازمع فيهِ ان يقف اوليك بهِ .

لكنهُ خشي الاَّ يجيء الى هنالك يودس فيقبض عليهم: وقبل ان يستتم تعليمهُ الفاضل وقف بهم
المقبلون عليهم: اجبتك. ابعد هذا الظن * فليس هذه الاوهام منتزحة عن رتبته * فان قلت فان
لم يخف فما رائهُ في انهُ تعلم من هنالك. وبعد استتمامه التعليم. حينئذٍ ساقهم الى البستان المعروف
عنه يودس: ولئن كان قد وافى الى عنده يودس. انما امكنهُ ان يعمي ابصارهم: وهذا فقد عمله في
حضورهم. فلمَ انتقل من هنالك: اجبتك. خوَّل تلاميذهُ ان يتنفسوا قليلاً * لان قد كان لائقاً بهم
من جهة انهم كانوا في مكانٍ واضح معروف. ان يرتعدوا ويرتاعوا من تلقاء الوقت. ومن جهة
المكان * لان الوقت كان ليلاً عميقاً ظلامهُ. وكانوا ما يصغون الى ما يقال لهم. لكنهم كانوا يلتفتون
وينظرون الذين يكبسونهم. ولا سيما قول معلمهم. صيَّرهم في ذلك الحين ان يتوقعوا المصايب
والمصاعب. لانهُ قال لهم بعد هنيهة يسيرة. لست اوجد معكم * وسيجيء رئيس العالم. فلما سمعوا
هذه الاقوال وامثالها ارتجفوا. كمن قد ادركهم القبض عليهم في ذلك الحين عاجلاً * فاقتادهم الى
مكانٍ آخر. حتى اذا توهموا انهم حاصلون في حياطة. يسمعون قولهُ فيما بعد بطمانية * لانهم ازمعوا
ان يسمعوا اراءً عظيمة * لهذا السبب قال لهم ،، انهضوا نسير من ههنا * ثم استثنى بان قال ،، انا هو
الكرمة. وانتم اغصانها * ،، فان قلت. فما الذي يريد ان يقولهُ في هذا المثل مضمراً: اجبتك.
يعني ان مَن ليس يصغي الى الاقوال التي يقولها. ما يتساغ لهُ ان يحيى * وان الايات التي يستانف
كونها من قدرة المسيح تتكوَّن. وابي فلاحها * فان قلت. أفيحتاج الابن الازلي مساعدة: اجبتك.
ابعد هذا الوهم * لان هذا المثال ليس يدل على هذا المعنى * وانظر كيف بيَّن المثل بابلغ
الاستقصاء * لانهُ ما قال ان الكرمة تتمتع باهتمام الفلاح. لكن اهتمامهُ يعتمد الاغصان * فالكرمة ما
أُخِذَت ههنا لاجل معنى آخر. الاَّ لكي يعلموا انهم خلواً من قدرته. ليس يمكنهم ان يعملوا شيئاً *
وانهم على هذا المثال يحتاجون ان يتحدوا به بالامانة. كاتحاد الغصن بالكرمة * (٢) ،، كل غصنٍ
فيَّ لا ياتي بثمرةٍ. ينتزعه ابي * ،، ههنا يذكر عيشتهم ذكراً غامضاً. موضحاً ان خلواً من اعمال ليس يتجه
لهم ان يوجدوا فيهِ * ،، وكل غصنٍ فيَّ ياتي بثمرة. يُطهّرهُ * ،، ومعنى ذلك. هو انهُ يصيرهُ ان يستمتع
منهُ باهتمام كثير * على ان القرمة المحسوسة تحتاج الى الاهتمام بها قبل اغصانها * وذلك ان تُجلى ويكشف
التراب عنها * الاَّ انهُ ما ذكر ههنا في هذه القرمة الروحانية شيئاً. لكن كلامه كلهُ في الاغصان. موضحاً

انهُ هو فيه كفاية لذاته * واما تلاميذهُ فيحتاجون من الفلاح معونة كثيرة. ولو كانوا متمكنين في الفضيلة جدًا * ولهذا السبب قال ان الغصن اذا وجد غير مثمر . فليس يقندر ان يكون في الكرمة * والغصن اذا جاب ثمرًا. يجعله اكثر تاليدًا للثمر * وقد يقول قلئل. ان هذا القول اعتمد به ضغطاتهم التي داهمتهم في ذلك الحين * لان لفظة يطهرها. انهُ يكسحهُ . وذلك يصيّر الكرمة اوفر تاليدًا * فمن هذه الجهة يستبين ان المحن نصيرهم اقوى مما كانوا واكثر تمكنًا * ثم حتى لا يقولوا من اجل اي الافعال يقول هذه الاقوال . فيلقيهم في اهتمام ايضًا . قال (٣) " وانتم انقياء منذ سالف حالكم * لاجل الكلام الذي قلتهُ لكم * " أرايت كيف يورد ذاتهُ مهتمًا باغصانه : لانه قال انا طهرتكم . وقد بيّن فوق هذا المكان . اباهُ عاملاً هذا العمل . الا انهُ ليس بين الاب وبين ابنهِ فرق * فينبغي اذًا ان توجد الاثمار التي منكم * ثم انهُ حتى يبيّن انهُ عمل هذا العمل . ليس محتاجًا الى خدمتهم . لكنهُ عمله لكي ينجحوا * استثنى بقولهِ . (٤) " كما ان الغصن ليس يقندر ان يجيب ثمرةً من ذاتهِ . فكذلك ما يستطيع مَن ليس يثبت ان يجيب ثمرةً * " لانهم لكيلا ينفسخوا منهُ من جهة جبانتهم . شدّد النفس منهم عند استرخائها بالخوف . والصقهم في ذاتهِ . وبسط لهم فيما بعد اما لا صالحة * ولعمري ان القرمة تثبت باقية * ولفظة الانتزاع منها والاستبقاء فيها هي مناسبة للاغصان * فلما انهضهم من الجهتين كلتيهما . من جهة الامال الصالحة . ومن جهة الحوادث الحازنة . ابتغى منا العزمات الاولى * (٥) " مَن يثبت فيَّ . وانا فيهِ * " أرايتَ الابن مستكملاً فعلهُ ليس بدون ابيهِ في اهتمامهِ بتلاميذهِ : لان اباهُ يطهرهم . وهو يضبطهم في ذاتهِ * وثبوتهم في القرمة هو يصيّرهم ان يثمروا * ولعمري ان الغصن الذي ليس مطهرًا الا انه ثابت في القرمة يجيب ثمرًا . وان كان ليس على حدو ما وجب ان يثمر * والغصن الذي ليس ثابتًا في القرمة . ليس يثمر بجهةٍ من الجهات * ولكن التطهير مع ذلك والثبوت في قرمة الاب . يستبين وجودها للابن . الذي يستبين قرمة من والده * أعرفتَ كيف الافعال كلها مشتركة مشاعة : والتطهير والتمتع بالقوة التي من القرمة مشاعين : ولعمري ان خسارة عظيمة الا يقندر الغصن ان يعمل شيئًا * ولكنهُ ما وقف العقوبة الى هذا الحد . لكنهُ قدّم كلامهُ الى ابعد غاية من ذلك * لانهُ قال انه (٦) " يُلقى خارجًا * " وما يستمتع ايضًا بيد فلّاحهِ " ويجف * " ومعنى ذلك هو انهُ . ان كان

امتلك شيأً من القرمة يعدمهُ . وإن كان قد ملك نعمة يعرى منها . ويصير مقفرًا من المعونة من هنالك ومن الحياة * ونهايته . انهُ ،، يلقى في النار * ،، الأ ان الغصن الثابت عندهُ ليست هذه الحال حالهُ * ثم اوضح ما هو معنى ثبوتهِ . وقال (٧) ،، لاذا ثبتت الفاظي فيكم * " أرائت انني قبل هذا القول على جهة الواجب قلتُ . انهُ انما يطلب ايضاح الاقوال بالاعمال : لانهُ لما قال ان مهما تسالونهُ وتستمحونهُ . اعملهُ * استثنى بقولهِ ،، ان احببتموني . وحفظتم وصاياي * " وقال ايضاً ،، ان ثبتم فيَّ . وثبتت فيكم اقوالي . مهما اردتم اسالوا فيكون لكم * " هذه الاقوال قالها . موضحًا ان الذين يغتالون عليهِ . يحترقون * وهولاء يجيبون ثمرًا * فالخوف الذي منهم . نقلهُ الى اوليك * وبيَّن ان هولاء يكونون عديمين ان يوجدوا مقهورين * فقال (٨) ،، في هذا الوجه مُجِّدَ ابي * لكي تكونوا انتم تلاميذ لي * وتجيبون ثمرًا جزيلاً * " في هذا الوجه يجعل كلامهُ موهلا لتصديقهِ * لان ايناع الثمر ان كان يبلغ الى مجد ابيهِ . فليس يتوانى في المجد الذي لهُ * ،، وتكونون تلاميذ لي * " ارائت كيف مَن يجيب ثمرًا ذاك هو تلميذهُ : فان قلت . وما هو معنى في هذا الوجه ،، مُجِّدَ ابي : " قلتُ لك . هو انه يفرح * ،، اذا ثبتم فيَّ * " اذا اثيتم بثمر * (٩) ،، مثلما احبني ابي . انا احببتكم * " فههنا يتكلم كلامًا بالانسانية * لان الكلام الذي قيل بحوى قوته . كانهُ يقصد انسانًا * لان مَن قد اختار ان يموت . واهَّلَ الذين كانوا عبيدًا واعداء ومحاربين . لتكريم جزيل مقدارهُ . وصاعدهم الى السموات . كيف يوضح لهم مقدارًا . ان لم يكن قد قال . اطمانوا فانني احبكم : وان كان ايناعكم الثمر مجدًا لابي . فلا تظنوا ظنًا خبيثًا * ثم لكيلا يصيرّهم طريحين بالتضجيع على ظهورهم . انظر كيف شددهم ايضًا * قال . اثبتوا في الحب الذي لي . لانكم انتم مالكون ذلك * فان قلت كيف يكون هذا : اجابك . (١٠) ،، اذا حفظتم وصاياي مثلما حفظتُ انا وصايا ابي * " فقد اورد ايضاً كلامهُ على جهة انسانيتهِ * لان قد استبان منشي الشريعة . لن يحصل طريحًا تحت وصاياها * ارائتَ ان ما اقولهُ دائمًا . ذلك يستبين ههنا لاجل ضعف سامعيهِ : لانهُ قد قال اقوالاً كثيرة تناسب ظنهم * وقد بيّن باقوالهِ كلها . انهم موجودون في حياطةٍ . وان اعداءهم هالكون . وانهم كل ما يملكونهُ من الابن يمتلكونه . وانهم اذا اظهروا عيشة نقية . فليس يظهرهم في وقتٍ من الاوقات احدٌ * وتامله يخاطبهم خطابًا اوفر تأمرًا * لانهُ ما قال . اثبتوا في الحب لابي . لكنهُ قال ،، اثبتوا في الحب لي * "

ثم حتى لا يقولوا حين دفعتنا الى جميع الناس بحاربوننا . حينيذٍ تتركنا وتنصرف . بيّن لهم وارلهم انه ما يتركهم . لكنه التصق بهم على هذه الحال ان ارادوا . كالتصاق الغصن بالكرمة واتحاده بها * وايضاً فلكيلا اذا وثقوا واطمانوا يستلقوا على ظهورهم . قال لهم ان السجية الجيدة لن تكون غير متزعة ان ضجعوا وتوانوا * ثم لكيلا ينقل الفعل الى ذاته . ويصيّرهم ان يسقطوا اكثر . قال " في هذا الوجه مُجِّدَ ابي * " لانهُ في كل مكان يريهم حبّه وحبّ ابيه اياهم * فما ذكَرَ اذًا مجد النهود . لكنه ذكر صنوف المجد الذي استانفوا ان ياخذوهُ * ثم لكيلا يقولوا قد عدمنا الحظوظ الحاضرة حظوظ اباينا . واُهمِلنا . وصرنا عراة متفردين من الاشياء كلها . قال لهم . انظروا اليّ . قد احبني ابي . الّا انني مع ذلك اتكبد هذه الحوادث المنتظرة . فلستُ اترككم الان . لموضع انني لست احبكم . ولين كنت انا أقتلُ . فلست اجعل قتلي دليلاً على ان ابي ليس يحبني . فمن هذه الجهة ما يجب انتم ان ترتجفوا . لانكم اذا ثبتم في الحب لي . فلن تقتدر هذه الشدائد ان تورد عليكم ضرراً في اعتقاد الحب *

العظة السادسة والسبعون

في الحب للمسيح . وفي استكثار القنية . وان نافعاً لنا ان نفتقر افضل من ان نستغني *

فاذ كان الحب عظيم المحل قد عدم ان ينتهر . وليس هو لفظاً ساذجاً . فسبيلنا ان نظهرهُ باعمالنا فهو اذ كنا اعداء صالح بيننا * فلنثبت نحن في ان نكون احباء * هو ابتدى . فلو صار ان نتبعهُ نحن هو يحبنا ليس لفايدة تخصهُ . لانهُ هو قد عدم ان يكون محتاجاً . فلو صار ان نحبهُ نحن لما يوافقنا * هو احبّنا بعد ان كنا اعداء . فلنحبهُ نحن . ولو لانهُ لم يزل يحبنا * على اننا الان نعمل اضداد ذلك * لان الهنا يجدَّف عليهِ كل يومٍ لاجلنا . بسبب صنوف خطفنا ما ليس لنا . لاجل ضروب استغنامنا ونغطرسنا * ولعل قايلاً منكم يقول . كل يوم تخاطبنا في اجتناب الاستكثار من القنية : فاقول لهُ ليت امكنني ان اعمل هذا العمل في كل ليلةٍ ايضاً * ليت اتجه لي ان انضرع اليكم في السوق . وعلى المايدة * ليت كان ممكناً ان تبدي هذا الصوت دايماً النساء . والاصدقاء . والصبيان . والعبيد . والفلاحون . والجيران . والارض بعينها . والحيطان * لكي ولو على هذه الجهة . نتراخى عن ذلك قليلاً * لان هذا السقم قد اشتمل المسكونة كلها . وقد تمسك بنفوس جميع اهلها * واغتصاب المال

كثيرة * فالمسيح افتدانا . ونحن نتعبد للذهب * نُنادي بالسيادة لآخر . ونخضع لغيره * وما يامر به نعطيه بنشاطٍ . وقد جهلنا لاجله جنسنا . واصدقانا . وطبيعتنا . وشرايعنا . وكل ما يخصنا * فليس احد منا يرفع طرفهُ الى السماء . ولا يتوهم النعم المامولة * لكن سيكون وقت . ليس يكون لهذه الاقوال وقت * لانه قد قال « ليس في الجحيم من يعترف لك * » (مزمور ٦ ع ٦) فالذهب ماثور بخوّلنا نعماً كثيراً . وبصيرنا نوجد مكرمين * الاّ انهُ ليس هذا المحل محلهُ . بمنزلة السماء * لان الموسر يرتجع عنه كثيرون ويمقتونه . والعائش في الفضيلة يحتشمه كثيرون ويكرمونه * ولعلك تقول . الآن الفقير يضحك عليهِ . ولو كان مكيناً في فضيلته * فاجيبك . ليس يضحك عليهِ عند الناس . لكن عند فاقدي الاياس * ولذلك ليس يجب ان نرتجع عنهُ * لاننا ولو ان نهقت الحمير وصاحت العقاعق يجب ان نلتفت اليها * فنحن قد تركنا محفل الناس . ونظرنا الى ضجيج البهايم * لان الذين يستعجبون الاشياء الحاضرة . يشابهون العقاعق * وهم اشرّ من الحمير * ثم لو استعجبك ملك ارضي . ما كنت تهتم اهتماماً باحدٍ من الكثيرين . ولو ضحكوا كلهم عليك * فاذا مدحك سيد البرايا كلها . تلتمس انت مدايح الخنافس والبق : لان هؤلاء اذا قايستهم الى الله هذا المحل محلهم * والبق ما يقال ليس هذا محلهم . لكن بالاضافة احقر من البق والبعوض * الى متى تتقلب في الحماة : الى متى نجلس ناظرين الى حماقة النهمة بطونهم : اوليك يقتدرون ان يختبروا اللاعبين بالزد اختباراً بليغاً والعائشين لبطنهم . وما يقتدرون ان يتخيلوا الفضيلة والرذيلة ولا في نومهم : ثم لو ثلبك ثالب بانك ما تعرف ان تجري مجاري الغوادي . لما احتسبت ثلبهُ شديداً * لكنك كنت تضحك على من اورد زوال خبرتك بهذه الصناعة عيباً * فاذا شيت ان تحكم الفضيلة . تجلس الذين لا يعرفون صنفاً منها يمتحنون افعالها : فلهذا السبب ما نصل في وقت من اوقاتنا الى هذه الصناعة * لاننا نفوض اعمالنا ليس الى ذوي الامتحان والاختبار . لكننا نفوضها الى الفاقدين العلم بها يمتحنونها ليس على جهة اصل الصناعة . لكنهم يختبرونها على نحو زوال علمهم بها * فلذلك اسالكم ان نستحقر الثناء من الكثيرين * واولى بنا الاّ نشتهي مدايحهم * ولا نرتاحنّ الى الاموال . ولا الى الغنى * ولا نتوهمنّ ان الفقر حظاً ردياً * وبيان ذلك ان الفقر معلم . يعلمنا الحلم وضبط الهوى وكل فلسفة * اذ كان لعازر عاش في الفقر فكُلِّل * ويعقوب فقد اشتهى ان يملك خبزاً وحدهُ . ويوسف حصل في فقر

واصل الى غايتهِ * فما كان عبدًا فقط . لكنهُ صار مقيداً * ولهذا المعنى نستعجبهُ اكثر * على تمام حالهِ . فما نمدحهُ حين وَزَّعَ الحنطة . مثلما نمدحه حين سكن الحبس * ولا حين كان التاج موضوعاً عليهِ . لكن حين كانت السلسلة مطوقة على عنقهِ * وليس حين جلس على كرسي المملكة . لكن حين اغتيل عليهِ وبيع * فهذه كلها اذا تنهمناها . وتَفَطَنَّا في الاكلَّة المضفورة من هذه الجهادات . فلا نستعجب ثروة الدنيا وكرامتها ونعيمها ومقداراتها * لكن فلنستعجب الفقر . والسلسلة والقيود . والصبر والثبات من اجل الفضيلة * لان تلك الحظوظ غايتها قلق واراجيف . وموريثها محصور في هذه الدنيا * وثمرة هذه المصاعب السماء . والنعم الصالحة التي في السموات . التي ما ابصرتها عين . ولا سمعتها اذن . التي فليتفق لنا كلنا امتلاكها . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفهِ * الذي لهُ المجد الى اباد الدهور كلها امين

المقالة السابعة والسبعون

في قولهِ (١١) هذه الاقوال قلتها لكم . ليثبت سروري فيكم . ويتم فرحكم * (١٢) هذه هي وصيتي . ان يحب بعضكم بعضاً . مثلما انا احببتكم *

الاعمال الصالحة كلها انما تستغني حينئذٍ ثوابها اذا وصلت الى غاية واجبة واذا انقطعت في وسطها . يصير انقطاعها غرقًا لفائدتها * وكما ان السفينة المستوردة من الامتعة صنوفًا جزيلة . اذا لم تستوِ فتصل الى المينا . لكنها تغطس في وسط اللجة . لن تستفيد نفعاً من سيرها الكثير في البحر . لكنها تجعل المصيبة بهلاكها اعظم تاثيراً . بمقدار اصطبارها في مسيرها على اتعاب اكثر تعسيفًا * فكذلك النفوس الواقعة في الخطاء . عند نهاية اتعابها . التي تتراخى وتحل قوتها في وسط جهاداتها * ولهذا السبب ذكر بولس .. شرفًا وتكريمًا وسلامةً يلتقي الذين يسعون بصبرٍ في اعمال صالحة * " (روميه ص ٢ ع ٧) وهذا فقد اخترعه المسيح الان الى تلاميذه * لانهُ لما اقتبلهم وفرحوا بهِ . ثم دهمهم تالمه والفاظه المحزنة في وصفهِ . وشارف ذلك ان يقطع التذاذهم . قال لهم بعد ان فاوضهم اقوالاً كثيرة وعزاهم .. هذه الاقوال قلتها لكم . ليثبت سروري فيكم . ويتم فرحكم * " ومعنى ذلك هو . لكيلا تنفصلوا عني . لكيلا تقطعوا سعيكم . قد سُررتم بي . وفرحتم كثيراً . لكن قد دهمكم الاكتئاب .

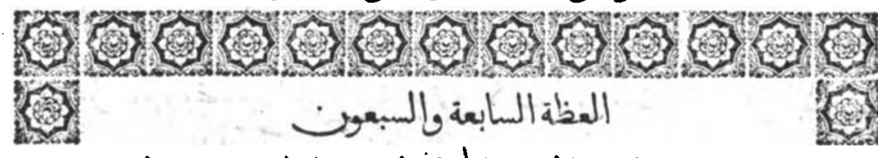
فانا اجناحهُ . ليوافيكم السرور عند نهايته. موضحاً لهم ان النوائب الحاضرة ليست موهلة لغم . لكنها موهلة لالتذاذ بها* قد رأيتكم متشككين . فما تهاونت بكم. ولا قلتُ لماذا لا تثبتون اجلاداً . لكنني خاطبتكم بما يورد التعزية لكم* واريد ان احفظكم في هذا الحب على هذا المثال كل حين * قد سمعتم ما قيل في ذكر الملكوت . فسررتم* فلكي يتم فرحكم قلت لكم هذه الاقوال * " هذه هي وصيتي . ان يحب بعضكم بعضاً . مثلما احببتكم انا * " ارأيت حبَّ الهنا منتظماً بحبنا كانتظام ضفيرة مضفورة . فلهذا السبب قال احياناً ان وصاياه وصيتان * وذكر احياناً انها واحدة * لاننا ما يتجه لنا ان نحصل الاولى. مادمنا لم نمتلك الاخرى *لانهُ قد قال حيناً . ان الشريعة والانبياء متعلقة في هذا الفعل *" (متى ص ٢٢ ع ٤٠) وقال حيناً " مهما شئتم ان تعمل الناس بكم. اعملوهُ انتم بعينه بهم* " (متى ص ٧ ع ١٢) فان هذا هو الشريعة والانبياء *" " والحب هو كمال الشريعة" (روميه ص ١٣ ع ١٠) وهذا فقد قالهُ ههنا . ان الثبات ان كان انما يتكوَّن من الحُبِّ . والحُبّ يتكوَّن من حفظ الوصايا . ووصيتهُ هي ان نحب بعضنا بعضاً * فالثبوت في الهنا انما يتكوَّن من الحُبِّ الذي يحبُّ به بعضنا بعضاً * وما ذكر حُبّاً على بسيط ذاته . لكنهُ قد اوضح محبتهُ فقال " مثلما احببتكم انا * " واراهم ايضاً ان مفارقتهُ اياهم ليست هي من بغض . لكنها من حبّ . فمن هذه الجهة قد وجب عليكم ان تستحبوني اكثر . من اجل هذا الانصراف * لانني من اجلكم ابذل نفسي * الاَّ انهُ ما قال لهم هذا القول بجهة من الجهات لكنهُ قد ذكرهُ فوق هذا الموضع لما مثّل الراعي الفاضل* وقال ههنا هذا القول في توصيته اياهم . وايضاحه لهم جسامة حبّه . واظهاره ذاتهُ من هو* فان قلت فما غرضهُ في ان يُعلي شان الحُبّ في كل مكان . اجبتك لان هذا الودّ هو ايضاح حال التلاميذ* هذا هو الذي يضمّ الفضيلة* لهذا السبب قال بولس في وصفه اقوالاً جزيلاً تقديرها . من جهة انهُ كان تلميذاً خالصاً للمسيح . قد خبرَ الحُبُّ خبرةً بليغةً * (١٤) " انتم احبتي انتم . فلستُ ادعوكم ايضاً عبيدي* (١٥) لان العبد ما قد عرف ما يعملهُ صاحبهُ* انتم احباي انتم * لان كل ما سمعتهُ من ابي . عرفتكم اياهُ * " فان قلت كيف يقول انني امتلك اقوالاً كثيرة اقولها لكم . الاَّ انكم الان ما تطيقون ان تحملوها . اجبتك . ليس يصلح معنى آخر باستماعهم هذه الاقوال . الاَّ انهُ ليس يتكلم كلاماً غريباً . وليس ينطق الاَّ بالفاظ ابيه* ولما كان هذا الفعل اكثر من كل فعل

يظن انهُ من الحبّ . وهو ان يقول لمن يحبهُ الاقوال التي يغتاص وصفها والتكلم بها . فقد اهلتم لهذه الشركة * واذا قال كلما سمعتهُ من ابي . دائما يقول كل ما وجب ان تسمعوهُ . قلته لكم * ثم وضع ايضًا دلالةً اخرى على حبهِ ليس يسيرة * وهي انهُ قال (١٦) .. لستم انتم اخترتموني . لكنني انا اصطفيتكم * " ومعنى هذا هو انا بادرت الى حبكم * وما وقف ههنا . لكنهُ قال ورتبتكم . وذلك هو وغرستكم . حتى تنطلقوا انتم * فقد استعمل ايضًا نقل لفظ الكرمة . وهو لكيما تمتدوا وتنبسطوا وتجيبوا ثمرًا . ويثبت ثمركم باقيًا * فان يكن ثمركم يثبت باقيًا . فاليق واوجب ان تبقوا انتم * لانهُ قال انني ما احببتكم فقط . لكنني احسنتُ اليكم اعظم الاحسانات . وبسطت اغصانكم في كل موضع من المسكونة * أرأيت بأيَّة اقوالٍ اوضح حبهُ : بوصفهِ لهم الاسرار التي قد فاتها التكلم بها . بمبادرتهِ الى حبهم . اولاً بانهُ وهب لهم النعم الصالحة الجسيم قدرها . بتالمهِ من اجلهم بما تالم بهِ حينئذٍ * واراهم من هذا انهم يستانفون ان يجيبوا ثمرًا يبقى بقاء دائمًا * لانهم بلازم الضرورة اذا استحقوا بالمعونة منهُ . يقدمون بهذه الصفة ثمرهم * .. لكي مهما تسالون فيهِ ابي باسمي . اجود بهِ عليكم * " على ان للمسيول هو افتعال ما يسال فيهِ * فان كان ابوهُ يسال . فكيف يعلق الابن ما يسال ذلك فيهِ * فهذا قيل لتعلم انت ان الابن ليس هو ادنى * (١٧) .. هذه الاقوال قلتها لكم . لكي يحب بعضكم بعضًا * " وذلك هو لستُ اقول هذه الاقوال مُعيرًا اياكم . وهي انني ابذلُ نفسي عنكم . انني بادرت الى حبكم ايضًا . لكنني قلتها منقادًا اياكم الى حبي * ثم اذ كان طرد الكثيرين اياهم وتعبيرهم مستصعبًا احتمالهُ . فيهِ كفاية ان يذلل النفس العالي محلها . لهذا السبب تقدم فقال اقوالاً جزيلاً عددها . مهَّدَ بها حينئذٍ لهذا الاحتمال * لانهُ قد تقدم فعرك النفس منهم . وافضى بعد ذلك الى هذه الاقوال * فقد اوضح انهُ من تكاثر ودهِ قالها من اجلهم كما اوضح اقوالهُ الاخرى * لانهُ كما انهُ قال انهم ليس يجب عليهم ان لا يتجموا للعوارض من انصرافي . لكنهم ينبغي لهم ان يفرحوا بانني اذهب الى عند ابي * لانني لست اعمل هذا العمل مهملاً اياهم . لكنني اعمله لانني احبهم حبًا شديدًا * فكذلك اوضح ههنا انهم ينبغي لهم ان يفرحوا بالمحن . وما يجب ان يتوجعوا لها * وانظر كيف يصلح هذا . لا لما قال ان هذا العارض محزنٌ . لكن احتملوهُ لاجلي * اذ قد تالمتم بهِ لاجلي * لان هذه المحبة ما كانت فيها كفاية ان تسلاهم وتسليهم . فلذلك اهملها . ووضع اخرى غيرها . وهي ان هذا الفعل

دليل على الفضيلة الاولى * وانكم تحتاجون بخلاف ذلك ان تجمعوا . ليس على انكم قد مقتم الان . لكن ان شيتم ان تجعوا فيجب عليكم ان تتالموا * لان هذا المعنى يذكره ذكرًا غامضًا في قوله (١٩) .. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب ما يخصه * " فمن هذه الجهة ان احبكم العالم . فواضح انكم قد اوردتم ايضاحًا لخبثه حاصلاً فيكم . ثم اذ كان قد تقدم فقال هذا القول . وما اخترع به هذا المعنى . تمادى في كلامه ايضًا . وقال (٢٠) .. ليس يوجد عبد اعظم من مولاه * ان كانوا قد طردوني . فسيطردونكم * " فقد اظهرهم في هذا الوجه اكثر من سائر الوجوه . صابرين مماثلين اياه * لان الى حين كان المسيح ههنا في الجسد . اعتمدوه بحربهم * فاذ انتقل جاء حرب اوليك الى هولاء التلاميذ * ثم اذ كانوا طائفة يسيرة . ارتجفوا من نهوضهم الى حرب جمع جزيل عدده متسوم الى حربهم * فانهض النفس منهم بقوله . ان هذا العمل هو اكثر من كل عمل فعل للسرور . وهو ان يمقتوكم * لانكم على هذا الحال تشاركونني في الاسمي * فما ينبغي اذًا ان ترتجفوا . لانكم لستم افضل مني * كما تقدم فقال .. ليس يوجد عبد افضل من مولاه * " اورد بعد ذلك تعزية ثالثة . ان اباه يُشتم معهم * لانه قال . (٢١) .. هذه الافعال كلها يفعلونها لاجل اسمي * لانهم ما قد عرفوا من ارسلني * " وذلك هو انهم يشتمون ابي ايضًا * ومع هذه الاقوال لما اعدم اوليك عفوه . وضع لهولاء تعزية اخرى * فقال (٢٢) .. لو لم اجي فاخاطبهم . لما كانوا امتلكوا خطية * " موضحًا انهم على جهة الظلم يعملون المكاره التي يوصلونها اليه والى اوليك * فلو جاز ان يقولوا له . فما غرضك في انك سقتنا الى بلايا هذا المبلغ مبلغها : افما قد تقدمت فعرفت حروبهم ومقتهم : لاجابهم وقال . فلهذا المعنى قلت (٢٣) .. فمن يمقتني . يمقت ابي ايضًا * " فقد سبق فوصف عقوبة ايضًا ليست يسيرة لهم * لانه لما احتجوا في اعلى قولهم واسفله . انهم انما طردوه لاجل ابيه . قال هذه الاقوال . مبطلاً احتجاجهم * لانهم ما يمتلكون حجة * انني خولت التعليم من اقوالي * لانني قد اضفت الى ذلك التعليم . من اعمالي على حدو شريعة موسى . الذي اوعز اليهم كلهم . لن يقبلوا ممن يعمل هذه الجرائح وامثالها . ويقول هذه الاقوال ونظائرها . اذا اقتادهم الى تهذب الدين . وخولهم عجائب جسيمة * وما ذكر ايات على بسيط ذاتها . لكنه انما ذكر ايات ما اجترحها غيره * وقد صاروا هم شهودًا بها . اذ قالوا هذا القول .. ما ظهر في وقت من الاوقات هكذا في آل اسرائيل * وما سمع منذ الدهر ان احدًا فتح عيني اعمى مولود * " (يوحنا ص ٩

ع ٢٣) وقد قالوا هذا القول في انهاضه لعازر. والعجائب الاخرى كلها. هذا القول كان قولهم فيها. وحال اجتراحه العجائب واياته كلها جديدة بديعة مستغربة * ولو كانوا استخبروهُ. فلمَ يطردونك ويطردوننا: لاجابهم ،، لانكم لستم من العالم * فلو كنتم من العالم. كان العالم يحب خاصته * " فقد سبق فاذكرهم باقواله التي قالها لاخوته * لكنه قالها لاوليك بابلغ الوعظ. لكيلا يلذعهم * وههنا تكلم بخلاف ذلك * فكشف المعنى كله * ولو سالوهُ فمن اين يعرض لنا هذا: لاجاب. لاجل هذا نُبغض. من حوادث حسدهم الواصلة اليّ * لان اي قولٍ من الاقوال التي قلتها. واي عمل من الاعمال التي عملتها. ينساغ لهم ان يعيبوهُ. فما قبلوني: ثم لما كان هذا الفعل مفزعاً لرسله. ذكر علتهُ انها هي خبث اوليك. وما وقف كلامه ههنا. لكنه اقتاد النبي واراهم اياهُ منذ اعلى الزمان قد تقدم فذكر ذلك قايلاً (٢٥) ،، انهم مقتوني مجاناً * " (مزمور ٦٨ ع ٥) وهذا العمل قد عمله بولس لما استعجب اناس كثيرون. كيف اليهود ما آمنوا: اقتاد انبياءه قد تقدموا فذكروا ذلك منذ اعلى الزمان * واصحوا العلة في انكارهم. ان خبثهم وتعظمهم علة زوال تصديقهم * وحتى لا يقولوا لهُ فماذا نعمل. ان كانوا ما حفظوا قولك: فلهذا السبب ما يحفظون قولنا. ان كانوا قد طردوك. فيطردوننا * ان كانوا قد ابصروا اياتٍ ما ابصرها باصرٌ كائنة من غيرك. ان كانوا قد سمعوا الفاظاً ما سمع سامعٌ مثلها من غيرك. فما استفادوا نفعاً. ان كانوا قد مقتوا اباك ومقتوك معه. فلمَ القيتنا في معاندتهم: كيف نكون نحن فيما بعد موهلين عندهم للتصديق: مَن يصغي الينا من الذين قبيلتهم قبيلتنا: ولكيلا يفتكروا في هذه الافكار فيرتجفوا. انظر اية تعزيةٍ اورد لهم. قال (٢٦) ،، اذا جاء المعزي الذي ارسله انا اليكم. روح الحق. الذي ينبعث من ابي. ذاك يشهد لي * (٢٧) وانتم تشهدون لي * لانكم معي انتم من الابتدا * " ذاك يكون موهلاً لتصديقه. لانهُ روح الحق * ولهذا المعنى ما دعاهُ روحاً قدساً. لكنهُ سماهُ روح الحق * ولفظة انهُ ينبعث من الاب. معناها انه قد عرف الاشياء كلها معرفةً بليغة. على نحو ما قال هو في وصف ذاته ،، انني قد عرفتُ من اين جيت. والى اين اذهب * " ولما تكلم هناك في ذكر الحق. وقال الذي ارسلهُ انا * فما المرسِل ليس هو الاب فقط. لكن الابن معهُ ايضاً هو المرسِل الروح * وانتم الكائنون في صحبتي. الذين ما سمعتم من اناس آخرين اقوالي. تتملكون القول الموهل لتصديقه * فالرسل من هذه الجهة استظهروا في احتجاجهم.

اذ قالوا ،، نحن الذين اكلنا وشربنا معهُ * ،، (ابركسيس ص ١٠ ع ٤١) والدليل على انهم لم يقولوا هذه الاقوال لتحمدِ اليهِ . فالروح يشهد لما قالوهُ * (الاصحاح السادس عشر) (١) ،، هذه الاقوال قلتها لكم لكيلا تشكوا * ،، ومعنى ذلك هو اذا رأيتم كثيرين عاصين لكم مخالفين . واذا قاسيتم المصاعب . (٢) ،، وصيروكم مفروزين من مجمعهم * ،، لانهم توافقوا فيما سلف . متى اعترف بهِ معترف انهُ المسيح . يكون مفروزاً من مجمعهم * .. لكن سيجي وقت يُظن فيهِ كل من يقتلكم . انهُ يقدم لله عبادة * ،، فعلى تمثيل حالهم انهم يستشعرون قتلكم كفعلٍ محمود مرضياً لله . ثم يورد لهم التعزية ايضاً . (٣) ،، وهذه الافعال يفعلونها . لانهم ما قد عرفوا ابي . ولا عرفوني * ،، فيكفيكم للتعزية مقاساتكم هذه المصاعب لاجلي . ومن اجل ابي * وههنا يذكرهم ايضاً بتطوبهِ . الذي قالهُ حين ابتدى تعليمهُ ،، مغبوطون انتم اذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل قولٍ خبيث من اجلي كاذبين * افرحوا وابتهجوا فان ثوابكم عظيمٌ في السموات ،، (متى ص ٥ ع ١١) (٤) ،، هذه قلتها لكم . لكي اذا جاء الوقت تذكرونها * ،، حتى من هذه الاقوال تحتسبوا بان اقوالي صادقة * لانكم ما ينساغ لكم ان تقولوا . انني خاطبتكم بما احمد بهِ اليكم مدكلزاً لكم * ولا يتجه لكم ان تقولوا . ان اقوالي كانت اقوال خدعة * لان من يعتزم ان يطغيكم . ليس من شانهِ ان يتقدم فيقول لكم هذه الاقوال التي تحجزكم عنهُ * فلهذا الغرض تقدمت فقلتها لكم . لكيلا تداهمكم خائبين من انتظارها . فترجفكم وتزعجكم * ولاجل علةٍ اخرى . لكيلا يقولوا . انني ما كنت اعرف هذه انها ستحدث * فتذكروا انني قلت لكم * لانهم اخترعوا دائمًا لطردهم اياكم شكلاً خبيثًا . وطردوكم بمنزلة مفسدين * الا ان هذا القول ما ارجف التلاميذ . اذ سبقوا فعرفوا الامال التي من اجلها تكبدوا الضيم * لان علة الحوادث كانت علة كافية لانهاضهم * ولهذا الغرض ردَّدها في كل موضع * اذ قال انهم ما عرفوني . وانهم لاجلي يعملون بكم هذا . ولاجل اسمي . ومن اجل ابي * وانني اولاً قاسيت هذا منهم . وانهم اجترأوا على هذه الافعال ليس من علةٍ عدلة *



العظة السابعة والسبعون

في اننا ينبغي لنا ان نصطبر من اجل المسيح على العوارض والالام بفرح * وان نبتعد من الافعال

الردية * وفي الصدقة ومنفعتها *

هذه الاقوال فلنكرر نحن تذكرها في المحن. اذا قاسينا من اناس لحبنا مكروهًا * ناظرين الى رئيس امانتنا ومكملها * وان ذلك من اناس اردياء. وانهُ لاجل الفضيلة. وانهُ لاجل الهنا * لاننا اذا افتكرنا هذه الافكار. ستكون العوارض كلها سهلة علينا محمولة عندنا * ولئن كان احدنا اذا تكبد مكروهًا من اجل اصدقائه المحبوبين عندهُ. يفتخر بذلك * فان قاسى احدنا لاجل الله ضيمًا. اي حس للصاعب يشعر به. ولئن كان هو لاجلنا سمى الصليب الذي كان عقوبة توجب التعيير مجدًا وشرفًا. فاليق واوجب بنا ان تكون هذه الحال حالنا وهذا الراي راينا * ولئن كنا نقتدر على هذه الجهة ان نتهاون بالعوارض. فاليق بنا واوجب ان نزدري الاموال واستكثار القنية * فيجب علينا اذا شارفنا ان نتكبد مكروهًا. ان نتفطن ليس في اتعاب مقاساته. لكن في الاكلة التي نستفيدها منهُ * وكما ان التجار ما يفتكرون في اللجج فقط. لكنهم يفتكرون معها في الارباح. فكذلك سبيلنا نحن ان نفتكر في السما. وفي الدالة لدى الهنا. فان استبان عندك الاستكثار من القنيات مستلذًا. فاخطر بوهمك ان المسيح ليس يريدهُ. فيستبين عندك في الحين مكروهًا * وان كان العطا للفقرا مستثقلاً عندك. فلا تقف فكرك عند التوزيع والنفقة. لكن انقل تمييزك في الحين من الزرع الى الحصاد * واذا كان مستصعبًا عندك ان تستحقر عشق امراة غريبة. فافتكر في الاكليل الناشي من التعب. فتحتمل تعب ضبط هواك باسهل مرام * ولئن كان الخوف من الناس من شانه ان يدفع الافعال المنكرة الشنعة. فاليق بالشوق الى المسيح واوجب ان يدفعها * فالفضيلة صعبة. لكن ينبغي ان نضع لدى وجهها جسامة الوعد بالنعم المامولة * لان المكينين في الفضيلة خلوًا من هذه الامال. يبصرون الفضيلة حسنة على انفرادها * ولهذا السبب يستعملونها ويستصحبونها * ولاجل العزم الماثور عند الله. ما يحتسبون عفافهم عملاً عظيمًا. ولا يعملونهُ لاجل ثواب ينالونهُ. ولا يحكمونه حتى لا يعاقبوا. لكنهم يمارسونه. اذ كان الله قد امر به * وان يكن احد اضعف من هولاء عزمًا. فليتفهم رايات الظفر. وهذا الماخذ ينبغي ان ناخذ في افتعال الصدقة * ونرحم الذين قبيلتهم قبيلتنا * ولا نتغافل عنهم يضويهم الجوع ويفسدهم * وكيف ليس مستشنعًا. ان نجلس لدى المائدة ضاحكين متنعمين. ونسمع اناسًا آخرين مجتازين في دربنا يتشهقون باكين. فلا ننعطف الى عويلهم

لكننا نستصعب عويلهم . ونسميهم مخادعين : ماذا تقول يا انسان : بسبب رغيف واحد ينظم
احد الناس خدعة : ولعلك تقول · نعم * فاجيبك . فينبغي ان ترحمه لهذا الفعل اكثر من غيره .
وسبيلك ان تزيل من الضرورة ضيقة * فان كنت ما تشاء ان تعطيه . فلا تشتمه * ان لم تؤثر ان تزيل
غرقه · فلا تكردسه الى الهاوية * لانك سبيلك ان تتفطن اذا دفعت الفقير حين يتقدم طالباً
مواساتك · من تكون اذا توسلت الى الله : فانه قد قال ،، بالكيل الذي كلتم به يكال لكم * ''
(متى ص ٧ ع ٢) تفهم كيف قد ذهب ذاك متطحن القلب . مطرقاً الى اسفل . منتحباً مع فقره .
قد اخذ من مسبتك اياه ضربة * فان كنتم انتم قد اعتدتم استماحة الفقير لعنة * فانظر كم سبباً تخترع له .
اذا طلب فلا ياخذ · وانصرف مشئوماً : الى متى نشابه الوحوش · ونجهل طبيعتنا بعينها · لاجل
تفطرسنا : كثيرون يتحسرون بهذه الاقوال . لكنني لست اشاء ان تملكوا الان الرحمة . لكنني اريد
ان تملكوها كل حين * تتفطن لي في ذلك اليوم . اذا وقفنا لدى موقف المسيح . اذا استحناه ان
يرحمنا . فاقتاد هو هولاء الى وسط موقفه . وقال لنا · لاجل رغيف واحد · وفلس واحد . اخترعتم
لهذه النفوس تسافق موج هذا مقداره · ماذا تقول له : ما الذي نعتذر به : والدليل على انه
يقتادهم الى وسط موقفه · اسمع ما ذكره في ايضاح ذلك * ،، اذ لم تعملوا بواحد من هولاء معروفاً ·
ولا بي عملتموه * '' لان اوليك الفقراء ليس يقولون حينئذ قولاً . لكن الهنا يقرّعنا من اجلهم * اذ كان
الغني قد ابصر لعازر . فما قال له لعازر قولاً * الا ان ابراهيم اجرى الخطاب نائباً عن لعازر * على
هذا المجرى يجري حالنا مع الفقراء الذين نستحقرهم الان * لاننا ما نبصرهم هنالك مادّين ايديهم الينا
بشكل يرثى له · لكننا نبصرهم موجودين في راحة وترفه . ونتسلم نحن شكلهم هنا * وليتنا نتسلم شكلهم
فقط . ولا نشتمل تعذيباً اصعب العقوبات كثيراً * لان الغني ما اشتهى هنالك ان يشبع من الفتات .
لكنه كان يتقلى ويتعذب تعذيباً صعباً * وسمع ،، انك قد استوفيت حظوظك الصالحة في حياتك .
ولعازر قد استوفى ذلاته الردية * '' (لوقا ص ١٦ ع ٢٥) فلا نستشعرنّ الغنا حظاً عظيماً * فانه
سيكون لنا زاداً لتعذيبنا . ان لم نتيقظ لانفسنا * كما اننا اذا تيقظنا لنفوسنا . يصير الفقر لنا زيادة في نعيمنا
وراحتنا * لاننا نطرح به خطايانا . اذا احتملناه باوفر شكرنا . ونستغني عند الله الدالة كثيرة * فلا نتمنين
الراحة والرفاهية دائماً . لنستمتع بالراحة هنالك * لكن فلنقتبل الاتعاب من اجل الفضيلة . ونقطع ما كان

زيادة وفضلة. ولا نلتمس شيأً اكثر. لكن فلنغني موجوداتنا كلها في المحتاجين* لان اي اعتذار نملكهُ
اذا كان هو قد وعدنا السماء. فلا نعطيه نحن ولا رغيفاً: اذا اشرق لك هو شمسهُ وخولك خليقتهُ
كلها لخدمتك. فما تعطيه انت ولا ثوباً. ولا سقفاً تجعلهُ شريكك فيهِ* وما معنى ذكري شمسهُ وخليقتهُ.
قد بذل لك جسدهُ. واعطاك دمهُ المكرم. وانت ما تعطيه قدح ماء: ولعلك تقول. فقد اعطيته
دفعة* فاقول لك. الا ان ليس ذلك رحمة*. لانك ما دمت تملك شيأً. ولا تعين بهِ مضروراً.
فما قد تمت بعد مقصود الرحمة كلهُ* اذ اولئك العذارى قد حوين مصابيحهن. وقد ملكن
زيتاً. الا انهُ ما كان كثيراً واسعاً* وقد كان واجباً عليك. لو كنت تعطي الفقرا ما هو لك. الا
توجد بهذه الصورة شحيحاً. فالان انما تعطيهم امتعة سيدك. فلمَ تشح عليهم بها: افتريدون ان اقول علة
هذا البخل وزوال الانسانية: من الاستغنام يجمعون ما يوجد لهم. وهم عاجزون عن الصدقة* لان مَن
تعلم ان يربح على هذه الجهة ليس يعرف ان ينفق* لان مَن يكون متسوماً اختلاس ما ليس لهُ. كيف
يقوم ذاتهُ في ضد ذلك: لان من ياخذ ما يستمدهُ من آخرين كيف يمكنهُ ان يعطي آخر ما يوجد
لهُ: لان الكلب اذا ندرب باكل اللحوم. ليس يمكنهُ ايضاً ان يحفظ الرعية* ولهذا السبب تقتل الرعاة
الكلاب الذين هذه سجيتهم* فلكيلا يصيبنا نحن هذا المصاب. فلنبتعد من الاكل الذي هذه صفتهُ*
لان هولاء الذين يوردون على الفقراء موتاً بتجويعهم اياهم ياكلون لحومهم* اما تبصر الهنا كيف بذل
لنا البرايا كلها مشتركة مشاعة: وان كان قد اهمل اقواماً ان يفتقروا في الاموال. فهذا انما فعلهُ بسبب
تعزية الموسرين. ليملكوا التعري من خطاياهم بصدقتهم على اولئك المساكين* وانت قد صرت في
هذه الجهة قاسياً خالياً من الانسانية* فمن هذه الجهة بستبين واضحاً. انك لو امتلكت هذا السلطان
في حظوظٍ عظيمة. لاخترعت صنوفاً من القتل كثيرة. واغلقت الضوء والحياة كلها. فلكيلا يصيبنا
هذا المصاب يلزمنا اضطراراً ان نقطع الشرَه في تلك المكاسب* فان توجعتم اذا سمعتم هذه الاقوال
فاولى بي والبق ان اغتم واتوجع. اذا ابصرت هذه الافعال الكائنة* الى متى تكون انت موسراً.
وذاك فقيراً. الى حين المساء: وليس يمتد ذلك الى ابعد من هذه الغاية* لان عيشتنا بهذه الصورة
قصيرة المدة واحوالنا كلها قد وقفت الان عند ابوابها. وفي اواخرها* فعمرنا كلهُ ينبغي ان نستشعر
مقدارهُ. مقدار ساعة قصيرة* فما حاجتك الى خزاين فايضة والى جماعة من العبيد والخزان: ولم لا

تملك من صدقتك منافع جزيلاً عددهم * لان خزائنك ليس من شانها ان تبدي ولا صوتاً * لكنها تستجذب اليها لصوصاً جزيلاً عددهم * واما خزاين الفقراء فتصاعدك الى الله بعينه * وتصير عيشتك الحاضرة مستلذة . وتحل خطاياك كلها . وتورد لك شرفاً عند الله . وتكريماً عند الناس * فلمَ تبخل على ذاتك بنعم صالحة جزيل تقديرها . لانك اذا احسنتَ الى الفقراء . فانما تجود ليس على اوليك . لكن على ذاتك باحسن الصلات واعظمها قدراً * لانك اذا تلافيت في اوليك الحوادث الحاضرة عليهم . فانما تخزن بنفسك المجد المامول والدالة . التي فليكن لنا كلنا ان نمتلكها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفهِ . الذي لهُ المجد الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الثامنة والسبعون

في قولهِ (٤) هذه الاقوال في ابتداء ما قلتها لكم لانني كنت معكم * (٥) والان اذهب الى مَن ارسلني . وليس يسالني سائلٌ منكم الى اين تذهب * (٦) الا انني حيث قلتُ لكم هذه الاقوال . قد ملاء الغم قلبكم *

ان غصب الاغتمام لعظيم . ويحتاج الى شجاعة كثيرة . لكي نثبت مقابل هذا الداء بجلادة . ونستثمر الصنف النافع منهُ . ونهمل ما كان فضلةً زائدة * لانهُ يحوى صنفاً نافعاً * لاننا اذا اخطانا نحن او آخرون فحينئذٍ يوجد اغتمامنا نافعاً جيداً * واذا سقطنا في نوائب انسانية . فاستعمال الاغتمام حينئذٍ قد زال الانتفاع بهِ * ربما صارع تلاميذ ربنا هذا الداء . وما كانوا بعد تامين . انظر كيف يتلافاهم بتقريعه اياهم * لان الذين سالوهُ فيما سلف مسائل جزيلاً عددها . (لان بطرس قال اين تذهب . وتوما قال ما قد عرفنا الى اين تذهب فكيف يمكننا ان نعرف الطريق . وفيلبس قال لهُ . ارنا ابك *) اذ سمعوا انهم يفرزونهم خارج مجمعهم . وانهم يقتلونكم . وان مَن يقتلكم يظن انهُ قد قدّم لله عبادةً . تكردسوا على تمثل حالهم في الغم تكردساً اوصلهم الى استحواذ الصمت فيما بعد عليهم . فما خاطبوهُ خطاباً * وذلك فقد ذكرهُ لهم معيّراً اياهم . هذه الاقوال منذ الابتداء ما قلتها لكم . لانني كنتُ معكم * والان اذهبُ الى مَن ارسلني * وليس يسالني سائلٌ منكم الى اين تذهب * الا انني حين قلتُ لكم هذه الاقوال . قد ملأ الغم قلبكم * لان افراط هذا الغم رديٌ مُستصعبٌ . والموت مخترعٌ *

ولهذا السبب قال بولس .. لكيلا يبتلع مَن هذه الحال حالهُ اغتمامهُ الزايد المفرط* " قال هذه الاقوال ما قلتها لكم منذ الابتداء* فلن سالتَ . فلمَ ما قالها من الابتداء : اجبتك . لئلا يقول قائلٌ انهُ انما قالها حادساً عليها من العوارض التي عرضت في اكثر الاوقات* وما الذي احوجهُ الى اعلان فعلٍ يمتلك صعوبةً هذا مبلغها : كانهُ قال . قد عرفتُ هذه الحوادث منذ الابتداء* وليس لانني لم اعرفها ما قلتها . لكن لانني كنت معكم* وهذا القول ايضاً على جهة انسانيته* كانهُ قال انكم كنتم في حياطتي . وكان ممكناً منكم متى ما شيتم ان تسالوني* والحرب كلهُ كان ثائراً عليَّ . فكان فضلةً زائدةً ان اقول لكم هذه الحوادث منذ الابتداء* ولعلك تقول . او ما قد قال لهم حينيذٍ هذه الاقوال : انما استدعى الاثني عشر وقال لهم " ستُقادون الى حضرة أُمرآء وملوك . وسيضربونكم بالسياط في مجامعهم* " (متى ص ١٠ ع ١٨) فكيف قال منذ الابتداء ما قلتها لكم : فاجيبك . قد تقدم لعمري فذكر ضربهم بالسياط . واقتيادهم الى المجامع . الاَّ انهُ ما ذكر ان موتهم على تمثيل حالهِ يوجد عند اوليك محروصاً عليهِ . حتى انهم يستشعروا اراقتهُ عبادة* لان هذا قد كان فيهِ كفاية . ان يريعهم اكثر من جميع العوارض . ان شانعوا ان يحكم عليهم كانهم ملحدون مفسدون* ومع هذه الاقوال ينساغ لنا ان تقول ذاك القول . انهُ ذكر هنالك ما استانفوا ان يقاسوهُ من الامم . وههنا زادهم الحروب اليهودية بافراطٍ كثير اكثر من غيرها . وعرفهم انها قريبة قد دنت من ابوابهم " والان اذهب الى عند مرسلي . وليس يسالني سائلٌ منكم . اين تذهب : الاَّ انني اذ قلتُ لكم هذه الاقوال . قد ملأَ الغم قلبكم* " وليست هذه تعزية يسيرة . انهُ قد عرف افراط اكتيابهم* لانهم ادهشهم انزعاجهم . لاجل افتقارهم منهُ* والمصاعب المامولة التي توقعوها . لانهم ما عرفوا ان كان يمكنهم احتمالها بجلادةٍ وشجاعة* فان قلت . فلمَ ما قالها لهم بعد ذلك لما أُهِّلوا للروح : اجبتك . لكي تعلم انهم كانوا مكينين في الفضيلة جداً* لانهم ان كانوا إذ لم يوهَّلوا بعد للروح ما طفروا هاربين . وقد انطمروا باغتمامهم . فتفطن اي انامٍ استانفوا ان يصيروا . اذا استمتعوا بالنعمة : لانهم لو كانوا حينيذٍ سمعوها واحتملوها . لاحتسبنا الفعل كلهُ للروح* فالان ثمرة صبرهم كلها هي لتمييزهم . وبرهان واضح لشوقهم الى المسيح . اذ امتحن سريرتهم عارية* (٧) .. الاَّ انني انا اقول لكم الحق* " ارايتَ كيف يعزيهم ايضاً : لانهُ قال لستُ اخاطبكم لتحمدِ اليكم . لكنكم ينبغي لكم ان تسمعوا مني ما يوافقكم . ولو اغتممتم

دفعات جزيلاً عددها . لان حضوره عندكم يوجد في عزمكم . واما العزم الموافق فغيره * والمهتم يوجد الاّ يخجل على معارفه بالراي الموافقة . ولا يحجزهم عمّا يوافقهم * لانهُ قال ,, ان لم انطلق انا . فالمعزي ليس يجيّ * " فما الذي يقوله ههنا . الذين ليسوا يمتلكون رايًا واجبًا صائبًا في الروح : أفيكون موافقًا ان يمضي سيدٌ . ويوافي عبدٌ : أترانيس كيف رتبة الروح عظيمة : ,, فاذا ذهبت ارسله اليكم * ,, ولو سُئِل ما الفائدة من ذلك : لاجاب . (٨) ,, اذا جاء ذاك يوبخ العالم * " ومعنى ذلك هو . اذا جاء ذاك . فما يهملهم اذا عملوا هذه الاعمال ناجين من عقوبة * لان الحوادث الكائنة فيما سلف . فيها كفاية ان تطبق افواههم * فاذا تكونت هذه الايات بذاك الروح . وصارت تعاليم أتمّ كمالاً . وايات اعظم قدرًا . سيوجب الحكم عليهم اكثر واوجب . اذا ابصروا ايات هذا المقدار مقدارها صائرة باسمي * وذلك يجعل البرهان على قيامتي اكثر وضوحاً * لانهم الان يمكنهم ان يقولوا انهُ ,, ابن النجار . الذي قد عرفنا نحن اباهُ * " فاذا ابصروا الموت محلولاً . والرذيلة منتزعة . وعرج الطبيعة مصطلحًا . والشياطين مطرودين . وتخويل الروح يغتاص وصفه * وهذه الجرائم كلها صائرة بالاستغاثة بي . ماذا يقولون : لان ابي شهد لي . وسيشهد لي الروح * على انهُ قد شهد لي في ابتداء اعتلاني * لكنهُ الان يعمل هذا العمل بعينه * ولفظة يوبخ على الخطية . فمعناها هو انهُ يقطع كافة احتجاجهم . ويوضح انهم مجترمون جرايم قد فاتها العفو عنها * (١٠) ,, ومن اجل العدل * انني انا منطلق الى ابي . وما تبصرونني ايضاً * " ومعنى هذا هو . انني قد خوّلت عيشة قد فاتها الوصول اليها * وهذا دليل عليها . انني منطلق الى ابي * لانهم اذ كانوا قد شكوا منهُ هذا دائمًا انهُ ليس هو من الله . ولهذا السبب دعوهُ خاطيًا . وللشريعة متجاوزًا . قال انهُ يبطل هذه الحجة . بانهُ ان كان ظنهم . انني لست موجودًا من الله . هذا قد اوضحني عندهم متعديًا للشريعة . فاذا اوضحني الروح منطلقاً الى هنالك . ليس مقدار ساعة . لكن مقيماً هنالك دائمًا * (لان لفظة ما تبصرونني ايضاً . هي دالّة على هذا المعنى *) ماذا يقولون بعد ذلك : وابصر توهمهم الخبيث مبطلا بهاتين الحجتين * لان اجتراح العجائب ليس هو لخاطي * (لان خاطيًا ما يقتدر ان يعمل ايات) ووجوده عند الله كل حين . ليس هو لخاطي * فمن هذه الجهة ما يقتدرون ان يقولوا ايضًا ان هذا هو خاطي . لانهُ ليس هو من الله * (١١) ,, ومن اجل الحكم . لان رئيس هذه الدنيا قد اوجب الحكم عليه * "

فهمتنا ايضاً بحرك الكلام في العدل * لانهُ قد صارع معاندنا * فلو كان خاطياً . لما كان صارعهُ * وهذا الصراع فما قدر ان يعملهُ ولا واحدٌ عادلٌ من الناس * والدليل على انهُ لاجلي قد أُوجب الحكم عليه . فيعرفهُ الذين يتوطونهُ اخيراً . العارفون قيامتي معرفة واضحة * وذلك فهو فعل موجب الحكم عليه * لانهُ ما اقتدر ان يضبطني * واذ قد قالوا انني اشتمل شيطاناً . وانني مضلٌ انا . فهذه الاقوال بعد تلك . ستستبين باطلة . لانني لو كنتُ غريماً بخطية . لما كنتُ استاصلتهُ * فالان قد اوجب الحكم عليه وقد أُخرج (١٢) " اقوالٌ كثيرة امثلكها . اقولها لكم . الاّ انكم الان ما تستطيعون احتمالها * " فيوافقكم اذاً ان اذهب * ان كنتُ اذا مضيتُ انا . حينيذٍ يتجه لكم ان تحتملوها * فلو جاز ان تسالوهُ . فما الذي قد حدث : أفالروح هو اعظم منك : لاننا الان ما نحتملها . وذاك يجعلنا ان نحتملها * فهل فعل ذاك اعظم من فعلك واتم كمالاً : لاجاب . ليس هذا المعنى قولي . لان ذاك انما يتكلم اقوالي * ولهذا السبب قال (١٣) " انه ليس يتكلم من ذاتهِ قولاً . لكنهُ انما ينطق بما يسمعهُ ويخبركم بالحوادث الواردة * (١٤) لانهُ انما ياخذ مما هو لي ويخبركم * (في تفسير قول الانجيل ياخذ مما لي ويخبركم) (١٥) كل ما يملكهُ ابي . لي هو * " لعمري انهُ لما قال ان ذاك الروح يعلمكم . ويذكركم . ويعزيكم في ضغطاتكم . وهذا العمل فما عملهُ هو . وانهُ يوافقكم ان اذهب انا . وان يجيء ذاك * والان ليس يمكنكم ان تحتملوا ما اقولهُ . وفي ذلك الحين يمكنكم ان تحتملوا ما اقولهُ . وانهُ يرشدكم الى كافة الحق * فلكيلا اذا سمعوا هذه الاقوال يظنوا ذاك اعظم منهُ . ويتكردسوا الى قاعدة الحاد واصلة الى غاياتها . لهذا السبب قال " انهُ ياخذ مما هو لي * " ومعنى هذا . هو ان الاقوال التي قلتها انا . تلك يقولها الروح * واذا قال ليس ينطق بقولٍ من ذاتهِ . انما يقول انهُ ليس يتكلم كلاماً مضاداً . ولا لفظاً خاصاً بهِ منحرفاً عن اقوالي * فكما انهُ لما تكلم من اجل ذاتهِ انني لست اتكلم من ذاتي . انما قال هذا القول * انني لست اتكلم قولاً خارجاً عن اقوال ابي . ولا لفظاً خاصاً بي منحرفاً عن ابي وغريباً . فكذلك تكلم من اجل الروح * ولفظة انهُ " يستمد مما هو لي . " معناها انه يتكلم من الاقوال التي قد عرفتها انا . ومن معرفتي يستمد . لان لي ولابي وللروح معرفة واحدة . " ويخبركم بالحوادث الواردة * " فقد رفع تمييز فهمهم * لان الجنس الانساني على تمثيل حالهِ . ليس مرتاحاً الى شيء من الاشياء . كارتياحهِ الى ان يعرف الحوادث المستانفة * وهذا المعنى قد سالوا فيهِ سؤالاً متصلاً .

اين تذهب : ما هي الطريق : فاذ استخلصهم من هذا الاهتمام . قال لهم انهُ يسبق فيقول لكم الخفايا كلها . لكيلا تتكردسوا خلواً من احتراس ،، ذاك يمجدني * " فان سالتهُ . وكيف يمجدك : اجابك . لانهُ باسمي يعطي افعالهُ * لانهم اذ ازمعوا ان يجترحوا آيات اعظم قدراً . اذا وَرَدَ الروحُ اليهم . لهذا السبب اورد ايضاً معادلة الروح اياهُ . وقال ،، ذاك يمجدني * " فان قلت . واي شيء يعني بقوله يرشدكم الى كل الحق : لان هذا الروح بعينه يشهد انهُ هو يرشدنا الى الحق * اجيبك لانه هو لاجل انهُ اشتمل لحمهُ . ولكيلا يظنوهُ يتكلم عن ذاته . وبسبب انهم ما كانوا بعد قد عرفوا القيامة معرفة واضحة . وقد عدموا ان يكونوا كاملين . ومن اجل اليهود . لكيلا ينزلوهُ بظنهم في منزلة متجاوز شريعتهم . فيعذبوهُ . ما تكلم بعد لاومتهِ كلاماً عظيماً . ولا ابتعد من الشريعة ابتعاداً واضحاً * فاذ تميز تلاميذهُ منهم . وكان اوليك في ما بعدُ خارج جملتهم . واستانف اناس كثيرون ان يومنوا . وان يصفح لهم عن خطاياهم . وكان آخرين المتكلمون في وصفه . ما تكلم هو ايضاً على جهة الواجب في وصف ذاته قولاً عظيماً * فقال من هذه الجهة ليس من غباوتي ما قلتُ ما كان واجباً ان اقوله . لكن من تلقاء ضعف السامعين صمتُّ عن ذلك * فلهذا المعنى لما قال يرشدكم الى كافة الحق . استثنى بقوله ،، وليس يتكلم من ذاته * " والدليل على ان الروح ليس يحتاج الى تعليم . اسمع بولس القائل في ايضاح ذلك ،، فعلى هذه الجهة اسرار الله ما عرفها عارفٌ الا روح الله * كما ان روح الانسان قد عرف الانسان * " (قرنثيه اولى ص ٢ ع ١١) ليس متعلماً من آخر * فكذلك الروح القدس يستمد مما هو لي * ومعنى ذلك . هو انهُ يتكلم موافقاً لاقوالي * ،، كل ما يملكهُ ابي لي هو * " فاذا كان ما لابي هو لي . والروح يتكلم مما هو لابي . فانما يتكلم مما هو لي * فان قلت . فلمَ ما وَرَدَ اليهم الروح قبل ان ينطلق هو من عندهم : اجيبك . لان اللعنة ما كانت بعد قد انتزعت . وخطيتنا فما كانت بعد قد حُلّت * فما كان لايقاً ان يجيء . اذ الناس كلهم غرماء حاصلين في العقوبة * كانهُ قال . ينبغي ان تحل العداوة . وان نصالح الهنا . وبعد ذلك تقتبل تلك الموهبة * فان قلتَ . فلمَ قال . انا أُرسلهُ : معنى ذلك . هو اذا تقدمت فسوّمتكم لاقتباله * لان كيف يُرسَل الموجود في كل مكان : وللمعنى الآخر انه اوضح فصل الاقانيم * ولذلك يقول هذه الاقوال على جهة قولين * واذ كان هولاء التلاميذ يعسر اجتذابهم عنهُ . استمالهم الى استقناء الروح . والى خدمته وارضائه * لانه قد

كان قادراً ان يعمل هو هذه الاعمال * الا انه لهذا الغرض. افرج للروح ان يجترح العجائب. حتى يعرفوا رتبته * وكما ان الاب الازلي قد كان قادراً ان يستخرج الموجودات. فابدعها ابنه. لكي نعرف قدرته. فكذلك هذا الروح * لهذا السبب اشتمل هو لحمه. حافظاً للروح شرف جنسه مطبقاً افواه الذين اتخذوا موضوع العطف المغتاص وصفه سبباً لالحادهم * لانهم اذا قالوا ان الابن لهذا السبب اشتمل لحمه. لانه كان ادنى من ابيه * تقول لهم. فما قولكم في الروح: لانه ما اشتمل لحماً. وما قد قلتم لاجل هذا السبب انهُ اعظم من الابن. ولا قلتم ان الابن ادنى منه * ولهذا الغرض يوجد الثالوث في المعمودية * لان الاب يقتدر ان يعمل كل عمل المعمودية. والابن والروح القدس يقتدران نظير اقتداره * ولكن اذ ليس يشك احد الناس في الاب * والعارض المرتاب كان في الابن والروح القدس عارضاً. أخذا في استوداع سرّ المعمودية. لكي تتامل في شركة تخويلنا تلك النعم الصالحة المغتاص وصفها. مساهمة رتبته ايضاً * والدليل على ان الابن يقدر على انفراده على هذه الافعال التي في المعمودية التي يقدر عليها مع ابيه. ويقتدر الروح القدس عليها ايضاً. اسمع هذا بابين ايضاح * لانهُ قال لليهود ,, لكيما تعرفوا ان ابن الانسان يمتلك سلطاناً على الارض. ان يغفي عن الخطايا * ,, (مرقص ص ٢ ع ١٠) وايضاً ,, لتصيروا بني النور * ,, (يوحنا ص ١٢ ع ٣٦) ,, وانا اعطيهم حياة دهرية * ,, (يوحنا ص ١٠ ع ٢٨) ثم قال بعد هذه الاقوال ,, لكي يمتلكوا حياة دهرية. ويملكوا ازيد منها * ,, وينبغي ان نبصر الروح فاعلاً هذا الفعل بعينه * وان قلت. واين يتجه لنا ان نبصر ذلك: اجبتك. قد قال الرسول ,, ان ظهور الروح يعطى لواحدٍ فواحدٍ منا. لما يوافقهُ * ,, (قرنتيه اولى ص ١٢ ع ٧) فالمواهب هذه المواهب يليق به اكثر. ان يغفي عن الخطايا * وقال ايضاً ,, الروح هو الذي يحيي * ,, (يوحنا ص ٦ ع ٦٣) ,, وسيحييكم بروحه الساكن فيكم * ,, (رومية ص ٨ ع ١١) وقال ,, الروح حياة لاجل عدله * ,, (روميه ص ٨ ع ١٠) وقال ايضاً ,, ان كنتم تنقادون بالروح. فلستم تحت شريعة * لانكم ما اخذتم ايضاً روح عبودية لخوف * لكنكم اخذتم روح البنوة بالوضع * ,, (روميه ص ٨ ع ١٥) والاعمال كلها التي عملوها حينئذٍ لما ورد اليهم الروح عملوها. واجترحوا العجائب * وبولس اذ كاتب اهل قرنثية قال ,, لكنكم قد استحممتم. لكنكم قد قدستم باسم ربنا يسوع المسيح وبروح الهنا * ,, (قرنثيه اولى ص ٦ ع ١١)

لانهم اذ سمعوا اقوالاً كثيرة في ذكر الاب. وابصروا ابنهُ ايضاً عاملاً ايات كثيرة. وما عرفوا بعد في وصف الروح قولاً واضحاً. اجترح الروح العجائب. واوردهم الى المعرفة التامة* ولكن لكيلا على ما تقدمتُ فقلت يتوهموهُ في هذه الجهة اعظم قدراً منهُ. لهذا الغرض قال "انهُ يتكلم بما يسمعهُ. ويخبركم بالحوادث الواردة*" والاّ فان لم يكن هذا هو غرضهُ. كيف ليس مستشنعاً ان كان في ذلك الحين استانف ان يسمع. ولاجل المتلمذين: لانهُ ما ازمع على رايكم ان يعرف الاّ في ذلك الحين لاجل سامعيهِ* وما الذي يكون ابعد من هذا القول تجاوزاً للشريعة: وعلى جهةٍ اخرى. وما الذي استانف الروح ان يسمعهُ: اَمّا قد قال هذه النبوات كلها بالسن الانبياء: لانكم ان قلتم انهُ ازمع ان يعلّم اقوالاً في نقض الشريعة. فقد قيل ذلك* وان ذكرتم انهُ استانف ان يتكلم في المسيح. وفي لاهوتهِ وتدبيرهِ. فقد قيلت هذه الاقوال* فان قلتَ. وما الذي اعتزم ان يقولهُ افصح قولاً بعد ذلك. ويخبرَ بالحوادث الواردة: اجبتك. انهُ ارانا ههنا رتبتهُ بابلغ الايضاح* اذ هذه الخاصة اكثر من كلها لله. ان يقول الحوادث المستانفة* فان كان يتعلم هذه الخاصة من غيرهِ. فليس يمتلك اكثر من الانبيا فضلاً* الاّ انهُ ههنا قد اوضح المعرفة البليغة الاستقصاء عند الله. انهُ ممتنع عليهِ ان يتكلم كلاماً آخر* ولفظة "انهُ يستمد ما هو لي." تعني اما انهُ يستمد من الموهبة الواردة الى الحي. واما انهُ من المعرفة التي املكها انا* وليس حالهُ حال محتاج. ولا حال متعلم من غيرهِ. لكن حال مستمد من معرفة واحدة لنا هي هي بعينها* فان قلتَ. فلمَ قال على هذه الجهة. وما قال على جهةٍ غيرها: اجبتك. لان تلاميذهُ ما كانوا بعدُ قد عرفوا القول في الروح* فلذلك اصلح معنىً واحداً فقط. وهو حتى يومنوا بهِ. ويقتبلوهُ. ولا يتشككوا فيهِ* لانهُ لما قال لهم ان معلمكم واحدٌ هو المسيح. فلكيلا يظنوا انهم قد خالفوهُ هو. اذا اطاعوا الروح وقبلوا منهُ. قال ان تعليمي وتعليم الروح هو واحدٌ. ومن الاقوال التي استانف انا ان اُعلم. منها باعيانها يتكلم* فلا تظنوا ان اقوالهُ توجد اقوالاً اخرى* لان اقوالهُ تلك هي اقوالي. وهو يشتمل على رايٍ ويحويهِ*

لان للاب والابن والروح القدس مشية واحدة* فهكذا يريدنا ان
نكون نحن ايضاً. اذ قال... ليكونوا واحداً مثلما
انا وانت نحن واحد*"

ولهذا السبب قال بولس .. لكيلا يبتلع مَن هذه الحال حالةُ اغتمامهُ الزايد المفرط* " قال هذه الاقوال ما قلتها لكم منذ الابتداء* فان سالتَ. فلمَ ما قالها من الابتداء : اجبتك . لئلا يقول قايلٌ انهُ انما قالها حادساً عليها من العوارض التي عرضت في اكثر الاوقات* وما الذي احوجهُ الى اعلان فعلٍ يتلك صعوبةً هذا مبلغها : كانهُ قال . قد عرفتُ هذه الحوادث منذ الابتداء* وليس لانني لم اعرفها ما قلتها . لكن لانني كنت معكم* وهذا القول ايضاً على جهة انسانيتهِ* كانهُ قال انكم كنتم في حياطتي . وكان ممكناً منكم متى ما شيئم ان تسالوني* والحرب كلهُ كان ثايراً عليَّ. فكان فضلةً زائدةً ان اقول لكم هذه الحوادث منذ الابتداء* ولعلك تقول. او ما قد قال لهم حينئذٍ هذه الاقوال : انما استدعى الاثني عشر وقال لهم " ستُقادون الى حضرة أُمراء وملوك. وسيضربونكم بالسياط في مجامعهم * " (متى ص ١٠ ع ١٨) فكيف قال منذ الابتداء ما قلتها لكم : فاجيبك . قد تقدم لعمري فذكر ضربهم بالسياط. وانقيادهم الى المجامع . الا انهُ ما ذكر ان موتهم على تمثيل حاله يوجد عند اوليك محروصاً عليهِ . حتى انهم يستشعروا اراقتهُ عبادة * لان هذا قد كان فيهِ كفاية . ان يريعهم اكثر من جميع العوارض . ان شانئوا ان يحكم عليهم كانهم ملحدون مفسدون* ومع هذه الاقوال ينساغ لنا ان تقول ذاك القول . انهُ ذكر هنالك ما استانفوا ان يقاسوهُ من الامم . وههنا زادهم الحروب اليهودية بافراطٍ كثير اكثر من غيرها . وعرفهم انها قريبة قد دنت من ابوابهم " والان اذهب الى عند مرسلي . وليس يسالني سائلٌ منكم اين تذهب : الا انني اذ قلتُ لكم هذه الاقوال قد ملأ الغم قلبكم * " وليست هذه تعزية يسيرة . انهُ قد عرف افراط اكتيابهم * لانهم ادهشهم انزعاجهم . لاجل افتراقهم منهُ * والمصاعب المامولة التي توقعوها. لانهم ما عرفوا ان كان يمكنهم احتمالها بجلادةٍ وشجاعة * فان قلت . فلمَ ما قالها لهم بعد ذلك لما أُهِلوا للروح : اجبتك . لكي تعلم انهم كانوا مكينين في الفضيلة جداً * لانهم ان كانوا اذ لم يوهلوا بعد للروح ما طفروا هاربين . وقد انطمروا باغتمامهم . فتفطن اي انلس استانفوا ان يصيروا . اذا استمتعوا بالنعمة : لانهم لو كانوا حينئذٍ سمعوها واحتملوها . لاحتسبنا الفعل كلهُ للروح * فالان ثمرة صبرهم كلها هي لتمييزهم . وبرهان واضح لشوقهم الى المسيح . اذ امتحن سريرتهم عارية * (٧) .. الا انني انا اقول لكم الحق * " ارايتَ كيف يعزيهم ايضاً : لانهُ قال لستُ اخاطبكم لتحمدِ اليكم . لكنكم ينبغي لكم ان تسمعوا مني ما يوافقكم. ولو اغتممتم

دفعات جزيلاً عددها . لان خصوصيه عندكم يوجد في عزمكم . واما العزم الموافق فغيره* وللوقت يوجد الا يخل على معارفه بلرائهم الموافقة . ولا يحجزهم عمّا يوافقهم * لانهُ قال .. ان لم انطلق انا . فالمعزي ليس يجيء * " فما النسبه بقوله ههنا . الذين ليسوا يمتلكون رأيًا واجبًا صائبًا في الروح : أفيكون موافقًا ان يمضي سيدٌ . ويوافي عبدٌ : أتراني كيف رتبة الروح عظيمة : .. فاذا ذهبيهُ ارسله اليكم * .. ولو سُئِل ما الفائدة من ذلك : لاجاب . (٨) .. اذا جاء ذاك يوبخ العالم * " ومعنى ذلك هو . اذا جاء ذاك . فما يهملهم اذا عملوا هذه الاعمال ناجين من عقوبة * لان الحوادث الكائنة فيما سلف . فيها كفاية ان تطبق افواههم * فاذا تكونت هذه الايات بذاك الروح . وصارت تعاليم أتم كمالاً . وايات اعظم قدرًا . سيوجب الحكم عليهم اكثر واوجب . اذا ابصروا ايات هذا المقدار مقدارها صائرة باسمي * وذلك يجعل البرهان على قيامتي اكثر وضوحاً * لانهم الان يمكنهم ان يقولوا انهُ .. ابن النجار . الذي قد عرفنا نحن اباهُ * " فاذا ابصروا الموت محلولاً . والرزيلة منتزعة . وعرج الطبيعة مصطلحًا . والشياطين مطرودين . وتخويل الروح يغتاص وصفهُ * وهذه الجرائح كلها صائرة بالاستغاثة بي . ماذا يقولون : لان ابي شهد لي . وسيشهد لي الروح * على انهُ قد شهد لي في ابتداء اعتلاني * لكنهُ الان يعمل هذا العمل بعينه * ولفظة يوبخهُ على الخطية . فمعناها هو انه يقطع كافة احتجاجهم . ويوضح انهم مجترمون جرايم قد فاتها العفو عنها * (١٠) .. ومن اجل العدل * انني انا منطلق الى ابي . وما تبصرونني ايضاً * " ومعنى هذا هو . انني قد خوّلت عيشة قد فاتها الوصول اليها * وهذا دليل عليها . انني منطلق الى ابي * لانهم اذ كانوا قد شكوا منهُ هذا دائمًا انهُ ليس هو من الله . ولهذا المسيح دعوهُ خاطيًا . وللشريعة متجاوزًا . قال انهُ يبطل هذه الحجة . بانهُ ان كان ظنهم . انني لستُ موجودًا من الله . هذا قد اوضحني عندهم متعديًا للشريعة . فاذا اوضحني الروح منطلقاً الى هنالك . ليس مقدار ساعة . لكن مقيماً هنالك دائمًا * (لان لفظة ما تبصرونني ايضاً . هي دالّة على هذا المعنى *) ماذا يقولون بعد ذلك : وابصر توهمهم الخبيث مبطلا بهاتين الحجتين * لان اجتراح العجائب ليس هو لخاطي * (لان خاطيًا ما يقتدر ان يعمل ايات) ووجودهُ عند الله كل حين . ليس هو لخاطي * فمن هذه الجهة ما يقتدرون ان يقولوا ايضًا ان هذا هو خاطي . لانهُ ليس هو من الله * (١١) .. ومن اجل الحكم . لان رئيس هذه الدنيا قد اوجب الحكم عليه * "

فههنا ايضاً يحرك الكلام في العدل * لانهُ قد صارع معاندنا * فلو كان خاطياً . لما كان صارعه * وهذا الصراع فما قدر ان يعمله ولا واحد عادل من الناس * والدليل على انه لاجلي قد أُوجب الحكم عليه . فيعرفهُ الذين يتوطونه اخيرًا . العارفون قيامتي معرفة واضحة * وذلك فهو فعل موجب الحكم عليهِ * لانهُ ما اقتدر ان يضبطني * واذ قد قالوا انني اشتمل شيطاناً . وانني مضلٌ انا . فهذه الاقوال بعد تلك . ستستبين باطلة . لانني لو كنتُ غريمًا بخطيةٍ . لما كنتُ استاصلتهُ * فالان قد اوجب الحكم عليهِ وقد أُخرج . (١٢) "اقوالٌ كثيرة امثلكها . اقولها لكم . الَّا انكم الان ما تستطيعون احتمالها * " فيوافقكم اذًا ان اذهب * ان كنتُ اذا مضيتُ انا . حينئذٍ يتجه لكم ان تحتملوها * فلو جاز ان تسالوهُ . فما الذي قد حدث : أفالروح هو اعظم منك : لاننا الان ما نحتملها . وذاك يجعلنا ان نحتملها * فهل فعل ذاك اعظم من فعلك واتم كمالاً : لاجاب . ليس هذا المعنى قولي . لان ذاك انما يتكلم اقوالي * ولهذا السبب قال (١٣) "انه ليس يتكلم من ذاته قولاً . لكنه انما ينطق بما يسمعهُ ويخبركم بالحوادث الواردة * (١٤) لانه انما ياخذ مما هو لي ويخبركم * (في تفسير قول الانجيل ياخذ مما لي ويخبركم) (١٥) كل ما يملكهُ ابي . لي هو * "لعمري انه لما قال ان ذاك الروح يعلمكم . ويذكركم ويعزيكم في ضغطاتكم . وهذا العمل فما عملهُ هو . وانهُ يوافقكم ان اذهب انا . وان يجيء ذاك * والان ليس يمكنكم ان تحتملوا ما اقولهُ . وفي ذلك الحين يمكنكم ان تحتملوا ما اقولهُ . وانهُ يرشدكم الى كافة الحق * فلكيلا اذا سمعوا هذه الاقوال يظنوا ذاك اعظم منهُ . ويتكردسوا الى قاعدة الحاد واصلة الى غايتها . لهذا السبب قال "انهُ ياخذ مما هو لي * " ومعنى هذا هو ان الاقوال التي قلتها انا . تلك يقولها الروح * واذا قال ليس ينطق بقولٍ من ذاتهِ . انما يقول انهُ ليس يتكلم كلاماً مضادًا . ولا لفظاً خاصاً بهِ منحرفاً عن اقوالي * فكما انهُ لما تكلم من اجل ذاتهِ انني لست اتكلم من ذاتي . انما قال هذا القول * انني لست اتكلم قولاً خارجاً عن اقوال ابي . ولا لفظاً خاصاً بي منحرفاً عن ابي وغريباً . فكذلك تكلم من اجل الروح * ولفظة انهُ "يستمد مما هو لي . " معناها انه يتكلم من الاقوال التي قد عرفتها انا . ومن معرفتي يستمد . لان لي ولابي وللروح معرفة واحدة . ويخبركم بالحوادث الواردة * " فقد رفع تمييز فهمهم * لان الجنس الانساني على تمثيل حالهِ . ليس مرتاحاً الى شيء من الاشياء . كارتياحهِ الى ان يعرف الحوادث المستانفة * وهذا المعنى قد سالوا فيهِ سوالاً متصلاً .

اين تذهب: ما هي الطريق: فاذ استخلصهم من هذا الاهتمام. قال لهم انهُ يسبق فيقول لكم الخفايا كلها. لكيلا تتكردسوا خلوًا من احتراس ،، ذاك يمجدني* ،، فان سالته. وكيف يمجدك: اجابك. لانهُ باسمي يعطي افعالهُ*لانهم اذ ازمعوا ان يجترحوا اياتٍ اعظم قدرًا. اذا وَرَدَ الروحُ اليهم. لهذا السبب اورد ايضًا معادلة الروح اياهُ. وقال ،، ذاك يمجدني * ،، فان قلت. واي شي يعني بقوله يرشدكم الى كل الحق: لان هذا الروح بعينه يشهد انهُ هو يرشدنا الى الحق*اجبتك لانه هو لاجل انهُ اشتمل لحمهُ. ولكيلا يظنوهُ يتكلم عن ذاته. وبسبب انهم ما كانوا بعد قد عرفوا القيامة معرفة واضحة. وقد عدموا ان يكونوا كاملين. ومن اجل اليهود. لكيلا ينزلوهُ بظنهم في منزلة متجاوز شريعتهم. فيعذبوهُ. ما تكلم بعداوتهِ كلامًا عظيمًا. ولا ابتعد من الشريعة ابتعادًا واضحًا *فاذ تميز تلاميذهُ منهم. وكان اوليك في ما بعدُ خارج جملتهم. واستانف اناس كثيرون ان يومنوا. وان يصفح لهم عن خطاياهم. وكان آخرين المتكلمون في وصفه. ما تكلم هو ايضًا على جهة الواجب في وصف ذلته قولاً عظيمًا* فقال من هذه الجهة ليس من غباوتي ما قلتُ ما كان واجبًا ان اقوله. لكن من تلقاء ضعف السامعين صمتُّ عن ذلك*فلهذا المعنى لما قال يرشدكم الى كافة الحق. استثني بقوله ،، وليس يتكلم من ذاته*،، والدليل على ان الروح ليس يحتاج الى تعليم. اسمع بولس القائل في ايضاح ذلك ،، فعلى هذه الجهة اسرار الله ما عرفها عارفٌ الا روح الله* كما ان روح الانسان قد عرف الانسان* ،، (قرنثيه اولى ص ٢ ع ١١) ليس متعلمًا من آخر*فكذلك الروح القدس يستمد مما هو لي* ومعنى ذلك. هو انهُ يتكلم موافقًا لاقوالي* ،،كل ما يملكهُ ابي لي هو* ،، فاذا كان ما لابي هو لي. والروح يتكلم مما هو لابي. فانما يتكلم مما هو لي*فان قلت. فلمَ ما وَرَدَ اليهم الروح قبل ان ينطلق هو من عندهم: اجبتك. لان اللعنة ما كانت بعد قد انتُزِعَت. وخطيتنا فما كانت بعد قد حُلَّتْ*فما كان لايقًا ان يجيء. اذ الناس كلهم غرماء حاصلين في العقوبة* كانهُ قال. ينبغي ان تنحل العداوة. وان نصالح الهنا. وبعد ذلك نقتبل تلك الموهبة*فان قلتَ. فلمَ قال. انا أرسلهُ: معنى ذلك. هو اذا تقدمت فسوَّمتكم لاقتباله*لان كيف يُرسَل الموجود في كل مكان: وللمعنى الآخر انه اوضح فصل الاقانيم* ولذلك يقول هذه الاقوال على جهة قولين*واذ كان هولاء التلاميذ يعسر اجتذابهم عنهُ. استمالهم الى استقناء الروح. والى خدمته. وارضائه*لانهُ قد

كان قادراً ان يعمل هو هذه الاعمال * الا انه لهذا الغرض . افرج للروح ان يجترح العجائب . حتى يعرفوا رتبته * وكما ان الاب الازلي قد كان قادراً ان يستخرج الموجودات . فابدعها ابنه . لكي تعرف قدرته . فكذلك هذا الروح * لهذا السبب اشتمل هو لحمهُ . حافظاً للروح شرف جنسه . مطبقاً افواه الذين اتخذوا موضوع العطف المفتاص وصفه سبباً للحادهم * لانهم اذا قالوا ان الابن لهذا السبب اشتمل لحمه . لانه كان ادني من ابيه * تقول لهم . فما قولكم في الروح : لانه ما اشتمل لحماً . وما قد قلتم لاجل هذا السبب انهُ اعظم من الابن . ولا قلتم ان الابن ادنى منه * ولهذا الغرض يوجد الثالوث في المعمودية * لان الاب يقتدر ان يعمل كل عمل المعمودية . والابن والروح القدس يقتدر ان نظير اقتداره * ولكن اذ ليس يشك احد الناس في الاب * والعارض المرتاب كان في الابن والروح القدس عارضاً . أُخِذا في استوداع سرّ المعمودية . لكي تتامل في شركة تخويلنا تلك النعم الصالحة المفتاص وصفها . مساهمة رتبته ايضاً * والدليل على ان الابن يقدر على انفراده على هذه الافعال التي في المعمودية . التي يقدر عليها مع ابيه . ويقتدر الروح القدس عليها ايضاً . اسمع هذا بابين ايضاح * لانهُ قال لليهود ,, لكيما تعرفوا ان ابن الانسان يملك سلطاناً على الارض . ان يعفي عن الخطايا * " (مرقص ص ٢ ع ١٠) وايضاً "لتصيروا بني النور * " (يوحنا ص ١٢ ع ٣٦) ,, وانا اعطيهم حياة دهرية * " (يوحنا ص ١٠ ع ٢٨) ثم قال بعد هذه الاقوال ,, لكي يمتلكوا حياة دهرية . ويملكوا ازيد منها * " وينبغي ان نبصر الروح فاعلاً هذا الفعل بعينه * وان قلت . واين يتجه لنا ان نبصر ذلك : اجبتك . قد قال الرسول ,, ان ظهور الروح يعطى لواحدٍ فواحدٍ منا . لما يوافقهُ * " (قرنتيه اولى ص ١٢ ع ٧) فالواهب هذه المواهب يليق به اكثر . ان يعفي عن الخطايا * وقال ايضاً ,, الروح هو الذي يحيي * " (يوحنا ص ٦ ع ٦٣) ,, وسيحييكم بروحه الساكن فيكم * " (رومية ص ٨ ع ١١) وقال ,, الروح حياة لاجل عدله * " (روميه ص ٨ ع ١٠) وقال ايضاً ,, ان كنتم تنقادون بالروح . فلستم تحت شريعة * لانكم ما اخذتم ايضاً روح عبودية للخوف * لكنكم اخذتم روح البنوة بالوضع * " (روميه ص ٨ ع ١٥) والاعمال كلها التي عملوها حينيذٍ لما ورد اليهم الروح عملوها . واجترحوا العجائب * وبولس اذ كاتب اهل قرنثية قال ,, لكنكم قد استحممتم . لكنكم قد قدستم باسم ربنا يسوع المسيح وبروح الهنا * " (قرنثيه اولى ص ٦ ع ١١)

لانهم اذ سمعوا اقوالاً كثيرة في ذكر الاب. وابصروا ابنهُ ايضاً عاملاً اياتٍ كثيرة. وما عرفوا بعد في وصف الروح قولاً واضحاً. اجترح الروح العجائب. واوردهم الى المعرفة التامة* ولكن لكيلا على ما تقدمتُ فقلت يتوهموهُ في هذه الجهة اعظم قدراً منهُ. لهذا الغرض قال "انهُ يتكلم بما يسمعهُ. ويخبركم بالحوادث الواردة*" والاَّ فان لم يكن هذا هو غرضهُ. كيف ليس مستشنعاً ان كان في ذلك الحين استانف ان يسمع. ولاجل المتلمذين: لانهُ ما ازمع على رائكم لمن يعرف الاَّ في ذلك الحين لاجل سامعيهِ* وما الذي يكون ابعد من هذا القول تجاوزاً للشريعة: وعلى جهةٍ اخرى. وما الذي استانف الروح ان يسمعهُ: أفما قد قال هذه النبوات كلها بالسن الانبياء: لانكم ان قلتم انهُ ازمع ان يعلّم اقوالاً في نقض الشريعة. فقد قبل ذلك* وان ذكرتم انهُ استانف ان يتكلم في المسيح. وفي لاهوتهِ وتدبيرهِ. فقد قيلت هذه الاقوال* فان قلتَ. وما الذي اعتزم ان يقولهُ افصح قولاً بعد ذلك. ويخبرّ بالحوادث الواردة: اجيبك. انهُ اراني ههنا رتبتهُ بابلغ الايضاح* اذ هذه الخاصة اكثر من كلها بالله. ان يقول الحوادث المستانفة* فان كان يتعلم هذه الخاصة من غيرهِ. فليس يمتلك اكثر من الانبيا فضلاً* الاَّ انهُ ههنا قد اوضح المعرفة البليغة الاستقصاء عند الله. انهُ ممتنع عليهِ ان يتكلم كلاماً آخر* ولفظة .. انهُ يستمد ما هو لي.." تعني اما انهُ يستمد من الموهبة الواردة الى الحي. واما انهُ من المعرفة التي املكها انا* وليس حالهُ حال محتاج. ولا حال متعلم من غيرهِ. لكن حال مستمد من معرفة واحدة لنا هي هي بعينها* فان قلتَ. فلمَ قال على هذه الجهة. وما قال على جهةٍ غيرها: اجيبك. لان تلاميذه ما كانوا بعدُ قد عرفوا القول في الروح* فلذلك اصلح معنىً واحداً فقط. وهو حتى يومنوا بهِ. ويتقبلوهُ. ولا يتشككوا فيهِ* لانهُ لما قال لهم ان معلمكم واحدٌ هو المسيح. فلكيلا يظنوا انهم قد خالفوهُ هو. اذا اطاعوا الروح وقبلوا منهُ. قال ان تعليمي وتعليم الروح هو واحدٌ. ومن الاقوال التي استانف انا ان أعلّم. منها باعيانها يتكلم* فلا تظنوا ان اقوالهُ توجد اقوالاً اخرى* لان اقوالهُ تلك هي اقوالي. وهو يشتمل على رايٍ ومحويهِ*

لان للاب والابن والروح القدس مشية واحدة* فهكذا يريدنا ان

نكون نحن ايضاً. اذ قال.. ليكونوا واحداً. مثلما

انا وانت نحن واحد*"

العظة الثامنة والسبعون

في الايتلاف والاتفاق * وفي قبلة الحب المعطاة في تقديس السراير الالهية * وفي هدو صمت الرهبان *
لان ليس فعل عديلاً للايتلاف والاتفاق * لان الواحد هو على هذه الحال كثيرٌ * لان اذا كان اثنان
او عشرة متواخين في نفوسهم: فالواحد منهم ليس هو واحدًا ايضًا * لكن الواحد منهم ينضاعف
عشرة * وتجد الواحد في العشرة * وتصادف العشرة في الواحد * فان امتلكوا عدوًا فمن يعاركه الواحد.
وعلى تمثيل حاله بجناحه ُكمن بجناحه عشرة * لان ذاك العدو ليس يرشقه فمٌ واحدٌ فقط. لكن
يرشقه عشرة افواه * وربما اعسر الواحد منهم واملق. الا انه ليس يوجد في اعسار. لانه يوسر بالجزء
الاعظم. اي بالتسعة * فالجزء المعسر يحجب اعساره بالجزء الاعظم * والادنى يحجب بكثرة الموسر *
فكلٌ من هولاء يمتلك عشرين يدًا. وعشرين عينًا. وعشرين رجلاً. لانه ليس يبصر بالعينين اللتين
له فقط. لكنه يبصر معهما بعيون رفقته * ويحمل ليس برجليه فقط. لكنه يحمل معهما بارجل رفقته *
ويعمل ليس باليدين اللتين له. لكنه يعمل معهما بايدي اوليك * ويمتلك عشرة انفس * لانه ليس
يهتم هو بحال ذاته فقط. لكن تلك تسع الانفس تهتم من اجله * وان صاروا مائة. يكون حالهم
ايضًا هذه الحال بعينها: وتنبسط افعال قوتهم * اعرفت افراط الحب: كيف يجعل الواحد مسلوبًا
ان يوجد مقهورًا. وكثيرة اضعافه: كيف يقتدر الواحد ان يوجد في جهات كثيرة: فيوجد هو
بعينه في بلد فارس: وفي رومية. وما ليس تقتدر عليه طبيعتنا. تقتدر عليه محبتنا * لان الجزء الواحد
منه يكون ههنا. والآخر يكون هنالك * والبق ما يقال. انه يكون كله ههنا. ويكون بجملته هنالك *
فان امتلك الف صديق. او الفي صديق. فتفطن ايضًا الى اين يتجاوز ويتمادى افعال مقدرته *
ارايت كيف الحب منميًا افعاله: لان الفعل المستعجب هذا هو. انه يصير الواحد الفًا. فلم ما نستقني
هذه المقدرة. ونستقني ذواتنا في حياطة: هذا الحب افضل من كل ثروة * هذا افضل من الصحة *
هذا اكثر فضلاً من الضو * هذا موضوع السرور وسببه * الى متى نثبت حبنا على اثنين او ثلاثة:
اعرف هذا الفعل من ضده * فليكن احد الناس لا يمتلك ولا صديقًا واحدًا. ذلك هو من غباوة
واصلة الى غايتها * لان الاحمق يقول ليس يوجد لي صديق * فمن هذه سجيته. آية حياة يحيى: لانه

لو كان دفعات كثيرة موسراً . لو كان في سعةٍ ونعيم . لو كان ما لكًا نعماً جزيلاً عددها : فقد حصل مقفراً منها كلها عارياً * ولن يجري الحال على هذا المجرى في الاصدقاء * لكنهم لو كانوا فقراء * فهم اوفر ايساراً من الموسرين * وللاوصاف التي ليس يحاول ذالك ان يقولها عن ذاته . هذه يقولها صديقه عنه * وما ليس يقتدر ان ينسبهُ الى ذاته . يمكنهُ برفيقه ان ينسبهُ الى ذاته * واكثر منه بكثير . ويكون لنا موضوعاً لكل تمتع وحياطة * لانك ما يتساغ ان يصيبك مكروه . اذا امتلكت جنوداً جزيلاً عددها يحفظونك * لان ليس للملك حافظين لجسده في هذه الصفة : مبالغين في صيانته مثل هولاء * لان حافظي جسد الملك يوفّون حفظهم وصيانتهم بضرورةٍ وخيفةٍ والاصدقاء يظهرون حياطتهم بالفة ومحبة * فهذه المحبة اشد غصباً من الخوف * وذاك الملك ربما خشي حافظيه * وهذا ذو الاصدقاء يثق بهم اكثر مما يثق بذاته * ولاجلهم ليس يخشى ولا واحداً من المغتالين عليه * فلنتاجرنّ اذاً هذه التجارة * فالفقير منا ليملك تعزيةً لفقره * والغني ليكون مقتنياً ثروته في حياطة * والرئيس ليرؤس باحتراس * والمرؤوس يستغني رؤساه رافقين به * هذا الفعل سبب الاستيناس والترفق * هذا موضوع الوداعة * اذ الوحوش التي ما تترافق ولا تلتئم قطعاناً . تلك توجد في الوحوش صعبة الاخلاق فاقدة الاستيناس اكثر من غيرها * فلهذا الغرض تسكن مدناً . ونستقي اسواقاً لكي نتالف بعضنا ببعض * هذا الايتلاف قد امرنا به بولس اذ قال : لا تتخلفوا عن الحضور في المجمع بذواتكم * (عبرانيين ص ١٠ ع ٢٥) لان ليس عملاً رديًا على تمثيل حاله . مثل التفرد والتوحد والخلق النفور المسلوب المقاربة - ولعلك تقول . فما قولك في الرهبان الذين توجهوا الى قمم الجبال : فاجيبك . ولا اولئك خلوا من الاصدقاء * لكنهم انما هربوا من الاراجيف التي في السوق * واقتنوا كثيرين مواخين نفوسهم . مرتبطين بعضهم ببعض ارتباطاً بليغاً * ولكي يحكموا هذه المحبة . انصرفوا من المدينة * لان اذ احوال الدنيا من شان المنازعة فيها ان تبدع محكاً كثيراً * لهذا السبب بايعوها . وفلحوا الحب بابلغ الاستقصاء فيه كثيراً * ويجوز ان تقول . فما رايك ان كان احد الناس وحده . ايملك ذاك اصدقا جزيلاً عددهم : فاجيبك . انني انا اشا ان كان ممكناً ان نعرف هذا . ان يقيم بعضنا مع بعض * فلنثبت اذاً قواعد المحبة والصداقة فاقدة ان تتزعزع * فان ليس المكان يبدع الاصدقا * لان اناساً يمتلكون الذين يستصحبونهم كثيرين * فلولا انهم احبوهم . لما

كانوا استنجبوهم . وهولاء الذين يصلون من اجل المسكونة كلها . ويدعون الى اهلها . فهذا هو دلالة على
جسامة حبهم * ولهذا الغرض في تقديس اسرار القربان . يقبل احدنا صاحبهُ لنصير الكثيرون
واحداً . ونعمل صلواتنا مشتركة بحضر الحاليين من سر المعمودية . متضرعين من اجل السقى . ومن
اجل ثمرات المسكونة . والارض . والبحر * ارايت قوة الحب كلها في صلواتنا . في اسرارنا . في توصياتنا :
فهذه علة النعم الصالحة كلها * ان امتلكنا هذا الحب بابلغ الاستقصاء . فسندبر احوالنا الحاضرة
تدبيراً صائباً . ونمتلك ملكوت السماء * الذي فليتفق لنا كلنا امتلاكهُ بنعمة ربنا يسوع المسيح ونعطفه .
الذي لهُ ومع ابيه والروح القدس المجد الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة التاسعة والسبعون

في قوله (١٦) بعد مدة يسيرة ما تبصرونني . وبعد مدة يسيرة ايضاً وتبصرونني . لانني اذهب الى
عند ابي * (١٧) فقال قوم من تلاميذه احدهم الى الاخر . ما هو هذا القول الذي يقولهُ . بعد مدة
يسيرة ما تبصرونني :

ان النفس المتجعة التي قد استحوذ عليها اكتئاب كثير . ليس من عادتها على تقبل حالما ان يهبطها
عارضٌ الى مهوى الغمّ . مثل تكريرها في ذاتها دائماً الاقوال المولدة الغمّ * فان قلت . فما غرض المسيح
في انهُ قال . انا انطلق ولست اتكلم معكم ايضاً * ويكرر الفاظاً واحدة باعيانها تكريراً متصلاً . اذ
قال الان . بعد مدةٍ يسيرة ما تبصرونني ايضاً * وانني انطلق الى عند ابي : اقول لك . انهُ لما اعاد
عمادة نفوسهم باقواله في الروح القدس . حينيئذٍ تقض عوارض ترفعهم ايضاً * وان سالت لمَ عمل
ذلك : اجبتك يختبر سر برئهم . ويجعلها ابلغ تهذيباً . ويعودهم باستماعهم اقواله المحزنة . ان يحتملوا
فرقته احتمالاً محموداً باوفر جلادتهم * لان الذين تدربوا بفراقه بالفاظٍ سمعوها . استانفوا ان يحتملوهُ
فيما بعد في ممارسة افعاله بايسر مرام * وان بحثت باحثة بحثاً بليغاً . يجد فراقهُ بعينه تعزية * وهي
قولهُ .. انني اذهب الى عند ابي * لان هذا القول كان قول موضح انهُ ليس يهلك . لكن وفاته
هي نقلة * وقد وضع لهم تعزية اخرى * لانهُ ما قال بعد مدةٍ يسيرة وما تبصرونني فقط . لكنهُ اضاف
الى ذلك . وبعد مدة يسيرة وتبصرونني . موضحاً لهم انه سيعود . وان مفارقته تكون الى مدة

يسيرة . وإيلافه بهم يكون دايمًا * فهذا القول ما عرفوه * فمن هذه الجهة يستعجب مستعجبٌ حالهم . كيف سمعوا هذه الاقوال دفعات كثيرة . وارتابوا بها على هذا النحو كمن لم يسمعوها * فان سالت فمن اين عرض انهم ما فهموها : اجبتك . اما لاجل اغتمامهم (على حسب ظني) * لان هذا الغم اخرج من سريرتهم ما قيل لهم * واما بسبب غموض الاقوال التي قالها لهم * ولذلك ظنوا انه قد وضع لهم ضدين . ولم يكونا ضدين . لانهم قالوا في سريرتهم على ما يليق بتوهمهم . ان كنا نبصرك فاين تذهب : وان كنت تذهب فكيف نبصرك : فلهذا السبب قالوا .. ما نعرف ما يقوله * لانهم عرفوا انه معتزم ان يمضي . وجهلوا ان بعد مدة يسيرة يجي الى عندهم * فلهذا المعنى ذجرهم . لانهم ما عرفوا ما قاله لهم . ولايثاره ان يمكّن فيهم الراى في موته . قال لهم . (٢٠) .. الحق الحق اقول لكم . انكم ستبكون انتم وتنحبون * وذلك فقد كان في حين موته وصلبه * .. والعالم يفرح * فلانهم لم يريدوا ان يبادروا سريعًا الى تصديقه . انه ليس يموت . ثم سمعوا انه يموت . فارتابوا . اذ لم يعرفوا ما هو معنى قوله بعد قليل . قال لهم ستبكون وتنحبون . الا ان اغتمامكم سيكون الى فرح * ثم اراهم ان بعد الغم يكون الفرح * وان الغم يولد السرور * وان الغم قصير المدة . واللذة قد عدمت تغيرًا لها * فجاء الى مثال عالمي وقال (٢١) .. المراة اذا ولدت تشتمل غمًا * فحو لهم مثلاً قد اقتضبه الانبياء بداومة في الغموم العارضة لهم . ومثلوها بافراط مصاعب الطلق * فما يقوله هذا هو معناه . ستشملكم مصاعب الطلق * الا ان طلق الولادة يصير علة للفرح * وحقق لهم مع ذلك القول في القيامة * واراهم ان الانصراف من ههنا . هو شبيه بالذهوب من المستودع الى النور اللامع * كانه قال لا تستعجبوا انني بهذا الغم اقتادكم الى ما يوافقكم . اذ الامر على هذه الجهة يجب ان تصير امًا بالغم * ويذكر ههنا قولاً سريًا ذكرًا غامضًا . انه هو قد حلّ امخاض طلق الموت . وصير ان يولد انسانًا جديدًا * وما قال ان اغتمامكم سيعبر فقط . لكنه قال . ولا يذكر * فالسرور الذي يعقب الغم هذا المقدار مقداره يكون للقديسين . على هذه الحال * على ان الامراة ما تفرح لاجل هذا بان قد جاء انسان الى العالم . لكنها انما تفرح بان قد وُلد لها ابن * والا فلو فرحت لهذا السبب . لما عاق عايق ان يفرح اللواتي لم يلدن لامراة اخرى اذا ولدت * ولقايل يقول . ولم قال هذا القول : فنجيبه . انه لهذا الغرض وحده اخترع المثل . ليوضح ان الغم وقتي . وان

السرور دايم ثابت . وان الانتقال يوجد الى حياة . وان الفايدة من الامخاض عظيمة * وما قال انها ولدت ابناً لكنهُ قال ولدت انساناً * فههنا يذكر قيامتهُ ذكراً خفياً . وانهُ قد استانف ان يولد ليس في ذلك الموت المولم كالطلق . لكن في الملكوت * ولهذا ما قال ولد لها ابن . لكنهُ قال انها ولدت انساناً في العالم * (٢٢) .. وانتم ستغتمّون الان . وسابصركم ايضاً . ويصير غمكم الى فرح * ". ثم اذ اوضح انهم ما يموتون ايضاً قال .. وليس ينتزع احد منكم فرحكم * " (٢٣) في .. ذلك اليوم ما تسالونني سوالاً * " فليس يصلح بهذه الاقوال معنى آخر ايضاً : الا انهُ من الله هو . لانكم حينئذٍ تعرفون الاشياء كلها * فان قلت . وما معنى ما تسالونني سوالاً : اجبتك . لستم تحتاجون وسيطاً . لكنكم بجزيكم اذا ذكرتم اسمي فقط . ان تاخذوا جميع مطالبكم . . فاراهم قوة اسمهِ فان كان ليس يكون ملحوظاً . ولا مسوولاً . لكن مسمى فقط . فيصطنع عند ابيهِ العجائب اصطناعاً عجيباً * فان قلت . واين حدث هذا : اجبتك . حين قالوا انظر الى تهويلاتهم علينا . واعطِ عبيدك ان يتكلموا كلامك مجاهرة . وان يجترحوا باسمك اياتٍ . فتزلزل المكان الذي كانوا فيهِ * (٢٤) .. حتى الان لم تسالوا سوالاً * " ابركسيس ص ٤ ع ٢٤ فقد اراهم ههنا انهُ يوافقهم ان يمضي . ان كانوا الى ذلك الحين ما سالوا سوالاً . وحينئذٍ ياخذون كل ما يسالونهُ فيهِ * كانهُ قال . لا تظنوا انني اذ لستُ الان متكلماً معكم انكم قد اهملتم . فان اسمي يعطي مجاهرة اعظم قدراً * واذ كانت الاقوال التي قالها محجوبة المعاني . قال (٢٥) .. هذه الاقوال قلتها لكم بامثالٍ * وسيجي وقت حين لستُ اكلمكم ايضاً بامثال * " قال سيكون وقتٌ حين قيامته . تعرفون اقوالي كلها معروفة واضحة . فانما يذكر وقت قيامته * .. حينيذٍ اخبركم عن ابي بمجاهرة * " لانهُ مدة اربعين يوماً كان معهم وخاطبهم وما لحهم . قايلاً لهم الاقوال في ذكر ملكوت الله * لانكم قد حصلتم الان في خوف ما تصغون الى الاقوال التي اقولها . وحينئذٍ اذا رايتموني قايماً موتلفاً بكم . يمكنكم ان تعلموا اقوالي كلها بمجاهرة * لان ابي بعينيهِ يحبكم . من تلقاء امانتكم الحقيقية بي * (٢٦) .. ولستُ اسال ابي * " فحبكم اياي بجزيكم ليعضدكم * (٢٧) .. لانكم انتم احببتموني . وصدقتم انني من الله خرجت * (٢٨) خرجتُ من الاب . وجئتُ الى العالم . وساترك العالم ايضاً . وانطلق الى عند ابي * " لان ذكر قيامته اذ عزّاهم تعزية ليس على ما اتفق * وسلاّهم مع ذلك استماعهم انهُ من الله خرج . والى

هنالك بعضي يكرر هذه الاقوال بعدا ومنه لانه حينا شهد لهم انهم قد آمنوا به ايمانا معلوما ومن عدمهم حينا انهم يستأنفون ان يوجدوا في حياطته ❊ وحين قال بعد حين يسير وما تبصرونني . وبعد مدة يسيرة تبصرونني . جعلوا على جهة الواجب ذلك . والان ما جعلوا ذلك ايضا ❊ فان قلت وما معنى ما تسالونني سوالا : اجبتك . ما تقولون ارنا اباك ❊ ولكن تنطلق لانكم تعرفون المعرفة كلها ❊ و [illegible] ❊ وهو يعرفهم انهم يكونون محبوبين عند ابيه ❊ فلذلك قالوا له (٣٠) . هذا الان اعرفنا انك قد عرفت الخفيات كلها ❊ " لمراتبت الانهم ان الجاحدة لما هي في تمييزهم . وليس بك حاجة . ان يسالك سايل (٣١) ومعنى ذلك يعولنك قد عرفت المواهب التي شككتنا قبل ان نسمعها . ونحن لما اذ قلت ان الكل بينهما . لانكم احببتموني ❊ بعد ايضا ان هنا مبلغ كثرتها ومقدار جسامتها . قالوا الان عرفنا فان اعتقادهم كانوا غير تامين : ثم لما قالوا الان قد عرفنا فكانهم يسدون اليه بذلك منة ❊ قال لهم . انكم محتاجون الى اقوال اخرى كثيرة : حتى تصلوا الى المقدار التام ❊ لانكم بعد ما قد احكمتم شيا ❊ الان ستدفعونني الى اعدائي . ويستحوذ عليكم خوف يبلغ مقداره الى ان لا يمكنكم . ان يتصرف احدكم مع الاخر ❊ ولكنني انا لن ينالني من ذلك مكروه ❊ الا ترى كيف كلامه معهم ايضا متعددا . وهذا المعنى فقد شكاه منهم ان انهم يحتاجون الى الصبر معهم دايما ❊ لانهم لما قالوا هل انت الان تكلمنا جهرة . وما تقول ولا مثلا واحدا . ولهذا السبب نصدقك . لو رام انهم في ذلك الحين حين صدقوه . ما صدقوه بعد . ولا حصل فيهم لقوله ❊ فقال هذه الاقوال اذ لم يسلمهم الى وقت اخر ولفظة (٣٢) . انما هي هو : " انما وضعها لاجلهم ❊ لانه في اعلى كلامه . واستعلم اراد ان يعرفوا هذا منهم اوامرهم اذ يقال هذه الاقوال . انه انما يجد سبيل اليهم المعرفة التامة . لكن حتى لا ينقسم فيهم فكرهم ❊ لانه قد كان لا يفتا بهم ان يتفكروا افكارا انسانية . وانهم انما يستحقون منه ولا يصيبهم من المعونة ❊ قال لهم (٣٣) . هذه الاقوال قلتها لكم . لتملكوا بي سلامة ❊ " ومعنى ذلك هو . لكيلا تخرجوني من سرائركم . لكن تتقبلوني فيها . فلا يحزن هذه الاقوال التي قيلت احدكم الى رأسه من الاراء . فانها انما قيلت لتعزيتنا وحبا ❊ لانه ما قال انهم يقاسون هذه المحن وامثالها الى هذا الحد . ثم احسم عنكم هوادي الشدايد . لكنه قال ما دمتم موجودين في العالم تقاسون ضغطة وغما ❊ وما تقاسون ذلك الان

لكنكم تقاسونه فيما بعد ايضاً* لكن انهضوا فكركم* فانكم ما تتكبدون مكروهاً* لان المعلم اذا قهر اعداه ليس ينبغي له ان يغم تلاميذه. ولو جاز ان يسأله سائل. وكيف قهرت العالم: لقال له. قد قلت فيما سلف انني قد طرحت رئيس هذا العالم الى اسفل* وستعرفون اخيراً ذلك. اذ اخضع لكم جميع الناس* (وافرحوا لمقدرتكم)*

العظة التاسعة والسبعون

في فضل المحبة* وانه يجب علينا ان نستحقر المسبة* وفي الصدقة* وفي العشق الجيد. والعشق الزناتي*

فممكن لنا نحن ان نقهر اذا شيئاً. عند نظرنا الى رئيس امانتنا. وسلوكنا في هذه الطريق التي قطعها هو لنا* فعلى هذه الطريقة ليس يقهرنا موت* فان قلت. فما رأيك: أفما نموت: اجبتك. انه من هذا الوجه واضح انه ليس يقهرنا* على ان المجاهد حينئذ يكون بهياً. ليس اذا لا يعارك عدوه. لكنه انما يكون بهياً. اذا عارکه عدوه ولا يضبطه* فما نكون مائتين. لاجل معاركة الموت ايانا. لكننا نكون عديمين ان نكون امواتاً. لاجل قهرنا اياه* لاننا حينئذ نكون مائتين. ان بقينا عند الموت دائماً* وكما ان الانواع من الحيوان الطويلة اعمارها. ان تدعى عندي عديمة ان توجد ميتة. مع انها تبقى زماناً طويلاً خارج موتها* كذلك ليس يدعى عندي. لاجل تفسخه بموته المنتظر ان يقام بعد موته* لان قل لي ان احمار لون احدنا نحو مدة يسيرة. هل نسمي هذا على هذه الجهة احمر اللون دائماً: لا ما نسميه احمر اللون بجهة من الجهات* لان حالة ليست هي ملكة* وان صار اصفر اللون هل نسميه مشتملاً داء اليرقان: لا ما نسميه بذلك* لان العارض له وقتي. فلا نسمي اذاً ميتاً من قد حصل في الموت في زمن يسير* اذ من شاننا ان نسمي الراقدين بهذا الاسم. لانهم على ما يقال قد ماتوا. وهم قد عدموا ان يكونوا فاعلين* الا انك تقول. ولكن اجسامهم تبلى وتتفسد* فاقول لك. وما هو هذا: لان جسمنا ليس يموت* لكن يبقى في البلى والفساد* لكنه يبادر. ليصير افضل مما كان* فسبيلنا ان نقهر الدنيا* ونسارع الى زوال الموت عنا. ولنتبعن ملكنا. ونقيم نحن ظفراً* فلنستحقرن لذات الدنيا فما تحتاج اتعاباً* فلننقلن نفسنا الى السماء: وقد انقهر العالم كله لنا* لانك اذا لم ترغب فيه ولا تشتهيه. فقد انقهر لك* واذا ضحكت عليه: فقد انغلب* نحن سكان

وطارون . فلا تحجعنّ بصنف من الاصناف المحزنة . لانك وان كنت ناشيًا من وطنٍ جليل . ومن اجداد ظاهر شرفهم فسافرت الى ارض بعيدة لن تكون معروفًا عند احد من اهلها . ولا تكون تمتلك معك غلمانك ولا ثروتك . ثم شتمك فيها شاتمٌ . لما كنت تستمض مسبتهُ . مثلما توجعك الشتايم في موطنك * لان معرفتك معرفة فيها بليغة الك في بلدة غريبة . تحقق عندك ان تحتمل كل ما ينالك من الضيم باسهل مرام * وتصطبر على الاهوان بك . وعلى الجوع والعطش . وعلى مهما نالك من المكروه * فينبغي لك ان تفتكر الان هذا الافتكار * انك غريبٌ انت وطارٍ وساكن * ولا يرجفنك صنف من الاصناف التي في هذه الغربة * لانك تمتلك مدينة . الله صانعها ومبدعها * وهذهِ الغربة انما تنتهي الى مدة قصيرة يسيرة . فمن شاء فليضربنا ويشتمنا ويثلبنا ونحن في غربة . ونعيش عيشة حقيرة * لان العارض المستصعب . هو ان تقاسي هذا الهوان في وطننا بحضرة اهل مدينتنا * حينئذٍ تشتملنا الفضيحة والخسارة * واذا كان احدنا في مكان ليس يمتلك فيهِ من يعرفهُ . يحتمل كل ما ينالهُ بايسر مرام * لان المسبة من عزم الشاتمين تكون اصعب من غيرها * مثل ذلك اذا عرف احدنا الوزير انهُ وزير . وقد كان وزيرًا وشتمهُ . حينئذٍ تكون شتيمة عند الوزير مستمرةٌ * وان توهمهُ عاميًا . وشتمهُ . فما تقتدر شتيمتهُ ان تلذع من يتالم بها * فسبيلنا ان نفتكر نحن هذا الافتكار * لان شاتمينا ما قد عرفوا من نحن * كقولك ما قد عرفوا اننا اهل مدينة السموات * وقد دوننا في الوطن العلوي . واننا جائلون مع الكاروبيم * فلا تتوجعنّ اذًا . ولا تحتسب ان الشتيمة شيءٌ . لانهم لو عرفونا . ما شتمونا * لكنهم توهمونا مساكين حقيرين * فلا نتوهم نحن هذهِ مسبة * قل لي ان صار احدنا مسافرًا . فتقدم غلمانه مسافة يسيرة وسبقهم . ثم جلس في فندقٍ ينتظرهم . فلستصعب الفندقاني . او واحد من المسافرين لا يعرفه . او من كان من الحاضرين هنالك جلوسًا وشتمهُ . هل ما كان يضحك على غباوة شاتمهِ . لو ما كانت ضلالة ذاك تسر المشتوم اكثر . او ما كان يتنعم كان غيرهُ المشتوم . فينبغي ان نعمل نحن هذا العمل * لاننا جالسون في فندق . منتظرين اصحابنا المسافرين في هذا الطريق * فاذا صرنا كلنا معًا حينئذٍ يعرف اوليك من شتموا * وحينئذٍ يطرقون الى اسفل . حينئذٍ يقولون هذا هو الذي اعتديناهُ نحن الجهال للضحك * فسنعزي نحن ذواتنا بهذين الصنفين . باننا نحن ما شتمنا . لان اوليك ما عرفوا من نحن * وباننا ان اردنا ان تقابلهم مقابلة عدلة . فسيقابلون

فيما بعد عقوبة اصعب لذعاً *لكن لاكان احدنا مالكاً نفسنا بهذه الصفة قاسية . مسلوبة الانسانية*
فان قلتَ . فما رأيك . اذا شتمنا الذين قبيلتهم قبيلتنا . لان هذه المسبة مستصعبة ثقيلة* قلت لك .
بل هذه هي الخفيفة* فان قلت . وما معنى ذلك . لاننا ما نحتمل الذين نحبهم . والذين ما نعرفهم .
اذا شتمونا . احتمالاً متساوياً * فطالما سلّينا المشتومين بهذه الالفاظ وتقول لهم . ان شاتمك هو
ابوك . فاحتمله بجلادة . اخوك هو . عمك هو *فان يكن اسم الاخ والاب يستميلنا الى الرضا . فاذا
ذكرت ما هو اخاص مناسبة من ذلك . وذلك اننا لسنا اخوة بعضنا لبعض فقط . لكننا اعضاء
بعضنا لبعض . وجسم واحد *اقول ان كان اسم الاخ يستميل الى الرضا . فالبق واوجب ان
يستميل اسم العضو الى الرضا* اما سمعت المثل الخارج عن محلتنا . القائل انهُ ينبغي لنا ان نستنقي
الاصدقاء مع مناقصهم . اما قد سمعت بولس قائلاً .. ليحمل بعضكم اثقال بعض . " (غلاطيه
ص ٦ ع ٢) اما قد رأيتَ العشاق . لانكم تلذموني . اذ ليس ينساغ لي ان اضبط الفعل منكم .
ان اسوق كلامي الى ذلك الموضع* وقد فعل بولس هذا الفعل . اذ قال .. ان كنا نملك ابا لحمنا
مودبين يودبوننا . فنخجل منهم . " (عبرانيين ص ١٢ ع ٩) واولى بنا ان تقول ذاك اللفظ من
قوله . فانهُ اوفق للوقت . وهو الذي خاطب بهِ اهل رومية .. مثلما وقفتم اعضاكم لمباينة الشريعة
في النجاسة ومباينة الشريعة . فكذلك اقفوا اعضاكم عبدات للعدل* " (روميه ص ٦ ع ١٩)
فلهذا السبب نثق ونتبع هذا المثال واثنين* اما تبصر العشاق . فانهم يتحرقون بحب نسوة زانيات .
كم يقاسون من الافعال المستصعبة . اذ تلطمهم تلك النسوة ويضربنهم . ويضحكنَ عليهم . ويحتملون
تدللهنّ وتفركهنّ واعراضهنّ عنهم . ويشتمنهم شتايم جزيلاً عددها . فان ابصروا دفعةً واحدةً
منهن فعلاً مستلذاً وخطاباً انيساً . صارت عندهم كافة افعالهنّ المنكرة في منزلة احسن الافعال .
وهلكت تلك الافعال الاولى كلها . وانطفأت كلها برياح هادية *ولو كان العارض لهم مرضاً .
لو كان فقراً . لو كان مهما كان غير ذلك *لان عيشتهم شقية ويعتدونها سعيدة . ولكي يحوزوا معشوقتهم
جانحة الى حبهم . ما يعرفون شرفاً انسانياً . ولا هواناً *لكن لو شتمهم شاتم . فمن كثرة لذتهم وطيبة معاشرة
تلك عندهم . يحتملون كل ما ينالهم بايسر مرام* وتلك فلو ثلبتهم . ولو بصقت في وجههم . توهموا
اذا قاسوا هذه المكاره . انهم قد رموا بورد* وما المستعجب ان كانوا جانحين الى حبها بهذه الصفة .

لان بيت تلك يظنون انهُ ابهى حسنًا من سائِر المنازل. وان كان مبتني بلبنٍ*وان كان منهدمًا*
وما معنى ذكري حيطانهُ. لان الاماكن باعيانها التي تسكنها الزواني ينهضون اليها. اذا ابصروها
في المساء* فاسمحوا لي ههنا ان اقول الان القول الذي قاله الرسول. على ما قاله.. مثلما اوقفتم
اعضاكم عبداتٍ للنجاسة. فكذلك اوقفوها عبداتٍ للعدل* " فاقول انا على هذا المعنى بعينهِ.
مثلما احببنا الزواني. فليحب بعضنا بعضاً* فما نحتسب ان تقاسي عارضاً مكروهاً *وما معنى ذكري
فليحب بعضنا بعضاً. مثلما احببناهن" ينبغي ان نحب الهنا هذا الحب*افترتاعون اذا سمعتموني
اطالبكم بمقدار الحب لله يكون بديلاً للحب الذي اظهرناهُ للزانية. الا انني انا ارتاع. لاننا ما نظهر لهُ
حبنا بهذا المقدار وان شئتم ان نشرح قولنا. وان كان ما نقوله مستثقلاً جداً*االمعشوقة ما توعد
عشاقها وعداً صالحاً. الا هواناً وخذياً وسباً *لان من مناسبة المراة الزانية ان تعمل هذا العمل
المضحوك عليه المستقبح المهين* فاما الهنا فوعدنا السماء والنعم الصالحة التي في السموات. وصيرنا
بنيه. واخوة لوحيدهِ*ووهب لك في حياتك خيرات جزيلاً عددها. وانهاضك بعد موتك*
وقد وعدنا ان يعطينا نعمًا صالحة هذا مبلغ تقديرها. الى المقدار الذي ليس ممكنًا ان نفطن بها.
ويُصيِّرنا مكرمين موقرين* وتلك ايضًا تلزم عشاقها ان ينفقوا كل مايوجد لهم في هونتها وهلاكها*
والهنا يامرنا ان نزرع في السماء. ويعطينا ماية ضعف ما نزرعهُ. وحياة دهرية*وتلك فتستعمل
مَن يحبها استعمال غلام لها. وتامرهُ اصعب من امر كل غاصب*والهنا فقد قال.. لست ادعوكم
عبيدي. لكن اصدقاي واحباي* " ارايتم افراط المساوىء التي من هذه الجهة. وافراط النعم
الصالحة التي من تلك الجهة. وما الذي نقولهُ بعد ذلك: اناسٌ كثيرون يسهرون لاجل تلك.
ويطيعون ما توعز اليهم بنشاط كثير. ويهملون منازلهم. وآباءهم. وامهاتهم. واصدقاءهم.
واموالهم. ونعمهم واحوالهم كلها في اعسار وافتقار*ومن اجل الله. والبقى ما يقال من اجلنا باعياننا.
ما نختار ان ننفق في وقت من اوقاتنا. ولا ثلث ما يوجد لنا* لكننا اذا رايناهُ جائعًا تتغافل عنهُ.
واذا ابصرناهُ عاريًا تجاوزهُ محاضرين. وما نعطيه كلمة* وتلك فلو ابصر عشاقها الى جاريتها الاعجمية.
وهم وقوف في السوق. لخاطبوها خطاب متجملين بها. مبتهجين بالنظر اليها. هادرين اقوالاً
طويلة معها. وما يعتدون معاشهم شيا لاجلها* ولا روساءهم. ولا ملكتهم* ويعرف هذه الاقوال

جميع الذين قد خبروا هذا الداء وعرفوهُ * ويعتقدون لما منة جزيلة اذا امرتهم ان يخدموا اناساً * انما نستحق جهنم على جهة الواجب : او ليس على جهة الواجب نعاقب عقوبات جزيلاً تقديرها : فلنستفيقنّ . ولنبذل لخدمة الله ولو مثل هذا المقدار ، ولو نصف المقدار الذي يخوله اناس آخرون للزانية ولو ثلثه * ولعلكم قد اراعكم هذا الكلام ايضاً . ولكنني انا قد اراعني واجزعني * ولكني ما اردت ان اريكم بالاقوال فقط . لكن بالافعال ايضا * فههنا الان قد انقبض قلبكم . فاذا خرجنا من ههنا حذفنا كل ما سمعناهُ * وما الفائدة من ذلك : لاننا هنالك اذا احتجنا ان ننفق اموالاً . فليس يتعب احدٌ منا بسبب فقره . لكنهُ اذا اصطادهُ هذا الداء . طالما اقترض واعطى * وههنا اذا ذُكرت لنا الصدقة . نُصدّر ابناءنا . ونساءنا . ومنازلنا . ومعونتنا . ونحيا جزيلاً عددها نخترعها . ولعل قائلاً يقول . الا ان اللذة هنالك كثيرة * فهذا القول هو الذي انوح منهُ . واتعجب على قائله * فاجيبهُ . فا قولك ان اريتك لذتنا ههنا اعظم تاثيراً : لان هنالك يقطع من اللذة الاستخزاء . والمسبة . والنفقة جزو ليس يسيراً * وثانياً ان الحرب والمعاداة تقطع ايضاً اكثرها * وههنا لن يعرض عارض هذه صفتهُ * لان قل لي . ما الذي يوجد عديلاً لهذه اللذة . ان يجلس متوقعاً السماء . والملكة التي فيها . ونور القديسين وبهجتهم . والحياة الفاقدة انقضاوها : ولعلك تقول . الا ان هذه الاصناف في آمال منتظرة . وتلك حاصلة في خبرتنا * فاجيبك . في ايما خبرة : اتشاء ان اصف ههنا ما يكون في خبرتنا : تفطّنْ في كم حرّية نستمع . وكيف ما تخاف ولا واحداً ولا ترتعد منهُ : اذا كنت عائشاً في فضيلة . فما تخشى عدواً . ولا مغتالاً . ولا محتيناً . ولا من قد انحرف عن ان يكون موفقاً . ولا معانداً للعاشق . ولا غيوراً . ولا فقراً . ولا مرضاً . ولا غير ذلك من الاصناف الانسانية * وهنالك لو حصلت لك الاماني التي في عزمك جزيلاً عددها . وتدفّق ايسارك كتدفق من عيون فائضة . فحرب المعاندين للعشاق . والاغتيالات . والكمينات . تجعل عيشة السائح مع اوليك المفسدين . اوفر شقاء من جميع الاشقياء * لان تلك المرفوضة . اذا تفركت متجهرة متنعمة . تثير بلازم الضرورة الحرب المستميلة الى ارضائها * وهذا العارض هو اصعب من ميتات جزيل عددها . واشدّ من كل عقوبة مسلوبة احتمالها * لكن ليس ههنا ولا صنف هذه حالهُ * لانهُ قد قال .. ان ثمرة الروح . حب فرح سلامة * " (غلاطيه ص ٥ ع ٢٢) ولبست بجهة من الجهات حرباً . ولا اتفاق اموال منافراً لوقته *

ولا تضجر مع النفقة * فلو اعطيت فلسا واحدا. او رغيفا. او قدح ماء بارد. تحصل لك المنة كثيرة. وما تصيرك ان تغتم فيما تؤثره * لكنها بخصها ان تستخلصك من هذه الجهة من الغموم كلها. وتجعلك شريفا. وتستخلصك من كل خزي * فما الاعتذار الذي نملكه. واما عقولنا. اذا تركنا هذه الفوائد. وبذلنا ذواتنا لاضدادها. وكردسنا ذواتنا طائعين في اتون النار المضطرم: فلذلك اتضرع الى السقي بالاسقام التي هذه صفتها. ان يعيدوا عمادة ذواتهم. وان يعودوا الى صحتهم. ولا يهملوا انفسهم ان تسقط الى الاياس * لانه كان ذلك الابن المفرط قد قاسى نوائب اصعب من هذه بمقدار كثير. الا انه لما عاد الى منزل ابيه. وصار الى كرامته الاولى. والى تهذيب طريقته كل حين. استبان ابهى نورا * فسبيلنا نحن ان نماثل هذا. ونعود الى ابينا. ونتنزح في غاية عمرنا عن ذلك السبي. وننقل ذواتنا الى الحرية * لنستمتع بملكوت السموات * بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه. الذي معه لابيه والروح القدس المجد * الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الثمانون

في قوله (الاصحاح السابع عشر) (١) هذه الاقوال قالها يسوع. ورفع عينيه الى السماء وقال. يا ابي قد حان الوقت. فمجد ابنك. ليمجد ك ابنك *

قد قال "من يعمل ويعلم. فهذا يدعى في ملكوت السموات عظيما *" وذلك على جهة الواجب جدا * وبيان ذلك. ان التفلسف بالاقوال سهل. وايضاحه بافعالنا عمل انسان جليد عظيم * ولهذا السبب لما تكلم المسيح في احتمال الضيم. تقدم فوضع ذاته في الوسط. اذ امرنا ان نستمد الامثلة من هنالك * ولهذا المعنى بعد هذه العظة والتوصية. انعطف الى صلاة. معلما ايانا. ان نهمل في المحن افعالنا كلها. ونلتجي الى الهنا * لانه لما قال "ستتكبدون في العالم ضغطة." وزعزع نفوسهم. انهضهم بالصلاة ايضا. لانهم كانوا ينظرون اليه بصورة انسان * ولاجل اوليك فعل هذه الافعال * كما فعل عند انهاضه لعاذر. وذكر العلة " انني قلت هذا القول بسبب الجمع الحاضر. ليصدقوا انك انت ارسلتني *" (يوحنا ص ١١ ع ٤٢) ولعلك تقول. نعم على جهة الواجب حدثت هذه الحوادث بحضرة اليهود. فكونها بحضرة تلاميذه. لاي سبب كان: فاجيبك. وعلى جهة

الواجب حدثت لدى التلاميذ * لان الذين قالوا بعد اقوال هذا مبلغ كثرتها ,, الان عرفنا انك قد عرفت الخفيات كلها * " احتاجوا ان يحقق ذلك عندهم اكثر من كل الناس * ولمعنى غير ذلك. ان ولا البشير دعا فعله صلاة * لكنهُ انما قال ,, رفع عينيه الى السماء. " (يوحنا ص ١١ع ٤٢) وخاطب اباهُ بلفظٍ يوجد اكثر اختصاصاً * فان ذكر في موضع آخر صلاة. واراك اياهُ منحنياً على ركبتيهِ. ورافعاً حينئذٍ عينيهِ الى السموات. فلا ترتجف * فاننا بهذه الافعال. تتعلم الدوام في وسايلنا * لكي اذا قمنا ننظر الى فوق. ليس بعيني لحمنا فقط. لكن بعيني سريرتنا معهما * ولكي اذا احنينا ركبنا. نطحن قلوبنا * لان المسيح جاء ليس ليرينا ذاتهُ فقط. لكنهُ جاء ليعلمنا فضيلة عديمة ان تكون موصوفة * والمعلم سبيلهُ ان يُعلم ليس بالفاظهِ وحدها. لكن ينبغي لهُ ان يعلم بافعالهِ معها * وسبيلنا ان نسمع ما قالهُ ههنا ,, يا ابي قد حان الوقت. فمجد ابنك. ليمجدك ابنك * " فقد ارانا ايضاً انهُ يجيء الى صليبهِ ليس كارهاً * لان كيف يكون كارهاً. من يبتهل ان يكون ذلك : ويسمي ذلك شرفاً ومجداً. ليس للمصلوب وحدهُ بعينهِ. لكنهُ يدعوهُ مجداً لابيهِ معهُ * اذ قد كان ذلك على هذه الجهة * لان الصلب لم يتمجد بهِ الابن فقط. لكن قد تمجد بهِ معهُ ابوهُ ايضاً * لان قبل الصليب ولا اليهود عرفوهُ * لان النبي قال ,, واسرايل ما عرفني * " (اشعيا ص ١ ع ٣) وبعد الصليب بادرت المسكونة كلها اليهِ * ثم ذكر حال مجدهِ. وكيف يمجدهُ * (٢) ,, على نحو ما اعطيتهُ سلطاناً على كل ذي لحمٍ. لكي كل ما اعطيتهُ اياهُ لا يهلك * " لان الاحسان دائماً. مجد لله * فان قلت. وما هو معنى على نحو ما اعطيتهُ سلطاناً على كل لحمٍ : اجبتك. قد بيّن عاجلاً. ان افعال الانذار بهِ ليست منصورة على اليهود وحدهم. لكنها تمتد الى المسكونة كلها * ومقدمات الامم قد قدّم وضعها * لانهُ لما قال ,, لا تذهبوا في طريق الامم. " واستانف ان يقول بعد ذلك ,, انطلقوا تلمذوا جميع الامم. " ابان ان اباهُ يريد ذلك * لان هذا الفعل قد شكك اليهود كثيراً * وتلاميذهُ بعد ذلك فما استجازوا ان يمارسوا تعليم الامم بايسر مرام. الى ان تسلموا تعليم الروح * لان ما تكوّن لليهود من هذه الجهة تشكيك يسير * لان بعد ايضاح الروح ايضاحاً جزيلاً تدبيرهُ. لما جاء بطرس الى اورشليم بالجهد امكنهُ ان ينفلت من دواعي شكواهم اياهُ. حين قال لهم الاقوال التي قبلت لهُ في معنى السبتية * ولعلك تقول. فبيّن لنا ما هو ,, اعطيتهُ سلطاناً على كل لحمٍ : " فاقول سبيلنا ان نقول لمبدعي بدع

هواهم في ديننا. متى تسلَّمَ هذا السلطان. قبل ان يخلقهم. ام بعد ان خلقهم: ولعل احدهم يقول. الاَّ انهُ بعد ان صُلب وقام حينئذٍ قال. قد أُعطيتُ كل سلطان * " .. انطلقوا تلمذوا جميع الامم *" فنقول للمعارض. فما رأيك: أَفما مَلَكَ سلطانًا على الاعمال التي لهُ. لكنهُ خلقهم. وما مَلَكَ عليهم سلطانًا بعد ابداعهِ اياهم: على انهُ قد يستبين مبدعًا للبرايا كلها * وفي السنين السالفة قد استبان معاقبًا للذين اخطاوا * فقد قال .. لستُ اخفي عن ابرهيم صاحبي. ما اعتزم ان اعملهُ .." ومكرمًا اقوامًا على انهم احكموا الفضائل * ثم حينئذٍ امتلك عليهم سلطانًا. والان اضاع ذلك. واخذهُ ايضًا. واي شيطان نطق في هذه الاقوال: فان كان سلطانهُ بعينهِ يمتلك في ذلك الحين والان. (لانهُ قال .. مثلما ان الاب يقيم الاموات ويحييهم. فكذلك ابنهُ ايضًا يحيي لمَن يشاء * ") فما هو معنى ما قيل: انهُ اعتزم ان يرسلهم الى الامم. فلكيلا يظنوا ان هذا الارسال بدعة جديدة. لاجل قولهِ .. ما أُرسِلتُ الاَّ الى الغنم التي ضلَّت من آل اسرائيل ." اراهم ان اباهُ يرتضي بهذا الارسال ويؤثرهُ * فان كان يتكلم هذا الكلام بحقارةٍ كثيرة. فليس ذلك مستعجبًا * لانهُ على هذه الجهة عمَّرَ حينئذٍ اولئك والذين بعدهم * وهذا فقد قلتهُ دائمًا بافراط حقارتهِ. لانهُ قد حقق كثيرًا. ان الاقوال التي قالها كانت اقوال مقاربة وتطأطؤ * فان قلتَ. وما هو على كل حالٍ: لان ليس كل الناس امنوا بهِ: اجبتك. اذ قد آمنَ الجزء من الكل. فكلهم قد امنوا * وان كانوا ما اصغوا الى ما قالهُ. فليس الزلل لمَن علمهم. لكن الذنب للذين ما اقتبلوا تعليمهُ واقوالهُ * .. لكي كل ما اعطيتهُ اياهُ. يعطيهم حياةً ابدية * " فان كان يتكلم ههنا كلامًا اقرب الى الانسانية. فلا تستعجب ذلك * لانهُ انما يعمل هذا العمل. لاجل العلل المذكورة. محترسًا دائمًا ان يقول هو عن ذاتهِ قولًا عظيمًا * اذ كان هذا القول قد تمكن في سامعيهِ * لاجل انهم لم يتخيلوا من اجلهِ عاجلًا تخيلًا عظيمًا * فيوحنا لما تكلم من وجه ذاتهِ ليس يعمل هذا العمل. لكنهُ صاعد كلامهُ الى اعلى غاية. اذ قال هذا القول .. البرايا كلها بهِ تكوَّنَتْ. وخلوًا منهُ ولا شيء واحد منها تكوَّنَ * " وانهُ كان حياةً. وانهُ كان نورًا. وانهُ جاء الى اوليائهِ * وما قال انهُ ما امتلك سلطانًا. لو لم ياخذهُ. لكنهُ قال. انهُ اعطى آخرين سلطانًا ان يصيروا اولادًا لله * وبولس بشبهِ ذلك يقول .. انهُ عديل لله * " (فيلبيوسيوس ص ٢ ع ٦) وهو يسال سوالًا اقرب الى انسانيتهِ. اذ قال هذا

القول . لكي كل ما اعطيته . يعطيهم حياة دهرية * (٣) " وهذه هي الحياة الدهرية . ان يعرفوك
الاله الحقيقي وحدك . ومن ارسلته يسوع المسيح * " فقال الهاً حقيقياً وحده * يعتمد انفصاله من
الذين ليسوا الهة موجودين * لانه اعتزم ان يرسلهم الى الامم * فان لم يستخبروا ذلك . لكنهم هذا
القول وحده . يخرجون الابن من ان يوجد الهاً حقيقياً * فانهم اذا امعنوا في ذلك . سيخرجونه من
ان يوجد الهاً * لانه قد قال " وما يطلبون الشرف الذي من الله وحده * فنقول لمعارضنا * ما رايك :
أفالابن ليس يكون الهاً : " فان قال ان لفظة الله مناسبة للمسمى اباً وحده * فواضح ان لفظة الحقيقي
مناسبة للمدعو حقيقياً وحده * فما قولك اذ قال بولس " ام انا وحدي وبرنابا " (قرنتيه اولى ص ٩
ع ٦) هل يخرج برنابا من مقارنته : لاما يخرجه بجهة من الجهات * لان لفظة وحده توضع للانفصال
من آخرين * فان كان الابن ليس الهاً حقيقياً . فكيف هو حق : لان الحق هيز من الحقيقي بفضل
هو افضل منه * ومن ليس هو انسياناً حقيقياً ماذا نسميه : قل لي أنسميه انساناً : فعلى هذا
النحو ان كان الابن ليس هو الهاً حقيقياً . فكيف هو اله : وكيف يصيرنا الهة وبنين . اذ لم يكن
الهاً حقيقياً : ولكنا قد تكلمنا في هذه المعاني في اقوال اخرى كلاماً ابلغ استقصاء * فلذلك ينبغي ان
نمارس الاقوال التي تتلو هذه * (٤) .. انا قد مجدتك في الارض * " على جهة الصواب قال
" انا مجدتك في الارض * " لانه قد تمجد في السماء . مالكاً المجد في طبيعته . وملايكته ساجدون
له * فما قال عن ذلك المجد الذي يتملكه راتباً في جوهره * لان ذاك المجد ان لم يمجده ممجد . يلبث
مالكاً اياه متمليناً * لكنه انما ذكر هذا المجد الكاين من عبادة الناس اياه * فلفظة " مجدني . " هذا المعنى
هو معناها * ولكي تعلم ان هذا الصنف من المجد . اسمع اقواله التي تتلو هذه . قال " قد تممت العمل
الذي اعطيتني ان اعمله * " على ان عمله في ذلك الوقت امتلك ابتداً * والبق ما يقال انه ما كان
بعد قد امتلك ابتداً * فان قلت . فكيف قال قد تممته : اجبتك : اما يكون يعني انني قد عملت ما
يخصني ان اعمله كله * واما يكون يقول ما سيكون كانه قد كان * واما يكون قد قال ابلغ الاقوال
كلها وضوحاً . ان المقصود كله قد كان . وحصل متكوناً بوضعي قرمة الافعال الصالحة . التي
ازمعت الاثمار ان تتبعها على كل حال بلازم الضرورة . وبحضوره مع المستانف كونهم فيما بعد واتصاله
بهم * ولهذا المعنى ذكر " الذي اعطيتني . " على جهة المقاربة والتحديد * لانه لو انتظر ان يسمع ويتعلم

لقد كانت هذه الاصناف تنقص من مجده كثيراً * والدليل على انهُ جاء الى هذا الفعل من عزمه وإيثاره . فواضح من جهات كثيرة * على نحو ما اذ قال بولس ،، انهُ على هذا المثال احبنا الحب الذي بلغ فيه الى ان اسلم ذاته من اجلنا . ،، (فيلبيوسيوس ص ٢ ع ٧) ،، وانهُ اخلى ذاته . لما اخذ صورة عبد * ،، وقال ايضاً ،، مثلما احبني ابي . كذلك انا احببتكم * ،، (يوحنا ص ١٥ ع ٩) (٥) . ،، مجدني انت يا ابي عند ذاتك . بالمجد الذي امتلكتهُ عندك . قبل ان يوجد العالم ۞ ،، فان قلت لهُ اين ذلك المجد . فليكن على جهة الواجب انك عند الناس عادماً تشريفهم اياك . لاجل الملبوس المشتمل عليك * فكيف تطلب ان تمجد عند ابيك : قال لك . ان قوله ههنا في معنى تدبيره * اذ طبيعة لحمه لم تكن بعد قد مجدت . ولا تمتعت بزوال البلى . ولا ساهمت العرش الملكي * ولهذا المعنى ما قال الذي امتلكته في الارض . لكنه قال . ،، الذي امتلكته عندك ۞

العظة الثمانون

في الغنى ۞ وفي القناعة الواجبة ۞

هذا المجد سنتمتع به نحن على مقدارنا . اذا استفقنا * ولذلك قال بولس ،، ان تألمنا معهُ . فلذلك لنتمجد معه * ،، (رومية ص ٨ ع ١٧) فالذين يغتالون على ذاتهم . موهلون لعبرات غزيرة * ويعدمون بكسلهم ونومهم مجداً راتباً جزيلاً تقديرهُ * فلو لم تكن جهنم موجودة . لكان اوفر شقاء من جميع الناس . من قد انساغ لهم ان يملكوا مع المسيح ابن الله ويتمجدوا معهُ . فاعدموا ذواتهم نعماً صالحة هذا مبلغ كثرتها * فلو وجب ان نقطع اجسامنا . او اتفق ان نموت ميتات جزيلاً تقديرها . لوجب ان نبذل لنا نفوساً كثيراً عددها . واجساماً نظير كثرتها انما كان يجب علينا ان نحتمل هذه المصاعب كلها . من اجل المجد الجزيل بهذه الصفة تقديرهُ : فالان ما نستحقر اموالنا بسبب ذلك . ولا نتهاون بها . التي سنتبرأ منها اخير آكارهين * وما نتهاون بالاموال التي تزجنا في صنوف كثيرة من البلايا التي تبقى ههنا . التي ليست لنا * لاننا نتمسك بالاشياء التي ليست لنا ونبددها . ولو كانت خالصة لنا من اباءنا * قل لي اذا حصلنا في جهنم . وفي الدود الفاقد الموت . وفي النار العادمة خمودها . وفي صريف الاسنان . كيف تملك هذه الاموال معنا : الى متى ما تنظر : لكننا نفني جملة

عمرنا كل يوم في خصومات وحروب واقوال قد زالت المنفعة منها . اذ نغذو ارضنا . ونسمن جسمنا . ونتوانى في نفسنا . وما نهتم بصنف واحد من الاصناف الضرورية * بل اهتمامنا كثير بالاعمال التي هي فضلة زائدة مسلوبة منفعتها * ونبتني قبوراً حسنة * ونبتاع دوراً جزيلة اثمانها * ونستجر وراءنا جماعة من عبيد مختلفة اشخاصهم * ونحتال بقهارمة مختلفين لحقولنا ومنازلنا واموالنا . ونصير روساء وروساء لروساء . وليس عندنا اهتمام بنفستنا المفقرة * فماذا تكون نهاية افعالنا هذه : وانما نملاء بطناً واحداً . ونكسو جسماً واحداً . فما معنى ارتجافنا العظيم في اعمالنا واشغالنا : لم نقطع النفس الواحدة التي احتلنا بها . ونسحقها في خدمة هذه الاشغال . ونحتال لانفسنا بعبودية صعبة : لان من يحتاج الى حوائج كثيرة . هو عبد لاصحاب كثيرين * ولو ظن انه يستظهر عليهم ويتملكهم * اذ السيد يوجد عبداً لعبيده . يورد لخدمته مذهباً آخر اعظم تعباً * فقد حصل عبداً آخر * لانه خلواً من عبيده . ما يجترى ان يذهب الى سوق . ولا الى حمام . ولا الى حقل * وعبيده فطالما مضوا خلواً منه . الى كل مكان يوثرون ان يمضوا اليه * الا لان المظنون انه مولاهم . اذ لم يحضره عبيده . لن يجترى ان يخرج من داره * لكنه ولو استشرف من منزله وحده . يظن انه مضحوك عليه * ولعل اناساً يضحكون علينا اذا قلنا هذه الاقوال . الا انهم لاجل هذا الراي بعينه هم موهلون لدموع غزيرة * والدليل على ان هذه العيشة عبودية . انا استخبرك بالتذاذ . واجبني . هل كنت تشاء ان تحتاج الى من يضع الخبز في فمك : او الى من يقدم القدح الى شفتيك : افما كنت تظن ان هذه الحاجة توجد موهلة الى دموع غزيرة : وما قولك لو احوجت الى اقوام يحملونك . ويسندونك في مشيك بمداومة : لما كنت تعتقد انك قد حصلت بهذا الحال اشقى من كل الناس واخقهم ان يرثى لك : فاذا احتجت الان الى ان تكون هذه الحال حالك . ورغبت فيها . فلا فرق بينك وبين من يقتني هذه الاصناف المستعاذ منها . ان قلت من بهايم تحمله وتحمل حوائجه . وان قلت من اناس يخدمونه * وما رايك : قل لي . اليس بهذه القناعة تنفصل الملايكة عنك : لانهم ليسوا يحتاجون الى ما نحتاج اليه نحن * فبمقدار ما نحتاج من الحوائج الى اقلها وادناها . بمقدار ذلك نسير الى الملايكة ونماثلها * وبمقدار ما نحتاج من الحوائج الى اكثرها . بقدر ذلك نتكردس الى هذه العيشة المينة * ولكي تعلم ان هذه الاصناف هذه الحال حالها . اسال والديك آية عيشة يغبطونها . هل التي تمسكوا بها في ذلك

الحين باطلاً . ام السيرة التي يضبطونها الان . لانني لهذا الغرض دعوت والديك الى الاجابة عن السوال * لان الذين في سنّ الحداثة هم سكارى . وما يعرفون افراط عبوديتهم * وما قولك في المحمومين . متى يطوبون ذواتهم . هل اذا عطشوا كثيراً . او جاعوا كثيراً . او احتاجوا الى صنوف كثيرة من الادوية والاطعمة . ام اذا عوفيوا واستراحوا من شهوتهم . ارائيت ان الاحتياج في كل مكان الى اشياء كثيرة مذموم يُستعاذ منهُ . وهو بعيد من الفلسفة . وزيادة في العبودية والشهوة . فما بالنا نستديم الشقاء لانفسنا طائعين . قل لي . لو كان يتجه لك ان تسكن ولا تستمد ضرراً . سكنى خالية من سقف وحيطان . اما كنت تختارها كثيراً . فلمَ تطيل عليك سمات السقم . انما لهذه الحال نطوب ادم . لانهُ ما احتاج صنفاً من هذه الاصناف . ولا الى مساكن . ولا الى ملابس * ولعلك تقول . نعم * الاّ اننا الان قد حصلنا في الحاجة * فاقول لك . فما بالنا نزيد في الحاجة وننميها . ولئن كان كثيرون يقطعون صنوفاً كثيرة من حاجاتهم . اعني انهم يباينون عبيدهم . ومنازلهم . واموالهم . فما الاعتذار الذي نملكهُ . اذا زدنا حاجتنا وتجاوزنا حدّها . لانك بمقدار ما نشتمل من الحوائج اكثرها . بمقدار ذلك قد صرت اكثر تعبداً لها * لانك بقدر احتياجك حوائج اكثر من غيرها . بمقدارها قد قطعت حريتك * لان الحرية البليغة المستقصاة . هي ان لا تحتاج الى شيء بجملة عزمك * والحرية التي بعد ذلك هي ان تحتاج الى حوائج يسيرة * وهذه التي تملكها الملائكة اكثر من غيرهم * فالذين قد احكموا هذه الحرية مدة بقائهم في جسدٍ مائت . فتفطن في المديح الذي قد ملكوهُ ما اعظمهُ * وهذه الطريقة قد ذكرها بولس حين كتب اهل مدينة قرنتيه . فقال .. انا اشفق عليكم . ولكيلا يشتمل الذين هذه سجيتهم ضغطة في لحمهم * " (قرنتيه اولى ص ٧ ع ١٨) لهذا المعنى نُسمي اموالاً مستعملة * لكي نستعملها فيما يجب . ليس لكي نحفظها وندفنها * لان هذا الفعل ليس هو فعل مَن يستعملها ويستقنيها لكنهُ فعل مَن قد استقنتهُ هي . لاننا ان اعتزمنا ان نراصد هذا العزم . وهو كيف نجعل اموالنا كثيرة . ليس لنستمتع بها فيما يجب . فقد انعكس ترتيبنا . وقد استقنتنا اموالنا . وما استقنيناها نحن * فسبيلنا ان نتخلص من هذه العبودية المستصعبة * فلنصيرنَّ في وقت من اوقاتنا احراراً * ما بالنا نحيل لانفسنا بعقالات جزيل عددها متلونة اصنافها . لما يجزيك رباط طبيعتك . وضرورية حياتك . ورهط اشغالك الجزيل عددها . لكنك تضفر لذاتك

شيئاً آخر . وتلفها على رجليك ، فمتى تقتدر ان تستقني السماء . ونقف في ذلك العلو لان يجي فعلاً محبوباً وعملاً ماثوراً . ان تقطع هذه الحبال كلها . وتقتدران تخذ المدينة التي في العلو * ولعمري ان العوايق توجد غير هذه جزيلاً تقديرها * فلكيما تقهرها كلها . ينبغي لنا ان نستقني الحقارة ودناءة الحال * لاننا على هذه الطريقة نستقني الحياة الدهرية . بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه . الذي له المجد الى ابد الدهور كلها امين ۝

المقالة الحادية والثمانون

في قوله (٦) قد اظهرت للناس اسمك . الذين اعطيتنيهم من الدنيا۝ (٧) لك كانوا . واعطيتنيهم . وقد حفظوا قولك۝

ان ابن الله يدعى رسول الراي العظيم * لاجل اقواله الاخر التي علمناها . وعلى جهة التقديم والتفضيل * لانه وصف للناس اباه . واحضر معرفته اليهم * وهذا فقد ذكره الان . فقال ،، اظهرت اسمك للناس۝ ،، لانه لما قال ،، قد تممت عملك۝ ،، يشرح ايضاً ذلك بقوله اي عمل هو * على ان اسمه قد كان واضحاً . فانما كان واضحاً * لان اشعيا قد قال ،، يحلفون بالاله الصادق . ،، اشعيا ص ٦٥ ع ٢٥ لكن ما قلته غير مرة اقوله الان . ان اسمه وان كان واضحاً . فانما كان واضحاً عند اليهود * ولا عند هولاء كلهم * والان فقد قال هذا القول من اجل الام * وليس يدل على هذا المعنى فقط . لكنه يدل ايضاً على انهم عرفوه اباً لهم * ولعمري ان معرفتهم انه هو الخالق . ومعرفتهم انه يمتلك ابناً . ليستا على مثال واحد بالسواء * فاظهر اسمه باقواله وافعاله۝ ،، الذين اعطيتنيهم من الدنيا۝ ،، على ما ذكر فوق هذا الموضع ۝ ،، ليس يجي الي احد . ان لم يكن ذلك معطى له . وان لم يجتذبه ابي۝ ،، كذلك قال ههنا ،، الذين اعطيتنيهم۝ ،، على انه هو قد قال عن ذاته انه يوجد طريقاً * فواضح من هذه الجهة . انه يصلح ههنا معنيين بهذه الالفاظ . احدهما انه ليس مضاداً لابيه . والاخر ان ارادة ابيه ان يصدقوا ابنه۝ ،، لك كانوا . واعطيتنيهم . ،، ههنا يريد ان يوضح ان اباه يحبه حباً شديداً * لانه ما توسل اليه ان يعطيه اياهم . وذلك واضح من تلك الجهة . هو ابدعهم . هو يعتني بهم بمداومة . كيف اخذهم ، لكن ما قلته ان هذا القول دل على ائتلافه

بابيه* فان ارادَ مريد ان يبحث عن ذلك براي انساني. كما قيل على هذه الجهة و يقول . انهم لبسوا للاب ايضاً* لانهم ان كانوا حين امتلكهم الاب . ما امتلكهم ابنهُ . فواضح انهُ لما اعطاهم لابنهِ قد انتزع هو من سيادته عليهم* والقول الاشنع من هذا ايضاً . انهم يوجدون حين كانوا عند الاب . كانوا قد عدموا ان يكونوا تامين* فلما جاءوا الى عند الابن . حينيذٍ صاروا كاملين* الاّ ان هذه الاقوال ضحكة ان تقال* فان قلتَ . فما الذي يوضحهُ لنا بهذه الاقوال: اجبتك انهُ اعطاهم لابنهِ. اي خوّلهم ان يصدقوا ابنهُ * .. وقد حفظوا قولك* وقد عرفوا الان ان الافعال التي اعطيتنيها منك كانت* ‘‘ فان قلت . وكيف حفظوا قولك: اي حفظوهُ . بانهم صدقوني . ولم يصغوا الى اليهود* لانهُ قال ،، ان مَن يصدقهُ . قد حقق وختم ان الله هو الصادق* الاّ ان اناساً يقولون* انني الان عرفتُ ان الافعال كلها التي اعطيتنيها منك هي* الاّ ان قولهم هذا ليس يحوي احتجاجاً . لان كيف استانف الابن ان يجهل اعمال ابيهِ: لكن هذا القول من اجل تلاميذهِ قيل* لانهُ قال من هذا المعنى قلتُ هذه الاقوال . انهم عرفوا ان كافة الافعال التي اعطيتنيها فمنك هي * فليس عندي ولا عندك شيء غريب . ولا خاص* لان المعاني الكثيرة قد انزلت الخاص منها في منزلة الغريب* فقد عرفوا ان كافة التعاليم التي علّمتُ هي تعاليمك* واقوالي وتعاليمي وارائي هي لك* ولو جاز ان يُسال . ومن اين عرفوا ذلك: لاجاب من اقوالي عرفوا ذلك * لانني هذا التعليم علمتهم . وليس هذا المعنى فقط . لكن عرفوا .. انني منك خرجتُ ‘‘ لانهُ حرص كل حين ان يصلح هذا المعنى من بشارتهِ* (٩) .. انا عن هولاء اسال* ‘‘ فانا استخبرهُ ياسيدي . ماذا تقول: اتعرف اباك كانهُ قد عدم ان يكون عارفاً . وتخاطبه بمنزلة انسان ليس عارفاً: فما الذي تريدهُ هذه النغمة: ارايتَ ان الصلوة ما صارت لاجل غرض آخر من الاغراض . الاّ لكي يعرفوا الحب الذي يخلصه لهم: لان مَن وهب لهم ليس الموهبة منه فقط . لكنه سال اخر فيها . قد اوضح شوقه اليهم اكثر ارتياحاً* فلو جاز ان تساله . ما هو معنى من اجل هولاء اسال: لاجابك . ليس من اجل العالم كلهِ * لكن من اجل الذين اعطيتنيهم * فقد وضع لفظة اعطيتني . ‘‘ وضعاً متصلاً * لكي يعرفوا ان ذلك ماثورٌ عند ابيهِ* ثم اذ قال قولاً متصلاً . لك هم . وانت اعطيتنيهم . قاطعاً التوهم الخبيث* لكيلا يتوهم متوهم ان رياستهُ توجد محدثة . وقد تسلّمهم الان* وقال (١٠) ،، التي

يوصيه * فما قاله كان يعرفه اباه . على نحو ما اذا قال لست اسال من اجل العالم * وما قاله كأنه يوصيه بهم . انا حفظتهم الى الان . وما هلك منهم واحد * وقال فاحفظهم انت اذا . وقد قال ايضًا ،، لك كانوا واعطيتنيهم . وحين كنت في العالم . قد حفظتهم * "ولكن حلّ هذه الشكوك كلها . ان الاقوال التي قيلت انما قيلت نحو ضعفهم * واذ قال ان ما هلك منهم واحد سوى ابن الهلاك . استثنى بقوله ،، ليتم الكتاب . ،، فان قلت . وايما كتاب يعني ؛ اجبتك . يعني الكتاب الذى قد قال في وصفه اقوالًا كثيرة سالفًا * وما هلك لهذا السبب ليتم الكتاب . فقد تكلمنا في هذا المعنى . فيما تقدم من قولنا اقوالًا كثيرة . وقلنا ان هذا المعنى هو خاصة للكتاب . انهُ يجعل ما يعرض من نفوذ الافعال الى غايتها . كانهُ وصف علتها * فينبغي لنا ان نبحث عن الاحوال والافعال كلها بابلغ الاستقصاء . ونتصفح حال المتكلم . وسببه . وشرائع الكتاب . ان كنا ما نوثر المغالطة . لاننا اخوة * فلا نصيرن صبيانًا في بصايرنا *

العظة الحادية والثمانون

في انهُ يجب علينا ان نفضّل الحظوظ الدهرية السماوية . على الحظوظ الارضية الوقتية * وانهُ ينبغي ان نرحم الفقراء ليس من ظلمٍ واستغنام *

فصنوف البحث هذه ما نحتاج اليها بسبب تامل الكتب فقط اذا قريناها لكننا نحتاجها مع ذلك بسبب الاجتهاد في تهذيب عيشتنا * وبيان ذلك . ان الصبيان الصغار ليس من عادتهم ان يرتاحوا الى الاشياء محلها . ومن شانهم ان يستحبوا الاصناف التي ما تسوى شيئًا * لانهم اذا ابصروا عجيلات وفريسات وسايسها . وبكيرات معمولة من الخزف كلها . يفرحون بها * ومتى ابصروا ملكًا جالسًا على مركبته الذهبية . وبغلتين بيضتين . وزينةً جزيلة . ما يلتفتون اليها * واذا اخذوا ايضًا عريسات معمولة من الخزف . يتجملون بها . وما يعرفون العرائس الحقيقية البهي حسنهنّ بالحقيقة و يعرض لهم هذا العارض بعينهِ في اصناف اخر كثيرة * وكثيرون من الناس الان يعرض لهم العارض * لانهم اذا سمعوا اوصاف السموات ما يصغون اليها . وهم متلهفون الى كافة الاشياء الطينية . كتلهف الصبيان الى تلك اللعيبات . باهتين الى الغنى الذي من الارض . ويكرمون الشرف

والنعم الذين في عمرنا هذا * وهذه الاصناف هي صبيانية . مثل تلك اللعيبات * وهي علل حياتهم وشرفهم وراحتهم * ولكن كما ان الصبيان اذا فقدوا هذه الاصناف المذكورة يبكون . وتلك الانواع الجليلة ما قد عرفوا ان يجعلوها في شهوتهم . فكذلك كثيرون من المظنونين رجالاً يبكون اذا فقدوا املاكهم * ولهذا السبب قال بولس .. لا تكونوا صبياناً في بصائركم * " (قرنثيه اولى ص ١٤ ع ٢٠) قل لي أتعشق الاموال . وما تعشق الغنى الباقي . لكنك تعشق العابا صبيانية : ثم اذا رايت انساناً استعجب دينارًا من الرصاص . وانحنى حتى ياخذه . ذممت فقره الكثير * فاذا جمعت انت اصنافا ادنى قدرًا من الرصاص . انحصي ذاتك من الموسرين : وكيف تمتلك هذا الراي احتجاجاً : لأننا نقول ان ذلك يوجد موسرًا . وهو المعرض عن الاشياء الحاضرة كلها المتغافل عنها * لان ليس يرضى احد ان يضحك على هذه الاشياء الحقيرة من الذهب والفضة والخيال الآخر . ان لم يمتلك الشوق الى النعم الاعظم قدرًا * كما انه ما يستحقر الدينار من الرصاص . ان لم يكن قد استقنى دنانير ذهبية * فاذا رايت انت اناساً معرضاً عن العالم كله زاهدًا فيه . فلا تظن انه يعمل هذا العمل من جهة اخرى بوجه من الوجوه . الا من جهة انه قد نظر الى عالم اعظم من هذا * والفلاح على هذه الجهة يستحقر الحنطة القليلة . اذا توقع الحصاد الاعظم ربحاً * فان كنا نستحقر ما يوجد لنا . اذا رجونا الامل الغامض . فاليق بنا واوجب علينا ان نعمل هذا العمل . اذا توقعنا الرجاء الحقيقي الصادق * فلهذا السبب اتضرع اليكم واسالكم الا نخسر ذواتنا . ولا نستقني حماة . ونعدم ذواتنا الذخائر العلوية * اذا سقنا سفينتنا الى الميناء بقصب وتبن * فليقل احدكم من اجلنا ما يوثر ان يقوله . وليستصعب اتصال وعظنا وتوصيتنا . وليدعنا مهذارين مستثقلين مستكرهين . فما نكف عن توصيتكم في هذه الافعال بمداومة . ولا نستقر من ان نخاطبكم دائماً كلكم بكلام النبي .. افتدِ من خطاياك بصدقاتك * وتخلّص من مبايناتك الشريعة برافتك على الفقراء * " (دانيال ص ٤ ع ٢٤) وطوقها على عنقك * ولا تعمل المعروف اليوم . وتبتعد منه غداً * لان جسمنا هذا يحتاج كل يوم طعامه * وكذلك نفسنا تحتاج الى طعامها اكثر جداً * فان لم نتناوله نصير اضعف قوة . واقبح صورة * فلا نعرض عنها هالكة مخنوقة . نتكبد كل يوم جراحات كثيرة * اذا صارت مشتهية مغتاظة متوانية قارفة منتقمة حسودة . فينبغي لنا ان نصلح لها ادوية * ولعمري ان دواء الصدقة ليس دواء يسيرًا . مقتدرًا ان يشفي عقور

نفسنا كلها * لانهُ قال .. اعطوا صدقة * فتكون الاشياء كلها لكم نقية * " (لوقا ص ١١ ع ٤١)
فينبغي لنا ان نعطي صدقةً لا استغناماً * لان العطايا من التغطرس والاستغنام ما تبقى . ولو اعطيتها
للمحتاجين * لان الصدقة انما هي المتخلصة من كل ظلم * هذه الصدقة تجعل افعالنا كلها نقية * هذه
الصدقة افضل من الصوم والنوم على الارض * على ان الصوم والشقاء وما ناسبهما اعمال اصعب
من غيرها واوفر تعباً . الآن هذه الصدقة اكثر فائدةً وربحاً تنير نفسنا وتسمنها . وتجعلها بهية *
وثمرة الزيتونة على تمثيل حالها ما تويد المجاهدين . مثلما تويد هذه الرحمة عادة مجاهدي الدين
المهذب * فلندهن اذاً ايدينا لنصارع معاندنا على جهة الصواب * مَن قد تعود ان يرحم المحتاج
ينتزح سريعاً من استكثار القنية والاستغنام * ومَن قد آلف ان يعطي الفقراء . يبتعد من الغيظ
باسراع . وما يتباهى في وقت من الاوقات عظيماً * وكما ان الطبيب اذا داوم مداواة المجرحين ينقبض
بايسر مرام . اذا ابصر في نوائب اناس آخرين طبيعته الانسانية * فكذلك اذا اعتمدنا المعونات للفقراء
نتفلسف بايسر مرام . وما نستعجب ايسارنا . ولا نحتسب الاملاك الحاضرة شيأً عظيماً لكننا نستحقرها
كلها . ونصير مستطيرين الى السماء . فيتيسر لنا امتلاك النعم الصالحة والدهرية * بنعمة يسوع المسيح
وتعطفهِ . الذي لهُ مع ابيهِ والروح القدس المجد الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الثانية والثمانون

في قولهِ (١٤) انا اعطيتهم قولك . والعالم قد مقتهم . لانهم ليس هم من العالم . مثلما انني انا لست من العالم

اذا كنا مكينين في فضيلتنا فطردنا الخبثاء واضطهدونا . واذا ارتحنا الى الفضيلة فاستهزأوا بنا .
فلا نخل نشاطنا . ولا نستصعب ذلك * فان هذا العمل يحوى طبيعةً هذه خاصتها * والفضيلة فمن
عادتها ان تولد في مكان مقتاً عند الخبثاء * لانهم يحسدون المريدين ان يعيشوا معاش التورع
والحلم * ويتوهمون انهم يصلحون لذواتهم احتجاجاً . اذا اطرحوا رأي اناس آخرين . ويمقتونهم مقيمين
عاملين اعمالاً ضدية * ويعملون كل ما يمكنهم . ليخزوا عيشة اوليك ويعيبونها * لكن ما ينبغي نتجع لذلك
فان هذه علامة الفضيلة * ولهذا السبب قال المسيح .. لو كنتم من العالم . لكان العالم يحب خاصته *
(يوحنا ص ١٥ ع ١٩) وقال في موضع آخر ايضاً .. الويل لكم اذا قالت الناس كلها فيكم ما

تستحسنونهُ*" (لوقا ص ٦ ع ١٦) ولهذا المعنى قال ههنا .. قد اعطيتهم قولك. والعالم قد مقتهم» فقد ذكر ايضاً العلة التي لاجلها حصلوا موهلين ان يستمدوا من ابيهِ اهتماماً كثيراً *لانهُ قال من اجلك . ولاجل قولك مقتوا * فمن هذه الجهة حصلوا مستوجبين للتمتع بكافة عنايتك * (١٥) .. لست اسالك ان تاخذهم من العالم . لكنني اسالك ان تحفظهم من الخبيث» " قد اعتمد ايضاً ان يوضح قولهُ ويجعلهُ ابين وضوحاً ايضاً *وهذا فليس هو قول موضح معنى آخر . الأَّ انهُ يهتم بهم اهتماماً جزيلاً . بتقديمهِ التوسل من اجلهم بابلغ التعمق فيهِ *على انهُ هو قد قال . ان اباهُ يعمل كل ما يسالونهُ * فان قلتَ . فكيف يتوسل ههنا من اجلهم : اجبتك . ليس يعتمد على ما ذكرت غرضاً آخر . الأَّ اظهار حبّهِ لهم * (١٦) ،، ليس هم من العالم *مثلما انا لست من العالم *فان قلت . فكيف قال في مكان آخر ،، الذين اعطيتنيهم من العالم . لك كانوا : ،، اجبتك . هناك ذكر طبيعتهم . وههنا قد تكلم في الاعمال الخبيثة وسمّاها عالماً *ونظم لهم مديحاً طويلاً . فقال اولاً .. ليس هم من العالم * ،، ثم قال . انهُ هو اعطاهُ اياهم . وانهم قد حفظوا قولهُ . وانهم لاجل هذا يمقتون *ولئن قال ،، مثلما انا لست من العالم . ،، فلا نرتجف لذلك *لان لفظة مثلما ههنا . ليس هي لفظة استقصاءِ فاقد صياتهِ عديلةً * لان مثلما ان لفظة مثلما . اذا قيلت عليهِ وعلى ابيهِ . فالمساواة بها كثيرة . لاجل مناسبة طبيعتهما *فكذلك لفظة مثلما . اذا قيلت علينا وعليهِ . حصل الفرق بها بيننا وبينهُ كثيراً * بسبب ان الفرق يفوت الخبرة كثيراً بين طبيعتهِ وطبيعتنا كلتيهما * لانه ان كان هو ،، ما اجترم خطية . ولا صودف في فمهِ صنفٌ من صنوف الغش . ،، (اشعيا ص ٣٠ ع ٩) فكيف يقتدر رسله ان يعادلوهُ : فان قلت . وما معنى ما قاله ،، ليس هم من العالم : ،، اجبتك . انهم ينظرون الى عالم آخر . وليس يوجد فيهم صنف مناسب للارض *لكنهم قد صاروا مدنيّي السموات *ومن هذه الاقوال بيّنَ حبّه . اذ مدحهم لدى ابيهِ . واستودعهم عند والدهِ *واذ قال احفظهم . فما توسل في استخلاصهم من الاخطار والشدائد فقط . لكنهُ قد توسل مع ذلك في بقائهم في الامانة * ولذلك استثنى بقولهِ (١٧) .. قدسهم بحقك . " اجعلهم قديسين بعطية الروح . وبالاراء المتقومة *مثلما اذ قال .. انتم انقياء . بسبب القول الذي قلت لكم . " فقد قال الان هذا القول بعينهِ . أدّبهم علمهم الحق *على انهُ قد قال ان هذا العمل يعملهُ الروح . فكيف يبتغيهِ الان من ابيهِ : فاقول . لكي

تعلم ايضًا معادلته * لان الاراء المتقومة المقولة في الله تقدس نفسنا * فان قال انهم يتقدسون بكلمته.
فلا تستعجب ذلك * ولانه انما تكلم في اراء دينه . استثنى بقوله ,, كلامك حق هو ." ومعنى ذلك
هو ليس فيه صنف كاذب فينبغي على كل حال ان تنفذ الاقوال كلها التي قيلت الى غايتها . وان
ليس فيها صنف رسمي . ولا جسماني * فقد اوضح ذلك ايضًا على ما ذكر بولس في ذكر الكنيسة ,, انه
قدسها بلفظه * ,, لان قول الله من عادته ان يطهرنا * ولفظة قدسهم . يلوح لظني انها تدل على
معنى آخر . كقولك انها تومي الى مبرزهم لكلامك والمناداة بك * وهذا فواضح ايضًا من الاقوال
التي تتلوه * لانه قال . (١٨) ,, مثلما ارسلتني الى العالم . قد ارسلتهم انا ." (قرنتيه ثانيه ص ٥
ع ١٩) وهذا فقد قاله بولس ,, اذ وضع فينا قول الصلح . الذي من اجله واتى المسيح ."
ولاجله توجه هولاء الرسل الى العالم * ولفظة مثلما ههنا ايضًا . فلم توضع عليه وعلى رسله بمعنى
مشابهة * لان كيف كان ممكنًا ان يرسل الى اناس على جهة اخرى : ولعمري انه من عادته ان يقول
المستانف كالكاين * (١٩) ,, ومن اجلهم اقدس ذاتي . ليكونوا هم مقدسين بالحق ." فان قلت
وما معنى ,, اقدس ذاتي : اجبتك . اقدم لك ضحية . والضحايا كلها تدعى قديسة * والتي تقدم لله
فهي على جهة التحقيق قديسة * لان اذ الفعل العتيق برسم كان تقديسه في خروف . والان فليس
التقديس في رسم . لكنه في الحق بعينه * لذلك قال ,, ليكونوا هم مقدسين في حقك . " لانني
عندك اسنود عهم واعمل قربانًا . فاما يكون قد قال هذا القول . لاجل ان هذا الفعل يصير في راسهم *
واما لاجل انهم سيذبحون * لان بولس قد قال ,, اوقفوا اعضاكم ضحية حية قديسة * " (رومية
ص ١٢ ع ١) وقد قال المترنم ,, وحسبنا كغنم الذبح * " (مزمور ٤٣ ع ٢٢) ويجعلهم خلوًا من
موت ضحية وقربانًا * والدليل على ان بقوله اقدس ذاتي . يعني ضحيته اعتمادًا غامضًا . فهو واضح
من اقواله التالية هذه * لانه اذا مات عنهم . قال اني من اجلهم اقدس ذاتي * ولئلا يظن ظان انه
انما يعمل هذا العمل من اجل رسله فقط . استثنى بقوله . (٢٠) ,, ولست اسال من اجل هولاء
فقط . لكنني اسال ايضًا من اجل الذين يومنون بي بكلامهم * " في هذه الجهة ايضًا نبه نفوسهم
اذ اراهم تلاميذ كثيرين سيكونون لهم * لانه اذ صير ما ملكوه منفردًا لهم مشاعًا لغيرهم . عزاهم ايضًا * اذ
اوضحهم صائرين علل خلاص اناس كثيرين * واذ تكلم في خلاصهم وفي تقديسهم بالامانة وبالضحية

تكلم بعد ذلك في الفتهم. وحصر كلامهُ في هذا القول. اذ ابتدى من هذه الجهة. وانتهى الى هذا القول* واذ ابتدى في توصيته قال ,, وصية جديدة اعطيكم* (٢١) ,, وليكونوا هم واحدًا. مثلما انت يا ابي فيَّ. وانا فيك* '' ولفظة مثلما ههنا لن تقال عليه وعليهم بمساواة بليغة* لان ما كان ممكنًا لم يحل هذا مقدارهُ. لكن على نحو ما كان ممكنًا لاناس* مثلما اذ قال ,, كونوا رأوفين. مثل ابيكم. '' فان قلت. وما معنى قولهِ ,, ليكونوا فينا :'' اجبتك. ليكونوا في امانتهم بنا واحدًا* اذ كان كل الناس على تمثيل حالهم. ليس يشككهم عارضٌ. مثلما يشككهم الانفصال والمقاطعة* اصلح هذا الارتياب. حتى يكونوا واحدًا* فان قلت. وما قولك : فهل اتحدهم : اجبتك. انهُ اتحدهم اتحادًا كثيرًا* لان جميع الذين امنوا بانذار الرسل يوجدون واحدًا* وان كان اقوام منهم انفصلوا وتخربوا* وهذا العارض فما خُفي عنه. لكنهُ قد تقدم فذكرهُ. واوضحه متكونًا من ونية الناس '' ليصدق العالم انك انت ارسلتني* '' وهذا المعنى فقد قالهُ في ابتداءِ توصيتهِ فقال ,, في هذا الفعل يعلم الناس كلهم انكم تلاميذي. اذا احب بعضكم بعضًا* '' فان قلت. وكيف استانفوا ان يصدقوا في هذه الجهة. انك انت الهُ السلامة : اجابك. اذا حفظوا ما تعلموهُ من اقوالي. يعرف الذين يسمعونهم. معلمهم من تلاميذهِ* واما ان تحاربوا. فما يقولون انهم تلاميذُ الهٍ ذي سلامة. ولا يقولون انني انا مخترعٌ سلامةً. ولا يعترفون انني انا ارسلتهم* ارايتهُ كيف الى انقضاءِ كلامهِ يصلح هذا المعنى. وهو سخينهُ المؤتلفة بابيه : (٢٢) ,, وانا فالمجد الذي اعطيتنيهِ. اعطيتهم* '' يعني المجد الذي بآياتهِ. الذي بتعاليمهِ. وليكونوا متواخين النفوس* لان هذا المجد والراي ان يكونوا واحدًا. اعظم من الايات* وكما اننا نستعجب الملائكة انهُ ليس يوجد خلف ولا حرب عند طبيعته تلك الجليلة. وهذا مجدٌ عظيم* فكذلك قال ان هؤلاء من هذه الجهة فليكونوا ابهياء النور* فان قلت. فكيف قال. انهُ يسال اباهُ ان يعطيهم ذلك. ويقول انه هو يعطيهم ذلك : لانك ان ذكرت قولهُ في تخويلهم الايات. ان قلت كلامهُ في الالفة. ان ذكرت قولهُ في السلامة يستبين هو واهبًا لهم هذه المواهب* اجبتك. من هذه الجهة يستبين واضحًا ان سؤالهُ انما صار من اجل تعزيتهِ لهم* (٢٣) ,, انا فيهم. وانت فيَّ* '' فان قلت. وكيف اعطاهم مجدًا اذ كان فيهم. وحاريًا اباهُ معه : اجبتك حتى يضمهم ويجمعهم* وما قال هذا القول في موضع آخر. لانهُ ما قال ان هو يجيء اباهُ. لكنهُ قال انه هو وابوهُ يجيآنِ ويصنعانِ عندهُ

منزلاً * فهنالك يطبق افواه اصحاب صابا ليوس . وههنا يستاصل توهم اريوس الملحد * " ليكونوا متكاملين في رايٍ واحد . ليعرف العالم انك ارسلتني * " يقول هذا القول بمداومةٍ . موضحًا بهِ ان السلامة مقتدرة ان تستميل اليهِ أكثر من الايات * وكما ان الانفصال يفسخنا . فكذلك الاتفاق يضمنا * " وقد احببتهم . مثلما احببتني * " فلفظة مثلما ههنا ايضًا . معناها مثلما يمكن ان يحبَّ انسانٌ * ودلالة حبهِ . بذله ذاته عنهم * لما قال انهم يكونون في حياطة . وما ينقلبون . وانهم يكونون قديسين . وان كثيرين يومنون بانذارهم . وانهم يتمتعون بمجد كثير . وانهُ ما احبهم هو فقط . لكن اباهُ ايضًا قد احبهم . وصف لهم ايضًا ما يعرض لهم . بعد انصرافهم عمّا ههنا * وبيَّنَ الجوائز والاكلة المخزونة لهم * لانهُ قال . (٢٤) " يا ابي الذين اعطيتنيهم اشاء اينما اوجد انا . ان يوجدوا هم * " وذلك فقد ابتغوهُ هم * اذ قالوا دائمًا . الى اين تذهب : فلوجاز ان اقول لهُ ياسيدي . او هذا المطلوب تاخذهُ بسوالٍ . وما تملكهُ بعد : وكيف تقول لهم انكم تجلسون على اثني عشر كرسيًا : فكيف وعدتهم نعمًا اخرا اعظم من هذه واكثر : ارايتَ ان اقوالهُ كلها يقولها من تلقاء التحدر معهم : والاَّ كيف قال لبطرس ستتبعني فيما بعد : لكنهُ قال هذه الاقوال بسبب تحقيق ما قالهُ لهم . وايضاح حبهِ اياهم * " لكيما يعاينوا مجدي الذي اعطيتنيهِ * " وهذا ايضًا دلالة على ايتلافهِ بابيهِ * وهو قول ارفع من الاقوال الاولى * لانهُ قال " الذين اعطيتني قبل انشاء العالم * " وهو يحوي تحدرًا خاصًا * لانه قال " الذي اعطيتنيه * " فلو لم يكن هذا هو معناهُ فيهِ لسالتُ مَن يعاندنا . المعطي انما يعطي شخصًا متشخصًا . فلهذا اذ ولدهُ اولاً . اعطاهُ المجد اخيرًا * اذ تركهُ فيما سلف يوجد عديمًا ان يكون ممجدًا * وكيف يحوي هذا القول احتجاجًا : ارايت ان لفظة اعطى هي لفظة ولدَ : فان سالت . فلما ما قال لينا لوا مجدي لكنهُ قال ليعاينوا مجدي : اجبتك انهُ ههنا يذكر ذكرًا غامضًا . ان الراحة كلها والنياحة هذه هي . ان ينظروا الى ابن الله * فهذا يجعلهم ان يتمجدوا * وهذا فقد ذكر بولس . " اذا عاينا مجد ربنا بوجهٍ قد عدم ان يكون محجوبًا * " (قرنتيه ثانيه ص ٣ ع ١٨) وكما ان الذين ينظرون الى شعاعات الشمس . ويتمتعون بهواء لطيف نسيمًا يتلذذون من معاينتهم تمتعًا ينعمهم . فهذه الحال تكون حالنا * حينيذٍ يخترع لنا هذا النظر لذة . أكثر من التذاذ الناظرين الى شعاع الشمس بمقدار كثير * وقد اراهم مع ذلك ان ليس هذا الجسد هو الملحوظ . لكنهم ينظرون الى جوهر فريد مريع

(٢٥) ،، يا ابي العادل . والعالم لم يعرفك * ،، فان قلت . فماذا يرتاد هذا القول . واي نظام يتالك : اجبنك . قد ارانا ههنا ان ليس يعرف الله عارفٌ . الاّ الذين قد عرفوا ابنهُ وحدهم * فالذي يقولهُ هذا هو معناهُ . قد كنت اشاء الناس كلهم ان يوجد هذا الحظ حظهم . الاّ انهم ما عرفوك * على انك ما تمنك فملأ يشكونهُ منك * لان هذا هو معني يا ابي العدل * وعلى ما يلوح لظني ههنا انهُ يقول هذه الاقوال . مستصعبًا غباوتهم * لانهم ما ارادوا ان يعرفوا مَن هو بهذه الصفة صالحٌ عادلٌ * واذ كان اليهود قد قالوا انهم يعرفون الله . فلم يعرفوهُ . اسهب قولهُ الى هذا المعني . اذ قال ،، لانك احببتني قبل انشاء العالم ،، اذ ركب احتجاجاً مقابل مثالب اليهود اياهُ * لان من قد تسلّم مجدًا . وأُحِبَّ قبل انشاء العالم . المريد ان يحويهم شهودًا لذلك المجد . كيف كان مضادًا لابيهِ : فليس هذا المعنى هو الذي قالهُ لليهود انهم هم قد عرفوك . وانا قد جهلتك . لكن المعنى هو ضد ذلك . انني انا قد عرفتك . وآخرون ما عرفوك * وهولاء التلاميذ فقد عرفوا انك انت ارسلتني * ارايت انهُ يعتمد هولاء اعتمادًا خفيًا . الذين قالوا انهُ ليس هو من الله : وفي هذا القول تحصر اقوالهُ كلها (٢٦) ،، وقد عرفتهم اسمك . وساعرفهم * ،، ولو جاز ان اقول لهُ . فقد قلت ان المعرفة التامة للروح هي جانبي لكن افعال الروح هي افعالي ،، ليكون الحب الذي احببتني ثابتًا فيهم . وانا فيهم ،، لانهم اذا عرفوا مَن انت . حينئذٍ يعرفون انني انا لستُ منفصلاً منك . لكنني من المحبوبين جدًا . وابنك الخالص . ومتحدٌ بك * واذا عرفوا هذا المعنى على ما يجب . وحفظوا ايمانهم بي . وحبهم اياي بليغاً . اذا احبوني على ما يجب . اثبت انا فيهم * أرايتَ كيف اوصل كلامهُ الى غاية جيدة . الى الحب الذي هو ام الافعال الحسنة كلها . وتمامها :

العظة الثانية والثمانون

ايعاذ بالعدل . ووصف اصحاب العدل في الدنيا *

فسبيلنا ان نومن بالهنا ونحبهُ لئلا يقال في وصفنا ،، يعترفون انهم يعرفون الله . وباعمالهم ينكرونهُ * ،، تيطوس ص ١ ع ١٦ وقولهُ ايضاً ،، قد جحدوا الامانة . وهم اشر من كافر * ،، تيموثاوس اولى ٥ ع ٨ لان اذا كان ذاك الكافر يعتني بعبده ومناسبيه والغرباء منهُ * وانت ما تسعف

الذين يناسبونك في جنسك * ما الاعتذار الذي يكون لك فيما بعد . اذا افترى على الملك لاجلك وشتم : فتأمل الهنا كم اعطانا اسباباً لاقتعال الحسنات : اذ قال . ارحم ذاك لانه مناسبك * وذلك لانه صديق ، وذاك على انه جارك * وذلك لانه بلديك ، وذاك من تلقاء انه انسان * فان لم يضبطك ولا صنف من هذه الاصناف . لكنك قد قطعت العقالات كلها . فاسمع بولس القائل « انك اشر من كافر » لان ذاك الكافر ما قد سمع في الحث على الصدقة قولاً ولا سمع ذكر النعم التي في السماء ، وقد تجاوزك بتعطفه وفاق عليك * وانت فقد اوعز اليك ان تحب اعداءك . وانت تبصر اهلك بصورة اعدائك . وتشفق على اموالك اكثر مما تشفق على اجسامهم * على ان اموالنا اذا فنيت ما توصل الينا مكروهاً * والمسكين اذا اعرضنا عنه . يهلكنا اعراضنا عنه * ما هو هذا الجنون . ان نشفق على اموالنا . ونتغافل عن مناسبينا : من اين دخل علينا هذا الداء : من اين وردت علينا هذه القساوة وزوال الانسانية : لان ان جلس احد الناس كجالس على قمة مركب . وتامل الدنيا كلها . واولى ما يقال . ان شئتم ان تنصح عاجلاً مدينة واحدة * ان جلس احدكم في موضع عال . يقتدر منه ان يعاين افعال الناس الذين فيها كلها . تفطن ما مقدار زوال القياس الذي يلومه منهم ويذمه : كم دموعاً يهملها : وما هو مبلغ الضحك الذي يضحكه عليها : وما هو مقدار المقت الذي يمقتها : لاننا نعمل اعمالاً هذه الحال حالها . توجد موهلة للضحك عليها ولمقتها ولاهمال الدموع لاجلها . ولاجل غباوة فاعلها * ففلان يربي كلاباً . ليصطاد وحوشاً وحشية . وهو قد تكردس الى الخلق الوحشي * واخرون يربون بغالاً وبقراً . لينقل حجارة ويتغافل عن الناس ذائبين بالجوع . وينفق ذهباً يمتنع تحديده . ليعمل اناساً حجريين . ويتغافل عن الناس بالحقيقة * اذ قد جعلهم ضرهم وشقاوهم حجريين * وغير هذا يجمع فصوصاً مذهبة بشقاء كثير . يفصص بها حيطان بيته * واذا ابصر بطون الفقرا عارية . ضامرة . ما ينحني الى رحمتها * واخرون يتخيلون بتبذير مع ثيابهم . وغيرهم ما يتملكون ان يلبسوا شيئاً على جسمهم بعينه . اذا بقي عارياً * وفي مجالس القضاة ايضاً تبصر واحداً قد ابتلع آخر . وآخر قد انفق ماله على الزواني والمدكلزين * واناس قد انفقوا مالهم على مخيلين ورواقصين ورواقصات وغيرهم * وآخر قد انفق ماله في ابتياع حقول ومنازل * وتبصر ايضاً واحداً يعد مكاسب الربا * وغيره يحسب لفوائد الربا ربا آخر * وغير هذا يولف وثائق

مملوة صنوفاً من القتل كثيرة . وما يستثمر الراحة من ليله. ساهراً في آفات اناس اخرين وبلاياهم *
واذا صار النهار يحاضر ذاك في ربح ظالم . وذاك في نفقة على الفسقة . وذاك على سرقة مشهورة
وحرصهم كثير في الاعمال الزائدة الممنوعة . وما يهتمون بصنف من الاهتمام بالاعمال الضرورية
اللازمة * والقضاة الذين يحكمون يتلكون اسم القضاة . وقد استقنوا عمل اللصوص وقاتلي الناس *
فان بحث باحث عن حكوماتهم وعن مواثيقهم . يجد ههنا اعمالاً منكرة جزيلاً عددها * ويصادف
صنوف غشهم . وانواع سرقتهم . وفنون اغتيالاتهم * وشغلهم كلهُ في هذه الاصناف . وليس لهم صنف
من الاهتمام بالاشغال الروحانية * لكنهم كلهم يزعجون الكنيسة من اجل النظر فقط . وليس هذا هو
المقصود . لكننا نحتاج فيها الى اعمال وسريرة نقية * فاذا افنيت نهارك كلهُ في الاستغنام . ثم اذا دخلت
اليها . قلت الفاظاً يسيرةً . فلست ما قد جعلت الله غفوراً لك فقط . لكنك مع ذلك قد اغظتهُ
عليك اوفر اغتياظاً * لانك ان شئت ان تصالح سيدك . فأرهِ اعمالاً . تعلَّمْ احتمال حماة المصائب .
انظر الى العراة . الى الجياع . الى المظلومين * فقد قطع لك التعطف والتحنن طرقاً جزيلاً عددها *
فلا نطغينَّ ذواتنا . اذا عشنا معاشاً باطلاً خاوياً * لا نتهاونن لاننا الان اصحاء معافين * لكن ينبغي
ان نتفطن اننا في اكثر احوالنا . يعرض ان نسقط في مرض * واذا وصلنا الى نهاية الضنا فيه . نموت
في خيفتنا من العقوبات المنتظرة * وسبيلنا ان نخاف السقوط في هذه التعاذيب باعيانها ونتوقعهُ .
ونستغني هذا الخوف بعينه . ونصير افضل مما كنا * على ان اعمالنا الان موهلة لمثالب جزيلة * لان
الذين في مجالس القضاء يماثلون سباعاً وكلاباً * والذين في الاسواق يشابهون الثعالب . والعائشين
معاشاً خالياً من شغل . ولا هولاء يستعملون عطوهم عن الاشغال فيما يجب * اذ يفنون فراغهم كلهُ
في مشاهد اللعب . وفي الافعال المنكرة التي هنالك * وليس يوجد واحد منهم ناهياً عن الفواحش
الكائنة هنالك . والذين يماثلونها . ويمضهم انهم ما يعلمون نظير اعمال اوليك الشنعة . فقد وجب
من ذلك . ان هولاء قد استوجبوا ان يعاقبوا . وما عملوا الاعمال الخبيثة * لانهم .. ليسوا يعملونها
فقط . لكنهم يرتضون بالذين يعملونها * ويستحسنون فعلهم * " (روميه ص ١ ع ٣٢) لان افعال
نشاطهم قد انفسدت فيهم على شبه اوليك * فمن هذه الجهة استبان واضحاً . انهم يقابلون على عزمهم
مقابلة عدلة * هذه الاقوال اقولها كل يوم * ولستُ اكف عن مخاطبتكم بها . فان يسمعها اقوام

منكم. فذلك ربح * وان لم يكن احدكم يصغى اليها. فستسمعونها حينئذٍ. حين لا يكون لكم من استماعها فائدة. وتذمون انفسكم. ونكون نحن انقياء من علّة تسكعكم * لكن لا كان لنا ان نمتلك اعتذاراً هذه صفتهُ. بل ان تصيروا فخراً لنا. عند موقف المسيح الهنا. لنستمتع بالنعم الصالحة استمتاعاً مشتركاً * بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفهِ. الذي لهُ مع ابيه المجد مع الروح القدس الى اباد الدهور كلها امين ©

المقالة الثالثة والثمانون

في قولهِ (الاصحاح الثامن عشر) (١) واذ قال يسوع هذه الاقوال. خرج مع تلاميذهِ الى جائز وادي الشربين. حيث كان بستان. دخل اليهِ هو وتلاميذهُ *

ان الموت مريعٌ موعب خوفاً كثيراً. ليس عند العارفين الفلسفة العلوية * لان مَن لم يكن عارفاً قولاً واضحاً في وصف الحظوظ المنتظرة. لكنهُ يستشعر الموت تفسخاً لاجسامنا. وانقضاءً لحياتنا. يرتاع على جهة الواجب منهُ ويخافهُ. من جهة اندفاعهِ الى الّا يكون موجوداً * فاما نحن الذين بنعمة الهنا قد عرفنا غوامض حكمتهِ ومستوراتها. وقد اعتقدنا الان ان الموت يوجد غيبةً وسفراً. فليس واجباً ان نرتعد منهُ. لكن يجب علينا ان نفرح بهِ ونُسَرّ. لاننا نترك هذا العالم الفاني. ونذهب الى عالم آخر. افضل من هذا بمقدار كثير. وابهى نوراً. وليس يحوي انقضاء ولا منتهى * وهذا فقد علَّمنا المسيح باعمالهِ. اذ جاء الى التالم عنا ليس بغصب والزام. بل طائعاً * فقد قال ،، هذه الاقوال قالها يسوع. ومضى الى جائز وادي الشربين. حيث كان بستانٌ. دخل اليهِ هو وتلاميذهُ * (٢) وكان يهوذا الذي اسلمهُ. قد عرف الموضع * لانهُ دفعات كثيرة التام مع تلاميذهِ هنالك * ،، فسار في النصف من الليل. وعبر نهراً. وسارع الى المكان الذي كان معروفاً عند دافعهِ. قاطعاً للتعب للغتالين عليهِ. واستخلصهم من كافة الشقاء. وأرى تلاميذهُ انه يجيء الى الموت طائعاً * وذلك فقد كان فيهِ كفاية لتعزيتهم اكثر من كل شيء * وحصَّل ذاتهُ في البستان. كانهُ في سجن ،، هذه الاقوال قالها لهم * ،، وانا اقول لهُ. فماذا تقول: مع انهُ قد خاطب اباهُ. مع انهُ قد صلَّى. فلماذا ما تقول لماكفَّ من صلاتهِ جاء الى هنالك: فيجيبني. ما كان ذلك صلاة. لكنهُ كان كلاماً صائراً بسبب تلاميذهِ * ،، ودخل تلاميذهُ الى البستان معهُ * ،، فعلى تمثيل حالهِ

انهُ استخلصهم من الخوف . استخلاصاً اوصلهم الى الّا يتباطوا . لكنهم سارعوا الى ان يدخلوا الى البستان * فان قلت كيف جاء يودس الى هنالك : من اين عرف فجاء الى هنالك : اجبتك . قد استبان من هذه الجهة . ان ربنا في اكثر اوقاته قد لبث طول ليله خارجاً * ولو كان اقام في البيت . لما كان يودس جاء الى البرية . لكنهُ كان قد جاء الى البيت . متوقعاً انهُ يجدهُ هنالك نائماً * ولكيلا اذا سمعت بستاناً تظن انهُ استتر فيهِ . استثنى بقولهِ ،، ان يودس كان قد عرف المكان * " وما قال هذا اللفظ على بسيط ذاتهِ . لكنهُ قال ،، انهُ دفعات كثيرة اتفق هنالك مع تلاميذه * " لانهُ مراتٍ كثيرة اتفق معهم خصوصاً مخاطباً اياهم في معانٍ ضرورية . ليس واجباً ان يستمعها غيرهم * وقد عمل هذا العمل في جبال وبساتين . ملتمساً دائماً مكاناً نقياً من الاراجيف اكثر من غيرهِ . حتى لا تُزعج سريرتهم عن استماعهِ * (٣) ،، فاخذ يودس جماعةً من الجند . وغلماناً من روساء الكهنة والفريسيين . وجاء الى هنالك * " وهولاء قد انفذوا في وقتٍ آخر ليقبضوا عليهِ في اكثر اوقاتهم . الّا انهم ما استطاعوا * فقد استبان من هذه الجهة . انهُ في ذلك الحين بذل ذاتهُ طائعاً * فان قلت . وكيف استمالوا طبقة الجند : اجبتك . كانوا رجالاً معتادين ان يعملوا من تلقاء الاموال . كل ما يقال لهم * (٤) ،، فلما ابصر يسوع كافة العدد الواردين اليهِ . خرج وقال لهم . لمن تطلبون : " ومعنى ذلك هو انهُ ما تصبّر ان يعرف ذلك من ورودهم . لكنهُ بعلمهِ بهذه الحوادث كلها . كلّمهم خلواً من ارتجاف * فان قلت . ولمَ جاءوا باسلحة عند اعتزامهم ان يقبضوا عليهِ : اجبتك . خشوا من التابعين اياهُ * ولهذا السبب حضروا في النصف من الليل * ،، فخرج وقال لهم . لمن تطلبون : (٥) فقالوا لهُ نطلب يسوع الناصري * " ارايتَ قدرتهُ الفاقدة ان توجد محاربة . كيف كان في وسطهم . فاعمى عيونهم : والدليل على ان ظلام الليل ما كان علّة ذلك . فقد اوضحهُ البشير . وقال ،، انهم كانوا مشتملين مشاعل * " ولو لا يكون معهم مشاعل . لوجب ان يعرفوهُ من صوتهِ * فان كان اوليك استجهلوهُ . فكيف استجهلهُ يودس المؤتلف بهِ بمداومة : لانهُ قد كان واقفاً معهم . وما ابصر اكثر منهم شيا * لكنهُ سقط على ظهرهِ * فهذا العمل عملهُ يسوع . موضحاً انهم ليسوا لم يقتدروا ان يقبضوا عليهِ فقط . لكنهم مع ذلك ولا استطاعوا ان يبصروهُ . وقد كان في وسطهم . لو لم يطلق هو ذلك * (٧) ،، وقال لهم ايضاً . لمن تطلبون : " فترحاً لغباوتهم * كلمته القتهم طريحين على ظهورهم . فما

ارتجعوا ولا على هذه الحال . وقد عرفوا مقدرتهُ جزيلاً تقديرها * لكنهم كرروا ايضاً اقوالهم باعيانها *
فلما تم افعاله كلها . حينئذٍ اسلم ذاته بعد ذلك * (٨) " وقال لهم . قد قلت لكم . انا هو * ووقف
يودس الذي اسلمهُ * " وابصر خلق البشير الخالي من المعاداة . كيف ما شتم الدافع . لكنهُ وصف
الحادث . مجتهدًا ان يوضح معنىً واحدًا . ان جملة ما جرى انما كان من اطلاقه * ثم لكيلا يقول قائل
انهُ هو اقتادهم الى هذا الفعل . وجعل ذاته واضحًا لهم . ليقبضوا عليهِ . اظهر افعاله كلها . التي قد
كان فيها كفاية ان تصدهم * فلما ثبتوا في رذيلتهم . ولم يملكوا صنفًا من اعتذارٍ . حينئذٍ بذل ذاته
للقبض عليهِ * اذ قال . " ان كنتم اياي تطلبون . فاتركوا هولاء يذهبون * " موضحًا تعطفهُ الى
الساعة الاخيرة . كانهُ قال لهم . ان كنتم اياي تحتاجون . فلا يكونن لكم مع هولاء فعل مشاع . فانني
هنذا قد ابذلت لكم ذاتي * (٩) " ليتم القول الذي قالهُ . انني ما ضيَّعت منهم ولا واحدًا ولا
اهلكته * " والهلاك ههنا ما يعني بهِ هلاك الموت هذا . لكنه يعتمد بهِ ذاك الهلاك الدهري * الّا ان
البشير قد نسبهُ لهذا الهلاك الحاضر * وقد يستعجب المستعجب كيف ما قبضوا على تلاميذهِ معهُ
وقطعوهم . ولا سيما اذ اغاظهم بطرس بما فعلهُ بعبد رئيس الكهنة . ويقول ما الذي ضبطهم عنهم :
فما حجزهم حاجز آخر . الّا القوة التي القتهم على ظهورهم . وذلك فاذ اوضحهُ البشير انهُ ما كان من
عزم اوليك . لكنهُ انما كان من قدرة الذي قبضوا عليهِ وقضيته * استثنى بقولهِ . " ليتم قولهُ الذي
قالهُ . انهُ ما اهلك واحدًا منهم * " ولعمري ان بطرس وثق بصوت ربنا وباياته الكائنة فيما سلف .
فتدرع سلاحاً على الذين كبسوهم * فان قلت . كيف امتلك سيفًا من اوعز اليهِ . الّا يستقني مخلاة .
ولا ثوبين . اجبتك على ما يلوح لظني . انهُ اذ خشي هذا الحادث بعينهِ . استعد ذلك قديمًا *
وان قلت . مَن أمرَ الّا يلطم احدًا . كيف صار قاتلاً للناس : وابلغ ما يقال . انهُ امر الّا ينتقم :
اجبتك . انهُ انتصر ههنا ليس لذاتهِ . لكنهُ انتصر الى معلمهِ * وبعد ذلك فما كانوا تامين * فان شئتَ
ان تبصر بطرس متفلسفًا . ستبصرهُ بعد ذلك مجرحاً . ومحتملاً ذلك باوفر الوداعة . ومقاسيًا شدايد
جزيلة . ولا يغتاظ منها * الّا ان يسوع اجترح ههنا عجائبهُ . وعلمنا مع ذلك ان الذين يعملون بنا
مكروهًا . ينبغي لنا ان نحسن اليهم . واعلن مقدرتهُ . وردَّ الى ذاك اذنهُ * " وقال لبطرس ان
جميع الذين يشتملون سيفاً يهلكون بالسيف * " وكما فعل حين غسل ارجلهم . ارخى بالتهويل

صلابة عزمهم . فكذلك فعل هنا * واستثنى البشير باسم ذلك العبد * لان الحادث كان عظيماً كثيراً . لا من انهُ شفاهُ فقط . لكنه ابراء الذي جاء الى عنده . الذي استانف بعد مدة يسيرة ان يلطمهُ * وانهُ في هذا الوجه ضبط الحرب الذي استانف ان يثور على تلاميذه * لهذا السبب وضع البشير اسمهُ . حتى يحجه للذين يقرأون حينيذٍ الخبر . ان يطلبوا ويستبحثوا . ان كانت هذه الحوادث قد كانت بتحقيق * وما قال الاثنان الثيني على بسيط ذات القول . لكنهُ على حسب ظني . وصف نهضة الرسول . انه نهض الى راسهِ بعينهِ * الا ان يسوع ما ضبطه بهوليه عليه فقط . لكنه تلافاهُ باقوال اخرى . اذ قال (١١) .. الكاس التي اعطانيها ابي . أما اشربها . موضحاً ان الحادث ما كان من اقتدار اوليك . لكنهُ من اطلاقهِ * واظهر انه ليس هو ضداً لله . لكنه مطيع لابيه الى الموت * (١٢) .. حينيذٍ قبضوا على يسوع . وربطوهُ . (١٣) واوصلوهُ الى حنان * فلان قلت . ولم جاوا بهِ الى حنان . اجيبك من التذاذهم بالقبض عليهِ . شهروا ما فعلوهُ . وحالهم حال قوم قد اقاموا ظفراً ان . وهذا فكان حما قيافا (١٤) وهذا قيافا الذي كان اشار على الجمهور ان موافقاً لهم . ان يموت انسان واحد * فلان قلت . وما راى البشير في انهُ اذكرنا في نبوته ايضاً . اجيبك . موضحاً ان هذه الحوادث صارت من اجل خلاصنا * وافراط الحق في تحقيق هذه النبوة بلغ تقديرهُ . الى ان يسوق اعداوما . فذكروا هذه الاقوال * ولكيلا اذا سمع سامع رباطاتهم يرتجف . اذكرهُ بتلك النبوة . ان موته كان خلاصاً للسكونة * (١٥) .. ولحقه بطرس والتلميذ الاخر * فلان قلت . ومن هو التلميذ الاخر . اجيبك . هو كاتب هذه الاقوال بعينها * فان سالت . لم ما ذكر اسمه . لانه حين اتكى على صدر يسوع . اخفى ذاته على جهة الواجب * فالان لم عمل هذا العمل . اجيبك . لهذه العلة بعينها . لانه ذكر هنا فضيلة عظيمة احكمها * لان تلاميذه كلهم تطافروا هاربين . وهو لحقهُ * لهذا السبب كنى عن تسمية ذاتهِ . وقدم بطرس على ذاتهِ * واضطر الان ان يذكر ذاتهُ . لتعرف انهُ يصف ما جرى في دار رئيس الكهنة بابلغ استقصاء من البشيرين الاخرين . من جهة انه كان في داخلها * وابصر كيف يتبين مديحه * لان حتى لا يقول قائل . كيف لما انصرف التلاميذ كلهم . دخل هذا الى اقصى من المكان الذي دخل اليه بطرس . ذكر انه كان معروفاً عند رئيس الكهنة * حتى لا يستعجبه مستعجب انه لحقه . ولا يصفه بشجاعة * وانذر بتلك العجيبة التي كانت

لبطرس . وهي انهُ كان مرعوبًا بهذه الصفة جزعاً . فجاء الى دار رئيس الكهنة* وكان التلاميذ الآخرون قد انصرفوا* فمجيئهُ الى هنالك كان من شوقهِ . ووقوفه لايدخل الي داخل . كان من روعتهِ وخيفتهِ . لهذا السبب كتب البشير هذه الاقوال . اذ تقدم فطرّق الاعتذار له عن جحودهِ* لانه ما كانت حاله حال مَن قد قال عن ذاتهِ وصفاً عظيماً . انه كان معروفاً عند رئيس الكهنة . لكنه لما قال انهُ دخل مع يسوع وحدهُ . فلكيلا يظن ان فعله كان من عظم عزمهِ وسموهِ . ذكَرَ علّة دخولهِ وحدهُ معه* والدليل علي ان بطرس دخل ايضاً . وان كان قد اوعزّ بدخولهِ . فقد اوضحه بما يتلو كلامه* لانهُ اذ خرج واوعز الى البوابة ان تطلق دخوله . في الحين دخل بطرس* فان قلت . فلمَ ما دخل بهِ هو : اجبتك . لانهُ صاحب المسيح ولحقه* ولهذا السبب اوعز الى المراة ان تطلق لهُ الدخول* الّا ان المراة قالت لبطرس . (١٧) .. أَلَعلَّكَ انت ايضاً من تلاميذ هذا الانسان . فقال لها لست انا تلميذهُ* " ماذا تقول يابطرس : أَما قد قلت فيما سلف . لو احوجت ان ابذل نفسي عنك بذلتها : فما الذي عرض لك . انك لم تحتمل سوال لمراة : أَلعل الذي سالك كان جنديًا : العساه كان واحدًا من ضابطي الاحوال : انما كانت بوّابة حقيرة مرفوضة* ولا كان سوالها جسورًا* لانها ما قالت العلك كنت تلميذًا لهذا المضلّ المفسد : لكنها قالت العلك انت كنت تلميذًا لهذا الانسان : واليق ما يقال . انهُ كان سوال رحمة متحننة* الّا ان بطرس ما احتمل صنفاً من هذه الاصناف* ولفظة لعلك انت ايضاً . لهذا المعنى قيلت* لان يوحنا كان داخل الدار . فالمراة قالت هذا القول بخطاب لطيف . فما شعر هو بصنفٍ من هذه الاصناف . ولا اتخذ في عقله إحساساً* لا حين جحد الجحود الاول . ولا حين جحد الجحود الثاني . ولا حين جحد الجحود الثالث . الّا حين صاح الديك* ولا عطفهُ هذا الصياح بعينه . الى تذكر ما قيل لهُ . الى ان نظر اليهِ يسوع نظرًا مرًّا* وكان بطرس قد وقف يتسخن مع عبيد رئيس الكهنة . وقد امسكوا المسيح مربوطًا داخلاً* فهذه الاقوال نقولها ليس ثالبين بطرس . لكننا ذكرناها . موضحين حقيقة الاقوال التي قالها المسيح . (١٩) .. ثم سال رئيس الكهنة المسيح عن تلاميذهِ وعن تعليمهِ ۞ " فترحاً لخبثه . قد سمعهُ في الهيكل يخاطب الشعب خطابًا متصلاً . معلمًا اياهم بمجاهرة . فاراد الان ان يعرف* لانهم اذ لم يظفروا بزلةٍ يوردونها عليه . سالوهُ عن تلاميذهِ* لعلهم سالوه اين

لم. ولم انتخبتهم. وما رأيهُ في استصحابهم. وعلى من اصطنعهم. هذا القول قالهُ . مريدًا ان يطعن عليه. وانهُ مفتن مشغب . وان ولا واحدًا آخر يصغي اليه.. ما خلا اوليك وحدهم . من جهة ما هو مبكت مضلّ خبيث * فقال المسيح محيلاً هذا الوهم. (٢٠) .. انا بمجاهرة خاطبت العالم . وما خاطبت تلاميذي خصوصًا * انا بمجاهرة علّمتُ في الهيكل * " فان قلت فما رأيه . افما قد تكلم في سرّ . اجيبك لعمري قد تكلم . الا انه ما تكلم على ما ظنّ هولاء خائفًا تكلمًا للاراجيف والفتن مبدعًا * ولعل الاقوال التي قالها . كانت اعلى من سمع الكثيرين * (٢١) .. ما معني سوالك اياي . اسال السامعين مني ❊ " فهذه الالفاظ ليست الفاظ متعظم . لكنها اقوال واثق بحقيقة ما قالهُ * وذلك فقد قالهُ في مبتداء تعليمه .. ان شهدت انا لذاتي . فشهادتي ليست هي صادقة * " فهذا القصد يقصد الان مستورًا . لايثاره ان يجعل شهادتهُ من كثرة سموها موهلة لتصديقها * لان ذاك لما ذكر تلاميذه . قال لهُ اتسالني عن تلاميذي . اسأل اعدائي المغتالين عليّ . الذين قد ربطوني . هولاء فليقولوا * لان هذا هو برهان للصدق خالٍ من الشك والارتياب . ان يستدعي الواحد اعداءهُ شهودًا لما قد قالهُ . ولعمري ان رئيس الكهنة قد كان يجب عليه ان يجعل سوالهُ على هذه الصفة . فما عمل هذا العمل * فلما قال يسوع هذا القول . (٢٢) .. لطمهُ احد الغلمان الموافقين لدى رئيس الكهنة لطمةً * " فما الذي صار اشد جفاوة من هذا الفعل . ارتاعي ايتها السماء . وتزعزعي ايتها الارض . بحلم سيدنا وطول اناته . ولقلة حفاظ عبيده * على ان ما هو القول الذي قيل . لانهُ ما قال ما معنى سوالك اياي قول مستعفٍ من اجابته . لكنهُ قالهُ مريدًا ان يقطع سبب ذوال حفاظه * وفي هذه الاقوال لطم . وهو قادر ان يزلزل البرايا كلها ويغيبها ويهبطها . فلم يعمل صنفًا من هذه الاصناف . بل تكلم اقوالاً مقتدرة ان تحل كل تمر ووحشية * (٢٣) .. وقال ان كنتُ تكلمت كلامًا منكرًا . فاشهد برداوته * " ومعنى ذلك هو . ان انساغ لك ان تعيب ما قلتهُ . فبيّن ذلك * " وان لم يتجه لك ذلك . فما بالك تضربني . " ارائيتَ مجلس حكمهم مملوًا ارتجافًا وقلقًا وغضبًا وتخليطًا . سالهُ رئيس الكهنة بغش سوالاً مستبطنًا دغلاً . فاجابه المسيح جوابًا مستقيمًا على ما يجب * وقد كان النظام يقتضي . اما يطعن ذاك على جوابه . واما يقتبلهُ * فلم يتكون ولا واحد من الصنفين . لكن عبدهُ بعينه لطمهُ * فعلى هذه الجهة لم يكن ما جرى هنالك

مجلس قضاء . لكنهُ كان اغتصابًا وهيجًا * ثم اذ لم يجدوا على هذه الجهة شيئًا اكثر . (٢٤) " فانفذوهُ مربوطًا الى قيافا * (٢٥) وكان بطرس واقفًا يتسخن * " فيا للعجب من المتحير في الشوق الثابت فيه . كم استحوذ عليه من التدوخ والسهو * بعد مضي يسوع ما تحرك هو بعد ذلك . لكنه لبث يتسخن ايضًا * لكي نعرف ما هو مبلغ ضعف طبيعتنا . اذا اهملها الله * ثم سُئِلَ ايضًا فجحدهُ (٢٦) ثم قال له نسيب ذلك العبد الذي قطع بطرس اذنه * " متوجعًا لما فعل بنسيبهِ * " اما ابصرتك انا في البستان : " فما اقتادهُ ولا البستان الى ذكر ما قيل لهُ . ولا كثرة اخلاص المودة التي اراهم اياها هنالك . بالفاظه تلك العجيبة * لكن هلعهُ اخرج هذه كلها من قلبه * فان قلت . وما غرض المبشرين كلهم . في انهم باتفاق عزمهم كتبوا ذكر ما جرى لهُ : اجبتك بما فعلوا ذلك ثالبين التلميذ الفاضل . لكنهم ارادوا ان يعلمونا . كم فعلاً رديًا هو الا نفوض قصدنا كله الى الله . لكننا نثق بذواتنا * واستعجب انت اهتمام المعلم الصادق . انه كان مقبوضًا عليه مربوطًا . فاعتنى بتلميذه عناية كثيرة * اذ انهضه بنظره اليه . وقد كان طريحًا . فاستماله الى الدموع * " واقتادوهُ من عند قيافا الى عند بيلاطس * " فهذا الحادث حدث لتبين كثرة القضاة على كراهيتهم منهم غريزة الصدق للمتحنة * انه كان الصباح . لان قبل ان يصيح الديك ساقوهُ الى قيافا . وبالغداة اقتادوهُ الى بيلاطس * فالمشيرون منهم بهذه الاقوال ان النصف كله من الليل عبر في سؤال قيافا اياه . وما انكشف له عليه احتجاجًا * ولذلك لرسله الى بيلاطس * الا انه ترك تلك المسائل لآخرين يتحدثون بها . وقال هو للتي نتلوها * وتامل عزم اليهود المضحوك عليه . انهم قبضوا على البريء . وحملوا السلاحهم . وما دخلوا الى دار الولاية . حتى لا يتنجسوا * وانا اقول لاحدهم . قل لي . اي دنس تستمده من مشيك في مجلس القضاة الذي فيه يقابل الظالمون مقابلة عدلة : الذين يُعشّرون النعنع والسبت يقتلون قتلاً ظالمًا . وما يظنون انهم يتدنسون بذلك . واحتسبوا ان مشيهم في مجلس القضاء يدنسهم * فان قلت . ولِمَ ما قتلوهُ هم . لكنهم اقتادوهُ الى بيلاطس . اجبتك . ان الجزء الاكثر من رياستهم وسلطتهم كان حينئذ قد انقطع * اذ صارت احوالهم تحت يد صاحب رومية * ولمعنى آخر . انهم خشوا الا يوجب عليهم فيما بعد طائلة وجناية . اذ أُثلبوا من اجل ما فعلوا به * فان قلت . ما هو معنى " لياكلوا الفصح : " على ان ربنا قد كان عمل الفصح في احد الفطير * اجبتك . اما يكونون يسمّون

العيد كلهُ فصحاً * واما يكونون حينيذٍ عملوا الفصح . وسلَّم هو اتبعاً له قبل يوم منهُ . حافظاً ذبحهُ في يوم الجمعة . الذي فيه كان الفصح العتيق * ولعمري انهم حملوا اسلحتهم التي ما كان يجوز لهم حملها . واراقوا دماً . وبالغوا في التصويت من اجل المكان . واخرجوا بيلاطس الى عدهم * (٢٩) " فلما خرج قال لهم ما الجناية التي تجه لكم وجودها على هذا الانسان ؟ " اراتهُ متبريًا من ايثاره الرياسة من حسدهم : لانهُ اذ ابصر سيدنا مكتوفا بمناداة اناسٍ جزيل عددهم . ما توهم ان قد اتجهَ لهم عليه من الثلب شبهةٌ خالية من الارتياب بها * لكنهُ سالهم اذ قال انهُ يوجد فعلاً مستشنعاً . ان يختلس القضاء الذي اوجبوهُ . وان يامر بتعذيب مَن قدموهُ اليه . خلواً من قضاءٍ يوجب ذلك * (٣٠) " فقالوا لولا انه كان عاملاً للمنكر . لما كنا سلمناهُ اليك * " فترحاً لغباوتهم . لان ما بالكم ما تقولون المنكر الذي فعلهُ . لكنكم تسترونهُ : ما بالكم ما تكشفون عملهُ الردي : اراتهم في كل مكان يسعفون من الثلب بتقوم حقيقته . وما يقتدرون ان يجدوا عيبًا يقولونه . فحنان ذلك الجاهل ساله عن تعليمه . وسمع جوابه . وارسله الى قيافا . وقيافا ساله ايضاً . واذ لم يجد نكتة . انفذهُ الى بيلاطس * وبيلاطس قال . ما الجناية التي اتجه لكم وجودها عليه : فما المتلكوا ههنا عليه ثلباً يقولونه . لكنهم استعملوا ايضاً صنوفاً من الحسد * فمن هذه الجهة اذ تحيَّر هو في الحادث قال لهم . (٣١) " خذوهُ انتم واحكموا عليه . بما توجبهُ شريعتكم * فقال اوليك ليس يجوز لنا ان نقتل ولا واحداً * (٣٢) فهذا القول قالوهُ . ليتم قول ربنا الذي قال . واسماً باي موت استانف ان يموت * " فان قلت وكيف لوضح هذا القول . ليس يجوز لنا ان نقتل ولا واحداً : اجبتك . لما يكون البشير قد قال هذا القول . انه استانف ان يموت ليس عنهم وحدهم . لكن عن الامم ايضاً معهم * واما يكون قال . انهم ما كان ممكناً لهم ان يصلبوهُ * ولين كانوا قد قالوا ليس يجوز ان نقتل ولا واحداً . فانما قالوا انهُ ما يجوز لهم ذلك في ذلك الوقت * اذ كانوا لما قتلوا . قتلوا بحال آخر من احوال القتل * وقد بيَّن ذلك استيفانوس الذي رجموهُ بالحجارة * الا انهم اشتهوا ان يصلبوهُ . لكي يشهروا حال وفاته * الا ان بيلاطس لايثاره ان يتخلص من معاداتهم . ما اهملهم الى حكومة طويلة المداة . لكنه (٣٣) " دخل وسال يسوع وقال انت هو ملك اليهود : (٣٤) فقال لهُ امن ذاتك تقول هذا القول . ام آخرون قالوا لك هذا القول : فان قلت ولمَ ساله المسيح هذا السوال :

اجبتك . انما ساله مريدًا ان يقطع عزم اليهود الخبيث * لان بيلاطس قد سمع هذا القول من كثيرين * واذ ما انساغ لاوليك ان يقولوا شيا . فليلا بصير البحث عن ذلك كثيرًا . ما كان برادده في همته دائمًا . اراد ان يسوقه الى وسط كلامه * واذ قال ،، احكموا عليه بما توجبه شريعتكم . ،، اراد وا ان يوضحوا ان الخطاء ليس هو لليهود * اذ قالوا ليس يجوز لنا ان تقتل . لانه ما اخطى خطاء يناسب شريعتنا . لكن ذلته هي عامة مشاعة * فهذا القول اذ عرفه بيلاطس . قال له قول معزم ان يورطه في الخطر ،، انت هو ملك اليهود : ،، الا ان المسيح ما ساله سوال جاهل ما في ضميره . لكنه ساله مريدًا ان يوبخ اليهود * وقال له ،، ام آخرون قالوا لك : ،، فهذا المعنى اذ اظهره بيلاطس قال . (٣٥) ،، هل انا يهودي : امتك ورؤساء الكهنة اسلموك الي . ماذا عملت : ،، فهنا اراد ان يبري ذاته * ثم لما قال للمسيح ،، انت هو ملك اليهود . ،، وبخه يسوع وقال . اذ قد سمعت هذا القول من اليهود . فلمَ ما تجعل البحث بليغًا في الاستقصاء : قد قالوا انني عامل للنكر . اسالهم ما هو المنكر الذي فعلته : الا انك ما تعمل هذا العمل . وتولف عللاً على بسيط ذاتها : امن ذاتك تقول هذا القول . ام من جهة اخرى : ثم ان ذاك ما اتجه ان يقول في الحين . انه قد سمع هذا القول . واتبع الجمع على بسيط ذات اتباعه . وقال انهم اسلموك الي . وقد كان يجب عليك ان تسال ما فعلت * فقال المسيح (٣٦) ،، مملكتي ليست هي من هذا العالم * ،، فصاعد بيلاطس (وما كان خبيثًا جدًا . ولا كان نظير اوليك * واراد ان يريه انه ليس هو انسانًا ساذجًا . لكنه اله وابن اله *) وقال ،، فلو كانت مملكتي من هذا العالم . لاجتهد غلماني وخدامي الا ادفع اليهود * ،، فهذا القول اراع بيلاطس عاجلاً . ونقض توهم اغتصابه * فان قلت . افلم توجد مملكته من هذا العالم : قلت لك قد كانت مشتملة عليه جدًا * ولعلك تقول . فلمَ قال ليست هي من هذا العالم : فاجيبك . ما قال ذلك من جهة انه ما يتامر على البرايا التي هنا . لكنه اوضح انه يمتلك الرياسة من فوق . وليست انسانية * لكنها ابهى حسنًا من هذه الرياسة . واعظم قدرًا بمقدار كثير * ويجوز ان تقول . فان كانت رياسته اعظم . فكيف اقتنصتها هذه الرياسة : فاجيبك . اقتنصته طائعًا اذ اسلم ذاته * الا انه ما كشف هذا المعنى عاجلاً . لكنه قال ،، لو كنت من هذا العالم . لاجتهد غلماني وخدامي الا ادفع * ،، فاوضح ههنا من المملكة التي عندنا مقدرتها الضعيفة . انها نحوى اقتدارها بغلمانها

وخدامها . والمملكة العلوية هي كافية لذاتها ليست محتاجة الى احد * ومن هذه الجهة يستمد مبدعوا بدع هواهم في ديننا حججًا فيقولون . انهُ يوجد غريبًا من المبدع * فماذا تقولون اذ قال البشير انهُ الى اوليائهِ جاء ; وماذا يزعمون اذ قال ,, ليس هم من الدنيا . مثلما انا لست من هذا العالم * ,, (يوحنا ص ١ ع ١١) فعلى هذه الجهة قال ,, ان مملكتي ليست هي موجودة من هنا * ,, ما قال انه يعدم العالم عنايته . لكنهُ بيّن على ما ذكرت . ان مملكته ليست انسانية ولا فانية * (٣٧) ,, فقال بيلاطس فانت اذًا ملك انت ; اجاب يسوع . انت تقول انني انا ملك * انا لهذا ولدت * ,, فان قلت . فان كان قد ولد ملكًا . فقد ولد مالكًا افعالهُ الاخر كلها . وليس يمتلك صنفا اتخذهُ اجنبك . يجب من ذلك اذا سمعت ,, مثلما يمتلك الاب حياة في ذاته . فكذلك اعطى ابنه ان يمتلك حياة ,, فظنّ ليس شيًا آخر . الاّ ولودته * وعلى شبه ذلك ظنّ في اقوالهِ الاخر * ,, ولهذا الغرض جئت لاشهد بالحق * ,, ومعنى ذلك هو . لاقول هذا الحق بعينهِ واعلم بهِ . واستميل الناس كلهم اليهِ *

العظة الثالثة والثمانون

في انه يجب عليك ان تحتمل اذا شُتمت ولا تنتقم * وفي وصف سلم يعقوب

فانت ايها الانسان . اذا سمعت هذه الاقوال . ورايت سيدك مكتوفًا مسوقًا . فاعتقد ان الاحوال الحاضرة لن توجد شيا * فكيف ليس مستشنعًا . ان كان المسيح احتمل لاجلك نوايب هذا مبلغها . وانت فما تحتمل اقوالاً في اكثر اوقاتك ; لكنه هو بُصق عليهِ . وانت مزخرف بالثياب وبالخواتيم . وان لم يتفق لك ان تستمد المديح من كل اهل بلدك . تتوهم ان عيشك قد عدم ان يكون عيشًا * وهو فقد عُيّر واحتمل المثالب . ولُطم على فكهِ ممن ضحك عليهِ * وان تريد في كل مكان ان تكرَّم . وما تحتمل تعيير المسيح * اما تسمع بولس القائل ,, كونوا متشبهين بي . كما صرت انا متشبهًا بالمسيح ; ,, قرنثيه اولى ص ١١ ع ١ فاذا استهزى بك احد الناس . فاذكر سيدك . انهم قد سجدوا لهُ بهزء واستهزاء . وقد جزوا بهِ باقوالهم وافعالهم . واظهروا فيهِ هجوًا كثيرًا * فليس مستعجبًا انهُ ما انتقم منهم فقط . لكن اعجب من ذلك انهُ كافاهم باضداد افعالهم بدعتهِ وحلمهِ * فسبيلنا ان نماثلهُ . فاننا على هذه الجهة نقتدر ان نتخلص من الشتيمة كلها * لان الشاتم ليس يلذع المشتوم . لكن المنضجر

المتوجع للشاتم. ذاك هو الذي يجعل الشتايم ان تمضهُ. ويصيرها ان توجعه * لانك اذا لم تتوجع المشتيمة. فما شتمت * لان استكراه النوائب الصعبة. انما يكون ليس من جهة الذين يجترعونها. لكنه انما يكون من جهة الذين يفاجئونها * لان ما معنى توجعك بجملة عزمك. ان كان شاتمك شتمك على جهة ظلم. فما يجب ان تغتاظ لهذه المسبة وتغتم كثيرًا. لكن ينبغي ان ترحم شاتمك * وان كان شتمك على جهة عدل واجب. فيجب عليك ان تهذب وتسكن قلبك اكثر وازيد * لان مثلما اذا كنت فقيرًا. فسماك احد الناس موثرًا. ليس يوصل اليك مديحه شيئًا مما قاله. لكن مديحه اولى به ان يكون لهوًا وهزءًا. فكذلك اذا شتمك شاتم. وقال ما ليس موجود فيك * فتعييرهُ ما قد وصل اليك ايضًا * فان كانت فطنتك ينكيها ما يقال. فلا تتوجع للاقوال. لكن تلافاها بالافعال. وهذه الاقوال اقولها في ذكر الشتايم بتحقيق * فمتى عيرك بفقرك وحقارة جنسك. فاضحك عليه ايضًا * لان هذه الاقوال ليست عارًا لسامعها. لكنها عار لقائلها * لانه ليس عارفًا ان يتفلسف * ولعلك تقول الآن ان هذه الشتايم اذا قيلت لي بحضرة كثيرين جاهلين حقيقتها تصير قرحتها عديمة احتمالها * فاجيبك. هذه الاقوال اكثر من ساير الاقوال تحتمل. اذا حضر لك مجمع شهود يمدحونك. يقتبلون صبرك. ثالبين لاوليك الذين يشتمونك ويهزؤون بهم. لان ليس المنتقم من شاتمه مستعجبًا. لكن من ليس يقول عند استماعه المكروه قولاً * هذا هو المستعجب عند المالكين عقلهم * وان لم يكن واحد من الحاضرين يمتلك عقلاً. فاضحك في هذا الوجه على شاتمك اكثر ضحكًا. وتنعم بمشهد السماء * فان الذين فيه كلهم يمدحونك هنالك. ويصفقون لك. ويقتبلونك * وقد يكفي ملاك واحد بدلاً من المسكونة كلها * وما معنى ذكري الملايكة. اذا اشاع سيدنا بعينه ذكرك. فسبيلنا ان نروض ذواتنا في هذه الافكار * لان ليس يوجد لك منقصة. ان تشتم فتصمت. لكن ضد ذلك نقيصة. وهو ان تنتقم اذا شتمت * لان لو كان احتمالك ما يقال فيك بسكوت منقصة. لما كان المسيح قال. .. متى ما لطمك لاطم على فكك الايمن. فحول له الفك الاخر *" متى ص ٥ ع ٣٩ فمتى ما قال الشاتم ما ليس فيك موجودًا. فسبيلك ان ترحمهُ لهذا السبب. لانهُ قد استمد لنفسه تعذيب القارفين وعقوبتهم. وما صار موهلاً لقراءة الكتب * لان الله قال للخاطي. .. لم تحدث انت بعدلي. وقد كنت تشنع اخاك اذا جلست :" (مزمور ٤٩ ع ٢٠) ومتى قال ما

هو موجود فيك . فهو على هذه الحال يرثى لهُ * لان الفريسي قد قال ما هو موجود في العشار . الأَ انهُ ما ضرّ سامعهُ ضرراً . بل نفعهُ . واعدم هو ذاتهُ محامد صالحة كثيرة . وقاسى من ثابه هذا غرقاً * فقد وجب من الجهتين كلتيهما . ان ذاك الشاتم هو المظلوم . ولست انت مظلوماً * فانت اذا استفقت . ستربح ربحاً مضعفاً . بانك تستغفر الله بصمتك . وبانك تتواضع تواضعاً عظيماً . وتتخذ ما فيك حجة لاصلاح ما عملتهُ . وبتغافلك عن تشريف الناس * لان من هذه الجهة يتكوّن فينا ابتعاداً من الشتايم * لان كثيرين متلهفون الى ظن الناس انهم فاضلون * فعلى هذه الجهة اذا شئنا ان نتفلسف . فسبيلنا ان نعرف يقيناً . ان مثالب الناس ليست شياً * ونتعلم التفكر في مناقصنا * ونستكمل تلافيها في زماننا هذا * فنتلافى في هذا الشهر هذه النقيصة * ونصلح في الشهر الثاني تلك الاخرى . ونحد على انفسنا ان نصلح في الشهر الذي بعد ذلك تلك المنقصة الاخرى * وعلى هذا المثال نصعد كطالعين في دَرَج . ونبلغ الى السماء . في سلّم يعقوب * لان تلك السلم . وهذا قد لاح لوهمي . بذلك النظر بمعنى خفي . صعودنا في الفضيلة قليلاً قليلاً . الذي بهِ نقتدر ان نصعد من الارض الى السماء . ليس مستعملين درجاً محسوساً . لكن نستعمل زيادة تجليلنا واصلاحها * فينبغي ان نمارس هذا السفر . وهذا الصعود . ليتفق لنا امتلاك السموات . ولنستمتع ايضاً بالنعم الصالحة التي هنالك . بنعمة ربنا يسوع المسيح . الذي لهُ المجد الى الابد امين ⊙

المقالة الرابعة والثمانون

في قولهِ (٣٧) انا لهذا وُلدتُ . ولهذا جئت الى العالم . لاشهد بالحق * فكل موجود من الحق يسمع صوتي ⊙

ان طول الاناة لعجيب . من شانهِ ان يثبت نفسنا . كثابتة في مينى حسن الصحو . متخلصة من امواج المحن . ومن الارواح الخبيثة * فطول الروح النافع قد علمناهُ المسيح في كل مكان وبيّنهُ لنا كثيراً * لان لما حوكم واقتيدَ وجرّ . لانه تقدم الى عند حنان . فاجابه بحلم كثير . وقال للعبد الذي لطمه . اقوالاً من شانها الاقتدار على استيصال كل صلف * ومن هنالك ساقوهُ الى قيافا . ثم جاء الى عند بيلاطس . وافنى ليلاً كاملاً في هذه المباحث . وابان في هذه العوارض وداعته * واذ قالوا انه عامل

المنكر. وما امكنهم ان يوبخوهُ . وقف صامتاً * فلما سُئِلَ عن مملكته. حينئذٍ قال لبيلاطس قولهُ من يعلمه. ويصاعدهُ الى اوهام اعلى من غيرها * ولكن لعلَّ سائلاً يسال . ماذا اعتمد بيلاطس في انهُ ما استخصه بحضرتهم . لكنهُ سأله على انفراد لما دخل الى دار الولاية : فنجيبه. انه امتلك من اجلهِ ظناً عظيماً . واراد ان يستعلم منهُ استعلاماً بليغاً كل ما يريد. ولا ترتجف اليهود قلقين* ثم اذ قال لهُ . ماذا عملت : ما اجابه عن هذا السوال . بل اجابه عمّا اشتاق ان يعرفهُ اكثر من كل شيء عن مملكتهِ* وخاطبهُ في وصفها قائلاً .. مملكتي ليست هي من هذا العالم * " ومعنى ذلك هو انا ملك . لكنني ليست حالي هذه الحال على ما تظن . لكنني ابهى نوراً بمقدار كثير* وبهذه الاقوال وبالتي تتلوها اظهر انه ليس يعمل بهِ مكروهاً * ثم قال .. كل موجود من الحق يسمع صوتي * " يجتذبهُ بهذه الاقوال ويستميلهُ الى ان يصير سامعاً ما يقوله * لانهُ قال . من كان حقيقياً تايقاً لهذه الاقوال يستمعني على سائر الاحوال *فبهذه اللفظة اليسيرة. استعطفهُ استعطافاً. اوصلهُ الى ان قال . (٣٨) .. ما هو الحق : " الاَّ انهُ ثبت عاجلاً عند ما سارع فيهِ* لانهُ عرف ان هذا السوال يحتاج اليهِ الوقت* وارتاد ان يختلسهُ من نهضة اليهود * ولذلك خرج اليهم وقال .. لنا لستُ اجد فيهِ ولا علة واحدة * " وتامل كيف تكلم بفهم * لانهُ ما قال اذ قد اخطى وحصل موهلاً للموت هبوهُ لي . لكنه استخلصهُ اولاً من كل علة. ثم سالهم من سمورائهِ . ان كانوا ما يريدون ان يطلقوهُ لانهُ بري من التبعات . فلو صار ان يهبوهُ للوقت عن انهُ مطالب بجناية * فلذلك استثنى وقال . (٣٩) "قد حصلت فيكم عادةٌ ان اطلق للفصح واحداً * " ثم قال على معنى تخجيلهم "اتريدون ان اطلق ملك اليهود : فزعقوا كلهم . (٤٠) لا تطلق هذا . لكن باربَّان * " فترحاً لعزمهم النجس . اذ طلبوا قتل مَن قبيلته قبيلتهم . واطلقوا مَن كان غريماً بجرائمهِ . وعاقبوا البري من التبعات *لان هذه شريعة لهم منذ اعلى زمانهم* وتامل انت في هذه العوارض كلها تعطف سيدنا وفي هذه الحوادث * ضرَبَهُ بيلاطس بالسياط* ولعلَّهُ اراد بذلك ان يحل غيرة اليهود ويتلافاها *لانهُ اذ ما اقتدر ان ينقذه باقوالهِ الاولى . سارع ان يقف شرهم الى هذا الحد. فضربهُ بالسياط * واطلق هو ان يكون ما كان . ووضع عليهِ المِيزرة والاكليل حتى يرخي اغتياظهم* ولهذا الغرض اخرجه اليهم مكللاً . حتى اذا ابصروا المسبة الواصلة اليهِ . يتنفَّسوا من سقمهم قليلاً .

ويقذفوا سهم * فان سالت . وكيف فعل الجند هذه الافعال . ان لم يكن ذلك من ايعاز رئيسهم : اجبتك . لتحمدهم لليهود * اذ كانوا ولا في ابتداء القبض عليهِ امرهم رئيسهم . فدخلوا لهلاً الى البستان * لكنهم فعلوا ذلك . متحمدين الى اليهود . بسبب اموالٍ اوهبوها لهم . وتجاسروا على كل ما امروهم بهِ * الاَّ انهُ اذ حدثت هذه الحوادث الجزيل عظمها عليهِ . وقف صامتاً * وقد عمل هذا العمل في استفحاصهم اياهُ . وما اجابهم جواباً * فلا تسمع هذه الحوادث فقط . لكن حصلها في سريرتك دائمًا * واذا رأيت ملك المسكونة والمليكة كافةً يجمز بهِ الجند باقوالهم وافعالهم . ويحتمل افعالهم كلها صامتاً . فماثلهُ في اعمالك * لان بيلاطس اذ قال انهُ ملك اليهود . ووبخهُ بشكل استهزاء .

(الاصحاح التاسع عشر)(٤) .. اخرجهُ وقال . لست اجد عليهِ ولا علةً واحدة * " فخرج مشتملاً الاكليل * فما خمد ولا على هذه الجهة اغتياظهم . لكنهم .. زعقوا اصلبه اصلبه * " فلما ابصر بيلاطس كل ما عملهُ باطلاً . قال (٦) .. خذوهُ انتم واصلبوهُ * " فاستبان من هذا الوجه . انه انما اطاق الافعال الاولى . لاجل جنون اوليك * لانهُ قال .. انا لم اجد عليهِ ولا علةً واحدة * " وانظر بكم اقوال يعتذر القاضي . مستخلصاً اياهُ دائمًا من الجنايات * الاَّ ان الكلاب ما عطفهم صنف من هذه الاصناف * لان قوله خذوهُ واصلبوهُ هو قول مستنقذ وغير مسامح لهم بالتكردس الى الفعل * بل هم اقتادوهُ الى ذلك . ليصير مرادهم بحكم الوالي . فعرض ضد ذلك . ان يطلق بحكم الوالي * ثم لما استخزوا قالوا . (٧) .. نحن نمتلك شريعة . وعلى حكم شريعتنا يستوجب ان يموت * لانه صيَّر ذاتهُ ابناً لله * " وانا اخاطبهم . كيف لما قال بيلاطس خذوهُ واحكموا عليهِ بما توجبهُ شريعتكم . قلتم ليس يجوز لنا ان نقتل ولا واحداً * وقد لجاتم الان الى شريعتكم : وتامل سوء ثلبهم . قالوا انهُ صيَّر ذاته ابناً لله * فقولوا لي . هل هذا هو الزلل . ان يقول مَن يعمل اعمال الله . انهُ هو ابن الله : الاَّ ان المسيح كان عند ما قال بعضهم لبعض هذه الاقوال صامتاً . متمماً ذلك القول الذي قالهُ النبي .. انه لم يفتح فمهُ . في تذلله ارتفعت حكومته * " ثم خشي بيلاطس اذ سمع منهم انه صيَّر ذاته ابن الله . وارتاع من ان لا يكون ما قالوهُ صدقاً . ويظن انه يتجاوز الشريعة * وهم اذ عرفوا هذا بالافعال والاقوال . ما راعهم ذلك لكنهم قتلوهُ * لاجل افعاله التي كان واجباً عليهم ان يسجدوا لهُ بسببها * فلهذا السبب ما سالهُ ايضاً . ماذا عملتَ : لكنه اذ زعزعهُ خوفه . جعل استفحاصه اياهُ ايضاً من

اعلى حاله اذ قال ،، قُل لي. ان كنت انت هو المسيح: ،، الا انهُ ما اجابه*لان مَن سمع لهذا وُلدتُ ولهذا جيئت ،، وان مملكتي ليست هي من ههنا. ،، فقد وجب عليه ان لا يعاند ما سمعه. وان يستنقذهُ*فما عمل هذا العمل. بل اتّبع نهضة اليهود*ثم اذ انطبقت افواه اولئك من سائر الجهات. اصدروا كلامهم الى جناية عامة. اذ قالوا ،، مَن يصيِّر ذاته ملكًا. يعاند قيصر* ،، وقد كان واجبًا على بيلاطس ان يتصفح قولهم هذا بابلغ التصفح. ان كان مارس عصيانًا. وارتاد ان يخرج قيصر من مملكته*الا انه ما تصفح ذلك بمبالغة*فلهذا السبب ما اجابه ربنا جوابًا*اذ كان ما ساله عنه فيما سلف. كان سوالاً باطلاً*ولمعنى آخر. اذ اعماله تشهد لهُ. ما اراد ان يقهر باقواله. وان يولف احتجاجًا. موريًا انه يجيء الى هذا التالم طائعًا*فاذ صمت عن جوابه (١٠) ،، قال بيلاطس. أما قد عرفتَ انني امتلك سلطانًا ان اصلبك: ارايته كيف قد تقدم فاوجب الحكم على ذاته: لانك ان كان الحل والعقد كله حاصلاً فيك. فلمَ ما اطلقته. اذ لم تجد عليه ولا علة واحدة: فلما اورد هو القضية على ذاته. حينئذٍ قال لهُ ربنا. (١١) ،، مَن اسلمني اليك. يمتلك خطية اعظم* ،، موريًا انهُ هو مطالب بخطية*ثم اجتذب نعظمهُ وصلفه. وقال ،، ما تمتلك سلطانًا عليَّ. ان لم يكن ذاك معطى لك* ،، موضحًا ان هذا الحادث ليس على بسيط ذاته. حادثًا على ميثاق الحوادث الكثيرة. لكنه مفعول برأي سرّي* وحتى لا اذا سمعتَ. ان لم يكن ذلك معطى لك من فوق. تتوهم بيلاطس مبرّءًا من كل زلة*لذلك قال ،، مَن اسلمني اليك يمتلك خطية اعظم* ،، مع ان ذلك ان كان معطى. فلا بيلاطس ولا اليهود مطالبين بتبعات*فهذه الاقوال يقولها باطلاً*(لان لفظة معطى ههنا. هي مطلق لهُ*) كانهُ قال. انهُ أُطلق ان تصير هذه الحوادث. فلستم انتم لاجل هذا الاطلاق خارج خبثكم* فاراع بيلاطس باقواله. وخوّلهُ الاعتذار واضحًا* ،، فمن هذه الجهة التمس ذاك ان يطلقهُ. الا انهم زعقوا ايضًا. (١٢) ان اطلقت هذا. فلستَ صديقًا لقيصر* ،، لانهم لما اوردوا من الشريعة زلات. وما افادتهم نفعًا. انقلبوا بمكرهم الى الشرائع التي خارج شريعتهم. اذ قالوا ،، كل من يصيِّر ذاتهُ ملكًا. يعاند قيصر* ،، وانا اسالهم. واين ظهر هذا عاصيًا مغتصبًا: من اين ينساغ لكم ان توضحوا هذا: امن تاجه: امن ديباجه: امن شكله: امن جنده: اما قد مشى دائمًا مع الاثني عشر تلاميذه. مستعملاً كل ما مارسهُ. جانحًا الدناءة والحقارة. من طعام وثوب

وبيت : لكن ترحمًا لوقاحتهم ونجاستهم المسلوبة وقتها * لان بيلاطس توهم انهُ يتورط في خطر ان تغافل عمّا جرى . فخرج خروج المستخلص . (الآ ان لفظة وجلس . تدل على هذا المعنى *) فلم يعمل من الاستخلاص شيًا . بل اسلمهُ اليهم . ظانًا انهُ يستعطفهم * والدليل على انهُ عمل هذا العمل على هذا القصد . اسمع ما قال لهم . (١٤) " انظروا الى ملككم * " فاذ قالوا اصلبهُ . استثنى بان قال . (١٥) " أأصلب ملككم : فزعقوا هم . ما نملك ملكًا الآ قيصر ۞ " فقد زجوا ذواتهم في العقوبة طائعين . ولذلك دفعهم الله اليها * حين اخرجوا هم ذواتهم اوّلين . من عنايته ومن حياطته * واذ انكروا مملكة المسيح باتفاق عزمهم . اهملهم هو ان يسقطوا فيما حكموا بهِ على انفسهم * على ان الاقوال التي قيلت . قد كان فيها كفاية . ان تكفّهم فيما بعد عن غيظهم * لكن خشوا الآ يطلق . فيزعجهم * فعملوا كل ما امكنهم في هذا الوجه * لان ايثار الرياسة داء مستصعب ردي . فيهِ كفاية ان يهلك نفسنا * ولاجل هذا الداء . ما سمعوا منهُ في وقت من اوقاتهم * فبيلاطس من كلمات ساذجة . اراد ان يطلقهُ * وهم لبثوا قائلين " اصلبهُ ۞ " فان قلت . وما غرضهم في ارتيادهم ان يقتلوهُ هذا القتل : اجبتك . كان هذا الموت جالبًا للعار * فلخشيتهم الآ يكون لهُ بعد ذلك ذكر . اجتهدوا ان يقتادوهُ الى تعذيب لعين * وما عرفوا ان الحق يرتفع بالعوايق والموانع * والدليل على انهم توهموا هذا التوهم . اسمع ما قالوهُ " نحن سمعنا ان ذاك المضلّ قال . انني بعد ثلثة ايام اقوم ۞ " فلهذا السبب ازعجوا عزائمهم كلها . اذ ترادّدوا فوق واسفل . حتى يتنجسوا بعد ذلك . وزعقوا بمداومةٍ " اصلبهُ ۞ " فكانوا رهطًا ذليلاً ترتيبهُ قد افسدهُ روساءهم *

العظة الرابعة والثمانون

في انهُ يجب علينا ان نحب اعداءنا . وان نحسن الصنيع الى الذين يتعنتوننا . ولا نغتاظ عليهم ۞ بل على الشيطان الذي حركهم الى الاعمال الردية ۞

فسبيلنا نحن الآ نقراء هذه الاقوال فقط . لكن ينبغي لنا نحملها في سريرتنا مفتكرين . اكليل الشوك . المجزرة القصبة التي قرع بها راسهُ . لطماته . فواجي الضرب على راسهِ . حوادث البصاق عليهِ . اللهو بهِ * لان هذه الحوادث فيها كفاية . اذا ذكرنا بذكرها تكريرًا متصلاً . ان تنفض كل غيظ *

فمتى استهزِئ بنا · متى قاسينا عارضاً على جهة الظلم · ينبغي لنا ان نقول بمداومة .. ليس يوجد عبدٌ اعظم من مولاه * " ونورد الى وسط افكارنا . الاقوال التي قالتها لهُ اليهود في حال جنونهم ,, انك تشتمل شيطانًا ." ,, وانت سامري* " ,, وانت ببعلزبول تخرج الشياطين * " لانه لهذا السبب اصطبر على هذه العوارض كلها · حتى نسلك نحن في اثرهِ . ونحتمل المثالب والشتايم . التي يدهش الثالبين احتمالها اكثر من كل شيء *الاَّ ان سيدنا مع ذلك ليس مستعجبًا انهُ احتمل هذه فقط . لكن الحجيب من ذلك انهُ عمل كل ما عمله · ليستخلص الذين عملوا هذه الاعمال المنكرة وامثالها · من العقوبة المخزونة لهم * فارسل رسله في خلاصهم * لانك قد سمعتَ رسله قائلين لليهود ,, اننا قد عرفنا انكم في غباوة فعلتم ما فعلتم * " واجتذبوهم بهذه الاقوال الى التوبة* فينبغي ان نشابه اعمال الرسل *لان ليس فعل على تمثل حاله يصيِّر الهنا غفورًا لنا . مثل حبّنا لاعدانا واحساننا الى الذين يتعنتوننا * فاذا تعنتك متعنتٌ · فلا تنظرنَّ اليهِ . لكن انظر الى الشيطان الذي حرَّكهُ وافرغ غيظك كله على ذلك الشيطان *وارحم هذا الذي حركه ذاك وانهضه * لَئِن كان الكذب من ابليس المحال · فاليق واوجب ان يكون اغتياظنا من ابليس المحال *اذا رأيتَ جامزًا مستهزيًا بك . فافطن ان محرِّكه هو ابليس المحال *لان المثالب ليست من المسيحيين *لان مَن قد اوعز اليهِ ان ينوح · وقد سمع ,, الويل للضاحكين ." ثم يعيِّر انساناً ويقرِّفه · ويحرقه بسبّتهِ . ليس موهلاً أن تلومهُ وتثلبهُ، لكنهُ موهلٌ ان تنوح عليهِ *اذ المسيح ارتجف .اذ فهم عزم يودس . فهذه كلها سبيلنا ان نتدرب بها بافعالنا * لاننا اذا لم نحكم هذه المحامد . فقد جينًا الى هذه الدنيا باطلاً* والبق ما يقال اننا جينًا لعمل ردي نجترمهُ *لان الامانة ليست هي كافية ان تولجنا الى ملكوت السماء* لكن الامانة اكثر من كل شيء · يخصها ان توجب الحكم على الذين يظهرون عيشة ردية ۞ ,, لان مَن قد عرف مشية مولاهُ ولم يعملها يُضرَب ضربًا كثيراً * " (لوقا ص ١٢ ع ٤٨) وقال ايضًا ,, لو لم اجيء واخاطبهم . لما كانوا استقنوا خطية ۞ ,, (يوحنا ص ١٥ ع ٢٢) فاي اعتذار نحويه . اذ قد حصلنا داخل القصور الملكية . وأُهِّلنا ان نشرف على الاماكن الغامضة . وحصلنا شركاء اسرار مستخلصة * اذ صرنا اشرّ من اليونانيين الذين لم يساهموا صنفًا من هذه الاصناف * لان اوليك ان كانوا بسبب تشريف فارغ قد اظهروا فلسفة هذا مبلغ تقديرها . فالبق بنا واوجب

ان نسلك كل فضيلة . لاجل الغرض المأثور عند الله * فالان ما نتهاون ولا باموالنا . لكن اوليك قد غفلوا عن نفوسهم في اكثر اوقاتهم . وقد دفعوا بنيهم الى جنون الشياطين . في الحروب . واستهانوا طبيعتهم . لاجل الشياطين * ونحن فما نستحقر من اجل الله درهمًا ولا غيظًا . لاجل الغرض المأثور عند الله * لكن حالنا ليست افضل من حال المحمومين المحترقين بالاورام الحارّة* وكما ان اوليك يتحرقون . اذا استحوذ عليهم المكروه من الضنا . فكذلك نحن حالتنا حال الذين قد حجزتهم النار . ما نقتدر بوجهٍ من الوجوه ان نقف شهوتنا * بل نزيد غيظنا وحبّنا الاموال * لهذا السبب استخزي، وأتحيّرُ اذا رأيتُ عند الاوثانيين متهاونين بالاموال . وابصرت عند جماعتنا هائمين بها * لاننا ان وجدنا اقوامًا من اصحابنا يستحقرونها . نصادفهم قد اقتنصوا باسقام اخر . ببغضهم وحسدهم . وشيًا مستصعبًا ان نجد فلسفةً نقية * وعلّة ذلك اننا ما نجتهد ان نستمد الادويد من الكتب . ولا نصغي اليها بخشوعٍ وبتحسّرٍ * لكن على بسيط الاصغاء . متى ما اتفق لنا فراغ * فلهذا السبب متى ما وافانا من اشغال الدنيا واحوالها حماة جزيلة . غرقت اوهامنا وافعالنا كلها * وان كان قد حصلت لنا فائدة . اهلكتها * لان احدنا متى امتلك جرحًا . ثم وضع عليهِ دواء او مرهمًا ولم يعصبهُ باحتياط . لكنهُ يترك المرهم يسقط عنهُ . وينكشف للماء والغبار والقشب ولاصناف كثيرة تقتدر ان تنكيه . ليس يحصل لهُ من ذلك فائدة اكثر * لكنهُ ليس يصيبهُ ذلك من ضعف الادوية . لكن من ونيتهِ وتضجيعهِ * هذا العارض من شانهِ ان يعرض لنا . اذا اصغينا الى الاقاويل الالهية اصغاءً يسيرًا . وبذلنا ذواتنا لاشغال الدنيا بذلاً دائمًا سريعًا * لان على هذه الجهة يختنق ذرعنا كلهُ . وتصير افعالنا كلها غير مثمرة * فلكيلا يصيبنا هذا المصاب . فلنبصر قليلاً . ونرفع الى الحاظنا * ونطلع الى قبور الذين انصرفوا من الدنيا * لان هذه الغاية بعينها تنتظرنا * والانصراف من الدنيا بعينها طالما دهمنا قبل المساء * فلنستعدنّ اذًا لهذا الانصراف * لاننا نحتاج الى زادات كثيرة * اذ الحرّ هنا لك شديد . والقشب جزيل . والاقفار كثير . وليس يتجه لنا ان ننزل في فندق * ومَن لا ياخذ من هنا كل حوائجهِ لن يمكنه ان يبتاع شيًا * اسمع ما قالهُ للعذارى .. اذهبنَ الى الذين يبيعونَ " لكنهنَّ اذ ذهبنَ ما وَجدنهم . اسمع ما قالهُ ابرهيم .. ان فيما بيننا وبينكم هاوية عظيمة * " اسمع ما قالهُ حزقيال في وصف ذلك اليوم .. ان نوحًا وايوب ودانيال ما ينقذون ابناءهم * " لكن لا

كان لنا نحن ان نسمع هذه الالفاظ . لكن اذا اخذنا زادات كافية للحياة الدائمة . نبصر ربنا يسوع المسيح بدالة * الذي معهُ لابيه وللروح القدس المجد والعز والاكرام . الى اباد الدهور كلها امين ٥

المقالة الخامسة والثمانون

في قوله (١٦ !) حينيذٍ دفعهُ بيلاطس اليهم . لكي يصلبوهُ . فتسلموا يسوع واستاقوهُ . (١٧) وخرج حاملاً صليبهُ . الى المدعو مكان الجمجمة . وبالعبرنية غولغوثا . (١٨) حيث صلبوهُ *

ان الاحسانات من شانها ان تاتي الذين لا يتيقظون ولا يصغون اليها في شدايد . وتسحبهم فيها * وهذا العارض عرض لليهود في الابتداء * اذ استمتعوا بمعونة الله . فالتمسوا شريعة مملكة الامم * وفي البرية بعد اكلهم المنّ . ذكروا البصل * هذا العارض بعينهِ عرض لهم ههنا * استعفوا من مملكة المسيح . وسمّوا على ذواتهم مملكة قيصر . فلذلك اقام عليهم ملكًا على نحو قضيتهم * .. فاذ سمع بيلاطس هذه الاقوال . دفعهُ اليهم ليصلبوهُ * " وذلك فعلٌ خايب من القياس جدًا * لان قد كان واجبًا ان يسال . ان كان المسيح اجتهد ان يجع الى عصيان * لكنهُ من خوفهِ وحذرهِ ابرز القضية * على انهُ ليلا يعرض لهُ هذا العارض * سبق المسيح وقال لهُ .. مملكتي ليست من هذا العالم * " لكنهُ بذل ذاتهُ الى الحاضرين . وما شاء ان يتفلسف تفلسفًا عظيمًا . على ان منام امراتهِ قد كان فيه كفاية ان يريعهُ * الّا انهُ ما صار بصنفٍ من هذه الاصناف . افضل مما كان . ولا نظر الى السماء . لكنهُ دفعهُ اليهم * فوضعوا هم عليهِ صليبهُ . كما يوضع على من قد اوجب الحكم عليهِ * لانهم كانوا قد تفاءلوا بعود الصليب . وما استجازوا ان يلمسوهُ * وهذا الحادث قد حدث في رسمهِ . لان اسحق قد حمل الحطب . الّا ان الفعل حينيذٍ وقف عند عزم ابيهِ . لانهُ كان رسمًا * فالان خرج الى الفعل . لانهُ كان حقًا * وجاء الى مكان الجمجمة * وقد قال قايلون ان ادم هنالك استكمل حياتهُ . ووضع * ويسوع في المكان الذي فيه تملّك الموت . هنالك اقام الظفر بهِ * لانهُ خرج حاملا صليبهُ * ظفر باغتصاب الموت . وبمنزلة القاهرين . كذلك هو حمل على كتفيهِ . والدليل على ظفرهِ * فان قلت . فما غرض اليهود ان كانوا قد فعلوا هذه الافعال بعزمٍ آخر . وصلبوهُ بين لصين : اجبتك . انهم تمّموا في هذا الفعل . النبوّة كارهين * لان الافعال التي فعلها هولاء يهينونهُ بها هذه

اوصلت الحق الى نهايتهِ. لكي تعرف مبلغ قوة العدل . لان هذا الفعل قد تقدم النبي فذكرهُ منذ اعلى الزمان . "انهُ حُسب مع الخاطئين من الشريعة *" اشعيا ص٥٣ ع ٩ لان الشيطان اراد ان يستر ما جرى . الاَّ انهُ ما قدر * فصلبوا الثلثة. فاشرق يسوع وحدهُ * لكي تعلم ان مقدرتهُ صنعت كل مقصودها. على ان الثلثة سُمروا على الصليب . فتكوَّنت العجائب على هذه الحال * الاَّ ان ولا واحدًا من الناس. نسب صنفًا من الاصناف الحادثة الى احد ذينك اللصين . الاَّ الى يسوع وحدهُ * فعلى هذه الجهة صار اغتيال ابليس المحال عاطلاً * وانعطف كل ما اجتهد فيهِ على راسهِ . لان الواحد من هذين اللصين تخلص * وليس مستعجبًا فقط انهُ ما شان شرف المسيح المصلوب . لكن الاعجب من ذاك انهُ اوصلهُ الى كمالهِ . ايصالاً لم يكن يسيرًا * الاَّ ان نقلة اللص في حال صلبهِ . وادخالهُ اياه الى الجنة . ما كان ادني من تحريكة الصخور وتشقيقها (١٩) "وكتبَ بيلاطس لوحاً ." وجمع في ذلك غرضين . هما انتقامهُ من اليهود . واعتذارهُ عن المسيح * لانهم لما انزلوهُ بمنزلة ردي . وارتادوا ان يحققوا هذه الوصية بمشاركتهِ اللصين على الصليب * فلكيلا يمكن احدًا منهم فيما بعد ان يورد عللاً خبيثة . ويجني كانهُ يثلب واحدًا ردياً خبيثاً . اطبق افواههم . وافواه جميع المريدين ان يثلبوا المسيح * واوضح انهم انما ثاروا على ملكهم * وكما يوضع على قاهر مظفر علامتهُ . كذلك وضع القاضي الكتابة في اللوح * مبدية صوتاً بهياً . موضحةً ظفره . مشيدةً بمملكـتهِ . وان لم يكن اشارة كاملة * وهذا اللوح فما كتبه بلغةٍ واحدة. ولكنهُ جعلهُ واضحاً بثلث لغات * لان اذا كان لائقاً ان يوجد في اليهود كثيرون مختلطون بسبب العيد . فحتى لا يجهل واحدٌ منهم احتجاجهُ . شهر جنون اليهود عند لغات الامم كلها * وفي حال صلبهِ حسدوه * وانا اخاطبهم . هذا اللوح ما الذى اضرَّكم. ما اورد اليكم ضررًا : لانهُ ان كان ميتاً ضعيفاً . وقد ازمع ان يخمد ذكرهُ . فما خيفتكم من الفاظ الكتابة القايلة . انهُ هو ملك اليهود : لكنهم قالوا لبيلاطس (٢١) "قل انهُ هو قال انهُ ملك اليهود *" لان هذه الالفاظ الان هي قضية وحكومة عامة . فاذا زيد فيها ان ذاك قال . يستبين ذلك تهجمهِ وتعظمهِ موجودًا * الاَّ ان بيلاطس ما انعطف لهم . لكنهُ ثبت في عزمهِ الاول * فما دُبر في هذا الوجه تدبيرًا يسيرًا . لكن المقصود كلهُ دُبر

كونهُ * كان عود الصليب لما ظهر . وكانت حالهُ حال ولا واحد من الناس يجتهد ان ينتشلهُ
لاستحواذ الخوف عليهم . واجتهاد المومنين في اعمال اخر تستحثهم * استانف ان يُطلب في سنين
مستانفة اخيرًا * فكان واجبًا ان يكون الصلبان الثلثة موضوعة معاً . لكيلا يستجهل صليب
سيدنا . اولاً من وضعهِ في الوسط بينهما . وبعد ذلك من اللوح المسمر في اعلاه . ويصير
واضحاً عند كل مَن يبصرهُ * لان صليبي اللصين ما اشتملا لوحين * "ثم ان الجند اقتسموا ثيابهُ"
الاَّ ان ثوبهُ ما دخل في قسمتهم * وابصر النبوات متممة بالافعال . التى تباحثوا بها *
لان هذا المعنى قد قدم ذكرهُ منذ اعلى الزمان * لان المصلوبين كانوا ثلثة . الاَّ ان اقوال النبوات
فيهِ كملت * فلاي سبب ما عملوا هذا العمل بالاخرين . الاَّ بهذا وحدهُ . وتامل لي انت
استقصاء النبوة . لان النبي ما قال انهم اقتسموا ثيابي فقط . لكنهُ ذكر مع ذلك ما لم يقتسموهُ *
لان بعضها اقتسموها . وثوبهُ ما تقاسموهُ . لكنهم جعلوا امتلاكهُ بقرعة * ولفظة انهُ
كان منسوجاً من مبادي اعلاه . لم توضع على بسيط ذات وضعها . لكن قد قال قائلون . انهُ
يدل على معنى يتاول فيهِ . يبين ان المصلوب ما كان انساناً على بسيط ذاتهِ لكنهُ امتلك لاهوتهُ
من فوق * وقال آخرون ان البشير وصف صورة الثوب بعينها . لان في بلد فلسطين على
هذه الصفة يرفون الثياب . اذا ولفوها خرقتين * فاوضح لنا يوحنا ان الثوب كان على هذه
الصفة منسوجاً من مبادي اعلاه * على ما يلوح لظني . انهُ يقول هذا القول . مضمرًا فيهِ
حقارة الثياب * وعلى حدو ما التمس الاستكانة في حوائجهِ الاخر كلها . فكذلك ابتغى في
ثوبهِ الشكل الساذج * ولعمري ان الجند فعلوا هذه الافعال * الاَّ انهُ هو في حال صلبهِ .
استودع امهُ عند تلميذهِ * يعلمنا ان نهتم الى النفس الاخير من انفاسنا بوالدينا كل اهتمام *
فحين ازعجتهُ ازعاجاً مسلوبًا وقتهُ . قال لها مالي ولكِ يا امراة . "ومن هي امي ." وههنا
اوضح اخلاص ودهِ اياها كثيرًا . واستودعها عند التلميذ الذى احبهُ * فيوحنا ههنا ايضاً
يخفي ذاتهُ متذللاً * لانهُ لو اراد ان يتفخم . لكان قد ذكر العلة التي لاجلها احبّ لان لايقاً
كان ان توجد عظيمة عجيبة * فان قلت فلمَ ما قال ليوحنا قولاً غير هذا . ولا عزاهُ . اذ
كان مكتئباً حزيناً . اجبتك . لان الوقت ما كان وقت تعزية من هذه الاقوال . ولمعنى آخر

انهُ ما كان انعامًا يسيرًا . ان بكرمهُ تكريماً هذا محلهُ . وان ياخذ ثواب ثبوتهِ عندهُ * وتامل انت كيف في حال صلبهِ . عمل كل ما اراد من غير ارتجاف * اذ خاطب تلميذهُ بسبب امهِ . وتمم النبوات عليهِ . وبسط للص اما لاً صالحة * على انهُ قبل صليبهِ قد استبان عرقاً مجتهداً خايفًا * فان سالت . وما هو المعنى في ذلك . اجبتك . انهُ ليس مشتبهاً ولا غامضًا * لان هنالك اظهر ضعف طبيعتهِ . وههنا بيّن كثرة سمو مقدرتهِ * ولمعنى آخر . و يعلمنا بهذين الفعلين كليهما * وان ارتجفنا قبل الشدايد . الاّ نبتعد لهذه الحال من المصاعب * واذا حصلنا في الجهاد . تصير العوارض كلها سهلةً متيسرة * نرتعدنّ اذًا من الموت * فان نفسنا تمتلك في طبيعتها حب الحياة * لكن قد وضع فيها ايضاً . اما ان تحل رباطات هذا الحب . وتجعل شهوتها هذه الحيوة ضعيفة . واما ان نربط هذه الشهوة وتصيرها اشد اغتصابًا * وكما انهـا تمتلك الشهوة لمخالطة الاجسام . فاذا تفلسفنا صيّرنا اغتصابها ضعيفاً . فكذلك يعرض في اشتهاء الحياة * على نحو ما وضع الله فينا شهوة الاجسـام لابداع الاولاد ضابطاً خلوفنا بها . ليس مانعاً ايانا بها عن المسير في ضبط هوانا الاّ على فضلاً . فكذلك الشوق الى هذه الحياة ذرعهُ فينا . مانعاً بهِ ايانا ان نقتل ذواتنا . ليس معتاقاً بهِ ايانا عن الاعراض عن هذه الحياة الحاضرة * فيجب علينا اذ قد عرفنا هذه الاصناف . ان نحفظ اقدارنا . ولا نبادر في وقت من اوقاتنا الى الموت من ذواتنا . ولو مارسنا شدايد جزيلاً عددها * ولا نتباطى اذا جذبنا اليهِ ونتكاسل . لاجل المحامد الماثورة عند الله * لكن نبادر اليهِ واثقين . مفضلين الحياة المامولة . على الحياة الحاضرة * (٣٥) " والنسوة وقفن عند صليبهِ * " فاستبان حينيذٍ الجنس الاضعف اوفر شجاعة * فعلى هذه الحال انتقلت حينيذٍ الاصناف كلهـا * فلما استودع هو امهُ عند تلميذهِ * قال لهـا (٣٦) " ها ابنكِ * " يا للعجب من هذه الكرامة التي اكرم بها تلميذهُ * ما اوفر هذه الكرامة * لانهُ لما انصرف هو في ذلك الوقت . سلمها الى تلميذهِ المهتم بها * واذ كان لايقًا بها ان تتجع من جهة انها امهُ . وان تبتغي مغوثةً . سلمها على جهة الواجب الى محبوبهِ . (٣٧) " وقال لهُ . ها امك " * هذه الاقوال قالها . يقرنهما في الحب * وهذا الغرض اذ فهمهُ تلميذهُ . اخذها الى ما يخصهُ * " ولقايل ان يقول . ولمَ ما ذكر ولا امراة واحدة اخرى

على ان نسوة اخرات وقفن عند صليبهِ: اجيبه . يعلمنا ان نوزع امهاتنا اكرامًا اكثر من غيرهم * فكما انهُ ما يجب علينا ان ننظر الى والدينا اذا ضاددونا في الافعال الروحانية ولا نعرفهم . فكذلك اذا لم يعتاقونا عن عملٍ صالحٍ . يجب علينا ان نوزعهم كل ما يمكننا من الاكرام . وان نفضلهم قبل الاخرين . عوض ما ولدونا . بدل ما ربونا . عوض ما احتملوا من اجلنا شدايد جزيلاً عددها * وعلى هذه الجهة . اطبق فم مركيين الجاهل . وابكم وقاحته * لانهُ لو لم يولد بذات لحمهِ . ولم يمتلك امًا . فلمَ اعتنى بها وحدها عناية هذا المبلغ مبلغها: (٢٨) ,,وبعد ذلك اذ عرف يسوع . ان الاقوال المكتوبة فيهِ قد كملت ." ومعنى ذلك هو انهُ ما قد بقي في تدبيرهِ صنف ينقص منهُ * لانهُ في ساير الجهات اجتهد ان يبين موته هـذا يوجد جديدًا اذا كان المقصود كله موضوعًا في سلطان المتوفي * وما وردت الوفاة اولاً الى الجسد . الى ان اراد هو * وانما اراد ورودهُ . بعد ان تم كافة افعالهِ * ولهذا السبب قال ,,انا امتلك سلطانًا ان ابذل نفسي . واملك سلطانًا ايضًا ان اخذها *" يوحنا ص ١٠ ع ١٨ فاذ عرف النبوات عليهِ كلها متممة . ,,قال انا عطشان" متممًا ههنا ايضًا نبوةً * فتفهم لي انت عزم الواقفين هنالك النجسين * لاننا استقينا اعداء جزيلاً عددهم . وكنا قد قاسينا منهم مساوي لا تحتمل . وابصرناهم مقتولين . نحني الى الرحمة لهم * الاَّ ان اوليك ولا على هذه الحال جنحوا الى التراآف عليهِ . ولا صاروا بالحوادث التى ابصروها انيسين * لكنهم تنمروا اكثر * وتمادوا في جمزهم وغيهم * ,,وقدموا لهُ خلاً في اسفنجةٍ وسقوه *" على هذه الجهة . وقربوا ذلك لهُ كما يقرب للذين وجب الحكم عليهم * ولهذا الغرض كانت القصبة موضوعة عندهم (٣٠) ,,فاذ تناول الخل قال قد كمل *" ارايتهُ عاملاً كل ما يشاء بسلطانهِ خلوًا من ارتجاف: وما يتلو ذلك يدل على هذا * لانهُ اذ تم افعالهُ كلها ,,ميَّل راسهُ *" لانهُ ما اطلق روحهُ وراسهُ منتصبٌ * على انها ما تبرز نسمتنا بعد ان يميل الراس منا * وههنا حدث ضد ذلك . لانهُ ما امال راسهُ . لما برزت نسمتهُ * وذلك المالوف ان يصير فينا * لكنهُ اذ ميَّل راسهُ حينئذٍ ابرز نسمتهُ * فبهذه الحوادث كلها اوضح البشير . ان هذا كان رب الكل * الاَّ ان اليهود ايضًا الذين يبتلعون الجمل ويصفوّن البقة . اذ تجاسروا على جراءة هذا

مقدار عظمها . يبالغون الاستقصاء في صيــانة اليوم * (٣١) لان اذ كان ذلك اليوم يوم الجمعة . فلكيلا تبقى الاجسام على الصليب . سالوا بيلاطس ان يكسروا سوقهم." ارايت الحق كيف هو قوي بالافعال التي اجتهد اوليك فيها . بها تمت النبوة * لان من هذا الفعل استمدت نبوة اخرى بهم كمالهـــا * لان الجند جاءوا فكسروا سوق الاخرين . وما كسروا ساقي المسيح ايضاً * الاّ ان هولاء مع ذلك لتحمدهم الى اليهود . " فزروا جنبهُ بحربة * " وعاقبوا جسمهُ ميتاً * فترحاً لنيتهم النجسة * لكن لا ترتجف ايها الحبيب ولا تكتيب * فان الافعال التي فعلها اوليك من عزم خبيث . هذه عضدت الحق * لان نبوة في هذه الجهة قايلة . سيبصرون الى مَن طعنوهُ *" زخريا ص ١٢ ع ١٠ وما تم بذلك هذا التنبي فقط. لكن الفعل الذي اجترءوا عليهِ . صار للذين استانفوا ان يجحدوهُ . برهاناً لتصديقهم لتوما ولامثالهِ* وبعد ذلك كمل بهِ سرٌ يحتجزان يباح بهِ * لانهُ "خرج منه دمٌ وماء *" وما برز منهُ هذان الينبوعان على بسيط ذات بروزها . ولا على ما اتفق . لكن اذ من هذين تثبتت كنيستنا * ويعرف ذلك اصحاب اسرارها * فبالماء تعاد ولودتهم . وبدمهِ ولحمهِ يغتذون * من ههنـــا اخذتَ اسرار القربان ابتداها * لكي اذا تقدمتَ الى الكاس المريعة ان تشربها . كانك تشرب من جنب المسيح بعينهِ . تتقدم اليهِ هذا التقدم بابلغ التورع (٣٥) " وهذا فالناظر اليهِ شهد بهِ * وشهادته هي صادقة *" ومعنى ذلك . هو انني ما سمعت من اخرين * لكنني اذ كنت حاضراً رايت ذلك * والشهادة هي صادقة * علي جهت الواجب . لان هجنة لها ان توصف . اذا كانت صادقة * لانهُ ليس يصف فعلاً عظيماً عجيباً * لكي تتهم قوله . لكنهُ هو يغلق افواه مبدعي بدع هواهم في ديننـــا ويتقدم فيذيع الاسرار المستانف كونها * ويعاين الذخيرة المخزونة فيها . اذ يبالغ في وصف ما عرض * (٣٦) "وتمت تلك النبوة انهم ما يكسرون لهُ عظماً *" ولين كان هذا القول قد قيل في وصف الخروف عند اليهود . الاّ ان الرسم حاضرَ من اجل الحق * وفي هذا خرج ابين خروجاً * ولهذا السبب اقتاد النبي الى وسط كلامهِ * لانه لما اورد ذاته الى الوسط فوق واسفل . وما ظنوا انه موهل لتصديقهِ . اقتاد موسى قايلاً . ان ولا هذا الفعل صار على بسيط ذات كونهِ .

لكنهُ منذ اعلى الزمان قد كتب سالفاً * وهذا هو ذاك الذي قيل . ما يُكسر منهُ عظم *
ووهب من ذاتهِ للنبي تصديقهُ ايضاً * هذه قلتها (زعم) لتعرفوا ان مناسبة الرسم للحق كثيرة *
ارايت كيف يورد حرصاً حتى يُصدّق المظنون انهُ يجتلب عاراً ويورد خزياً . لان ايصال الجندي
المسبة الى جسم ميت . كان اشرّ من صلبهِ اياهُ بمقدار كثير * لكنهُ قال . قد قلت هذه
الحوادث كلها ووصفتها بحرص كثير . لتصدقوها * فلا ينكرنّها منكرٌ . ولا ينظر الى اوصافها
مستخزياً منها * لان الحوادث المظنونة اكثر من غيرها انها تجتلب عاراً . هذه هي اجمل
اوصاف امالنا الصالحة (٣٨) وبعد ذلك جاء يوسف من الرامة . وقد كان تلميذاً *
ليس من الاثني عشر . لكن لعلهُ كان من السبعين * لانهم لما ظنوا ان قد خمد اغتياظ
اليهود حينئذٍ بصلبهم اياهُ . اقبلوا باطمانينة * واهتموا بتكفينهِ . فتقدم طالباً المنة من بيلاطس .
فاعطاه مطلوبهُ . لانهُ ما غرضهُ في انهُ ما ازمع ان يدفعهُ اليهِ وساعده نيقوديمس . وجعل
تكفينهُ جزيل القيمة * لان حالها ايضاً كانت حال مجتهدين في تكفين انسان ساذج *
وجاء بهذه الافاوية . التي من شانها اكثر من غيرها ان تحفظ جسده الى مدةٍ طويلة .
ولا تفرج ان يتراخى للبلى سريعاً * وذلك ما كان فعل من يتصوّر فيهِ تصوراً عظيماً *
الاّ انهما مع ذلك . قد اظهرا اخلاص ودهما لهُ كثيراً * ولعل سايلاً يسال . كيف ولا واحد
من تلاميذهِ الاثني عشر قد تقدم دون هذين . لا يوحنا . ولا بطرس . ولا احد آخر:
لانهُ ان كان خوف اليهود قد اراعهم . فيوسف ونيقوديمس قد كانا مضبوطين بهذا
الخوف * ويوحنا تلميذهُ قد كان حاضراً وناظراً اليهِ قد اسلم الروح . فما عمل في تكفينهِ
ودفنهِ عملاً هذه صفتهُ * فاقول لهُ . على حسب ظني . ان هذا يوسف هو من التلاميذ
المشرفين جداً * وذلك واضحٌ من الاكفان . ومن انهُ استبان فضلهُ عند بيلاطس . ومن
هذه الجهة اخذ النعمة * وكفنهُ بعد ذلك ليس كما يُكفن مَن قد اُوجب الموت عليهِ . لكنهُ
كفنهُ على العادة المالوفة عند اليهود . افضل التكفين واجزلهُ قيمة . كمن يكفن
عظيماً عجيباً . فاذ حضرتهما ضيقة الوقت . (لان وفاته صارت في الساعة التاسعة * ثم في اثناء
دخولهِ الى عند بيلاطس . وحطهما جسده . وجب ان يكون المساء ادركهما . الذي لم يكن

جايزًا ان يعملا فيهِ عملاً *) فوضعاهُ في القبر القريب صقعهُ * ودُبرّ ان يوضع في قبرٍ جديد لم يكن وُضع فيهِ احد . حتى لا يُظن ان القيامة صارت لآخر موضوع معهُ . وحتى يستمكن تلاميذهُ ان يجيبوا بايسر مرام . ويصيروا معاينين ما يعرض . اذ كان المكان قريبًا . وان يكون لدفنهِ شهودٌ . ليس هولاء فقط . لكن الاعداء معهم * لان وضعهم على قبرهِ علامات . واجلاسهم هنالك جندًا يحرسونهُ . كان فعل شاهدين بدفنهِ . لان المسيح حرص ان يعترفوا بهذا الفعل . ليس بدون اعترافهم بقيامتهِ * ولهذا السبب اجتهد تلاميذهُ في ذكر تكفينهِ ودفنهِ اجتهادًا كثيرًا . حتى يوضحوا انهُ قد توفي * لان الزمان كلهُ الكاين بعد ذلك . استانف ان يحقق قيامتهُ * ولعمري ان دفنهُ وان كان انكتم في ذلك الحين . وما كان واضحًا جدًا . فانكتامهُ استانف ان يزول بذكر قيامتهِ * وما صار وضعهُ بالقرب . لاجل هذه الاغراض فقط . لكن حتى يستبين مع ذلك كذب قولهم من اجل سرقتهِ . الاصحاح العشرون (١) "وفي الواحد من السبوت (وهو يوم الاحد) جاءت مريم المجدلية في دلجةٍ عميقة بالغداة . وابصرت الحجر ماخوذًا من القبر *" لانهُ قام والحجر وسيمات خواتيمه موضوعة على حالها . واذ كان واجبًا ان يحقق ذلك عند الاخرين . فُتح قبرهُ بعد قيامتهِ . وعلى هذه الجهة صُدّق الكاين . وهذا الحادث حرّك مريم . لانها كانت تخلص الودّ لمعلمها جدًا * فاذ عبر السبت . ما احتملت ان تهدأ . لكنها جاءت في دلجةٍ عميقة . مومّلة ان تجد من المكان تعزية . فابصرت المكان والحجر ماخوذًا . فما دخلت . ولا اطلعت * لكنها حاضرت الى التلاميذ من وفور شوقها . لان هذا كان مقصودها الذى تحرص فيهِ . فارادت ان تعرف باسراعٍ كثير . ماذا كان من جسدهِ . لان احضارها اراد هذا المراد . والفاظها اوضحت ذلك . (٢) " لانها قالت . قد اخذوا ربي . ولست ادري اين وضعوهُ " * ارايت كيف ما عرفت بعد عن قيامتهِ قولاً واضحًا . لكن حالها حال حزينة . لما قد حدث عليها من نقلهم جسدهُ " فاخبرت التلاميذ بهذه الاقوال كلها خلوًا من تعجيل لها * لان البشير ما اعدم المراة مديحًا عظيمًا تقديرهُ . ولا استشعر ان خزيًا لهم ان يعرفوا منها هذه الاخبار . لما ادلجت في الليل ارلةً فعلى هذه الجهة يلمع في كل مكان ايثار الصدق من سجاياه * فاذ جاءت اليهم وقالت هذه الاقوال لهم . فاذ سمعها اوليك .

بادروا الى القبر بحرص جزيل . وابصروا اكفانهُ موضوعة * وذلك كان دلالةً على قيامتهِ *
لانهُ لو كان اناس نقلوهُ . لما كانوا عملوا هذا العمل . وهو ان يعرّوا جسدهُ * ولو كان اناس
سرقوهُ . لما كانوا احتملوا بهذا . بان ياخذوا عمامتهُ ويلفوها . ويوضعوها في موضع واحد من
القبر * لكنهم كانوا قد استلبوا جسده باوفر سرعتهم * لان لهذا المعنى سبق يوحنا فقال . انهُ
حُنط بمرٍ كثير * الصق اكفانهُ بجسدهِ * ليس بدون الصاق الرصاص * لكيما اذا سمعت
ان العمامة وضعت ناحيةً . والاكفان ناحية . لا تحتمل القايلين انهُ سُرق * لان سارقهُ على تمثيل
حالهِ . ما كان زايلاً فهمهُ زوالاً قد بلغ فيهِ . الى ان يفني اجتهاداً جزيلاً تقديره . في عمل
هو فضلة زايدة * لانهُ لمَ ترك اكفانهُ : كيف انكتم عنهُ افتعال ذلك : لان قد كان لايقاً بهِ ان
يفني وقتاً كثيراً . ويصير ظاهراً عند ابطايهِ وتشاغلهِ * فان قلت فما الغرض في وضعهِ
الاكفان ناحيةً . والعمامة ناحيةً ملفوفة * اجبتك لتعلم ان هذا الفعل ما كان فعلَ مَن كان
مسارعاً ولا مرتجفاً * وهو ان يضع تلك ناحيةً . وهذه ناحيةً . ويطويها * فمن هذا الفعل
صدقوا انبعاثهِ * لاجل هذا يستبين المسيح بعد هذه عندهم عظيماً * وصدقوا قيامتهُ . من بصرهم
الى ما فعلهُ باكفانهِ * وابصر ههنا اجتناب البشير الصلف . كيف يشهد لبطرس بالاستقصاء في
البحث . لانهُ اذ سبقهُ هو . وابصر الاكفان موضوعةً . ما فتش عن شي اكثر . لكنهُ وقف . الاَّ
ان ذاك الحارّ النشاط صار داخل القبر . وعاين كل ما كان داخلهُ بابلغ الاستقصاء . وعرف
مطلوباً اكثر * وبعد ذلك استدعى يوحنا الى النظر . لانهُ دخل بعد بطرس . وابصر الاكفان
موضوعةً مفترقة * لان قسمتها ووضعها مطويةً هذا ناحيةً . وذاك ناحيةً . كان فعلاً لمَن
فعل ذلك باهتمام * ولم يكن فعل مرتجفٍ فعلهُ على ما اتفق *

العظة الخامسة والثمانون

في انهُ ما ينبغي لنا ان ندفن الاموات بكفن جزيل القيمة . بل يجب ان نعمل عنهم صدقة
فتكون حالهم حالاً محمودةً *

فاذا سمعت انت ان سيدنا قام عارياً . فاكفف عن جنونك في التكفين * لان ما الذي

ترتاده هذه النفقة الزايدة المسلوبة نفعها: فهي تجلب للذين يكفنون خسارة كثيرة. وما يحصل لما صرف من الدنيا منها ولا صنف من فايدة * لكن ان اوجب ان اقول. انها تفيده مضرة * لان كثرة التنوق في التكفين. طالما صار علة لنبش القبر. وصيرت المدفون باهتمام واحتفال. ان يُرمى عارياً عديماً ان يكون مدفوناً. لكن ترحاً للشرف الفارغ. كم يظهر في النوح اقتساره. كم يوضح غباوته * فكثيرون ليلا يصير هذا. يفصلون تلك الشقاق الدقيقة. ويملاونها من افاوية وطيوب كثيرة. حتى يصير زوال الانتفاع بها للذين يسلبونها مضعفاً. ويدفعونها الى الارض على هذه الحال * انما هذه افعال المجانين: اما هذه اعمال المصروعين: يفصلون تفصيلهم ويعيبونه ايضاً ويتلفونه: ولعل احدهم يقول لي. اكي تحرق عند الميت اكفانه بصيانة. هذه كلها تحيل بها * فما رايك قل لي: فان لم ياخذ النباشون هذه الاكفان. افما يبليها السوس والدود: وان لم يفنيها السوس والدود. اما يتلفها الزمان والمدة: فلنعتقد ان الاكفان الموضوعة ليس يفنيها سوس ولا دود ولا زمان ولاصنف آخر. ولا يسلبها الذين ينبشون القبور. لكنها توجد عديمة ان يلامسها جسمنا الى القيامة. وتحفظ هذه باعيانها جديدة متطرية دقيقة. ما الذي يصير من هذه الجهة للموتى من منفعة اكثر: اذا اقيم جسمنا عارياً. تبقى هذه ههنا. وما تفيدنا نفعاً في تلك العقوبات * ولعلك تقول. ولمَ صار هذا التكفين في المسيح: فاجيبك. اوفق الافعال لك. الا تلبس اجسام الناس هذه الاكفان * والا فالزانية دفقت على رجلي سيدنا المقدستين دهناً مطيباً * فان وجب ان نتكلم في عزم هولاء. قلنا اولاً ان هذه الافعال صارت من الذين فعلوها. اذ لم يعرفوا القول في القيامة * ولهذا المعنى قال ,, انهم كفنوه على حدو العادة المالوفة عند اليهود *'' لان الذين اكرما المسيح ما كانا من الاثني عشر. لكن اوليك الذين ما اكرموه اكراماً كثيراً * لان الاثني عشر ما اكرموه هذا الاكرام. لكنهم اكرموه بمودتهم وبذ بحهم. وبالشدايد التي قاسوها من اجله * ولعمري قد كان ذلك اكراماً ادنى من هذا التكريم الذي ذكرته بكثير * ولمعني آخر قدمت ذكره * ان الكلام عندنا الان في اناس. وهذه الافعال كانت حينيذ في السيد * ولكي تعلم ان ولا صنفاً من هذه الاصناف له ذكر عند السيد المسيح. قال ,, رايتموني جايعاً. فاطعمتموني * وظامياً. فسقيتموني * وعارياً. فكسوتموني *'' متى ص ٢٥ ع ٣٧ وما قال

بجهة من هذه الجهات . وميتاً فدفنتموني * وهذه الاقوال اقولها ليس مبطلاً بها دفن اجسامنا .
لا كان ذلك * لكن اقولها قاطعاً بها تفريطنا . والمباهاة المسلوبة وقتها * ولعلك تقول · انما
يشتملني الى هذه الافعال . تالمي للماضي . وانجاعي له وتحنني عليهِ * فاقول لك . هذه الافعال ليست
افعال تحنن على الماضي . لكنها افعال الشرف الفارغ * والآن فان شيت ان تتوجع للميت * اريك
طريقةً اخرى لتكفينهِ . وعلمك ان تضع عليهِ ثياباً تقوم معهُ . وتجعلهُ بهياً منيرًا * لان هذه
الثياب ليس يفنيها السوس . ولا يبليها الزمان . ولا يسرقها الذين ينبشون القبور * فان قلت
ايما هي هذه : اجبتك · هي لبوس الصدقة * هذه الحلة تقوم مع الميت اذا قام · لان خاتم الصدقة
معهُ * من هذه الثياب يلمع الذين يسمعون حينيذٍ . ‹‹ رايتموني جايعاً فاطعمتموني * هذه الثياب
تصيرهم مشرفين * هذه تجعلهم ظاهرًا شرفهم * هذه تجعلهم في حياطة * واما الاكفان الان فلن
توجَد شياً آخر . الا ما كلاً للدود · ومايدةً للسوس * هذه اقولها ليس مانعاً ان نكفن موتانا ·
لكن اقولها لنعمل ذلك بمقدار . حتى نستر جسمهُ . ولا يُدفع الى الارض عارياً * لانهُ ان كان
قد امرنا الا نمتلك اذا كنا احياء ههنا شياً اكثر · ما خلا ما يسترنا . فاولى بنا والیق اذا توفينا .
الا نتكفن الا بما يستر جسمنا * لان جسمنا على تمثيل حالهِ اذا مات ليس يحتاج ثياباً . مثلما
يحتاجها اذا كان حياً متنفساً · لاننا اذا كنا احياء · نحتاج الى لبوس الثياب · لاجل البرد · ولاجل
حسن شكلنا . واذا توفينا لسنا نحتاجها · لاجل صنفٍ من هذه الاصناف * ليلا نضع جسمنا في
القبر عارياً · نحتاج الى اكفانهِ * وقبل الاكفان نمتلك الارض سترةً جيدة · الیق بطبيعة
اجسامنا * ولين كان حيث احتياجات هذا تقديرها ليس يجب ان نطلب فضلةً زايدة · فاولى
بنا اكثر حيث الضرورة ليسَت هذا مقدارها · والمباهاة قد فاتها وقتها * ولعلك تقول · الا ان
الناظرين الى دناءة الاكفان يضحكون علينا * فاقول لك · انفع ما تعملهُ · ولو ان الضاحك علينا
مَن كان · ان لا نهتم بهِ اهتماماً · ولا نحفل بمَن قد زال فهمه بهذه الصفة كثيرًا * والان فكثيرون
الذين يستعجبوننا كثيرًا ويقتبلون فلسفتنا * لان الموهلة للضحك ليسَت هي هذه الافعال · لكن
الافعال التي نفعلها الان موهلة للضحك علينا · اذا انتحبنا ونحنا · ودفنّا ذواتنا مع المايتين · هذه
موهلة الضحك والعقوبة * واما تفلسفنا في هذه · وفي الاقتصاد في الثياب · يسبب لنا اكلةً ومدايح .

وبصير جميع مَن يعرفنا ان يسرّ لنا ويستعجبون قدرة المسيح * ويقولون بالتعجب. كم هي قدرة المصلوب:
لانهُ قد حقق عند الهالكين البالين. ان الموت ليس هو موتاً * فما يعملون اعمال الهالكين. لكنهم
يعملون اعمال المشيّعين الى سفرٍ افضل قدراً. قد حقق عندهم. ان يلبسوا جسمهم هذا البالي
الارضي. ثوباً ابهى حسناً بكثيرٍ من ثياب القز الموشحة بالذهب. هو زوال البلى * ولذلك ليسوا
يجتهدون في دفنهم اجتهاداً كثيراً. لكنهم يحتسبون العيشة المكينة في الفضيلة كفناً عجيباً *
هذه الاقوال يقولونها. متى ابصرونا نتفلسف بها * ومتى ابصرونا متحبين عاملين اعمال النساء.
نجمع حولنا صنوفاً من نسوةٍ نادبات. يضحكون علينا. ويهزؤون بنا. ويثلبوننا مثالب جزيلاً
عددها. ويستهزئون بنفقتنا التي ننفقها باطلاً. وتعبنا الباطل * لاننا نسمعهم كلهم يثلبون افعالنا
هذه * وذلك على جهة الواجب جداً. لان اي اعتذارٍ نملكهُ. اذا جملنا جسمنا وزخرفناه للدود
والدود الذي ياكلهُ. وغفلنا عن المسيح عطشاناً. عارياً. جائلاً غريباً: فسبيلنا ان نكفّ عن حرصنا
هذا الباطل * ونكفن الماضين تكفيناً يوافقهم ويوافقنا لتمجيد الهنا * ونعمل عنهم صدقةً كثيرة
ونرسل معهم زاداتٍ جيدة * ولئن كان ذكر رجالٍ عجيبين قد فضلوا اجالهم. بعضد الاحياء*
لانهُ قال ,, لاعضدنّ هذه المدينة. لاجلي ولاجل داود صاحبي *" ملوك ٤ ص ١٩ ع ٣٤
فاليق واولى بالصدقة ان تعمل هذا العمل * لان هذه الصدقة اقامت امواتاً حين ,, وقفت الارامل
حول بطرس. يرينه ما كانت المسماة ظبية تعملهُ معهن *" ابركسيس ص ٩ ع ١٦ فلنستعد
هذه الاكفان. لكل مَن يقضي اجلهُ. اذا شارف ان يتوفي * ولنحقق عند الماضي ان يخلف شياً
للمحتاجين. ولنرسلهُ بهذه الثياب. وقد ترك لهُ المسيح وارثاً * ولئن كان الذين يكتبون الملوك
ورّاثاً. ويخلفون لاهلهم قسماً وثيقاً. فمَن قد خلف المسيح وارثاً مع بنيهِ. فافهم مقدار ما تستفيدهُ
من الموالاة. والاختصاص. والحياطة لهُ ولابنائهِ * هذه الاكفان هي جيدة نافعة * هذه تنفعنا
الباقين ههنا والماضين * ان تكفّنا هذا التكفين. سنكون في اوان القيامة بهيين. وان نجحنا
جسدنا. ونيسنا في انفسنا. سنقاسي هنالك مصاعب كثيرة. ونستوجب ضحكاً كثيراً * لان
فضيحتنا لن تكن يسيرة. اذا مضينا عراة من الفضيلة * وجسمنا على تمثيل حالهِ ليس يستخزي.
اذا لبث طريحاً قد عدم ان يكون مدفوناً. مثلما تستخزي نفسنا هنالك حينئذٍ. اذا ظهرت عارية

من الفضيلة * فينبغي ان نلبسها ونسترها في طول زماننا * ونهتم بها كثيرًا * فان اضجعنا ههنا ·
فلينبغي ان نستفيق ولو عند وفاتنا · ونوصي اهلنا ان يساعدونا بعد انصرافنا بالصدقة * فعلى هذه
الجهة يغيث احدنا صاحبه * فيتفق لنا امتلاك دالة كثيرة · بنعمة ربنا يسوع المسيح · الذي
معهُ لابيهِ مع الروح القدس · المجد والعز والاكرام · الان ودايماً · والى اباد الدهور كلها امين *

المقالة السادسة والثمانون

في قولهِ (١٠) ثم ذهب التلميذان الى ما يخصهما ايضاً * (١١) ووقفت مريم عند القبر خارجاً باكية *

ان جنس النساء بنحوٍ من الانحاء شديد الترثي · وهو اكثر جنوحاً الى الرحمة * وهذا قلتهُ ·
لكيلا تستعجب وتقول · ما السبب في ان مريم انتحبت عند قبر ربنا انتحاباً مرًّا · وبطرس ما عرض لهُ
عارض هذا تاثيرهُ · لانهُ قال ان التلميذين ذهبا الى ما يخصهما · ووقفتْ هي باكية · لان طبيعتنا
سريعة السقوط · وماعرفت بعد القول في القيامة معرفةً واضحة · على نحو ما ابصر التلميذان
اكفانه وصدقا · وذهبا الى ما يخصهما مدهوشين . فان قلت . فلمَ ما جاء في الحين الى الجليل ·
على حدو ما وعدهم قبل تالمهِ · اجبتك · لعلهُ انتظر باقيهم * وايضًا قد كانوا في روعةٍ نامية *
فالتلميذان ذهبا · وتلك وقفت عند الموضع * لان على ما ذكرت ان بظهور قبره اوصل الى تعزية
عظيمة * فقد رايت هذه الفاضلة تطلع فيهِ مريدة ان تبصر المكان الذي وضع جسدهُ فيهِ · حتى
تنيح اكثر * ولهذا السبب استمدت لحرصها هذا الكثير ثواباً · لم يكن يسيرًا * لان ما لم يبصرهُ
التلميذان · هذا ابصرتهُ المراة اولاً * وذلك كان ملاكين جالسين · احدهما عند رجليه · والاخر
عند راسهِ · بلبوس ابيض · شكلهما مملوء بهجة كثيرة وفرحاً * لان تمييز المراة اذ لم يكن عالياً · حتى
تقتبل من اكفانهِ قيامتهُ · تكوّن شيء اكثر اقناعاً · وان تبصر ملاكين جالسين بشكل بهي · حتى
من هذه الجهة تنهض عاجلاً من تالمها وتتعزّى * الا انهما ما ذكرا لها قولاً في قيامتهِ · لكنهما
درّجاها بسكون الى هذا الاعتقاد * ابصرت وجهين بهيين · وابصرت شكلهما حسنًا بهياً اكثر
من الشكل المالوف · وسمعت نغمتهما مترئبة * لانهما قالا (١٣) "يا امراة ما يبكيكِ · "فبكافة
اشكالها التي مثالها مثال باب مفتوح · درّجاها الى الكلام في قيامتهِ * وحال جلوسهما · اقتادها الى

ان تسالها * لانهما اظهرا انهما قد عرفا الكاين * ولهذا المعنى ما جلسا معاً · لكن جلس احدها مبتعداً من الاخر * لان اذ ما كان واجباً ان تجتري هي ان تسالها على بسيط ذات السوال · اقتادتها الى مخاطبتهما · بسوالها اياها عن بكايها · وبحال جلوسهما * فقالت بحرارة شوقها وباخلاص ودّها · ،، اخذوا ربي · ولستُ ادري اين وضعوهُ * " وانا اخاطبها : ماذا تقولين · اما قد عرفت بعد قولاً في ذكر قيامتهِ · لكنكِ تخيلين ايضاً وضعهُ : أرأيت كيف ما اقتبلت بعد رايا عالياً :(١٤) ،، واذ قالت هذه الاقوال · التفتت الى ورايها *" ولعلك تقول · واي سبب يتبع هذا . ان تلتفت الى ورائها . وهي تكلمهما وما سمعت بعد منهما قولاً : فاقول لك على ما يلوح لظني · انها اذ قالت هذه الاقوال · ظهر المسيح بغتةً خلفها · فاراع الملائكين * فاذ عاينا سيدهما · اظهرا في الحين بشكلهما · وبنظرتهما وبحركتهما · انهما قد ابصرا ربهما · فبهذه الحال منهما استمالت الامراة الى الالتفات الى ورائها * فظهر لاوليك بهذه الصفة · ولم يظهر للمراة بهذه الصورة · حتى لا يربعها من نظرتها الاولى اليهِ * لكنهُ ظهر لها بشكل احقر الاشكال عامي * وذلك من انها توهمتهُ بستانياً * فما وجب ان تصاعد الذليلة العزم بهذه الصفة الى الاراء العالية باسراع · لكن بسكون · فسالها ايضاً (١٥) ،، ياامراة ما يبكيكِ : ولمن تطلبين : فبهذا القول اظهر لها · ان تعرف من يريد ان يسالها · واقتادها الى اجابتهِ * فاذ فهمت المراة ذلك · لم تذكر ايضاً اسم يسوع · لكنها احلتهُ محل مَن قد عرف سايلهُ عمَّن يستخبرهُ · وقالت ،، ان كنت حملتهُ · فقل لي اين وضعتهُ · وانا احملهُ ،، واخذهُ · فقد ذكرت ايضاً وضعهُ وحملهُ واخذهُ · كمتكلمةً في وصف ميت * فبهذا هو المعنى الذي استبان لها · ان كنتم قد حملتموهُ · لاجل خوفكم من اليهود من ههنا · فقولوا لي · وانا اخذهُ * فكثيرة مودّة هذه الامراة · اخلاص ودّها عال جزيل * وليس يبدو منها رايٌ عظيمٌ بعد * ولهذا المعنى وضع لها معرفتهُ · ليس بنظرهِ · لكن بنغمتهِ * وكما انهُ عُرف حيناً عند اليهود · واحياناً كان حاضراً وكانما وضوحهُ عنهم · فكذلك عند تكلمهِ كان · اذا شاء يجعل ذاتهُ معروفاً * لانهُ حين قال لليهود · لمن تطلبون : وما عرفوا وجههُ · ولا صوتهُ · الى ان شاء * وهذا العارض فقد عرض ههنا · فسمّى اسمها فقط · يعيرها ويهجن رائها · لانها تخيلت هذه الحوادث من اجل حي * فان قلت · فكيف يقول انها (١٦) التفتت اليهِ · ان كان قد خاطبها : اجبتك على ما

اظن . انها اذ قالت اين وضعتموهُ : التفتت الى الملاكين . على انها تسالهما . ما بالهما ارتاعا : ثم لما سماها المسيح . التفتت اليهِ . من نظرها الى ذينك * وجعل ذاتهِ بصوتهِ واضحًا عندها * لانهُ حين دعاها مريم حينئذٍ عرفتهُ . فعلى هذه الجهة ما كانت معرفتها اياهُ من وجههِ . لكن من صوتهِ * فان قلت فمن اين يستبين ان الملاكين ارتاعا ولاجل ذلك التفتت المراة الى ورايها . ونقول ههنا من اين يستبين انها لمستهُ وسجدت لهُ : اجبتك . كما ان هذا واضحٌ من قولهِ لا تلمسيني . وكذلك يستوضح من قول البشيرانها التفتت * فان قلت . فلمَ قال لها . (١٧) ،، لا تلمسيني : " اجبتك . قد قال قايلون انها تستميحهُ منةً روحانية * اذ سمعتهُ مع الرسل قايلاً . ،، اذا ذهبتُ الى عند ابي . سالتهُ فيعطيكم معزيًا اخر * " يوحنا ص ١٤ ع ١٦ وكيف سمعت هذه الاقوال مَن لم تكن حاضرة مع تلاميذهِ : ولمعنى آخر . ان التخيل الذي هذا حالهُ . منتزح من تمييز المراة * وكيف تستميحهُ . وما كان بعد مضى الى عند ابيهِ : فعلى حسب ظني . ان هذه المراة ارادت ان تاتلف بهِ ايضاً . كايتلافها بهِ . فى ذلك الحين . ومن فرحها بهِ . لم تفهم عنهُ راياً عظيماً * اذ كان قد افضل حالاً فى ذات لحمهِ بمقدار كثير * فاذ عجزها عن هذه الهمة . وعن مخاطبتها اياهُ بجبانة كثيرة . (لانهُ يستبين فيما بعد انهُ . ولا لتلاميذهِ سامح بمثل ذلك) اعلى تمييزها حتى تنظر اليهِ باوفر الاحتشام واجزلهِ * فمعنى قولهِ ،، لا تلمسيني " * هو لا تقربيني كالحال السابق . فان احوالي ليست هي في درجات هي هي باعيانها . ولا استانف ان ايتلف بكم فيما بعد على شبه ذلك الايتلاف الاولى . لكن ذلك مضادٌّ . ومشتمل تفخماً وتعظماً * ولفظة قولهِ ،، لم اصعد بعد الى ابي " كان قولاً موضحاً عزمهُ بعينهِ خالياً من استثقال ذلك * لانهُ لما قال ،، انني ما قد صعدت بعد . " اظهر انهُ مبادر مسارعٌ الى ذلك . والمعتزم ان يذهب الى هنالك . ولا يتصرّف مع الناس ايضاً . ليس يجب ان نبصرهُ بتلك البصيرة بعينها . التى ابصرناهُ بها قبل ذلك * والدليل على ان هذا هو معنى ذلك . يوضحهُ ما يتلوهُ * لانهُ اذ قال هذا القول قال ،، انطلقي وقولي لاخوتي . اني امضي الى ابي وابيكم والهي والهكم " . على ان ما اعتزم ان يعمل هذا العمل فى ذلك الحين . لكنهُ استانف ان يعملهُ بعد اربعين يوماً . وانما قال هذا القول . مريداً ان ينهض تمييزنا . ويحقق عندنا انهُ ينطلق الى السموات * ولفظة ابي وابيكم . والهي والهكم . هي مناسبة لتدبيرهِ * لان لفظة الصعود

هي مناسبة لجوهِ * لان هذه الالفاظ قيلت · للتي لم تخيل فيهِ تخيلاً عظيماً * فان قلت · فعلى جهة اخرى الله ابوهُ · وعلى جهة غيرها الله ابونا : اجبتك · هذا اعتقاد صايب جداً * ولين كان اله الصديقين على جهة اخرى · واله الناس الاخرين على جهة غيرها · فاولى بهِ والبق ان يكون اله ابيهِ · والبق ان يكون اله ابنهِ بذات لجوهِ على جهة اخرى · والهنا على جهة غيرها * لانهُ لما قال ،، قولي لاخوتي ،، فلكيلا يتخيلوا من هذا القول مساواة لهُ · اوضح الفصل المتباين بينهما · لانهُ هو ازمع ان يجلس على كرسي ابيهِ · وهولاء يقفون لديهِ * فمن هذه الجهة وان كان صار اخانا بالجوهر الذي في لجوهِ · الا انهُ قد فضل علينا في الكرامة فضلاً جزيلاً · ليس يجة لنا ان تقول مقداره * (١٨) ،، فهذه ذهبت فقالت لتلاميذهِ هذه الالفاظ بهذا المقدار الجزيل يوجد الصبر والثبات نافعاً لنا * واذ اعتزموا ان يذهبوا الى هنالك · كيف ما املوا ان يعاينوهُ · ولا تكلموا نظير ما تكلموا فيما سلف : فهذا العارض عرض لهم حينئذٍ · على ما يعرض من اجل ميت · فلمّ استانفوا الان ان يجعوا حزناً على مَن قلم : فوصفت نظرهُ والفاظهُ · التي كانت فيها كفاية ان تعزيهم * واذ كان لايقاً بتلاميذهِ · اذ سمعوا هذه الاخبار · اما الا يصدقوا المراة · واما ان يصدقوها · ويمضهم انهُ ما اهّلهم النظر اليهِ * على انهُ قد وعدهم انهُ يظهر لهم في الجليل * فلكيلا يغتموا اذا رددوا هذه الافكار في نفوسهم · ما سمح ان يعبر يوم واحد · لكنهُ اقتادهم الى اشتهاء النظر اليهِ مقاماً · وقد كانوا خايفين عطاشاً الى ان يبصروا ما سمعوهُ من المراة * وهو لعمري صيّر شوقهم اكثر ارتياحاً * حينئذٍ اذ صار المساء · وقف بهم بعجب كثير * فان قلت · فما غرضهُ في انهُ ظهر لهم عند المساء : اجبتك ظهر حين كان لايقاً ان يوجدوا مرتاعين * لكن المستعجب منهم كيف ما توهموهُ خيالاً * لانهُ دخل اليهم · والابواب مغلقة بغتة · فابلغ ما يقال ان المراة · اذ سبقت فاخبرتهم · جعلت اماناتهم كثيرة * ولمعنى آخر · انهُ اظهر لهم وجههُ انيساً واضحاً * وما وقف بهم نهاراً · حتى يلتيموا كلهم معاً * لان ارتياعهم كان كثيراً · وعلهم من ظهورهِ جزيلاً · لانهُ ما قرع الباب * لكنهُ وقف في وسطهم على غفلة * ،، واراهم جنبهُ ويديهِ * ،، وسكّن بصوتهِ فكرهم · وقد كان متموجاً اذ قال (١٩) ،، السلامة لكم * ،، ومعنى ذلك هو · لا ترتجفوا * فاذكرهم بالكلمة التي قالها لهم قبل صليبهِ · وهي * ،، سلامتي اخلفها لكم * وقال ايضاً ،، قد ملكتم بي سلامتكم * وستقاسون في الدنيا

ضغة * (٢٠) ,, ففرح التلاميذ . اذ ابصروا ربنا '' * ارايت اقواله خارجة الى افعالها
لان ما قاله لهم قبل صليبه . ,, ساابصركم ايضاً . ويفرح قلبكم * وسروركم فليس ياخذه احد
منكم * '' هذا القول قد اتمه بفعله * فهذه كلها قد حصلتهم في امانة ابلغ ايضاً من غيرها *
لانهم اذا استقنوا بينهم وبين اليهود حرباً . قد زالت المسالمة عنها . يقول لهم بمداومة . ,, السلامة
لكم * '' يعطيهم التعزية معادنة للحرب * هذه اللفظة قالها اولى بعد قيامته * ولذلك قال بولس
في كل موضع من رسايله . ,, نعمة لكم وسلامة * '' متى ص ٢٨ ع ٩ الا انه بشر النسا بالفرح *
لان ذلك الجنس كان في غموم * وهو اقتبل لعنة اولى . فعلى جهة المساواة بشر الرجال بسلامة .
لاجل الحرب الثاير عليهم * وبشر النساء بالفرح . لاجل غمهم * ونقض الحوادث الحازنة *
وقال ان محامد صليبه التي احكمها . هي سلامة * كانه قال . قد بطلت العوايق والموانع كلها .
ونصبة الظفر بهيا . واصطلحت الاحوال كلها . ثم قال بعد ذلك . (٢١) ,, مثل ما ارسلني ابي .
ارسلكم انا * '' فما تستقنون من الصعوبة صنفاً . من تلقا افعالي الكاينة فيما سلف . من تلقا رتبتي
مرسلكم * ولذلك قال ههنا . يرفع نفسهم . ويريهم قوله المؤهل لتصديقه كثيراً . ان استانفوا
ان يتقلدوا فعله كثيراً * وليس يقرب الى ابيه ايضاً سوالاً . لكنه اعطاهم القدرة بتأمره * (٢٢)
لانه ,, نفخ فيهم . وقال . خذوا روحاً قدساً (٢٣) اذا صفحتم لاناس عن خطاياهم . فقد صفحت
لهم * وان ضبطتم على اقوام خطاياهم . فقد ضبطت عليهم * '' لان بمنزلة ملك عزيز . اذا ارسل
روساه . اعطاهم سلطاناً . ان يطرحوا في الحبس من ارادوا وان يطلقوا منه . لمن شاءوا . فكذلك
لما ارسل سيدنا رسله وشجعهم في هذه المقدرة * فان قلت وكيف قال ,, ان لم اذهب انا فليس
يجي ذلك المعزي * '' وقد اعطاهم الروح : اجبتك . قد قال قايلون انه ما اعطاهم الروح . لكنه
جعلهم بنفخته متسومين لقبول الروح * ولين كان دانيال لما ابصر ملاكاً زاغت بصايره . فما
الذي ما كان اصابهم الذين اقتبلوا تلك النعمة الممتنع وصفها . لو صيرتهم فيما سلف تلاميذها
ولهذا المعنى زعم . ما قال قد اخذتم روحاً قدساً . لكنه قال ,, خذوا روحاً قدساً * فليس
يغلط من يقول انهم حينيذ اخذوا سلطاناً روحانياً ونعمة * لكن ليس حتى يقيموا امواتاً .
ويعملوا قوات . لكن حتى يصفحوا عن الخطايا * لان مواهب الروح مختلفة * ولذلك استثنى بقوله .

اذا صفحتم عن اناس · فقد صفح عنهم * موضحاً ايما نوع فعل اعطاهم * فهنالك بعد اربعين يوماً اخذوا اجتراح الايات * ولذلك قال · ،، تاخذون مقدرة . بورود الروح القدس اليكم * وتكونون شهوداً لي * ،، وصاروا بالايات شهوداً * لان نعمة الروح يمتنع وصفها · وموهبتها جزيلة انواعها * وهذا صار لتعلم . ان موهبة الاب والابن والروح القدس واحدة * وسلطانهُ واحدٌ * لان المواهب التى نظن انها توجد مختصة بالاب · هذهِ تستبين انها مختصة بالابن والروح القدس * فان قلت . فكيف قال ،، ان ولا واحداً يجي الى الابن · ان لم يجتذبهُ الاب : ،، اجبتك · الاَّ ان هذا الفعل يستبين انهُ موجود للابن · لانهُ قال ،، انا هو الطريق · ليس يجي واحدٌ الي الاب الاَّ بي * ،، وابصر هذا الفعل للروح القدس موجوداً * لان بولس قال ،، ليس احد يقتدر ان يقول ان يسوع ربٌّ · الاَّ بالروح القدس * ،، والرسل ايضاً اعطوا الكنيسة حيناً من الاب · وحيناً من الروح القدس * وتوزيعات المواهب نبصرها موجودة للاب والابن والروح القدس *

العظة السادسة والثمانون

في انهُ يجب علينا ان نكرم كهنتنا ولو كانوا ارديا في عيشتهم · لانهم هم يعطون جواباً عنا *

فسبيلنا ان نعمل كل ما يمكننا حتى نقدر ان نستقني الروح القدس عندنا * ونخدم بتكريم كثير . فعل مَن فُوِّض الروح اليهِ * لان رتبة الكهنة عظيمة * لانهُ قال . ،، اذا صفحتم لاناس عن خطاياهم . فقد صفح لهم عنها * ،، عبرانيين ص ١٣ ع ١٧ * ولهذا السبب قال بولس ،، اقبلوا من مقتاديكم وطيعوهم · واحتسبوهم افضل من الزيادة في تكريمهم * لانك انت اذا اهتممت باحوالك وسجاياك · فمتى دبرتها تدبيراً صايباً · فليس يكون لك اهتمام بالناس الاخرين * ولا تبعة عليك منهم * واما الكاهن فان دبرَّ عيشته تدبيراً صايباً حميداً · ولم يهتم بعيشتك اهتماماً بابلغ الاستقصاء في اصلاحها · فسيذهب مع الخبثاء الى جهنم * وربما لا تسلمهُ خطاياه قد اجترمها · فتهلكهُ خطاياكم · اذا لم يتم جميع الافعال الواردة اليهِ * فاذ قد عرفتم جسامة الخطر التي تشملهم اوزعوهم حباً جزيلاً * وهذا فقد ذكرهُ بولس ذكراً غامضاً فقال · ،، لانهم يسهرون من اجل نفوسكم * سهر الذين يؤدون جواباً عنكم * فلهذا يجب ان تمنعوهم بخدمة كثيرة * ،،

عبرانيين ص ٥ ع ١٧ فاذا شتمتموهم مع الناس الاخرين انتم ايضاً · فلن تكون احوالكم جيدة * لان مدبر السفينة ما دام مقيماً في فرح · تكون احوال ركابها في حياطة * فاذا ثلبوهُ وعادوهُ · يضوي باغتمامهِ · وما يمكنهُ ان يسهر نظير سهرهُ الاول · ولاان يستخلص صناعتهُ مما يفسدها · فيورط الركاب معهُ كارهاً في بلايا جزيل عددها * فكذلك الكاهن اذا تمتع بالخدمة منكم · يمكنهُ ان يدبر احوالكم تدبيرًا حميدًا * وان القيتموهُ في اغتمام · فقد حللتم قوة يديه · وصيرتموهُ متقلباً في الامواج معكم · ولو كان جليدًا * تفطن فيما قالهُ المسيح من اجل اليهود · ،، على كرسي موسى قد جلس الكتبة والفريسيون * فكل ما يقولون لكم ان تعملوهُ · اعملوهُ * " فالان ليس يجب لنا ان نقول · ان كهنتنا قد جلسوا على كرسي موسى · لكننا نقول انهم قد جلسوا على كرسي المسيح *لانهم قد اغتصبوا تعليم المسيح · واقتبلوهُ * ولذلك قال بولس · ،، عوض المسيح تتشفع اليكم وراي الهنا راي متوسل بنا اليكم *" قرنتيه ثانيه ص ٥ ع ٢٠ اما قد رايتم جميع الحاضرين بحضرة الرؤساء الذين خارج محلتنا · ينحنون ساجدين لهم · وربما كانوا افضل من اوليك الرؤساء في عيشتهم · وفي فهم * لكنهم مع ذلك · لاجل مَن اعطاهم الرياسة · ما يتفطنون في صنف من هذه الاصناف · لكنهم يحتشمون اختيار الملك · ولو كان متقلد الرياسة مَن كان من الناس * ثم اذا كان خوف هذا تقديرهُ يكون لمن ينتدبهُ انسانٌ · فاذا انتدب الله انساناً · فاعرضنا نحن عن المنتدب وشتمناهُ · وغسلناهُ بتعييرات جزيل عددها · ومنعنا اخوتنا من تفضيلهِ · وارهفنا لساننا على كاهننا · اين تكون هذه الافعال موهلة للاعتذار · اذ لم نبصر الجسر الذي في عيننا · وفتشنا على التنفة من العود اي عين رفيقنا تفتيشاً مرًا · اما تعلم انك اذا قضيت هذا القضاء · انما تجعل مجلس القضاء عليك اصعب بحثاً وتفتيشاً * هذه الاقوال اقولها ليس متقبلاً الذين يدبرون الكهنوت تدبيرًا عديماً ان يكون اهلاً لهُ · ولا مستحسنا زللهم · لكنني اقولها راحماً لهم باكياً عليهم * ولست لهذا السبب اقول انهُ يكون عدلاً ان تحكم عليهم رعيتهم اي مَن يروسونها · ولو كانت عيشة الرؤساء مرفوضة جدًا * فانت اذا تيقظت لنفسك . فما تنضرّ في الافعال التي فوضها الله الى الكاهن * لانهُ اذا كان صوت حمار اباح اطلاقاً · ووهب بجادس معزم بركات روحانية · وبفم بلعام ولسانهِ النجس · فعل فعلهُ من اجل اليهود الذين صادموهُ · فاولى بهِ واليق ان يفعل افعالهُ كلها من

اجلكم الخالصين الودّ لهُ · وان كان كهنتكم ارديا جداً * يرسل روحهُ القدوس * لان الطاهر ليس من طهارتهِ يستمد الروح · لكن النعمة هي الفاعلة المطلوب كلهُ * لان الرسول قد قال ,, المواهب كلها لاجلكم * ان قلتم بولس · ان ذكرتم ابوللس · ان قلتم الصفا * ,, لان الافعال التي اوتمن عليها الكاهن · من الله هي فقط موهوبة * والى اينما اتصل الفلسفة الانسانية تستبين انقص من تلك النعمة * فهذه الاقوال اقولها ليس لندبر بالتضجيع عيشتنا · لكنني اقولها لكيلا تنى ما ضجع المتقدمون عليكم · تجمعوا انتم المروسين البلايا في اكثر الاوقات لذواتكم * وما معنى ذكرى الكهنة · وليس يقتدر ملاك · ولا رئيس ملايكة · ان يعمل عملاً في المواهب المعطاة من الله * لكن الاب والابن والروح القدس يدبر افعالهُ كلها · والكاهن يقرضهُ لسانهُ · ويخولهُ يدهُ * لان ليس يكون عدلاً · ان ينضرُ الذين يتقدمون بامانة الى دلايل خلاصنا · لاجل رذيلة غيرهم * فاذ قد عرفنا هذه الاقوال كلها · فلنتقي الهنا * ولنكرم كهنتهُ * ونوزعهم كل اكرام * لكي لاجل المحامد التي نحكمها * ومن اجل خدمتنا لاوليك · ناخذ المجازاة من الله كثيرة * بنعمة ربنا يسوع المسيح ونعطفه الذي معهُ لابيهِ · مع الروح القدس المجد والعز والاكرام · الان ودايماً والى اباد الدهور كلها امين

المقالة السابعة والثمانون

في قولهِ (٢٤) وتوما احد الاثني عشر · ما كان معهم حين جاء يسوع * (٢٥) فقال لهُ التلاميذ الاخر · قد ابصرنا الرب * فقال ان لم ابصر في يديهِ *

كما ان التصديق على بسيط ذاتهِ · وعلى ما اتفق · هو من سهولة الانعطاف · فكذلك التفتيش الخارج عن الاعتدال والبحث الكثير · هو من تمييز اكثف فهماً * ولهذا السبب · يُشكى توما · لانهُ ما صدق الرسل الذين قالوا لهُ ,, قد راينا الرب ,, * فما انكر بهذا المقدار قول اوليك · بمقدار احتسابهِ بما ذكروهُ انهُ يوجد ممتنعاً · وهو القيام من بين الاموات * لانهُ ما قال لست اصدقكم انتم · لكنهُ قال ان لم اولج اصبعي · فلستُ اصدقكم * فان قلتُ فكيف اذا كانوا كلهم ملتيمين تخلّف عنهم هو وحدهُ · اجبتك · قد كان لايقاً ان يتخاف من تلقاء الشتات الكاين فيما سلف لهم

ما كان بعد عاد اليهم حينئذٍ * فانت اذا رايت التلميذ زايلاً تصديقهُ · فتظن في تعطف سيدنا · كيف من اجل نفس واحدة . اراهم ذاتهُ حاوياً جراحاتهُ . وجاء اليهم ليخلص الواحد * على انهُ قد كان اكثف عزماً من الاخرين * فلهذا السبب طلب بجسهِ الاكثف من غيرهِ الامانة · وما صدق عينيه * لانهُ ما قال ان لم ابصر . لكنهُ قال ان لم افتش . ليلا يكون الملحوظ خيالاً * على ان التلاميذ الذين قالوا لهُ هذه الاقوال حينئذٍ . قد كانوا موهلين لتصديقهم * وربما قد وعدهم بذلك * الا انهُ مع ذلك . اذ التمس اكثر . ما اعدمهُ المسيح ذلك * فان قلت · ولمَ ما ظهر لهُ في الحين . لكن بعد ثمانية ايام : اجبتك . حتى تعلمهُ التلاميذ فيما بعد . ويسمع منهم هذا القول بعينهِ . ويحترق بشوقٍ اكثر · ويصير فيما يستانف اكثر تصديقاً * فان قلت · ومن اين عرف ان جنبهُ فُزر : اجبتك سمع من التلاميذ ذلك * ولعلك تقول · فكيف صدّق قولهم ذاك · وما صدق قولهم هذا : فاجيبك · ان قولهم عن قيامتهِ كان بديعًا مستعجباً وتامّل لي ايثار الرسل الصدق · كيف ما يكتمون النقايص . لا التي لهم . ولا التي لغيرهم · لكنهم كتبوها بحقيقةٍ كثيرة * ،، فوقف بهم يسوع ايضاً * " وما تصبر لكي يسالهُ ذاك . ولا ليسمع قولاً هذا معناه . لكنهُ اذ لم يقُل ذاك قولاً · سبق هو فتمم ما اشتهاهُ ذاك . ووضحًا ان توما حين كلّم بهذه الاقوال التلاميذ : كان هو حاضرًا * لانهُ استعمل الفاظ توما باعيانها حينئذٍ * على جهة الزجر والنهي لهُ جداً * وعلى جهة التاديب لهُ فيما يتلو ذلك * لانهُ اذ قال لهُ . (٢٧) ،، هات اصبعك · وابصر يدى . واولج يدك في جنبي " . استثنى بقولهِ ،، ولا تكن عادماً ان توجد مومناً " * ارائت ان تشكيكه انما كان · من زوال تصديقهِ : لكن هذه كانت حالهُ قبل ان ياخذ الروح · ولم تكن فيما بعد حالهُ هذه الحال * لكنهم بعد ذلك صاروا كلهم كاملين * وما زجرهُ بهذا القول فقط · لكنهُ زجرهُ مع ذلك باقوالهِ التالية هذا القول * لان ذاك لما استفاق ايضاً . وتنفس . وتحقق عندهُ مطلوبهُ · وصاح (٢٨) ،، ربي والهي * قال لهُ (٢٩) لانك ابصرتني صدقت وامنت : مغبوطون الذين ما ابصروني وامنوا بي * " لان هذا هو حد الامانة · اي تصديق الاشياء التي ليست ملحوظة · والايقان بها * لان قد توجد امانة . شخص الاشياء المامولة · انكشاف اصنافٍ ليست ملحوظة * فههنا ليس يطوّب تلاميذهُ وحدهم · لكن يطوّب معهم الذين يومنون

بعد اوليك * على ان البشير قد قال · ان التلاميذ ابصروهُ وامنوا * الا انهم ما التمسوا مطلوباً
هذه صفتهُ · لكنهما من الاكفان اقتبلا الايقان بقيامتهِ في الحين * وقبل ان يعاينا جسدهُ · اقتبلا
الامانة كلها * فاذا قال الان قايل · قد كنت اتمنى ان اكون في تلك الازمان · وابصر المسيح
مجترحاً عجايبهُ * فليتهم ان مغبوطين الذين ما ابصروها وصدقوها * ولعمري ان صنفاً موهلاً
للتحيّر منهُ · كيف اظهر جسماً قد عدم ان يكون بالياً . رسوم المسامير · وصار ملموساً بيدٍ انسانية ·
ولكن لا ترتجف * فان الكاين كان من تحدرهِ وتقاربهِ * لان جسماً على تمثيل حالهِ لطيفاً خفيفاً
قد وصل في لطافته الى ان يدخل من ابواب مغلقة · وقد تخلص من الكثافة كلها · ولكن حتى
تصدق قيامته · بيّن هذا المعنى * وحتى تعرف ان هذا كان الذي صُلب · ولم يقم اخر بدلاً منهُ ·
لهذا الغرض قام حاوياً علامات صلبيهِ * واكل لهذا الغرض بعينهِ · ورسلهُ في اعلى كلامهم · صيروا
هذا علامةً لقيامتهِ · اذ قالوا ،، نحن الذين اكلنا معهُ وشربنا معهُ * ,, وكما اننا اذا ابصرناه قبل
صلبيهِ ماشيًا على الامواج · فلسنا نقول ان ذلك الجسم من طبيعةٍ اخرى · لكنهُ من طبيعتنا ·
فكذلك اذا رايناهُ بعد قيامتهِ حاوياً رسوم المسامير واثارها · لسنا نقول انهُ يوجد فيها بعد بالياً * لانهُ
لاجل تلميذهِ اظهر هذا الرسوم * قال (٣٠) ،، وايات اخر كثيرة عملها يسوع * ,, لان هذا البشير
لما ذكر ايات اقل عدداً من الايات التي وصفها البشيرون الاخرون · قال · ولا باقي البشيرين
كلهم ذكروا اياتهُ كلها · لكنهم انما وصفوا ما كانت كافية · ان تجتذب سامعيها الى الايمان بهِ *
لانها لو كانت كتبت زعم كلها · ولا العالم على حسب ظني كان يسع مصاحفها * فواضح من هذه
الجهة · ليس لاجل مباهاة قالوا ما كتبوهُ · لكنهم انما قالوا ذلك لاجل قصد نافع فقط * لان
الذين تركوا اكثر عجايبهِ . كيف كتبوا ههنا لاجل مباهاة : فان قلت . فلمَ ما وصفوها كلها :
اجيبك · اكثر ما اعتمدوا في ذلك . لاجل كثرتها * ثم تفطنوا ايضًا في ذلك المعنى · ان من لا
يصدق ما قالوهُ . فما يصغى ولا الى الاخبار الاكثر من هذه * ومن يقتبل هذه التي وصفوها · لن
يحتاج الى غيرها لايقان تصديقهِ * ويلوح لظني ههنا عاجلاً ان يذكر الايات الكاينة بعد قيامتهِ ·
ولذلك قال ،، بحضرة تلاميذهِ * ,, لانهُ كما وجب ان يصير قبل قيامتهِ ايات كثيرة · ليصدقوا
انهُ ابن الله . فكذلك وجب ان تكون ايات كثيرة بعد قيامتهِ * ليوقنوا و يقتبلوا انهُ قد قام *

ولذلك اضاف الى قوله . ،، بمحضر تلاميذه ،، * اذ بعد قيامته بهم وحدهم ايتلف . ومعهم حضر * ولذلك قال . ،، والعالم ليس يبصرني ايضاً لكي تعلم ان لاجل تلاميذه فقط . حدث ما حدث * استثني بقوله . (٣١) ،،حتى اذا صدقتموها تملكون حياة دهرية باسمه * فقد خاطب طبيعتنا خطاباً عاماً * واوضح انهُ ليس يهبها لذاك الذي صدقها . لكنهُ يهبها لنا الذين وهب لنا العطايا الجسيمة باسمه * ومعنى ذلك هو به . لانهُ هو الحياة * الاصحاح الحادي والعشرون (١) ،، وبعد ذلك اظهر ذاته لتلاميذه . عند بحيرة طبرية ،، ارايت انهُ ليس يقيم معهم كما كان فيما سلف : لانهُ ظهر لهم في المساء وانتزح * ثم ظهر لهم بعد ثمانية ايام دفعةً واحدة * وابتعد ايضاً * وبعد ذلك ظهر لهم عند البحيرة بخيفةٍ كثيرة ايضاً * فان قلت وما معنى اظهر ذاته : اجبتك . من هذا يبين واضحاً . انهُ ما شوهد الا بتحدر وتقارب * لان جسمهُ فيما بعد موجود قد عدم ان يكون بالياً وميتاً * فان قلت . فلمَ ذكر المكان : اجبتك موضحاً انهُ قد انتزح عنهم اكثر الخوف * وحالهم فيما بعد حالتي من خرجوا من المنزل . يجولون كل مكان * لانهم ما كانوا محبوسين في البيت ايضاً . لكنهم انطلقوا الى الجليل . منحرفين عن خطر اغتيال اليهود * ،، فجاء سيمون ليصطاد ،، * لانهُ اذ لم يقم هو معهم اقامةً متصلة . ولا كان الروح قد دُفع اليهم . وكانوا حينيذٍ ما قد فوّض اليهم بعد خدمة . ولا امتلكوا عملاً يعملونهُ . استعملوا صناعتهم * (٢) وكانوا معاً ،، سيمن وتوما وناثانايل الذي دعاه فيلبوس . وابنا زبدي . واثنان اخران * فاذ لم يستقنوا عملاً يعملونهُ . خرجوا الى الصيد . وعملوا هذا العمل في الليل . بسبب انهم كانوا خايفين * وهذا فقد ذكرهُ لوقا * لكن ليس تصيدهم هذا التصيد الذي بصفةُ ذاك . لكن هذا غير ذاك * ولحقهم التلاميذ الاخرون * لاجل ارتباط بعضهم ببعض * ومع ذلك فاثروا ان يبصروا التصيد . ويجعلوا حال شغلهم محموداً * فبعد تعبهم وشقايهم . ،، وقف بهم يسوع * ،، وما اوضح لهم في الحين ذاته . حتى افضى الى مخاطبتهم . وقال لهم . (٥) ،، ايوجد عندكم شيء للاكل : ،، فهو يخاطبهم اقرب الى الانسانية عاجلاً . خطاب معتزم ان يبتاع منهم صيداً . فلما انكروا انهم ما يمتلكون ما كولاً . امرهم ان يلقوا الشبكة في ميامن السفينة * فلما القوها رُزقوا الصيد * فاذ عرفوهُ اوضح التلميذان بطرس ويوحنا خاصتي سجاياهما * لان احدهما كان احرَّ شوقاً . والاخر كان اعلى

تمييزًا * ذاك احدٌ سراعاً · وهذا احد نظرًا ببصيرتهِ * ولهذا السبب عرف يوحنا يسوع اولاً · وبطرس جاء اليهِ اولاً * لان اصناف الآية الحادثة ما كانت حقيرة * وان سالت وما كانت اصنافها الكاينة : اجيبك · اولاً اصطيادهم سمكاً كثيرًا ثم انحفاظ شبكتهم لم تتمزق · ثم انهم قبل خروجهم الى الشاطي وجدوا الجمر · والسمكة موضوعة عليهِ · والخبز · فما فعل ذلك من مادة موضوعة · كما عمل قبل صلبهِ مثل ذلك · لاجل تدبير اعتمدهُ * فلما عرفوهُ · حذفوا كل شيء · واطرحوا السمك والشباك * وتميّز بطرس * ارايت احتشامهُ وشوقهُ · على ان بعدهم من الشاطي انما كان نحو مايتي ذراع * لكنهُ ولا على هذه الجهة صبر للسفينة ان تجي الى الشاطي · لكنهُ جاء اليهِ سابحاً * (١٢) فقال لهم يسوع * تعالوا تغذوا * وما اجترى احد منهم ان يسالهُ لانهم ما استفنوا ايضاً تلك المجاهرة بعينها · ولا وثقوا * ولا تقدموا اليهِ فيما بعد بكلام · لكنهم جلسوا ناظرين اليهِ بصمتٍ وخوف كثير واستحيا * ،، لانهم عرفوا انهُ هو الرب " * ولهذا السبب ما استخبروهُ · مَن انت : وابصروا صورتهُ ابين تغيرًا · ممتلية اراعةً كثيرة * فكانوا مرتاعين جدًا * وارادوا ان يسالوهُ عن صورتهِ سوالاً · لكن لخيفتهم ومعرفتهم · انهُ ما كان احدًا اخر · لكنهُ هو الرب * ضبطوا سوالهم · واكلوا فقط ما ابدعهُ لهم بسلطان اكثر اقتدارًا * ولعمري انهُ ههنا ما رفع طرفهُ الى السما ايضًا · ولا عمل تلك الاعمال الانسانية · موضحاً ان تلك الافعال انما صارت لاجل تحدرهِ وتقاربه · ولايضاح انهُ ما اقام معهم اقامةً متصلةً ; وعلى شبه ايتلافهِ بهم فيما سلف * قال البشير · (١٤) ،، انهُ ظهر لهم · هذا الظهور ثالث . بعد قيامتهِ من بين الاموات * وامرهم ان يقدموا من السمك الذي اصطادوه " * موضحاً ان العجيبة الكاينة ما كانت خيالاً * لكنهُ ليس يقول ههنا انهُ اكل معهم · ولوقا قد قال في غير هذا الموضع · انهُ كان معاشرًا لهم ومماكحاً * ومعنى كيف اكل معهم ليس يناسبنا ان نقوله · لان ذلك صار بعجيبة بديعة العجب فعلاً · ليس من جهة ان طبيعة جسمهِ كانت فيما بعد محتاجة الى طعام · لكن على جهة تحدرهِ اكل برهاناً للقيامة الكاينة *



العظة السابعة والثمانون

في انهُ يجب علينا لاجل حب المسيح ان نحتمل كل مكروهٍ وشرٍ . وكم بلايا تتبع حب الاموال . وفي اصناف الزنا *

ولعلكم لما سمعتم هذه الاقوال . قد استحوبتم وطوبتم الذين اقتربوا اليهِ حينيذٍ وعاشروهُ . والذين يستانفون ان يحضروا عندهُ في يوم قيامتنا المشتركة * فسبيلنا ان نعمل كل ما يمكننا . حتى نبصر وجههُ ذلك العجيب * لاننا ان كنا الان سمعنا ذلك نتحرّق على تمثيل حالنا . ونتمنى ان نكون في تلك الايام التي فيها اقام على الارض . وان نسمع صوتهُ . ونبصر وجههُ . ونتقدم فنلمسهُ ونخدمهُ . فتفهم ما اعظم محل ان نبصرهُ ليس في جسمٍ ميت ايضاً . ولا عاملاً اعمالاً انسانية . لكن نبصرهُ . وملايكة تخدمهُ في جسمٍ عديم ان يكون بالياً . ونوجد نحن ناظرين اليهِ . مستمتعين بسعادة الحظ الاخرى القاهرة كل وصف * فلذلك اسالكم ان نعمل كل ما يمكننا . حتى لانخيب من المجد الذي هذا مقدارهُ * لان ليس ذلك مستصعباً . ان شينا . وليس هو مستثقلاً ان تيقظنا . ,,لاننا ان صبرنا معهُ . سوف نملك معهُ ." فان قلت وما معنى ان صبرنا : اجبتك . ان احتملنا الضغطات ان اصطبرنا على الاضطهادات . ان سلكنا في الطريق الضيقة * لان الطريق الضيقة هي في طبيعتها متعبة . فتصير باختيارنا خفيفة . بارتجا الخيرات المامولة * ,, لان العارض الخفيف عاجلاً من ضغطتنا . على نحو افراطهِ في اسرافهِ . يصطنع لنا حظاً من المجد ثقيلاً وزنهُ . دهرياً . اذا لا نتامل العوارض الملحوظة . لكن الامال العديمة ان تكون ملحوظة *" فلننقلنّ الحاظنا الى السما * ولنتخيلن كل حين تلك النعم ونبصرها * لاننا اذا اقمنا في تلك دايماً فليس يوثر فينا شوقٌ الى الاصناف المستلذة التي ههنا . وما نحتمل العوارض الحازنة بتثقيل . لكننا نضحك عليها وعلى امثالها . وليس يقتدر شيٌ يستعبدنا . ولا يرفع وهمنا . اذا مددنا شوقنا فقط الى هناك دايماً . اذا نظرنا الى ذلك الحب * وما معنى قولي اننا ما نجزع للمصاعب الحاضرة . لاننا ما نظن اننا فيما بعد نبصرها * لان العشق يوجد هذه الخاصة خاصتهُ * نتخيل بهِ كل يوم الذين ليسوا معنا حاضرين . لكنهم غايبون عنا . ماثورون عندنا . لان غصب الحب عظيم فننتزح

عن جميع الناس * ونربط نفسنا بمن نشتاق اليه * فان احببنا المسيح هذا الحب · تستبين عندنا الاملاك كلها ظلالاً * ونظهر لنا كلها صورةً ومناماً * ونقول نحن .. ما الذي يغصبنا من حب المسيح · اضغطة . ام ضيقة : "روميه ص٨ع ٣٥ فما ذكر اموالاً او ايساراً · او حسناً · لان هذه الاصناف كلها حقيرة مضحوك عليها * لكنهُ وضع العوارض المظنونة انها تقال · الجاعات · الاضطهادات . الميتات * ثم ذاك الرسول رفض هذه الاصناف من جهة انها لن توجد شيأ * ونحن لاجل اموالنا ننفصل من حياتنا . ونتميز من النور * وبولس فما فضّل على حُب المسيح لامونةً . ولا حياتهُ . ولا الاشياء الحاضرة . ولا النعم المامولة . ولاخليقة اخرى * ونحن اذا ابصرنا ذهباً يسيراً نتحرّق بشهوتهِ · ونتوطاء شرايع المنا * ولين كانت افعالنا هذه ليست خفيفة اذ لم تكونت . فاولى بها واوجب انها ليست خفيفة اذ لم تتكون * لان هذا هو المستصعب اننا نرتاع اذا سمعناها . وما نرتاع اذا عملناها * لكننا نحلف بايسر مرام · ونحنث · ونخطف ما ليس لنا . ونطالب بالربا . ونتوانى فى العفة . ونتنزح عن الصلاة البليغة فى استقصاء اخلاصها . ونعصى اكثر اوامر ربنا * وبسبب اموالنا ما نهتم باعضاينا . ولا بصنف من الاهتمام * لان عاشق اموالهِ يعمل بقريبه بلايا جزيلاً عددها . وبذاتهِ مع ذلك * لانهُ يغتاظ بايسر مرام ويثلب . ويسميه احمق . ويحلف . ويحنث . وما يحفظ اقدار الشريعة القديمة . لان مَن يحب الذهب . ليس يحب قريبه * على اننا قد أُمرنا . ان نحب من اجل الملكوت اعدانا * ولين كان الذين قد تمموا الاوامر القديمة . ما يمكنهم ان يسلكوا في ملكوت السموات . ان لم يزد على اوليك القدماء عدلهم . فالذين قد خالفوا تلك الاوامر . ما الاعتذار الذي يتفق لهم امتلاكهُ : مَن يعشق امواله ليس بخصمهُ فقط انهُ ليس يحب اعداءهُ · لكنهُ يستعمل اصدقاءهُ بصورة اعدايهِ . وما معنى ذكري اصدقاءهُ : لانهُ طالما جهل طبيعتهُ بعينها عاشق اموالهِ * فمن هذه الجهة حالهُ لن يعرف مناسبة · ولا يذكر صداقة · ولا يستحي من قامة · ولا يمتلك صديقاً · لكنهُ يعادي جميع الناس * وقبل الناس كلهم يعادي ذاتهُ · ليس بان يهلك نفسهُ فقط . لكنهُ يكردس ذاتهُ الى هموم جزيل عددها · واتعاب . وغموم * لانهُ يقاسي اسفاراً . وعداوات . وشدايد . واغتيالات · وكل عارض مذموم · لم يمتلك عندهُ فقط قرمة الافات والشرور كلها . ويعدّ ذهباً كثيراً * فما الذي يكون اصعب من هذا السقم : لانهُ

يعدم النعيم واللذة كلها . والشرف والكرامة . ولاجلهِ تخطي الناس خطايا كثيرة * لان عاشق
امواله ينهم اناسًا جزيلاً عددهم . ويمتلك ثلاً بًا كثيرين . وحساده وقارفوهُ والمغتالون عليهِ
جزيل عددهم * لان المظلومين الذين ظلمهم يمقتونه بسبب استضامته اياهم * والذين ما نالهم منهُ
مكروهًا . يخافون اذيتهُ اياهم ويتجعون للذين نالهم الضيم منهُ * ويظهرون لهُ هذه الحرب بعينها *
والذين هم اعظم محلاً منهُ واوفر اقتدارًا . يلذعونهُ ويغتاظون عليهِ * لاجل تجبرهِ على الذين هم
اذل منهُ * ويوجد لهُ ايضًا حساد بشبه ذلك يحسدونهُ ويمقتونه * وما معنى ذكري الناس : لان
اذا استقنى من هذه حالهُ الله محاربًا لهُ . فما هو الرجا الذي يكون لهُ : اية سلوة لهُ : وما الراحة
التي يجدها عاشق امواله : ما يستطيع في وقت من اوقاتهِ ان يستعملها * لكنهُ يكون عبدًا لها
وحافظًا لها . وليس هو سيدها * يجتهد دائمًا ان يجعلها اكثر ما هي . وليس يشا بجهة من الجهات
ان ينفق منها شيأ . ويقطع ذاتهُ . ويصير افقر من الفقراء * وان يثبت بجهة من الجهات شهوته *
على ان الاموال انما صارت ليس لحفظها . لكن لنستعملها * فان اعتزمنا ان ندفنها لغيرنا . فما الذي
يكون اشقى منا . الذين نحاضر مجتهدين ان نقبض على املاك كل اهل بلدنا . لنحبسها داخل
خزانتنا . ونقطع استعمالها العام المشترك : وقد يوجد سقم آخر . ليس بدون هذا السقم * لان
قومًا يدفنونها في الارض . واناسًا ينفقونها في لذتهم وسكرهم . وعلى بطنهم . ويزيدون انفسهم
مع ظلمهم . التعذيب من تلقاء فسقهم * واقوامًا يهبونها لطفيليين . ومدكازين . ولاعبين بالنرد .
وللزواني * واناسًا يخدمون نفقات غير هذه تناسبها . قاطعين لذواتهم طرقًا جزيلاً عددها *
مودية الى جهنم . مهملين الطريق القديمة الشرعية الموردة الى السماء * على ان هذه الطريق لن
تفيد ربحًا فقط . لكنها تفيد مع ذلك لذة اعظم من تلك الاصناف المذكورة * لان من يعطي
الزواني امواله . يكون مضحوكًا عليهِ . مستقبحًا فعلهُ . ويمتلك محاربين كثيرين . وحروبًا جزيلة .
ولذتهُ يسيرة * واولى ما يقال . انها ليست يسيرة . لان كل ما يعطيهِ للنسوة الزانيات . ما يعرفن
لهُ ولا منة واحدة * لان البيت الغريب خابية مشققة * ومعنى آخر . ذلك الجنس عاتٍ قاسٍ *
وقد مثّل سليمان عاشق الزانية . وقايسهُ بالجحيم . وانما يقف ثابتًا فقط . اذا ابصر العاشق عاريًا
من جميع املاكهِ * والبقي بهِ انهُ ولا حينئذٍ يقف * لكنهُ يتزين اعظم * ويجهز بهِ طربحًا * ويحرك

عليهِ ضحكاً جزيلاً · ويعمل بهِ بلايا هذا مقدارها · تبلغ الى الا يكون وصفها ممكناً بكلام* ولعمري ان لذة المتخلصين * ليست هذه الصفة صفتها * لان صاحبها لن يستغني معاند عاشق * لكن الناس كلهم يفرحون بهِ ويبتهجون * اعني الذين يبصرونه · والذين اشتملهم انعامه * وليس يحاصر نفس من هذه سجيتهُ . لا غضب ولا اكتياب . ولا استخزاء · ولا تعيير* لكن سرور فطنتهِ يكون كثيراً او ارتجاوهُ النعم المأمولة يكون جزيلاً · وشرفهُ يوجد بهياً · فظهور تشريفهِ يكون جزيلاً * واكثر من هذه الاصناف كلها . الحُب من الله والحياطة * وليس يكون اضطراب · ولا ظن * لكنهُ يكون مينا خالياً من امواج . وسكونهُ كثيراً * فاذا تفهمنا هذه الاقوال كلها . وزدنا الذتنا لذةً · ينبغي ان نختار السجايا الافضل من غيرها . ليتفق لنا امتلاك النعم الصالحة المأمولة * بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفهِ . الذي لهُ المجد والعز والاكرام الى اباد الدهور كلها امين *

المقالة الثامنة والثمانون

في قولهِ (١٥) ولما اكلوا · قال يسوع لسيمن بطرس · ياسيمن يونا . اتحبني اكثر من هولاء : فقال · نعم يارب · انت تعلم اني احبك * :

قد يوجد محامد اخر كثيرة مقتدرة ان تخولنا دالة لدى الهنا · وتظهرنا بهيين موفقين * فالمحمدة الواهبة لنا اكثر منها كلها الحُبُ من العلو · هي اهتمامنا بقريبنا · واشفاقنا عليهِ * وهي التي طالب المسيح بطرس بها * لان افعال الذة لما وصلت فيهم الى غايتها . " قال يسوع لسيمن بطرس · ياسيمن · اتحبني اكثر من هولاء : قال لهُ نعم يارب انت تعلم انني احبك . فقال لهُ · ارعَ غنمي *" فان قلت · فما غرضهُ في انهُ تجاوز التلاميذ الآخرين . وخاطب بطرس في هذه المعاني : اجبتك . لانهُ كان المفضل في رسالهِ · وفم تلاميذهِ . وامام صفهم * ولهذا السبب " صعد بطرس حينئذٍ الى اورشليم . ليبصرهُ " . اكثر منهم كلهم * واوضح مع ذلك انهُ سبيلهُ ان يطمانَّ * اذ قد امتحى جحودهُ * ويتقلد التقدم على اخوتهِ . وما اورد لهُ جحودهُ . ولا عيَّرهُ مما فعلهُ * وقال انك تحبني فتقدم على اخوتك . واظهر الان حُبك الحارّ . الذي اوضحتهُ بافعالك كلها . الذي بهِ ابتهج انا * ونفسك التي قلت انك تبذلها من اجلي . ابذلها من اجل غنمي * فلما سُئِل دفعةً واحدة ·

وثانية . دُعي شاهداً له العارف خفيات القلب الممتنع التكلم بها بعينهِ * ثم اذ سئِل دفعةً ثالثة .
ارتجف ايضاً لخيفتهِ من الحوادث الاولى * لانهُ لما تايد حينيذٍ توبخ بعد ذلك * فلهذا السبب
التجى اليهِ ايضاً * لان لفظة قولِهِ * (١٧) ،، انت قد عرفت الخفايا كلها * '' ومعنى ذلك هو .
انك قد عرفت الخفايا الحاضرة والمستانفة * ارايت كيف صار افضل تحوباً . واكثر ارتداعاً .
فليس هو فيما بعد مستعظماً . ولا مراددًا * لانهُ هذا السبب ارتجف * وافتكر الاّ اكون انا الظن
انني احبهُ . ولست احبهُ * كما انني فيما سلف قد ظننت وتايدت في عزمي كثيرًا . فتوجَّه الطعن
عليَّ اخيرًا * فسالهُ ثلث مرار بالامر هي هي باعيانها . موضحاً مبلغ تكريمه التقدم على غنمهِ * وان
هذا الفعل اكثر من كل فعلٍ علامة الحُب لهُ * لانهُ اذ خاطبهُ في الحُبّ لهُ . وصف متنبياً
الشهادة التي استانف ان يصطبر عليها . مظهرًا لهُ انهُ ما قال لهُ ما قالهُ . منكرًا اقوالهُ . لكنهُ
قد صدقهُ جداً . واراد ان يريه ايضاح الحب لهُ . ويعلمنا باية سجية اكثر منها كلها ينبغي لنا ان
نحبهُ * فلذلك قال (١٨) ،، لما كنت احدث سناً . كنت تزنر ذاتك وتمشي اينما شئت * فاذا
شخت تبسط يديك . ويزنرك آخرون . ويسوقونك ،، الى حيث لا تشاء '' * على انهُ قد اشتهى هذا
واراده . ولذلك صيره لهُ واضحاً * لانهُ اذ قال في اعلى كلامهِ واسفلهِ . ،، نفسي ابذلها من اجلك *
ولو اوجب عليَّ ان اموت معك : فليست اجحدك '' * خوَّلهُ شهوته * فان قلت . وما معنى الى
حيث لا تشاء : اجبتك . انهُ اعني الترثي الى طبيعتنا وضرورة لحمنا * وان نفسنا تنفصل عن جسمنا
كارهة * فمن هذه الجهة حصلت افعال اختيارنا معافاة . لكن طبيعتنا تتوبخ مع ذلك على هذا
النحو * لان ولا واحداً من الناس باين جسمهُ خلواً من تالمٍ * وهذا على ما قلت فيما سلف . دبّرهُ
الله تدبيرًا موافقاً . حتى لا تصير الميتات الغاصبة كثيرة * لان لو كانت هذه الميتات موجودة .
لامكن ابليس المحال ان يعمل هذا العمل . وكان قد ساق كثيرين الى حافات متطرفة والى
هوتات * ولو لم يكن لنفسنا هذه الشهوة للجسم جزيلاً تقديرها . لكان الكثيرون منا ولو من اغتمامٍ
يسير . ينهضون الى هذا سريعاً * فلفظة الى حيث لا تشاء هي لفظة الترثي الطبيعي * فان قلت .
فكيف اذ قال ،، حين كنت احدث سناً '' . قال ايضاً ،، اذا شخت '' : اجبتك . هذا قول
موضح انهُ ما كان حينيذٍ شاباً . لانهُ ما كان كذلك * بل ولا كان شيخاً . لكنهُ كان رجلاً كاملاً *

فان قلت فلمَ اذكرهُ بعيشتهِ السالفة : اجبتك . موضحاً ان افعالهُ هذه السخية بحجتها . لان الشاب في الافعال العالية نافع * والشيخ فيها قد فاتهُ ان يكون نافعاً * وفي اعمالي انا زعم . لست الحال على هذه الصورة . لكنك اذا وافتك الشيخوخة . حينئذٍ تكون نجابتك ابهى فعلاً * حينئذٍ تكون نجابتك ابهى ظهوراً * ولن يمنعك عن فعلها سنك * هذه الاقوال قالها ليس مربعاً اياهُ . لكن منهضاً * لانهُ قد عرف شوقه . وانهُ قد محض هذا الارتياح المحمود ايضاً * واوضح لهُ مع ذلك . حال موته * لان بطرس اذ كان قد اراد كل حين . ان يوجد في الاخطار والمصاعب من اجلهِ . قال لهُ اطمأن * فانني على هذه الجهة . املاءُ شهوتك واتممها * حتى ان المصاعب التي ما قاسيتها لما كنت شاباً . هذه ينبغي لك ان تقاسيها حين صرت شيخاً * ثم انهض البشير سامعهُ واستثنى بقولهِ . (١٩) ،، هذه الاقوال قالها . واسماً باي موتٍ يمجد الله " * فما قال باي موتٍ يموت . بل باي موتٍ يمجد الله * حتى تعلم ان ماسات التالم من اجل المسيح مجد لمن يتالم بهِ وبماسيهِ وكرامة . ،، واذ قال هذه الاقوال . قال لهُ الحقني " * ههنا يذكر غريزتهُ المهتمة ذكراً غامضاً . وحبهُ اياهُ الزايد جداً * فان قال قايل . فكيف اخذ يعقوب كرسي اورشليم : قلنا لهُ ذلك القول . ان ربنا انتدب هذا الرسول معلماً للمسكونة * (٢٠) ،، فلفت بطرس وابصر التلميذ الذي احبهُ يسوع تابعاً . الذي استلقى في العشاء على صدرهِ . (٢١) وقال يارب . هذا ما رايك فيهِ " : فان قلت . ولمَ اذكرنا باستلقايهِ ذاك : اجبتك . ما فعل ذلك على ما اتفق . لكنهُ فعلهُ موضحاً لنا الدالة التي ملكها بطرس بعد جحودهِ * لان مَن كان حينيذٍ لايجترئ ان يستخبرهُ لكنهُ اومى بذلك الى غيرهِ . هذا قد اوتمن على التقدم على اخوتهِ * ولم يخصهُ انهُ اوعز الى آخر باستعلام ما ارادهُ فقط . لكنهُ مع ذلك اورد فيما بعد الى معلمهِ سوالاً من اجل غيرهِ * وكان يوحنا صامتاً . وبطرس يخاطب * فاوضح ههنا الحُبّ الذي اخاصهُ لهُ . لان بطرس كان يحب يوحنا حباً شديداً * وهذا واضح من افعالهِ فيما بعد . ويستبين في الانجيل . وفي كتاب اعمال الرسل . ايتلافهما وارتباطهما * واذ تقدم فذكر لهُ اقوالاً عظيمة . وقلدهُ المسكونة . وقدم لهُ وصف الشهادة . وشهد لهُ بالحب اكثر من الاخرين . اراد هو ان ياخذ يوحنا شريكاً * فقال ،، هذا ما رايك فيهِ : " اما يمارض الطريق التي لنا بعينها : وكما انهُ حينيذٍ اذ لم يقدر هو ان يسال . فقدم يوحنا الى السوال .

كذلك اوزعهُ الان المجازاة * واذ توهم ان يوحنا يريد ان يسال عن احوالهِ وما يكون منهُ . وليس يجسر على ذلك . اعتمد هو السوال نائباً عنهُ * فقال المسيح (٢٢) ،، ان شئت ان يبقى هذا الى ان اجي . ماذا عليك ،، : فاذ قال بطرس هذا القول مهتماً بيوحنا جداً . ولم يوثر ان ينفصل عنهُ . اراهُ المسيح انهُ لو احبهُ مهما احبهُ . ليس يصل الى حبهِ هو اياهُ * وقال ،، ان شئت ان يبقى هذا الى ان اجي . ماذا عليك ،، : فبهذه الالفاظ علمنا . ان لا نتضجر . ولا نستبحث . ولا نتجاوز المأثور عندهُ * ولما كان بطرس دايماً حارًا في المسائل التي هذه صفتها طافرًا اليها . قطع حرارتهُ ايضاً * وعلمهُ الاَّ يستبحث خارج الحد * وقال (٢٣) ،، وانبث هذا القول فيما بين التلاميذ . ان ذاك التلميذ ليس يموت * وما قال لهُ . انهُ ما يموت . لكنهُ قال . ان شيت ان يبقى الى ان اجي . ماذا عليك ،، كانهُ قال . لا تتوهم انني اسوس احوالكم في جهة واحدة . وهذا التوهم يكون من ترني احدكم للاخر . الذي قد فاتهُ وقتهُ * لانهم اذ استانفوا ان يتقلدوا الاشراف على المسكونة . ما وجب ان يأتلف احدهم بالاخر * لان ذلك لو كان . لصار خسارة عظيمة للمسكونة * فلذلك قال لهُ . قُلدتَ عملاً فراعهِ . واستكملهُ . واحرص فيهِ واجتهد * لان ماذا عليك ان شيت انا ان يبقى ههنا . انت راعِ ما قد حصل لك . واهتم بهِ * وتامل لي ههنا اجتناب البشير الصلف * لانهُ لما ذكر ظن التلاميذ . تلافاهُ من جهة انهم ما فهموا معنى ما قيل لهُ . فقال ،، ان يسوع ما قال انهُ ليس يموت . لكنهُ قال . ان شيت ان يبقى * (٢٤) هذا هو التلميذ الشاهد بهذه الاقوال . والكاتب هذه الالفاظ * وقد علمنا ان شهادته صادقة هي ،، * فان قلت فما المعنى في ان ولا واحدًا من التلاميذ الاخرين عمل هذا العمل . وهو وحدهُ قال هذه الاقوال . وعمل هذا العمل دفعةً ثانية . شاهدًا لذاتهِ : اجبتك . انهُ ظنَّ انهُ يستراب بهِ عند سامعهِ . وهو يذكر ما هي العلة التي افضت بهِ لما حرَّكهُ المسيح الى ذلك وانهضهُ . ولذلك ابان حبهُ * وذكر علة ذلك ذكرًا متصلاً . التي منها نهض الحان يكتب * ولهذا السبب يذكرها بمداومة . جاعلاً كلامهُ في هذا الوجه . موهلاً لتصديقهِ . موضحاً انهُ افضى الى هذا العمل . لما حرَّكهُ من هنالك * وقال قد عرفت . ان ما يقولهُ . هو حقيقي صادق * فان كان الكثيرون ما صدقوهُ * فقد اتجه لهم من هذا الوجه ان يصدقوهُ . مما قالهُ تالياً لهذا (٢٥) ،، لانهُ قال . توجد ايات كثيرة غير هذه عملها

يسوع . لو كُتبت واحدة فواحدة . ما كان على حسب ظني العالم بعينهِ . يسع الكتب المكتوبة * فمن هذه الجهة يستبين . انني ما تحمدت اليهِ * لان القايل من ايات هذا تقديرها . ليس صنوفًا جزيلاً مبلغها . نظير ما قال باقي المبشرين . لكنهُ قد كني منها عن اكثرها * ووضع في الوسط اغتيالات اليهود عليهِ . ورجمهم اياهُ . وشتايمهم . ومثالبهم . واوضح كيف دعوهُ مجنونًا ومضلاً * فواضح بيّن انني ما تحمدت اليهِ * لان المتحمد ينبغي لهُ . ان يعمل ضد ذلك * اعني انهُ من شانهِ ان يكتم الاخبار الجالبة تعييرًا . ويضع الاوصاف البهية * فاذ كان هذا البشير قد كتب ما كتبهُ . من ايقان كثير بهِ . ليس يستعفي ان يورد الى وسط كلامهِ . الشهادة لذاتهِ * مستدعيًا كل احدٍ ان يبحث عن الايات الكاينة . والاخبار التي كتبها . ويمتحنها * لاننا من عادتنا اذا تيقنا اننا صادقون جدًا . الا تنكر علينا شهادتنا لانفسنا * فان كنا نحن نعمل هذا العمل . فذاك الكاتب بالروح . اولى واوجب ان يعملهُ * وهذا القول قد قالهُ باقي الرسل عند انذارهم . ,, نحن هم الشهود لما نقولهُ . والروح الذي اعطاهُ للذين خضعوا لهُ وقبلوا منهُ '' . وقد كان هذا البشير حاضرًا في الحوادث كلها . وعند صليبهِ ما خلاهُ . وسلم اليهِ امهُ * وهذه كلها سمات حبهِ اياهُ . ودلايل على انهُ عرف كل ما جرى باستقصاء ومبالغة * فان كان قد قال ان اياته كانت هذا المقدار الجزيل مقدارها . فلا تستعجب ذلك . لكن اذا تفطنت في قدرة صانعها المغتاص وصفها . اقبل ما قالهُ بامانة وتصديق * فكما ان التكلم متيسر عندنا . فكذلك متيسر عند ذاك . واسهل من كل متيسر جدًا . ان يعمل ما يشاء * لانهُ يكفيهِ ان يشاء فقط . وقد تبعت افعالهُ كلها مشيتهُ *

العظة الثامنة والثمانون

في التوابع التي تتبع اللذة الروحانية . واللذة المستقبحة * وفي الاستغنام البطال *

فسبيلنا ان نتيقظ لانفسنا تيقظًا بليغًا . ونصغي الى ما قد قيل لنا . ولا نتخلف عن تصفح هذه الاقوال والبحث عنها . لان من تصفحها المتصل . تكون لنا فايدة اكثر * فعلى هذه الطريقة نستمكن ان نطهر عيشتنا . وعلى هذه الجهة نجتث الاشواك منا * وبيان ذلك ان الخطية والاهتمام

الدنيا في هذه السجية سجيتها خالية من الثمر . وللعويل مفيدة * وكما ان الشوك من اية جهة ضبط . يتخذ ضابطة . فكذلك املاك الدنيا . من اية ناحية ضبطتها . تغم من يتمسك بها ويحتضنها * الا ان الفوايد الروحانية ليست هذه السجية سجيتها * لكنها تشابه جوهرة من الجواهر . الى اية جهة اقابتها . تسرّ عينيك * على نحو ما اصف . عمل احدنا صدقة . فحصل يتنعم . ليس بارتجاء الثواب المامول فقط . لكنه يفرح مع ذلك ههنا بالامال الصالحة . واتقا في كل مكان . عاملا كل ما يعمله مجاهرة كثيرة * قد قهر احدنا شهوته الخبيثة . فقبل الملكوت . قد اخذ ههنا ثمرة قهره اياها . ويحصل ممدوحا مستعجبا . تمدحه فطنته قبل الناس الاخرين كلهم * وكل واحد من الاعمال الصالحة هذه السجية هي سجيته * وكما ان الافعال الخبيثة تعذب فطنتنا ههنا قبل جهنم . لانك متى اخطات وتذكرت التعاذيب المستانفة وتفطنت فيها . صرت مرتاعا مرتعدا . ولم يحضرك معاقب يعذبك * وان تفطنت في الغموم الحاضرة . فقد امتلكت اعداء كثيرين . وتعيش بظن وتوهم * وما تستطيع ان تبصر فيما بعد الى الذين ظلمتهم . واولى ما يقال الى الذين ما ظلمتهم * لاننا ما نستثمر اللذة من خطايانا جزيلا مقدارها . بمقدار ما نستثمر الاغتمام من فطنتنا الصايحة علينا . ومن الناس الذين يذموننا من خارج . ومن الله المغتاظ علينا . ومن جهنم اذا تلهفت لاستلابنا . ومن افكارنا التي لا تهدا * لان الخطية ثقيلة مفرطة الثقل جدا . اصعب من كل الرصاص * فمن قد شعر بها . فليس يستطيع ان يرفع طرفه قليلا . ولو كان فاقدا حسه جدا * لان اخاب على انه كان ملحدا جدا اذ احسّ على هذه الجهة بها . انحني الى اسفل . ومشى منطحن القلب شقيا . ولهذا السبب ابس مسحا . وافاض من دموعه عيونا متدفقة * ان عملنا نحن هذا العمل . ونحنا مثل ما نلح ذاك . فسنخلع زلاتنا كما نزعها زكى * ويتفق لنا ان نمتلك عفوا * وعلى ما يجري عليه حال اجسامنا . اذا لم يقف احدنا الكيموس الجاري الذي يحك الجرح بكل مرهم يضعه عليه . اذا لم تتمسك عين المادة الردية . يصير تعبه كله في ذلك باطلا . فكذا يجري حالنا نحن . متى لم تقف بدنا من الاستغنام . ونسكّن مادة التغطرس هذه الخبيثة الجارية . ولو اعطينا صدقة . نصيرها كلها باطلة . لان القرحة المشفية بالصدقة . اذا حضر الاستغنام عندنا . نقضها وافسدها . وجعل حالها اشر من الحال الاولى واصعب * فلنكفف اذا عن اختلاس ما ليس لنا . وبعد ذلك نرحم المساكين .

فان كردسنا ذواتنا في الحافات المتطرفة · فكيف نقتدر ان نستنشق الهواء : لان احدنا ان اجتذب من قد شارف ان يسقط من فوق · واجتذابهُ اياهُ هو الصدقة عليهِ * واغتصب آخر من اسفل · فليس يكون لهُ من مثل هذه المصارعة فايدة · اكثر من اجتذابهِ الانسان * فلكيلا يصيبنا هذا المصاب · ولا يثقلنا الاستغنام الى اسفل · فتهملنا الصدقة وتتصرف * فلنحفظ ذواتنا ونعليها · لكي نخلص من الاعمال الردية · ونتكلل بالاعمال الصالحة · ننال النعم الصالحة الدهرية · بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفهِ الذي لهُ مع ابيهِ مع الروح القدس · المجد والعز والاكرام · الان ودايماً · والى اباد الدهور كلها امين *

تم الكتاب بعون الملك الوهاب *





بيان اصلاح الغلط الموجود في الجزء الثاني المطبوع بالاحرف الكبار الاميريكانية الى نهايته

صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
٦	١٩	ذللة	زللة	٣٧	٤	حدثة	حدثت	٧٠	١	صيفا	صنفا
ويوجد مثل هذا بعض				٣٧	١٣	الذين	الدين	٧١	١١	بتة	بينة
ضربنا صفحنا منها				٣٩	٧	اجرين	اخرين	٧٥	١	مقايسا	مماسيا
٩	٣	اليود	اليهود	٤١	٢	موهبت	موهبة	٧٥	٢٣	انسانا	ازانا
٩	١٦	يجاهدو	يجاهده	٤٢	٢	موضحت	موضحة	٧٧	٦	ليك	ليس
١٢	٧	ذانيات	زانيات	٤٤	٥	قوله	قوله	٧٨	٢	اصفامها	اصنافها
١٦	١٣	فذمهم	فزمهم	١٥	٢١	ياحباى	يا احباى	٧٨	١٨	منذلك	منزلك
١٦	١٩	اسقصاء	استقصاء	٥٣	١	الخلية	الخليقة	٧٩	١٦	الحابات	المحاباة
١٨	٢	ذانية	زانية	٥٣	٩	حصلة	حصلت	٨٥	٧	مرض	مرض
١٨	٥	كافت	كافة	٥٦	٥	استقلى	استلقى	٨٧	٢٢	بيرياه	بيراياه
٢٧	١٥	تعذوه	تغذوه	٦١	١٨	العذب	التعب	٩٤	١٣	تعدبنا	تعبدنا
٢٨	٥	الفايت	الفايق	٦٣	١١	استخزينا	استهزاينا	٩٥	١١	سندى	سنودي
٢٨	١٨	اتذداد	اقتداد	٦٩	٢٠	صضرته	حضرته	٩٦	٢٣	تحافص	تخافص

صفحه	سطر	خطا	صواب
٩٧	١٣	فن	عن
٩٨	١٤	اوفواه	افواه
١٠٩	١٨	لكة	لكنة
١٠٩	٢٣	لايقابان لالفاظ	الايقان بالالفاظ
١١٢	٩	الهم	لهم
١١٦	١٧	جليداً	جليلاً
١١٨	١٠	رذكها	ذكرها
١٢٣	٧	بجلة	بجدة
١٢٨	٣٠	ان ام	ام ان
١٢٩	٦	وتدبرها	وتدبيرها
١٣٢	١١	البحو	البحر
١٣٦	١٨	لاتعاموا	لاتعملوا
١٣٦	٢١	يتمنيمه	بتنعيمه
١٣٧	١٠	الطام	الطعام
١٣٨	٣	ذهرة	زهرة
١٣٧	٢٣	ظافيطة	ضاغطة
١٤٧	٩	نيغطن	نغيظن
١٤٧	١٩	ارليا	اولئك
١٤٨	٦	وارردها	وارادوها
١٤٩	٢٣	الخطوط	الخطوط
١٦٣	١٨	المتكونت	المتكونة
١٦٧	١	المستورات	المشوزات
١٦٩	٢١	يدعى	يودي
١٧٢	٨	اظلمكم	اظلمتكم
١٧٩	١٧	طنطا	ضبطا
١٨٥	١	فاضلت	فاضلة
١٩٧	٣	نتانت	نتانة
١٩٩	٢٢	لظت	لفظة
٢٠٨	٣	فقظ	فقط
٢٠٨	٢٣	ذللين	ذليلين
٢١١	٢٢	عيصر	عنصر
٢١٥	٧	لوتاكن	لوكان
٢١٥	٧	يكون	تكون
٢١٥	١٣	عادمت	عادمة
٢١٩	١١	يكونوا	ليكونوا
٢٢٠	٢	مله	هذا
٢٢٤	١٧	سهلت	سهلة
٢٢٧	١٣	الفرسيين	الفريسيين
٢٢٧	١٧	بجترح	يجترح
٢٢٨	١٥	سلامتا	سلامة
٢٣١	٥	سالكم	سالهم
٢٣١	١٨	استمعامهم	استفهامهم
٢٣٧	٣	يتمطى	تتمطى
٢٣٨	٩	صعوبت	صعوبة
٢٤٣	١	خظابه	خطابه
٢٤٣	١٧	انصل	افصل
٢٤٦	٥	نتلذد	نتلذذ
٢٤٦	١٦	ثاب	ثياب
٢٤٦	٢١	عادمت	عادمة
٢٥٧	٤	يتكون	تتكون
٢٥٧	٧	خصومة	خصومه
٢٥٧	١٢	لافاذيع	الاذاريع
٢٥٨	١١	متساوياً	متساويان
٢٥٨	١٨	ظنبوطين	مضبوطين
٢٦٥	١٧	اجراجاً	اخراجاً
٢٦٥	٢٣	لاراحيف	لاراجيف
٢٦٨	١٦	خزيلة	جزيلة
٢٦٩	٢٠	وامتلاكتا	وامتلكتا
٢٧٤	٢٣	بامرات	بامرأة
٢٧٨	٢٠	ولهذاقالت الغرض	ولهذا الغرض قالت
٢٨١	١٥	الذناء	الزناء
٢٨٣	١١	طبعتهم	طبيعتهم
٢٨٢	٢١	وقتفا	وقفة
٢٨٣	١٦	يضغى	يصغى
٢٨٤	١٢	ماخوز	ماخوذ
٢٨٧	١٤	بطغى	يطغى
٢٩١	٦	يهدمون	يهدمون
٢٩٩	١٧	خافظة	حافظة
٣٠٤	٢٠	اضاد	اضداد
٣٠٥	٩	يدوا	يودوا
٣١١	١٧	العاضبة	الغاصبة
٣١٥	١	ايمناهم	ايمانهم
٣٣٥	١٩	نضرع	تضرع
٣٣٢	٣	الذعل	الدغل
٣٣٤	١٣	باضاد	باضداد
٣٣٩	١٣	تلم ان	ان تلم
٣٦٩	١٤	باازد	بالنرد
٣٨٩	٣	ذفعات	دفعات
٤٢٦	١٦	اليهود	الى اليهود
٤٢٧	٢٣	الشديمة	الشتيمة
٤٢٨	٦	موثراً	موسراً

اعلان

اعلم ايها المطالع اللبيب • ان المطوَّب الذكر الخوري يوسف مهنَّا الحداد . والخواجا أيواني بابابرو بولوس • والاب غفرئيل القبطي . قد كانوا قاصدين مراجعة هذا الكتاب الشريف على اصله اليوناني لاجل ضبط الفاظهِ ومعانيهِ وقواعدهِ الدينية المقولة من القديس يوحنا الذهبي الفم نفسهِ· ورفض ما قد دخل عليهِ من الزيادة والنقصان من اقلام النساخ غير ملتفتين وقتئذٍ الى تعريبهِ على قواعد اللغة العربية * فلما تمت مراجعتهُ· قد نسخهُ الخوري المرحوم بخط يدهِ . وابقاهُ في مكتبتهِ مومّلاً بانهُ في المستقبل يصلح تعريبهُ . كما كان يصنع ذلك بغير كتب كثيرة خلافه * ولما حصلت الحادثة الدمشقية المندفعة· انوجد هذا الكتاب * ولكون في ذلك الوقت حصل الشتات . وتفرقت المسيحيون في البلاد • ولم يعد يمكن تصليح اعرابه لاسباب· لاسيما لكون مراجعتهُ· كانت صحيحة جداً * الاَّ فيما يختص بالاعراب· الامر الذي ليسهُ ضروري للحاذق . اقتضى انني بادرت بطبعهِ على ما هو عليهِ الان· خوفاً من ادخال التحريف . أو الزيادات عليهِ· من اقلام النساخ * فلا تظن اذن ايها القاري • اذا وجدت جملةً غير معربة · انها غباوةٌ من المراجعين الموئى اليهم * ولذلك اقتضى افادتك بهذا *

بيان اسماء المشتركين بهذا الكتاب الشريف حسبما وردوا الينا

كتاب بيروت
مـــدد

٢٥ غبطة السيد كيريوس كيريوس ايروثيوس البطريرك الانطاكي وسائر المشرق الكلي الطوبى
٥ سيادة المرحوم ايروثيوس مطران بيروت الكلي طهره
٥ سيادة المطران سيرافيم ايرينوبوليوس الكلي طهره
٢ سيادة المطران جراسيموس فرح الكلي طهره
٣ سيادة المطران ابوانيكيوس مسامبري الكلي طهره
٣ الارشيمندريتي غفرييل جباره
٢ الارشيمندريتي جبرائيل زلعوم
١ الخوري جراسيموس الحمصي
١ الخوري ميخايل جربوع
١ الخوري الياس ايوب دمشقي
١ المرحوم الخوري افثيميوس منوش
١ الخوري حنانيا
١ المرحوم الخوري نقولا طراد
١ الخوري سمعان بشور
١ الشماس يوسف المقل دفتريون
٥ سعادة موسيو بكير قنصل جنرال دولة روسيا الفخيمة
٣ الخواجه نقولا سرسق
١ المعلم ايوانى باباديبولوس اول كاتب غبطة البطريرك الانطاكي
١ ميخايل شحاده ترجمان قنصلاتو دولة روسيا الفخيمة

١ الخواجا حبيب بسترس
٥ الخواجا نعمة الله الخوري
٣ خليل افندي ايوب دمشقي
٢ الخواجا جرجس التويني
١ يوحنا فريج دمشقي
١ ابراكيم نجار
١ نعمة الله كركبه مرتزل
١ اسكندر بولص طراد ترجمان اول قنصلاتو دولة ايران البهية
١ اسعد افندي طراد
١ الخواجا خليل الدباس
١ يعقوب الدباس
١ الياس اليان دمشقي
١ ميخايل حداد دمشقي
١ ديمتري سرسق
١ الخوجات قطه اخوان
١ يوسف سيور دمشقي
١ انطون قهوات دمشقي
١ ميخايل الطوي دمشقي
١ حبيب فرمان
١ حبيب شعيب
١ الياس الخوري ميخايل الفرا
١ مرتزل ثاني دمشقي
١ جبرائيل ابوشعر دمشقي
١ المرحوم شبلي افندي ايوب
١ المرحوم نقولا الفيعاني
١ مرزوق التويني
١ جرجس الجادل
١ خليل ابراهيم شحاده

٢ فضل الله العازار
١ اسبيريدون افندي طراد
١ سليم ميخايل شحاده ترجمان قنصلاتو دولة روسيا الفخيمة
١ الخواجه ميخايل نعمه دمشقي
١ انطون افندي سالم دمشقي
١ سليمان افندي ابوشعر دمشقي
١ المعلم يوسف العريني دمشقي
١ يوحنا افندي نوفل دمشقي
١ الخواجا ميخايل جحشان
١ المرحوم يوسف نقولا جحشان
١ ميخايل مدور ترجمان قنصلاتو دولة فرنسا الفخيمة
١ الخواجا لطف الله نقولا الفيعاني
١ خليل فضل الله جحشان
١ جرجس ابراهيم جحشان
١ فضل الله داغر
١ فرج الله التويني
١ الياس افندي حبالين معلم مدرسة الروم الارثوذوكسيين
١ يوسف افندي فياض
١ جرجس الزوار
٣ جرجي الخوري مهنا الحداد دمشقي
١ يوسف جرجي الخوري مهنا الحداد دمشقي
١ ندره جرجي الخوري مهنا الحداد دمشقي
١ انطون نقولا شحاده دمشقي

صفحه	سطر	خطا	صواب
٩٧	١٣	٥ن	عن
٩٨	١٤	اوفواه	افواه
١٠٩	١٨	لكة	لكنة
١٠٩	٢٣	لايقابان لالفاظ	لايقان بالالفاظ
١١٢	٩	الهم	لهم
١١٦	١٧	جليداً	جليلاً
١١٨	١٠	رذكها	ذكرها
١٢٣	٧	بجلة	بجدة
١٢٨	٢٠	ان ام	ام ان
١٢٩	٦	وتديرها	وتدبيرها
١٣٢	١١	البحو	البحر
١٣٦	١٨	لاتعاموا	لاتعملوا
١٣٦	٢١	يتمنيمه	بتنميمه
١٣٧	١٠	الطام	الطعام
١٣٨	٣	ذهرة	زهرة
١٣٧	٢٣	ظاغيطة	ضاغطة
١٤٧	٩	نيغظن	نغيظن
١٤٧	١٩	اوليا	اولئك
١٤٨	٦	واراردها	وارادوها
١٤٩	٢٣	الخطوظ	الحظوظ
١٦٣	١٨	المتكونت	المتكونة
١٦٧	١	المستورات	المشورات
١٦٩	٢١	يدعى	يودى
١٧٢	٨	اظلمكم	اظلمتكم
١٧٩	١٧	طنطا	ضبطا
١٨٥	١	فاصلت	فاضلة
١٩٧	٣	نتانت	نتانة
١٩٩	٢٢	لفظت	لفظة
٢٠٨	٣	فقط	وقط
٢٠٨	٢٣	ذللين	ذليلين
٢١١	٢٢	عيصر	عنصر
٢١٥	٧	لوتاكن	لوكان
٢١٥	٧	يكون	تكون
٢١٥	١٣	عادمت	عادمة
٢١٩	١١	يكونوا	ليكونوا
٢٢٠	٢	ملك	هذا
٢٢٤	١٧	سهلت	سهلة
٢٢٧	١٣	الفرسيين	الفريسيين
٢٢٧	١٧	بخترح	يجترح
٢٢٨	١٠	سلامتا	سلامة
٢٣١	٥	سالكم	سالهم
٢٣١	١٨	استمعامهم	استماعهم
٢٣٧	٣	يتمطى	تتمطى
٢٣٨	٩	صعوبت	صعوبة
٢٤٣	١	خظابه	خطابه
٢٤٣	١٧	افضل	افصل
٢٤٦	٥	نتلذد	نتلذذ
٢٤٦	١٦	ذياب	ثياب
٢٤٦	٢١	هادمت	هادمة
٢٥٧	٤	يتكون	تتكون
٢٥٧	٧	خصومة	خصومه
٢٥٧	١٢	لاقاذيع	لاقازيع
٢٥٨	١١	متساويا	متساويان
٢٥٨	١٨	مظبوطين	مضبوطين
٢٦٥	١٧	اجراجا	اخراجا
٢٦٥	٢٣	لاراجيف	لاراجيف
٢٦٨	١٦	خزيلة	جزيلة
٢٦٩	٢٠	وامتلاكتا	وامتلكنا
٢٧٤	٢٣	بامرات	بامراة
٢٧٨	٢٠	ولهذا قالت الغرض	ولهذا الغرض قالت
٢٨١	١٥	الذناء	الزناء
٢٨٣	١١	طبعتهم	طبيعتهم
٢٨٢	٢١	وقتقا	رفقا
٢٨٣	١٦	يضغى	يصغى
٢٨٤	١٣	ماخوز	ماخور
٢٨٦	١٤	يطفى	يطغى
٢٩١	٦	يهذمون	يهدمون
٢٩٩	١٧	خافظة	حافظة
٣٠٤	٢٠	اضاد	اضداد
٣٠٥	٩	يذوا	يوذوا
٣١١	١٧	العاضبة	الغاصبة
٣١٥	١	ايمناهم	ايمانهم
٣٣٥	١٩	نضرع	تضرع
٣٢٢	٣	الذعل	الدغل
٣٣٤	١٣	باضاد	باضداد
٣٤٩	١٣	تلم ان	ان تلم
٣٦٩	١٤	باأزد	بالنرد
٣٨٩	٣	ذفعات	دفعات
٤٢٦	١٦	اليهود	الى اليهود
٤٢٧	٢٣	الشيمة	الشنيمة
٤٢٨	٦	موثرا	موسرا

اعلان

اعلم ايها المطالع اللبيب . ان المطوّب الذكر الخوري يوسف مهنّا الحداد . والخواجا ايواني بابارو بولوس . والاب شفرئيل القبطي . قد كانوا قاصدين مراجعة هذا الكتاب الشريف على اصله اليوناني لاجل ضبط الفاظهِ ومعانيهِ وقواعدهِ الدينية المنقولة من القديس يوحنا الذهبي الفم نفسهِ . ورفض ما قد دخل عليهِ من الزيادة والنقصان من اقلام النساخ غير ملتفتين وقتئذٍ الى تعريبهِ على قواعد اللغة العربية * فلما تمت مراجعتهُ . قد نسخهُ الخوري المرحوم بخط يدهِ . وابقاهُ في مكتبتهِ مومّلاً بانهُ في المستقبل يصلّح تعريبهُ . كما كان يصنع ذلك بغير كتب كثيرة خلافه * ولما حصلت الحادثة الدمشقية المدفعة . انوجد هذا الكتاب * ولكون في ذلك الوقت حصل الشتات . وتفرقت المسيحيون في البلاد . ولم يعد يمكن تصليح اعرابه لاسباب . لاسيما لكون مراجعتهُ . كانت صحيحة جداً * الاّ فيما يختص بالاعراب . الامر الذي ليسهُ ضروري للحاذق . اقتضى انني بادرت بطبعهِ على ما هو عليهِ الان . خوفاً من ادخال التحريف . او الزيادات عليهِ . من اقلام النساخ * فلا تظن اذن ايها القاري . اذا وجدت جملةً غير معربة . انها غباوةٌ من المراجعين المومى اليهم * ولذلك اقتضى افادتك بهذا *

بيان اسماء المشتركين بهذا الكتاب الشريف حسبما وردوا الينا

كتاب بيروت

عــدد

٢٥ غبطة السيد كيريوس كيريوس ايروثيوس البطريرك الانطاكي وساير المشرق الكلي الطوبى

٥ سيادة المرحوم ايروثيوس مطران بيروت الكلي طهره

٥ سيادة المطران سيرافيم ايرينوبوليوس الكلي طهره

٢ سيادة المطران جراسيموس فرح الكلي طهره

٣ سيادة المطران ايوانيكيوس مساميري الكلي طهره

٣ الارشيمندريتي غبريل جبارة

٢ الارشيمندريتي جبرايل زلعوم

١ الخوري جراسيموس الحمصي

١ الخوري ميخايل جربوع

١ الخوري الياس ايوب دمشقي

١ المرحوم الخوري افتيميوس منيش

١ الخوري حنانيا

١ المرحوم الخوري نقولا طراد

١ الخوري سمعان بشور

١ الشماس يوسف المقلي دفتردون

٥ سعادة موسيو بكير قنصل جنرال دولة روسيا الفخيمة

٣ الخواجه نقولا سرسق

١ المعلم ايواني بابادوبولوس اول كاتب غبطة البطريرك الانطاكي

١ ميخايل شحادة ترجمان قنصلاتو دولة روسيا الفخيمة

١ الخواجا حبيب بسترس

٥ الخواجا نعمة الله الخوري

٢ خليل افندي ايوب دمشقي

٢ الخواجا جرجس التويني

١ يوحنا فريج دمشقي

١ ابراكيم نجار

١ نعمة الله كركبه مرتل

١ اسكندر بياض طراد ترجمان اول قنصلاتو دولة ايران البهية

١ اسعد افندي طراد

١ الخواجا خليل الدباس

١ يعقوب الدباس

١ الياس اليان دمشقي

١ ميخايل حداد دمشقي

١ ديمتري سرسق

١ الخوجات قطه اخوان

١ يوسف سيور دمشقي

١ انطون قبوات دمشقي

١ ميخايل الطوري دمشقي

١ حبيب درمان

١ حبيب شعيب

١ الياس الخوري ميخايل الغزي مرتل ثاني دمشقي

١ جبرايل ابوشعر دمشقي

١ المرحوم شبلي افندي ايوب

١ المرحوم نقولا الفيعاني

١ مرزوق التويني

١ جرجس الجادل

١ خليل ابراهيم شحادة

٢ فضل الله العازار

١ اسبيريدون افندي طراد

١ سليم ميخايل شحادة ترجمان قنصلاتو دولة روسيا الفخيمة

١ الخواجه ميخايل زعمه دمشقي

١ انطون افندي سالم دمشقي

١ سليمان افندي ابوشعر دمشقي

١ المعلم يوسف العريبني دمشقي

١ يوحنا افندي نوفل دمشقي

١ الخواجا ميخايل جحشان

١ المرحوم يوسف نقولا جحشان

١ ميخايل مدور ترجمان قنصلاتو دولة فرنسا الفخيمة

١ الخواجا لطف الله نقولا الفيعاني

١ خليل فضل الله جحشان

١ جرجس ابراهيم جحشان

١ فضل الله داغر

١ فرج الله التويني

١ الياس افندي حبالين معلم مدرسة الروم الارثودوكسيين

١ يوسف افندي فياض

١ جرجس الزوار

٣ جرجي الخوري مهنا الحداد دمشقي

١ يوسف جرجي الخوري مهنا الحداد دمشقي

١ نذرة جرجي الخوري مهنا الحداد دمشقي

١ انطون نقولا شحادة دمشقي

١ يوحنا صروق دمشقي
١ نقولا افندي صروف دمشقي
١ انطون افندي اللادقاني دمشقي
١ الخواجه موسى كليله دمشقي
١ جبران حكم دمشقي
١ المعلم يوسف السيوفي مرتل دمشقي
١ الخواجا موسى النطه دمشقي
١ نقولا موسى الدوماني مرتل دمشقي
١ حنا زربق دمشقي
١ خليل الطوى دمشقي
١ الياس نقولا الكك دمشقي
١ الحكيم كرنيليوس فنديك
١ نعمه شحاده
١ ميخايل عبود قيماني
١ جبران ربيز
١ حبيب صالح سابا
١ حبيب نقولا طراد
١ موسى عطا
١ خليل موسى عطا
٢ يوسف اللاتي
١ ايوب طراد
١ موسى شكر الله طراد
١ يوسف بدر الشويري
١ سابا خار
١ خليل يوسف بدران
١ ميخايل الكنيفاتي
١ عبدالله الحداد
١ جرجس الخوري الجوخي
١ عيد الخوري

١ المعلم جرجس ربيز
١ المعلم يوسف فر دمشقي
١ عبد الله ابواني باباد ربولوس دمشقي
١ عبد الله المقططلاني دمشقي
١ خليل عطيه
١ الياس الصابني دمشقي
١ جرجي جباره دمشقي
١ الياس الهواويني دمشقي
١ سليم الويس حمصي
١ ابراهيم ارشون حمصي
١ زخريا الصيداوي دمشقي
١ سليم كليله دمشقي
١ حنا غناجه دمشقي
١ مبلع الجرش دمشقي
١ مبلع غناجه دمشقي
١ فضل الله الفيعاني
١ يوسف حبيب طراد
١ الياس جرجس نعجازي
١ ابراهيم شحاده
١ حبيب باز
١ حبيب نصر
١ حنا شحاده الخوري صعب
١ جرجس نعمه سابا
١ يعقوب صلاح
١ غالب بعور
١ اسكندر الياس مجد
١ خليل رزق الله
١ موسى فضل الله حنا

كتاب دمشق

عدد

١ الارشيمندريتي ابراهيم شاهوب
١ الخوري يوحنا الطوى
١ الخوري اليان عبد الاحد
١ الخوري اثناسيوس ابو شعر
١ الخوري نقولا كاهن حديثه
١ الخوري ابراهيم زنبقها
• موسيو مكيف قنصل دولة رو... الفخيمة
١ الخواجا ميخايل مشاقه قنصل دولة اميركا الفخيمة
١ ابراهيم افندي طنوس
١ المعلم نقولا سطيله مرتل ثاني
١ موسى افندي البحري
١ نقولا افندي البحري
١ داود افندي البحري
١ اسبير السبع ترجمان قنصلاتو دولة روسيا الفخيمة
١ رفله افندي شاميه
١ سليم افندي الملكي
١ انطون افندي اللادقاني
١ جرجي افندي ميسى
١ جبران افندي اسبر
١ الخواجه مبلع ابراهيم ابو شعر
١ جرجس الزالقه
١ الياس المزنر
١ حنا فركوح حمصي

٥ انطون افندي الشامي
١ يوسف ميخايل خوري اليان
١ ابراهيم موسى القدسي
١ المعلم منصور
١ حنا يوسف مرقص
١ سليم الدادا
١ نقولا ايليا
١ ميخايل خوربه
١ ابراهيم الراعي معلولي
١ ابراهيم المدري
١ الياس نقولا اليازجي
١ جرجس السيوفي
١ نصر الله الريس
١ الياس وقسطنطين الخوري يوحنا الدوماني
١ الياس حصن
١ غطاس ابوسعد
١ الياس ابوسعد
١ نعمان العكاري
١ ابراهيم المعري
١ ابراهيم البرغوت

كتاب طرابلس الشام
عـدد
١٠ سيادة المطران صفرونيوس نجار الدمشقي الكلي طهره
١ الخوري انثيموس في البلمند
١ الخوري مكاريوس ريس
١ دير الناطور

١ الخوري اثناسيوس ريس دير كفتين
١ الخوري يعقوب الصوزي
١ الخوري جراسيموس دده
١ الخوري اثناسيوس ريس دير القديس ديميتريوس
١ الشماس مكسيموس في دير كفتين
١ الشماس حنانيا اليان
١ الخواجه اسكندر كستفليس قنصل دولة روسيا الفخيمة
١ ميخايل جرجس الحكيم
١ الياس مسافر
١ ابراهيم خلاط
١ اسحاق النحاس
١ جرجس مسعد
١ جبرايل نادر
١ الياس ورد
١ عبدالله الصراف
١ نعمه جحه
١ ميخايل قمر

كتاب اسكلة طرابلس
عـدد
١ الخوري نعمه النجار
١ المعلم يوسف الدوماني اول مرتل الكرسي الانطاكي
١ الخواجه ابراهيم حبيب
١ نصول حبيب
١ يعقوب الحاج

١ وهبه كرم اخوان
١ نقولا المبيض
١ مطانيوس مابرو
١ وهبت الله عبود
١ القبطان ابراهيم نعوم
١ ابراهيم الترك
١ ميخايل ارناوط
١ حنا سعد
١ ميخايل الرملاوي
١ الياس الترك
١ ديب بيلاديا
١ الرويس مطانيوس الزحلوط
١ مترى بريطع
١ القبطان ميخايل باسيلي
١ جرجس البتروني
١ موسى وانطون يوسف الدوماني

كتاب اللادقيه
عـدد
١ كنيسة الهيكل
١ كنيسة مارنقولا
١ كنيسة مارجرجس
١ كنيسة ماراندراوس
٢ سيادة المطران ميلاتيوس دوماني الدمشقي الكلي طهره
١ الخوري جرمانوس
١ الخواجه الياس مرقص قنصل دولة روسيا الفخيمة
١ سبيريدون مرقص

١ انطونيوس مرقص
١ ياالياس افندى صوابا
١ انطونيوس ديب
١ ابراهيم افندى حكيم
١ الياس دبانه الكنسباوى

كتاب مرسين

١ يعقوب بيليز جربوز
٢ الخواجا نقولا بربارى
١ وهبة الله الترك
١ حنا صابنجى

كتاب الاسكندرونه

٥ ابراهيم افندي زريق

كتاب انطاكيه

٦٠ الخواجا بشارة [illegible] العازار قنصل ايطاليا الفخيمة

كتاب صور وصيدا

٢ سيادة المطران جراسيموس طراد البيروتي الكلي طهره

كتاب عكار

١٠ سيادة المرحوم المطران يوسف الكلي طهره
٥ سيادة (خلافته) المطران خريسنثوس الكلي طهره

كتاب حمص

١ سليمان افندى الخورى الطبيب

كتاب حماه

٢ سيادة المطران جرمانوس الدمشقي الكلي طهره
١ الخوري ليونديوس عويشق

كتاب روسيا

٤ الارشيمندريتي غفرييل شاتيلا الدمشقي في الموسكا
١ القس اغابيوس صليبا الحاصباوي في بطرس برج

كتاب القسطنطينيه

٥ الخواجا ديمتري نقولا شحاده دمشقي

كتاب حلب

١٥ الخواجا نصر الله نقولا اليان

كتاب ديار بكر

٢ سيادة المطران مكاريوس الايديس الكلي طهره

كتاب اورشليم المقدسة

٢٥ غبطة السيد كيريوس كيريوس كيرللوس بطريرك اورشليم وساير فلسطين
٢ ميخايل شحاشيري اول ترجمان قنصلاتو دولة روسيا الفخيمة
١ جرجي خوري اسبير صروف ترجمان وحكيم السفارة الروسية
١ المعلم وهبة الله خوري اسبير صروف
١ الخواجا خليل الجمل

كتاب الاسكندريه

٢٥ غبطة السيد كيريوس كيريوس ايفكانور بابا وبطريرك الاسكندريه ومصر وقاضي المسكونه

٣٠ المرحوم روفايل عبيد
١٠ الخواجا الياس نوفل ومن معه
١ جبرايل الخلع

كتاب مصر

١٥ غبطة الانبا ديمتريوس بطريرك طايفة القبط الكلي الاحترام
١ الخوري فيلتيوس وكيل بطريركي وكاهن كنيسة طنطا القبطي
١ الخوري ابراهيم مرقص
٥ الخواجا ابراهيم بداره
١ قسطون ملوك
١ ميخايل كليله
١ انطون ملوك
١ يوسف خوام
١ جبرايل انطون ملوك
١ نعوم برقي
٢ ناصيف ميخايل

اعلان

ندا قد اكتفينا بوضع لفظة خواجا في بداية الاسماء التي ليس ضمنها وظايف لتلزم لكامل الاسماء التي بعدها الى ان ياتي اسم لقب وظيفة نظير افندى وبناء عليه تكون لفظة خواجا لجميع اسماء حضرة الخواجات المشتركين المحترمين

قد طبع الجزء الاخير الذي بالاحرف الكبار بمحروسة دمشق الشام بمطبعة الخوري يوحنا الدوماني وكان نهايته في ٥ شهر تموز شرقي سنة ١٨٦٧